مخطوطة

تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

المؤلف

عبدالصمد بن محمود بن يونس (الغزنوي)

ولمن اراد بنسخه عبد الصمد

واكمل هذا التفسير طبقا على [illegible] الطرق

(تفسير القرطبي وتكر [illegible] لا [illegible])

عبد الصمد بن محمود بن يونس محمد الغزنوي

الحنفي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥٧

سورة الفاتحه ٢	سورة البقره ٣	سورة آل عمران ١٠٥	سورة النساء ١٤٦	سورة المائده ١٧٦	سورة الانعام ٢٠٧
سورة الاعراف ٢٢٦	سورة الانفال ٢٦٥	سورة التوبه ٢٧٨	سورة يونس ٣٠١	سورة هود ٣١٤	سورة يوسف ٣٢٨
سورة الرعد ٣٤٥	سورة ابراهيم ٣٥٢	سورة الحجر ٣٥٧	سوره النحل ٣٦٣	سورة بنی اسرائیل ٣٧٢	سورة الكهف ٣٨٢
سورة مريم ٣٩٢	سورة طه ٣٩٨	سورة الانبياء ٤٠٦	سورة الحج ٤١٣	سورة المؤمنين ٤٢١	سورة النور ٤٢٥
سورة الفرقان ٤٣٣	سورة الشعرا ٤٣٧	سورة النمل ٤٤٢	سورة القصص ٤٥٠	سورة العنكبوت ٤٥٨	سورة الروم ٤٦٤
سورة لقمان ٤٦٨	سورة السجده ٤٧١	سورة الاحزاب ٤٧٤	سورة السباء ٤٨٤	سورة الملائكه ٥٠٠	سورة يس ٥٠٥
سورة الصافات ٥١٠	سوره ص ٥١٨	سورة الزمر ٥٢٧	سورة المؤمن ٥٣٣	سورة السجده ٥٣٩	سورة الشورى ٥٤٥
سورة الزخرف ٥٥٠	سورة الدخان ٥٥٦	سورة الجاثيه ٥٥٩	سورة الاحقاف ٥٦١	سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٥٦٤	سورة الفتح ٥٦٩
سورة الحجرات ٥٧٤	سورة ق ٥٧٨	سورة الذاريات ٥٨٢	سورة الطور ٥٨٤	سورة النجم ٥٨٧	سورة القمر ٥٩١
سورة الرحمن ٥٩٤	سورة الواقعه ٥٩٨	سورة الحديد ٦٠٣	سورة المجادله ٦٠٧	سورة الحشر ٦١١	سورة الممتحنه ٦١٦

سورة الصف ٦١٩	سورة الجمعه ٦٢١	سورة المنافقين ٦٢٣	سورة التغابن ٦٢٤	سورة الطلاق ٦٢٦	سورة التحريم ٦٢٩
سورة الملك ٦٣١	سورة ن ٦٣٤	سورة الحاقة ٦٣٧	سورة المعارج ٦٣٩	سورة نوح ٦٤١	سورة الجن ٦٤٣
سورة المزمل ٦٤٦	سورة المدثر ٦٤٨	سورة القيمه ٦٥١	سورة الدهر ٦٥٣	سورة المرسلات ٦٥٧	سورة النباء ٦٥٩
سورة النازعات ٦٦١	سورة عبس ٦٦٣	سورة التكوير ٦٦٥	سورة الانفطار ٦٦٧	سورة المطففين ٦٦٨	سورة الانشقاق ٦٧٠
سورة البروج ٦٧٢	سورة الطارق ٦٧٣	سورة الاعلى ٦٧٤	سورة الغاشيه ٦٧٥	سوره الفجر ٦٧٦	سورة البلد ٦٧٨
سورة الشمس ٦٧٩	سورة الليل ٦٨٠	سورة الضحى ٦٨١	سورة الم نشرح ٦٨٢	سورة التين ٦٨٣	سورة العلق ٦٨٤
سورة القدر ٦٨٥	سورة لم يكن ٦٨٦	سورة زلزلت ٦٨٧	سورة العاديات ٦٨٨	سورة القارعة ٦٨٩	سورة التكاثر ٦٩٠
سورة العصر ٦٩١	سورة الهمزه ٦٩١	سورة الفيل ٦٩٢	سورة قريش ٦٩٢	سورة الماعون ٦٩٣	سورة الكوثر ٦٩٣
	سورة الكافرون ٦٩٤	سورة النصر ٦٩٥	سورة تبت ٦٩٥	سورة اخلاص ٦٩٦	
		سورة الفلق ٦٩٨	سورة الناس ٧٠٠		

شبكة الألوكة
www.alukah.net

Bayazit Genel Kütüphanesi
Kayıt No

54140

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم الحمد لله الذي اكرمنا
بنور الدين وهدانا بالحق اليقين كتاب الله العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد فتولى حفظه وذكره فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
ونسخ به كل كتاب انزله قبله لئلا يتبع به الاهوا ولا تشبع منه العلما ولا يخلق على كثرة الرد
ولا تنقضي عجائبه ولا تفنى غرائبه فهو البحر ما بقي الدهر وكل به سبحانه قوما [illegible]
يحلون حلاله [illegible] ويعقلون احكامه للعارفين من الحق [illegible]
في الباطل ذلك [illegible] والله ذو الفضل العظيم [illegible] احوال الصحابة
[illegible] بكتاب الله سبحانه [illegible] وتفسيره مبني مراتب
وعبارات [illegible] من شرايط [illegible] والفوايد
المستنبطة [illegible] الاصول [illegible] فاحتجتم الى ذلك [illegible] ترجع الى
الكلم دينا [illegible] الدين [illegible] الا اعود [illegible]
الله تعالى على ايمتنا المتقدمين رحمة الله عليهم اجمعين بتوفيقه اياهم بتحقيق النظر في
العلم بجميع علومه وذرايعه واحاطة بمحكمه ومتشابهه وفضايله وترغيبه ورخصه
وعزايمه ومجمله ومفسره وعمومه وخصوصه ومطلقه ومقيده وناسخه ومنسوخه واستعاراته
وحقايقه واوامره ونواهيه لما امكنهم تدوين كتب الفقه وتاسيس قواعده ومن تامل
علم ان كثيرا من مصنفاتهم من افراد الكتب مبني على اية واحدة من كتاب الله تعالى ومنها
ما هو مبني على اثنين وثلاث وكيف يتفق مثل ما صنفوه مع حسن ذلك وكثرته الا لمن تستحكم
لنفسه الاصول التي لا تبع خلافها احسن الاستحكام ولهذا ما صارت كتبهم في الحجة كالجبال
فانهم هم الذين سابقوا بعد عصر الصحابة الى كتبهم التي الفوها فبينوا فيها مواضع نصوص من
الشريعة ومواقف الاجتهاد وعرضوا اخبار الاحاد على الكتاب والسنن المتواترة واجماع
الامة فما وافق منها هذه الاصول الثلثة قبلوه وما خالفها طرحوه او تاولوه ثم اختاروا في
المجتهدات من اقاويل المجتهدين احسنها واشبهها بالحق واصوبها اذ كان لا يسعهم القول
بكلها مع اختلافها فتدبروا وتناظروا الترجيح بعض الاقوال على البعض على يقين منهم ان نهج الشرع
لا يجري عليها الخلاف والنقض فمن رام تخطيتهم في واحدة من مسايلها عاد خطاؤها عليه ان تامل
فاحسن التامل ومن نظر احد بعقله بدينا دليل وعلم به يتدبر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فالله الحمد على ما هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله والصلاة على نبي الرحمة وامام الحكمة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الاكرم
سيد المرسلين وخاتم النبيين وعلى اله الطيبين الطاهرين ونضر الله امراة نظر في هذا الكتاب الذي
امليناه فاعمل الفكرة وحاور الفطنة ثم عرف حق الله تعالى علينا وعليه بان نبهه على زيادة
دلايل التوحيد واكرمه بحيازة شواهد النبوة وعرفه الحلال والحرام من احكام الملة الحنيفية
السمحة السهلة ووفقه للوقوف على تنزيه الله تعالى عن صفات المحدثين وتنزيه انبيائه و
رسله صلوات الله عليهم عن زلات المسيئين حفظا للدين وردا على الملحدين هذا بصاير للناس
وهدى ورحمة لقوم يوقنون ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله
ذو فضل على العالمين قال الشيخ الامام ركن الاسلام شمس الايمة وسراج الانام ابو الفتح
عبد الصمد بن قاضي القضاة الشهيد الامام محمود بن يونس قدس الله روحه واطال بقاء الشيخ

Bayazit Genel ...
Kayıt No. ٥٥٢

الامام في معنى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انه تعليم منه سبحانه لعباده ليذكروا
اسمه عند افتتاح القراة وغيرها تبركا به ومعناه والله اعلم ابدا باسم الله لان حرف البا مع
ساير حروف الجر لا تستغني عن فعل مضمر او مظهر فكان ضمير البا في هذا الموضع الامر وفي نسق
تلاوة السورة دليل عليه وهو قوله تعالى اياك نعبد معناه قولوا اياك نعبد وانما حذف
لفظ الابتدا في اول التسمية لان الحال ينبي عنه لان القاري يبتدي والحذف في هذا الموضع
في كلام العرب ابلغ من الاثبات لانك اذا حذفت احتمل اللفظ الخبر بذات واحتمل
الامر الا ترى ان القوم اذا اجتمعوا لروية الهلال فراه واحد منهم قال لاصحابه الهلال و
الله يريد به رايته انا وانظروا انتم وكذلك قول بعض الرماة القرطاس اي اصبت
القرطاس واختلف الناس في اشتقاق الاسم فاكثر اهل اللغة على انه مشتق من السمو
وهو الرفعة ومعنى الاسم التنويه على الشي والدلالة عليه وقوله سميت الرجل اي رفعت
ذكره قال بعضهم انه مشتق من السمة وهي العلامة فكان الاسم علامة للمسمى وانما يكتب
بسم الله بالالف لايثار التخفيف بسبب كثرة الاستعمال كما اسقطوا الالف الثانية من الرحمن
واما الله قال بعضهم هو اسم علم لا اشتقاق له مثل قولك فرس ورجل وجبل ومعناه
عند اهل اللسان المستحق للعبادة ولذلك سمت العرب اصنامهم الهة لاعتقادهم
استحقاقها العبادة وقال بعضهم هو من قولهم اله الرجل الى فلان ياله الها اذا
فزع اليه من امر نزل به فالهه اي اجاره وامنه ويقال للمالوه اليه اله كما
قالوا للموتم به امام ولما يلتحف به لحاف فالاصل في هذا الاسم اله كما قال
الله تعالى حكاية عن اولاد يعقوب قالوا نعبد الهك واله ابائك ثم ادخلوا عليه الالف و
اللام للتعريف فصار الاله ثم استثقلوا اجتماع الهمزتين وهي الاصلية والمجتلبة فحذفوا احدى
الهمزتين وهي الاصلية اذ لم يمكنهم حذف المجتلبة لانهم اجتلبوها لحاجتهم اليها فبقيت
اللام الاصلية مع لام التعريف ولم يكن بينهما حرف اخر فادغمت احداهما في الاخرى فصار
الله ومعناه ان الخلق يالهون ويتضرعون اليه في الحوايج والشدايد وقال بعضهم هو مشتق
من الوله وهو التحير والاصل فيه ولاه فابدلت الواو همزة كما قالوا في وسادة اسادة وفي
وشاح اشاح فصار اله ثم ادخلت عليه الالف واللام للتعريف والمعنى في ذلك ان كل قلب اذا
فكر فيه جل جلاله تحير لانه لا مثل له فيعتقده وعن امير المومنين رضي الله عنه انه قال الله
المستتر عن ادراك الابصار المحتجب عن الاوهام الاخر سمي به ذهب الى انه من لاه يليه ولاه يلوه
اذا استتر جعل المصدر منه اسما قايما مقام الفاعل ثم جعلت الواو والياء التي في المصدر الفا لانفتاح
ما قبلها فصار لاه ثم ادخل عليه حرف التعريف واما الرحمن الرحيم فهما اسمان ماخوذان من الرحمة
ووزنهما من الفعل نديم وندمان من المنادمة وفعلان ابلغ من فعيل وهو من ابنية المبالغة لا يكون
الا في الصفات كقولك شبعان وغضبان وسكران ولهذا صار اسم الرحمن مختصا بالله تعالى
لا يوصف به غيره واسم الرحيم مشترك لا يوصف به غير الله تعالى وروى عثمان بن عفان رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحيم العاطف على جميع خلقه بادرار الرزق عليهم والرحيم الرفيق
الشفيق بالمومنين خاصة في الدنيا والعقبى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هما اسمان رقيقان احدهما ارق
من الاخر ولو قال اسمان لطيفان لكان احسن ولكن عنى بالرقة الرحمة والرحمة من الله تعالى هي الانعام على
الخلق ومن الادميين رقة القلب وانما تسمى النبوة رحمة لانها تكثر عند رقة القلب وانما جمع والله اعلم

الألوكة www.alukah.net

بين الاسمين ومعناهما جميعا من الرحمة لانهاية في الرحمة والاحسان بعد الاحسان اذ لا تبلغ رحمة احد رحمة الله تعالى يقول الرجل انا جاد مجد وفلان ضارب ضروب وشديد وسحيق ونحو ذلك جيء به للتكثير والتاكيد ولا خلاف بين المسلمين ان بسم الله الرحمن الرحيم من القران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب في اوايل الكتب في اول الاسلام باسمك اللهم حتى نزل بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن فنزلت قصة سليمان عليه السلام في سورة النمل فكتب حينئذ بسم الله الرحمن الرحيم **واختلف اهل العلم** في انها اية من سورة فاتحة الكتاب ام لا فقال قراء الكوفة هي اية منها وابى ذلك اهل المدينة واهل البصرة وليس عن ايمتنا المتقدمين رواية منصوصة في ان البسملة اية من هذه السورة او ليست منها الا ان الشيخ ابا الحسن الكرخي كان يقول ان مذهبهم في ترك الجهر بها في الصلوة للاخبار الواردة فيها يدل على انها ليست اية منها عندهم لانها لو كانت اية منها لجهروا بها كما جهروا بساير اي السورة وقيل لو كانت اية في نفس هذه السورة لوجب ان تكون قبلها مثلها لتكون احديهما افتتاحا بالسورة والاخرى اية منها **واتفق السلف** ان البسملة ليست من اوايل السور الا الشافعي رحمه الله فانه زعم انها اية من كل سورة وما سبقه الى هذا القول احد **ولا خلاف** ان التسمية ليست باية تامة في سورة النمل وان ابتداء الاية هنا لا من قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ومع انها ليست باية تامة في سورة النمل لا يمتنع ان يكون لها حكم الاية التامة في غيرها الا ترى ان قوله الرحمن الرحيم في اضعاف فاتحة الكتاب اية تامة وليست باية تامة في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم عند الجميع وكذلك قوله تعالى الحمد لله رب العالمين اية تامة من فاتحة الكتاب وهي بعض اية من قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **وذكر** عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية فاصلة بين السور والله اعلم **سورة فاتحة الكتاب مكية** عند ابن عباس وعامة المفسرين **ومدنية** عند مجاهد وقتادة وهي سبع ايات لا خلاف في جملتها **واختلفوا** في اثنين منها قال اهل الكوفة بسم الله الرحمن الرحيم اية منها وقوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم الى اخر السورة اية واحدة وقال اهل المدينة والبصرة صراط الذين انعمت عليهم اية وما بعده اية والصحيح والله اعلم ما قاله اهل المدينة والبصرة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين نصفا لي ونصفا لعبدي ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذه الاية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال والاستدلال من هذا الخبر من وجهين احدهما انه بدا بذكر الحمد دون التسمية والثاني انه جعل اياك نعبد واياك نستعين واسطة ولا تكون واسطة الا وان تكون كلمات الثنا قبله ثلثا وكلمات الدعا بعده ثلثا قوله عز وجل **الحمد لله رب العالمين** ثنا اثنى الله تعالى به على نفسه تعليما لخلقه ومعناه قل يا محمد او قولوا الشكر لله تعالى سيد كل ذي روح دب ودرج في الارض ومن اهل السما والحمد والشكر نظيران يقال الحمد لله شكرا الا ان الحمد اعم من الشكر من حيث ان فيه معنى المدح من المنعم عليه وغير المنعم عليه ولا يكون الشكر الا من المنعم عليه والشكر اعم من الحمد من حيث انه يكون باللسان والقلب والجوارح والحمد لا يكون الا باللسان ويتبين

الفرق بينهما بنقيضيهما فنقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران **والرب** في اللغة اسم من ربت الشيء ويصلحه يقال للسيد العبد رب ولزوج المراة رب وللمالك رب ولا يقال الرب معرفا بالالف واللام الا لله تعالى والله سبحانه هو المربي والمحول من حال الى حال من نطفة الى علقة ثم الى مضغة ثم الى غير ذلك الى اجل مسمى **والعالمون** اسم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والرهط وغير ذلك وهو اسم لمن يعقل مثل الجن والانس والملائكة لانك لا تقول رايت عالما من الابل والغنم الا انه انما حمل اسم العالم في هذه السورة على كل ذي روح دب ودرج لتغليب العقلا على غيرهم عند الاجتماع كما قال الله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشاء الاية وربما يقال للسموات وما دونها من ما احاطت به عالم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تعالى ثمانية عشر الف عالم وان دنياكم منها عالم وفتحت نون العالمين وكل نون جمع اذا كان هجاؤها للمعاقبة لان هذه النون لا تقع الا بعد واو ساكنة مضموم ما قبلها او ياء ساكنة مكسور ما قبلها فلو ضمت لالتقت ضمتان ولو كسرت لالتقت كسرتان فلم يبق غير الفتح **الرحمن الرحيم** الرازق الغفار **مالك يوم الدين** قاضي يوم الحساب والجزاء يوم يدان الناس باعمالهم لا قاضي يومئذ غيره وقرئ ملك يوم الدين بغير الف وترجيح الاول انه عبارة عن ملك الحقيقة والثاني كناية عن الولاية والقدرة وترجيح الثاني انه يقال مالك الثوب ومالك الدار ولا يقال ملك الا للملك من الملوك وتخصيص يوم الدين الاية لان الله تعالى لا ينازعه احد في ملك ذلك اليوم كما قال جل ذكره لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **اياك نعبد واياك نستعين** اي قولوا اياك نوحد ولك نطيع ونخضع وبك نستعين على عبادتك وبك نستوثق على طاعتك واياك اسم للمضمر المنصوب اذا تقدم لا يحسن ادخاله في غير المضمرات وانتصاب موضعه لوقوع الفعل عليه تقديره نعبدك وحكي عن الخليل انه قال اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فاضافه الى الظاهر وهو قبيح مع جوازه فان قيل لم قدم اياك على نعبد وهلا اخر فقال نعبدك فالجواب عنه ان العرب اذا ذكرت شيئين قدمت الاهم فالاهم نحو قولك ضربت زيدا اذا كانوا بالضرب اعنى وزيدا ضربت اذا كان زيد اهم وهم به اعنى ثم ذكر المعبود في هذه الاية اهم من ذكر العبادة فقدمه عليها والكاف من اياك في محل الخفض لانه بمنزلة عصاك وقفاك واجاز الفراء ان يكون الكاف في محل النصب اذا جعل اياك عمادا الا اسما لانه لا يقوم بنفسه فان قيل لم عدل عن المغايبة الى المخاطبة قلنا مثله كثير في القران وكلام العرب قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة **اهدنا الصراط المستقيم** ارشدنا الطريق القايم الذي ترضاه وهو الاسلام وهذا دعا ومسلة خرج على لفظ الامر لان الامر لمن هو دونك والمسلة لمن فوقك فان قال قايل ما معنى قولكم اهدنا وانتم مهتدون قلنا قال الكلبي ومقاتل هذا سؤال منا في مستقبل الزمان عند دعوة الشيطان **وعن** عبد الله بن مسعود انه قال خط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وبجنبه خطوطا وقال ان هذا الصراط المستقيم وان هذه السبل وعلى راس كل طريق شيطان يدعو ويقول هلم الى الطريق ونزل بهذا قوله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل **وروي** عن علي رضي الله عنه ان معنى قوله تعالى اهدنا اي ثبتنا على الصراط المستقيم لا تقلب قلوبنا بمعصيتنا ونظيره قوله تعالى في قصة ابرهيم عليه السلام اذ قال له ربه اسلم اي اثبت على الاسلام **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هو استدعا الهدى الى الطاعة

وزاد في عن العالم عن الخدري ان لله اربعين الف عالم وعن مقاتل وابن حبان ثمانين الف عالم وعن الفضل ان لله ثلثماية وستين عالما عراة حفاة لا يعرفون خالقهم وستين عالما يلبسون الثياب ويعرفون رب الارباب

شبكة الألوكة www.alukah.net

والاخلاص والاحكام واما الاسلام فقد سبق به الافضال واما السراط بالسين والزاي في القراءة لقرب مخرج بعض هذه الحروف من بعض **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** اي طريق الذين مننت عليهم بحفظ قلوبهم على الاسلام حتى ماتوا وهم انبياؤه عليهم السلام واهل طاعته رحمهم الله **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** غير طريق اليهود الذين غضبت عليهم وخذلتهم بمعصيتهم ولم تحفظ قلوبهم حتى تمكنوا الاسلام ولا طريق النصارى الذين ضلوا عن الاسلام وانما عرف ان المراد بالمغضوب عليهم اليهود وبالضالين النصارى بالكتاب والسنة قال الله تعالى في قصة اليهود فباؤا بغضب على غضب وقال عز من قائل في قصة النصارى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا **وروي** ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادي القرى من المغضوب عليهم فقال عليه السلام اليهود ومن الضالين قال عليه السلام النصارى **واما امين** فليس من السورة ولكن روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقوله ويامر به على ما روي عنه عليه السلام انه قال لقنني جبريل عليه السلام بعد فراغي من فاتحة الكتاب امين وقال انه كالطابع على الكتاب وفيه لغتان امين بالقصر والتخفيف كما قال الشاعر تباعد عني فطحل اذ دعوته امين فزاد الله ما بيننا بعدا • وآمين بالمد والتخفيف كما قال الاخر يا رب لا تسلبني حبها ابدا • ويرحم الله عبدا قال آمينا • وهو لفظة بالسريانية معناه اللهم اسمع واستجب كما يقال صه ومه ومعناه الاسكات **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال عليه السلام رب افعل **وعن** ابن عباس رضي الله عنه عند نفسه اي معناه كذلك فليكن والله اعلم **سورة البقرة مدنية** الا آية واحدة وهو قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فانها نزلت بمنى وهي كالمدنية ايضا لنزولها بعد الهجرة وعدد آي هذه السورة مائتان وثمانون وست ايات كوفي وسبع بصري وخمس حجازي **بسم الله الرحمن الرحيم الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** اية واحدة عند الجميع الا عند الكوفيين فانها عندهم ايتان الاولى منهما قوله تعالى الم • واختلف الناس في الم وساير حروف التهجي في اوايل السور روي عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم انهم قالوا ان الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر ووافقهم الشعبي على ذلك فقال ان لله تعالى سرا في كتبه وان سره في القران هو الحروف المقطعة واكده محمد بن السايب الكلبي لما روي ان رهطا من اليهود منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وجدي بن اخطب وغيرهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا يا محمد انك قرات الم ذلك الكتاب لا ريب فيه فان كنت صادقا فيما تقول فان منتهى ملكنا متلك الى احدى وسبعين سنة لان الالف في حساب الجمل واحد واللام ثلاثون والميم اربعون فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي وهل غير هذا فقال نعم المص فقال حيي هذا اكثر لان الصاد سبعون فهي احدى وثلثون ومائة فهل غير هذا قال نعم الر فقال حيي هذا اكثر لان الراء مائتان فهي احدى وثلثون ومائتا سنة فهل غير هذا قال نعم المر فقال حيي وهذا اكثر وهي احدى وسبعون ومائتا سنة ثم قال خلطت علينا يا محمد فلا ندري ابالقليل ناخذ ام بالكثير فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الم ان معناه انا الله اعلم اي ان كل حرف قايم مقام كلمة وقال في قوله تعالى الر انا الله ارى وفي المر انا الله اعلم وارى وفي المص انا الله اعلم وافصل وقال في كهيعص الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه

الله قال لو اسم الله الاعظم ويقال الالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم اسمه مجيد ومعناه الله اللطيف المجيد انزل الكتاب ويقال الالف هو الله تعالى واللام جبريل عليه السلام والميم محمد عليه الصلوة والسلام معناه الله تعالى انزل جبريل عليه السلام بهذا القران وقد نطقت العرب بالحرف الواحد دليلا على الكلمة التي هو منها قال الشاعر قلنا لها قفي لنا قالت قاف • لا تحسبي انا نسينا الايجاف • اراد بالقاف وقفت وقال الكلبي هذا قسم اقسم الله تعالى به ان هذا الكتاب الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الكتاب الذي عند الله وجواب القسم لا ريب فيه **وعن** قتادة رضي الله عنه ان الحروف المقطعة اسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به **وعن** مجاهد انه قال هي فواتح افتتح الله تعالى بها كتابه **وعن** ابي عبيدة هي شعار السور **وعن** قطرب ان المشركين كانوا لا يستمعون القران كما قال الله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه اراد الله تعالى ان يسمعهم الحروف المقطعة ليستمعوا الى ذلك فيسكتوا طمعا في الظفر بما يحبون فيقيم النبي صلى الله عليه وسلم الحجة عليهم **وعنه** ايضا ان الكفار كانوا يقولون قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه فلا نفهم ما تقول واراد الله تعالى ان يبين لهم ان هذا القران مؤلف من الحروف المقطعة التي ركبت عليها السنتهم فما لهم لا يفقهون **المراد** بذكر بعض الحروف تمام الحروف كما يقول الرجل علمت ولدي اب ت ث لا يريد به هذه الحروف الاربعة وعلى هذا تفسير ساير الحروف المقطعة في القران فان قيل كيف يجوز ان يكون الحرف الواحد مستجمعا لجهات مختلفة قيل يجوز في كلام العرب خاصة الا ترى انهم يقولون للجماعة امة وللدين امة وللرجل الواحد امة وللقامة امة وكذلك اسم المولى ونحو ذلك وكذلك الم وان كان ثلثة احرف لا يستنكر اختلاف معانيها على صحة التاويل وهذه الحروف موقوفة لانها هجاء وحروف التهجي لا حظ لها في الاعراب فيوقف كل حرف على نية السكت والابتداء بما يليه كما يفعل بالعدد في قولهم احد اثنان ثلاثة فاذا ادخلوا الواو حركوه لانه صار في حد الاسماء فيقال الف ولام وميم وكذلك العدد قال الشاعر اذا اجتمعوا على الف وواو • وياء هاج بينهم قتال • **قال الآخر** اقبلت من عند زياد كالخرف • تخط رجلاي بخط مختلف • يكتبان في الطريق لام الف • **قال** القاضي الامام اختلفوا في محل هذه الحروف فقال قوم محلها رفع بالابتداء وذلك خبره والكتاب صلة لذلك كما تقول زيد ذلك الرجل لا شك فيه فزيد مبتدا وما بعده من الجملة خبر عنه وهذا اصح التاويل في الم ويحتمل ان يكون الف لام ميم خبرا مقدما على ذلك الكتاب تقديره ذلك الكتاب الذي وعدت ان اوحيه اليك الم اي هذه الحروف ومن ابطل محل الحروف جعل ذلك ابتداء والكتاب خبره والم كالصلة يكون لذلك الكتاب معنيان احدهما ان ذلك بمعنى هذا اي هذا الكتاب لا شك فيه وقد يستعمل ذلك موضع هذا كما قال خفاف بن ندبة اقول له والرمح ياطر متنه • تامل خفافا انني انا ذلكا • اي انني هذا والثاني على الاضمار كانه قال هذا القران ذلك الكتاب الذي وعدت في التورية والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام ان اوحيه اليك او هذا القران ذلك الذي في اللوح المحفوظ فان قيل ما معنى قوله تعالى لا ريب فيه وقد ارتاب فيه كثير من الناس قيل معناه والله اعلم لا شك فيه للمتامل فيه انه شيء لم يختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه او لا ينبغي ان يشك فيه لانه معجز ويحتمل ان يكون معناه لا ترتابوا فيه كما في قوله

الايجاف تسير الخيل والابل بسرعة يقال وجف فاوجفته

قال الشاعر ... حسان الوجوه طوال الامم

ياطر يحني ويثنيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ويحتمل لا شك فيه عند المؤمنين وانما انتصب لا ريب فيه
لتعميم النفى الا ترى انك تقول لا رجل في الدار تنصب اللام فيكون نفياً عاماً واذا قلت لا
رجل في الدار بالرفع والتنوين جاز ان يكون في الدار رجلان او ثلثة وقال سيبويه لا مع ما
بعدها شى واحد كخمسة عشر وهى علة لنصب ما بعدها قوله عز وجل هدى للمتقين بياناً للمتقين
الشرك والكباير والفواحش والمتقى من جعل قلبه في الوقاية وهو الحفظ من الشهوات والمعاصى لان
اتقى كان في الاصل وتقى على وزن افتعل من الوقاية فان قيل ما معنى تخصيص المتقين في الاية و
القران هدى للمتقين وغير المتقين قيل تخصيص الشى بالذكر لا يدل على نفى ما عداه وفايدة التخصيص
تشريف المتقين لان منفعة البيان راجعة اليهم كما قال عز وجل انما تنذر من اتبع الذكر وقال عز
من قايل انما انت منذر من يخشاها وموضع هدى نصب على الحال اما من قوله تعالى ذلك الكتاب كانه
قال ذلك الكتاب هادياً واما من قوله تعالى لا ريب فيه في حال هدايته ويجوز ان يكون موضعه رفعاً على
اضمار هو او فيه قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
قال ابن عباس معناه الذين يقرون بغيب القران انه من الله تعالى فيحلون حلاله ويحرمون ويقيمون حرامه
الصلوة الخمس بشرايطها وما يجب من حق الله تعالى فيها في مواقيتها ومما اعطيناهم من الاموال يؤدون
زكوتها الى الفقرا وقال قتادة يصدقون بموعود الله الذى وعد في القران من البعث والحساب
والجنة والنار قال عطا الغيب هو الله تعالى قال رضى الله عنه الايمان على ضربين لغوى وشرعى
فاللغوى هو التصديق فقط مجرداً كقوله تعالى وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق والشرعى الاقرار
باللسان والتصديق بالقلب في كل ما يلزم تصديقه من الله تعالى وكتبه ورسله فمن لم يوجدا معه
معاً لم يكن قايله موحداً على الحقيقة وحقيقة الغيب ما لا يدرك بالحواس الخمس ويحتاج في اثباته
الى الاستدلال وعلى الايمان به يستحق المدح لان ما ادرك عياناً وحساً لا مدح في الاقرار
بوجوده وفي الاية دلالة وجوب الصلوة والزكوة لان الله تعالى جعلهما من صفات المتقين
كما جعل الايمان بالغيب وهو الايمان بالله تعالى وبالبعث والحلال والحرام من شرايط التقوى
ويجوز ان يكون اقامة الصلوة من تقويم الشى بالحقيقة ومنه قوله عز وجل واقيموا الوزن
بالقسط يقال قام بالامر واقامه اذا جا به معطياً حقوقه ويجوز ان يكون معنى اقامتها
اداوها على ما فيها من قيام وغيره فعبر عنها بالقيام لان القيام من فروضها وان كانت
تشتمل على فروض غيره كقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القران واراد به الصلوة التى فيها القراة
وقوله تعالى وقران الفجر اراد به القراة في صلوة الفجر وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين فذكر ركنا
من اركانها الذى هو من فروضها واقامة الصلوة قيام القوم لها يقال ليل قايم اى يقام فيه و
نهار صايم اى يصام فيه ويحتمل معنى قوله تعالى ويقيمون اى يديمون لقول العرب في الشى
الدايم الجارى قايم وفي فاعله مقيم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند ويجوز ان يكون معنى اقامة
الصلوة الاشتغال بها عن غيرها يقال قامت السوق اذا حضر اهلها ومنه قامت الصلوة
واما الرزق في اللغة فهو الحظ والنصيب قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى
حظكم من هذا الامر التكذيب به وعن السدى انه قال في تفسير قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
هو نفقة الرجل على اهله ويقال هو الجهاد والظاهر انه الزكوة لان الله تعالى قرن بين الصلوة
والزكوة في مواضع من كتابه واقامة الصلوة طهارة الابدان واعطا الزكوة طهارة الاموال

و

وبالاموال قوام الابدان وقيل الايمان بالغيب حظ قلبك واقامة الصلوة حظ بدنك والانفاق
من الرزق حظ مالك قوله عز وجل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالاخرة هم يوقنون زيادة في وصف المتقين معناه الذين يصدقون بالقران الذى انزل
اليك وبالتورية والانجيل وساير الكتب المنزلة من قبلك وبالبعث الذى فيه جزا الاعمال
يقرون وروى انه لما نزل قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى اخر الاية قالت اليهود نحن امنا
بالغيب ونقيم الصلوة وننفق مما رزقنا الله فانزل الله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك الاية فنفروا من ذلك قال الصادق رضى الله عنه انما قال وبالاخرة هم يوقنون
ولم يقل يؤمنون لان الايقان توكيد الايمان واليقين بالاخرة يقين خبر ودلالة ويصير
معاينة عند الروية ويسمى البعث آخرة لانها اخرت الى فنا الدنيا قوله عز وجل اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون اهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله
تعالى في الدنيا وهم الناجون السعدا الباقون في الجنة والمفلح في اللغة كل من اصاب خيراً واصل
الفلح القطع ومنه يسمى الاكارة فلاحاً والاكار فلاحاً لانهما يقطعان الارض ويقال الحديد يفلح
بالحديد قال الشاعر افلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الاريب معناه اقطع حيا(؟) تك
بما شئت ويقال اصل الفلاح البقا والظفر ثم اخذ منه القطع والله اعلم قوله عز وجل ان الذين
كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فصل ثان من فصول هذه السورة لان
ما قبل هذا كان في ذكر المؤمنين وهذه الاية والتى بعدها في ذكر الكافرين ومعنى هذه الاية والله اعلم
ان الذين جحدوا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم مستو عندهم اخوفتهم بالقران ام لم تخوفهم لا
يصدقون بنبوتك والكفر بالله تعالى نقيض الايمان به وكفر النعمة نقيض شكر النعمة واصل الكفر
الستر يقال كفرت الشى اذا غطيته ويسمى الليل كافراً لانه يغطى الاشيا بظلمته ويسمى الزارع كافراً
لانه يغطى البذر بالارض قال الله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته اى الزراع فكان الكافر يستر نعمة
الله عليه بجحوده وانكاره والسوا الاعتدال يقال هذا وهذا سوا اى معتدلان ويقال لوسط
الطريق سوا لانه تعتدل اليه المقادير وقد يقام المصدر مقام الاسم يقال رجل عدل وصوم اى عادل
وصايم والانذار ابلغ من التخويف لانه اعلام بموضع المخافة يقال انذرته فنذر اى اعلمته
موضع المخافة وحذرته فعلم وحذر وتحقيق الهمزتين في قوله ءانذرتهم تشبث باصل الكلمة
لان الف الاستفهام دخل على الف القطع واما تطويل الهمزة الاولى مع تحقيق الثانية في انذر تهم
فلكراهة الجمع بين الهمزتين على صفة واحدة لما في ذلك من الثقل كما قال الشاعر تطاولت
فاستشرفته فرايته فقلت له ءانت زيد الاراقم واما تحقيق الهمزة الاولى وجعل
الثانية بين بين اعنى بين الهمزة والالف وكذا في قوله سال سايل وفي رووف ردوف بين بين
على ما يعتقده القرا فللتخفيف ايضا وكذلك اسقاط احدى الهمزتين من الاصل للتخفيف لان
فيما بعد اللفظ الاول دليل الاستفهام وهو قوله تعالى ام لم تنذرهم كما قال الشاعر لعمرك ما ادرى
وان كنت داريا شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر فان قال قايل اخبر الله تعالى في
هذه الاية عن الكافرين انهم لا يؤمنون وقد امن كثير منهم فما معنى الاية فالجواب عنه
ان الاية نزلت في قوم مخصوصين وهم روسا اليهود حيى بن اخطب واصحابه على ما روينا
عن الكلبى في اول هذه السورة وقال مقاتل نزلت في مشركى قريش عتبة بن ربيعة وشيبة
بن ربيعة وابى جهل ويجوز تخصيص الاية بالاية كما قال الله تعالى الزانية والزانى ثم قال

والكافر البحر ومغيب الشمس والدرع
والمراد(؟) في قوله عز وجل كما يعجب الكفار
من اصحاب النبوة(؟)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبالسنة كما قال الله تعالى والسارق والسارقة
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا قطع في ثمر ولا كثر وبالقياس كقياس العبيد على الاماء في تنصيف
الجلد تخصيصا من قوله الزاني وبالاجماع كقوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين ثم اجمعنا على
ان العبيد لا يورثون من ابائهم وبالاستدلال كقول الله تعالى في هذه الاية ختم الله على
قلوبهم ويجوز ان يكون قوله تعالى لا يؤمنون في جميع الكفار وايمان بعضهم لا يؤدي الى المناقضة ٥
قوله عز وجل **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم** اي طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير وعلى اذانهم فلا يسمعون الحق وعلى ابصارهم غطاء فلا
يبصرون الهدى ولهم عذاب عظيم يخلص وجعه الى قلوبهم يصغر عنده كل عذاب في الدنيا والختم في اللغة
على ثلثة معان احدها الطبع وهو تاثير الوسم كنقش الخاتم والثاني المنع عن ان يدخله شيء والثالث
الفراغ من الشيء كقوله تعالى ختامه مسك واما القلوب فهي جمع القلب وهي الافئدة وسمي القلب قلبا
لتقلبه بالخواطر وبالعزم على الامور قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه ٥ والراي يخلق اطوارا بعد
اطوار ٥ واما قوله تعالى وعلى سمعهم وحد السمع وقد جعل بين الجمعين لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع
ويقال معناه على مواضع سمعهم لان السمع لا يختم وانما الختم موضع السمع ولكن حذف المضاف واكتفى
بالمضاف اليه لدلالة الحال عليه يقال اصحاب فلان عدل اي ذووا عدل وقيل اراد سمع كل واحد
بعينه كما يقال ايتني براس كبشين يراد كل واحد منهما كما قال الشاعر كلوا في نصف بطنكم تعيشوا ٥ تعفوا
فان زمانكم زمن خميص ٥ وقراءة الرفع للغشاوة على معنى ان قوله وعلى ابصارهم كلام مبتداء
فاما قراءة النصب فعلى اضمار وجعل كما قال الشاعر يا ليت زوجك قد غدا ٥ متقلدا سيفا ورمحا ٥
اي حاملا رمحا والعذاب هو ايصال الالم الى الحي مع الهوان ولهذا لا تقول فيما يفعل الله تعالى
بالبهائم والاطفال عذاب لهم لانه لا يفعل بهم على سبيل الهوان والعظيم على وجهين عظيم في الجسم
وعظيم في المقدار وهو فعيل بمعنى فاعل فان قيل اذا ختم الله على قلوبهم وعلى اسماعهم ومنعهم عن الهدى
فبماذا يستحقون العقوبة في العقبى قلنا هؤلاء القوم المخصوصون الذين انزل الله تعالى فيهم هذه الاية
كان الله تعالى يسر عليهم السبيل في الابتداء فلو جاهدوا لوفقهم كما قال في اية اخرى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ولكن لما لم يجاهدوا وعاندوا واختاروا الكفر عاقبهم الله تعالى في الدنيا
بالختم على قلوبهم وفي الاخرة بالعذاب العظيم كما قال الله تعالى في موضع اخر بل طبع الله عليها بكفرهم
وعن صفية بنت حيي قالت رجع ابي وعمي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما لصاحبه
ما تقول في هذا الرجل قال انه نبي قال فما ترى في اتباعه قال ارى ان لا اتبعه واظهر له العداوة الى
الموت فان قيل فما معنى دعوة من علم الله تعالى انه لا يؤمن قيل لصحة العلم بانه يقدر ان يؤمن
ولو علم انه لا يقدر كما علم انه لا يؤمن لما كان يدعوه ولكان دعوة هذا محالا عند قوم لانه تكليف ما لا
يطاق وصوابا عند قوم لاقامة الحجة قوله عز وجل **ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين** اول فصل ثالث من فصول هذه السورة اذ هذا الفصل الى اخره ثلثة
عشر اية في ذكر المنافقين وهم عبد الله بن ابي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس ومن تابعهم
كانوا يقولون لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم امنا بالذي امنتم به ونشهد ان صاحبكم حق صادق
فيما يقول وانا نجده في التورية بنعته وصفته ولم يكونوا كذلك فاخلا بعضهم الى بعض ما انزل الله
تعالى فيهم هذه الايات فكلمة من للتبعيض فكانه قال بعض الناس او من الناس ناس يقولون صدقنا بالله و
بيوم البعث وليسوا بمصدقين لانهم يضمرون خلاف ما يظهرون والناس اسم جمع لا واحد له من

لفظه

تمت ٥

لفظه كالنساء والخيل والابل ولو كان جمع انسان لقيل اناسين مثل سرحان وسراحين واما
الناس ناسا لانهم يؤنسون اي يبصرون كما قيل للجن جن لاجتنانهم واستتارهم وسمي يوم
القيمة اخرا لانه لا يجيء الا بعد انقضاء ايام الدنيا وقيل اخر يوم من ايام الدنيا وهو يوم لا يجيء بعده
ليل والباء في قوله تعالى بمؤمنين لتاكيد النفي لانك اذا قلت ما زيد باخيك ولم يسمع السامع ما
علم انك ناف بخلاف قولك ما زيد اخاك وانما وحد الفعل في اول الاية وجمع الضمير في اخرها
لان لفظ من موحد ومعناه يصلح للذكر والمؤنث والاثنين والجماعة فيعدل تارة الى اللفظ
وتارة الى المعنى كما في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن الى اخر الاية وقوله تعالى ومن
يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا لان اللفظ مبهم وفي الاية دليل ان القول المجرد لا يكون
ايمانا لان الله تعالى نفى عنهم الايمان بهذه الاية وصرح بكفرهم حيث قال ان المنافقين لكاذبون
والله اعلم قوله عز وجل **يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون**
قال ابن عباس يكذبون الله والمؤمنين ويخالفونهم في ضمايرهم وما يكذبون الا انفسهم لانه اذا علم
كذبهم فكانهم في الحقيقة هم الذين كذبوا انفسهم وما يعلمون ان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله
عليه وسلم على كذبهم فان قال قايل ما وجه مخادعة الله تعالى بعد ان لا يخفى عليه شيء وما وجه مخادعة
المؤمنين ومخادعة انفسهم قلنا اما الاول ففيه جوابان احدهما ان المخادعة هو الاخفا يقال للبيت
الذي يخزن فيه المال مخدع ويقال انخدعت الضبة في جحرها وقال عليه السلام الحرب خدعة
والله تعالى لا يخادع في الحقيقة لان المنافقين لا يخلون من احد وجهين اما ان يكونوا عارفين بالله
تعالى فيعلمون ان الله لا يخادع ولا يلبس عليه بشيء او غير عارفين وذلك ابعد اذ لا يصح ان يقصدوه
ولكن اطلق عليهم اسم المخادعة لما فعلوا فعل المخادعين على معنى انهم اعتقدوا ان الله تعالى العفو
عنهم والمغفرة لهم في اظهارهم الايمان واضمارهم الكفر فكانهم خادعوه لان الانسان اذا اظهر لاخر
خلاف ما اضمر لان يقع مراده منه فقد خادعه فاذا وجد منهم هذا المعنى اطلق عليهم هذا الاسم و
يجوز مثل هذا يقال للمرائي ويل فلان ما اجراه على الله فكانه يخادعه ولذلك قيل يفاعلون ولو
كان يصح لهم خداعهم لقيل يخدعون الله تعالى والثاني يخادعون رسول الله فحذف الرسول صلى
الله عليه وسلم لدلالة المعنى اليه اذ علم من طريق العقل استحالة مخادعة الله تعالى نظيره
قوله تعالى واسال القرية اي اهل القرية واما وجه مخادعة المؤمنين ففيه اجوبة احدها انهم
يظهرون الاسلام تقية والثاني يظهرونه ليكرموهم ويجلوهم ويتولوهم كما يتوالى المؤمنون
بعضهم بعضا والثالث انهم كانوا يظهرون لهم الايمان ليفشوا اليهم اسرارهم فينقلونها الى اعدائهم
واما وجه مخادعتهم انفسهم اي ضرر ذلك راجع اليهم وهذا معروف في اللغة يقال فلان
اذا كان يخادع فلانا فخدع نفسه اي لم تنفذ حيلته فيه ورجعت مضرتها عليه وقرئ وما
يخادعون بالالف والمعنيان متقاربان لانه اتى بالالف ليعطف لفظه على شكلها و
المفاعلة قيل تختص بها الواحد كالمناولة والمضايقة والمعافاة والمسافرة والمعاقبة و
الشعر هو العلم الدقيق الذي يتولد من الفطنة وهو من شعار القلب ومنه سمي الشاعر شاعرا
لانه تفطن لما يدق من المعنى والوزن ومنه الشعر لدقته ويقال ما شعرت به اي ما علمت
وليت شعري ما صنع فلان اي ليت علمي قوله عز وجل **في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون** تمام العشر في قول الكوفيين خاصة معناه في قلوبهم شك
ونفاق فزادهم الله تعالى شكا ونفاقا ولهم عذاب اليم مؤلم موجع لقولهم انهم مؤمنون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليس المؤمنين والمرض الضعف والفتور كما في منهما الهلاك وسمي المريض مريضا لما حل به من
الآفة ويقال وعد مريض وكلام مريض وسمي النفاق مرضا لانه يهلك صاحبه اولانه صاحبه يضطرب
في الدين يوالي المؤمنين بالقول والكفار بالقلب فحاله كحال المريض الذي هو مضطرب بين الحياة والموت
او المريض ممنوع من التصرف وكذلك الشاك يمنعه شكه من المضي في الامر وقيل ان الشك الم القلب
والمرض الم البدن فسمي الشك مرضا لما فيه من الغم والحزن والنفاء في قوله تعالى فزادهم الله بمعنى
المجازاة وقيل على وجه الدعا ومعنى الزيادة انهم لما ازدادوا شكا عند نزول الآيات فكان الله تعالى
زادهم شكا لكون الآيات سببا لشكهم كما قال الله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك
طغيانا وكفرا وكسر الزاء على قول بعض القراء لغة بعض العرب وقد ورد لفظ الفعيل بمعنى المفعل
كما قال الشاعر امن ريحانة الداعي السميع * يؤرقني واصحابي هجوع * اراد بالسميع المسمع
وليس في العذاب شيء غير الالم لكن ذكر اليم تاكيدا ونعتا لشدة العذاب ومن قرأ يكذبون
بالتشديد فمعناه بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم واللفظان متقاربان لان المنافقين كانوا
كاذبين بقولهم مكذبين بقلوبهم قال الله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وقال ان الفجار لفي جحيم اراد
بالفجور الكذب وبعض اهل النحو يجعل ما وما بعدها صلة فيقولون ولهم عذاب اليم بكذبهم و
الاولى ابطال الحروف ما وجد لها مساغ اي ولهم عذاب اليم بالشيء الذي كانوا يكذبون به
قوله عز وجل واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون كلام العرب عند غير
الوقف معناه واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الارض بالمعاصي والمداهنة وتعويق الناس عن دين
محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نحن عاملون بالطاعة ومصلحون بالمداهنة لانهم كانوا يقولون نحن
لا نعادي الكفار ولا المؤمنين ونداري كل فريق هؤلاء بوجه حتى اذا كانت الغلبة لاحد الفريقين لا
يصيبنا من دايرتهم شيء ومن ضم القاف من قيل وغيض وسيق واشباهها فقصده الاستيفاء
علامة ما لم يسم فاعله والفساد ضد الصلاح وهو ترك الطاعة ومجاوزة الحدود قوله عز وجل
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون اي بل انهم هم العاملون بالمعصية والمفسدون
بالمداهنة ولكن لا يعلمون انهم كذلك وكلمة الا للاستفهام والتنبيه واصلها لا دخلت عليها الف
الاستفهام واخرجتها من حد النفي الجحد الى التقرير والتحقيق كما في قوله جل ذكره اليس ذلك بقادر على
ان يحيي الموتى ولكن كلمة موضوعة لنفي خبر متقدم واثبات خبر متأخر وهي مبنية على ثلاثة احرف
لا للنفي والكاف يتبعها الخطاب ما بعدها والنون بعد الكاف لتثبيت خبره وهي كلمة تخفف
وتثقل فاذا ثقلت نصبت ما بعدها واذا خففت رفعت قوله عز وجل واذا قيل لهم آمنوا
كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ينصرف
الى منافقي اهل الكتاب على ما قاله مقاتل ومجاهد فاما ما ذكر الكلبي عن ابن عباس ان الآية
نزلت في اليهود واراد باليهود هؤلاء المنافقين عبد الله بن ابي ومن تابعه اذ كانوا من اليهود و
معنى الآية واذا قيل للمنافقين صدقوا بقلوبكم كما صدق اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
انصدق كما صدق الجهال يقول الله عز وجل الا انهم هم الجهال بتركهم التصديق في السر و
لكن لا يعلمون انهم جهال والالف في انؤمن للاستفهام ومعناها الانكار والسفه في اللغة
خفة الحلم يقال ثوب سفيه اذا كان رقيق النسج واختلف القراء في قوله السفهاء الا انهم من
حقق الهمزتين على اصل الكلمة ومنهم من خفف الثانية فجعلها بين الواو والهمزة ومنهم من
جعل الثانية واوا خالصة ومنهم من خفف الاولى وحقق الثانية وكره ذلك لاستثقال

الجمع

الجمع بين الهمزتين قوله عز وجل واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون قال الكلبي في سبب نزول الآية ان ابا بكر وعمر و
عليا رضي الله عنهم مروا بعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين فقال عبد الله بن ابي
لاصحابه انظروا كيف ارد هؤلاء الجهال عنكم فتعلموا مني كيف اكلمهم واخذ بيد ابي
بكر وقال مرحبا بسيد بني تيم ثاني اثنين وصاحبه في الغار وصفيه من امته الباذل نفسه
وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في امر الله تعالى الشديد الغضب
لله تعالى الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا
بسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم خصه الله تعالى بالنبوة فاكرمه
بها الباذل نفسه وماله والسابق الى الهجرة فقال علي يا عبد الله اتق الله ولا تنافق
فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال لم تقول هكذا والله اني لمؤمن بالله ورسوله كايمانكم و
تصديقكم ثم افترقوا فقال عبد الله بن ابي لاصحابه كيف رأيتم ردي هؤلاء عنكم قالوا لا نزال
بخير ما عشت لنا ورجع ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
بما قال لهم وعبارة واعلمه فنزلت هذه الآية ومعناها والله اعلم اذا اجتمع المنافقون مع
المؤمنين قالوا للمؤمنين صدقنا كما صدق اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واذا خلوا الى شياطينهم
قال ابن عباس الى رؤسائهم في الضلالة قال الاخفش وابو عبيدة كل عات متمرد فهو شيطان و
قال الكلبي واذا خلوا الى كهنتهم وهم خمسة رهط من اليهود ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان
تابع له كعب بن الاشرف في المدينة وابو بردة في اسلم وابن السوداء في الشام وعبد الدار في
جهينة وعوف بن عامر في بني اسد قالوا لهم انا على دينكم انما نحن مستهزءون باصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم باظهار قول لا اله الا الله محمد رسول الله ومعنى دخول الى في قوله تعالى واذا خلوا
الى شياطينهم بمعنى مع وقيل انه بمعنى الاختصاص والغاية يقال خلوت الى فلان اذا خلوت
معه في خاص من الامر وجعلته غايتك في حاجتك فاما خلوت بفلان اذا خلوت معه في شيء
ما وقد يكون معناه سخرت منه والشيطان فيعال من الشطن والشطن البعد كانه قيل بعيد
من الخير وقد يسمى الحبل الطويل المضطرب شطنا وكانه يسمى الشيطان شيطانا لانه تبعد عن الخير و
اضطرب وقيل الشيطان فعلان من قولهم شاط يشيط اذا غضب وهلك والنون زايدة قال
قطرب الشياطين جمع شيطان وعلى هذا الجمع قراءة الحسن وما تنزلت به الشياطون قال الله
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اي يجازيهم على هزوهم بالعذاب و
يمهلهم ويتركهم في ضلالتهم يترددون ويتحيرون قال الكسائي يقال مد في الشر وامد في
الخير وقال بعضهم المد في معنى التزيد والمداد في معنى الاعطا قال الزجاج مد في الغي وامده
قال الاخفش يمدهم اي يمد لهم فحذف اللام كما يقال الغلام يلعب الكعاب اي يلعب بالكعاب
فحذفت الباء والطغيان مجاوزة الحد قال الله تعالى انا لما طغى الما والعمه التحير يقال رجل عمه و
عامه اي متحير متردد يتردد الاعمى في طريقه قال رؤبة بن العجاج ومهمه اطرافه في مهمه
اعمى الهدى بالجاهلين العمه * فان قال قائل كيف يجوز الاستهزاء من الله تعالى بعباده والاستهزاء
قبيح فيما بيننا قيل له قد بينا ان المراد بالاستهزاء من الله تعالى المجازاة وقد يسمى جزاء الذنب باسمه
كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال عز من قائل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني
ليس باعتداء ولا سيئة قال عمرو بن كلثوم * الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا *

الألوكة
www.alukah.net

ومعلوم أنه لم يتمدح بالفعل ولكن جرى على عادة العرب في ازدواج الكلام ومقابلته ومعنى المجازاة
من الله تعالى أنه أطلع المؤمنين على أسرارهم في الدنيا وأباح لهم ما استهزأوا بهم ولم يأمر بقتالهم كما أمر
بقتال المشركين [illegible] المنافقون بالاستهزاء في الدنيا [illegible] كما استهزأوا بهم [illegible] بقيا فيهم راجعا
إليهم [illegible] الله تعالى [illegible] المؤمنين [illegible] الأمر [illegible] السوء [illegible] وقال
[illegible] الاستهزاء أن يفتح لهم باب إلى الجنة وهم في جهنم فيقال لهم تعالوا فيقبلون نحوه يسبحون
في النار والمؤمنون على الأرائك ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم ويفتح لهم باب آخر
[illegible] فيقبلون نحوه يسبحون في النار فإذا انتهوا إلى الباب سد عنهم والمؤمنون على الأرائك
ينظرون إليهم كما قال الله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وقال مقاتل الاستهزاء أن يكون
[illegible] حتى يذهب المؤمنون فيطفأ نور المنافقين كما قال الله تعالى في سورة الحديد يوم يقول
المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
[illegible] أن الله تعالى [illegible] الكفار [illegible] بالكفر ولم يأمر بقتال المنافقين
مع [illegible] في الدرك الأسفل من النار [illegible] أحكامهم والأحكام سائر المظهرين للشرك في الدنيا
[illegible] المسلمين في التوارث [illegible] ذلك [illegible] عقوبات الدنيا ليست موضوعة على مقادير
[illegible] من المصالح [illegible] هذا [illegible] فأوجب حد المحصن الزاني
[illegible] التوبة وكذلك حد قاطع الطريق لا يسقط عنه بالتوبة بعد القدرة عليه والكفر
[illegible] ولو كفر رجل ثم تاب قبلت توبته قال الله عز وجل قل للذين كفروا إن
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وحكم الله تعالى على القاذف بالزنا بالجلد ثمانين ولم يوجب بالقذف بالكفر
[illegible] على شارب الخمر الحد ولم يوجبه على شارب الدم وآكل الميتة
[illegible] لا يجوز إثبات الحدود بالقياس وما ذكر الله تعالى من أمر المنافقين في هذه الآية
[illegible] لهم من [illegible] ذكرناه الآن أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة
بعد ما بعثه الله تعالى ثلاث عشرة سنة وأمر أن يدعو المشركين إلى توحيد الله تعالى وتصديق رسوله
[illegible] إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال
[illegible] بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ثم فرض الله تعالى
القتال [illegible] في كل الناس ومن ما يؤيد هذا قوله عليه السلام أمرت
أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله فأخبر عليه السلام بوقوع العصمة لهم بقولهم في الدنيا وبين أن حسابهم على الله في الآخرة
قوله عز وجل **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**
[illegible] أهل هذه الصفة هم الذين اختاروا الكفر على الإيمان فما ربحت في تجارتهم وما كانوا
مهتدين [illegible] من الضلالة والاشتراء [illegible] الشيء بالشيء وهو عند الفقهاء إبدال
مال بمال قال [illegible] الهدى الذي كانوا عليه من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالضلالة
التي دخلوا فيها من التكذيب به وقيل كل مولود يولد على الفطرة فلما كانت ولادته على الإيمان ثم
كفر بعد البلوغ فقد اشترى الكفر بالإيمان والتجارة لا تربح وإنما يربح فيها لكن يقال خسر بيع فلان و
ربحت تجارته على طريق التوسع كما يقال ليلك قائم ونهارك صائم وما كانوا مهتدين [illegible] في الكلام
ومعناه التأكيد كما قال الله تعالى قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقيل وما كانوا مهتدين
للهدى قوله عز وجل **مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب**

الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون أول مثل ضربه الله تعالى في القرآن هذا
يقول مثل المنافقين في حقن دمائهم بظاهر الإسلام وحقنهم دماءهم وأموالهم بما أظهروه كمثل رجل
يكون في مفازة في ليلة مظلمة يخاف على نفسه من شر السباع فيوقد نارا فيأمن بها السباع فلما
أضاءت النار ما حول المستوقد طفئت النار فبقي في الظلمة كذلك المنافق يخاف على نفسه وعياله من
قتل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيتكلم بكلمة الإسلام رياء للناس فيحقن بها دمه وماله و
يناكح المسلمين ويوارثهم فيكون له نور بمنزلة نور نار المستوقد فإذا بلغ آخر عمره لم يكن للإيمانه
أصل في قلبه ولا حقيقة في عمله سلب نور الإيمان عند الموت فيبقى في ظلمة الكفر والعمى كما بقي
الطالب في الدنيا والمثل والمثل والمثال والشبه والشبه والشبيه نظائر في اللغة وحقيقة المثل
تشبيه الشيء بالشيء كقولهم الشيء بالشيء يذكر تشبيه بالشيء في إمساكه نفسه عن الحرام بالفرس المحجم
الذي يمسكه اللجام عما يريد الإقدام عليه والاستيقاد استفعال من الإيقاد وهو التماس
ضياء النار ويجوز أن يكون معنى استوقد أوقد كما قال الله تعالى فاستجاب لهم ربهم معناه
أجابهم وهو ولدي ذهب الله بنورهم والنار والنور واحد في الضوء إلا أن في النار الضوء مع الحرارة والاحتراق
والنور الضوء الخالص والنار مؤنثة سماعا لا لعلة أوجبت ذلك يدل عليه ثبوت الهاء في
تصغيرها وقول العتبي النور ما نطقت به والتاء المذكورة في نورهم مكان الألف في أذهب يقال
ذهب به وأذهبه بمعنى واحد ومعنى الترك في هذه الآية الخذلان فإن قيل لم شبه الجماعة
بالواحد قلنا زعم القتبي أن الذي في هذه الآية بمنزلة الذين لأنه اسم ناقص لا يتم إلا بصلة
فيتناول الواحد والاثنين والجمع كمن وما قال الشاعر وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم
كل القوم يا أم خالد وفي الآية ما يدل على أن معناه الجمع وهو قوله تعالى وتركهم في ظلمات
لا يبصرون وقد يجوز تشبيه فعل الجماعة بفعل الواحد كما في قوله تعالى تدور أعينهم كالذي
يغشى عليه من الموت إلا أن التقرير هاهنا يجوز ودلالة الحال عليه قوله عز وجل **صم
بكم عمي فهم لا يرجعون** معناه والله أعلم صم لا يسمعون الحق بكم لا يتكلمون بالخير
عمي لا يبصرون الهدى أي بقلوبهم كما قال الله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون
كانوا يبصرون بأعينهم وقيل صم يتصامون بكم يتباكمون عمي يتعامون وإنما أطلق لفظ
الصمم عليهم ونحوه لأن الله تعالى إنما خلق السمع والبصر واللسان لينتفع الناس بها فمن
لا ينتفع بها فكأنه فقدها وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديرها وما كانوا مهتدين صم بكم
عمي فهم لا يرجعون مثلهم كمثل الذي استوقد نارا قوله عز وجل **أو كصيب من السماء فيه
ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت
والله محيط بالكافرين** مثل آخر ضربه الله تعالى يقول أي مثل المنافقين مع محمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن كصيب مطر ينزل من الله تعالى ليلا على قوم في مفازة فيه ظلمات أي بيان
الفتن وابتلاء المؤمنين بالشدائد في الدنيا ورعد زجر وتخويف وبرق تبيان وتبصرة ووعيد
يجعل أصحاب المطر أصابعهم في آذانهم من الصواعق من هول الرعد حذر الموت مخافة
البوائق والهلاك وكذلك المنافقون كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم من بيان القرآن
ووعده ووعيده وما فيه من الدعاء إلى الجهاد مخافة أن يشتغلوا في الجهاد ويقتلوا مخافة أن
تميل قلوبهم إلى ما في القرآن وعن الحسن رضي الله عنه أنه كان يقول في الآية تشبيه الإسلام
بالصيب لأنه الصيب يحيي الأرض والإسلام يحيي الكفار كما قال الله تعالى أو من

الألوكة
www.alukah.net

كان ميتا فاحييناه وتشبيه ابصار المنافقين الكفر بظلمات المطر وتشبيه الزجر عن الكفر و
المعاصي بالرعد وتشبيه اظهار المنافقين الايمان بالبرق والصواعق هي الدعا الى الجهاد
ومعنى والله محيط بالكافرين اي عالم بالمنافقين وجامعهم في النار وقوله او في او كصيب هذه
الاية ليس هو للشك اذ لا يجوز الشك من الله عز وجل لكنه للاباحة والتخيير كما يقال جالس
الفقها او اصحاب الحديث او اصحاب النحو اي ان جالست واحدا من الفرق الثلث فكذلك
تمثيل المنافقين ان مثلتموهم بالمستوقد فذلك مثلهم وان مثلتموهم بالصيب فذلك مثلهم وان
مثلتموهم بهما جميعا فذلك مثلهم ويجوز ان يكون او بمعنى الواو كما قال الشاعر وقد زعمت ليلى باني فاجر
لنفسي تقاها او عليها فجورها معناه وعليها فجورها وحرف الكاف في قوله كصيب يدل على ان
المثل مضمر يقال هذا كزيد وعمرو ويراد به المثل فالاصحاب مضمر ايضا بدلالة الحال كانه قال او كاصحاب
الصيب لاستحالة تشبيه الحيوان بالصيب وتمثيل العاقل بغير العاقل والصيب اسم
للمطر يقال صاب يصوب اذا نزل سمي المطر الصيب لانه ينزل من السما قال الشاعر فلست لانسي ولكن
لملاك تنزل من جو السما يصوب واختلفوا في تقدير صيب في اللغة قال البصريون هو على فيعل
لانا وجدنا هذا المثال في المعتل نحو سيد وميت وقال الكوفيون هو على وزن فعيل فقدم اليا واخر
الواو والدليل على ذلك ان العرب افعلا مثل هين واهونا على مثال شديد واشدا واما الرعد فهو
اسم ملك يسوق السحاب سمي صوته باسمه لانه سبب له والبرق ضربه السحاب بمخراق
من حديد تنقدح منه النار روي هذا المعنى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم والصواعق
جمع صاعقة وهي الصوت وبرق قطعة من النار لا ياتي على شي الا احرقته وانتصاب
الحذر بنزع الخافض معناه من حذر الموت كما في قوله تعالى واختار موسى قومه
سبعين رجلا اي من قومه ويجوز ان يكون مفعولا له على معنى يفعلون ذلك لحذر الموت
والاحاطة على وجهين احاطة علم واحاطة قدرة وهي ادراك الشي بكماله ومنه سمي الحائط
حائطا لانه محيط بما فيه قوله عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضا لهم
مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان
الله على كل شي قدير معنى الاية والله اعلم يكاد البرق يختلس ابصار الناظرين ويذهب
بها من شدة ضوئه ونوره وكذلك البيان من القران يكاد يذهب بابصار ضلالة المنافقين
وياخذهم الى الله تعالى ليقبلوا الدين وقيل معناه اذا تكلم منافق بكلمة الاخلاص يكاد نورها
يخطف بصيرة القلب وعينه لاعتقاده خلاف ما تلفظ به كلما اضا للسائرين البرق مشوا
في ضوء البرق واذا اظلم عليهم بتوالي الظلمة كذلك المنافقون لما امنوا مشوا فيما بين المومنين
ليقبل ايمانهم بلسانهم فلما ماتوا بقوا في ظلمة القبر فكان كلما ظهر للمنافقين دلايل نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم باعزاز الله تعالى الاسلام واهله مالوا اليه واذا اصاب اهل
الاسلام نكبة من النكبات كيوم احد وبير معونة شكوا في امر محمد صلى الله عليه وسلم و
ثبتوا على كفرهم ولو شا الله لذهب بسمع السامعين بالرعد وابصارهم بالبرق كذلك لو
شا لذهب بسمع المنافقين وابصارهم بزجر القران ووعيده والبيان الذي فيه وجعلهم
صما عميا في الحقيقة عقوبة لهم على فعلهم ان الله على كل شي من اذهاب السمع والبصر
قدير قادر ولفظ كاد يستعمل بغير حرف ان ولفظ المقاربة والمداناة لا يستعمل الا مقرونا
بحرف ان وفي الخطف لغتان خطف يخطف بكسر العين من الفعل الماضي ونصبها في المستقبل

ويستعمل على اللغتين والافصح ما نزل به كتاب الله تعالى ويقال ضا الشي يضو ضوا واضاء
يضي اذا ظهر نوره والمختار ما نطق به كتاب الله تعالى يقال ظلم واظلم بمعنى واحد
والمختار بالالف وروي عن اسباط عن السدي انه قال هرب رجلان من المنافقين
من المدينة الى المشركين فاصابهما من المطر ما ذكره الله تعالى في هذه الاية فيه ظلمات
ورعد وبرق فكان كلما لمع لهما البرق مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا واقاما
مكانهما فجعلا يقولان يا ليتنا نصبح فناتي محمدا صلى الله عليه وسلم فنضع ايدينا في يده
ونسلم فلما اصبحا اتياه واسلما وحسن اسلامهما فضرب الله تعالى امر هذين المنافقين
مثلا للمنافقين الذين كانوا بالمدينة قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فصل رابع من فصول هذه السورة يشتمل
على اربعة اشيا الامر بالتوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاحتجاج على الناس بصحة نبوته
صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله عنهما عنى بالناس جميع بني ادم من اليهود والنصارى و
عبدة الاوثان والمنافقين وغيرهم فهو خطاب للكفار بالتوحيد وللمنافقين بالاخلاص وللموحدين
المخلصين بالطاعة والثبات عليها يعني وحدوا واخلصوا واطيعوا ربكم الذي خلقكم من
نطفة ولم تكونوا شيئا وخلق الذين من قبلكم من القرون الماضية لكي تتقوا المعاصي فتعبدوه
حق عبادته قال الزجاج في اعراب يا ايها ان اي اسم مبهم مبني على الضم لانه منادى مفرد و
الناس صفة لازمة لاي تقول يا ايها الرجل اقبل ولا يجوز يا الرجل لان يا للتنبيه بمنزلة التعريف
في الرجل ولا يجمع بين يا وبين الالف واللام فيوصل بالالف واللام باي وها للتنبيه و
هي لازمة لاي عوض من الاضافة في اي لان الاصل في اي ان تكون مضافة الى الاستفهام والخبر
وقال محمد بن علي الحكيم رحمه الله يا ندا القلوب وها ندا النفوس لان النفس قد تستولي
على القلب فتامره بالسوء كما قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء واي اسم مضمر بين الندائين
والناس كشف عن الاسم المضمر وبيان الصنف الذي دعا جل وعلا من خلقه والعبادة هي الخضوع
باعلا مراتب الخضوع مع التعظيم باعلا مراتب التعظيم ولهذا لا تحسن عبادة غير الله عز وجل
ومنه يقال طريق معبد اي مذلل بكثرة سلوك الناس وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران مذللا
لا يمتنع على احد والخلق ايجاد الشي على التقدير والترتيب لا على مثال سبق وقيل ان الخلق هو
التقدير قال الشاعر ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري معناه لانت
تقطع ما تقدر وكلمة لعل للرجا والطمع كما قال الله تعالى في قصة فرعون فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى اي اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما وانا عالم وراء ذلك بما يؤول اليه امر
فرعون وقد علم الله تعالى انه لا يتذكر ولا يخشى ولو اقنط موسى عليه السلام عن ذلك لكان ادى دعوته
له الى الوهن ولكنه رجاه في رشده ليكون اطمع له في دعوته فكذلك لما كانت عواقب اعمال
العباد مغيبة عنهم رجاهم بالتوقع ليكون ذلك اوكد في اجتهادهم لان الانسان وان تناهى
في العبادة لا يعلم انه اتقى النار لجواز ان يكون اخل بواجب او اتى بقبيح وقال بعضهم معنى
الاية اعبدوا ربكم متعرضين للتقوى وهذا كما يقول القايل اذا جا الى باب السلطان انما
جئت هاهنا لعلي احد عمل كذا اي متعرضا لذلك العمل قوله عز وجل الذي جعل لكم الارض
فراشا والسما بنا وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا
تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون في اثبات توحيد الله عز وجل بمعناه هو الذي جعل

الألوكة
www.alukah.net

وقيل اعبدوا الذي جعل لكم الارض بساطاً ومناماً ووطاءً ولم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستواء عليها والسماء سقفاً قال ابن عباس رضي الله عنهما كل سماء مطبقة على الاخرى كالقبة وسماء الدنيا ملتزقة اطرافها بالارض وانزل من السماء اي من السحاب ماء يعني المطر وقيل من نحو السماء فانبت من المطر الوان الثمرات رزقاً لكم طعاماً لكم فلا تجعلوا لله انداداً امثالاً ونظراء وانتم تعلمون ان الله تعالى خالق هذه الاشياء وان غيره لا يستطيع ان يخلق شيئاً منها وان ليس للاصنام عليكم نعمة تستحق بها عبادتكم وفي هذه الآية ذكر النعم التي يستحق الله تعالى بها العبادة من خلقه كانه قال اعبدوا ربكم لاجل انه خلقكم ولاجل انه جعل لكم الارض فراشاً وقال علي رضي الله عنه سميت الارض ارضاً لانها تارض ما في بطنها اي تاكل وقيل لانها ترض بالحوافر والاقدام والارض التسفل والتواضع والسماء من السمو وهو العلو وكل ما علاك فاظلك فهو سماء ويقال سمي السحاب سماء لكونه قريباً من السماء اذ السحاب اقصى ما يعلو مقدار فرسخ او فرسخين الا ترى انك ترى الشمس في اعالي الجبال ومن دونها سحاب ومطر ذهب بعضهم الى ان الله تعالى ينزل المطر من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض وقال بعضهم يخلق الله المطر في السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وانما اطلق اسم البناء على السماء دون الارض لان خلقها بعد خلق الارض قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان ومن في قوله تعالى من السماء لابتداء الغاية كما يقال خرجت من الكوفة الى البصرة ومن في من الثمرات للتبعيض كما يقال ما انا من احد وكقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان و الانداد جمع الند والند يحتمل لوجوه ثلاثة احدها المثل وذلك منفي لان المثل يوجب المماثلة في القدم وكانوا مقرين بان الله تعالى خالق الاشياء كلها كما قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله وقال ابو عبيدة معناه الضد وذلك منفي لان التضاد انما يصح بين الاعراض كالسواد والبياض والحيوة والموت وقيل معناه المثل الذي يضاد في الفعل وذلك منفي لاستحالة استقامة احوال من يضاده في افعاله كما قال الله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا واطلاق اسم الفراش لا يتناول الارض وانما سمي بهذا تقييداً كقوله تعالى والجبال اوتاداً وقوله تعالى وجعل الشمس سراجاً ولذلك قال الفقهاء ان من حلف لا ينام على فراش فنام على الارض او حلف لا يقعد في سراج فقعد في الشمس لا يحنث لان الايمان محمولة على المعتاد المتعارف في الاسماء ونظاير ذلك كثيرة في كثير من الاحكام والمطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده [illegible] موضعه وفي هذه الآية دلالة على التوحيد واثبات الصانع الحكيم الذي لا يشبهه شيء والقادر الذي لا يعجزه شيء من ارتفاع السماء ووقوفها بغير عمد تمد او وقوفها على طول الدهر غير متزايلة ولا متغيرة كما قال جل ذكره وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وكذلك ثبات الارض ووقوفها على غير سند فيه اعظم الدلائل على التوحيد وعلى قدرة خالقها لانه لا يعجزه شيء لان الخلايق كلهم لو اجتمعوا على ان يبقوا اجساماً في الجو من غير ان يكون تحته ما يقله ويعمده او فوقه ما يعلقه لم يمكنهم فان كان الجسم فيه ادنى ثقل نزل وان لم يكن فيه ثقل تحرك عن مكانه اما صعداً او الى احدى الجهات الاربع وفي الآية دليل على ان الارض بسيطة لا كرة مدورة على ما يقوله المنجمون وبعض المتكلمين قوله عز وجل وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين في اثبات النبوة اذ النبوة مرتبة على التوحيد المعنى ان كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه ليس بنبي وان محمداً صلى الله عليه وسلم يختلقه من تلقاء نفسه فجيئوا بسورة من مثل ما نزلناه

هو

وهو القرآن يعني بسورة من التورية والانجيل والزبور فقابلوها بالقرآن لتعلموا ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يختلقه من تلقاء نفسه وهذا اذا كان خطاباً لليهود خاصة على ما ذهب اليه الكلبي وعلى هذا معنى قوله شهداءكم اي استعينوا باحباركم ورهبانكم والظاهر ان هذا خطاب للعرب كلهم على معنى فاختلقوا سورة مثل القرآن كقوله تعالى بعشر سور مثله مفتريات وان قوله تعالى وادعوا شهداءكم اي استعينوا بالهتكم قال الزجاج معناه ادعوا من استطعتم طاعته ورجوتم معونته في الاتيان بسورة مثله وقيل ان الهاء في مثله عايد الى النبي صلى الله عليه وسلم كانه قال من قايل فاتوا بسورة من بشر مثله او من امي مثله لا يحسن الكتب ان كنتم صادقين انه ليس من الوحي وقوله تعالى فاتوا امر تعجيز لان الله تعالى علم عجز العباد عنه ولكنه اراد ذلك في الفهم والسورة الفضيلة والرفعة ومنه سور البناء قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ۞ ترى كل ملك دونها يتذبذب ۞ الا ان جمع سورة البناء سور على وزن بسرة وبسر وجمع سورة القرآن سور على وزن ظلمة وظلم ومن همز السؤر جعلها قطعة ولذلك يقال سؤر السباع للقطعة الباقية مما شربت وقال ابو عبيدة سميت السورة سورة لانقطاعها من الاخرى كسورة البناء والشهيد في الحقيقة المعين الى هذا ذهب ابن عباس في تفسير قوله تعالى شهداءكم اعوانكم وقيل سمى الله تعالى الاصنام شهداء على زعم المشركين انها تشهد لهم وتشفع لهم عند الله تعالى ودلالة صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الآية انه قصد الى قوم الباء عقلاء فصحاء شعراء في الغاية في العلم باللغة العربية فحاجهم بكلام من لغتهم بجعل عجزهم عن مثله حجة عليهم ودلالة على ابطالهم وكفرهم وتوبيخهم بذلك وقرعهم به وامهلهم المدة الطويلة وقال لهم فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين فبخبرهم ان عجزهم انما هو عن النظم مع انه ولد بين اظهرهم ونشا معهم لم يغب عنهم ولم يفارقهم في سفر ولا حضر وهو من مشهور بيتهم واعلامهم في النسب واهل البيت ليس يخفى احواله ومخبرها انه عليهم وهم اهل الحمية والانفة يأتي الرجل منهم القتل بسبب الكلمة ويبذلوا اموالهم واباءهم وابناءهم وانفسهم لاطفاء نوره ولم يتعاطوا معارضته بسورة ولا خطبة ولا ارجوزة اكثر ما اعتقدوا به انه اساطير الاولين وانه سحر كل ذلك دليل على انه من عند الله تعالى الذي لا يعجزه شيء وانه ليس بمقدور مثله وكانت هذه معجزة باقية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وتفضيلاً له على ساير الانبياء قبله صلوات الله عليهم لان معجزاتهم انقضت بانقضاء [illegible] وانما يعلم كونها من طريق الاخبار وهذه معجزة باقية كل من اعترض عليها بعد قوله بالعجز عنه فيتبين حينئذ له لزوم الحجة به وقيام الدلالة عليه كما كان حكم من كان في عصره والوجه الاخر في الدلالة انه معلوم عند المؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم وعند الجاحدين لنبوته انه كان من اكثر الناس عقلاً واكملهم حلماً وافضلهم رأياً ما طعن عليه احد في كمال العقل ووفور الحلم وصحة الفهم وجودة الراي وغير جايز على من كان هذا وصفه ان يدعي انه نبي الله تعالى قد ارسله صلى الله عليه وسلم الى خلقه كانه قد جعل علامة نبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة صدقه كلاماً يظهره ويقرعهم بالعجز عنه مع علمه بان كل واحد منهم يقدر على مثله فيظهر حينئذ كذبه وبطلان دعواه فدل على انه لم يتحدهم بذلك ولم يقرعهم بالعجز عنه الا وهو من عند الله تعالى لا يقدر العباد عليه قوله عز وجل فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ان لم تاتوا بمثله ولن تاتوا به ابداً اي لم تقدروا عليه فاحذروا واخشوا النار التي حطبها الناس اذا صاروا اليها والحجارة قبل ان يصيروا اليها خلقت وهيئت للكفرين قوله عز وجل فان لم تفعلوا شرطاً دخل على حرف الجزم ولن تفعلوا نسق عليه وجوابه فاتقوا وهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خبر عن زمانه الوقت القابل لان لم يثبت فيما مضى ولن يثبت فيما بقي والوقود اسم لكل ما اوقدت
به النار كالوضوء والطهور والغسول وقيل مصدر من وقدت النار وقودا ووقودا كالقبول
والقبول بالضم والفتح جميعا وذكر الحجارة هاهنا تعظيم لامر النار لانها لا تاكل الحجارة الا وكانت
قطيعة هائلة ويقال فايدة الحجارة ان تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم كما روي في
الخبر انه يكون مع كل انسان في النار حجر معلق في عنقه حتى اذا طفا على وجه النار رسبه الحجر الى
اسفل ويقال ان المراد بالحجارة حجر الكبريت لان لها خمسة اشياء ليست لغيرها احدها انه اسرع
وقودا والثاني ابطا خمودا والثالث انتن رايحة والرابع اشد حرا والخامس الصق بالبدن
وروي انه لما نزل قوله تعالى وقودها الناس والحجارة قال الكفار هذه النار وقودها الناس فما
بال الحجارة فنزلت اعدت للكافرين وفي ذكر الوقود اشارة الى انهم لا يصيرون فحما وتبقون
احياء كما قال الله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها وفي هذه الآية دلالة على ان الكفار
لم يعارضوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقع ذلك منهم في المستقبل وذلك اخبار بالغيب اخبر بمعجزة على
ما هو به ولا يتعلق هذا بالحجاز في النظم بل هو قاعدة بنفسها في نبوته صلى الله عليه وسلم كما لو قال لهم
الدليل على صحة قولي انكم مع صحة اعضائكم وصحة جوارحكم لا يقع من احد منكم ان يمس بانفه او ان
يقوم من موضعه فلم يقع ذلك منهم مع سلامة اعضائهم وجوارحهم وتقريعهم به مع حرصهم على تكذيبه
كان ذلك دليلا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا يصح كونه الا من قبل القادر الحكيم الذي صرفهم
عن ذلك تعالى فان قيل كيف قال الله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار واتقاء النار واجب
بغير هذا الشرط قيل له العقاب لا يتحتم على المكذب بالنبي صلى الله عليه وسلم الا اذا ظهرت المعجزة
وقامت الحجة عليه فكانه قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة عليكم فاتقوا النار
فان قيل كيف خص الله تعالى الكافرين بكون النار معدة لهم والنار معدة لهم ولغيرهم قيل له اختلف
في الجواب عنه قال بعضهم اراد به نارا مخصوصة وتلك النار غير معدة لغيرهم اذ النار دركات
كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقال بعضهم ليس اذا خص الكفار بالذكر
في هذه الآية ما يدل على ان النار غير معدة لغيرهم الا ترى ان الله تعالى خص الناس والحجارة
بالذكر في هذه الآية وان كان غيرهم وقود النار كما قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم ومعلوم انهم كانوا يعبدون النحاس والحديد والذهب والفضة كما كانوا يعبدون
الحجر قال مقاتل لما ذكر الله تعالى في هذه الآية الوعيد للكفار بالنار والحجارة فرق المؤمنون من
وعيد الله تعالى فبشرهم الله تعالى بالجنة وما اعد لهم فيها من الثواب بقوله عز وجل وبشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج
مطهرة وهم فيها خالدون معنى الآية والله اعلم فرح قلوب الذين صدقوا وعملوا
الصالحات بان لهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها وغرفها انهار الماء والخمر و
العسل واللبن كلما اطعموا واطعموا من الجنة من الوان الثمر على مقدار البكرة والعشيات
قالوا هذا الذي اطعمنا من قبل اذا اتوا بكرة قالوا هذا الذي اوتينا عشية واذا اتوا به
عشية قالوا هذا الذي اوتينا به بكرة فاذا طعموا وجدوا طعمه غير الطعم الذي وجدوا
من قبل واتوا به متشابها في المنظر مختلفا في الطعوم في النهاية في التحير والدلالة على الحكمة
ان ترى تفاحة يشابه طعم كل فاكهة فترى الطعوم مختلفة والصور متفقة ويقال

معنى قوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل اي في دار الدنيا لان لونه يشبه لون ثمار الدنيا
فاذا اكلوا وجدوا طعمه غير ذلك والاول اصح لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا الا الاسماء وذهب بعضهم الى معنى قوله تعالى متشابها
اي يتشابه في الاسم ويقال يشبه بعضه بعضا في الجودة والحسن ولهم فيها ازواج مطهرة
ان لهم مع نعيم الجنة نساء وجوار مهذبة في الخلق والخلق لا يحضن ولا يتغوطن ولا يلدن
ولا يحتجن الى ما يتطهر منه ولا يحسدن ولا يمرضن ولا ينظرن الى غير ازواجهن طهرن من كل دنس
وعيب وهم فيها مع هذه الكرامات دايمون لا يموتون ولا يخرجون منها ابدا والبشارة المطلقة
هي الخبر السار الذي يحدث عنده الاستبشار والسرور وان كان قد يستعمل مقيدا فيما يسوء كما
قال الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم ولهذا قال علماؤنا فيمن قال اي عبد بشرني بقدوم فلان فهو حر
فبشره جماعة من عبيده واحدا بعد واحد ان الاول يعتق دون غيره لان البشارة حصلت
بخبره خاصة بخلاف ما اذا قال اي عبد اخبرني بقدوم فلان فاخبروه واحدا بعد واحد يعتقون
جميعا الا ترى ان الناس يقولون قد ظهرت لنا تباشير هذا الامر يعنون اوله الذي يقع به السرور والفرح
ومنه سمي الغلام بشيرا تفاؤلا بالخير دون الشر ويسمى ما يعطى المبشر على الخبر السار بشرى هذا حكم
اطلاق لفظ البشارة فاما اذا استعمل مقيدا بالشر كان عبارة عن الخبر فيكون معنى قوله تعالى فبشرهم
بعذاب اليم اخبرهم ومن الناس من يقول ان اصله فيما يسر ويسوء لان معناه ما يظهر اولا في بشرة الوجه من
سرور او حزن الا انه كثر فيما يسر فصار الاطلاق اخص بالخير منه بالشر وموضع ان لهم نصب معناه
بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى ان فنصب ويجوز ان يكون موضعه خفضا على المعنى
على ما ذهب اليه بعض النحويين وموضع جنات نصب بان الا ان تاء جماعة المؤنث في الخفض والنصب
على حالة واحدة كيا الجمع في قولهم رايت الزيدين ومررت بالزيدين وسميت الجنة جنة لان الشجر
يجنها اي يسترها ومعنى من تحتها من تحت شجرها اذ لو كانت الانهار تجري من تحت ارضها لم تكن
للرايين ظاهرة ولا في ذكرها فايدة مع ما جاء في الخبر ان انهار الجنة تجري في غير شق والازواج والزوج
ضد الفرد وهو اسم للواحد الذي له قرين يشتمل على الذكر والانثى قال الله تعالى ويا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة ولفظ المطهرة يجمع الطهارة كلها وهو ابلغ في الكلام من الطاهر لان التطهير التكثير
والطهارة عبارة عن النظافة وفي الآية دليل على ان العمل غير الايمان لان الشيء لا يعطف على نفسه
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل ما بال اهل الجنة عملوا في عمر قصير يجعل اهل الجنة
يخلدون في الجنة وما بال اهل النار عملوا في عمر قصير جعل اهل النار يخلدون في النار فقال كل واحد من
الفريقين يعتقد على انه لو عاش ابدا عمل كما عمل قوله عز وجل ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفا
سقين
وصل منفصل عن الاول لفظا متصل به معنى ووجه الاتصال على ما قاله ابن عباس وابن مسعود ان
ذكر في قصة المنافقين مثلين قالوا ان الله اعلا واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى
هذه الآية والثاني انه جل ذكره ذكر البعوض وعنى به مثلا اخر للمنافقين لان البعوضة تحيى ما دامت
جايعة فاذا شبعت هلكت فكذلك المنافقون يحيون ما افتقروا فاذا استغنوا بطروا وهلكوا
قال الله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فكان الله تعالى قال كيف استحيي من ضرب
المثل في المنافقين وانا اضرب لهم بالبعوض الذي هو مثلهم والثالث ان الله تعالى نهى في الآية

الألوكة
alukah.net

المتقدم من اتخاذ الانداد لله تعالى والاول قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له والثاني مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فوصف الهتهم بالعجز عن استرداد ما يسلبهم الذباب وقال المشركون ان رب محمد صلى الله عليه وسلم يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فانزل الله تعالى هذه الآية انه يقول لا يستحيي بضرب المثل بالبعوض والذباب وان البعوض والذباب مع صغرهما يعجز الهتهم ويقهرها ومعنى الآية نحوها قال الكلبي لا يستحيي اولا يترك وقال مقاتل لا يمنعه الحياء ان يصف الحق شبها ما بعوضة فما اكبر منها مثل الذباب فما عليه وقيل ان معنى فما فوقها اي في الصغر يقال فلان صغير فيقال وفوق ذلك اي ابلغ في الوصف لان الغرض في الآية تقليل الشركاء الاوثان اذ البعوضة نهاية في الصغر والحقارة فيها يضرب المثل فاما المومنون فيعلمون ان المثل حق من ربهم واما الكافرون فيقولون اي شي اراد الله تعالى بذكر البعوض والذباب مثلا فقال الله تعالى قل يا محمد يضل بالمثل كثيرا من الناس لجهلهم ويهلكهم ويرشد بالمثل ويوفق لمعرفته كثيرا وما يضل به الا الخارجين من الطاعة قال الكلبي هم اليهود في هذه الآية وقال قتادة فسقوا فاضلهم الله على فسقهم والاستحياء ضد الوقاحة وهو الكف عن المساوي والقبايح بخلق كريم في المستحيي وانما قال في هذه الآية لا يستحيي لان الله تعالى لا يضرب المثل الا بالحق والله تعالى لا يستحيي من الحق لان الكريم لا يقتضي الامتناع عن وصف ما اقتضت الحكمة ايجاده وتدبيره ولا يكون وصف مثل ذلك موضع الاستحياء ومن قرا يستحي بيا واحدة فلان اللفظ اذا كثر استعماله تطرق عليه التغيير وقد يكون الاستحياء بمعنى ابقاء الحيوة كما قال الله تعالى ويستحيون نساءكم اي يستبقونهن للخدمة وقوله تعالى مثلا ما قيل ان ما نكرة معناه ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا شيئا من الاشياء بعوضة فما فوقها قال الله تعالى كما لدي عتيد اي شي لدي عتيد وذهب الزجاج الى ان الاصح ان تكون ما زايدة في الكلام مؤكدة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم قال ولا اعراب لها فيتخطاها الناصب الخافض الى ما بعدها وقال انما نصب بعوضة على معنى ما بين بعوضة الى ما فوقها فاذا القوا بين والى نصب كقولهم مطرنا ما زبالة فالثعلبية اي ما بين زبالة الى الثعلبية ويقال هي احسن الناس ما قرنا فقدما يريد ما بين قرن الى قدم وقوله تعالى فاما يعرف معناه من مهما ولذلك يقتضي الجواب بالفا كان معناه مهما يكن المومنون فيعلمون وكذلك قوله تعالى فاما السايل فلا تنهر اي مهما كان سايل فلا يكن منك نهي والحق وضع الشي في موضعه واما ثلاثة قوله تعالى بهذا مثلا نصب على القطع عند الكوفيين عنوا به قطع الاضافة اي بهذا المثل فلما قطعت الالف واللام انتصب على القطع وقال البصريون منصوب على الحال اي ما اراد الله تعالى بالمثل في هذه الحالة واصل الضلال الهلاك يقال ضل الماء في اللبن اي صار مستهلكا واكثر ما يستعمل الضلال في سلوك الطريق في سلك غير الطريق المستقيم فهو متعمد من عدل عنه الى غيره عدلا يهلك به فهو ضال واصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة من قشرها اذا خرجت وقد اختلفوا في اضافة الضلال الى الله تعالى ابتداء قال بعضهم يجوز لانه هو المالك للهدى ولا يستحقه احد عليه يعطي من يشاء تفضلا منه ويخذل من يشاء عدلا منه وقال بعضهم لا يجوز اضافة الاضلال الى الله تعالى ابتداء وانما يضل مجازاة للكفر كما قال الله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقال عز من قائل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال في هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين وهذا قول اختاره جماعة من الائمة وقال الزجاج معنى قوله يضل به كثيرا اي يمتحن به الخلق الكثير الى التصديق فيكذب به الكفار فيضلون به ويزداد المومنون به هداية

بالت

١٢

بالتصديق وذهب بعض الناس الى معنى قوله تعالى يضل به كثيرا اي يسميهم ضلالا كما يقال فسقت فلانا قال الله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم اي سماه ضالا قال الكميت وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالوا مسيء ومذنب قوله عز وجل الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون نعت للفاسقين عند اهل التفسير ومن جعله كلاما مبتدا وقف على الفاسقين ثم استانف الذين ينقضون عهد الله اي يتركون امره ووصيته من بعد تغليظه وتوكيده والعهد ما اخذه الله تعالى على النبيين صلوات الله عليهم ومن اتبعهم ان لا يكفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقيل اراد به العهد الذي اخذه من بني ادم من ظهورهم حين قال الست بربكم قالوا بلى وقيل عهد الله تعالى هو الاستدلال على توحيده فان كل ذي تمييز اذا تفكر في نفسه علم ان الله تعالى خالقه فكان عليه الايمان فاذا امتنع من الاستدلال بالعقل فكانه نقض العهد ومعنى قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اي يقطعون الرحم الذي امرهم الله تعالى بصلته فقتلوا انفسهم واخرجوا فريقا من ديارهم وقال مقاتل يعني به الرحم الذي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فان العرب كانت من ولد اسمعيل عليه السلام واليهود من ولد اسحق عليه السلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما امروا ان يومنوا بجميع الانبياء عليهم السلام فامنوا ببعض ولم يومنوا ببعض وقد امر الله تعالى بالوصل ويقال يقطعون حبلهم من حبل المسلمين ويصلون حبلهم بحبل الكفار ويفسدون يعصون ويامرون غيرهم بالمعصية والكفر اهل هذه الصفة هم المغبونون في الاخرة غبنوا انفسهم واموالهم واهليهم وخدمهم ومنازلهم في الجنة وورثهم المومنون قال ابن عباس وذلك انه ليس من مومن ولا كافر الا وله اهل ومنزل وخدم في الجنة فان اطاع الله تعالى اتى اهله ومنزله وخدمه وان عصى الله تعالى ورث اهله ومنزله وخدمه وورثهم المومنون قال الله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم وقال في صفات اهل الجنة اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون والنقض افساد ما ابرمته من حبل او بناء او غيره وكذلك والعهد المتقدم الى الانسان في امره والوصية اليه ومنه عهد الامراء الى الولاة والميثاق هو الذي يوثق به الشي كما ان الميقات اسم للذي يوقت به والميعاد لما يوعد به والصدق ما يصدق به القول والخسران الذي ذهب راس ماله والخسران ذهاب راس المال قوله عز وجل كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون راجع الى قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ومعنى الاية كيف تجحدون وحدانية الله تعالى بعد قيام الحجة عليكم بوجوب طاعته وكثرة انعامه عليكم وقد كنتم نطفا في اصلاب ابايكم فاحياكم في ارحام امهاتكم واخرجكم منها صغارا ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم للبعث ثم اليه ترجعون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قال الزجاج كيف استفهام في معنى التعجب والانكار كانه جل وعلا يقول للخلق وللمومنين الا يتعجبون انهم يكفرون بالله تعالى وقد ثبتت حجة الله تعالى عليهم باقرارهم ان الله تعالى خلقهم ولم يكونوا شيئا كما قال الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا والعرب تسمي كل امر خامل ميتا وكل امر مشهور حيا والحياة اول نعمة انعم الله تعالى بها على العباد وقيل انما سمى الله تعالى النطف في الارحام امواتا لانها لا تكون ميتة الا بعد مفارقتها الحي على تاويل قوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من الحي فهو ميت وقيل كنتم امواتا اي ترابا كما قال الله تعالى هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم من طين

الألوكة
alukah.net

وقد سمى الارض ميتة والواو في قوله تعالى وكنتم للحال ويجوز اضمار قد اذا كان في الكلام دليل
عليه كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم وعن ابي صالح في
قوله تعالى ثم يحييكم قال في القبر ثم اليه ترجعون للبعث وهذا احد التاويلات لما فيه من
اثبات المسائلة في القبر وفي الآية ما يدل على ذلك لان قوله تعالى ثم اليه ترجعون يقتضي التراخي عن
قوله تعالى ثم يحييكم فاما على التاويل الاول فغير مستنكر ان يكون احدى الحالات مسكوتا عنها
الا ترى انه عام في من اميت في الدنيا ثم احيي في من مات ولم يحي في الدنيا قال الله تعالى الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت الآية وقال في قوم موسى عليه السلام فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون فان قيل كيف يجوز ان يكون
الخطاب في هذه الآية لليهود على ما قال الكلبي رحمه الله وهم لم يكفروا بالله تعالى قيل لما انكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وزعموا ان القرآن الذي لا ياتي به الا الله تعالى انه من عند غير الله
فقد كفروا بالله تعالى قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم يذكر نعمة اخرى ذكرها الله تعالى ليعبدوه
لها ومعنى الآية قدر خلقها لكم اذ الاشيا كلها لم تخلق في ذلك الوقت لان الاشجار والثمار والدواب
ونحوها خلق وقتا بعد وقت ثم عمد وقصد الى خلق السما كما يقال قد فرغ الامير من بلد كذا
ثم استوى الى بلد كذا والاستوا اذا عدي بالى كان معناه القصد وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان معناه صعد امره فاما الاستوا على الشي كما في قوله تعالى ثم استوى على العرش فمعناه الاستيلا
وهو استوا ملك وقدرة لا الاستوا الذي هو من مجيء وقعود قال الشاعر قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق وقال الكلبي في هذه الآية معنى استوى الى السما صعد وهو قول اهل
التشبيه فسواهن خلقهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم من خلقهن وغير ذلك من مصالح
العباد وما يؤول اليه من عواقب امورهم عليم اي عالم والغرض من الآية والله اعلم ان الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا وخلق السموات قادر على ان يحييكم بعد الموت فان خلق السموات و
الارض اعظم من خلقكم وروي ان الله تعالى لما ذكر البعث في الآية المتقدمة عرف اليهود ذلك
فسكتوا وانكروا المشركون وقالوا من يستطيع ان يحيينا بعد الموت فانزل الله تعالى هذه الآية
ولفظ السما في الآية واحد ومعناه الجمع فجمع ما بعده على المعنى ويجوز ان يكون واحدا يراد به الجمع
كما يقال كثر الدرهم والدينار في ايدي الناس ويجوز ان يكون السما جمعا واحدها سماوة كما يقال
جرادة وجرادات وجراد فان قيل هذه الآية يقتضي ان خلق السما بعد خلق الارض وقد قال الله تعالى
في آية اخرى ما يدل على ان خلق السما قبل خلق الارض حيث قال جل ذكره أانتم اشد خلقا ام السما
بناها رفع سمكها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها قيل مجموع الآيتين يقتضي ان خلق الارض
كان قبل خلق السما الا ان بسط الارض كان بعد خلق السما لان معنى دحاها بسطها بعد ما كانت
ربوة مجتمعة الاجزاء وذكر ان الله تعالى كان ولا مكان ثم خلق الهوا وهو المكان ثم خلق العرش
كما قال تعالى وكان عرشه على الما وسئل ابن عباس رضي الله عنهما على اي شي كان الما قال على متن
الريح وروي في الخبر ان الله تعالى خلق تحت الريح جوهرا كيف شا ثم جعل فيه ما ثم جرت الما
على الما فتحرك الما فظهر على الما زبد وارتفع منه دخان فجعل الله تعالى الزبد ارضا والدخان سما
كما قال الله تعالى ثم استوى الى السما وهي دخان خلق الله تعالى الارض في يومين وقضى السما سبع
سموات في يومين وبارك في الارض ودحاها في يومين فكان خلق الارض وبسطها في اربعة

ايام

ايام سوا للسائلين والله اعلم قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني اعلم ما لا تعلمون عطف على معنى الآيات المتقدمة لان فيها سبق تعريضا بذكر
النعم نحو قوله تعالى الذي خلقكم وفي قوله هو الذي خلق لكم وهذه الآية في ذكر نعمة ابتدا خلق ابينا ادم
عليه السلام كانه قال جل ذكره واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة حين اراد ابتدا خلق ادم عليه السلام
اني جاعل في الارض خليفة اي خالق في الارض ادم عليه السلام وذريته قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدما ونحن ننزهك من السوء ونصلي لك ونطهر انفسنا لك ويقال معنى نقدس لك اي
ننسبك الى القدس وهو الطهارة واللام زائدة كما في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم قال الله
تعالى اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم انه سيكون فيهم انبيا صلوات الله عليهم وقوم صالحون يرحمهم
الله يسبحون بحمدي ويقدسون لي ويطيعون امري والقصد في هذا والله اعلم ما روي ان الله
تعالى لما خلق الارض جعل سكانها الجن بني الجان على ما قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال
من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وجعل سكان السموات الملائكة لكل سما ملائكة
على حدة لاهل كل سما عبادة اهون من التي فوقها فالتي هي فوق اشد عبادة واكثر تسبيحا وصلوة
من الذين تحتهم وما فيها موضع قدم الا وفيه ملك لله تعالى ساجد او قائم او راكع وكان ابليس
مع جند من الملائكة في سما الدنيا من اهون اهل السموات عملا وكان رئيسهم وكان اسمه عزازيل
وكانوا خزان الجنان معهم مفاتيح الجنان وكان يقال لهم الجن اشتق لهم اسم من الجنة فلما افسد
الجن بنو الجان فيما بينهم وسفكوا الدما وعملوا بالمعاصي بعث الله تعالى ابليس مع جنده فهبطوا
الى الارض واجلوا منها الجن بني الجان والحقوهم بجزائر البحور وسكن ابليس مع الجند الذين معه
في الارض وخففت العبادة عنهم وانسوا الخفة فيها فلما اراد الله تعالى ان يخلق ادم عليه السلام
وذريته قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس في الارض اني جاعل في الارض خليفة اي اني رافعكم
منها فوجدوا من ذلك وجدا شديدا فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كما فعلت الجن بنو الجان ونحن
نسبح بحمدك الى آخر الآية وذهب بعض اهل العلم الى ان قول من يقول خففت العبادة عن
الملائكة واه ضعيف لان الله تعالى وصف الملائكة بخلاف ذلك حيث قال جل ذكره يسبحون الليل
والنهار لا يفترون وقال عز من قائل وهم لا يسامون واذ اسم معناه الوقت يؤذن بوقوع الفعل
في ما مضى من الزمان ومحله نصب باضمار الفعل قبله واما اذا اسم يستعمل للوقت في المستقبل
والملائكة جمع ملاك كما قال الشاعر فلست لانسي ولكن لملاك ثم طرحت حركة الهمزة على الساكن
قبلها فصار ملك ويقال ان ملكا كان في الاصل مالكا من الالوك وهي الرسالة كما قال الشاعر
وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال وقال آخر ابلغ النعمان عني مالكا انه قد طال
حبسي وانتظاري فقدمت اللام واخرت الهمزة ومعنى الملك الرسول يقال الكني الى فلان اي
ارسلني اليه وقيل ان الملائكة جمع على مفاعلة كالمهالبة والمسامعة والخليفة اسم لمن يحكم في الارض
بالعدل كما قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ويقال معنى الخليفة الخلفا وهو
فعيل بمعنى فاعل لان بني ادم خلفوا الملائكة في الارض ويقال انما سمي ادم عليه السلام وذريته
خلفا لانه اذا انقرض منهم امة خلفهم اخرى ودخول الهاء في الخليفة للمبالغة والتاكيد وهو اسم
اذا اطلق تناول من يخلف الغير ويتبع مقابيه في جميع ما اسند اليه فاذا كان قائما مقام الغير في
بعض الامور قيل انه خليفته في كذا فيفيد الخلافة في الامر الذي هو قائم فيه مقامه والمستقر

والسبح واحد وهو التصب الا ان السفك اكثر ما يستعمل في صب الدما والتسبيح التفعيل من
السباحة وذلك ان يقبض الانسان في ذكر الله تعالى كالفاعة السابح نحو ارحة في لجة البحر و
يقال اصل التسبيح التبعيد لان الذي يسبح يباعد بين طرفيه والمسبح يبعد اسم الله عن الشريك
والولد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سبحان الله براة الله من السوء و
تسمى الصلوة سبحة يقال فرغت من سبحتي اي من صلوتي وتسبيح الملايكة قولهم سبحان ذي الملك
والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت والتقديس التطهير
ويقال للسطل القدس لانه يتطهر منه ومنه بيت المقدس اي المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب
وسمي الاسقف المقدس كما نهم يتولون هو مطهر يتمسحون به وتبركا والالف في قوله تعالى اتجعل الف
الجواب كما قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده قال جرير الستم خير من ركب المطايا واندى
العالمين بطون راح اي انتم خير من ركب المطايا ويقال ان قول الملايكة اتجعل فيها استفهام
بمعنى الاستعلام والتعرف عن الحكمة لا على وجه التعجب والانكار لكن على التألم والتوجع
وقال المسعدل اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من وجه المصلحة في خلقي وما يكون فيهم من الخير والرشد
وحسن التدبير والحفظ ما لا تعلمون انتم ويقال معناه اعلم ان فيكم اشرارا ايضا مثل ابليس
ومن تابعه كما ان في بني ادم اشرارا ويقال معناه اني ابتلي من تظنون انه مطيع فيؤدي الابتلا
الى المعصية نحو ما ابتلي به ابليس فعصى وابتلي من تظنون به المعصية فيطيع والله اعلم
وقد روي في بعض الروايات ان الملايكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها خرجت نار من
الحجب فاحرقت عشرة الاف منهم واعرض الرب عز وجل عن من بقي منهم حتى طافوا حول الكرسي
سبع سنين يقولون لبيك اللهم لبيك اعتذارا اليك قوله عز وجل وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ
كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ المعنى والله
اعلم الهم الله تعالى ادم عليه السلام اسما الاجناس كلها من الدواب والطيور والامتعة حتى البقر
والبعير والشاة حتى القصعة والسكرجة قال ابن عباس ومجاهد علمه الله تعالى جميع اللغات بحكم
اختلافها اللغات عليه اسما معاني ثم جنس هذا يصلح لكذا وهذا يصلح لكذا لان الفايدة في الفعل دون
مجرد الاسما وقوله تعالى ثم عرضهم على الملايكة يعني اصحاب الاسما فقال اخبروني باسما هولا الاجناس
ان كنتم صادقين في مقالتكم ودعواكم علما بالخليقة لانها تفسد في الارض او تعز وجعلها الادمية
هو كانوا مستقبلين القراب وذكر الخليل ان الادمة في الناس سمرة من سواد وانما قال ثم عرضهم
لا الذات فيهم من يعقل لان الله تعالى علمه اسما الملايكة واسما من يكون في ذريته من الانبيا صلوات
الله عليهم واسما الجن فغلب في الاية اسم العقلا كما قال الله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه الاية وفي
حرف ابي بن كعب ثم عرضها وفي ابن مسعود ثم عرضهن فان قال قايل قوله عز وجل انبئوني امر
تكليف ام لا وهل يجوز تكليف ما لا يطاق قلنا من الناس من استدل بهذه الاية على جواز تكليف
ما لا يطاق والصحيح ان هذا ليس بتكليف لكنه تنبيه للملايكة على انهم لما عجزوا عن معرفة باطن ما شاهدوه
كانوا عن معرفة باطن ما غاب عنهم وهو امر الخليقة ابعد واعجز وهذا كمن يلقي المسألة على من
يتعلم العلم منه فيقول اخبرني بجواب هذه المسألة ولا يريد بذلك ان يامره بجواب المسألة لانه يعلم
ان الذي القى عليه المسألة لا يعلم جوابها ولكن ليقصد بذلك ان يقرر عنده ان الذي القى المسألة عليه انه
لا يعرف جوابها فيكون اشد حرصا على تعلم تلك المسألة قوله عز وجل قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا
مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ اي قالت الملايكة تعرفا لكذبنا ما كان يكون الله يعلم الغيب

انت ص
سواك لا علم لنا بعلم ما تلك الا ما علمتنا انك العليم بخلقك الحكيم في امرك اذ احكمت ان تجعل في الارض
خليفة سوانا ولو اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا في الجواب الا انهم قالوا الا ما علمتنا
ليتضمن هذا الجواب الاعتراف بالتعليم وقوله تعالى انك انت العليم الحكيم اي انك انت العليم
من غير تعليم فاما الحكيم فهو الذي يدرك الاشيا على حقايقها ويضعها في مواضعها فيحكمها قوله عز وجل
قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ اي قال الله تعالى يا ادم اخبر الملايكة باسما هذه
الاجناس فلما اخبرهم ادم عليه السلام قال الله تعالى للملايكة الم اقل لكم اني اعلم سر اهل السموات
والارض واعلم ما اظهرتم من الطاعة لله تعالى وما اضمر ابليس من المعصية لله تعالى في الامر بالطاعة
لادم عليه السلام وذلك ان الله تعالى لما صور ادم عليه السلام وراه ابليس قال للملايكة الذين معه
ارايتم هذا الذي لم تروا من الخلايق مثله ان امركم الله بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع امر
ربنا ونفعل ما يامرنا فاضمر الخبيث في نفسه لان فضلت عليه لاهلكنه ولين فضل علي لا
اطيعه فذلك قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وفي هذه الاية دلالة على ثبوت العلم و
فضيلته لان الله تعالى لما اراد اعلام الملايكة فضيلة ادم عليه السلام علمه الاسما على نبيها
حتى اخبر الملايكة بها ولم تكن الملايكة علمت منها شيا مما علمه ادم عليه السلام فاعترفوا له
بالفضل فامرهم الله تعالى بالسجود لادم عليه السلام تعظيما لعلمه واحتراما له كما قال جل ذكره
في الاية التي بعد هذه الايات وهي قوله عز وجل وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ عطف على ما تقدم والمعنى واذكروا اذ قلنا
للملايكة الذين كانوا في الارض اسجدوا لادم قال قتادة سجود تحية وتكرمة له وعبادة لله
لا لاجل ادم عليه السلام قال كسجود اخوة يوسف له عليه السلام كما قال الله تعالى وخروا
له سجدا وذلك ان التحية بالسجود كانت جايزة لمن يستحق ضربا من التعظيم كالمصافحة و
المعانقة فيما بيننا فاما العبادة فلا يكون الا لله تعالى والحكمة في امر الله تعالى للملايكة بالسجود
لادم عليه السلام اظهار فضيلته لفضل علمه واظهار ما في نفس ابليس من المعصية لله
تعالى ثم نسخ السجود لغير الله تعالى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لو جاز لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وذهب بعض الناس
الى ان السجود كان لله تعالى وكان ادم بمنزلة القبلة لهم وليس ذلك بشي لانه يوجب ان لا
يكون لادم عليه السلام بذلك حظ من التفضيل والتكرمة وهذا خلاف ظاهر القران قال الله
حكاية عن ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي واما قوله تعالى
فسجدوا الا ابليس يعني سجدت الملايكة كلهم الا الذي صار ابليس وكان ابليس في السما
اسمه عزازيل فلما غضب الله عليه قال يا ابليس كما يقال يا خبيث وقوله ابى اي امتنع عن السجود
واستكبر اي تعظم في نفسه وكان من الكافرين في علم الله تعالى علم الله في الازل انه يختم
له بالكفر وقيل معناه صار من الكافرين كما في قوله تعالى فكان من المغرقين والسجود في اللغة
عبارة عن الانحنا والميلان يقال سجدت النخلة اذا مالت وقد اختص في الشريعة بفعل
مخصوص يتضمن التعظيم لله تعالى وهو وضع الجبين على الارض في الصلوة وعند قراة ايات
السجود والاستكبار رفع النفس فوق منزلتها واسم ابليس اعجمي معرب لذلك لا ينصرف
عند عامة البصريين وقال الكوفيون هو افعيل من الابلاس اي يئس من رحمة الله كادريس من درس

على وجه التحية خ
لأطعنه خ
بعده

يدرس فللتعريف والهمزة الداخلة في الافعال لم ينصرف لخلاف الاكليل وظاهر الآية يقتضي ان
ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم والى هذا ذهب بعض اهل العلم وقال انما
قال جل ذكره في آية اخرى الا ابليس كان من الجن لانه كان من خزان الجنان اشتق لهم اسم
من الجنة وقيل سموا جنا لاستتارهم عن ابصار الناس ويقال معنى قوله تعالى كان من الجن اى
كان ضالا كما ان الجن كانوا ضالين فجعله منهم كما قال في قصته وكان من الكافرين وذهب
جماعة من اهل العلم الى ان ابليس كان من الجن بني الجان ومن الحجة لهم انه كان مخلوقا من
النار كما قال تعالى حكاية عنه خلقتني من نار وخلقته من طين وله نسل وذرية والملائكة مخلوقون
من النور لا نسل لهم ولا ذرية وانما قال الا ابليس لانه امر مع الملائكة في السجود لادم عليه
السلام فسجد المامورون كلهم الا هو ويجوز ان يكون هذا الاستثناء منقطعا كقوله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن قال الشاعر وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس
وقيل بسبب كونه مع الملائكة ان الملائكة لما حاربت الجن سبي ابليس صغيرا فنشا مع الملائكة
فلما خلق الله تعالى ادم عليه السلام وامر ابليس بالسجود له امتنع وكفر وعاد الى اصله وقد
رجح القاضي ابو عاصم هذا القول الاخير بان قال ان الملائكة رسل الله تعالى ولا يجوز عليهم
الفسوق والكباير فكيف الكفر قوله عز وجل وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا
منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين معناه والله اعلم قلنا
يا ادم اجعل الجنة ماوى نفسك وزوجك وكلا من الجنة موسعا عليكما حيث شئتما بلا عناء
ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل منها فتكونا من الظالمين لانفسكما بالاكل من الشجرة قال ابن عباس بعث لاه
الله عز وجل ملائكة من السماء الى ادم ومعهم سرير من ذهب فحملوه على السرير حتى صعدوا به
الى السماء ضحوة يوم الجمعة فانزلوه وسط الفردوس ولباسه النور وعليه اكليل من ذهب
مكلل بالدر والياقوت وحليان مكللان بالدر والياقوت ومنطقة مكللة وسواران
مكللان قال الضحاك دخل ادم عليه السلام الجنة عند الضحوة واخرج منها ما بين
الصلوتين ومكث فيها نصف يوم من ايام الاخرة وهو خمسماية عام والزوج في اللغة
القرين كان الاصمعي لا يؤثر تركها في الزوجة ويرى ان اكثر كلام العرب عليه والرغد
العيش الواسع الكثير الذي لا يعييك طلبه والظلم وضع الشيء في غير موضعه من ذلك
قولهم من اشبه اباه فما ظلم اى ما وضع الشبه في غير موضعه ويقال الظلم ادخال
الضرر على من لا يستحقه من غير عوض وقد اختلفوا في الشجرة المذكورة في الآية
قال الكلبي كانت الشجرة احسن اشجار الجنة عليها كل نوع من الاطعمة ابتلاه الله
بها ونهاه عن اكلها وعن ابن عباس انها كانت شجرة الحنطة اى السنبلة وروي في بعض
الروايات ان الحبة منها ككلية البقرة الين من الزبد واحلى من الشهد واشد بياضا من الثلج و
عن علي كرم الله وجهه انها كانت شجرة الكرم وهي رواية اخرى عن ابن عباس وعن قتادة انه قال هي
شجرة التين ومنهم من قال شجرة العلم او شجرة الخلد على ان ابليس قال لهما من اكل منها علم الخير
والشر او علم علم الملائكة وقال من اكل منها لم يمت واختلفوا في كيفية اكل ادم عليه السلام من
تلك الشجرة واصح الاقاويل والله اعلم ان ادم عليه السلام اخطا في الاستدلال والتاويل ولم
يتعمد ارتكاب المنهي عنه لانه لا يجوز على الانبياء صلوات الله عليهم ان يقصدوا الى فعل المنهي
مع العلم بالنهي فيخرجون به عن ولاية الله تعالى ويستحقون الغضب منه لانهم لا يامنون ان يكون

ذلك

ذلك الفعل كبيرة واذا استحقوا الغضب من الله لم يجب على الناس متابعتهم ولا الثقة بخبرهم
بل وجب عليهم التبري منهم فظهر ان ادم عليه السلام لم يرتكب النهي مع العلم بالنهي ولكن اخطا
في التاويل ووجه خطابه في التاويل ان الله تعالى قد كان نهاه عن اكل جنس تلك الشجرة الا ان
الاشارة بالنهي الى شجرة معينة فحسب ادم عليه السلام انه لم ينه عن جنس تلك الشجرة و
انما نهي عن الشجرة التي وقعت الاشارة اليها وكانت الاشارة بالنهي الى شيء بعينه ويكون
المراد به تعميم ذلك الجنس بالنهي كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ الذهب باحدى يديه
والحرير بالاخرى وقال هذان محرمان على ذكور امتي حل لاناثها لم يرد بهذا تحريم عين
ما كان وضعه على كفه فقط انما اراد تحريم ذلك الجنس فان قال قايل كيف صح هذا التاويل
وقد ذكر ابليس ادم النهي حيث قال له ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ولا
تكون في التذكير ابلغ من هذا قيل له لا يجوز ان يقال ان ادم عليه السلام واقع الذنب حين
تبعه قال له ابليس هذا القول اذ لو اكل في تلك الحالة للغرض الذي ذكره ابليس لكان الله تعالى نعيا
على الاكل لهذا الغرض اكثر مما يعاتبه على نفس الاكل فلما عاتبه الله تعالى على نفس الاكل ولم
يعاتبه على ذلك بل الدليل لم ياكل من الشجرة حين قال له ابليس ذلك ولكن لما امتنع من الاكل من تلك الشجرة
المشار بالنهي اليها قال ابليس لادم عليه السلام وحوا ان لم تاكلا من هذه الشجرة بعينها فكلا
من جنسها فان الله تعالى انما نهاكما عن عين تلك الشجرة فاكلا من جنس تلك الشجرة ولم ياكلا
من عينها ويحتمل انه لما وافق غرور ابليس ووسوسته في نفسه حين افتتن بقوله فاغفل النهي
او نسيه او تاول انه نهي كراهية او نحو ذلك وهذا الضرب من السهو والاغفال غير موضوع عن
منهم الانبياء صلوات الله عليهم لعظم اخطارهم وارتفاع اقدارهم ولما شاهدوا من الآيات والبينات ولا
القدرة والايمة وقد قال الله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء الى ان قال من يات منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وذلك لعظم اخطارهن وقال عليه السلام اني اوعك كما
يوعك رجلان منكم ومثل هذا السهو والغفلة لا يمكن التحفظ منه وليس يخرج عن قدرة العباد الا ان
الله تعالى وضعه بلطفه ورحمته عن المومنين كما وضع ساير الصغاير ولو اخذهم به لكان عدلا فان
قيل كيف يصح قولكم ان ما فعله ادم كان صغيرة ولم يكن كبيرة وقد عاقبه الله تعالى بنزع اللباس
منه وبالاخراج من الجنة وبالاهباط الى الارض قيل عنه جوابان احدهما ما ذكرنا ان الانبياء صلوات
الله عليهم يوخذون بما لا يوخذ به ساير المومنين والثاني ان ذلك لم يكن عقوبة لكن كان محنة
وابتلاء اذ الله تعالى لا يعاقب انبياءه عليهم السلام وان كان قد يمتحنهم كما يمتحنهم بالامراض و
الاسقام ويدل على ذلك قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الى ان قال قلنا اهبطوا منها جميعا فاخبر
انه امره بالهبوط بعد التوبة والتايب لا يجوز ان يعاقبه الله تعالى فان قيل ان كان ما فعله
صغيرة لا يجب به العقوبة فلم ذا تاب عليه السلام قيل ان الصغيرة يجب التوبة عنها وان وقعت
مغفورة لانه اذا ترك التوبة منها مع العلم بانها معصية كان مصرا عليها والاصرار على المعصية
نوع ادمان على المعصية فان قيل اذا وقعت الصغيرة مغفورة فما معنى تاب الله عليه وكيف
غفر له قلنا ان الله تعالى يفعل الغفران كما اخبر الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وان كانت خطيئة ابرهيم مغفورة قوله عز وجل فازلهما الشيطان عليه السلام
عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين المعنى والله اعلم استزلهما الشيطان عن الجنة ويقال ازلا باغوا الشيطان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اياهما لكانه ازلهما فاخرجهما مما كانا فيه من رغد العيش وراحة النفس وجوار الرب
عز وجل وقلنا لآدم وحوا عليهما السلام وابليس والحية والطاوس انزلوا من السماء
الى الارض بعضكم لبعض عدو فابليس عدو لآدم عليه السلام وذريته وعداوته لهم كفر
وهم اعدا ابليس وعداوتهم له ايمان والحية تلدغ عقب ابن ادم وابن ادم يشدخ راسها
لان ابليس كان في راسها قال النبي صلى الله عليه وسلم الود يتوارث والبغض يتوارث
ويجوز ان يكون المراد بالعداوة العداوة التي بين بني ادم ولكم في الارض مستقر مقام وثبوت
ومتعة الى منتهى الاجال وفي قراءة حمزة فازالهما اى من الزوال اي نحاهما والازلال في معنى
الايقاع في الزلل يقال زلت فلانا فزل وازلته فزال والهبوط الانحطاط من الرتبة الرفيعة
والمتاع اسم لما يستمتع به والحين والزمان في اللغة واحد فان قيل كيف وسوس ابليس لادم
عليه السلام وكان ادم في الجنة وابليس اخرج منها حين امتنع من السجود وكان لا يتمكن من
دخول الجنة بعد ذلك قيل اختلفوا في هذا قال بعضهم لم يدخل ابليس الجنة خوفا من رضوان
لكن اتى باب الجنة فناداهما ولم يكن محجوبا من الصوت وقيل كان آدم وحوا يخرجان
الى باب الجنة لتنزههما وقال عامة المفسرين انه دخل في فم الحية وذكر الكلبي كيفية
هذه القصة قال لما نظر ابليس الى ما اكرم الله ادم عليه السلام حسده فاحتال ان يفتنه
فعرض نفسه على كل دابة تدخل الجنة ان يدخل في صورتها فابت عليه حتى اتى الحية وكانت
احسن دواب الجنة خلقا وكانت كهيئة البعير تمشي على اربع قوائم فيها من كل لون فلم يزل
بها يعدها ويمنيها حتى اطاعته فدخل بين لحييها فقام في راسها فنادى يا آدم ويا حوا فلما اجاباه
قال بما امركما ربكما وما نهاكما عنه فقالا امرنا ان ناكل من شجر الفردوس كلها غير الشجرة الواحدة
التي في وسط الجنة كيلا نموت فقال لهما ان الله تعالى قد علم انكما متى اكلتما تموتان موتا ولكن علم
انكما متى اكلتما من هذه الشجرة كنتما ملكين تعلمان الخير والشر او كنتما من الخالدين وقاسمهما بالله
اني لكما لمن الناصحين فقال لهما ايكما اكل قبل صاحبه كان هو المسلط على صاحبه فابتدرا الى
الشجرة فسبقت حوا آدم عليه السلام فقال لها آدم عليه السلام ويحك اما تعلمين ان الله تعالى قد
نهانا عنها فقالت انا اعلم سعة رحمة الله تعالى فاكلت منها واطعمت آدم فلما وصل الى بطونهما
تهافت عنهما لباسهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل انما تهافتت ثياب حوا اولا
لانها اكلت قبل آدم عليه السلام ثم اهبط الله تعالى آدم عليه السلام بالهند وحوا بجدة وبساحل
مكة وابليس بساحل ايلة والحية باصبهان ورد الله تعالى قوائم الحية الى بطنها وجعل رزقها
التراب وروي في بعض الاخبار ان ابليس دخل الجنة في جوف الحية فسال الطاوس عن الشجرة التي
نهى الله آدم عليه السلام عنها فدله عليها ثم اتى آدم عليه السلام واقسم انها شجرة الخلد
القصة الى ان قال فغضب الله تعالى على الطاوس واهبطه عميانا ومسخ منه صوته ورجليه
ومثل هذه الاشياء لا تعلم الا من طريق الخبر فما صح الرواية فيه قيل به وما لم يصح رد والله اعلم
قوله عز وجل فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم معناه
تلقف واخذ ويقال التقبه وهو المراد من الاخذ والكلمات اعترافهما بالذنب واستغفارهما
كما قال الله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا الآية فتاب عليه اى قبل الله تعالى توبته وقد تاب
الله عز وجل عليهما لكن الاختصار وقع على ذكر آدم عليه السلام في الآية على طريق الايجاز والتغليب
المذكور انه هو التواب اي القابل للتوبة المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بمن مات على

التوبة

التوبة ومن قرا فتلقى آدم بنصب آدم ورفع كلمات جعل الفعل للكلمات والتلقي هو
الاستقبال وكل من تلقاك فقد تلقيته ومن تلقيته فقد تلقاك والتوبة في اللغة هو العود
والرجوع يقال تاب وآب بمعنى واحد فالعبد يتوب الى الله تعالى في مقام العبيد ذلة
وطاعة وتسليما والله تعالى يتوب على العبد بعوده عليه بالعطف والرحمة والستر والمدد
روي عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الكلمات نزل
بها جبريل عليه السلام وهي سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا وظلمت نفسي
فاغفر لي وارحمني وانت خير الراحمين سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت سوا
وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم سبحانك لا اله الا انت وبحمدك عملت
سوا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم وهو رواية ابن عباس رضي الله عنهما
قوله عز وجل قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون خطاب لآدم وحوا عليهما السلام خاصة بالهبوط من الجنة الى
السما لانه يعقبه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى وهو خطاب لهما ولولدهما خاصة فاما الهبوط
الاول فهو من السما الى الارض وقد بيناه ويجوز ان يكون تكرار الامر بالهبوط للتاكيد او لانها
الثاني بالفاظ اخر ليست من الفاظ الاول كما يقال اذهب اذهب وعجل عجل ويقال اذهب
سالما واذهب معافا مصاحبا ونحو ذلك وقوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى يقول ان ياتكم
مني بيان وهو الكتب والرسل فمن تبع كتابي ورسولي فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم
من اهوال يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا من امر الدنيا في الاخرة والاصل في اما ان ما
على طريق الشرط والجزا الا ان النون ادغمت في الميم وما صلة في الكلام معناه التاكيد و
النون المؤكدة في قوله تعالى ياتينكم لا تدخل في الفعل الا ان يكون فيه موكد قبله يقول
ليا تينك ولا يقال زيد ياتينك بغير اللام والاتباع هو ان يتلو الشي الشي ومنه قول الناس
دين الله الاتباع دون الابتداع اى دين الله الاخذ بما جا به النبي صلى الله عليه وسلم وجميع
الانبيا دون الابتداع والنصب في قوله تعالى هداي لان الاصل في يا الاضافة الحركة لانها
حرف في موضع اسم مضمر الا انها حذفت في قوله هذا غلامي ونحو ذلك للتخفيف لان اليا من
حروف المد واللين وقد سكن ما قبل اليا في هداي فلم يكن بد من تحريك يا الاضافة لجعل
حظها من الحركة ما كان لها في الاصل وهو الفتح والحزن هو غلظ الهم من قولهم للارض
الخشنة الغليظة ارض حزنة وفي الآية تحذير من صغير المعاصي وكبيرها لان الله تعالى اهبط
نبيه عليه السلام من جنة كان انعم الله عليه بها فاهبطه منها من اجل صغيرة من الصغاير
فكيف بمن اجترا على الله تعالى وارتكب كباير ما نهي عنه وفيها احسن وعد لمن اتبع هدى الله
تعالى في طاعته ولزم تقواه لان الله تعالى جمع في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون مع
قلة الحروف صنوف النعم كلها لا احد اسعد ممن لا يخاف ولا يحزن ومن دخل الجنة فقد
سلم من جميع الافات فليس يخاف ووصل الى جميع اللذات فليس يحزن على شي نسال الله
رحمته ونعوذ به من عقابه قوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون معناه والذين جحدوا بايتنا وكذبوا برسلنا وكتبنا اولئك اصحاب النار
فيها مقيمون دايمون وللايات معنيان احدهما ما ذكرناه والثاني الدلايل العقلية التي هدى
الله تعالى العقل الى معرفتها والاصحاب جمع الصاحب والصحبة هي المقارنة الا ان اسم الصاحب

الألوكة
www.alukah.net

لا يقع على الاطلاق الا اذا طالت صحبته فاما اذا قلت صحبته معه فانه يقال صحب فلان يوما
او كذا والكفر وحده يوجب خلود في النار وكذا التكذيب وحده لكن ذكرهما الله تعالى في الآية
للتعظيم والتهويل اذ لا يكون احدهما في انسان الا ومعه صاحبه وفي هذه الآيات من اول ما ذكر
الله تعالى خلق آدم عليه السلام الى هذه الآية زيادة دليل على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ كان صلى الله عليه وسلم من قبيلة وبلدة لا يعرف اهلها شيئا من هذه القصة على حقها و
صدقها بل كان بين ظهراني قوم ليسوا من اهل الكتاب ولا من شانهم الفحص عن هذه الامور
نشا بحضرتهم وهو امي لم يقرا الكتب ثم اخبر علماء اهل الكتاب بهذه القصص على وجهها
ولم يقدروا على تكذيبه في شيء منها وفي الآية دليل على ان الجنة والنار لا يفنيان خلاف قول
الجهمية لان الخلود مصرح به في هذه الآية والآية التي قبل هذه تقتضي ان لا يخافوا التبعة
ولا يحزنوا على فوت النعم قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون ابتدا فصل من ذكر
اليهود وهو اطول من الفصول التي تقدمت لانه ينتهي الى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تقولوا راعنا وهذه الآية خطاب لليهود والنصارى كلهم لان الله تعالى نسبهم الى ابيهم
الاعلى كما قال في آية اخرى يا بني آدم واما اسرائيل فقد قال ابن عباس انه يعقوب بن اسحق بن
ابرهيم صلوات الله عليهم واسرائيل لغة عبرانية فاسرا في لغة العبرانية هو العبد وايل
هو الله عز وجل ويقال الاسرا هو الخالص من كل شيء وايل هو الله تعالى فكانه سمي صفوة الله
تعالى ومعنى الآية يا اولاد يعقوب احفظوا منتي التي مننت بها عليكم بان انجيتكم من آل
فرعون وظللت عليكم الغمام وانزلت عليكم المن والسلوى وجعلت فيكم انبياء صلوات
الله عليهم وملوكا وغير ذلك من النعم التي لا تحصى واكثر هذه النعم كانت لآبائهم لكن العرب
تذكر مثل هذا وتريد به الآباء يقولون هزمناكم يوم كذا يعنون به اباهم وقيل ان النعمة
ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم وقت اختلافهم في الدين ليدلهم على الحق المبين
والامر بذكر النعمة امر بعرفانها بالقلب والاقرار بها باللسان اذ لا سبيل لاحد الى
ذكر كل ما انعم الله تعالى عليه سوى الاعتراف بالعجز عن اداء شكره فاما العهد المذكور
في الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الله تعالى عهد الى بني اسرائيل في التورية اني باعث
من بني اسمعيل نبيا اميا فاتبعوه فمن اتبعه وصدق بالنور الذي ياتي به غفرت له ذنوبه
وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا له باتباعه ما جاء به موسى عليه السلام والانبياء
صلوات الله عليهم من بني اسرائيل واجرا باتباعه ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يكون المراد بالعهد قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وقوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرائيل الى اخر الآية فاما معنى قوله فاياي فارهبون اي فاخشوني في كتمان بعث محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته وترك اتباعه وبني اسرائيل في موضع نصب لانه نداء مضاف
والمنادى في موضع النصب لان معناه ناديت واسرائيل في موضع خفض بالاضافة الا انه
فتح اخره لانه لا ينصرف لمعنى العجمة والمعرفة وفتح الياء في نعمتي لالتقاء الساكنين لان الذي
بعدها ساكن وهو لام المعرفة التي ويجوز حذف الياء في اللفظ عند التلاقي والوفا هو
اتمام العاقد بايفاء المعقود عليه يقال وفى لهم واوفى اي تم وفيه لغتان اوفى ووفى وبالالف
افصح وبها ورد القرآن ونصب اياي بالامر كانه في المعنى فارهبون وحذفت الياء من اخر

الامر لانها فاصلة الى اخر الآية والرهبة والخوف نظيران الا ان ضد الرغبة الرهبة وضد الخوف
الامن فكان الرهبة خوف على شريطة كما ان الرغبة رجا بامل قوله عز وجل وآمنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون
وصية من الله تعالى لهم بعد ان ذكرهم نعمته يقول صدقوا بهذا القرآن الذي انزلت موافقا
لما معكم من التورية والانجيل وساير الكتب ولا تكونوا اول فريق يكفر به ولا تختاروا باياتي
عرضا يسيرا يعني الدنيا واياي فاخشون في محمد صلى الله عليه وسلم وسبب هذا الخطاب
ما روي انه كان لعلماء اليهود رياسة ومأكلة ووظايف من سفلة اليهود وكانوا يخافون
ان اسلموا ذهبت رياستهم فقيل لهم لا تكونوا اول كافر به فيتبعكم العوام والهاء في قوله
كافر به عايدة الى ما انزلت ويجوز ان تكون عايدة الى قوله تعالى لما معكم لانهم كتموا نعت محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية فاذا كفروا بالتورية والثمن كل ما يعطى مكان الشيء
من بدل او بدل الا ان من شان الثمن والمبيع عروض والثمن دراهم الا ان يقيد الثمن بالبا و
اذا كان كلاهما عروضا يقيد احدهما بالبا ايهما كان وكذلك اذا كان كلاهما ثمنا من الصرف
والفايدة في قوله تعالى ولا تكونوا اول كافر به وان كان الكفر قبيحا في الاول والاخر ان السابق
الى الكفر يقتدي به غيره فيكون اعظم لاثمه وجرمه كقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقوله فكانما
من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وروي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان على قابيل بن ادم عليه السلام الفا بكفل من الاثم في كل قتيل
ظلما لانه اول من سن القتل وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها الى يوم القيمة لا ينقص من اجورهم شيء ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من اوزارهم شيء قوله عز وجل ولا تلبسوا
الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون قال ابن عباس معناه لا تخلطوا الصدق
بالكذب ويقال خلط الحق بالباطل هو ايمانهم ببعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم
ببعضه ويقال الحق ما تركوه على حاله والباطل ما حرفوه من التورية وتكتموا الحق
يحتمل ان يكون جزما على النهي على معنى ولا تكتموا الحق وهو بعث النبي صلى الله عليه
وسلم وصفته في التورية ويحتمل ان يكون قوله تعالى وتكتموا نصبا على معنى وان تكتموا اي ولا
تجمعوا بين اللبس والكتمان كما قال الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا
فعلت عظيم اي لا تجمع بين النهي عن خلق واتيان مثله وقوله تعالى وانتم تعلمون اي تفعلون ذلك
على علم منكم ويقين وهذا ابلغ في الوعيد لان من ارتكب المعصية مع العلم بانها معصية كان ذلك اقبح
منه ممن ارتكبه وهو لا يعلم بقبحه وكونه معصية واصل اللبس الستر والتغطية يقال في الامر لبست
الامر على فلان البسه بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل اذا اعميت عليه ويقال في الثوب
لبست الثوب البسه بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل قوله عز وجل واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين امر معطوف على النهي لفظا يحتمل وجهين احدهما ان
الصلوة كانت معهودة للمسلمين يومئذ وكذلك الزكوة كانت معلومة عندهم فامر اليهود باقامة
الصلوة المعهودة في شريعتنا وايتاء الزكوة المعلومة والثاني يجوز ان يكون الصلوة مجملة يومئذ
في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وكان فعل النبي صلى الله عليه وسلم بيانا لذلك الاجمال وهكذا حال

او اذا كرا المبيع ثم

لهم

شبكة الألوكة www.alukah.net

سائر ما ورد في القرآن مجملا فانه يكون بيانه موكولا الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ لولا ذلك لكان الله يتولى بيانه في القرآن ومعنى واركعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الجماعات الى الكعبة ولا تصلوا وحدانا وقد تسمى الصلوة ركعة يقال ركعت ركعة اي صليت وفرغت من ركعتي اي من صلوتي والفايدة في تكرار ذكر الصلوة والله اعلم لئلا يتوهم متوهم ان الصلوة لا يجب الا على من يجب عليه الزكوة ويقال ان اليهود كانوا يصلون بغير ركوع فامروا بالركوع في الصلوة وحقيقة الزكوة ما يجب اخراجه من المال على النحو الذي توجبه الشريعة وهي في اللغة عبارة عن النماء والزيادة يقال نمى الزرع اذا كثر ريعه وزكت النفقة اذا بورك فيها والتزكية التطهير ومنه نفس زاكية فاخراج الزكوة سبب للطهارة والزيادة كما قال الله تعالى وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون والركوع في اللغة عبارة عن الانحناء والميلان يقال ركعت النخلة اذا مالت قوله عز وجل اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون خطاب لعلماء اليهود قال ابن عباس كان الرجل من اليهود يقول لصهره وقرابته واخوانه من الرضاعة من المسلمين اثبت على ما انت عليه مما يامرك به محمد صلى الله عليه وسلم فان امره حق فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ان جماعة من اليهود كانوا يخبرون مشركي العرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بان رسولا سيظهر يدعو الى الله تعالى والى الحق وكانوا يحثونهم على اتباعه واجابة دعوته فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فانزل الله تعالى هذه الاية مذكرا لهم ما كان منهم يقول اتامرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتتركون انفسكم فلا تتبعوه وانتم تقرؤن الكتاب بالتورية وتعلمون ما فيها من البشارة به ووجوب اتباعه افلا تعقلون ان الحجة عليكم والف الاستفهام في اول هذه الاية يقتضي التوبيخ والانكار كما في قوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين وقوله تعالى اتتركون فيما هاهنا امنين والبر هو اتساع الخير يقال ما ابين البر فيه لانه اشد اتساعا من البحر وتسمى المفازة برية لاتساعها والنسيان السهو ضد الذكر الا ان بين النسيان والسهو فرقا وهو ان النسيان عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره والسهو قد يكون عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك كما قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوة هي القراءة واصلها الاتباع لان الحروف يتلو بعضها بعضا والعقل قد يكون بمعنى الشد يقال عقلت البعير اعقله اذا شددت ركبته وما يعقل به عقال ويسمى العقل عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وقيل ان العقل علوم مخصوصة من جملتها العلم بالحسنات والسيئات يسمى العقل عقلا لانه يعقل العلوم المكتسبة ولا يجوز ان يقال في اسماء الله تعالى عاقل لانه لا يكتسب علما بشيء ولا يقف بعض علومه ببعض ولانه لا يعقله شيء عن فعل القبيح ولكن لا يختار القبيح مع استغنائه عن فعله لعلمه بانه قبيح قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين يقول استعينوا بالصبر على طاعة الله تعالى وبفعل الصلوة على ما يذهب عنكم من الرياسة ويفوتكم من المأكلة باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولم يذكر في الاية مستعانا عليه وانما ذكر المستعان به لان الاستعانة بالشيء يقتضي مستعانا عليه لا محالة فالمستعان عليه ذهاب العز والرياسة وفوت المأكلة والرشى والمرافق ويقال هو الشدة والمشقة التي تلحق المسلمين

في

في الطاعة وقال مجاهد الصبر في الآية هو الصوم ويسمى الصوم صبرا لان صاحبه يحبس نفسه عن الطعام والشراب ويسمى شهر رمضان شهر الصبر وقيل حمل هذه الاية على الصوم اولى من حملها على الصبر الذي هو نقيض الجزع لان الذي يليق بالصلوة والزكوة الصوم دون الصبر الذي هو نقيض الجزع فاما قوله تعالى وانها لكبيرة يحتمل ان الهاء كناية عن الصلوة لانها اشرف الطاعات ويحتمل ان تكون كناية عن الاستعانة ويحتمل ان تكون المراد بها الصبر والصلوة جميعا كما قال الله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه فاكتفى بذكر احدهما لدلالة على الآخر قال الشاعر: ومن يك امسى بالمدينة رحله * فاني وقيار بها لغريب * اي غريبان والكبيرة الثقيلة الشديدة لان ما يكبر يثقل وما يثقل يشق حملها والخاشعون المتواضعون الذليلة قلوبهم قال الخليل رحمه الله تعالى يقال خشع اذا رمى ببصره الى الارض واختشع اذا طاطا راسه للسجود والخشوع والخضوع نظيران الا ان الخضوع يكون بالبدن والخشوع يكون بالبصر والصوت والقلب كما قال الله تعالى خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن ان تخشع قلوبهم والصبر حبس النفس عما ينازع اليه والاستعانة طلب المعونة والصلوة بما يتضمن تلاوة الكتاب والوقوف بذلك على الوعد والوعيد والمواعظ البليغة تسهل على النفس ترك الرياسة وتسهل الانقياد للطاعة قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون معناه والله اعلم الذين يستيقنون انهم ملاقوا ربهم في الآخرة وانهم اليه راجعون فيجزيهم بما عملوا لانهم لو كانوا شاكين كانوا ضلالا كفرين وقد يذكر الظن بمعنى العلم كما قال دريد بن الصمة: فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج * سراتهم في الفارسي المسرد * اي ايقنوا والظن في اللغة هو الشك الذي يقوى احد طرفيه على الآخر الا ان علم غير العيان يجوز ذكره بلفظ الظن وان قام في النفس حقيقته لانه يبدو في النفس كالظن ثم يقوى حتى يصير يقينا وملاقاة الله رؤيته ويقال معناه ملاقوا جزاء ربهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين امر من الله تعالى لهم بتذكير النعمة وانما تكرر خطاب بني اسرائيل في القرآن بذكر النعمة على طريق التوكيد كما قال في قوله تعالى قلنا اهبطوا ويحتمل ان يكون المراد باللفظ الاول القوم الذين كانوا في بني اسرائيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالثاني اباء هؤلاء القوم واسلافهم لان الله تعالى عطف على هذه الآية قوله تعالى واذ نجيناكم من ال فرعون واراد به اباءهم وقوله تعالى فضلتكم اي بالكتب والرسل على عالمي زمانكم قبل مبعث عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم والتفضيل زيادة احد الشيئين على الآخر بالخير قوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون اخشوا عذاب يوم لا تغني نفس مؤمنة عن نفس كافرة ولا يقبل منها شفاعة لنفس كافرة ولا يؤخذ منها عدل فدية ولا هم يمنعون مما يراد بهم من العذاب والجزاء والمكافاة والمقابلة نظائر يقال جزى عني او قضى عني وناب عني ومنه قولهم جزيت دين فلان اي قضيت دينه والمجازي المتقاضي فاما اجزى فمعناه كفاني روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البدنة تجزي عن سبعة بغير همز وروي يجزي مهموزا والاصل في هذا كله الجزاء وهو مقابلة الاحسان بالاحسان والشر بالشر فكان المراد بالآية يوم لا تقابل نفس المكروه بما يدرا عنها وتقدير قوله تعالى لا تجزي اي لا تجزي فيه وحذف حرف الظرف سائغ يقول اتيتك اليوم اي اتيتك في اليوم والشفاعة التماس خير للغير

رحلة ع
حله ع
الخشع خ

الألوكة www.alukah.net

او دفع مضرة عنه اذا كان درجة الشفيع عند المشفوع اليه اعظم من درجة المشفوع له والاصل فيها الشفع الذي هو بمعنى الزوج فسميت الشفاعة شفاعة لان الذي ياتي الشفيع قد شفع نفسه بغيره على سبيل الاستعانة به على قضاء الحاجة يقال شفع اذا التمس قضاء الحاجة وشفعه اذا اجابه الى ملتمسه ومراده ويقال المشفع اى معط ما يعين على قضاء الحاجة وقد كانت اليهود يزعمون ان اباهم الانبيا صلوات الله عليهم ابراهيم واسحق ويعقوب يشفعون لهم عند الله فايسهم الله من ذلك بهذه الآية وقال الضحاك لا تنفعكم في ذلك اليوم احد عند انشقاق السما وزفرة جهنم ونشر الكتب وسقوط الخلايق على الركب حتى ينقضي ذلك الوقت ثم تجي الرحمة وترجع الافيدة والعقول الخفية فتقوم الشفعاء ودليله لا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون من قرا بالتا فلان الشفاعة مونثة ومن قرا باليا فلان تانيثه ليس بحقيقي كما في قوله عز وجل فمن جاءه موعظة من ربه والعدل الفدية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشي من جنسه والعدل بدله قد يكون من جنسه وقد يكون من غير جنسه كما قال الله تعالى او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما والنصرة العون تقول العرب نصر الغيث البلاد اى اعانها على الخصب والسعة قال الخليل النصرة هو عون المظلوم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انصر اخاك ظالما او مظلوما يعني نصرته مظلوما ان تدفع الظلم عنه ومعنى نصرته ظالما ان تمنعه عن الظلم فتدفع بذلك الفعل العقاب عنه قوله عز وجل واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم معطوف على الآية قبله وهي قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واذكروا اذ نجيناكم من ال فرعون واذ فرقنا بكم البحر واذ وعدنا موسى واذ فعلنا واذ فعلنا كل ذلك تعداد النعم عليهم احتجاجا وتذكيرا لينتبه الغافل ويترك العالم المعاند العناد واللجاج خاطب الله تعالى بهذه الآية الابناء وكانت النجاة من فرعون لابائهم فاعتد ذلك منة عليهم لانهم نجوا بنجاة ابائهم ومآثر الآبا مفاخر الابنا ومعنى الآية والله اعلم خلصناكم من حرب فرعون واتباعه واهل دينه يولونكم ويكلفونكم شدة العذاب يذبحون ابناءكم الصغار ويستبقون بناتكم الصغار والكبار للاستخدام وفي الانجاء انعم تعالى ابايكم نعمة من ربكم عظيمة ويحتمل ان يكون قوله تعالى ذلكم منصرفا الى الذبح والاستخدام فيكون معنى البلاء الشدة والمحنة واما الانجاء فهو التخليص يقال نجاه وانجاه اذا خلصه ويقال للمكان المرتفع نجوة لان الصاير اليه يتخلص من كثير من المضار والآل والاهل واحد الا ان الآل يستعمل في اتباع الرؤسا خاصة وفرعون اسم لملوك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبع واسم فرعون الوليد بن مصعب ويقال مصعب بن الريان والسوم الايلاء يقال سمت فلانا حسنة او سيئة اذا اوليته ذلك والسيما العلامة والسوم جمع الآيات والادوا والذبح فري الاوداج واصله الشق فاما التذبيح فللتكثير والمبالغة والاستحيا الاستبقاء قال صلى الله عليه وسلم اقتلوا شيوخ الكفار واستحيوا شرخهم اى استبقوا شبابهم وهم الذين يصلحون للخدمة وذهب بعضهم الى ان معنى قوله يستحيون من الحيا الذي هو الرحم فان القوم كانوا ينظرون الى فروج نسا بني اسرائيل ليعلموا هل بهن حبل ام لا حتى ان من يكون بها الحبل لا تملك كتمانه والاصل البلاء من الابتلا وهو الاختبار والاختبار تارة يكون بالنعمة وتارة بالشدة والدليل على ان البلا يذكر ويراد به النعمة قوله تعالى وليبلي المومنين منه بلاء

حسنا قال الاحنف بن قيس البلا ثم الثنا اى الانعام ثم الشكر وقال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلا الذي يبلو اى يختبر واراد به النعمة وسبب قتل فرعون ابنا بني اسرائيل ما روي انه رأى في المنام كان نارا اقبلت من بيت المقدس فاهلكت مصر واحرقت القبط ولم يمس بني اسرائيل فلما اصبح هاله ذلك فجمع السحرة والكهنة والعرافين فسالهم عن ذلك فقالوا انه يكون من البلد الذي منه هولا القوم من يخرب ملكك على يده فامر فرعون بان يذبح كل ابن يولد من بني اسرائيل واراد بذلك ان ينجو من قضا الله فلم ينفعه قوله عز وجل واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون معطوف على الآية التي قبلها ومعنى الآية والله اعلم فرقنا بكم البحر يمينا وشمالا وذلك حين خرج موسى عليه السلام مع بني اسرائيل الى البحر فاوحى الله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم خلصناكم من الغرق واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون اليهم حين غرقوا وهذا اعظم النعمة واوضح الحجة لانهم شاهدوا ما صنع الله بهم وبعدوهم وقيل معنى تنظرون اى تعلمون ذلك كانكم كنتم تنظرون وهذا مثل قولهم دور ال فلان تنظر الى دور ال فلان اى هي بازائها لان الدور يعلم انها لا تبصر وقد روي في الخبر ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام ان يدعو ربه ليريهم اياه فسال موسى عليه السلام ربه فلفظهم البحر فنظروا اليهم والى فرعون فعرفوه فلم يقبل البحر بعد ذلك غريقا الا لفظه والفرق الفصل بين الشيين اذا كان بينهما فرجة وسمي البحر بحرا لاتساعه وانبساطه يقال فلان يتبحر في العلم وفلان يتبحر في المال اذا كثر علمه او ماله والغرق هو الرسوب في الما والنظر هو الاقبال الى الشي بكل وجه ولهذا يسمى الاقبال بالوجه على الشي نظرا وسمي الفكر نظر القلب لما فيه من الاقبال على المعنى المتفكر فيه بالقلب ويسمى الاحسان نظرا لما فيه من الاقبال على من احسن اليه وقيل ان النظر هو التحديق بالبصر نحو الشي التماسا لرويته كما قال الله تعالى في شان الاصنام وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون لان احداقهم كانت اليه بالصورة فان قيل لم لم يعط الله كل نبي عليه السلام وكل امة مثل هذه الآيات العظام من فرق البحر ونحو ذلك قيل ان الله انما اعطى الآيات والاعلام على حسب ما يرى للخلق من المصلحة في ذلك وكان في قوم موسى عليه السلام من البلادة ورداة الفهم ما كان لا يمكنهم الاستدلال على نبوة موسى بالآيات الخفية الا ترى انهم بعد ما عبروا البحر مروا على قوم كانوا يعبدون الاصنام فقالوا لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة واما العرب وامثالهم ففيهم من جودة القريحة والذكا بحيث يمكنهم الاستدلال بالآيات الخفية فلم يحتاجوا في الاستدلال على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مشاهدة فلق البحر ونحو ذلك والله اعلم قوله عز وجل واذ وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون معناه اى اذكروا اذ اخبر الله تعالى موسى عليه السلام ان يوتيه الالواح فيها التورية على راس ثلثين يوما من ذي القعدة وامره ان يصومها فصامها فوجد من فيه خلوفا فاستاك فامره الله تعالى بصوم عشر اخرى من اول ذي الحجة كما قال الله تعالى في آية اخرى وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فقال السامري في الايام العشرة يا بني اسرائيل قد مضت الثلثون ولم يرجع الينا موسى وانكم قد استعرتم من نسا قوم فرعون حليهن حين سار بكم من ارض مصر فلما تردوا اليهن حليهن لم يرد الله علينا موسى فهاتوا ما معكم من حليهن حتى نحرق

الألوكة

تعلم أن الله يرد علينا موسى فجمعوا الحلي وكان السامري صائغاً فاتخذ من ذلك عجلاً ونفخ
فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام وكان ذلك الفرس
فرس الحيوة فما وضع حافره على موضع إلا اخضر فصار العجل جسداً له خوار فعبدوه
فذلك قوله ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون يقول ضارون أنفسكم بعبادة
العجل قال ابن عباس صار عجلاً جسداً لحماً ودماً وشعراً ويقال إن سبب الفتنة
وعد الله تعالى موسى أربعين فأخبرهم فلما مضت عشرون يوماً من الميعاد قالوا قد تمت
أربعون عدوا الأيام والليالي فأمرهم السامري بجمع الحلي فاتخذ لهم العجل فإن قيل
كيف يجوز أن يقضي الله من الذهب عجلاً جسداً له خوار على يدي رجل يريد إغواء الناس
وإضلالهم عن دين الله تعالى إنما يفعل الله مثل هذه الأشياء معجزة للأنبياء صلوات الله
عليهم فلو جاز مثل هذا على يد غيرهم لبطلت المعجزات قلنا لا يمتنع أن يكون الله تعالى أجرى
في التراب المأخوذ من حافر فرس جبريل عليه السلام أنه إذا ألقي على شيء صار ذلك الشيء حيواناً
فلم يكن هذا الفعل على وجه نقض العادة حتى يكون شبه المعجزة وذهب بعضهم إلى أن
السامري كان حين صاغ لهم العجل جعل فيه خروقاً فكانت الريح تقع في تلك الخروق
فيسمع لها مثل الخوار فكان يوهمهم أن ذلك الصوت خوار وفي الجملة أن الله تعالى
ركب فيهم من العقل ما لو تفكروا لعلموا أن العجل لا يصلح أن يكون إلهاً فاستدلوا على
كذب المدعي فلم يكن الموضع موضع الاشتباه والمواعدة مفاعلة من وعد يعد والوعد
هو الخبر عن خير يناله المخبر في المستقبل أو شر يتركه إلا أنه غلب استعمال الوعيد في
الشر والوعد في الخير قال الشاعر وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و
منجز موعدي ومن قرأ وعدنا بغير ألف فلأن الله تعالى هو المنفرد بالوعد والوعيد و
من قرأ بالألف فلفظ المفاعلة يستعمل بين الاثنين والوجه في ذلك أن الوعد من الله تعالى
خبر ومن موسى عليه السلام قبول واتباع يجري مجرى المواعدة وقد تكون المفاعلة من
واحد كما يقال سافر ونافق واسم موسى عليه السلام في أصل لغة القبط موشى لأن مو ماء
وشا شجر سمي بهذا الاسم لوجوده في التابوت بين الماء والشجر والعجل والعجول ولد
البقرة وفي الآية تعجيب من فعلهم إذ كانوا في مقدار هذه المدة اليسيرة اتخذوا العجل
إلهاً في غيبة موسى عليه السلام عنهم ثم من الله تعالى عليهم بالعفو كما قال جل ذكره ثم عفونا
عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون يقول تركناكم من بعد عبادتكم العجل فلم نستأصلكم
لكي تشكروا الله تعالى على العفو والنعمة والعفو في اللغة المحو ومنه يقال عفا الأثر و
عفته الريح كما قال الشاعر عفت الديار محلها فمقامها فكل من استحققت عليه عقاباً
فتركته فقد عفوته والشكر هو عرفان النعمة ويقال هو الاعتراف بالنعمة باطنها وظاهرها قوله
عز وجل وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون معناه أي أعطينا
موسى عليه السلام التورية وما يفرق به بين الحق والباطل من الآيات لكي تهتدوا بما في التورية
من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ويجوز أن يكون الفرقان هو الكتاب
بعينه إلا أنه أعيد ذكره لبيان أنه يفرق بين الحق والباطل وقد سمى الله تعالى التورية
فرقاناً في موضع آخر كما قال الله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وسمى الله تعالى نصرة
المؤمنين يوم بدر على الكفار فرقاناً بقوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان أراد به يوم

بدر

بدر وفي هذه الآيات كلها دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن هذه الأقاصيص لم تكن
من علوم العرب ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ كتبهم فلم يكن يعلم إلا من طريق الوحي
قوله عز وجل وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب
الرحيم أي اذكروا حين قال موسى عليه السلام لقومه بعدما رجع من الجبل وأعطاه الله التورية
يا قوم إنكم أضررتم بأنفسكم بعبادتكم العجل فارجعوا إلى خالقكم وليقتل بعضكم بعضاً أي الذين
لم يعبدوا العجل الذين عبدوه كما قال الله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم وقال الله عز وجل فسلموا
على أنفسكم ويقال فاقتلوا أنفسكم أي استسلموا للقتل ذلكم يعني التوبة والقتل خير لكم من
إيثار الحيوة الدنيا لأن حيوة الدنيا تفنى ولا تبقى فإذا آثرتم الحيوة الدنيا حصلتم بعد
الحيوة الدنيا على عقاب دائم لا ينقطع وإذا قتلتم أنفسكم كما أمرتم انقضت شدة القتل
عنكم عن سرعة ثم تحصلون بعد ذلك على نعيم دائم لا يفنى ولا يبيد وفي قوله تعالى فتاب
عليكم اختصار كأنه قال تعالى ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم تجاوز عنكم حين جعل القتل
كفارة لذنوبكم ورفع القتل عن من بقي منكم فلم نستأصلكم إنه هو المتجاوز عن ذنوب
العباد الرحيم بالتائبين وذكر في الخبر أن موسى عليه السلام لما خاطبهم بما ذكر الله
في هذه الآية قالوا قد فعلنا يا موسى فأخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل وليرضون بالقضاء
قالوا نعم فأصبحوا من الغد بأفنية بيوتهم كل بني أب على حدة فأتاهم هرون عليه السلام
والاثنا عشر ألفاً الذين لم يعبدوا العجل بأيديهم السيوف فقتلوا من لقوا وكان هارون عليه
السلام يتقدم إلى القوم وهم جلوس بأفنية بيوتهم يقول هؤلاء إخوانكم قد أتوكم شاهرين
السيوف فاتقوا الله تعالى واصبروا فلعن الله رجلاً حل حبوته أو قام من مجلسه أو مد
طرفه إليهم أو اتقاهم بيده أو رجله فيقولون آمين فجعلوا يقتلونهم إلى المساء وقام موسى
عليه السلام يدعو ربه لما شق عليه من كثرة الدماء وشدة الأصوات حتى نزلت التوبة فقيل لموسى
عليه السلام ارفع السيف فإني قد قبلت توبتهم جميعاً من قتل منهم ومن لم يقتل وجعلت ذلك
القتل لهم شهادة وغفرت لمن بقي منهم فكان القتلى سبعين ألفاً والقاتلون اثنا عشر ألفاً
فإن قيل كيف يحسن أن يتعبدهم الله تعالى بقتل أنفسهم قلنا لا ينكر أحد حسن التعبد
بالقتل الشرعية فإذا جاز أن يمتحنهم الله تعالى بالأمراض والأسقام جاز أن يمتحنهم
بالقتل أنفسهم كما ابتلى الله تعالى إبرهيم عليه السلام بذبح ولده ثم فداه عليه السلام بذبح
عظيم وقال عز من قائل إن هذا لهو البلاء المبين وكان السبب في أمر بني إسرائيل بقتلهم
أنفسهم والله تعالى أعلم أنه كان في القوم من عرف بطلان عبادة العجل إلا أنهم لم ينهوا
الآخرين عن عبادة العجل خشية وقوع القتل فيما بينهم فابتلاهم الله تعالى بما تركوا النهي
عن المنكر لأجله قوله عز وجل وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون نزلت في سبعين رجلاً اختارهم موسى عليه السلام
لميقات الله تعالى عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الأعراف واختار موسى قومه سبعين
رجلاً لميقاتنا روي أنه عليه السلام لما انتهى بهم إلى الجبل أمرهم أن يمكثوا في أسفل الجبل
وصعد هو فأعطاه الله تعالى الألواح فيها التورية فلما رجع إليهم قالوا لن نصدقك حتى
نرى الله جهرة عياناً وعلانية فأخذتهم الصاعقة نزلت نار من السماء فأحرقتهم ويقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم اخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون الى اسباب الموت والرؤية جهرة هي الرؤية على وجه
لا يكون بين الرائي والمرئي ساتر والاجهار يقال فلان يجاهر بالمعاصي اذا كان لا يستتر بها و
الصاعقة في اللغة اسم لما يصعقون منه اي يهلكون ويفزعون وهي في هذه الآية عذاب
مهلك قوله عز وجل ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون يقول احييناكم
من بعد هلاككم لكي تشكروا الحي بعد الموت والبعث في اللغة اثارة الشيء عن محله يقال
بعثت البعير وبعثت النائم فانبعث فان قيل كيف يجوز ان يقبل التوبة بعد الموت ولو
جاز ذلك لجاز قبول التوبة يوم القيامة وما انكرتم على من قال بالرجعة في دار الدنيا قيل
البعث بعد الموت في دار المحنة كالانتباه من النوم والافاقة من الجنون والغشي لان الله
تعالى ردهم الى التكليف في دار الدنيا ولا بد لذلك من غاية يقع عندها الثواب والعقاب
فقلنا ان تلك الغاية هي يوم القيامة فتعذر قبول التوبة يوم القيامة وكانت تلك الدار دار المحنة
لم يكن بعدها دار اخرى تكون غاية لدار المحنة فاما الرجعة في دار الدنيا فانما انكرناها لان الخلق
… فيها اعلاما بالرجعة الى الله يرجع وهذا لا يجوز لان فيه اغراء بارتكاب الذنوب
… وقت الرجعة لتكون التوبة فيه قوله عز وجل وظللنا عليكم الغمام وانزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون معناه سترنا عنكم الشمس بالسحاب الابيض كان يقيهم حر الشمس في التيه
وكان يضيء لهم بالليل عمود من السماء من نور فيسيرون في ضوئه بالليل حيث ساروا ومكان الحر وانزل
الله تعالى عليهم المن وهو الترنجبين ويقال الترنجبين ويقال هو شيء حلو كان يسقط على الشجر
كالشهد المعجون بالسمن كان الرجل منهم ياخذ كل غداة صاعا يكفيه يومه وليلته فاذا اخذ
اكثر من ذلك دود وفسد فاذا كان يوم الجمعة اخذ كل انسان منهم صاعين فانه لم يكن يأتيهم
يوم السبت فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم فدعا عليه السلام
فانزل الله تعالى عليهم السلوى طيرا كبيرا كهيئة السماني كلوا من طيبات ما رزقناكم اي قيل
لهم كلوا من حلال ما رزقناكم وهذا على طريق الاضمار كما قال الله تعالى والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا اي قالوا ما نعبدهم وقال عز من قائل فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل وما ظلمونا … واختصار
المعنى ما ظلمونا بمخالفتهم امرنا وذلك انهم امروا ان لا يرفعوا من السلوى شيئا للغد فرفعوا
منه مخافة ان ينفد فذهب عنهم ذلك فذلك قوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
رفعوا حتى منع عنهم وهذا كله كان في التيه حين تابوا على موسى عليه السلام دخول مدينة
الجبارين فحرم الله تعالى عليهم تلك المدينة اربعين سنة يتيهون في الارض والتظليل في
اللغة هو الستر من العلو والغمام السحاب يسمى السحاب بهذا الاسم لانه يستر السماء قال …
… عليكم غمة يقول امركم مستورا وسمي السحاب سحابا لانه ينسحب في الجو اي
يجري فيه وحقيقة المن ما يمن الله تعالى به على عباده من غير نصب ولا تعب والسلوى جمع
لا واحد له وذكر الخليل ان واحده سلواة والطيبات ما يستطيبه الانسان وروى ابو
هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام
ولولا حواء لم تخن امراة زوجها قوله عز وجل واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث
شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين

معناه وقد قلنا لبني اسرائيل بعد انقضاء اربعين سنة من اول مكثهم في التيه على لسان يوشع
بن نون عليه السلام بعد موت موسى وهارون عليهما السلام ادخلوا هذه القرية يعني مدينة
اريحا بقرب بيت المقدس فكلوا منها رغدا كثيرا واسعا بلا حساب ولا عناء وادخلوا باب المدينة
ويقال باب مسجد بيت المقدس سجدا ركعا منحنين متواضعين وقولوا حطة اي قولوا امرنا
حطة قال ابن عباس امروا ان يستغفروا ربهم وعن عكرمة انه قال امروا ان يقولوا لا اله الا الله
ويقال معناه قولوا ان ما قيل لنا حق وهذه الكلمات كلها تحط الذنب فمعناه ان تقولوا حطة نغفر لكم
خطاياكم ذنوبكم وسنزيد المحسنين الذين لا ذنب لهم احسانا يقول زيادة ثواب على اعمالهم من التفضل عليهم بما لم
يستحقوا كما قال الله عز وجل ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ويقال سنزيد المحسنين الاحسان على ما
سلف من الاحسان من انزال المن والسلوى وتظليل الغمام والعرب تسمي البلدة قرية لان القرية انما
سميت قرية لاجتماع الناس فيها والحط هو وضع الشيء من الظهر او الدابة ومن قرا حطة بالنصب فالمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة والغفر الستر واصله من المغفر سمي به لانه يستر الراس ومن قرأ يغفر لكم بالياء والتاء
على فعل ما لم يسم فاعله الا ان النون اليق بما قد سبق من اللفظ لان ابتداء الآية واذ قلنا ادخلوا وانما
الخطايا جمع خطيئة ومن قرا خطيئاتكم قوله عز وجل فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا
على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون معناه الذين عصوا وكفروا اما امرهم الله تعالى به فلم
يقولوه فقالوا اطه سمقاثا اي حنطة حمراء بلغتهم قالوا هذا القول استهزاء وتبديلا مكان القول الذي
امروا به وهو ما قال الله عز وجل وقولوا حطة وقال الحسن رضي الله عنه امروا ان يقولوا حطة فقالوا
حنطة امروا ان يدخلوا الباب ركعا فدخلوا زحفا ويقال متزحفين على استاههم … فلما خالفوا في
القول فانزل الله تعالى عليهم رجزا عذابا قيل انه الطاعون قال الكلبي اخذهم موتان وهو نوع من
الطاعون فمات منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة ويقال هلك منهم سبعون الفا في ساعة
وقيل نزلت عليهم نار فاحرقتهم لتبديلهم ما امروا به قوله عز وجل واذ استسقى موسى لقومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم
كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين معناه استسقى موسى عليه السلام
ان يسقي قومه حين استسقاه قومه وقت ما اصابهم من العطش حال نزولهم في الارض القفرة بعد
غرق فرعون فقلنا اضرب بعصاك الحجر قال ابن عباس رضي الله عنهما امره الله تعالى ان ياخذ حجرا
خفيفا مثل راس الانسان فيضربه بعصاه فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لاثني عشر سبطا
لكل سبط منهم عين يشربون منها لا يخالطهم فيها غيرهم وذلك للعصبية التي كانت بين الاسباط
قد علم كل سبط موضع شربهم كانوا اذا ارتحلوا استمسك الحجر فحمل واذا نزلوا وضعوه
فانفجر كلوا واشربوا من رزق الله اي قيل لهم كلوا واشربوا ولا تخرجوا الى الفساد في الارض
عاصين والاستسقاء طلب السقي كما يقال استنصر اي سال النصرة والانفجار الانشقاق ومنه
الفجر فجرا لانه ينشق من الظلام وسمي الفاسق فاجرا لانه يشق عصى المسلمين واما قوله تعالى في
آية اخرى فانبجست منه اثنتا عشرة عينا الانبجاس في اللغة اول ما ينفجر من الماء ويشق
والانفجار خروج السيلان فكان الانبجاس في اول القصة والانفجار في آخرها والانبجاس اقل
من الانفجار وقريب منه … ذكرها … عينا … والعثو
والعيث اشد الفساد … والله اعلم في الآية بين لفظ العثو والفساد وان كان
معناهما واحدا على جهة التوكيد كما يقال كذب ومين وظلم وجور واختلف اهل التفسير

الألوكة
www.alukah.net

في الحجر الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية قال بعضهم كان الله تعالى امر موسى عليه السلام بان
يا خذ الحجر من اسفل البحر حين مر فيه مع قومه وقال بعضهم انه كان من الجنة ويقال كان رخاما
من احجار الارض جعله الله تعالى معجزة لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يستنكر من يحدث الحجر ان
يحدث الله تعالى فيه ما شاء كما شاء وكيف شاء والله اعلم قوله عز وجل ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ
طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا
وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ قال اهل التفسير
وذلك انه لما طالت المدة على بني اسرائيل في التيه واجموا ما كانوا فيه من البقوة والحيرة عادوا في
المسألة لموسى عليه السلام فقالوا لن نستطيع ان نصبر على طعام واحد عنوا به المن والسلوى
سموهما طعاما واحدا لان غذاهم كان في كل يوم على صفة واحدة وهذا كالرجل يقول طعامي في كل
يوم واحد وان كان يتناول في كل يوم الوانا من الاطعمة ويريد بالواحد اذا حبس نفسه على الوان
منها معلومة وقال بعضهم ارادوا بالطعام الواحد المن خاصة فان السلوى كان قد ذهب عنهم و
يجوز ان يكون عنوا بالواحد طعام السماء اي كل ما نطعمه ينزل من السماء ولا نطعم ما ينبت من الارض
فادع لنا ربك اي سل لاجلنا خالقك يخرج لنا مما تنبت الارض اي من نباتها ثم بين الجنس
فقالوا من بقلها واراد وابه البقول كلها وقثائها وارادوا جميع ما يخرج من القثاء البزر من
البطيخ ونحو ذلك ويقال القثاء جمع القثى واحده قثاة وفومها ارادوا به الحنطة والخبز
ويقال لسائر الحبوب التي تختبز الفوم ويقول الرجل لجاريته فومي لنا اي اختبزي وقيل
ان الفوم هو الثوم ابدلت الثاء بالفاء كما قالوا للقبر جدث وجدف قال لهم موسى عليه السلام
أتستبدلون الذي هو ادنى اي اوضع واخس في المقدار بالذي هو اشرف وهو المن والسلوى
اهبطوا مصرا قال ابن عباس اراد به مصر فرعون الذي خرجوا منه فكرهوا ذلك ويقال هذا
خطاب من الله تعالى على لسان يوشع بن نون فامرهم بنزول قرية اريحا وقت خروجهم من التيه
فان لكم بمصرها سألتم من البقول والقثاء وغيره ذكر ثم قطع الله تعالى السؤال والجواب في هذه
الآية بكلام من عنده فقال عز من قائل وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي وضعت والزمت
واثبتت عليهم الذلة وهي الجزية على وجه الصغار والمسكنة اي الفقر يرى كل رجل من اليهود   منهم م
عليه زي الفقر وان كان غنيا وقد يرى المكثر المثري منه الفقر مخافة ان تضاعف عليه
الجزية ويقال المسكنة فقر القلوب يقول النبي صلى الله عليه وسلم الغنى غنى القلب وباءوا
بغضب من الله اي رجعوا بغضب استحقوه من الله تعالى بصنيعهم ذلك بانهم كانوا يجحدون
بدلالة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير الحق بلا جرم منهم
قتلوا زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء صلوات الله عليهم ذكر الكلبي رحمه الله انهم قتلوا في
يوم واحد ثلثماية نبي عليهم السلام وقاموا سوق بقلهم في اخر النهار ذلك الغضب الذل
والمسكنة بما عصوا الله تعالى في السبت وغيره وما كانوا يتجاوزون الحدود ويركبون   بهم
المعاصي والدعا في اللغة هو الطلب ممن يملك الضر والنفع ويقال الدعا النداء وسمي الطلب
من الله تعالى دعا لانه يدخل فيه حرف النداء تقول يا رب ويا الله ويا رحمن وقوله تعالى
يخرج جزم على نية الجزاء لان فعل الله تعالى لا يكون جوابا لمسألة موسى عليه السلام فمعناه

ادع

ادع لنا ربك ان دعوته يخرج والبقل هو العشب الذي يخرجه الارض بالربيع وانما خص الربيع
بذلك لان الارض انما تخرج ذلك بالربيع في الغالب وقوله تعالى ادنى يقرا بالهمز وغير الهمز فمن
قرا بالهمز فاصله من الدناة وهي الخسة ومن قرا بغير الهمز يجوز انه ترك الهمز للتخفيف
ويجوز ان يكون معناه بغير الهمز اقرب من الدنو اي اقل قيمة يقال ثوب مقارب اي
قليل القيمة ويقال هو ادون فقدمت النون وحولت الواو الفا كقولهم اولى من الويل و
قوله تعالى مصرا يقرا بالالف وغير الالف فمن قرا بالالف اراد مصرا من الامصار اي مصرا كان
ومن قرا بغير الالف عنى به مصرا بعينه فلم يصرفه لانه اجتمع فيه المعرفة والتانيث من حيث
انه اراد به البقعة واذا اجتمعت فيه العلتان لم يصرفه فاذا زالت احدى العلتين يصرف
واصل المصر القطع يقال مصرت الشي اذا قطعته وقيل اصله الفصل وسمي المصر مصرا لانه فصل
من غيره بالابنية والذلة والذل والمذلة الصغار واصل الجميع هو السهولة الا ان الذل
هو السهولة عن قهر والذلة هي السهولة عن مسامحة والمسكنة مفعلة من السكون والمسكين   اسرائيل
الذي اسكنه الفقر اي قلل حركته واصل باءوا من المباءة وهي المحل قال الله تعالى ولقد بوانا بني
مبوا صدق اي احللناهم ويقال فلان تبوا منزلا اي حل منزلا وقيل اصله من بوا اي سوا كما ذكر
عن عبادة بن الصامت انه قال جعل الله تعالى غنايم بدر لنبيه صلى الله عليه وسلم خاصة
نقسمها بينهم عن بواء اي سوى بينهم في القسم فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى وباءوا بغضب
من الله اي استووا في الغضب من الله تعالى والنبي اصله الهمز من النباء وهو الخبر هكذا قرا
بعضهم ومن ترك الهمز اثر التخفيف لكثرة الاستعمال ويجوز ان يكون ماخوذا من نبا ينبو
اذا ارتفع والنبوة الرفعة كالنشز من الارض وترك الهمز اجود على ما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما قيل له يا نبيء الله قال لست بنبيء الله ولكني نبي الله تعالى و
قتل الانبياء صلوات الله عليهم لم يكن خذلانا لهم وانما اراد الله تعالى ان يبلغ الانبياء عليهم
السلام درجة رفيعة لا يوصل اليها الا بالقتل فان قيل في الآية اثبات الغضب والذلة
لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن يكون منهم الى يوم القيامة وهم
لم يقتلوا الانبياء عليهم السلام وانما قتل اباوهم فكيف يكون معنى قوله تعالى ذلك بانهم كا   نوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق قلنا هولاء اليهود يتولون اباءهم الذين
قتلوا الانبياء عليهم السلام وقد قصدوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم فكانهم هم الذين
قتلوا الانبياء عليهم السلام وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لليهود
الستم تتولون الذين قتلوا الانبياء بغير الحق فقالوا ما قتل اباونا الا انبياء الزور وقوله عز
وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ اخبر الله تعالى
في هذه الآية بعد قوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ان من آمن
منهم ومن غيرهم من النصارى والصابيين وعمل صالحا فله اجره عند ربه ولا يواخذ بمتقدم
فعله ولا بفعل آبايه وسلفه قال ابن عباس معنى الآية ان الذين آمنوا بموسى عليه السلام
والتورية ولم يتسموا باليهودية والذين آمنوا بعيسى عليه السلام والانجيل ولم يتسموا
بالنصرانية والذين تسموا باليهودية او النصرانية والصابيين من آمن منهم فلهم اجرهم
وقال الكلبي معنى الآية ان الذين آمنوا بالسنتهم ولم تومن قلوبهم كانه قال ان الذين آمنوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نافقوا والذين هادوا ويقال معنى قوله تعالى من امن بالله الثبات على الايمان من المومنين في مستقبل عمرهم كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ومعناه استيناف الايمان في اليهود والنصارى والصابيين ويقال ان قوله تعالى من امن راجع الى الذين هادوا ومن بعدهم كانه قال ان الذين امنوا ومن امن من الذين هادوا والنصارى والصابيين والصابيون فرقة من النصارى الين قولا منهم يحلقون اوساط روسهم قال ابو حنيفة رحمه الله هم من اهل الكتاب تحل مناكحتهم وذبايحهم انما هم يعظمون الكواكب السبعة ولا يعبدونها وقال ابو يوسف ومحمد ليسوا من اهل الكتاب ولا تحل للمسلمين ذبايحهم ولا مناكحة نسايهم لانهم يعبدون الكواكب السبعة ويقولون انها مدبرات وان الله تعالى جعل تدبير العالم اليها وعابد الكواكب كعابد الوثن وفي الحقيقة لا خلاف بين ابو حنيفة وصاحبيه وانما اختلفوا لاشتباه حال لهم والله اعلم قوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر اي صدق بالله تعالى وبيوم البعث ولا يكون الايمان بالله تعالى الا بالايمان بانبيا الله صلوات الله عليهم وكتبه ورسله وكانه قال من امن بالله تعالى وبجميع ما انزل الله تعالى وعمل الطاعات المفروضة فلهم جزا اعمالهم عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من امر الاخرة ولا هم يحزنون على ما خلفوا من الدنيا ومعنى هادوا اي صاروا يهودا يقال هاد يهود هودا اذا صار يهوديا وقد اختلفوا في اشتقاق هذا اللفظ قيل انه مشتق من الهود الذي هو التوبة كما قال الله تعالى انا هدنا اليك اي تبنا اليك وقيل ان اشتقاقه من الميل يقال هاد اذا مال عن الطريق وقد قيل انهم سموا يهودا على طريق النسبة الى اكبر اولاد يعقوب عليه السلام وهو يهوذا الا ان العرب اذا عربت اسماء غيرت بعض حروفها والنصارى لفظ جمع اختلفوا في واحده قيل واحده نصران كما يقال سكران وسكارى وندمان وندامى وقيل نصري مثل بعير مهري وابل مهارى وزيدت في النصراني يا النسبة كقولهم للكثير اللحية لحياني ولعظيم الرقبة رقباني واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم قيل انهم سموا نصارى لان اصلهم من قرية يقال لها ناصرة كان ينزلها عيسى عليه السلام وامه رضي الله عنها وقيل سموا نصارى لنصرتهم عيسى عليه السلام حين قال من انصاري الى الله وقيل لتناصرهم واما الصابيون فهو اسم مشتق من صبا اذا خرج من دين الى دين وصبا ناب البعير اذا طلع وصبات النجوم اذا ظهرت كما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل المسجد في اول اسلامه وكان في المسجد اهل مكة فقالوا صبات يا عمر قال لم اصبا ولكني اسلمت ومن قال الصابين بغير الهمز يجوز انه ترك الهمز للتخفيف ويجوز ان يكون من صبا يصبو اذا مال كما قال الله تعالى اصب اليهن اي امل اليهن وذكر اخر الاية بلفظ الجمع لان اصل من لفظه من لفظ الوحدان ومعناه معنى الجمع فحمل على المعنى فان قيل اذا كان المومن عاملا لنفسه فما معنى اعطاه اجره قيل لما حمل على نفسه المشقة وحرمها ما تنازعته اليه من الشهوة فاجره في الاخرة عوض ما فاته من اللذات في الدنيا قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون عطف على ما تقدم من الايات التي هي خطاب لبني اسرايل كانه قال قوله وباوا بغضب من الله الى هذه الاية معترضا في خلال الكلام ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم على العبادة واقامة الطاعات بفطرة العقول وبعثة الانبيا صلوات الله عليهم فقبلتموه واقررتم به ثم اعرضتم من بعد ذلك قال ابن عباس ميثاقين فالاول حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام كالذر كما قال الله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم والثاني هو الميثاق

الذي

الذي اخذ عليهم في التورية وساير الكتب كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة والمراد به في هذه الاية الميثاق الثاني فانهم لا يذكرون الاول وقال مجاهد وقتادة الطور الجبل اي جبل كان وقال ابن عباس هو من الجبال ما انبت خاصة ومعنى خذوا ما اتيناكم اي اعملوا به بجد ومواظبة في طاعة الله تعالى واذكروا ما فيه من الثواب والعقاب يسهل عليكم القبول فتتقوا المعاصي قال الكلبي وذكر انه لما اتاهم موسى عليه السلام بالتورية قراوا ما فيها من التغليظ كبر ذلك عليهم فابوا ان يقبلوا فامر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على روسهم مثل الظلة وكان العسكر فرسخا في فرسخ والجبل مثل ذلك فاوحى الله الى موسى عليه السلام ان قل لهم اقبلوا التورية بما فيها والا رميتهم بهذا الجبل فرضختهم به فلما راوا ان لا مهرب لهم قبلوا التورية وما فيها وسجدوا من المهابة والفزع وجعلوا في سجودهم يلاحظون الجبل مخافة ان يقع عليهم قال ابن عباس فمن اجل ذلك سجد اليهود على انصاف وجوههم ومن هذا قيل ان مما من الله تعالى على هذه الامة ان فرض عليهم الفرايض واحدة بعد واحدة حتى استقرت الواحدة في قلوبهم فرض عليهم الاخرى كيلا يشق عليهم قوله عز وجل ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين يقول اعرضتم من بعد اخذ الميثاق فلولا من الله تعالى عليكم ورحمته بتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين في العقوبة قال ابو العالية فضل الله عز وجل الايمان ورحمته القران فاما التولي عن الشي فهو تركه وصرف الوجه عنه وتولي الشي هو الحصول في اقرب المراتب منه قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين المعنى والله اعلم عرفتم الذين جاوزوا الحد الذي حد لهم في الاصطياد في يوم السبت فصيرناهم قردة خاسئين صاغرين مبعدين عن رحمة الله تعالى وذلك ان مدينة يقال لها ايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام كانت مسكن بني اسرايل وكانوا امروا ان لا يصيدوا في يوم السبت وكانت الحيتان تجتمع فيه لامنها في ذلك اليوم فاذا ذهب السبت لا ياتيهم كذلك فحفروا اخدية للحيتان حيث يدخل السمك حظاير حبسوا السمك فيها يوم السبت واخذوها ليلة الاحد ويوم الاحد وقالوا نحن لا نصطاد يوم السبت فمسخهم الله قردة فمكثوا كذلك ثلثة ايام ثم اهلكوا كما قال الله تعالى واسالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى اخر القصة وروي عن ابن مسعود انهم لم يلدوا بعد ما مسخوا قال وكذلك الممسوخ لا يكون له نسل ولا ذرية وقال ابن عباس كانوا رجالا ونساء فمسخهم الله تعالى الذكر ذكرا والانثى انثى وكانوا يتعاوون وكانت تسيل دموعهم لم ياكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم اهلكهم الله تعالى فجاءت ريح فهبت بهم والقتهم في الماء وما مسخ الله تعالى امة الا اهلكها وحكي عن مجاهد انه قال لم تمسخ صورهم وانما مسخت قلوبهم وعامة المسلمين على خلافه قال الله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وليس تحويل الصور اعظم من انشا العنصر فمن امن بابتداع الجواهر والاجسام ماذا عليه ان يومن بانقلاب الصور واما قول الله تعالى فقلنا لهم كونوا فامر تحويل من صورة الى صورة ويجوز ان يكون ذلك بكلام سمعوه والسبت يوم من ايام الجمعة سمي سبتا لان الله تعالى خلق الاشيا قبله ولم يخلق فيه شيا فسبد يوم الفراغ للناس ولا يجوز ان يكون يوم الفراغ لله تعالى اذ الفراغ والشغل لا يجوزان على الله تعالى انما يجوز على من يفعل الفعل بالة ويشغل الته ببعض الاعمال ويفرغها عن بعض الاعمال وقيل سمي سبتا لانسبات الخلق فيه لكلام الله تعالى وذلك انه لما خلق الله تعالى السموات والارض اقبل

الألوكة www.alukah.net

في السماء على نفسه فاطرق كل شيء من خلقه من العرش الى الثرى والقردة جمع القرد والخاسي الطرد والابعاد يقال خسأت الكلب خسأ اى ابعدته فبعد قوله عز وجل فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين اى جعلنا المسخة ويقال العقوبة وهو ما حل بالقوم من التشويه وتغيير الخلقة ويقال القرية ويقال القردة نكالا للامم التي تراها والامم الذين يكونون بعدها وموعظة للذين يتقون الشرك والكباير والفواحش فيلزمون ما هم عليه من التقوى والنكال الفضيحة الشاهرة من العقوبة اصله المنع يسمى العقاب الزاجر عن الفعل نكالا ويسمى الامتناع عن القسم نكولا ويقال بين يدي الشيء امامه وخلف الشيء وراه ويقال معنى ما بين يديها اى من عقوبة الاخرة وما خلفها من فضيحتهم في دنياهم فيذكرون بها الى قيام الساعة وعن ابن عباس ان معناه لما قبل تلك القرية من القرى ولما بعدها من القرى والموعظة الزجر عن ما يدعو هوى النفس اليه اى ينزع عنه العقل وقيل هي بيان الشيء العاقبة وهذه الآيات كلها احتجاج من الله تعالى عليهم بنعمه المترادفة واخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن عناد سلفهم وكفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الآيات وتعزية الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما راى من جحودهم وكفرهم وليكون وقوفه على اخبارهم حجة عليهم وتنبيها لهم وتحذيرا ان يحل بهم ما حل بمن قبلهم من ابائهم واسلافهم وموعظة للمتقين قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين مقدم في التلاوة على قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها مؤخر عنه في النظم والنزول لان قتل النفس كان قبل ذبح البقرة ومعنى هذه الآية والله اعلم واذكروا اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة يعني ليضرب المقتول الذي وجد فيما بين اظهركم ولا تدرون من قتله ببعض تلك البقرة فيحيى فيخبركم من قتله قالوا اتتخذنا هزوا سخرية قال امتنع بالله ان اكون من المستهزئين والقصة في هذا ما ذكر ان بني اسرائيل قيل لهم في التورية انما قتيل بين قريتين فليقس الى ايهما اقرب ثم ليوخذ اهل تلك القرية وليحلف خمسون شيخا من شيوخهم بالله ما قتلوه ولا علموا له قاتلا فوجد رجلان اخوان من بني اسرائيل الى ابن عم لهما اسمه عاميل فقتلاه لكي يرثاه وكانت لهما ابنة عم شابة حسنة مثلا في بني اسرائيل فخافا ان ينكحها ابن عمها فلذلك قتلاه ايضا ثم حملاه فالقياه الى جانب قرية فاصبح اهل القرية والقتيل بين اظهرهم لا يدرون من قتله فاخذ اهل القرية فجاؤا الى موسى عليه السلام فقالوا ادع لنا الله ان يطلعنا على قاتله فدعى فاوحى الله تعالى اليه عليه السلام ان مرهم ان يذبحوا بقرة فقال موسى عليه السلام ان الله يامركم الآية والبقرة اسم للموث في هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا جنس خالف صيغة اسم الانثى منه صيغة اسم الذكر فهو كالناقة والجمل والرجل والمراة والجدي والعناق ومعنى اعوذ الجاء ويقال فلان عايذ قومه اى ملجا قومه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقول اعوذ بالله فقال صلى الله عليه وسلم عذت بمعاذ والجهل نقيض العلم وفي الآية دلالة على جواز ورود الامر بشيء مجهول الصفة مع تخيير المامور في فعل ما يقع عليه الاسم منه لان الله تعالى امرهم بذبح بقرة مجهولة لم يعينها لهم في الابتدا ولا وصفها روي الحسن رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها

لاجزت

لاجزت عنهم ولكن شددوا على انفسهم بالمسئلة فشدد الله عليهم بالمنع وفي الآية دليل وجوب الامر وانه لا يصار الى الندب الا بدلالة اذ لم يحتجهم الذم الا بترك الامر المطلق في غير ذكر وعيد او بادلة وفيها دليل ان الاستهزا لا يصدر الا من جاهل لان من استهزا بغيره لا يخلو اما ان يستهزئ بخلقته او بفعله فان كان يستهزئ به لاجل خلقته فذلك ليس موضع استهزا وان كان يستهزئ به لاجل فعله فلا ينبغي ان يستهزئ به بل يجب ان ينبهه على قبح فعله ليرتدع وينزجر عن فعله فان قيل قولهم لنبيهم عليه السلام اتتخذنا هزوا كان كفرا منهم اولم يكن قلنا هذا على التفصيل ان كان قصدهم بهذا القول النسبة الى السخرية بلا سبب فقد كفروا بذلك وان كان قصدهم استخبارهم بذلك لما سبق منهم من العصيان لم يكفروا وقال بعضهم انما قالوا هذا القول لموسى عليه السلام لان موسى عليه السلام قال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا البقرة ولم يقل انه يامركم بذلك ليكون ماذا فقالوا اتتخذنا هزوا اى استهزا بنا واي اتصال للذبح بالبقرة بما نريد فعلنا اليك فيه قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تومرون المعنى والله اعلم قالوا ان لم يكن ما تامرنا به استهزا وكان حقا فادع لنا ربك يبين لنا ما هي البقرة كبيرة ام صغيرة ليس في السوال بيان ان المسئول عنه السن وانما تبين ذلك بالجواب وهو قوله تعالى انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى ليست هي بكبيرة قد ولدت بطونا كثيرة ولا صغيرة لم تلد وسط ونصف بين الصغيرة والكبيرة قد ولدت بطنا او بطنين فافعلوا ما تامرون به من الذبح واشتقاق الفارض من فرضت تفرض فروضا اذا كبرت والبكر الفتي من الحيوان وهو الذي لم يصب ولم يصب واذا اصيب كان الاول للاصابة والعوان الوسط من الشيء يقال حرب عوان للوسط منه ويقال في المثل ان العوان لا تعلم الخمرة او ان المراة البالغة تحسن التخمر فلا تعلم قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وذلك انهم رجعوا في السوال لموسى عليه السلام فقالوا ادع لنا ربك على اى لون هي قال انه يقول انها بقرة شديدة الصفرة قال مجاهد كانت صفراء الظلف والقرن وقال الاخفش معنى قوله صفراء سوداء كما في قوله تعالى جمالات صفر اى سود كما قال الشاعر تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب والقول الاول اصح عند عامة المفسرين لان السواد لا توكد بالفاقع وانما توكد بالحالك يقال في المبالغة في الوصف اصفر فاقع واحمر قاني واسود حالك واخضر ناضر وابيض ناصع ويقال ابيض يقق فهو فاقع لونها او صاف لونها وهذا نعت الاصفر الشديد الصفرة تسر الناظرين اى تعجب من نظر اليها وذلك لتمام خلقتها وكمال حسنها ونصوع لونها والسرور هو لذة في القلوب عند حصول نفع او توقع نفع فاما اللون فهو معروف قال الخليل هو الذي يتعاقب على الجسم تعاقب التضادد وقال ابن دريد اللون هو الذي يفصل بين كل شيئين كما قال الله تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وموضع ما في قوله تعالى ما لونها رفع لان تاويله الاستفهام كانه قال اي شيء لونها والكسر في قوله انها لان ما بعد القول يذكر بمنزلة الكلام المبتدا يقال قلت زيد منطلق الا في لغة بني سليم فانهم يقولون زيدا منطلقا كما يقال ظننت وفي الآية جواز النسخ قبل وقوع الفعل بعد التمكين منه لان قوله تعالى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اقتضى ذبح اى بقرة كانت وعلى اى صفة شاءوا وقد كانوا متمكنين من ذلك فلما قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فقال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر نسخ التخيير الذي اقتضاه الامر الاول في ذبح اى بقرة كانت وصار الامر مقصورا على ما كان منها بهذه الصفة ثم امرهم في اول هذه القصة بقصد الله تعالى بآية اخرى يجوز تخصيص العموم بالدلالة ثم نسخ الله التخيير الذي كان في ذبح اى لون شاءوا منها بهذه الآية حيث قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فان قيل كيف امروا بذبح البقرة دون غيرها قيل لان القربان انما يكون من ثلاثة

انواع من الغنم والبقرة والابل وكانوا لا يحلون لحم الابل بل يحرمونه كما قال الله تعالى كل الطعام كان
حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قيل انه لحوم الابل فلما كان لحم الابل محرما عليهم وكان ذبح
البقر افضل من ذبح الغنم خصت البقرة بالذبح فان قيل لم استقصوا في السؤال في البحث عن صفة
البقرة ولو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزأت قيل لانهم امروا بذبح البقرة لاعجوبة وهي بيان حال القتيل
لهم فحسبوا انه لا تظهر تلك الاعجوبة الا من بقرة مخصوصة كما ان العجايب التي كانت تظهر لبني اسرائيل
من عصى موسى عليه السلام لم تظهر من الضرب بساير العصي وعلى انه يحتمل ان القوم جهلوا القول
بالعموم كما جهل بعض الناس اليوم فظنوا ان ذلك امر بذبح بقرة مخصوصة فعادوا في السؤال مرة
بعد اخرى قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء
الله لمهتدون مراجعة منهم في معنى الامر بذبح البقرة اى عرفنا ما صفة هذه البقرة عاملة او غير عاملة
لتسوية سؤالات المسؤول عنه العمل وغير العمل وانما لم يظهر ذلك ظهور المذكور في الاية التي بعد هذه الاية
وقوله تعالى ان البقر تشابه علينا يقول تشاكل واشتبه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى
القاتل ويقال لمهتدون عين البقرة والتذكير في البقر يحتمل ان المراد به جنس البقر وقيل ان العرب
تذكر مثل هذا اللفظ وتؤنثه يقول هذا بقر وهذه بقر وهذا نخل وهذه نخل ومن قرا ان الباقر فالباقر
جمع البقر كما يقال الجامل للجمل يجعلونه اسما للجنس ومن قرا تشابه علينا بتشديد الشين وضم الهاء
اراد تتشابه بحذف التانيث لاجتماع التايين كذا في قوله تعالى لعلكم تذكرون في الاصل تتذكرون
ومن قرا يشابه بالياء والتشديد اراد يتشابه فادغم التاء في الشين واجود القراات تشابه علينا بتخفيف
الشين وفتح الهاء وفي الاية بيان ان الكلام اذا قرن بالاستثناء كان اقرب الى النجح لان في ذكر الا
ستعانة بالله تعالى وتفويض الامر الى الله عز وجل والاعتراف لقدرته ونفاذ مشيته وروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لولا انهم استثنوا لما وجدوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال لولا انهم استثنوا لما اهتدوا اليها ابدا قوله عز وجل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا
يفعلون معناه قال لهم ان الله تعالى يقول انها بقرة ليست بذلول اى لم يذللها العمل لا تثير الارض ولا
تسقي الحرث اى ليست بجرانة ولا ناضحة لا يقلب الارض للزراعة ولا يسقى عليها الزرع مسلمة من العيوب
ليس فيها لون يفارق ساير لونها قالوا الآن بينت الصفة التي كنا نطلب بالصدق فذبحوها وما كادوا
يفعلون ذلك ارادوا ان لا يذبحوها لان كل واحد منهم خشي ان يكون القاتل من قبيلته وقيل ارادوا ان
لا يذبحوها لغلاء ثمنها روى انهم وجدوا بقرة على هذه الصفة عند رجل بار بوالديه كان يصلي ثلث الليل
وينام ثلث الليل ويجلس ثلث الليل عند راس امه يقول لها ان لم تقدري على القيام فسبحي الله وكبري
وهللي وكانت بقية بقر كانت لابيه لم يبق منهن غيرها فلما سالوه ان يبيعهم اياها للذبح فعرضوا عليه
ثمنها الى ان حتى اعطوه ملء مسكها ذهبا فباعها لهم فذبحوها وعن وهب بن منبه ان ملكا
جاء صاحب البقرة فقال لا تبعها الا بملء مسكها ذهبا وفي بعض الآيات ان هذه البقرة كانت لرجل
يبيع الجوهر فجاءه ابليس يوما من الايام بجراب من اللؤلؤ يساوي مائتي الف فعرض عليه بمائة الف
فلما اتفق العقد وجد الجوهري مفتاح الصندوق تحت راس ابيه وهو نايم فذهب ليوقظه ليرفع
المفتاح ثم قال في نفسه كيف اوقظ ابي لربح مائة الف فرجع فقال ان ابي نايم ثم قال اذهب
فاوقظه فاني ابيعك بمائتي الف فذهب ليوقظه فلم يحتمل قلبه حتى رجع فلم يزل الشيطان يحط
من الثمن حتى بلغ عشرة دراهم فلم يوقظ الرجل اباه وترك ذلك الشرا فجعل الله تعالى في ماله البركة

حتى

حتى اشتروا بقرة بملء مسكها ذهبا والله اعلم الذلول الدابة المرتاضة المحتنكة للعمل والذلول في
الدواب بمنزلة الذليل في الناس يقال رجل ذليل بين الذل ودابة ذلول بينة الذل والاثارة تقليب
الارض للزراعة والحرث الارض المهياة للزراعة اذا بذر فيها او غرسها وقال الخليل الحرث هو قذف
الحب في الارض للزراعة واما الزرع فهو الانبات والانماء قال الله تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه
ام نحن الزارعون وقيل في معنى قوله تعالى لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اى ليست بذلول وهي
تثير الارض ولا تسقي الحرث وعلى هذا استحسن ابو حاتم الوقف على الذلول ثم ابتدا وقال تثير الارض والاول
اصح عند عامة المفسرين رحمهم الله والله تعالى اعلم والوشية والشية خلط لون بلون يقال ثوب
موشى اذا كان مختلط اللون ونصب لا شية على النفي ولو قرى لا شية بالرفع والتنوين لجاز وفي الاية
دلالة على جواز الحكم بالظاهر مع تجويز ان يكون في الباطن خلافه لان المسلمة من العيوب لا تعرف
من طريق الحقيقة وانما تعلم من جهة الظاهر بالاجتهاد وغلبة الظن مع جواز ان يكون بها عيب باطن
قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون قد ذكرنا ان هذه
الاية مقدمة في النزول مؤخرة في التلاوة وتقديره واذكروا اذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها فا
تيتم موسى عليه السلام فسالتموه ان يدعو الله تعالى ليطلعكم على القاتل فقال لكم موسى عليه السلام ان
الله يامركم ان تذبحوا بقرة ونظير هذه الآيات قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا مقدم في التلاوة على قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم موخر عنه في النزول لان الاول ناسخ والثاني منسوخ ولا يكون الناسخ الا بعد المنسوخ
وذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى واذ قتلتم نفسا موخر في التلاوة والتنزيل جميعا لان حرف الواو
لا يوجب الترتيب وفي الاية ما يدل عليها لان الهاء في قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كناية عن مذكور
سابق وليس هاهنا مذكور سابق الا البقرة فكانه قال ببعض البقرة التي سبق ذكرها والترتيب في
الاخبار لا يقتضي وقوع الخبر على حسب ترتيب الخبر الا ترى ان الرجل يقول اعطيت زيدا الفا وعمرو اذ
بنى داره لا يريد به ان العطية كانت قبل البناء ومعنى قوله تعالى فادارءتم اختلفتم وتدافعتم والقى
بعضكم القتل على البعض من الدرء وهو الدفع يقال درات فلانا اذا دفعته ودارته اذا لاينته
واصل ادارءتم تدارءتم ثم ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجها فلما ادغمت سكنت فاجتلبت لها
الف الوصل للابتداء وعلى هذا اذكروا فيها وانا قلتم واطيروا ومعنى قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون
اى مظهر ما كنتم تخفون من امر القاتل وفي الاية دلالة ان ما يقصد العبد ستره من خير او شر فان الله
سيظهره كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان عبدا اطاع الله تعالى من وراء سبعين حجابا
لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية قوله عز وجل فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي
الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون المعنى اى قلنا لهم اضربوا المقتول ببعض البقرة اى ببعض
منها قال الثعلبي رحمه الله بفخذها الايمن وقال ابن جبير بعجب الذنب يقال ان الارض لا تاكله وعليه
يركب الخلق يوم القيامة وقال الضحاك اراد ببعضها بلسانها وقال السدي بالبضعة التي بين
كتفيها وهذا من الاختلاف الذي لا فايدة فيه وفي الاية اضمار كانه قال فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه
فحيي المقتول روى انه لما ضربوه جلس واوداجه تشخب دما فسالوه من قتلك فقال فلان وفلان
لابني عمه ثم اضطجع فمات واخذا فقتلا يقول الله تعالى كذلك يحيي الله الموتى اى كما احيى
عاميل فكذا يحيي ساير الموتى ويريكم عجايب قدرته لتعرفوا احياء الموتى وغير ذلك ويقال لكي
تعقلوا ما امرتم به وتفهموا عنه واراد بعقلا عقلا مخصوصا لان القوم كانوا عقلا اذ يستعمل

خطاب الله تعالى لغير العقلاء وكان الله تعالى قادرا على احيا المقتول بغير هذه الاسباب الا ان الله تعالى امرهم بضرب المقتول بشي لما تواحيا ته لاحيا الميت بالميت اكد دلالة واثبت قدرة وقد روي عن ابي عبيدة السلماني انه ذكر قصة البقرة ثم قال لم يورث القاتل ثم قضت السنة ان لا يورث قاتل بعد صاحب البقرة وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال القاتل لا يرث وهذا الخبر تلقته الامة بالقبول كقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها الخبر ولا خلاف بين الامة ان من قتل اخاه عمدا وله اخ آخر ان القاتل يلزمه القصاص قال الله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل فلو كان القاتل وارثا لكان له نصيب من الدم فكان لا يجب القصاص واجمعت الامة على وجوبه واذا لم يرث احد بعد لي الدم لم يورث الدية في قتل الخطا وحكم سائر الاموال حكم الدية لان دية المقتول يقضي منها ديونه وينفذ وصاياه وقال عثمان البتي قاتل العمد لا يرث فاما قاتل الخطا فوارث وذهب مالك الى ان قاتل العمد لا يرث فاما قاتل الخطا لا يرث الدية ويرث سائر الاموال وفي الاية دلالة على ان من ابتلي بامر من الامور وسال الله تعالى ان يكشف له ذلك او سال حاجة اخرى فان سبيله ان يقدم على سواله نوعا من القربة حتى يكون ذلك اقرب الى الاجابة فان بني اسرائيل كانوا يعدون القربان من افضل القرب حتى جعلوا القربان بيت مذبح على حده وكان لا يدخل ذلك البيت الا احبارهم فامرهم الله تعالى بتقديم هذه القربة ليتبين لهم امر القتيل بعد ذلك وجعل ذلك تعليما لسائر الناس والله اعلم قوله عز وجل ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون معناه وكان الله تعالى لما اخبرنا انعم به على بني اسرائيل وما اراهم من الايات التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قال فقد علمتم حق معرفتهم وظهر لهم ثم قست قلوبكم يقول غلظت ويبست قلوبكم من بعد احيا الميت ويقال من بعد هذه الايات التي تقدمت من مسخ القردة والخنازير ورفع الجبل وخروج الانهار من الحجر وغيرها فهي كالحجارة في الشدة واليبس بل اشد يبسا وغلظا ثم اخبر الله تعالى الحجارة وعاب قلوبهم اخبر ان من الحجارة ما يكون فيه رطوبة سائلة لليبس وان منها ما يخاف الله تعالى فيما امر فلا يمتنع من ارادة الله تعالى وبنو اسرائيل مع كثرة نعمة الله عليهم وكثرة ما اراهم من الايات يمتنعون من طاعته ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقه فذلك قوله عز وجل وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار يقول ان من الحجارة لحجرا تنفجر منه العيون وان منها لحجرا يتصدع فيخرج منه الما لما يكون دون الانهار وان منها لما يتردى من اعلى الجبل الى اسفله من مخافة الله تعالى قال بعضهم اراد الله تعالى بذكر الجبل الذي تجلى الله له حين كلم موسى عليه السلام وقيل لا يهبط شي من الجبال بخوف سيظاهر الامر يجعل فيه التمييز قال الله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله معناه لو جعلنا في الجبل تمييزا ثم انزلنا القران عليه لرايته خاشعا وقال بعضهم معناه وان منها لما يهبط من خشية الله اي بخشية الله تعالى كما قال الله تعالى يحفظونه من امر الله اي بامر الله فكذلك الله تعالى اراد بهذه الاية الجبال التي في السما من البرد كما قال عز وجل وينزل من السما من جبال فيها من برد والله تعالى ينزل البرد من السما خشية ليخوف بذلك عباده وقال بعضهم ان من الحجارة ما يدعو المتفكر فيه الى خشية الله تعالى لما فيه من الايات والدلالات على الله تعالى واضاف الخشية الى

الحجر

الحجر اذ كان التفكر فيه هو الداعي الى الخشية وهذا كما يقال ان فلانا بالمال ينطق الناس اي اذا راى الناس ماله قالوا ما اكثر مال فلان وما احسن ماله ويقال للفلاة ناقة تاجرة اي انها تحمل الناظر الى نفسها تنطق من يريد شراها وقال بعضهم هذا على طريق المثل اي من الحجارة ما كانه يهبط من خشية الله تعالى لانقياده لامر الله تعالى وهو حق لو حصل لكم من هو عاقل لدل ذلك على خشيته من الله تعالى وهذا كقوله جدارا يريد ان ينقض معناه كانه يريد ان ينقض كما قال الشاعر وهو جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع وانما نزل القران على لغة العرب على ما يتعاهدونه فيما بينهم فمن نطق بشي من هذا فيطعن عليه فانما نطق على لغة العرب وقوله وما الله بغافل عما تعملون تهديد ووعيد اي ان الله تعالى لا يخفى عليه شي من اعمالكم واذا علم اعمالكم جازاكم عليها في الدنيا و والقسوة في اللغة الصلابة في كل شي وهي في القلوب ذهاب اللين والرحمة والخشوع وقيل هو ان يلتبس القلب عن المعاصي من خشية الله ومن شفقة الخلق وخوف الله وقوله تعالى او اشد قسوة يحتمل ان يكون للتخيير كما يقال جالس الحسن او ابن سيرين اي ان شبهت قسوة قلوبهم بالحجارة كان تشبيها لهم وان شبهت بما هو اشد قسوة كان تشبيها لهم ويحتمل ان يكون بمعنى بل كما في قوله تعالى الى مائة الف او يزيدون وقوله تعالى كلمح البصر او هو اقرب ويحتمل ان يكون بمعنى واو النسق كقوله تعالى ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن ومعناه وابائهن ويحتمل ان يكون معناه من قلوبهم ما هو كالحجارة في القسوة ومنها ما هو اشد قسوة منها وذلك كقوله ما اطعمتك الا حلوا او حامضا ويحتمل ان يكون للابهام على العباد والله عالم بذلك غير شاك فيه وهذا كالرجل يقول لصاحبه اكلت خبزا او تمرا لا يشك القايل في ايهما اكل ولكنه لا يريد ان يبينه لصاحبه وانما شبه الله قلوب القوم بالحجر دون الحديد والصفر والله اعلم ان الحديد والصفر تلينهما النار والحجارة لا تلينها النار واما القراة في قوله تعالى او اشد قسوة من قرا بالنصب فلانه في موضع الخفض الا انه على وزن افعل ففتح ومن قرا بالرفع فعلى اضمار هي فاما تعملون يقرا بالتا واليا والتا اليق بالاية لان الاية كلها على لفظ مخاطبة الحاضرين والغفلة والسهو واحد الا ان الغفلة هي ذهاب الشي عن النفس بعد حضوره قوله عز وجل افتطمعون ان يومنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون خطاب للمومنين كلهم والحكاية قصة اليهود التي قصها الله على المومنين والمعنى والله اعلم كيف ترجون ايها المومنون ان يصدقكم اليهود فيما اتى به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وقد كانت طائفة من اليهود ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم يسمعون كلام الله تعالى ويعلمون انه حق ثم يعاندون فيحرفونه ويبدلونه من بعد ما فهموه وهم يعلمون ما غيروا منه قال الكلبي يعني بالفريق السبعين الذين ساروا مع موسى عليه السلام الى الطور وسمعوا لما اخذتهم الرجفة واحياهم الله بدعا موسى عليه السلام قالوا يا موسى اسمعنا كلام الله تعالى فطلب موسى عليه السلام ذلك فاجابه الله عز وجل فامرهم ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ويصوموا ففعلوا ثم خرج بهم موسى عليه السلام حتى اتى الطور فلما غشيهم الغمام سمعوا صوتا كصوت الشبور فوقعوا لله تعالى سجدا فسمعوا كلام الله تعالى يقول اني انا الله ربكم لا اله الا انا الحي القيوم لا تعبدوا الها غيري ولا تشركوا

والخضوع

الألوكة
www.alukah.net

ن شيئا واوصيكم ببر الوالدين وان لا تحلفوا بالله كاذبا ولا تشربوا ولا تزنوا ولا يغتب بعضكم بعضا
ولا تشهد بعضكم على بعض شهادة زور واطعموا المساكين وصلوا القرابة ولا تظلموا اليتيم و
لا تقهروا الضعيف فلما سمعوا الكلام طارت ارواحهم من اجسادهم ثم ردت اليهم فقالوا ذهبت ثم
يا موسى انا لا نطيق ان نسمع كلام الله تعالى ربنا عز وجل فكن انت بيننا وبين ربنا تعالى خلفه
فلما رجعوا قال فريق منهم في آخر حكايته ثم قال انا فان لم تستطيعوا ان تتركوا ما نهيتكم عنه فافعلوا
وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالفريق الذي ذكر الله عنه في هذه الآية علماء اليهود وتحريفهم
التورية تاويلهم على غير الوجه الذي انزله الله تعالى والالف في ابتداء هذه الآية استفهام و
يجري مجرى انكار الطمع والطمع تعليق النفس بما يتوقع من النفع والفريق والنفر والطائفة
والحزب واحد وهو قطعة من الناس والتحريف تغيير الكلام عن معناه الى معنى قريب الشبه به
ويقال هو تغيير الامر عن طريقه الى جهة حرف والحرف الحد المايل ومنه تحريف الطعنة اذا
املتها الى شق والغرض من الآية والله اعلم تعزية اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ان اليهود
ان جحدوا وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم سابقة في الكفر والتحريف وفي الآية
دلالة على ان العالم بالحق المعاند فيه ابعد من الرشد واقرب الى الياس من الصلاح من
الجاهل لان قوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم يفيد زوال الطمع في رشدهم لمكابرتهم
الحق بعد العلم قوله عز وجل واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى
بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون
اختلف المفسرون في هذه الآية قال اكثرهم ان المراد بهذه الآية المنافقون من اهل الكتاب في وقت
موسى عليه السلام فانه كانت قوم موسى عليه السلام منافقون كما في امتنا وقال بعضهم المراد
بهذه الآية المنافقون من هذه الامة وانما ذكرهم الله مع اليهود في هذا الموضع لانه كان
ذكرهم في اول السورة ولان اكثر منافقي هذه الامة كانوا من اليهود قبل مبعث نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وكانوا بعد متعقدين مع اليهود في التحزب واحدا في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلهذا جاز ان يذكرهم معهم فذلك قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا يقول اذا لقي المنافقون المخلصين قالوا لهم آمنا كايمانكم واذا خلا بعضهم الى بعض
يقول اذا خلا المنافقون الى رؤسائهم في الكفر قالت لهم رؤساؤهم اتخبرون المؤمنين
بانهم على الحق لتكون لهم الحجة عليكم عند الله تعالى في الدنيا والآخرة اذ كنتم مقرين بصحة
امره ولم تتبعوه على دينهم افلا تعقلون ان ذلك حجة لهم عليكم ومن قال ان المراد بالآية
المنافقون في هذه الامة اراد برؤساء الكفار كعب بن الاشرف وغيره كانوا يقولون
لعبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين لما اقررتم بصحة نبوة هذا النبي الامي صلوات الله
عليه وسلامه وان ذكره في التورية حق تاكدت حجة محمد عليكم عند الله تعالى يريدون
بذلك صرف المسلمين عن الدين وكتمان بعث النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وربما
كانوا يقولون للمنافقين اتحدثون الناس بما فتح الله تعالى على يدي محمد صلى الله عليه
وسلم في المغازي من اطعام الخلق الكثير بالطعام اليسير وسقي الخلق العظيم من قدح ماء

لا بجرا اصابعه واخباره يوم بدر بمصارع القتلى قبل ان قتلوا وكان النبي صلى الله عليه
قال لهم قبل القتال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فقتل كل انسان في الموضع الذي اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم انه مصرعه فكان من حضر من المنافقين اهل وان مع النبي صلى الله
عليه وسلم اذا رجع الى موضعه اخبر بما شاهد من النبي صلى الله عليه وسلم من مثل هذه الامور
فقالت لهم رؤساء اليهود الا تعلمون ان مثل هذه الاخبار حجة عليكم في الدنيا والآخرة وهذا
من تمويه اهل الكتاب وقصدهم كتمان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التحديث
والتحدث ماخوذان من الحدث وهو الاخبار عن حوادث الزمان واصل الفتح هو فتح المغلق ثم
استعمل في مواضع كثيرة من فتح البلدان كما يقال فتح المسلمون دار الحرب وفي فتحك على من
يستقرئك كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم التبست عليه القراءة في الصلوة فلما فرغ قال
لأبي هلا فتحت علي وقد يكون الفتح بمعنى الحكم كما في هذه الآية قوله تعالى بما فتح الله
عليكم اي قضى الله عليكم وكما في قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ويسمى القاضي
الفاتح بلغة عمان وقد يكون الفتح بمعنى النصرة يقال استفتحت فلانا اذا طلبت منه النصرة
قال الله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يطلبون النصرة عليهم والمحاجة
والمناظرة واحد وهو مجادلة كل واحد من الخصمين لاقامة الحجة على خصمه قوله عز وجل
اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون معناه يقول اولا يعلم المنافقون
ولام ان الله يعلم ما يسرون فيما بينهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويعلنون مع اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم من التصديق به او لا يعلم رؤساء الكفر ما يسرون من صفة محمد صلى
الله عليه وسلم في كتابهم ويعلنون من جحودها عند القوم والاسرار في اللغة هو اخفاؤها
في النفس والاعلان هو اظهارها وراء النفس قوله عز وجل ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
شم الا اماني وان هم الا يظنون معناه من اليهود من لا يحسن قراءة الكتاب وكتابته الا ان يحد
رؤساؤهم بشيء فيقبلونه يظنون انه الحق وذلك القول في نفسه كذب والاماني على ثلاثة اوجه
قد تذكر والمراد بها الاكاذيب ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي ما كذبت
وتذكر ويراد بها ما يتمناه الانسان ويشتهيه يعني انهم يتمنون ما لا يعلمون قال ابو العالية
يتمنون على الله تعالى ما ليس لهم وهذا اللفظ مستعمل في كلام الناس يقال للذي يقول ما لا حقيقة
له وهو يجده هذا اماني وهذه امنية وقد تذكر ويراد بها الامنية التي هي التلاوة ومنه قوله تعالى
ن اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي اذا تلا القرآن القى الشيطان في تلاوته فيكون معنى الاماني
في هذه الآية على هذا القول ان من القوم اميون لا يعرفون من التورية شيئا سوى تلاوته و
انهم الا يظنون ظنا من غير يقين وقد اختلفوا في ماخذ الامي قال بعضهم ماخوذ من الامة و
هو منسوب الى ما عليه جبلة الامة الامية وقيل ماخوذ من الام وهو الذي يكون على اصل ولادة
لون الام لم يتعلم الكتابة ولا القراءة قوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
نزلت هذه الآية في علماء اليهود الذين غيروا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية فكتبوه آدم
سبطا طويلا وكانت الصفة فيها انه اسمر ربعة فبدلوا وقالوا للسفلة هذا من عند الله نزل في
التورية يقول الله عز وجل الويل لهؤلاء الذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون ذلك الى
الله عز وجل ومعنى الويل الشدة في العذاب ويقال هو الهلاك وهذه كلمة تستعمل في كل من وقع

الألوكة
www.alukah.net

في الهلاك ويقال معنى الويل الخزي ويكنى عنه بويس وويح ويقال معنى الويل القبح وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ الى قعره وفي بعض الاخبار ان الويل واد في جهنم تسيل فيه صديد اهل النار و
معنى قوله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا وهو ما كانوا يأخذونه من
المأكلة والهدايا من اغنيائهم واما اعادة ذكر الويل في الاية فللتأكيد الحق الله بهم
ثلاث ويلات فيما غيروا من الكتاب ومعنى قوله تعالى مما يكسبون اي يصيبون من الهدايا
والفضول واصل الويل في اللغة حكايات صوت الصارخ اذا اصابته نازلة كما قال الله
تعالى يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وقال عز من قائل يا ويلتنا ما لهذا الكتاب واما
اضافة الكتابة الى اليد في الاية ولا تكون الكتابة الا باليد لتحقيق اضافة الفعل الى
الفاعل مثاله قول الناس لمن ابتدع مذهبا او اخترع قولا لم يسبق اليه هذا شيء
تقولته انت وهذا قولك ومذهبك يريدون بذلك انك قلت هذا القول من تلقاء نفسك
والكسب هو طلب الرزق وحقيقته الفعل الذي تستجلب به المنفعة او يستدفع به المضرة
ولهذا لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالمكتسب وفي ظاهر قوله تعالى ليشتروا به ثمنا
قليلا دلالة انه لا يجوز اخذ الاجرة على تعليم الكتاب قوله عز وجل وقالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون معناه قالت اليهود لن تصيبنا النار الا اياما قليلة قال ابن عباس رضي الله عنهما
في رواية الكلبي رحمه الله عنوا بذلك الايام التي عبدوا فيها العجل وقد اختلفوا في مقدار ايام عبادتهم
العجل قال بعضهم عشرة ايام وقيل سبعة ايام ويقال اربعون يوما وقيل ان هذا لا يصح لان العجل كان
عبده اباؤهم وقد تابوا من ذلك وروي عن عكرمة عن ابن عباس انهم عنوا بهذا القول سبعة ايام
مقدار عدد ايام الدنيا قالوا نعذب اياما قليلة ثم يشفع لنا اباؤنا وعن مجاهد انه قال كانت
اليهود تقول الدنيا سبعة الاف سنة والعذاب مكان كل الف سنة يوم وقيل ان مذهبهم كان انه يعذب
جهنم كما لا يرون الخلود في النار فقيل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم اعهد الله اليكم عهدا ان لا يعذبكم
الا هذا المقدار فلن يخلف الله عهده ووعده ام يقولون على الله تعالى الكذب وما لا علم لكم به وروي انه
يقال لهم عند مضي الاجل يا اعداء الله تعالى قد مضى الاجل وبقي الابد فيوقنون بالخلود وينقطع رجاؤهم
والمعدودة في اللغة القليل يعني الشيء على مقاربة القرب ولفظ المعدودة للقليل كما قال الله تعالى وشروه بثمن
بخس دراهم معدودة اي قليلة وكذلك قوله تعالى في اية الصيام اياما معدودات معناه والله اعلم
لم يكلفكم تعالى الصوم على ما يشق ويصعب عليكم انما كلفكم اياما معلومة وقد احتج مشايخنا رحمهم الله
من الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المستحاضة تدع الصلوة ايام اقرائها وعن قوله
صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك ان اقل الايام ثلاثة واكثرها عشرة يقال لما دون الثلاثة
يوم ويومان وفيما زاد على العشرة احد عشر يوما وليس لاحد ان يعترض على هذا الاستدلال بقوله
تعالى في اية الصيام اياما معدودات اراد بها الشهر كله لان ظاهر لفظ الايام الثلاث الى العشرة
على ما بيناه الا انه قد يذكر ويراد به الزيادة كما يقال ايام بني امية وايام الحجاج وقد فسر الله
عز وجل ايام الصيام بالشهر فانعقد بذلك التفسير فاما ايام الحيض فمبهمة ولا بد ان تكون محصورة
لان الاحكام تختلف بحال الحيض والطهر فكان حمل اللفظ على ظاهره وحقيقته اولى والاتخاذ هو جعل
الشيء على ... والاخلاف هو نقض العهد بالفعل والالف في قوله عز وجل اتخذتم همزة استفهام معناه

التوبيخ

التوبيخ في الاعلام لهم ولغيرهم ان الامر ليس كما قالوا وانهم يقولون بغير علم والاصل في قوله اتخذتم أاتخذتم
بهمزتين لكن حذفت الهمزة الاصلية للتخفيف ومن قرأ اتخذتم بكسر الالف فلان فيما بعد ذلك دليل الاستفهام
وهو قوله تعالى ام يقولون على الله ما لا تعلمون قوله عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون رد من الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
يقول الله عز وجل ليس كما يقولون من كسب سيئة يعني الشرك واحاطت به خطيئته اي سدت عليه طريق
التوبة ومات على الشرك وقال السدي المراد بالسيئة الذنوب التي وعد الله تعالى عليها العقاب واما الخطيئة
فهي الشرك ولا بد من ان تكون الخطيئة اكبر من السيئة لان ما احاط بغيره كان اكبر منه وقوله تعالى فاولئك
اصحاب النار اي اهل هذه الصفة اصحاب النار هم فيها مقيمون دائمون واصل بلى بل وهو لرد الكلام المنفي
واثبات كلام اخر مبتدأ وانما زيدت الياء فيه ليحسن عليها الوقف وقال بعضهم اصله بل الحقت
قال الفراء بلى جواب النفي بالايجاب كما ان نعم جواب الايجاب واذا قال قائل اما لي عليك درهم على طريق الاستفهام
فقلت بلى يجب عليك درهم واذا قلت نعم لا يجب عليك شيء كانه ذهب الى ان نعم اعادة لفظ السؤال من المجيب
واما بلى فهو اثبات كلام مبتدأ قال الله تعالى الست بربكم قالوا بلى وقال عز من قائل فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا قالوا نعم والاحاطة الاحداق والارادة بالشيء والخطيئة والسيئة في اللغة واحد وقد فصل بينهما في الاية
استحقاق النار بكسب السيئة واحاطتها به فكان الجزاء مستحقا بوجود الشرطين غير مستحق بوجود احدهما
وهذا يدل على ان من عقد اليمين على شرطين من طلاق او عتق او غيرهما انه لا يحنث بوجود احدهما دون
وجودهما قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
اخبر الله عز وجل ان الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تعالى وبنبوة رسله عليهم السلام وعملوا الصالحات
فيما بينهم وبين ربهم اي ادوا الفرائض اهل هذه الصفة في الجنة خالدون مقيمون دائمون والاصحاب
السواكن يقال صاحب الدار وساكن الدار وروي انه اذا سكن اهل الجنة الجنة واهل النار النار جيء
بالموت على صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هذا الموت يذبح ويقال لاهل
النار يا اهل النار هذا الموت يذبح فينظرون اليه فيعرفونه لانهم كلهم رأوه وذاقوه فيذبح بين الجنة
والنار فلو مات احد من اهل الجنة فرحا لمات اهل الجنة حين أيسوا من الموت ولو مات احد من
اهل النار حزنا لمات اهل النار حين ايسوا من الموت والخروج من النار قوله عز وجل واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا
للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون راجع الى
قصة اليهود لان الله تعالى خاطب الناس كلهم في اول هذه السورة بقوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم ثم
خاطب بني اسرائيل بزيادة نعمه عليهم تارة عدل من خطاب الخلق الى خطاب بعضهم وتارة عدل من خطاب
الكفار الى خطاب المؤمنين ومن ذكر المخلصين الى ذكر المنافقين لان الغرض من هذه الايات كلها ان
يصير الناس كلهم امة واحدة وتكون كلمتهم كلمة واحدة ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ
كلفنا بني اسرائيل لا تعبدون الا الله تعالى اي امرناهم باخلاص العبادة لله تعالى وان يحسنوا بالوالدين
احسانا برا بهما وعطفا عليهما وقيل تقديره وقوله تعالى وبالوالدين احسانا ووصيناهم بالوالدين احسانا
وهذا احسن من الاول لانه لا يقال احسن بالوالدين وانما يقال احسن الى الوالدين فاما قوله تعالى وذي
القربى اي ووصيناهم بصاحب القرابة بصلة الرحم واليتامى والمساكين اي الاحسان الى اليتامى والمساكين
وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا بعد رعاية المطابقة التي طلبه كما قال الشاعر هو كثير اسيئي بنا
او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت قال الكلبي ومقاتل في معنى قوله حسنا قولوا ان ...

الرؤساء من اليهود المعاندين ثم لاحقًا لا صدقًا ويقولوا لهم صدق النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في التورية ولا
يكتموها وادوا الصلوة بحقوقها كما فرض الله تعالى واعطوا الزكوة ثم اعرضتم ايها اليهود عن الميثاق ق
الذي اخذنا عليكم الا قليلا منكم وهو عبد الله بن سلام ومن اسلم معه من اليهود وانتم معرضون
على الاعراض تاركون لما اخذنا عليكم من المواثيق وقال الزجاج معنى قوله تعالى توليتم اي اوايلكم الذين
اخذ عليهم الميثاق واما قوله تعالى وانتم معرضون خطاب للذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم اي وانتم كاوايلكم في الاعراض عن العهد الذي اخذ عليكم والاخذ هو نقل الشيء من يد المعطي الى
يد غيره وكان المراد بالاية اعطوا الميثاق اخذ الله تعالى عليهم الميثاق والميثاق عهد مؤكد باليمين
او بالوعيد وقرئ لا يعبدون بالياء والتاء وهما قريبتان في المعنى يقال قل لفلان يركب وقل له تركب
ورفع قوله تعالى لا تعبدون لانه جواب القسم وقيل تقديره ان لا تعبدون فلما اسقطت ان
رفعت والاحسان في اللغة هو النفع الحسن وقد اختلفوا في القول الحسن في هذه الاية قال بعضهم
هو عام للناس كلهم كانوا متعبدين بذلك من الكافر والمسلم وقيل ان ذلك على معنى قوله تعالى ادع
الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن والاحسان المذكور في الاية انما
هو الدعاء اليه والنصيحة لكل احد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك كله حسن وعن ابي جعفر عن
قتادة ان هذه الاية منسوخة بالامر بالقتال وقد قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم فاباح الجهر بالسوء في الظالم وقد امر الله تعالى بلعن الكفار والبراءة منهم والانكار على
اهل المعاصي وهذا مما لا يختلف فيه شرايع الانبياء صلوات الله عليهم فعلى هذا قوله تعالى وقولوا للناس
حسنا هو احد وجهين اما ان يكون خاصا في المسلمين ومن لا يستحق التكبير واما ان يكون عاما في
الدعاء الى الله تعالى على وجه النصيحة والقربى والقرابة واحدهما ولادة يرجع اليها بالاضافة يرجع
في الولادة فانه ما من نسبين الا وبينهما قرابة الا ان القرابة اذا بعدت لم يعتد بها في العادة
واذا قربت اعتد بها واليتامى جمع اليتيم وهو الذي لا اب له ممن لا يبلغ الحلم واسم اليتيم لا يستعمل
في الادميين الا فيمن فقد اباه ولا يستعمل في الدواب الا فيمن فقد امه والمساكين جمع المسكين
وهو الذي اسكنه الفقر مأخوذ من السكون والايتاء الاعطاء يقال آتيته اعطيته وأتيته مقصورا
اذا جئته والقلة عدة اقل من عدة ولا يقال ذلك الا بالاضافة والنصب قليلا على الاستثناء
معناه استثنى قليلا منكم والاعراض هو الذهاب عن مواجهة الشيء الى غيره وفي الاية دلالة
وجوب الاحسان الى الوالدين مؤمنين كانا او كافرين ووجوب صلة الرحم والاحسان الى اليتامى
والمساكين لان الله تعالى قرن ذلك كله بالتوحيد المذكور في اول الاية قوله عز وجل واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون
بيان ميثاق النهي فاما الاية التي قبل هذه الاية بيان ميثاق الامر ومعنى هذه الاية والله اعلم
واذكروا اذ اخذنا ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام لا يصبون دماكم اي لا
يقتل بعضكم بعضا ولا يخرج بعضكم بعضا من دياركم ثم اقررتم اي اعترفتم بان هذا العهد قد
اخذ عليكم وعلى اوايلكم وبذلتموه من انفسكم وانتم ايها الباقون المخاطبون شاهدون على من
تقدمكم باخذنا منهم الميثاق وبما بذلوه من انفسهم ويجوز ان يكون معنى قوله تعالى لا تسفكون
دماكم اي لا يقتل احد منكم غيره فيقتل به فيكون في معنى من قتل نفسه وهذا كقوله صلى الله
عليه وسلم اشد الناس جرما من سب ابويه فقيل يا رسول الله كيف يسب الانسان ابويه قال
يسب غيره حتى يسب ذلك ابويه واحتمال اللفظ للمعنيين يوجب ان يكون عليهما جميعا د

النفس

والنفس تضاف الى صاحب النفس اضافة الغير اليه ونظيره قوله تعالى ولا تخرجون انفسكم من دياركم
قوله تعالى فاقتلوا انفسكم وقوله عز من قايل فسلموا على انفسكم والدار اسم للعرصة والابنية والمحلة
وكل موضع نزل فيه القوم فهو دارهم هكذا قاله الخليل رحمه الله وقال بعضهم الدار المنزل الذي يجمع
الابنية والمقام بخلاف المنزل الذي يكون للارتحال والاقرار والاعتراف واحد وهو الايجاب بحضور
والشاهد هو المخبر عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة ويجوز ان يكون قوله تعالى
ثم اقررتم راجعا الى اوايلهم وقوله تعالى وانتم تشهدون راجع الى المخاطبين خاصة قوله عز وجل
ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان
وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون خطاب ليهود بني قريظة والنضير كانت بنو قريظة حلفاء
الاوس وبنو النضير حلفاء الخزرج وكان كل واحد من الفريقين يقاتل الفريق الاخر فاذا غلب عليهم خربوا
وسبى ذراريهم واخرجهم من ديارهم يقول الله تعالى ثم انتم هؤلاء معشر اليهود تقتلون انفسكم اي
يقتل بعضكم بعضا ويخرج بعضكم بعضا من ديارهم يتعاونون عليهم بالمعصية والافراط في الظلم
وقوله تعالى وان ياتوكم اسارى تفادوهم متصل في التقدير بقوله تعالى في الاية التي قبل هذه الاية
ولا تخرجون انفسكم من دياركم لان قوله تعالى وان ياتوكم اسارى داخل في الميثاق ومعناه فكوا
اسراكم من عدوكم بالفداء كان في الاية تقديما وتاخيرا واما قوله تعالى وهو محرم عليكم اخراجهم متصل
بالاثم والعدوان معناه ان الاخراج من الديار محرم عليكم اعاد ذكر الاخراج من بعد لتراخي الكلام
وقوله عز وجل افتؤمنون ببعض الكتاب وهو مفاداة الاسير وتكفرون ببعض وهو القتل والاخراج
من الديار وذلك ان القوم كانوا يفعلون هذا الفعل ويكتمون العهد الذي اخذ عليهم في التورية
فامر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بالعهد الذي في التورية ويذكرهم ذلك
العهد فاعترفوا ثم وبخهم بالقتل والاخراج من الديار على مخالفة ما في التورية وفي هذا دلالة
نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اخبرهم بشيء كتموه في كتبهم وهو امي لم يقرا الكتب فاما قوله
تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا يقول ما جزاء من يؤمن ببعض الكتاب
ويكفر ببعض الا ذل وهوان في الحيوة الدنيا ويقال اراد بالخزي قتل بني قريظة واجلا بني
النضير ثم اخبر جل ذكره ان ذلك الخزي غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم صايرون بعده الى
عذاب عظيم بذلك قوله تعالى ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب قوله تعالى وما الله
بغافل عما يعملون اي لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ويجازيهم على ما عملوا وذهب بعض
المفسرين الى ان هذه الاية على نظمها وانه ليس فيها تقديم ولا تاخير لان اليهود كانوا يخرجون
الضعفاء من ديارهم وكان اذا اسر ضعيف منهم الى غيرهم فدوه ويقال كانوا اذا قاتل احد
الفريقين الاخر قتلوا وسبوا واذا اسر احد من الفريقين من جهة المشركين اجتمعوا ففدوه
والله تعالى اعلم وذهب الزجاج في قوله تعالى ثم انتم هؤلاء الى ان معناه ثم انتم الذين
تقتلون انفسكم وقال ان تقتلون صلة لهؤلاء مثاله قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى
معناه ما التي بيمينك ويجوز ان يكون قوله تعالى هؤلاء بمعنى النداء كانه قال انتم يا هؤلاء
تقتلون انفسكم وهذا كما يقال محمد يا مسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان
يكون معنى يقتلون انفسكم قتلتم وقد يجيء المستقبل في الكلام بمعنى الماضي والماضي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بمعنى المستقبل قال الله تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا معناه الا ان امنوا وقال تعالى واتبعوا ما
تتلوا الشياطين معناه تلت الشياطين واما معنى التعاون تظاهرون فكل واحد من التعاونين
يكون ظهرا لصاحبه والظهير المعين واما تشديد الظاء في قوله تظاهرون فلان اصله تتظاهرون
ادغمت احدى التائين في الظا لقرب مخرجهما ومن قرا تظاهرون بالتخفيف فقد حذف التا الثانية لاجتماع
التائين والاثم والعدوان والوزر والجرم واحد وهو الفعل الذي يلام صاحبه عليه والعدوان
مجاوزة الحد يقال عدا فلان ظلما يعدو عدوا وعدوانا اذا افرط وجاوز والاسرى جمع الاسير كمريض ومرضى واما
اسارى فهو جمع الجمع كما يقال سكرى وسكارى والاسير المأخوذ في الحرب المشدود في القيد
والفدا هو بذل الشي على سبيل الصيانة والمحرم من الحرام وهو الممنوع عنه بالنهي كما ان الحلال هو المطلق
فيه الاباحة والجزا هو الثواب على الخير والعقاب على الشر واما الخزي فيقال في السوء والشر خزي يخزى
خزيا فاما في الحيا خزي يخزى خزاية واصل الكلمة هو الحيا فانه اذا قيل للانسان اخزاه الله كان
معنى هذا الكلام اوقفه الله موقفا يستحيي منه ويسمى الذل خزيا لانه يستحيى منه وفي الاية دلالة ان
فكاك الاسير كان واجبا عليهم وكان اخراج فريق من ديارهم محرما عليهم وهذا ثابت في شريعتنا يدل
عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعموا الطعام وافشوا
السلام وعودوا المريض وفكوا العاني وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما على من فدا الاسير
فقال رضي الله عنه على الارض التي يقاتل عنها قوله عز وجل ﴿اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ معناه اهل هذه الصفة هم الذين اثروا و
استبدلوا الفانية على الباقية فلا يهون عليهم العذاب ولا لهم مانع يمنعهم عذاب اذ منعهم من العذاب وقيل
لا يعاونون بتخفيف العذاب عنهم والتخفيف من الخفة والخفة هو النقصان في الوزن قوله عز وجل
﴿ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾
معنى الاية والله اعلم اعطينا موسى عليه السلام التورية قال الكلبي رحمه الله انزل الله تعالى عليه التورية
جملة واحدة فامره ان يحملها فلم يطق حملها فبعث الله تعالى بكل اية ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله
تعالى بكل حرف ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى على موسى عليه السلام فحملها وعمل بها ومعنى
وقفينا اردفنا واتبعنا ارسلنا رسلا يقفو بعضهم بعضا في دعا الخلق الى عبادة الله تعالى واعطينا عيسى
بن مريم الايات والدلالات التي يعرف بها الخلق من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص ونحو ذلك من
الايات واعناه بجبريل الطاهر عليه السلام افكلما جاءكم معشر اليهود رسول بما لا يوافق هواكم ولا
تميل اليه انفسكم تعظمتم من ان تكونوا اتباعا ففريقا كذبتم مثل عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه
وفريقا تقتلون مثل زكريا ويحيى عليهما السلام والتقفية في اللغة هو الاتباع وهو مأخوذ من قولهم
قفوت الرجل اذا ذهبت في اثره ومنه سميت القوافي لاتباع بعضها بعضا ومنه القفا وهو خلف الوجه
فمعنى قفينا اي بعثنا الرسل بعضهم خلف بعض في الرسل جمع الرسول والرسول هو الذي اوحى الله تعالى
اليه المميز عن غيره بالمعجز الدالة على صدقه والبينات الحجج والبراهين الصادقة والتأييد التقوية
ومنه الايد الذي هو القوة قال الله تعالى والسما بنيناها بايد اي بقوة وقال تعالى واذكر عبدنا داود
ذا الايد وانما سميت اليد من البدن يدا لان القوة تظهر فيها من الاخذ والبطش ومعنى تأييد عيسى عليه السلام
بجبريل عليه السلام لان اليهود لما ارادوا قتل عيسى عليه السلام رفعه جبريل عليه السلام الى السما و
سمي جبريل عليه السلام روح القدس لانه يحيي به حيا القلوب بالاسلام والقدس الطاهر وقال السدي

المبارك

المبارك وقال ابو زيد القدس والقدوس جميعا من اسما الله تعالى والكلمة اذا استعملت معناه
التوبيخ والزجر والتقريع وكلما يقتضي جمعا مكررا بتكرار الجواب بتكرار الشرط لان كل يقتضي جمعا ولا يقتضي
تكرارا وكلما تقتضي الجمع والتكرار جميعا الا ان الرجل لو قال كل امراة اتزوجها فهي كذا فتزوج امراة فطلقت ثم تزوجها
بعينها مرة اخرى لم تطلق في المرة الثانية ولو قال كلما تزوجت امراة فهي كذا فتزوج امراة واحدة
مرة بعد اخرى طلقت مرة بعد اخرى لان حرف كل يقتضي جمع الاسامي دون تكرار الافعال وحرف
كلما يقتضي تكرارا وجمعا والهوى في اللغة الميل ومنه الهوى الذي بمعنى الجو واما تقتلون على لفظ
الاستقبال فقد يذكر مثل هذا اللفظ في الصفات اللازمة ويراد به الذم والتوبيخ على فعل كان منه في
الماضي وهذا كما يقول الانسان لغيره لم تسرق اموال الناس وتقتل الناس اذا كان ذلك ابدا وعادته
لا يراد بذلك فعل الاستقبال وفائدة الاية الاخبار عن فعل اليهود على جهة اظهار معايبهم وقبائحهم
وان من عادتهم تكذيب الرسل عليهم السلام كما كذب من قبلهم منهم الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل
﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون﴾ قالت اليهود قلوبنا ممنوعة عن
القبول يقول الله تعالى ردا عليهم بل لعنهم الله تعالى بكفرهم اي انهم لما كفروا الفوا كفرهم فاشتغلوا
به فعجبتهم لذلك فمنعهم الله تعالى الالطاف والفوائد التي مع المؤمنين جزاء لهم على كفرهم فقليلا
ما يؤمنون منهم وهو من اسلم من اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه ويقال فقليلا ما يؤمنون
ايمانهم بالله تعالى قليل لانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وقيل معناه لا ايمان لهم كما يقال فلان
قليل الخير اي لا خير له والغلف جمع الاغلف كما يقال احمر وحمر والقلب الاغلف الذي جعل في غلاف فلا
شيئا وهذا كما قال الله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ومن قرا غلف بضمتين فهو جمع غلاف
كما يقال مثال ومثل وحمار وحمر ومعنى ذلك قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم منك ان كنت نبيا
فافهمنا واللعن الابعاد والطرد وتقدير نصب القليل على التأويل الاول صاروا قليلا يؤمنون وعلى
الثاني ايمانا قليلا يؤمنون قوله عز وجل ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين﴾ معناه لما جاءهم القران موافقا لما معهم من التورية وسائر الكتب في التوحيد والدعا
الى الله تعالى وكانوا من قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستنصرون بذكر القران والنبي
عليه السلام على الذين جحدوا توحيد الله تعالى كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب قالوا
اللهم ربنا انصرنا عليهم باسم نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وكتابك الذي تنزله عليه الذي وعدتنا
انك باعثه في اخر الزمان وكانوا يرجون ان يكون ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منهم فكانوا
اذا قالوا ذلك نصروا على عدوهم فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وعرفوا نعته
وصفته في كتابهم ولم يكن منهم كفروا به ولم يقروا بنعته وصفته في كتابهم مخافة زوال الرياسة عنهم
فذلك قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اي لما عرفوه وعلموا انه من غيرهم جحدوه فلعنة الله
تعالى على الكافرين قيل ان جواب اول هذه الاية محذوف لان معناه معلوم دل عليه قوله تعالى
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل جواب قوله تعالى لما جاءهم الاول هو جواب قوله تعالى فلما جاءهم
ما عرفوا واعيد لما كرر لفظ لما لطول الكلام بينهما فما قبل لفتح على الضمير ويدخله اعراب
الكسر والفتح عند الاضافة الا انه فتح عند عدم الاضافة علامة الاضافة الى المضمر
اللفظ وكانوا من قبل هذا يستفتحون عليهم وفي هذه الاية دلالة على ان الايمان ليس هو المعرفة
فحسب كما يقوله بعض الناس لان اولئك اليهود كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم

الألوكة
www.alukah.net

ومع ذلك جعلهم الله كفارًا بجحودهم بالسنتهم. قوله عز وجل بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا
بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على
غضب وللكافرين عذاب مهين قال الكلبي بئس ما باعوا به انفسهم من الهدايا في
الفضول بكتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم يعني انهم اختاروا الدنيا على الاخرة فباعوا انفسهم
بعقوبة الاخرة بان يكفروا بما انزل الله تعالى اي جحدوا بالقرآن الذي انزل الله تعالى حسدا منهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم كان من العرب وهم لم يشكوا في نبوته صلى الله عليه وسلم وانما حسدوه
على ما اتاه الله من فضله من النبوة والكتاب على من يشاء من عباده ممن كان اهلا لذلك فباءوا
بغضب على غضب اي استوجبوا اللعنة على اثر اللعنة فالغضب الاول حين كفروا بعيسى عليه السلام
والثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه والسلام ويقال باءوا بانهم استحقوا به النار على اثر تقدم
استحقوا به النار وللكافرين عذاب مهين يهانون فيه قيل ان بئس اذا وقعت على ما جعلت
ما بمنزلة اسم منكر وكذلك نعم لانهما لا يعملان في اسم علم انما يعملان في اسم منكر دال على
جنس يقال نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد يراد به اثبات جميع المدح الذي يكون في سائر
جنسه فيه ونصب رجلا في قوله نعم رجلا على تمييز الجنس قال الزجاج معنى بئسما اشتروا
به اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم ولفظ الشرى يستعمل في البيع والابتياع وهو افتعال من الشرى
والشرى ترك الشيء الى الشيء وقوله تعالى ان يكفروا موضعه رفع المعنى ذلك الشيء المذموم ان يكفروا بما انزل
الله تعالى كما يقال بئسما تزويج ولا مهر وكانه يقول بئس ما باعوا به انفسهم وهو الكفر ويقال
بئس ما باعوا انفسهم بان يكفروا وموضع ان ينزل الله نصب المعنى يكفروا بما انزل الله بان
ينزل الله تعالى من فضله على من يشاء من عباده اي كفروا بهذه العلة والبغي الحسد وقد يكون بمعنى
الظلم الا ان المراد به هاهنا الحسد واصل التطاول ماخوذ من الابتغاء الذي هو الطلب يقال
ما ينبغي لك ان تطلب هذا اي ما يحق لك طلبه فكان الباغي يطلب التطاول على غيره ونصب بغيا
لانه مفعول له يقال فعلت ذلك حذار الشر اي لحذار الشر والاهانة ضد الاكرام والغضب
من الله تعالى الذم والتوعد والعقوبة اذ لا معارضة تحل به كما تحل بالمخلوقين من استشاطة
النفس ونحو ذلك لانه تعالى ليس بمحل للاعراض ولا يجوز عليه التغير والانتقال وكذلك حبه
وسائر صفاته قول ووعده ووعيد والله اعلم قوله عز وجل واذا قيل لهم آمنوا بما انزل
الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم
قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين معناه اذا قيل لليهود المدينة صدقوا
بالقرآن الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نصدق بالتورية ويجحدون بما بعد الذي
انزل عليهم وهو الحق مصدقا لما معهم يعني ان القرآن حق موافق لما معهم من التورية وسائر
الكتب قل لهم يا محمد ان كنتم تصدقون بما انزل عليكم فلم اذا تقتلون انبياء الله من قبل ان
كنتم مؤمنين وليس فيما انزل الله تعالى على انبيائكم قتل الانبياء صلوات الله عليهم واذا كان
وراء ممدودا كان بمعنى خلف وهو نقيض امام وقدام واذا كان مقصورا كان بمعنى الخلق ونصب
مصدقا على الحال اي حاله في تصديقه كتب الرسل عليهم السلام ودليل انه حق يقال هو زيد حقا
وهو زيد معروفا اي حاله في المعرفة يدل على انه زيد ولا يقال هو زيد قائما لان حالة القيام
لا يكون دليلا على انه زيد فانه اذا ترك القيام فهو زيد وفي قوله تعالى من قبل دليل ان المراد
بقوله تعالى فلم تقتلون فلم قتلتم وقد ذكرنا ان لفظ الاستقبال يذكر ويراد به الماضي وفي الاية

دليل

دليل ان من رضي بما فعل من معصية الله تعالى فكانه فعلها لان الله تعالى خاطب هؤلاء بالقتل
وكان القتل من اسلافهم واوائلهم وفيها دليل ان اليهود كفروا بالتورية لانهم اذا كفروا بما يصدق
ما معهم فقد كفروا بما معهم قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده
وانتم ظالمون معناه لقد جاءكم موسى بالايات بالتسع المعجزة فاتخذتم العجل الها من بعد ذلك
وانتم كافرون بالله تعالى بعبادة العجل وقد تدخل اللام في الفعل لتوكيد الخبر واللام في ابتدائه لام
قسم لدخولها على الفعل ونحو هذا الموضع للتنبيه ويقال صورته صورة النسق وليس بنسق وانما يراد
به التعجب والاستعظام لكفرهم بما راوا من الايات وفائدة الاية ان تكذيب الانبياء صلوات الله عليهم
من دابكم وعادتكم كما ان موسى عليه السلام جاءكم بالبينات ثم اتخذتم العجل الها قوله عز وجل
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين معناه واذكروا
اذ اخذنا عليكم العهد بالتورية ورفعنا فوقكم الجبل خذوا ما اتيناكم اي اعطيناكم بجد في طاعة الله
ومواظبة واسمعوا ما فيه من حلاله وحرامه وما تؤمرون به قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك و
لولا مخافة الجبل ما قبلنا قال الكلبي قالوا ذلك بعد ما رفع الجبل عنهم ويقال قالوا ظاهرا سمعنا وقالوا
في انفسهم عصينا واشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم اي فعل الله ذلك بهم مجازاة لهم على الكفر
كما قال الله عز وجل بل طبع الله عليها بكفرهم ويقال فعل الله ذلك بهم لانهم الكفر ورسوخهم
فيه والكفر يدعو بعضه الى بعض ويحبب بعضه بعضا كما يقال حبك للشيء يعمي ويصم قل لهم يا محمد
بئس شيئا يامركم به ايمانكم اي بئس الايمان ايمان يامر بالكفر ان كنتم مؤمنين كما تزعمون
وفائدة تكرار ذكر الميثاق وقصة الجبل والعجل الاتصال كل اية بقرينة ليستانف الاخرى ويقال تكرار
ذلك في القرآن تكرارا ولبيان القوم في الكفر والفعل ومعنى اشربوا ادخلوا ذلك بقلوبهم
كاشراب الالوان لشدة الملازمة والحب محذوف من العجل لان المضاف اليه يقام مقام المضاف
كما قال الله تعالى واسال القرية اي اهلها قال الشاعر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي
مرحب اي خلالة ابي مرحب والسمع في هذه الاية بمعنى القبول كما يقال فلان سموع منه وفلان لا
يسمع منه ومنه قول الناس سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى حمد من حمده ويقال بالسمع و
الطاعة يراد به القبول والطاعة قوله عز وجل قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين معناه جواب قول اليهود لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقول الله تعالى قل لهم يا محمد ان كانت
لكم الجنة عند الله خالصة صافية من دون الناس اجمعين كما زعمتم فاسالوا الله تعالى الموت
ان كنتم صادقين فيما تدعون عند انفسكم لتصلوا الى الجنة فان كان من بهذه الصفة كان الموت خيرا
له من الحيوة الدنيا والتمني في اللغة معنى تقدره الانسان في النفس بحسب الطبع كقولك ليت كان
كذا وليت لم يكن كذا وفي الاية اظهار كذب اليهود والدلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهود بعد نزول هذه الاية ان
كنتم صادقين في مقالتكم فقولوا اللهم امتنا فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل منكم الا غص بريقه
فمات مكانه فابوا ان يفعلوا وكرهوا ذلك مع اجتهادهم في اطفاء نوره وتكذيب ما ياتي به ولم
يتمن احد منهم مع زعمهم انهم احب العباد الى الله تعالى فنزل قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم والله عليم بالظالمين يقول انهم لا يتمنون الموت ابدا بما اسلفت ايديهم من المعاصي

الألوكة www.alukah.net

والقبائح وكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم اياه والله تعالى عليم بمجازاة الظالمين وتخصيص الظالمين وقيل ان المراد بالعلم الجزاء يقول الرجل لآخر انا عالم بك وبصير بك اى عالم بما اعاملك به ولن تنصب الافعال المستقبلة كما تنصب ان ونصب ابدا لانه ظرف الزمان وهو اسم يقع على العمر فانهم يتمنون الموت في الآخرة وقت مشاهدة العذاب والاضافة الى اليد في الآية لان اكثر المعاصي تكون باليد تقول العرب هذا مما جنت يداك وبما كسبت يداك اى بالذى جنيته وكسبته وفي هذه الآية زيادة دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى اخبر ان اليهود لا يتمنونه ابدا وفي ذلك اعجاز القرآن عما يعتاده من قبل كوضع اليد على الراس ونحو ذلك وهذا كما ان النبي صلى الله عليه وسلم تحدى النصارى الى المباهلة كما قال الله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الآية فلم يباهلوه خوفا من الهلاك قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو باهلونى لاضطرم الوادى عليهم نارا وفي بعض الاخبار لهلكوا جميعا كلهم حتى العصافير في سقوفهم وعما يزيد هذه الدلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان ترك اليهود تمنى الموت لا يخلو من احد امرين اما ان تركوه لانهم علموا انه نبي وانهم لو تمنوا الموت لماتوا او لان الله تعالى ورد دواعيهم الى ترك تمنى الموت وعجزهم عن ذلك وايهما كان فان ذلك يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم اذ لم تجر العادة ان يجتمع خلق عظيم على ترك شيء يسير يتحدون به مع حرصهم على تكذيب من يتحداهم ولو كان القوم على يقين انهم اذا ماتوا صاروا الى نعيم الجنة وتخلصوا عن هموم الدنيا لاختاروا الموت على الحيوة الا ترى ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين بشرهم بالجنة كيف لم يركنوا الى الدنيا واختاروا الموت على الحيوة حتى روى ان عليا كرم الله وجهه كان يطوف بين الصفين في الحرب في غلالة فقال له الحسن رضي الله عنهما هذا زى المحاربين فقال على يا بنى لا يبالى ابوك على الموت سقط ام سقط الموت عليه وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه قال في حرب صفين الان الاقى الاحبة محمدا وصحبه صلى الله عليه وسلم وحزبه رضي الله عنهم وهكذا روى عن كل واحد من العشرة مثل ابى بكر وعمر وعثمن وغيرهم رضي الله عنهم كلام يشبه هذه الكلمات قوله عز وجل ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون معنى الآية والله اعلم لتعلمن اليهود احرص الناس على البقاء واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث سمى المجوس مشركين لقولهم بأصلين قديمين النور والظلمة يتمنى احدهم لو يطول عمره الف سنة لان المجوس كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز وعش الف مهرجان وكان اذا اعطى احدهم يقولون له زه هزار سال اى عش الف سنة وما احدهم بمباعده من العذاب تعميره ويقال هو كناية عن التعمير فكانه قال وما التعمير بمباعده من العذاب واعاد قوله ان يعمر ليكون مبينا عن هو والله تعالى عالم باعمال العباد ومجازيهم عليها وفي هذه الآية زيادة تكذيب اليهود اى كيف يزعمون ان الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ثم يحرصون على الحيوة الدنيا اكثر من حرص من لا يرجو ثوابا ولا يخشى عذابا ولا يرى وراء الدنيا شيئا آخر وانما كان حرص اليهود على الحيوة اشد من حرص غيرهم لان من يعلم ويعاند احوف ممن لا يعلم فكان كراهتهم التمنى لفرط ما كسبوا من المعاصي واللام في ابتداء هذه الآية لام القسم لاتصاله بنون التاكيد وهم مفعول اول واحرص مفعول ثان والحرص شدة الطلب اذ لا فرق بين قولك حرص فلان على كذا وبين قولك جد فيه والمودة والمحبة واحد فالظاهر منها جميعا المشهورة التي هي ميل الطباع وان كان قد تاتى المودة والمحبة بمعنى الارادة التي تقتضيها الحكمة كما قال الله تعالى يود المومنين ويحبهم والمومنون يحبون الله تعالى والعمر المطول العمر ومنه يقال عمرك الله

لان م

اليهود

تعالى يا لطال الله عمرك والزحزحة التنحية والازالة قال الله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز اى من بعد عن النار وادخل الجنة فقد فاز قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين في قوله تعالى قل قيل على انه جواب لكلام قيل للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قال الله عز وجل له قل من كان عدوا لجبريل وذلك ان اليهود اعداء الله تعالى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم ابن صوريا عالمهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد كيف نومك فانا قد اخبرنا عن نوم النبي الذى يجيء في آخر الزمان فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناى وقلبى يقظان قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد امن الرجل ام من المراة فقال صلى الله عليه وسلم اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المراة فقال صدقت فما بال الرجل يشبه اعمامه ليس فيه شبه من اخواله ويشبه اخواله ليس فيه شبه من اعمامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت يا محمد ثم قال ابن صوريا خصلة ان قلتها امنت بك واتبعتك اى ملك ياتيك بما تقول عن الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام قال ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل ياتى باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذى ياتيك بما تقول امنا بك وصدقناك فقال عمر رضي الله عنه وما عداوة جبريل عليه السلام اياكم قال نعم عادانا مرارا كثيرة وكان من اشد ذلك علينا ان الله تعالى انزل فيما انزل على نبينا عليه السلام ان بيت المقدس سيخرب في زمان رجل يقال له بخت نصر على يده واخبرنا بالحين الذى يخرب فيه فلما بلغ ذلك الحين بعثنا رجلا من اقويا بنى اسرائيل في طلبه ليقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة ولا منعة فاخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال لصاحبنا ان كان الله تعالى هو الذى امر بهلاككم فلا يسلطك على قتله وان لم يكن هذا فعلى اى حق تقتله فصدقه صاحبنا ورجع فكبر بخت نصر وقوى وملك وغزانا فقتلنا فلهذا نتخذه عدوا وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر رضي الله عنه انا اشهد ان من كان عدوا لجبريل فانه عدو لميكائيل ومن كان عدوا لميكائيل فانه عدو لجبريل عليهما السلام فقال لا تقولن هذا فانزل الله تعالى عز وجل هذه الآية يقول قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبريل اذ كان هو المنزل الكتاب على فانه انما انزل على قلبى بامر الله تعالى لا من تلقاء نفسه وانما انزل ما هو مصدق لما بين يديه من الكتب التي في ايديكم لا مكذبا لها وانه وان كان فيها انزال الامر بالحرب والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمومنين ويقال معنى الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك وفيها هذا على وجه الترجمة كانه قال فان جبريل هو الذى نزل عليك وعمالهم والعدو في حقيقة اللغة كل من قصد ضرر غيره واليهود لا يقدرون على ضرر جبريل عليه السلام الا ان من خالف غيره سمى عدوا على طريق الاستعارة واما اسم جبريل عليه السلام قيل انه بلغة السريانية ومعناه عبد الله فان جبر هو عبد وايل هو الله عز وجل بلغتهم وفيه لغات جبريل وجبرائيل وجبريل وجبريل وجبرئيل قال الزجاج اجود اللغات جبرائيل كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صاحب الصور جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وانما قال على قلبك ولم يقل على قلبى وان كان امر له بان يقول ذلك لان مثل هذا يستعمل في كلام الناس كقولك للذى تخاطبه لا تقل للقوم ان الخبر عندك ويجوز ان يقول لا تقل لهم ان الخبر عندى وكقولك قال القوم ان جبريل عليه السلام عدونا ويجوز ان يقول قال القوم ان جبريل عدوهم قوله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين المعنى والله اعلم من كان عدوا لله وكافرا او لواحد منهم

فلا نعادوه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فليكن وهذا على التهديد فان الله عدو للكفرين يعني لليهود وانما قال عدو للكفرين ولم يقل عدو لهم لانه
لو قال ذلك لم يعلم بذلك ان عداوة جبريل تكون كفرا بل يجوز ان يتوهم متوهم ان عداوة جبريل تكون
فسقا ولا تكون كفرا فازال الله تعالى هذا الاشكال وفي كونهم عدو الله تعالى قولان احدهما ان الله
تعالى عدوهم ولما كان الله تعالى عدوهم اطلق اسم العدو عليهم اتساعا ومجازا والثاني على الظاهر
لان من خالف احدا فقد عاداه وفي ميكائيل لغات ميكائيل وميكائل وميكال ومعناه عبد الله يمك
عبد وايل هو الله تعالى وكذلك اسرائيل وهذه اسماء اعجمية دفعت الى العرب فلفظت بها بالفاظ
مختلفة وانما عطف والله اعلم جبريل وميكائيل على الملئكة بعد دخولهما في اسم الملئكة لفضيلتهما
بدلالة الاجماع كما قال الله عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم الآية
فعطف محمدا ونوحا عليهما السلام على النبيين بعد دخولهما في اسم النبيين عليهم السلام
لفضيلتهما بدلالة الاجماع قوله عز وجل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا
الفاسقون المعنى والله اعلم انزلنا اليك يا محمد علامات وايجابات قال بعضهم هي كتاب الله عز
وجل الذي لا ياتي بمثله الانس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وسمي القرآن آيات لما فيه من
الحجج والادلة وقال بعضهم الآيات هي ساير المعجزات من امتناع القوم من المباهلة ومن تمني
الموت ومن مسرى النبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى وانصرافه ليلة واحدة وتكثير القليل
من الطعام والشراب ودعايه الشجرة فاتته ثم رجعت الى مكانها وساير الآيات التي لا يجحدها
الا كاذب معاند وما يجحد بها الا الخارجون عن القصد والطاعة وهم اليهود وغيرهم وسمى الكفر فسقا
لان الفسق خروج من شيء الى شيء واليهود خرجوا من دينهم بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم و
يقال اطلاق اسم الفسق يقتضي الخروج من الحق الى اقبح ما يكون من الباطل والفسق في المعاصي
اقبح انواعه واقبح انواع الكفر كفر علما اهل الكتاب لانهم يكونون عنادا ومكابرة فان احتج
بعض اليهود بان قال انتم معترفون بنبينا وآياتنا ونحن منكرون لما تدعون من آيات نبيكم
قيل له ما كثر ما انكر يبطل بانكاره له الا ترى ان الآيات التي نقلتموها تنكرها الدهرية والثنوية ولم
يبطل بانكارهم لصحة النقل ويقال للنصارى انتم معترفون بنبوة موسى عليه السلام واليهود
منكرون لامر عيسى عليه السلام فهل يفسد انكارهم ذلك حجتهم وقد كان اليهود في زمان
ليس لهم علم الذي يقروا بآياتهم وهو الزمان الذي كان بعد موسى عليه السلام قبل ان يبعث
بني غيرهم وكانت حجتهم في ذلك الوقت حجة صحيحة لصحة النقل وان كان جميع المخالفين — يدفعونها صح
لهم في ذلك الزمان منكرين لها يدفعونها قوله عز وجل اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق
منهم بل اكثرهم لا يؤمنون يقول اوكلما عاهد اليهود عهدا نقضه ورمى به طايفة منهم بل
اكثرهم لا يصدقون والالف في اول هذه الآية الف استفهام دخل على واو العطف وحرف كلما
يتعلق بالافعال ويقتضي التكرار فاقتضت الآية ان اليهود كانوا ينقضون العهد مرة بعد اخرى
نقضوا العهود بكتمان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله تعالى اخذ الميثاق عليهم ليؤمنن بالنبي
صلى الله عليه وسلم ولينصرنه وكانوا قد عاهدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يعينوا احدا عليه
فنقضوا واعانوا مشركي قريش عليه يوم الخندق والنبذ في اللغة الطرح ولذلك سمي النبيذ لالقاء الزبيب
فيه وانما قال نبذه فريق منهم لان علماءهم هم الذين نبذوا العهود عنادا مع العلم به فاما قوله تعالى بل
اكثرهم لا يؤمنون فانما قال ذلك لان اكثر اليهود لم يؤمنوا جهلا ومنهم من آمن وهو عبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وغيرهما فلذلك قال اكثرهم قوله عز وجل ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق

لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون موافق
لما معهم من التورية في اصل التوحيد وبعض الشرايع ترك ورفض فريق من الذين اعطوا التورية كتاب الله
اي القرآن ويقال التورية لانهم اذا نبذوا القرآن فقد نبذوا التورية وراء ظهورهم اذ لم يؤمنوا به كانهم جهلة
به وبالعهد الذي اخذ عليهم وانما قال ذلك من الذين اوتوا الكتاب لانه لم يكن كلهم يعلمون صفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في التورية وانما علم ذلك علماؤهم اذ لو علموا كلهم لم يجتمعوا على كتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم
فالعلماء في مجرى العادة ان يجتمع الخلق العظيم على كتمان شيء علموه في انفسهم وقوله تعالى وراء ظهورهم مثل لمن
لا يعمل بالشيء ويستخف به كقوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا تقول العرب اجعل هذا خلف ظهرك وتحت قدمك
يريدون به الاعراض عنه لان الشيء اذا كان وراءك لم يمكنك النظر اليه ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
الا ان كل دم وماثرة كانت في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين وقوله تعالى كانهم لا يعلمون اي انهم يعلمون — وما كفر سليمان
صدق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنهم تجاهلوه كانهم لا يعلمون انه صدق قوله عز وجل
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما
انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله و
يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا
به انفسهم لو كانوا يعلمون عطف على قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله كانه قال نبذوا
كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين من السحر على ملك سليمان اي ما كانت تتلوا اي تتبع ويقال تقرا ويقال
معنى ما تتلوا ما تلت كما قال الله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة معناه اصبحت الارض
مخضرة قال الحسن رضي الله عنه لم يزل السحر فاشيا في اليهود وقد اختلف المفسرون في هولاء الشياطين قال
بعضهم شياطين الجن فان الشيطان اذا اطلق اريد به الشيطان الذي هو من الجن وقال بعضهم المراد به
شياطين الانس والجن فان الشيطان هو العاتي المتمرد من كل جنس كما قال الله تعالى شياطين الانس والجن
يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وفي قوله تعالى على ملك سليمان قولان احدهما على عهد ملك سليمان
فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والثاني معناه في ملك سليمان وحروف الصفات يبدل بعضها
من بعض كما قال الله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ويقال معنى الآية ما كانت تكذب الشياطين — طين
على ملك سليمان فانه يقال تلا عن فلان اذا صدق في الحكاية وتلا على فلان اذا كذب عليه كما يقال قال عنه
اذا صدق وقال عليه اذا كذب عليه قال الله تعالى ام تقولون على الله معناه تكذبون على الله تعالى وقوله تعالى
وما كفر سليمان اي ما اتى بالسحر وما كتبه وهذا رد على اليهود قال الكلبي وذلك ان الشياطين كتبوا من وقت
ذهاب ملك سليمان عليه السلام سحرا كثيرا على لسان آصف بن برخيا وكتبوا في ذلك الكتاب هذا ما — ثم ع
علم آصف بن برخيا سليمان الملك ودفنوا ذلك الكتاب تحت مصلى سليمان عليه السلام وفي بيت خزاينه
فلما القى الله في قلوب الناس الاستنكار للشيطان الذي وقع على كرسي سليمان عليه السلام ورد الله
تعالى ملك سليمان عليه السلام هربت الشياطين الذين كتبوا ذلك السحر فلما قبض الله تعالى سليمان عليه
اتت الشياطين اولياءها من الانس فقالت الا ندلكم على علم سليمان عليه السلام قالوا بلى فاخرجوا
كتب السحر التي كانوا دفنوها وقت ذهاب ملك سليمان عليه السلام فقال صلحاء بني اسرائيل و
علماؤهم معاذ الله تعالى ان يكون هذا علم سليمان عليه السلام ولا نتعلمه ولا نقرا به وقالت السفلة
هذا علم فتعلموه وقالوا انما تم ملك سليمان عليه السلام بالسحر وبه سخر من الجن والانس
والرياح والطيور ولم يزالوا على ذلك الاختلاف حتى عذر الله تعالى سليمان عليه السلام على لسان

الألوكة www.alukah.net

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبراءة من الكفر تكذيبا لليهود فذلك قوله تعالى وما كفر سليمان الآية
وذهب بعض الناس الى ان سبب نسبة اليهود السحر الى سليمان عليه السلام انه كان قد جمع كتب السحر
وكتمها تحت كرسيه ويقال وضعها في خزانته حتى لا يطلع عليها الناس ولا يعملوا بالسحر فلما مات سليمان
عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب والقول الاول هو الاصح لان سليمان عليه السلام لو كان
هو الذي جمع كتب السحر حتى لا يطلع عليها الناس ولا يظفر بها احد لكان الاولى ان يحرقها ولا يضعها في
خزانته ولا تحت كرسيه فاما قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا معناه ولكن الشياطين هم الذين كتبوا السحر
وهم الذين يعلمونه الناس واما قوله تعالى وما انزل على الملكين فقد اختلف الناس في تفسيره فذهب الشيخ
ابو بكر والزجاج وجماعة من الائمة غيرهما الى ان هذا عطف على قوله تعالى ما تتلوا الشياطين اي اتبعت
اليهود ما تتلوا الشياطين من السحر واتبعت ما انزل اي الذي انزل على الملكين من بيان السحر اي
قد قصدوا تعلمها معرفته وان يبيناه للناس ويقولا ان انه حرام فلا تفعل ايها المتعلم كما قال الله
تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة لا يعلمان السحر لاحد حتى يعظاه ويقولا انما
نحن اختبار وابتلاء للناس فلا تكفر ايها المتعلم اي لا تتعلم العمل به وتعليم السحر لا يكون اثما وهذا
كما تقول لآخر علي ما الزنا والسرقة والقذف فيقول ان ذلك كذا وكذا ولكنه حرام فلا تفعل ولا فرق
بين بيان معنى السحر والزجر عنه وبين بيان ضرب الكفر وتحريم الامهات والاخوات وتحريم
الزنا وشرب الخمر وسائر المحظورات لان الفرض علينا من اجتناب المنهيات كفرض اختيار الطاعات
والواجبات فمن حيث وجب بيان الخير لانه لا يوصل الى فعله الا بعد العلم به كذلك يجب بيان الشر
اذ لا يوصل الى تركه واجتنابه الا بعد العلم به والسبب في هذا والله اعلم ما روي ان اهل
ذلك الزمان كانوا قد اغتروا بالسحر كانوا يصدقون السحرة فيما ادعوه لانفسهم فبين الله تعالى
على لسان هذين الملكين امر السحر ليكشف عنهم غمة الجهل ويزجرهم عن الاغترار به كما قال الله تعالى
وهديناه النجدين اي بينا له سبيل الخير والشر ليعمل الخير ويجتنب الشر وكما روي ان رجلا قال لعمر
بن الخطاب رضي الله عنهما فلان لا يعرف الشر قال ذلك اجدر ان يقع فيه وقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا السحر ولا تعملوا به واما قوله تعالى ببابل فلان اكثر السحرة كانوا بذلك
الموضع قالت عائشة رضي الله عنها هي بابل الكوفة موضع قريب من الكوفة وهكذا قال الحسن رضي
الله عنه ويقال هو بابل دماوند وهاروت وماروت اسم الملكين على هذا الطريق والله اعلم
واما قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه يحتمل التفريق من وجهين احدهما
ان يعمل به فيكفر بالعمل فيقع الفرقة بينه وبين زوجته بالردة اذا كانت المراة مسلمة والوجه الآخر
ان يسعى بينهما بالنميمة والاغراء والافساد وتمويه الباطل حتى يظن انه حق والاحتيال بالحيل الدقيقة
المموهة لكي يبغض كل واحد منهما صاحبه فيفارقه او يطعم الرجل او يسقيه شيئا فيأخذه امرأته
فيكون بينهما سبب الفرقة وقال بعضهم معنى الآية انهم يتعلمون السحر فيكفرون بذلك ويبين منهم
نساؤهم بالكفر الا ان هذا لا يصح لانه لو كان المراد به هذا لكان من حق الكلام ان يقول تعالى فيتعلمون
منهما ما تبين به نساؤهم فلما قال ما يفرقون به بين المرء وزوجه علم ان المراد به والله اعلم سبب
حادث بعد التعليم والتعلم واما قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اخبار عن قدرة
الله تعالى وسلطانه وبيان ان العباد لا يقدرون على شيء من الاضرار وغير ذلك الا بمشية الله تعالى
والمراد بالاذن في هذه الآية العلم والمشية والتخلية دون الامر لان الله تعالى لا يامر بالفحشاء قال
الحسن رضي الله عنه من شاء الله تعالى منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره واما قوله

تعالى

تعالى ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يقول ما يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم في الدنيا لان حاصله عذاب لا
من دليه ويقال المراد بهما جميعا في الآخرة لان السحر كان ينفعهم في دنياهم لانهم كانوا يكتسبون بالسحر
وبتعليمه وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه اي علمت اليهود لمن اختار واستبدل السحر والكفر بالايمان
ماله في الآخرة من نصيب قوله تعالى ولبئس ما شروا به انفسهم يقول لبئس ما باع المستعملون السحر به
انفسهم لعقوبة الآخرة لو كانوا يعلمون حقيقة العلم ويقال لو كانوا يوفون العلم حقه فيقال للعالم
الذي ترك العمل بعلمه ليس بعالم اي لا ينتفع بعلمه وقال بعضهم كان القوم فريقين فريق كانوا
معلمين علموا بان العمل بالسحر لا يجوز وفريق كانوا متعلمين فاولئك كانوا جهالا لم يعلموا حقيقة العلم
وذهب القاضي الامام ابو عاصم رحمه الله وجماعة غيره رحمهم الله الى ان قوله تعالى وما انزل
على الملكين في معنى الجحد والنفي معطوف على قوله تعالى وما كفر سليمان كانه قال لم ينزل السحر
على الملكين ولكن الشياطين هاروت وماروت واتباعهما يعلمون الناس السحر وما يعلمان من احد
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر اي اجرى الله تعالى ذلك على لسان الشياطين حجة على السحرة في
الآخرة قال القاضي الامام رحمه الله لو كان قوله تعالى وما انزل على الملكين لاثبات الانزال لكان
لا يجوز اضافته الى الملكين لانهما بينا على القول الاول الذي ذكر من قبل فساد السحر وانه لا يجوز
العمل به ومن يبين لغيره فساد شيء وبطلانه ذلك فانه لا يضاف اليه ذلك الشيء وانما يضاف اليه
فساده الا ترى ان احدنا اذا نقض كتاب مصنف في الكفر فانه لا يضاف اليه ذلك المصنف وانما
يضاف اليه نقضه فثبت ان قوله تعالى وما انزل على الملكين عطف على قوله تعالى وما كفر سليمان
قال وفي قوله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر اضافة الكفر الى الشياطين بتعليمهم
السحر كما يقال الانسان فلان كفر بتكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم فيكون معناه فلان كفر بتكذيبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم ولولا ان تعلم السحر كفر لكان الله تعالى يقول ولكن الشياطين كفروا وعلموا
الناس السحر بالواو فلما ذكره من غير واو علمنا انه جعل قوله تعالى يعلمون الناس السحر تفسيرا لقوله تعالى
ولكن الشياطين كفروا قال ومن الناس من توسع في هذا القول في هذه الآية حتى انه نسب الى الملكين
شرب الخمر والزنا والعمل بالسحر والكفر وقال ان الله تعالى انزل جبريل عليه السلام بتخيير الملكين
بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة وروى في ذلك خبرا من
اخبار الآحاد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذا الذي قال هذا القول خلاف ما ذكر الله تعالى في هذه الآية
وغيرها لان الملكين لو كانا كفرا كما كفر الشياطين لكان الله تعالى يضيف الكفر اليهما اذ المحاباة لا
تجري في احكام الله تعالى ولو كان الله تعالى انزل على الملكين السحر وامرهما بتعليم الناس السحر الذي
هو كفر لم يامن من ان يكون كثيرا من الانبياء صلوات الله عليهم قد انزل عليهم ما هو كفر مع ان احدا
لا يجوز ان يبعث الله رسولا بما هو كفر يدل على ذلك ان الملائكة هم رسل الله تعالى الينا وقد بينا ان
رسل الله تعالى عليهم السلام لا يجوز عليهم الفسق فضلا عن الكفر وحقيقة السحر في اللغة اسم لما لطف
وخفي ومن ذلك سمي الرئة وما تعلق بالحلقوم سحرا لخفائها وضعفها ولطافتها قالت عائشة
رضي الله عنها قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري فالسحر في الحقيقة هو الشيء الخفي
اللطيف ثم نقل هذا الاسم الى كل امر خفي سببه وتخيل الى غير حقيقته كما قال الله تعالى سحروا اعين
الناس اي موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقال الله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى فلو انها كانت تسعى في الحقيقة لم يخيل اليه وانما كان ذلك تخييلا لان عصيهم كانت مجوفة قد
مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت معمولة من آدم محشوة زيبقا فلما حميت بالشمس تحركت ويقال كانوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حفروا قبل ذلك تحت ذلك الموضع اسرابا وملؤها نارا فلما طرحت عليه وحمي الزيبق تحركت لان من
شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فاخبر الله تعالى ان ذلك كان مموها على غير حقيقته وتقول العرب
لضرب من الحلي مسحور اي مموه على من رآه مسحور به عينه اذ كان في باطنه جنس آخر وظاهره جنس آخر واسم
السحر اذا ذكر مطلقا كان ذلك عبارة عن التمويه والخداع وقد يستعمل اسم السحر مقيدا فيما يمدح ويحمد كما روي
عن عبد الله بن بريدة عن ابيه رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان
لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا فقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان
لسحرا يحتمل احد وجهين يجوز ان يكون معناه ان صاحب الحق يبين عن حقه ويوضحه ويجليه بلفظه وحسن
بيانه بعد ان يكون خفيا ولولا ذلك البيان لم يقبل قوله فسمي استمالة القلوب بهذا الضرب من البيان
سحرا كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ما موه به ولبسه وبيان الحق من السحر الحلال كما روي ان رجلا
تكلم بكلام بليغ عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال عمر هذا هو السحر الحلال ويجوز ان يكون معنى قوله صلى
الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ان يكون الرجل الذي عليه الحق الحن بالحجة من صاحب الحق فيسحر القوم
ببيانه فيذهب بالحق واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا فهو ان يتكلف العالم الى علمه ما لا
يعلم فيجهله ذلك واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكما فهو هذه المواعظ والامثال التي يتعظ
بها الناس واما قوله صلى الله عليه وسلم ان من القول عيالا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شانه
ولا يريده والفرق بين السحر وبين معجزات الانبياء صلوات الله عليهم ان معجزات الانبياء صلوات الله عليهم
على حقايقها وبواطنها كظواهرها وكلما تاملتها ازددت بصيرة في صحتها ولو جهد الخلق كلهم على
مضاهاتها ومقابلتها بامثالها ظهر عجزهم عنها واما مخاريق السحرة وتخييلاتها فانما هو ضرب من الحيلة
والتلطف لاظهار امور لا حقيقة لها يعرف ذلك بالتامل والبحث ومتى شاء انسان ان يتعلم ذلك بلغ فيه مبلغ
غيره واتى بمثل ما اظهره سواه واما من قرا وما انزل على الملكين بكسر اللام فيجوز ان يكون معناه ان
الله تعالى انزل ملكين في زمان هذين الملكين لاستيلاء السحر عليهما لاغترارهما واغترار الناس واضاف
الانزال الى المرسل اليهم كما قال تعالى في خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزلنا اليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وقال في آية اخرى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا تارة اضاف الانزال الى الرسول وتارة الى المرسل
اليهم وانما خص الملكين بالذكر لان العامة كانت تبعا للملكين وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه ذكر في كتابه الى كسرى اما بعد فاسلم والا فعليك اثم المجوس فخاطبه واراد به جماعة رعيته
لان الرعية كانت لا تستجيب الى الاسلام قبل خروجا منه فان قيل كيف تكون الملائكة رسلا الى الناس ومنزلا
اليهم قيل هذا جايز سايغ لان الله تعالى قد يرسل الملائكة بعضهم الى بعض كما يرسلهم الى الانبياء صلوات
الله عليهم وقد يرسل الملائكة الى ساير الناس كما يرسل الى الانبياء صلوات الله عليهم من بني ادم بان
يجعل الملائكة كهيئة بني ادم لئلا ينفروا منهم ويقبلوا منهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي كهيئة
رجل واما الفتنة في اللغة فهي المحنة والاختبار وهو ما يظهر به حال الشيء في الخير والشر من قولهم فتنت
الذهب اي جربته بالنار لتخلص هو ام مغشوش فيصير الذهب كالمخبوء نفسه اذا القي في النار وكانت
انبياء الله ورسله صلوات الله عليهم فتنة لمن ارسل اليهم ليبلوهم ايهم احسن عملا ويجوز ان يريد الملكان
بقولهما انما نحن فتنة انهما اذ كانا يبينان السحر للناس ليعرفوا ان ذلك تمويه من السحرة وخداع
لئلا يغتر الناس بقول السحرة فكل من يتعلم منهما لكي يعرف فساد السحر فلا يغتر كان عكسه استعمال ذلك في الشر
ولا يؤمن وقوعه فيه فيكون ذلك محنة كساير العبادات وقد تذكر الفتنة بمعنى العذاب قال الله تعالى ذوقوا
فتنتكم اي عذابكم والاذن في اللغة العلم قال الله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا واذان من الله

اعلام ومنه سمي المؤذن مؤذنا والاذان اذانا لانه اعلام باوقات الصلوة وفي قوله تعالى فلا تكفر دليل
ان العمل بالسحر كفر لانهما انما يعلمانه اياه لان لا يعمل به ويجتنبه فصار قوله فلا تكفر كقوله في معنى فلا تعمل
به لانهما علماه ما السحر وكيف الاختيار به ليجتنب ولان لا يموه على الناس انه من جنس ايات الانبياء
صلوات الله عليهم فيبطل الاستدلال بها واحكام السحر تختلف باختلاف السحر فان السحر ينقسم على
انحاء مختلفة منها سحر اهل بابل كانوا يعبدون الكواكب السبعة ويعتقدون ان حوادث العالم كلها
من افعالها وكانوا يجعلون اصنامهم على اسماء الكواكب السبعة فكان من اراد شيئا من الخير والصلاح
تقرب بما يوافق المشتري من الدخن والرقى والعقد والنفث عليها ومن طلب شيئا من الشر والحراب
والموت والبوار والهوان لغيره تقرب بزعمه الى زحل بما يوافقه من ذلك وان اراد القتل والحرق
والطلوب تقرب بزعمه الى المريخ بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات وكانوا يسمون كل
كوكب من الكواكب السبعة الها خالقا منها وكانوا يدعون ويتضرعون ويصومون ويتركون اللذات
والشهوات وكان عندهم اذا فعلوا ذلك اجابتهم الكواكب الى ما يريدون من خير او شر ومحبة وبغض
ومن العامة من يزعم انهم يقلبون الانسان حمارا او كلبا ثم اذا شاؤا اعادوه وانهم يركبون
البيضة والمكنسة والخابية ويطيرون في الهواء الى ما شاؤا من البلدان ثم يرجعون في ليلتهم في
ذلك يلتبس من السحر على العوام ومنها سحر قوم يزعمون انهم يعترفون بالله عز وجل ويصدق
رسوله صلى الله عليه وسلم ويدخلون على الناس من باب ان الجن انما تطيعهم بالرقى التي هي
اسماء الله تعالى فيخبرهم بالغيوب من السرق والخبايات وغير ذلك وانها تقدر على تغيير صور
الحيوان بالطيران في الهواء والمشي على الماء وما يجري مجرى ذلك وهذان الفريقان كافران يقتلان
لان الفريق الثاني جوز وجود مثل اعلام الانبياء من الكذابين المتخرصين وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم من اتى كاهنا فصدقه فيما يقول فهو كافر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم فاذا
فاذا كان المصدق به كافرا فكيف لا يكون فاعله ومدعيه كافرا ومنها ضرب آخر من السحر
هو العمل به بالادوية والتميمة والتعابيذ والشعوذة اذا لم يدع صاحبه معجزا لا يمكن مثلها
واعترف ان ذلك تخييل ومخاريق لم يصر كافرا ما لم يعتقد اباحته فيؤدب ويزجر عن ذلك فاما اذا
اعتقد اباحته كفر كمن يعتقد ساير المعاصي التي نص الله على النهي عنها واما ما روي ان
لبيد بن اعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وان السحر عمل فيه حتى انزل الله سورة الفلق و
سورة الناس فالجواب عنه ان اليهود سحروه على جهة ارادتهم التوصل الى قتله فعصمه الله تعالى
من ذلك واطلعه على ما ارادوه فيكون ذلك من دلالة نبوته صلى الله عليه وسلم لانه سحرهم ضره و
لا خلطا عليه امره ولئن ثبت ان فعلهم اثر بالنبي صلى الله عليه وسلم نوع تاثير فيحتمل انه كان
وصل اليه شيء من دخان الادوية التي سحر عليها او نحو ذلك والله اعلم وقد اختلف الفقهاء في
احكام الساحر روى ابن شجاع عن الحسن بن زياد قال قال ابو حنيفة رحمه الله في الساحر انه يقتل
اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته اذا تاب بعد القدرة عليه فاما اذا تاب قبل القدرة
عليه وقال قد كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان لم يقبل الا ان يشهد الشهود عليه
الساعة انه ساحر فيقتل والمسلم والذمي والحر والعبد فيه سواء قيل لابي يوسف رحمه الله ما
قول ابي حنيفة رحمه الله في الساحر انه لا يستتاب والمرتد يستتاب فقال لان الساحر قد جمع مع كفره
السعي في الارض بالفساد والساعي في الارض فسادا اذا اخذ قتل ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله لا اقبل
توبة الزنديق لانه يدعو الناس في السر الى الكفر ولا تعرف توبته وهو ساع في الارض بالفساد فاما

المراة الساحرة اذا اقرت بذلك او شهد عليها الشهود لم تقتل في ظاهر الرواية وحبست وضربت
حتى يستيقن تركها السحر واما على قياس رواية الطحاوي ان المراة اذا قتلت في قطع الطريق قتلت
واجرى عليها حكم قطاع الطريق ينبغي ان المراة الساحرة تقتل وقال مالك رحمه الله اذا تولى
المسلم عمل السحر يقتل ولا يستتاب قال فاما ساحر اهل الكتاب لا يقتل الا ان يضر بالمسلمين فيقتل لنقض
العهد وعن الزهري انه قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر اهل الكتاب لان النبي صلى الله
عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن اعصم وامراة من يهود خيبر يقال لها زينب فلم يقتلها
وقال الشافعي رحمه الله اذا قال الساحر انا اعمل لا اقتل فاخطي واصيب وقد مات هذا الرجل من عملي
فعليه الدية واذا قال عملي يقتل المعمول به وقد تعمدت قتله قتل به قودا وان قال مرض منه ولكن لم
يمت منه حلف اولياؤه لقد مات منه ثم تكون ديته على الساحر كانه ذهب الى ان السحر جناية كسائر
الجنايات وهذا قول خارج عن اقاويل السلف اذ لم يعتبر احد قتله بسحره واوجبوا قتل الساحر على
الاطلاق ولا فرق في الجنايات بين ان يجرح انسانا بحديدة يقتل مثلها او بحديدة لا يقتل مثلها
وقد روى عن عمرو بن شعيب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخذ ساحرا فدفنه الى صدره ثم تركه
حتى مات وعن علي رضي الله عنه ان هولا العرافين كهان العجم فمن اتى كاهنا يومن له
بما يقول فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وروى ان جارية لحفصة سحرتها
فوجدوا سحرها واعترفت بذلك فامرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها قوله عز وجل ولو انهم
آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون معناه ان اليهود لو صدقوا النبي صلى الله
عليه وسلم واتقوا السحر لكان ثواب الله تعالى خيرا لهم من كسبهم بالكفر والسحر لو كانوا يعلمون حقيقة
العلم والمثوبة مفعلة من الثواب مثل مقولة ومشورة فسكنت العين لما دخلت الواو لثقل
الضمة فيها وقراها قتادة بفتح الواو فجعلها مفعلة مثل مشورة ومثوبة الا ان الاكثر في هذا
الباب ان ينقلوا حركة العين الى ما قبلها ثم قد يحولونها الفا فيصير مثابة ومشارة واصل المثوبة
من ثاب يثوب ثوبا ومثابة اذا رجع ويسمى الثواب ثوابا لانه يرجع الى المثاب من جزا عمله
والغرض من هذه الآيات والله اعلم ان بهت اليهود وتكذيبهم حملهم على ان اخذوا السحر
من الشياطين وادعوا انهم اخذوا من سليمان عليه السلام وان ذلك اسم الله الاعظم ليكتسبوا
بذلك قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين
عذاب اليم فصل آخر بعد الفصل الذي ذكر الله تعالى من قوله تعالى يا بني اسرائيل الاول الى هذه الآية
ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان في هذه الآية ذكر اليهود ايضا وقد اختلف الناس في هذه الآية
قال قتادة وعطية رحمهما الله قولهم راعنا كلمة كان يقولها اليهود على جهة الاستهزاء والسب
فنهى المسلمون عنها ولم يزيدا على ذلك وقد شرح الكلبي رحمه الله تعالى كانت هذه الكلمة
شيئا بلسان اليهود يعني اسمع لا سمعت فلما سمعت اليهود من المسلمين اعجبهم ذلك وقالوا فيما بينهم
كنا نسب محمدا صلى الله عليه وسلم سرا فيما بيننا فاعلنوا الآن بالشتم فكانوا ياتونه يقولون راعنا
فسمعها سعد بن معاذ وكان يعرف لغتهم فقال لليهود يا اعداء الله تعالى والذي نفسي بيده لئن
سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فقالت اليهود
الستم تقولونها فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان اليهود كانوا يلحدون بهذه الكلمة الى الرعونة
وقيل انهم كانوا يقولون راعينا يعنون به الراعي للغنم وكان ابن عباس رضي الله عنهما
يقول في معنى هذه الآية يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم راعنا اي اسمع الينا نستمع اليك وعن الزجاج رحمه الله هذا الكلام فقال اليهود
طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الاكفا قالوا اسمع الى كلامنا حتى نسمع كلامك فنهى الله تعالى عن
ذلك اذ لا يجوز لاحد ان يخاطب نبيا من الانبيا صلوات الله عليهم الا على وجه التوقير والاعظام على خلاف
ما يخاطب الناس بينهم قال الله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وقال عز من
قايل لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فاما قوله انظرنا فيحتمل
ان يكون من النظر الذي هو الروية ويحتمل ان يكون من النظور والنظرة اي انظرنا حتى نتبين لنا ما تعلمنا
واسمعوا ما تومرون اي اطيعوا الا ان الطاعة لا تكون الا بالسماع وللكافرين عذاب اليم اي لكم الثواب
على ما تفعلون ولليهود عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا بدا بمدح
فاما المراعاة فيقال في اللغة ارعيت الى فلان وراعيته اذا اصغيت اليه واستمعت منه ونظيره
عافاه الله تعالى واعفاه ومعنى راعنا اي كافنا في المقال وتامل كلامنا من المراعاة التي هي المحافظة
والمراقبة يقال راعيت الرجل اذا تاملته وتعرفت احواله وقرا الحسن رحمه الله راعنا بالتنوين
قال القتيبي رحمه الله جعله اسما من الرعونة اي لا تقولوا قولا ذا رعونة مثاله لا تقولوا حمقا و
سفها وفي قراة عبد الله بن مسعود لا تقولوا راعونا وفي الآية دلالة على ان الهزو محظور في الدين
وان كل لفظ اشتمل على الخير والشر فغير جايز اطلاقه حتى يقيد بما يقيد به الخير قوله عز وجل
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص
برحمته من يشا والله ذو الفضل العظيم معناه ما يحب وما يتمنى الذين كفروا من يهود اهل المدينة
ونصارى اهل نجران ولا من مشركي العرب عبدة الاوثان ان ينزل عليكم ايها المومنون من خير من ربكم من
الوحي وشرايع الاسلام والله يختار برحمته للنبوة والاسلام من يشا من كان اهلا لذلك والله ذو
الفضل العظيم ذو المن العظيم على من اختصه بالنبوة والاسلام وفي هذه الآية ثلاث مِنات فاما من
الاولى فللتنويع وان الكافر قد يكون من اهل الكتاب ومن غير اهل الكتاب فبين ان هولا من نوع اهل
الكتاب كما قال الله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واما من الثانية في قوله تعالى من خير فللصلة
كقولهم ما جاني من احد اي ما جاني احد وموضعه رفع المعنى ان ينزل عليكم خير واما من الثالثة فلابتدا
الغاية فان ابتدا الانزال يكون من قبل الله تعالى ولفظ يختص يتصل من الخصوص والافتعال في هذا
الباب اكثر من التفعل لان الاختصاص من نفسك والتخصيص لغيرك كالاقتطاع والتقطيع قوله عز وجل
ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شي قدير اتصال
هذه الآية بما قبلها من وجهين احدهما قوله تعالى لا تقولوا راعنا وهذا نوع نسخ والثاني قوله تعالى ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب الى قوله تعالى يختص برحمته من يشا وقيل سبب نزول هذه الآية ما روي
ان اليهود كانوا ينكرون نسخ الشرايع ويقولون ان النسخ سبب البدا او الندامة ولا يجوز ذلك
على الله عز وجل وكانوا يقولون حين حولت القبلة الى الكعبة ان كان الاول حقا فقد رجعتم وان
كان الثاني حقا فقد كنتم على الباطل فنزلت هذه الآية ردا عليهم فبين الله تعالى انه يدبر كيف
يشا ويامر في كل وقت بما فيه صلاح العباد في ذلك الوقت الا ترى انه يخلق ثم يميت ثم يحيي
قال ابن عباس في معنى هذه الآية ما نبدل من آية او نتركها غير منسوخة فلا نبدل لها نات بخير
من المنسوخة اي اكثر في الثواب ويقال الين واسهل على الناس او مثلها يقول او مثل المنسوخة
في المشقة والثواب فسر الزجاج رحمه الله قوله تعالى بخير منها باية صيام رمضان امر الله
من لا يصوم بالفدا حيث قال تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ واوجب الصوم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله تعالى ولتكملوا العدة وهذا الثاني خير لنا في الثواب وقد
يقال إن قوله تعالى بخير منها مثل الامر بالقتال فرض الله تعالى في القتال اول ما فرض الجهاد ان
يكون كل مسلم بدل عشرة من الكفار وكان لا يحل لواحد من المسلمين ان يفر من عشرة من الكفار ايضا
قال الله عز وجل ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ثم نسخ الله تعالى بقوله الان خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وهذا الثاني خير لنا في
التخفيف ولم يقل احد من الناس ان بعض القران خير من بعض في التلاوة والنظم اذ جميعه معجز
كلام الله تعالى فاما قوله تعالى او مثلها فهو مثل اية القبلة جعل الله تعالى ثواب الصلوة الى الكعبة
بعد النسخ مثل ثواب الصلوة الى بيت المقدس قبل النسخ الم تعلم ان الله على كل شيء من الناسخ والمنسوخ
قدير اي قادر والنسخ على وجهين لغوي وشرعي ففي اللغوي ثلثة اقوال قال بعضهم هو ابطال
شيء واقامة شيء اخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت محله وكذلك نسخ الشيب
الشباب وقال بعضهم النسخ ازالة الشكل وهو ماخوذ من قولهم نسخت الريح اثارهم اي ازالتها وقال
النسخ النقل يقال نسخت الكتاب اي نقلته الى غيره واما الشرعي فهو مبني على هذه الوجوه الثلثة قال
بعضهم هو رفع الحكم بعد ما استقر انه بحكم اخر يقوم مقامه وقال بعضهم هو ازالة الحكم بعد ثبوته
وقال بعضهم هو نقل الحكم الى غيره ومن قرا ننسخ برفع النون وكسر السين فهو من النسخ اذ اجعله
ذا نسخ كما يقال اقبره اذا جعله ذا قبر والنسخ على ثلثة اوجه قد يكون في التلاوة مع بقاء الحكم كما
روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في خطبته ان مما انزل الله تعالى الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله تعالى والله عزيز حكيم ولولا ان الناس يقولون زاد ابن الخطاب
في كتاب الله تعالى لالحقت هذه بحاشية المصحف وقد يكون النسخ في الحكم مع بقاء التلاوة كما في
قوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير
اخراج وقوله تعالى واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الاية وقد يكون النسخ في التلاوة والحكم
جميعا كما روي انه انزل على النبي صلى الله عليه وسلم في قوم غزاة بلغوا ربنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا
وكما في الصلوة الى بيت المقدس في اول الاسلام والله اعلم واما قوله او ننسها ففيه قراآت من
قرا ننسها بضم النون فمعناه نتركها يقال نسيت الشيء اذا تركته ومن ذلك قول الله تعالى نسوا الله
فنسيهم ومن ننسها بضم النون فمعناه يامركم بتركها يقال نسيت اذا تركت وانسيت اذا
امرت بالترك وقيل في الفصل بين النسخ والترك ان الترك ان يؤمر المسلمون بترك حكم اية بغير
اية تنزل كما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن امر الله
تعالى بامتحان المؤمنات المهاجرات في هذه الاية ثم امر المسلمين بعد ذلك بترك الامتحان بغير اية
اخرى نزلت فاما النسخ فهو ان تنزل اية بعد اية فتبطل الثانية حكم الاولى وقال بعضهم في معنى
ننسها ان يامر الناس بترك تلاوتها في الصلوة وغيرها فتصير منسية بمرور الايام ويقال ننسها
اي نحدث النسيان في قلوب الناس كلهم حتى ينسوها ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه
وسلم واستدل قائل هذا القول بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله المعنى الا ما شاء الله ان
تنساه وانكر اكثر المفسرين هذا القول وقالوا لا يجوز ان ينسي الله شيئا من القران عن قلوب الخلق
وقد تكفل بحفظه فقال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا فاخبر انه لا يشاء ان يذهب بما اوحاه الى النبي صلى الله

عليه

نساه

عليه وسلم فدل ان هذا لا يجوز قالوا ومعنى قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اي الا ما شاء الله
ان تنساه ثم يتذكره كما هو طبع البشر وقيل الا ما شاء الله ان يامرك بتركها وتمحى تنساه ومن قرا
او ننساها بفتح النون والهمزة فمعناه التاخير يقال نسات الابل عن الحوض اذا اخرت عنه وانسات
انا اخرت ومنه نسا الله في اجله وانسا الله في اجله ومنه قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر ومنه
النسيئة التي الدين فعلى هذا يكون معنى الاية ما ننسخ من اية او نؤخرها فلا ننسخها الى مدة نات بخير
من المنسوخة او مثلها او يقال ما ننسخ من اية او نؤخر انزالها فلا ننزلها ننزل مكانها ما هو مثلها
في المصلحة او هو اصلح منها ومن قرا ننساها من غير همز فهو مخفف من ننساها بالهمز ومعناها التاخير
ايضا والله اعلم قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير تاكيد جواب النسخ يقول الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يملك السموات والارض ومن فيهن وانه اعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم من ناسخ ومنسوخ
ومتروك وغير ذلك وهذا لفظ استفهام بمعنى التقرير كما في قوله تعالى اليس ذلك بقادر على ان
يحيي الموتى ويجوز ان يكون هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم المراد به غيره كما في قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فاما قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فيجوز ان يكون
لتطييب نفوس المؤمنين وبيان ان الله وليهم وناصرهم وانهم بنصره اياهم يغلبون من سواهم ويجوز
ان يكون هذا خطابا بالوعيد لمن لا يؤمن بالناسخ والمنسوخ اي ليس لكم من قريب ينفعكم ولا مانع
يمنعكم من عذاب الله تعالى والملك في اللغة عبارة عن تمام القدرة ومنه الملك وهو السلطان
والاملاك عقد النكاح يقال ملكت العجين اذا بالغت في عجنه قوله عز وجل ام تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل
متصل بما قبله ووجه الاتصال ان الله تعالى لما اظهر فيما تقدم من الاية قدرته على كل شيء واثبات
الاحكام ورفعها وان له ذلك اغتنم الكفار ازراوا تصديق المؤمنين لذلك فكانوا يعلمون بحوها
المؤمنين اسولة محالات ليسالوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم نحو قلب الصفا ذهبا وتفجير الينبوع
من الارض وغير ذلك قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما جاء عبد الله بن ابي امية المخزومي الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من قريش فقال لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او يكون لك جنة من نخيل وعنب الى اخر الاية وسالوا رؤية الله تعالى كما قال السبعون رجلا من
بني اسرائيل لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية يقول بل تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يختر الكفر على الايمان فقد اخطا قصد الطريق يعني
طريق الهدى وحرف ام اذا كان عطفا على الف الاستفهام كان بمنزلة او كما يقال ازيدا ضربته
ام عمرا واذا لم يكن عطفا على الف الاستفهام كان فيه معنى بل ومعنى الاستفهام لانه لا يكون
مبتدا فكانه تعالى قال اتريدون ان تسالوا رسولكم وبل تريدون ان تسالوا رسولكم قوله عز وجل
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من
بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما نهى المؤمنين عن تلقي ما يلقنهم الكفار من الاسولة الى
ذكر العلة في ذلك وهي انهم يتمنون ان يكون ايها المؤمنون مثلهم كفارا ومعنى الاية احب و
تمنى كثير من اهل الكتاب ان يصرفوكم من الايمان الى الكفر حسدا لكم لتشريف الله تعالى اياكم عليهم
بوضع النبوة فيكم بعد ما كانت في بني اسرائيل وقوله تعالى من عند انفسهم راجع الى قوله تعالى

الألوكة www.alukah.net

ود كثير من اهل الكتاب الى قوله حسدا لان حسد الانسان لا يكون الا من قبله فكان الله تعالى
بين ان مودتهم ردكم الى الكفر لا لان دينهم يامرهم بذلك ولكن ذلك من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم
الحق في التورية وساير الكتب اي انهم علموا بالتورية ويعاندون فيما يفعلون فاعفوا و
اصفحوا اي اتركوهم واعرضوا عنهم حتى ياتي الله بامره للامر ههنا ثلاثة اوجه احدها تعذيبه
اياهم في الدنيا والثاني باذنه لكم بمقاتلتهم ونصره اياكم عليهم بعد قطع عذرهم وقيام الحجج عليهم
ثم جاء الله تعالى بعد ذلك بامره وحين استقرت ايات النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته عند العام
والبادي والداني والقاصي ولم يومنوا امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم بقوله تعالى
قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وغير ذلك من ايات القتال فقتلوا بني قريظة و
اجلوا بني النضير الى اريحا واذرعات والثالث امر الله تعالى قيام الساعة ان الله تعالى
على كل شيء من الاوجه الثلاثة قادر لا يفوته ذلك وان امركم بالصفح والعفو عنهم قوله عز وجل و
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما
تعملون بصير وذلك ان الله تعالى لما امر بالصفح عن اليهود وعلم ان ذلك يشق على المسلمين فامرهم معناه
بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكوة كما قال عز وجل واستعينوا بالصبر والصلوة وما تقدموا
لانفسكم من خير اي من عمل صالح تجدوه اي ثوابه محفوظا لكم ان الله تعالى عالم باعمالكم يجازي
كل عامل جزاء ما عمل من خير او شر قوله عز وجل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين المعنى قالت اليهود لن يدخل
الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ففي الاية ايجاز
واختصار شرحه في طريق البسط قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء و
قالت النصارى ليست اليهود على شيء فاما قوله تعالى تلك امانيهم يجوز ان يكون كناية عن
الجنة ويجوز ان يكون كناية عن الكلمة والمقالة قل هاتوا برهانكم حجتكم من التورية والانجيل
ان كنتم صادقين في مقالتكم لفظ من في اول الاية لفظ الوحدان ومعناه الجمع كانه قال الذين
كانوا هودا او نصارى وهود جمع هايد مثل حول وحايل والبرهان اسم لما يقوم به حجة
جمعه براهين مثل سلطان وسلاطين وقربان وقرابين قوله عز وجل بلى من اسلم
وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون معناه
بلى رد لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وايجاب لمن اخلص دينه لله وهو
محسن في عمله فله اجره اي ثوابه في الجنة عند ربه ولا خوف عليهم فيما يستقبلهم من اهوال القيمة
ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا لانهم يتيقنون ثوابهم عند الله تعالى فليسوا كغيرهم ممن
ليس بصفتهم والاسلام الاخلاص والتفويض والانقياد يقال سلم فلان كذا اي خلص قال
زيد بن عمرو بن نفيل واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا دحاها فلما رآها اي اسلم امره واخلص
استوت على الماء ارسى عليها الجبالا واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا سيقت الى بلدة اطاعت فصبت عليها سجالا وانما عبر في الاية عن الدين والعمل بالوجه
لان الانسان اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه قوله عز وجل وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
قال ابن عباس رضي الله عنهما صدق كل واحد من الفريقين ولو حلف على ذلك ما حنث وليس واحد من
الفريقين على شيء من الدين وهم جميعا يقرون كتاب الله تعالى ولو رجعوا الى ما عندهم من الكتاب خرجوا

عن

عن الاختلاف وقوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون اي الذين ليسوا باهل كتاب نحو المجوس ومشركي
العرب يقولون انه لن يدخل الجنة الا من كان على ديننا فالله يحكم بين اليهود والنصارى والمشركين
يوم القيمة فيما كانوا فيه من الدين يختلفون يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وفي هذه
الاية حجة عظيمة في المنع من الاختلاف في كتاب الله تعالى بغير الحق فان اختلاف الفريقين اخرجهما جميعا
الى الكفر والعياذ بالله تعالى قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم
في الاخرة عذاب عظيم اية واحدة عند الكوفيين والمدنيين وهي ايتان عند البصريين تمام الاولى عند
قوله تعالى خائفين ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها المجرى فيما تقدم ذكر النصارى وذكر مشركي
العرب فرد بعض المفسرين هذه الاية الى ذكر النصارى وبعضهم الى مشركي العرب قال الكلبي عن ابن
عباس نزلت الاية في شان طيطوس بن اسبيانوس الرومي خرب بيت المقدس والقى فيه الجيف
وقتل مقاتلة اهله وسبى ذراريهم واحرق التورية فكان بيت المقدس خرابا الى زمن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ولم يدخلها بعد عمارتها رومي الا خائفا مستخفيا لو علم به قبل ان يخرج
قتل وقال الحسن والسدي وكثير من المفسرين ان هذا في بخت نصر فانه خرب بيت المقدس وخرب
مسجده واعانه النصارى على ذلك لبغضهم اليهود الا انه قيل في هذا القول انه يشبه ان يكون غلطا
لانه لا خلاف بين اهل العلم باخبار الاولين ان عهد بخت نصر قبل مولد المسيح عيسى عليه السلام
بدهر طويل وانما كانت النصارى بعد عيسى عليه السلام واليه ينتمون فكيف يكونون مع بخت نصر
في تخريب بيت المقدس وذكر بعض المفسرين ان المراد بهذه الاية مشركو مكة فانهم سعوا في منع
المسلمين عن ذكر الله تعالى في المسجد الحرام وصدهم عام الحديبية فمعنى هذا سعيهم في خرابه هو المنع
عن ذكر الله تعالى فيها لان عمارة المساجد باقامة العبادات فيها يقال فلان يعمر مجلس فلان اي يحضره
ويلزمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان
وانما قال مساجد الله لان المسجد الحرام مسجد كبير يجوز ان يسمى كله مسجدا واحدا ويجوز ان يسمى كل بعض
منه مسجدا على حدة وقيل ان المشركين لما منعوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من المسجد الحرام بنى
المسلمون بمكة مساجد كما روي ان ابا بكر رضي الله عنه بنى لنفسه مسجدا كان يصلي فيه فلما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم مع المسلمين من مكة خرب المشركون تلك المساجد فلهذا قال الله تعالى ومن اظلم
ممن منع مساجد الله وقيل ان المراد بالاية جميع الكفار الذين ظاهروا على اهل الاسلام ومنعوهم
من المساجد وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد قال النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا
فعلى هذا تقرير الاية ومن اظلم ممن خالف ملة الاسلام وسعيهم في خرابها من وجهين احدهما ان يخربوها
بايديهم والثاني اعتقاد وجوب خرابها من جهة الديانة وهذا ابلغ السعيين وكل اهل الكفر يعتقد
المثابة اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي يظهر الله تعالى الاسلام على الاديان كلها فلا يدخل
الكفار المساجد الا خائفين وجلين بعد ما كانوا لا يبيحون للمسلمين ان يدخلوا مساجدهم وقيل من اراد من
اهل الروم ان يكون ملكا عليهم لم يتمكن من ذلك ما لم يكن دخل بيت المقدس فيجيئون فيدخلون مستخفين
ومن حمل هذه الاية على ذكر المشركين فالمعنى نهوا عن دخول المسجد كما قال الله تعالى انما المشركون نجس
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا لا يطوفن بهذا البيت بعد هذا
العام مشرك ولا عريان فكانوا يدخلونها خائفين وجلين فلان هذا لفظ خبر بمعنى النهي وقوله تعالى
لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم قولان احدهما قول الفراء وهو انه اي الهمة الجزية الا دفع

الألوكة www.alukah.net

اذلال وجزية وفي المرة الثانية قتل وطرد وقال غيره لهم في دار الدنيا هوان وهو القتل والسبي ان كانوا
حربا والجزية ان لم يكونوا حربا ولهم في القيامة عذاب النار وقال السدي رحمه الله اذا خرج المهدي
فتحت القسطنطينية فقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم فذلك خزيهم في الدنيا وفي قوله تعالى ان يذكر فيها
اسمه ثلثة اوجه احدها ما قال الاخفش رحمه الله وهو من ان يذكر فحذف من فاذا هو مقدر بحرف الجر
والثاني انه بدل الاشتمال معناه ممن منع ان يذكر اسم الله تعالى في مساجد الله تعالى والثالث كراهة
ان يذكر فيها اسمه كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا قوله عز وجل وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا
فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اتصال هذه الآية بما قبلها كانه قال لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد
الله ان تذكروه حيث كنتم من ارضه فلله المشرق والمغرب والجهات كلها وعن عبد الله بن عباس
وعبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان الآية نزلت في رهط من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
في سفر فاشتبهت عليهم القبلة في ليلة مظلمة وصلى كل واحد منهم الى جهة وخط بين يديه خطا فلما اصبحوا
وجدوا الخطوط لغير القبلة فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وعن
ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في التطوع على الراحلة وقيل نزلت في التحول عن بيت المقدس الى الكعبة انهام
لما امر المسلمون بالصلوة الى الكعبة قالت اليهود مرة يصلون هكذا ومرة يصلون هكذا والاشهر ما رواه
ابن عباس ولا يمتنع ان يتفق هذه الاحوال كلها في وقت واحد ويسال النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الآية ويريد بها بيان جميعها الا ترى انه لو نص على كل واحد منها بان يقول اذا كنتم عالمين بجهة القبلة
ممكنكم التوجه اليها فذلك وجه الله تعالى فصلوا اليها واذا كنتم خائفين او سفرا فالوجه الذي يمكنكم التوجه
اليه وهو وجه الله تعالى واذا اشتبهت عليكم الجهات فصليتم الى جهة او جهة كانت فهي وجه الله تعالى
واذا لم ينبنا في ارادة جميع ذلك كان مراد الله تعالى بهذه الآية جميع هذه المعاني على الوجه الذي ذكرنا
والله اعلم ومعنى الآية ان الله تعالى مالك المشرق والمغرب وخالقهما فالى اي جهة من الجهات تحولون
وجوهكم في الصلوة بامر الله تعالى او بالتحري فثم وجه الله قبلة الله تعالى ويقال اينما توجهتم البدن من
البلاد فثم الجهة التي وجهكم الله اليها اي يمكنكم التوجه من هناك الى الكعبة كما قال الله تعالى ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الفراء رحمه الله تقول العرب وجه الحجر وجهة ما له ويقولون
اذا رايت الحجر في البناء لم يقع موقعه فادره فانه سيقع على جهته ويقال وجه مال فلان وجهته
ما له بمعنى واحد فعلى هذا يكون معنى الوجه الجهة التي امر الله تعالى بالتوجه اليها كما يقال سبيل الله
تعالى يراد به السبيل التي امر الله تعالى المسلمين بها ويقال بيت الله تعالى يراد به موضع عبادة الله
تعالى وقال بعضهم الوجه في هذه الآية صلة يقال وجه الراي ووجه الامر يعني به نفس الراي ونفس
الامر فكانه قال فثم الله تعالى اي علمه محيط بكم وهذا كقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقال بعضهم معنى
هذه الآية فاينما تولوا فثم رضى الله تعالى كما قال الله تعالى انما نطعمكم لوجه الله اي لرضوانه ويقال
فعلت كذا لوجه الله اي لرضاه وكانه تعالى قال فاقصدوا وجه الله بتيممكم القبلة وقوله تعالى ان الله واسع
عليم اي واسع الفضل او تسع عليكم في امر القبلة عليم بما نويتم وقيل الواسع الجواد الذي تسع عطاياه وسع م
الناس بلى جاد على العباد بقبول ما اتعبوا به جهدهم وقيل الواسع الغني عن طاعة العباد وانما يريد بذلك
منفعتهم وهو عالم بتصرفهم على وجه الحكمة واينما معنى الشرط وهو ابن وصلت بما والاوقات اذا
وصلت بما جوزي بها والفاء في فثم جواب الشرط وثم وهناك اشارة في اللغة الى المكان المتراخي عنك
تقول ثم زيد وهناك زيد فاذا اردت المكان القريب قلت هنا زيد وموضعه نصب بالظرف في المحل
وهو مبني على الفتح لالتقاء الساكنين لا يجوز ان يقال ثم زيد وتولوا مجزوم باينما وعلامة الجزم فيه

سقوط

سقوط النون وانما قال ولله المشرق والمغرب بالتوحيد وله المشارق والمغارب لانه اخرجه مخرج
الجنس كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل انه اراد به مشرق الشتا والصيف ومغربهما
وفي الآية دلالة على جواز الصلوة بالاجتهاد الى اي جهة كانت وان من ظهر خطاؤه بعد ذلك لا تلزمه
الاعادة فان من اوجب الاعادة لا يلزمه رضا اخر من غير دلالة ومن الدليل على جواز الاجتهاد في
الجهة الا من غاب عن مكة لم تكن صلوته الى الكعبة الا اجتهادا لان احدا لا يوقن ان الجهة التي صلى
اليها هي محاذاة الكعبة غير منحرف اليها وصلوة الجميع جائزة اذ لم يكلفوا غيرها وكذلك المجتهد في
تحري فرضه اذ لم يكلف غير ذلك قوله عز وجل وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ راجع الى اليهود والنصارى ومشركي العرب وقد جرى ذكر الجميع فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال المشركون الملئكة بنات الله سبحانه تنزيها له
من اتخاذ الولد بل له ما في السموات والارض اي من كان مالك السموات والارض فان الاشياء تضاف اليه
من جهة الملك لا من جهة اخرى وفيه وجه اخر ان فاعل ما في السموات والارض لا يشبههما فيهما ان الفاعل
لا يشبه الفاعل والولد يشبه الوالد ووجه ثالث ان خالق السموات والارض كامل في ذاته تام في صفاته
والولادة من صفات النقص فلا يجوز عليه ومعنى كل له قانتون قال ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون
غير ان هذا تاويل لا يستغرق الكل فيكون لفظ عموم اريد به الخصوص ويجوز ان يجري على العموم على
معنى كل له مقرون بالعبودية وهذا قول عكرمة رحمه الله ويقال معناه كل قائم موقن بالله تعالى كما قال
الله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ويقال في كل من الخلايق آثار صنع الله تعالى في
دلالة ربوبيته فهم كلهم مقهورون مسخرون لا يقدرون على تغيير جبلة انفسهم وقال مجاهد
رحمه الله طاعة الكفار في سجود ظلالهم وهو مثل ما روي عن الحسن رضي الله عنه انه قال يا ابن ادم
كيف تعصي ربك وظلك يسجد له وقال السدي رحمه الله كل له مطيعون يوم القيمة وقال
الربيع رحمه الله كل له قائمون يوم القيمة كما قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين و
القنوت في اللغة طول القيام يقال قنت الفرس اذا ركد وقال النبي صلى الله عليه وسلم
افضل الصلوة طول القنوت ويسمى دعا الوتر قنوتا لانه يدعو قايما وفي الآية دلالة على ان
ملك الانسان لا يبقى في ولده لانه نفى الولد باثبات الملك وهو نظير قوله تعالى وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فاقتضى ذلك ان من ملك ولده
عتق عليه قوله عز وجل بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
جواب عن قول جماعة من النصارى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نجران السيد و
العاقب والاسقف وجماعة من علمائهم فناظروه في امر عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو عبد الله ورسوله قالوا هل رايت خلقا من غير اب فانزل الله تعالى هذه الآية
والآية التي قبلها جوابا لهم ومعنى هذه الآية والله اعلم ان الله تعالى مبدع السموات والارض ومنشيهما
وخالقهما فاذا اراد امرا كان في علمه مثل عيسى صلوات الله عليه بغير اب وغير ذلك فانما يقول له كن فيكون
كما اراده الله تعالى والابداع الانشاء على غير مثال سبق من ذلك يقال لمن خالف السنة مبتدع والبديع
فعيل بمعنى مفعل كالسميع والاليم الآن بديع اشد مبالغة في الابداع من المبدع فان البديع هو الذي
من شانه الانشاء والابداع لاقتداره عليه والقضاء في اللغة احكام الامر وابرامه قال الشاعر
وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع والعطف في قوله تعالى فيكون على
معنى فهو يكون ويجوز ان يكون عطفا على يقول ومن نصب فعلى جواب الامر بالفاء فان قال قايل قوله

الألوكة

تعالى كن خطاب للموجود او المعدوم ولا يجوز الاول لان الشي الكاين لا يومر بالكون ولا يجوز ان يكون الثاني لان المعدوم لا يخاطب ولا يشار اليه قيل قد اختلفوا في هذا الجواب قال بعضهم انما قال ذلك على سبيل المثل اي ان الاشيا بسهولتها عليه وسرعة تكونها باذنه وامره بمنزلة ما يقال له كن فيكون وهو كقوله تعالى ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين لم يرد بهذا ان السما والارض كانتا في موضع فقال لهما ايتيا فجاءا من ذلك الموضع وانما اراد بذلك ان الله تعالى اراد كونهما فكانا وهذا كما قال الشاعر امتلا الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملات بطني والحوض لم يقل وقال اخر فقالت له العينان سمعا وطاعة واحدرتا كالدر لما يثقب وهذا كله على سبيل المثل فعلى هذا معنى قوله تعالى فانما يقول له كن فيكون اي يريده فيحدث وقال بعضهم هذه كلمة جعلها الله تعالى علامة للملايكة اذا سمعوها علموا ان الله تعالى قد احدث شيئا وقيل ان هذا التحويل الاشياء الموجودة الى حالة اخرى كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وكان الخلق قبل القول وكما في قوله تعالى فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وهذا كما جاء به للموتى واما شبه للاحيا وقال بعضهم ان الله تعالى انما يقول هذا القول للموجود في حال وجوده لا قبله ولا بعده وهو كقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وهذه الدعوة في حال خروجهم لا قبله ولا بعده وقال بعضهم ما هو معلوم عند الله تعالى فهو بمنزلة الحاضر الموجود وهذا من اضعف الاقاويل لان مخاطبة المعلوم قبل ايجاده محال وليس المعلوم بما كان فيصح الخطاب معه الا ان يقول قايل ان المعلومات لم يزل يكون قايلا بقدم العالم وما فيها من الاشخاص ونعوذ بالله من سو هذا القول ولهذا لان قوله عز وجل وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالذين لا يعلمون يهود اهل المدينة وغيرهم من الكفار وقال مجاهد اراد به النصارى لم يعلموا استحالة اتخاذ الولد عليه سبحانه وتعالى وقال بعضهم هذا راجع الى مشركي العرب قالوا هلا يكلمنا الله فيخبرنا بانك رسوله او تاتينا علامة لنبوتك يعنون الاية التي كانوا يسالونها كما تقدم في قوله تعالى وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخر تلك الايات يقول الله تعالى كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم يعني اليهود الذين قالوا لموسى عليه السلام ارنا الله جهرة تشابهت قلوب الاولين والاخرين منهم في القسوة والكفر ويقال تشابهت قلوب المشركين واليهود والنصارى في القسوة قد بينا الايات لقوم يوقنون يعني من ايقن فطلب الحق فقد اتته الايات من بيان بعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في التورية وانشقاق القمر ونحو القران وغير ذلك قوله عز وجل إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اهتم من تكذيب الفرق الثلاث بعد اقامة الحجة عليهم فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية له يقول يا محمد انا ارسلناك بالحق بشيرا تبشر المومنين بالثواب ونذيرا تنذر الكفار بالعقاب ولست تسال يوم الاخرة عن الجحيم كما قال جل ذكره فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال عز وجل ليس عليك هداهم وقال جل ذكره فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ومن قرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم بنصب اللام على النهي فالتاويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم ان الله تعالى اراد بهذا تفخيم امر العقاب كما يقول الانسان لغيره كيف حال فلان فيقول لا تسال اي انه في بلية عظيمة او شدة عظيمة قوله عز وجل وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ

اصحاب

من

مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ معناه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا على طلب رضى اليهود والنصارى طمعا ان يدخلوا الهدى ويرجعوا الى الحق فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال انهم كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة والمسالمة ويطمعونه في انه ان هادنهم وامهلهم اسلموا فانزل الله تعالى هذه الاية وامره ان لا يعطيهم ما يلتمسون من الهدنة واخبره انهم لا يرضون عنه بذلك قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى يقول يهود اهل المدينة ونصارى اهل نجران حتى تتبع سنتهم وطريقتهم وقيل حتى ترجع الى قبلتهم قبلة بيت المقدس قل ان هدى الله هو الهدى اي الصراط الذي دعا الله تعالى اليه وهو الذي انت عليه هو صراط الحق ولين اتبعت اهواهم يقول لين اتبعت ملتهم وصليت الى قبلتهم بعد ما ظهر لك ان دين الله تعالى الاسلام وان القبلة قد حولت الى الكعبة ما لك من الله من ولي ولا ينفعك ويحفظك من عقابه ولا نصير يدفع مضرة عقابه عنك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به عامة الناس وهو نظير قوله تعالى ولين اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرك وهذا كما يقال في المثل اياك اعني فاسمعي يا جارة والملة ماخوذ من التاثير في الشي كما يوثر الملة في الطلمة والملة الرماد الحار والموضع الذي يختبز فيه سمي به لانه يوثر في ذلك الموضع وكذا يوثر كل دين فيمن دان به وفي هذه الاية دليل ظاهر في جواز [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يومن بعد هذه الاية من اوليك احد قوله عز وجل الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ اعلام من الله تعالى ان من كان من علما بني اسراييل غير حاسد ولا متعنت ولا طالب رياسة تلا التورية كما انزلت فامن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم عبد الله بن سلام واصحابه والثمانية والثلثون رجلا الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه من ارض الحبشة وثمانية من رهبان اهل الشام يتلونه حق تلاوته يتبعونه حق اتباعه يقال فلان يتلو فلانا اي يتبعه قال الله تعالى والقمر اذا تلاها ومعنى يتلونه يقرونه على حقيقته وما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته اوليك يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فاوليك هم الخا[سرون] وهم كعب بن الاشرف واصحابه وقال بعضهم المراد بالذين اتيناهم الكتاب امة محمد والمراد بالكتاب القران ومعنى يتلونه حق تلاوته يحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ويومنون بمتشابهه ولا ياولون منه شيئا على غير تاويله قوله عز وجل يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ خطاب لليهود على جهة التقريع وتذكير لهم من الله تعالى عز وجل ما هم به عارفون يقول يا اولاد يعقوب عليه السلام احفظوا منتي التي مننت عليكم وهو ما في التورية من البشارة بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم واني فضلتكم على عالمي زمانكم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها من حيث المعنى ان عبد الله بن سلام واصحابه استدلوا على نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب الذي في ايديهم فهلا تفعلون معشر اليهود كما فعلوا ولم لا تذكرون نعم الله تعالى عليكم وفايدة تكرار قوله تعالى يا بني اسراييل ان هذه الاية اتصلت بقرينة لم يتصل بها الايات المتقدمة فان القرينة ما ذكر من حديث علما اهل الكتاب الذين اكرمهم بحقيقة علم التورية عبد الله بن سلام واصحابه قوله عز وجل وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ رد على اليهود اعتقادهم على شفاعة ابايهم

الانبياء صلوات الله عليهم و قد تقدم تفسير هذه الاية وقال الحسن قوله تعالى ولا تنفعها شفاعة ليس معناه انه يشفع لهم شفيع في الاخرة ولا ينفعهم ولكن معناه لا يشفع لهم احد في الاخرة فتنفعهم تلك الشفاعة وقيل فايدة تكرار القصص والالفاظ ان الله تعالى اراد بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصص في اطراف الارض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين افهاما فان القران نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم ومن مذاهبهم ان التكرار ارادة التوكيد وزيادة الافهام كما ان من مذاهبهم ان الاختصار ارادة للتخفيف والايجاز ويقول القايل في كلامه والله لا افعل كذا ثم والله ما افعله اذا اراد التوكيد وحسم الاطماع من ان يفعله كما يقول والله افعله باضمار لا اذا اراد الايجاز والاختصار وقال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقال رجل من قايل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الشاعر كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال الاخر هلا سالت جموع كندة يوم ولوا اين اينا قوله عز وجل وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ معنى الاية واذكروا حين ابتلى ابرهيم ربه بكلمات قال ابن عباس اختبره الله تعالى بما تعبده من السنن وهي عشر خصال خمس منها في الراس وخمس في الجسد فاما اللاتي في الراس فالمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الراس اذا كان شعرانيا واما اللواتي في الجسد فتقليم الاظفار والاستنجاء بالما وحلق العانة ونتف الابط والختان وعن عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ابتلاه الله تعالى بالمناسك التي تعبده بها وهي عرفة والمزدلفة ورمي الجمار والطواف والسعي وكان الحسن رضي الله عنه يقول ابتلاه الله تعالى بامر عظيم فصبر عليه واحسن الظن بالله تعالى فاول ما ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس فعلم ان ربه دايم لا يزول ثم كان الابتلا بالنار فجعلها الله عليه بردا وسلاما ثم ابتلاه بالهجرة من اهله وولده فخرج مهاجرا الى الله تعالى ثم ابتلاه بالختان على راس ثمانين سنة ثم ابتلاه بذبح الولد فاتخذه خليلا وجعل ملك الدنيا والنبوة في ذريته الى يوم القيمة وذكر عن لقمن انه قال لابنه يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلايا ومعنى قوله تعالى فاتمهن اي عمل بهن ولم يدع منهن شيا قال اني جاعلك للناس اماما يا تم بك الناس فيتبعونك وياخذون عنك قال ومن ذريتي اجعلهم رب ايمة يقتدى بهم قال لا ينال عهدي الظالمين اعلمه الله تعالى ان في ذريته الظالم وان الظالم لا يصلح ان يكون اماما للناس فلا يتنا وله العهد الذي عاهدتك فان قيل كيف يصح هذا التاويل الذي ذكرتم ومن الملوك الكفار من ياتم به الناس قيل معنى الاية لا الزم الناس طاعة الكفار على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والعهد في اللغة الامر والوصية ومنه عهود الخلفا الى الامراء والقضاة وعن السدي رحمه الله ان المراد بالعهد النبوة وقال الحسن رحمه الله ليس للظالمين عند الله عهد يعطيهم عليه خيرا في الاخرة وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا ينال عهدي الظالمون وهذا قريب من الاول لان من نالك فقد نلته والابتلا وجهان احدهما الامر اي امر ابرهيم عليه السلام ربه يقال اختبرت فلانا بكذا اي امرته والثاني التجربة ومعنى التجربة من الله تعالى اظهار ما علمه في الازل وانما سمي ذلك ابتلا مع علم الله تعالى بعواقب الامور كلها لان الله تعالى يعامل عباده معاملة

المبتلي المختبر حتى انه لا يجازي احدا على ما يعلم انه سيفعله ما لم يقع منه كما لا يجازي المبتلي غيره ما لم يقع منه ذلك فلهذا جاز ان يسمي امر الله ابتلا وفي ابرهيم لغات قرا ابن عامر ابراهام وعن ابن الزبير ابرهام وعن ابي بكر ابراهم وقيل ابرهم وذلك انه اسم اعجمي فاختلفوا فيه كما اختلفوا في جبريل وميكاييل واطلاق لفظ الامام انما يتناول من يجب الايتمام به في دين الله تعالى وقد يسمى بذلك من يقتدى به في الباطل قال الله تعالى وجعلناهم ايمة يدعون الى النار فسماهم ايمة لانهم انزلوهم منزلة من يقتدى بهم في امور الدين وان لم يكونوا ايمة يجب الايتمام بهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي الايمة المضلون وفي الاية دلالة ان الانسان لا يبلغ درجة الاخيار الا بالتعب وجهد النفس لان الله تعالى انما اكرم ابرهيم عليه السلام بكرامة الامامة بعد الابتلا قوله عز وجل وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ معنى الاية والله اعلم واذكروا اذ جعلنا الكعبة حيث يثوب ويرجعوا اليه الناس في كل سنة بحجهم وعمرتهم مرة بعد اخرى قال ابن عباس لا يقضي احد وطره منه بل كل من حجه احب الرجوع اليه مرة بعد اخرى وقيل معنى مثابة انهم يحجون اليه ويثابون عليه فاما قوله تعالى وامنا وصف البيت بالامن والمراد به جميع الحرم كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة والمراد بذلك الحرم لا الكعبة نفسها لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد فمعنى قوله تعالى في هذه الاية وامنا اي جعلنا الحرم مامنا كما قال الله تعالى في اية اخرى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا الحرم ذا امن من ان يهاج فيه احد فكل من احدث حدثا في غير الحرم ثم لجا الى الحرم لم يتعرض له وهذا شي كانوا يتوارثونه من زمن اسمعيل فبقوا عليه الى ايام النبي صلى الله عليه وسلم وقد كانت العرب في الجاهلية تعتقد ذلك في الحرم وتستعظم القتل فيه كان الرجل يرى قاتل ابيه واخيه وابنه في الحرم فلا يتعرض له فقال ابن عمر رضي الله عنهما لو وجدت قاتل ابي في الحرم ما هجته ومن الامن الذي جعله الله تعالى للحرم ان ساير بقاع الحرم مشابهة لساير بقاع الارض ثم يجتمع في الحرم الطير والكلب ولا يهيج الكلب الصيد ولا ينفر الصيد من الكلب حتى اذا خرجا من الحرم عدا الكلب على الصيد وعادوا الى النفور والهرب وذلك دلالة على توحيد الله تعالى وعلى تفضيل الله تعالى ابرهيم عليه السلام وتعظيم شانه فاما قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قال ابن عباس رضي الله عنه مقام ابرهيم الحج كله عرفة ورمي الجمار والمزدلفة وقال مجاهد هو الحرم كله وقال السدي مقام ابرهيم هو الحجر الذي وضعته امراة اسمعيل عليه السلام تحت قدم ابرهيم عليه السلام حين غسلت راسه بمكة وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته في الشق الاخر فغسلت الشق الاخر فغابت رجله الاخرى فيه وظهر اثر قدميه في الحجر وهذا كان من احدى معجزات ابرهيم عليه السلام حين جعل الله تعالى ذلك الحجر تحت رجله كالطين حتى ظهر اثر قدميه فيه وهذا القول هو الصحيح فانه روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقد وقفا على مقام ابرهيم عليه السلام اليس هذا مقام ابينا ابرهيم عليه السلام قال نعم قال افلا نتخذه مصلى فانزل الله تعالى هذه الاية وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا طاف بالبيت اسبوعا تقدم الى مقام ابرهيم فجعل المقام بينه وبين البيت وصلى ركعتين واما قوله تعالى مصلى قال بعضهم معناه مدعى من قولهم صليت اي دعوت وهذا راجع الى قول من جعل مقام ابرهيم عليه السلام الحج كله عرفة ومنى والمزدلفة وقال بعضهم اراد بقوله تعالى مصلى القبلة وهذا لا يصح لان الامة اجمعت على ان مقام ابرهيم عليه السلام لا يجوز ان يكون قبلة حتى لو نوى بالصلوة

الألوكة
www.alukah.net

مقام ابرهيم عليه السلام وعرف ان مقام ابرهيم ليس هو القبلة لم يجز صلوته بالاجماع وقال قتادة
معنى قوله تعالى مصلى اى يصلون عنده وهذا هو الصحيح لما رويناه من خبر عمر رضي الله عنه فامّا
معنى قوله تعالى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اى امرناهما ان يطهرا بيتي مسجدى من الاوثان والنجاسات
وقال بعضهم اراد بتطهير البيت ان يبنياه على الحد الذى امرهم الله تعالى كما قال الله تعالى أفمن
اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان وقوله للطايفين اى الذين يطوفون بالبيت و ينتابونه من
كل وجه وهم الغرباء والعاكفين هم المقيمون المجاورون والركع السجود هم المصلون وقال الحسن
اراد به جميع المسلمين فان من شان المسلمين الركوع والسجود و المثابة لغة في المثاب كالمقامة
والمقام يقال ثاب جسمه فلان اذا رجع اليه بعد التحول وقيل انما ادخل الهاء في المثابة للمبالغة
لكثرة من يثوب اليه كقولهم علامة ونسابة والطايف هو الداير حول الشي يقال طاف اذا دار
والعاكف والمعتكف واحد والعكوف لزوم المكان يقال عكف يعكف ويعكف عكفا وعكوفا اذا
لزم المكان وقال الخليل يقال عكف على الشي اذا اقبل بوجهه عليه ولم يصرف وجهه عنه وقوله
بيتي اضافة تفضيل اى بيت عبادى الذين تعبدتهم بقصده والطواف حوله والركع جمع راكع
مثل غازى وغزى والسجود جمع ساجد مثل شاهد وشهود وفي الاية دلالة ان مباح الدم اذا التجى
الى الحرم لا يتعرض له لان قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا امر من الله تعالى
للناس ان يومنوا فيه الناس لا انه خبر لان اخبار الله تعالى لابد ان يكون مخبره على وفق
خبره الا ترى انه قال مثابة للناس ويجوز ان يكون قوله تعالى مثابة للناس على الوجوب فان
الحج يشتمل على طواف القدوم وطواف الزيارة والصدر وذلك كله لا يحصل الا بالعود الى البيت
مرة بعد اخرى وفي قوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى دليل لزوم ركعتي الطواف لمن
قرا واتخذوا بنصب الخاء على الخبر فهو ثناء من الله تعالى على مصلي ركعتي الطواف وقد يذكر
بلفظ الخبر ويراد به الامر والله اعلم قوله عز وجل وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا
وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا
ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ معطوف على ما قبله من تذكير الله تعالى اهل الكتاب
نعمه عليهم وعلى سلفهم في عطيته اياهم المعنى واذكروا اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا يعني الحرم بلدا آمنا يقول
ذا امن من القحط والجدب لا يكون الا ويوجد فيه انواع الثمار لانه كان اسكنهم بواد غير ذي زرع ولا
ضرع فسال الله الامن من الجدوبة وقيل ان معناه امنا من الحرب اى حرم يا دب فيه القتال وارزق
اهله من الثمرات من صدق منهم بالله وبالبعث قال جعفر الصادق رضي الله عنه احب ابرهيم عليه
السلام ان لا ياكل طعامه الا الموحدون فاعلم الله تعالى ان الدنيا باسرها لا خطر لها عند الله تعالى
واخبره انه لا يخلق خلقا الا رزقه فذلك قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا اى سارزقه في الدنيا
يسيرا ثم اضطره في الآخرة الى عذاب النار وبئس المصير صار اليه و يقال حتى ابرهيم عليه السلام
ان لا يستجاب له في الرزق كما لم يستجب له في الامامة فخص المومنين بالمسئلة للرزق لهم فاعلمه الله
ان المومن والكافر في الرزق سواء ومن قرا فامتعه بالتخفيف فهو من امتع يمتع وهو لغة وقرى فامتعه
قليلا ثم اضطره على لفظ الدعاء ولفظ الامر اذا ذكرته مع من هو دونك يكون امرا على الحقيقة كقولك لغلامك
افعل كذا وكذا واذا ذكرته مع من فوقك يكون مسئلة ودعا نحو قولك اعطني واغفر لي وارحمني فان قال قايل بل
كانت مكة حرما آمنا قبل دعوة ابرهيم عليه السلام او صارت حرما بدعائه قيل اختلف الناس في ذلك
قال بعضهم صارت حرما بدعاء ابرهيم عليه السلام واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

او حرمت المدينة كما حرم ابرهيم عليه السلام مكة وقال بعضهم وهو الاصح كانت مكة حرما آمنا قبل دعا ابرهيم
عليه السلام كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض
وجعلها بين الاخشبين يعني بين جبلين فعلى هذا كانت مكة حرما آمنا قبل دعا ابرهيم عليه السلام
من الخسف ومن عذاب اهله بالاصطلام وكان الله تعالى جعل في قلوب الناس هيبة لذلك المكان
حتى كانوا لا ينتهكون حرمته من فيه بقتال ولا نفس ثم بدعا ابرهيم عليه السلام صارت حرما آمنا بان
امر الله تعالى الناس بتعظيمه على السنة الرسل عليهم السلام والواو في قوله تعالى ومن كفر دليل على اجابة الله
تعالى دعوة ابرهيم عليه السلام خاصة لمن امن منهم بالله واليوم الآخر ودليل استقبال اخبار بتمتيعه
عز وجل من كفر قليلا ولولا الواو لكان ما بعده منقطعا من الاول غير دال على استجابة الله تعالى ابرهيم
عليه السلام فيما ساله قوله عز وجل وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ عطف على ما قبله وذلك انه روى في الاخبار ان آدم عليه السلام كان قد بنا البيت
ثم عفى اثره بعد الطوفان فامر الله تعالى ابرهيم واسمعيل عليهما السلام ان يبنياه وبعث سحابة فيها
راس يتكلم فقالت يا ابرهيم عليك السلام ابن عليها فكان ابرهيم عليه السلام يبني البيت واسمعيل
عليه السلام يناوله الحجارة والملايكة عليهم السلام ينقلون الحجر من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا
والجودى ولبنان وحرا فلما فرغا من البنا جثيا على الركب فقالا عليهما السلام ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم فقيل قد فعل ذلك فكما قالا عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك قيل قد فعل ذلك بكما فقالا
عليهما السلام ومن ذريتنا امة مسلمة لك الى اخر الاثنتين ومعنى هذه الاية والله اعلم واذكروا اذ يبني
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام القواعد من البيت يقول اساس الكعبة وهما يقولان ربنا تقبل منا
بنياننا انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ونظير هذه الاية قوله تعالى والملايكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم اى يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم وكذلك قوله تعالى
والملايكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم ويجوز اضافة البنا الى الاثنين في
ان كان البنا لاحدهما اذا كان الآخر سببا في ذلك البنا كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
قبض غسله ستة نفر ومعلوم بان الغاسل كان واحدا والاثنين في الباقون كانوا يعاونون
في غسله والقواعد جمع قاعدة وهي اساس البنا وكل قاعدة اصل للذي فوقها والتقبل ايجاب
الثواب على العمل تشبيها بقبول الهدية فان الملك اذا قبل الهدية اثاب المهدى عليها وروى
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض امره جبريل عليه السلام
بان يحج الكعبة ودله على مواضع المناسك والطواف والوقوف بعرفة والمزدلفة ورمي الجمار
فلما فرغ من الحج استقبلته الملايكة وقالوا له بر حجك اى تقبل الله تعالى منك ذلك حجنا
قبلك هذا البيت بالفي عام والله اعلم قوله عز وجل رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ حكاية عن دعا ابرهيم واسمعيل عليهما
السلام قالا ربنا واجعلنا مخلصين موحدين لك اى ادم لنا توفيقك وتسديدك وزدنا من الطاعة
وفوايدك واجعل من ذريتنا امة مخلصة لك بالتوحيد والطاعة وعرفنا متعبداتنا وتجاوز
عن ذنوبنا اى الصغاير التي اتيناها او ناتيها لان ذنوب الانبياء عليهم السلام لا تكون الا الصغاير
التي لا تزيل الولاية ولا تخرج من العدالة والطهارة انك انت المتجاوز عن ذنوب العباد الرحيم بهم
والاسلام في اللغة الاستسلام للشي والخضوع له والمسلم لله تعالى المطيع لقبول امر الله تعالى المطيع
متلبسا بظاهره وهو مومن ومسلم مصدق بالقلب خاضع مستسلم في الظاهر وقد يكون معنى الاسلام الاخر ل

الألوكة

في السلامة باظهار الخضوع مع اعتقاد الكفر على ما قال الله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا وفي قوله تعالى ارنا ثلثة اوجه بالتحقيق والتسكين والاختلاس فمن حقق فهو
على الاصل لانه كان في الاصل ارءينا فاستثقلت وحذفت الهمزة ونقلت كسرتها الى الرا دليلا على الهمزة
ومن قرا بسكون الرا فهو التخفيف كما يقال عضد وفخذ بسكون الضاد والخا الا ان مثل هذا السكون
انما يستعمل في اللفظ الواحد فاما في اللفظين فلا ومن اختلس قال التحقيق يودى الى توالي الحركات
والتسكين يودى الى الاجحاف لما فيه من حذف الهمزة والحركة جميعا فالوجه ان يختلس ويقرا بين
الحركة والسكون والمناسك جمع المنسك والمنسك الموضع الذى يتقرب فيه الى الله تعالى واصل
النسك الذبح يقال نسكت اى ذبحت والنسيكة الذبيحة المتقرب بها الى الله تعالى ثم اتسعوا فيه
حتى جعلوا المنسك موضع الطاعة والعبادة ومنه قيل للعابد ناسك ومناسك الحج ما تقتضيه
من الذبح وساير افعاله قال النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الاضحى اول نسكنا في يومنا هذا الرمى
ثم الذبح ثم الحلق قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم قالا ربنا وابعث في ذريتنا رسولا منهم
يقول من اهل نسبهم يقرا عليهم علامات وحدانيتك ويعلمهم الكتاب الذى ينزل عليه ومواعظ
الكتاب ومعانيه وقيل اراد بالحكمة فقه الحلال والحرام ويقال اراد بالحكمة الكتاب ايضا
الا انه خالف في اللفظ للتاكيد وزيادة الفايدة كما في قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
وضيا وذكرا للمتقين ومعنى ويزكيهم يطهرهم من الكفر والفواحش وقيل يطهرهم باخذ زكوة اموالهم
وقيل ينميهم اى يكثرهم ويبقى اثارهم بعدهم انك انت المنيع الذى لا يغلبه شى الحكيم الذى
حكم بما يريد ويقال هو الذى يكون عمله موافقا للعلم والمراد بالرسول في هذه الاية محمد صلى الله
عليه وسلم وبالكتاب القران روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا دعوة ابي ابرهيم
عليه السلام وبشرى اخي عيسى عليه السلام اراد بالدعوة هذه الاية وبالبشرى قوله تعالى
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد والحكمة ماخوذة من حكمة الدابة لان الحكمة تمنع صاحبها
من الجهل كما تمنع الحكمة الدابة يردها عن عزتها وافسادها والزكوة في اللغة عبارة عن
النما يقال زكى الزرع اذا نما والزكوة الطهارة ايضا يقال فلان زكى فلانا اذا شهد له
بالطهارة والعزة المنعة من ذلك قولهم من عز بز اى من غلب سلب ويقال عزة الشى اذا لا
يوجد له نظير والعزيز الذى يعجز كلا ثقله عن ادراكه فعلى هذا يكون معنى العزيز في اسم الله تعالى
الذى لا نظير له والحكيم قد يكون بمعنى الحاكم وهو فعيل بمعنى الفاعل كالعليم والسميع قوله عز
وجل ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين عرض من الله تعالى على ملة نبينا صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم عليه السلام
لان ابرهيم واسمعيل عليهما السلام كانا سالا في دعائهما ان يجعل الله تعالى من ذريتهما بمكة
رسولا لان الكلام كان في ذكر مكة ولم يكن احد من اهل مكة من ذريتهما نبيا سوى نبينا صلى الله عليه
وسلم وملة ابرهيم عليه السلام داخلة في ملة نبينا صلى الله عليه وسلم مع الزيادات التي في شرايع
فمن الملة ومعنى هذه الاية اى لا احد يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه ولفظة من يرغب استفهام
مع انكار وتقريع يتضمن نفيا اى لا يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه اى الا السفيه واختلفوا في
معنى قوله تعالى الا من سفه قال الكلبي خسر وقال ابو عبيدة اهلك واوبق وقال بعض اهل اللغة سفه
بمعنى سفه قال يونس النحوى يجوز ان تقول سفهت زيدا اى سفهته وقال الزجاج معنى سفه نفسه

اي جهل نفسه يعني لم يفكر في نفسه ان لها خالقا وذلك ان الله تعالى اقام للعقلا الادلة على التوحيد
في نفس الانسان وتركيبه واختلاف احواله ولذلك قال سبحانه سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقال عز من قايل وفي انفسكم افلا تبصرون وقال الرسول صلى الله
عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه كانه تعالى يقول من يرغب عن ملة ابرهيم التي هي اخلاص
العبادة لله تعالى ويتبع ما تعبده الامم من الاصنام فهو جاهل بنفسه حين تعبد حجرا او شمسا او
قمرا وهذا حجة في التوحيد وحينئذ قال قطرب وغيره اراد بقوله تعالى من سفه نفسه من سفه نفسا
ثم ذكر النفس واضاف توكيدا لان النفس هو المعنى وهذا كما يقال هذا الامر بعينه وهذا الامر نفسه وقد
قيل معناه سفهت نفسه فنقل الفعل من النفس الى ضمير من ونصب النفس على التشبيه بالتفسير يقال
طاب زيد بامره نفسا وقر به عينا ووجع زيد راسه وقال بعضهم معنى سفه نفسه سفه في نفسه
الا انه حذف حرف الخفض فنصب ما بعده كما في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح ويقال
ضربت فلانا الظهر والبطن اى على الظهر والبطن والسفه في اللغة خفة العقل وكان انفسهم خفت
عندهم اذ حملوها على الكفر بملة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي ملة ابرهيم عليه السلام لان الذى بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم شرف العرب واعز قدرها فالراغب عن ذلك لا يكون الا سفيها حقيقا ذليلا
بعدوله عن عزه وشرفه ولفعله ما يستحق به ذل الدنيا والاخرة ولقد اصطفيناه يعني ابرهيم عليه السلام
في الدنيا اجتبيناه واخترناه بالرسالة وانه في الاخرة لمع ابايه المرسلين المستوجبين الثواب والكرامة
على الله تعالى والرغبة في اللغة هي محبة ما النفس فيه منفعة ولهذا لا يجوز في صفات الله تعالى راغب
لانه لا يجوز عليه المنفعة والرغبة من الاضداد يقال رغب في كذا اذا مال اليه واحبه ورغب عن كذا
اذا هجره واعرض عنه والاصطفا افتعال من الصفوة والصالح في الحقيقة من كان في غاية الرفعة و
ان استهله الناس في وسط من الاشيا لان الصلاح ضد الفساد قوله عز وجل اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين متصل بقوله تعالى ولقد اصطفيناه في الدنيا اى اصطفيناه حين قال له ربه
اسلم وذلك حين خرج من السرب وراى الكوكب والشمس والقمر فلما افلت الشمس وراى ابرهيم عليه السلام
تلك الايات والادلة الهمه الله تعالى الاخلاص فاستدل وعرف وحدانية الله تعالى قال الحسن
رضي الله عنه فاسلم حينيذ وقال اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض
الاية وليس معنى قول الحسن رضي الله عنه انه اسلم حين افلت الشمس انه كان كافرا قبل ذلك لان الله تعالى
لا يبعث من كان كافرا قط لكن معناه لما توجه التكليف عليه في تلك الحالة ومن توجه عليه التكليف
نظر واستدل حتى عرف الله تعالى وقال حينيذ اسلمت اخلصت لرب العالمين ويجوز ان يكون معنى الاسلام
تسليم الامور الى الله تعالى والانقياد له من غير امتناع ومعنى ان اخبر الله عز وجل عن حسن اجابته
وقبوله ما امر به عندما وضح له من البرهان من غير ميل الى هوى ولا عصبية قوله عز وجل ووصى بها
ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون المعنى
والله اعلم امر بالملة ابرهيم بنيه ويعقوب بنيه ويقال وصى بكلمة الاخلاص لا اله الا الله بنيه
وهم اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وكناية الملة في هذه الاية اصح لان رد الكناية الى المذكور
اولى من ردها الى المدلول وكلمة الاخلاص مدلول عليها في ضمن قوله تعالى اسلمت لرب العالمين فاما
قوله تعالى ويعقوب يقرا بالرفع والنصب فمن قرا بالنصب فالمعنى وصى بها ابرهيم بنيه وحافده
يعقوب ثم ذكر وصية يعقوب عليه السلام في الاية التي بعد هذه الاية ومن قرا يعقوب بالرفع فالمعنى
ثم وصى بها يعقوب بنيه الاثنى عشر وذلك لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان والاصنام

الألوكة
www.alukah.net

والنيران فوصى بنيه فقال يا بني ان الله اختار لكم الدين يعني الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا يصادفكم الموت الا وانتم على حالة الاسلام يعني الزموا الاسلام واثبتوا عليه وهو كما تقول الرجل لا ارينك ههنا فهذا النهي في اللفظ لا يريد به نهي نفسه عن الرؤية لكن معناه لا تكونن ههنا حتى لا اراك ووصى واوصى لغتان من التوصية والايصاء والتوصية نقيض الاهمال وهي اوكد من الامر المطلق وفي الآية دليل ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ما كانوا يغفلون الامر بالدين وما كانوا يقصرون في وصاياهم الا عليه وكل ذلك ليعقبوا الناس فيسلكوا هذه الطريقة وفي قوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون حث على الاسلام على الفور وفي كل حال وذلك ان المراد ان من لم يامن الموت في كل طرفة عين ثم امر بالشيء ان ياتيه قبل الموت صار مامورا به في كل وقت وفي كل ساعة لانه مامور بما لا يامنه في كل وقت فيخشى ان لم يبادر اليه تفاجئه المنية فيفوته الظفر بالنجاة ويخاف الهلاك فيصير مدخلا نفسه في الخطر والغرر روي انه لما نزلت هذه الآية قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب عليه السلام يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله تعالى قوله عز وجل ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون معناه أكنتم ايها اليهود حضورا حين حضر يعقوب عليه السلام الموت اذ قال لبنيه يا اولادي اي شيء تعبدون من بعد موتي فاذكر ذلك امتحانا لهم فاجابوه بلا تحقيق وقالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم الخليل واسمعيل الصادق واسحق الحليم الها واحدا لا شريك له ونحن له مسلمون مخلصون معترفون بالعبودية والتوحيد وكان اسمعيل عم يعقوب عليه السلام ولكن العم في عرف العرب بمنزلة الاب ويجب تعظيم الاعمام مثل ما يجب تعظيم الآباء والاجداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه والمراد بحضور الموت في الآية اسباب الموت لان من حضره الموت لا يتمكن من القول والوصية وقد يسمى سبب الشيء باسم ذلك الشيء كما ان الفعل لما كان سببا الى الجزاء قيل للجزاء الجزاء وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها واذ الثانية في الآية بدل من اذ الاولى وهما جميعا في موضع النصب والعامل فيهما معنى الشهادة في اول الآية وقرا بعضهم اله ابيك تقديره اله ابيك ابرهيم واله اسمعيل واسحق عليهما السلام كما تقول رايت غلام زيد وعمرو اي غلامهما وموضع هذه الاسماء خفض على البدل من آبائك وقوله تعالى الها واحدا نصب على البدل من الهك وقيل على الحال اي في حال وحدانيته قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون اي لا تتكلوا ايها اليهود على آبائكم واسلافكم اعتمادا منكم على شفاعتهم فانهم جماعة قد مضت لها جزاء ما عملت من خير او شر ولكم جزاء ما عملتم من خير او شر وانما تسالون عن اعمالكم لا عن اعمال غيركم ونظير هذه الآية قوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وروي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابنه فقال انما انه لا يجني عليك ولا تجني عليه انه لا يؤخذ بجنايتك وانت لا تؤخذ بجنايته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا بني هاشم لا ياتيني الناس يوم القيمة باعمالهم وتاتوني بانسابكم فاقول اني لا اغني عنكم من الله شيئا وقال صلى الله عليه وسلم من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين في الآية ايجاز واختصار المعنى قالت اليهود كونوا هودا فان ديننا الحق ونبينا افضل وقالت النصارى كونوا نصارى فان ديننا افضل الاديان ونبينا افضل الانبياء صلوات الله عليهم قال الله تعالى قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم بل نتبع ملة ابرهيم حنيفا اي مسلما مخلصا مائلا عن كل دين سوى دين الاسلام ومعنى وما كان من

المشركين

المشركين اي ما كان ابرهيم عليه السلام منهم على دينهم وقوله تعالى تهتدوا جزم على الجواب الامر المعنى ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا ويجوز ان يكون نصب ملة على معنى بل نكون اهل ملة ابرهيم عليه السلام فحذف الاهل كما في قوله تعالى واسأل القرية والاصل في الحنف ميل اصابع القدمين يقال رجل احنف وامراة حنفاء اذا كانت تميل قدماها كل واحدة منهما الى اختها باصابعها وحكي ان ام الاحنف بن قيس كانت ترقصه وتقول والله لولا حنف برجله ودقة في ساقه من هزاله ما كان في فتيانكم من مثله وسمي ابرهيم حنيفا لانه حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه من الآلهة اي عدل عن ذلك وكان يسمى في الجاهلية من اختتن وحج البيت حنيفا وقيل معنى الحنيف هو الذي يكون على الدين المستقيم حكي عن بعض اهل اللغة ان الحنف الاستقامة وانما سمي الرجل المعوج الاحنف على التفاؤل كما يقال للاعمى البصير وللمهلكة مفازة فان قيل كيف نتبع ملة ابرهيم عليه السلام ولنا شرائع لم تكن مشروعة من قبل قيل اصل العقد توحيد الله والايمان برسله ولا اختلاف في ذلك والفائدة في ذكر ملة ابرهيم عليه السلام في هذه الآية ان تلك ملة لا شك انها حق عندنا وعند اليهود والنصارى على اختلاف مقالاتنا وتبري بعضها من بعض فكانه تعالى يقول انه ان كان طريق اتباع الدين التقليد والرجوع الى قول من يدعو الى دينه فالاولى في ذلك اتباع الملة التي قد حصل الاتفاق على انها حق ودين ورد ما فيه اختلاف ولم يختلف الناس ان ملة ابرهيم عليه السلام الاسلام والتوحيد لانه لا شرك في شريعته لا من جهة التصريح ولا من جهة المعنى ليس هو كدين اليهود والنصارى لان من دين اليهود ما يزعمون ان النسبة مصرح ببطلان التوحيد ويقولون عزير ابن الله ومن دين النصارى التثليث فقد بانت حجة المسلمين عليهم قوله عز وجل قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون وذلك ان الله تعالى لما اخبر عن هولاء المبطلين في الآية المتقدمة وبين الحجة عليهم بين بعد ذلك ما يقوله المحقون وعلمهم كيفية القول في الايمان بهذه الحجة قال ابن عباس رضي الله عنه جاء احبار اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا بمن تؤمن من الانبياء صلوات الله عليهم فانزل الله تعالى هذه الآية قولوا آمنا بالله فلما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم الى قوله وعيسى قالوا لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن بعيسى عليه السلام وقالت النصارى نؤمن بعيسى وموسى عليهما السلام ولا نؤمن بك فانزل الله تعالى قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله الى آخر الآية والله تعالى اعلم ومعنى هذه الآية قولوا صدقنا بالله بانه واحد لا شريك له وصدقنا بما انزل على نبينا من القرآن وبما انزل من الصحف على ابرهيم عليه السلام التي كان يعمل بها هو واولاده واحفاده من بعده وصدقنا بما اوتي موسى وهو التوراة وعيسى وهو الانجيل وبما اعطي النبيون كلهم صلوات الله عليهم من الكتب من عند ربهم لا نفرق بين احد منهم في الايمان لا نفعل كما فعلت اليهود والنصارى قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومعنى ونحن له مسلمون اي مخلصون لله بالعبادة والتوحيد وانما اضاف الله تعالى في هذه الآية ما انزل الى اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وانما كان انزل على ابيهم لانهم كانوا جميعا يعملون بذلك فاضاف الانزال اليهم كما قال وما انزل الينا واراد ما انزل الى نبينا صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني يعقوب عليه السلام كالقبائل في بني اسمعيل عليه السلام وهم اثنا عشر سبطا من اثني عشر ولدا ليعقوب عليه السلام كل سبط يرجع الى اب على حدة قوله عز وجل فان آمنوا بمثل ما آمنتم

الألوكة
alukah.net

بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ترغيب
لهم في الايمان التام الكامل وبيان ان من يؤمن بنبي ولا يؤمن بآخر وطريقتهما في المعجز واحدة
لا يكون على التحقيق مؤمنا بالاول ومعنى الاية ان صدقوا واقروا بمثل اقراركم بالله ورسله و
كتبه فقد اهتدوا من الضلالة وان ابوا واعرضوا عن قبول الايمان بالقرآن وبمحمد صلى الله
عليه وسلم فانما هم في خلاف من الدين وعداوة فسيكفيكهم الله وساير المسلمين شرهم وهو السميع لمقالة
اليهود والنصارى العليم بهم وبعقوبتهم والشقاق في اللغة مفارقة الحق من قول الناس فلان شق
عصا المسلمين اي فارق ما اجتمعوا عليه من اتباع امامهم وصار في شق غير المسلمين وقال بعضهم
الشقاق مشتق من المشقة فان كل واحد من العدوين يفعل ما يشق على صاحبه والفاء في قوله تعالى
فسيكفيكهم الله ناسقة لنظم الكلام والسين سين الوعد والكاف الثانية لخطاب النبي والهاء والميم كناية
عن اليهود والنصارى والخطاب والكناية كلاهما في موضع النصب لان الكفاية تتعدى الى
مفعولين تقدير الكلام سوف يرفع الله تعالى عنك مؤنة هؤلاء الكفار فان قال قائل كيف قال بمثل
ما آمنتم وليس لله تعالى مثل قيل قد اختلف الناس في جواب هذا السوال فقال بعضهم الباء زائدة كما
في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا معناه كفى الله وقال بعضهم معنى الاية فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به وهذا كما يقال كتبت بمثل ما كتبت وعلى مثل ما كتبت اي اخذت بكتابتك مثالا فكتبت عليها
وقيل من بعضهم مثل زايدة كما يقال مثلي لا يقبل من مثلك اي انا لا اقبل منك وقيل لا يحتاج
هاهنا الى اسقاط شي منها ومعنى الاية فان صدقوا كتصديقكم واقروا كاقراركم فقد اصابوا الحق
وفي الاية ضمان من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يكفيه امر اعدائه فكفاه مع كثرة عددهم
وحرصهم على قتله وفي هذا دليل صحة نبوته صلى الله عليه وسلم لانه ... وجود مخبره
على ما اخبر به في جميع اخباره الا وهو من عند الله تعالى عالم الغيب والشهادة كما قال جل ذكره
ليظهره على الدين كله وقال عز من قائل كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحو ذلك من الآيات
قوله عز وجل صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
بيان وصف كلمة التوحيد وهو متعلق بقوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا ومعنى
هذه الاية والله تعالى اعلم دين الله وفطرة الله التي فطر الناس عليها واي احد احسن
دينا منه ونحن له عابدون موحدون وانما سمي الدين صبغة لان دين الاسلام يوثر في
المتدين في الطهور والصلوة والسكينة والوقار وساير شعار الاسلام كما يصبغ الذي يكون
في الثوب يبين به المصبوغ عن غيره في الحسن والبراقة ولا شي في الاديان احسن من
دين الاسلام يظهر لكل ذي حاسة سليمة فضل الاسلام على ساير الاديان ولا يجوز ان يكون
ما خرج عن دين الاسلام حسنا ويقال اراد بالصبغة الختان على معنى ان ذلك يوثر في المختون
قال ابن عباس رضي الله عنه وذلك ان صبغاء النصارى كان اذا ولد لاحدهم ولد فاتى
عليه سبعة ايام صبغوه اي غمسوه في ماء لهم يقال له المعمودي ليطهروه بذلك وقالوا هذا
طهور مكان الختان فقيل لهم صبغة الله اي التطهير الذي امر الله به ابلغ في النظافة والختان
طهور طهر الله تعالى به ابرهيم عليه السلام وكان اول من اختتن بالقدوم وهو موضع بالشام
قال الكلبي كان يومئذ ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وقال قتادة ان
اليهود كانوا يصبغون اولادهم باليهودية والنصارى بالنصرانية اي كانوا يلقنونهم اليهودية
والنصرانية حتى كان يتشرب حب اليهودية والنصرانية في قلوبهم وهو ما روي عن عمر رضي

عن المعمودي

طهور

الله عنه

الله عنه انه اخذ على نصارى بني تغلب العهد ان لا يصبغوا اولادهم ولكن يتركونهم حتى اذا
بلغوا اختاروا لانفسهم ما شاؤوا من الاديان واخبر الله تعالى ان صبغة الله تعالى خير من
صبغة اليهود والنصارى وقيل صبغة الله تعالى ان يصبغ قلب المؤمن بماء الرحمة فيطهره
ويطيبه بماء اليقين والرضى والاستواء قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ونصب صبغة الله تعالى على
الاغراء الزموا وعلى تقدير بل ملة ابرهيم عليه السلام صبغة الله تعالى قوله عز وجل قل اتحاجوننا
في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون وذلك ان اليهود
كانوا يقولون نحن اهل الكتاب الاول والعلم القديم وكانوا يقولون والنصارى معهم نحن ابناء
الله واحباوه وكانوا يعيبون العرب بان كان فيهم عبدة الاوثان فامر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم ان يقول لهم اتحاجوننا في الله تعالى ويقول لم تخاصموننا في دين الله تعالى
وانتم تقولون ان ربنا وربكم واحد ولنا اعمالنا لا نوخذ باعمال سلفنا ولا تضرنا عبادة من
عبد الاوثان منا اذ لم نعبدها نحن ولذلك انتم لكم اعمالكم لا توخذون باعمال سلفكم ولا
تثابون على ذلك ونحن لله تعالى مخلصون بالعبادة والتوحيد لا ندعي معه شريكا ولا صاحبة
ولا ولدا واما انتم فتتخذون ... فيجب ان يظن اينا اصلح عملا واخلص لله تعالى
من اينا انتم ويقال هذه الاية جواب لمن كان يضاهي المشركين من اهل الكتاب معناه انتم
تقولون ان ربنا وربكم واحد فلم تظاهرون علينا من لا يوحد الله تعالى ان نطقتم ... امرنا
بالتوحيد فنحن موحدون وان نطقتم باتباع دين الانبياء صلوات الله عليهم فنحن متبعون
والمحاجة الى دلالة والمجادلة وطلب كل واحد من الفريقين اقامة الحجة على صاحبه من قولهم
حاججت فلانا محاجة ومن قرا اتحاجوننا بنونين فعلى اصل الكلمة ومن قرا بنون واحدة مشددة
فعلى ادغام النون الاولى في الثانية لاجتماع الحرفين من جنس واحد ومن قرا بنون واحدة
خفيفة فلانه اجتمع حرفان من جنس واحد فحذف احدهما تخفيفا كما في قوله تعالى فبم تبشرون
اصله تبشرونني قوله عز وجل ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب و
الاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون مردود على ما تقدم المعنى اتحاجوننا ام تقولون
كونوا هودا او نصارى تهتدوا او قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ام تقولون
ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى مع علمكم ومعرفتكم
خلاف ذلك وهذا استفهام بمعنى التوبيخ فانهم كانوا يزعمون ان الدين الصحيح هو
اليهودية او النصرانية وان هؤلاء الانبياء صلوات الله عليهم تمسكوا بها يقول الله عز وجل
قل انتم اعلم ام الله فان الله تعالى قد اخبرنا انهم كانوا مسلمين فقالوا ما هو كما قلت و
انا على دين ابرهيم عليه السلام وما انت برسول الله تعالى ولا على دينه فانزل الله تعالى
هذه الاية ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني به علماء اليهود والنصارى لانهم
علموا ان ابرهيم واسمعيل واسحق صلوات الله عليهم كانوا حنفاء مسلمين وان رسالة نبينا صلى
الله عليه وسلم حق بينه الله في التورية والانجيل فكتموه حسدا وطلبا للرياسة ثم اوعدهم الله
جل ذكره بقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون اي لا يخفى عليه شي من اعمالكم من كتمان بعث النبي
صلى الله عليه وسلم وصفته بمجازيكم على ذلك في الآخرة قوله تعالى ام يقولون ...

الألوكة www.alukah.net

قرا بالتاء كانت ام متصلة على معنى باى الحجتين يتعلقون على نحو ما ذكرناه ومن قرا بالياء كانت ام
منقطعة ويكون هذا انقطاعا الى نوع احتجاج اخر غير الاحتجاج الاول والله اعلم قوله عز وجل
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون قد تقدم
تفسيره من قبل فاما تكرار هذه الاية فان بعضهم قال المراد بالاول بنوا يعقوب واباؤه عليهم السلام
والمراد بالثانية الاسباط وقال بعضهم ان القران انما نزل على عادة العرب ومن عادة العرب
انهم يذكرون الجواب الواحد في اوقات مختلفة لاغراض مختلفة فيعدون ذلك فصاحة لا عيبا
وانما يعاب تكرار الكلام في مشهد واحد وغرض واحد والله تعالى اعلم قوله عز وجل سيقول
السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة نحو الكعبة و
ربما كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر الى المدينة امر بان يصلي الى بيت
المقدس لئلا يكذب به اليهود اذا صلى الى قبلتهم لان نعته في التورية ان يكون صاحب القبلتين
فصلى الى بيت المقدس نحوا من سبعة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا ثم امره الله تعالى بالتحول
الى الكعبة ليمتحن اهل الاسلام فيظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه من منافقي اليهود وغيرهم
فلما حول الله تعالى القبلة الى الكعبة بعد اقامة الحجة على الكفار في باب التوحيد ثم في تعظيم
حرمة الكعبة ثم في باب الانبياء صلوات الله عليهم ودينهم وملتهم علم ان الكفار يقولون
في نسخ القبلة اشياء يؤذون بها النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بما سيقولون في المستانف ليتعجل التسلي ويعرف ان ذلك من باب الوحي والغيب فكان كما اخبر
الله تعالى به فكان من المعجزات ومعنى الاية والله اعلم سيقول الجهال من الناس ما الذي صرفهم يعني اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي قبلة بيت المقدس قل يا محمد
صلى الله عليه وسلم لله المشرق والمغرب اي هو خالقهما وخالق جميع الاماكن يرشد من يشاء
الى طريق قايم يرضاه وهو دين الاسلام وقبلة الكعبة واختلف المفسرون رحمهم الله في
الجهال المذكورين في هذه الاية قال ابن عباس والبراء بن عازب ان هولاء هم اليهود عابوا النبي
صلى الله عليه وسلم حين امر الناس بالتوجه الى الكعبة فانكروا النسخ من طريق العقل وقالوا انه
يشبه البدا وذلك لا يجوز على الله تعالى وفي قوله تعالى قل لله المشرق والمغرب رد عليهم لان
من كان مالك المشرق والمغرب لا يعترض عليه في جميع ما يامر ويجوز ان يكون معناه ان الله تعالى
خالق الاماكن كلها فليس بعض ما خلق اولى ان يجعل قبلة بالعقل من بعض فوجب الانتهاء الى امر
الله تعالى باستقبال ما شاء الله فانما يتشرف الجهات في المشرق والمغرب بتشريفه اياها وبعبادة
الله تعالى فيها وقد بين الله تعالى في الاية التي بعد هذه الاية الحكمة التي اوجبت التحويل الى الكعبة مصلحة
للعباد ومن الحجة على اليهود ان تزويج الاخ بالاخت كان مباحا لولد ادم عليه السلام من صلبه ولولا
ذلك لم يكن بينهم توالد ثم هو محرم في شريعة التورية وساير الشرايع وكما جاز من الله تعالى ان
يحيي ويميت ويصح واحدا ويمرض اخر ويغني واحدا ويفقر اخر وكذلك في تبيين احكام العباد فيتعبد
بعضهم بضد ذلك الحكم في زمان واحد نحو تحريم الصلوة والصوم على الحايض وايجابهما على الطاهر على
حسب ما علم الله تعالى من مصالحهم ولم يكن شي من ذلك دليلا على البدا فكذلك لا يمتنع ان يخالف بين
احكام العباد في زمانين واما من زعم من اليهود ان النسخ بالعقل جايز الا ان موسى عليه السلام
اخبرهم ان شريعة التورية وتحريم السبت لا ينسخ ابدا فالجواب عنه ان التورية قد ثبتت عن

نبوة

نبوة انبياء الله صلوات الله عليهم بعد موسى عليه السلام فكان تحريم السبت معلوما بتوقيت الا
انبياء عليهم السلام بعد موسى عليه السلام فاذا الذي احله مقرونا الى لفظ التحريم وتخصيصا لدلالة
فان حرموا السبت ما لم احله على لسان نبي بعد موسى عليه السلام كما لا يجوز ان يقول لموسى
عليه السلام تمسك بتحريم السبت ما لم احله على لسانك وقال الحسن رضي الله عنه نزلت
هذه الاية في مشركي العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما تحول الى الكعبة من بيت المقدس رغبت
عن قبلة ابايك ثم رجعت اليها والله لترجعن الى دينهم كما رجعت الى قبلتهم وقال السدي رحمه الله
نزلت هذه الاية في المنافقين حين استهزوا بالمسلمين بتوجههم في الابتدا الى بيت المقدس ثم تحولهم
الى الكعبة وكانوا يقولون تردد على محمد صلى الله عليه وسلم امره فما هذا الذي هو يفعله يصلي حينا
الى هاهنا وحينا الى هاهنا وربما كانوا يقولون استهزا لقد اشتاق الرجل الى مولده سوف يرجع
الى دينهم فانزل الله تعالى هذه الاية والله اعلم والقبلة الوجهة وهي الفعلة من المقابلة الا ان القبلة
اختصت بالجهة التي يصلي اليها وانما عبر عن الدين بالصراط المستقيم لان الدين المستقيم يؤدي الى
الجنة من سلكه كما ان الطريق يؤدي سالكه الى مقصوده وفي هذه الاية دليل على ان الصلوة كانت الى
غير الكعبة وان اول حكم نسخ في الاسلام حكم القبلة قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم
من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم معنى الاية والله تعالى اعلم كما هديناكم الى
قبلة هي وسط لان الكعبة متوسطة بين المشرق والمغرب وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا ويقال
خيارا والمعنى واحد ويقال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم هو اوسط قريش حسبا ويقال فلان وسط
في قومه وواسطة في حسبه اي انه الكامل المشهور في الكمال ويقال واسطة المخنقة وواسطة لكونها
خير ما فيها وهذا لان المتوسط في الامور لا يفرط فيغلو ولا يقصر فيضيع كما يقال خير الناس هذا
النمط النمط الاوسط يلحق به التالي ويرجع اليه الغالي فوصف الله تعالى هذه الامة بانهم وسط
لما بينهم الغلو والتقصير لانهم لم يغلوا في الانبياء صلوات الله عليهم كغلو النصارى في المسيح حيث
قالوا المسيح ابن الله ولم يقصروا في المسيح كتقصير اليهود حيث كذبوا انبياء الله صلوات الله عليهم و
قتلوهم ولكن قالت هذه الامة هو عبد الله ورسوله عليه السلام فقولهم اعدل الاقوال وقيل معنى
وسطا اي وسطا بين الانبياء عليهم السلام فاما الوسط بسكون السين فهو الذي له طرفان ومعنى
لتكونوا شهداء على الناس اي لكي تكونوا محتجين على جميع من خالفكم ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم
محتجا ومبينا لكم اي مزكيا ومعدلا ولهذا يسمى الشاهدان بينة لانهما يبينان حق المدعي ويقال
للمدعي احضر بينتك فياتي بشاهدين وقد يقام على مقام اللام في العربية كقوله تعالى وما ذبح على
النصب اي للنصب وقيل معنى لتكونوا شهداء على الناس اي للنبيين صلوات الله عليهم بتبليغ الرسالة
وذلك ان ساير الامم تكذب انبياءهم صلوات الله عليهم يوم القيمة تبليغ الرسالة فتشهد هذه
الامة بصدق الانبياء صلوات الله عليهم ويشهد النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الامة بصدقهم وجازت
هذه الشهادة وان لم يعاينوا لوقوع العلم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى لتكونوا
شهداء اي يكون اهل كل عصر من هذه الامة شهداء على اهل زمانه فيما خالف من افعالهم الحق
فيشهدون عليهم في الدنيا بان هذا سارق وذا زان وذا شارب خمر وذا عاصي وذا مطيع
فتقبل هذه الشهادات كلها في الدنيا ويشهدون في الاخرة بما شاهدوا من الاعمال في الدنيا كما قال

المخنقة ما يوضع في العنق

شبكة الألوكة www.alukah.net

الله تعالى ومع النبيين والشهداء ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم شهيداً على من كان في
زمنه ويشهد عليهم يوم القيمة بين يدي الله تعالى هذا اتبعني وهذا عصاني كما قال الله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وكما قال عز من قائل حكاية عن عيسى
صلوات الله عليه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقال بعضهم ويكون الرسول عليكم شهيداً
على اهل عصره وعلى من تقدم عصره وعلى من يوجد بعد عصره وقد ورد في الاخبار ما يدل عليه
فانه يروى ان اعمال الناس تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاثنين وليلة الخميس وكذلك
انه تعرض اعمال الاحياء على ارواح الاموات فاما قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها الا ما امرتك يا محمد بالتوجه الى بيت المقدس في الصلوة ثم بالانصراف عنها الى الكعبة الا
لنرى ونميز من يتبع الرسول ممن يرجع الى دينه الاول وفي هذا بيان مصلحة العباد في ان الله
تعالى جعل قبلتهم اولا الى بيت المقدس ثم صرفهم الى الكعبة لان كفار اهل مكة كانوا يستقبلون
الكعبة ولو امر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون باستقبالها دعاهم ذلك الى ان لم يتميزوا من الكفار فلما
حصل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومضى على ذلك سبعة عشر شهرا او نحو ذلك وكانت اليهود
مخالطة للمؤمنين وكانوا يجتهدون في تشكيك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا
علم الله تعالى ان الصلاح ان يتميزوا من هؤلاء اليهود في القبلة لئلا يكون اجتماعهم على قبلة واحدة
سببا للالفة بين المؤمنين وبين اليهود فيكون فسادا لان اليهود اعداء الدين وان اظهروا
المودة كما قال الله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقال تعالى ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم الآية وكان علم الله تعالى سابقا بكل شيء مما كان وما يكون وما لم يكن ان لو كان كيف
كان يكون فمعنى لنعلم اي لنعلم علم المشاهدة بعد ان علمناه غيبا لان علم الغيب لا يجب به الجزاء
في ثواب ولا عقاب اذ الله تعالى يجازي العباد على عملهم لا على علمه فيهم واسم الطاعة والمعصية
يقع على الفعل بعد وجوده وقيل ذكر العلم والمعنى وعلى هذا قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله
تعالى وليعلم الله الذين صدقوا ونحو ذلك من الآي وقيل لنعلم من يتبع الرسول عليه السلام اي ليعلم
انبياؤنا عليهم السلام واولياؤنا رضي الله عنهم كما في قوله تعالى فلما آسفونا وقوله تعالى ان الذين
يحادون الله ورسوله وقيل معنى لنعلم او لنعلن كما قلت في قوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله من
قبل اي معناه لم قتلتم وانما سمي الكفر انقلابا على العقبين لان المنقلب على عقبيه قد جانب ما كان
بين يديه وادبر عنه فلما تركوا الايمان والادلة صاروا بمنزلة المدبرين عما بين ايديهم فوصفوا
بذلك كما قال الله تعالى ثم ادبر واستكبر ويقال ان المنقلب على عقبيه لا يرى ما وراءه فيهلك بوقوعه
في بئر او ماء او سبع يهلكه وكل هذا تشبيه فاما معنى قوله تعالى وان كانت لكبيرة اي وان كان اتباع
بيت المقدس ثم الانصراف عنها الى الكعبة لثقيلا شديدا الا على الذين هدى الله اي حفظ الله تعالى
قلوبهم على الاسلام وما كان الله ليضيع تصديقكم بالقبلتين ويقال معناه ما كان ليفسد صلوتكم الى
بيت المقدس وذلك ان جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفوا وهم يصلون الى
بيت المقدس فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلوتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان
اليهود كانت تقول بطل ايمانكم حيث تركتم قبلة بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه الآية
واما قوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم فالرؤف شديد الرحمة وهو الذي لا يضيع عنده
عمل عامل وهو رحيم بهم حين قبل طاعتهم وتعبدهم في كل وقت بما هو اصلح لهم والجمع في
هذه الآية بين لفظ الرأفة والرحمة للتاكيد كما قلنا في قوله تعالى الرحمن الرحيم ودخول اللام

في قوله تعالى وان كانت لكبيرة للتاكيد ولولا اللام لكان الكلام جحدا وفي هذه الآية دلالة ان هذه
الامة لا تجتمع على باطل لان الله تعالى وصفهم بالعدالة واخبر انهم شهداء على الناس وشهداء الله
تعالى لا يكونون الا عدولا كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم وحده حجة على الناس لظهور معجزاته
الامة يقينا وللاهل كل عصر من هذه الامة الا ترى انك تقول اجمعت الامة على تحريم الامهات والاخوات
فيكون هذا اطلاقا صحيحا قبل ان يوجد آخر الامة وفي الآية دلالة ان من ظهر كفره وفسقه لا يعتد
به في الاجماع لان الله تعالى جعل من وصف الشهداء العدالة قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك
في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل
عما يعملون قال ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام وددت
ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك لا املك
لك شيئا فاسأل ربك ان يحولك عنها فارتفع جبريل عليه السلام وجعل النبي صلى الله عليه
وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبريل عليه السلام بما سأل وان يحوله الله تعالى الى
الكعبة لانها كانت قبلة ابراهيم عليه السلام وكانت ادعى للعرب الى الاسلام فانزل الله تعالى هذه
الآية وقال مجاهد ان الله تعالى كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بان يحول القبلة من بيت المقدس
الى الكعبة فكان النبي صلى الله عليه وسلم متوقعا ورود جبريل عليه السلام بتحويل القبلة الى
الكعبة وكان يقلب وجهه في السماء كانسان يرجو خبرا على يدي آخر فيجعل بصره في طريقه ويتوقع
وروده وقال بعضهم ان الله تعالى قد نهاه عن الصلوة الى بيت المقدس ولم يكن بين له جهة
اخرى يصلي اليها وكان يعلم ان الله تعالى يامره بالصلوة الى جهة اخرى وكان ينتظر ورود جبريل
عليه السلام بالامر بالصلاة الى جهة اخرى وانما اختلفت الرواية في هذا الباب لان الانبياء
صلوات الله عليهم لا يجوز ان يسألوا الله تعالى امر القبلة ونحو ذلك من مصالح العباد الا بعد الاذن
لهم فيه لانهم لا يأمنون ان لا يكون لهم فيه صلاح فلا يجيبهم الله تعالى الى ذلك ويكون ذلك فتنة على
قومهم اذا لم يجابوا الى الملتمس ومعنى الآية والله اعلم قد نرى تصرف وجهك الى السماء فلنولينك
الى قبلة تهواها وتحبها واراد بلد محبة الطبع بعد كثرة الصلاح ليكون تمييزا بينه وبين اليهود
واظهارا لحال المنافقين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن راضيا بالقبلة الاولى ومعنى قوله
وجهك شطر المسجد الحرام قال بعضهم شطر الشيء نصفه يقال شطرت الشيء اذا جعلته نصفين و
يقال في المثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه فكان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يحول وجهه الى نصف المسجد الحرام والكعبة واقعة من المسجد في النصف من كل جهة فلما كان
المتوجه يقع الى الكعبة وكان موقعها من المسجد هذا الموقع جاز ان يقول تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام يعني النصف من كل جهة وهو الوسط من كل جانب وهو عبارة عن بقعة الكعبة وقال
بعضهم معنى شطر المسجد الحرام نحو الكعبة والشطر يذكر ويراد به النحو والقصد يقال هو لا متشاطر وما
ان تشاحونا نتصل دورنا بدوركم نحو وهم نحونا ويقال فلان شاطر اي آخذ في نحو غير
الاستواء والمراد بالمسجد الحرام على هذا الطريق نفس البيت لانه لا خلاف ان من كان بمكة فتوجه في
صلاته نحو المسجد انه لا يجزيه اذا لم يكن محاذيا للبيت واما قوله تعالى وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فليس بتكرار لان ما قبله خطاب لمن كان بالمدينة من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي
الله عنهم وهذا خطاب للناس كلهم في جميع الآفاق يقول حيث ما كنتم من البلاد فحولوا وجوهكم

شطر المسجد الحرام وان الذين اعطوا الكتاب كتاب الله وهم اليهود والنصارى ليعلمون انه
الحق اي استقبال الكعبة حق من ربهم على ما رويناه ان نعت النبي صلى الله عليه وسلم
في التورية ان يكون صاحب القبلتين وقد روى عن ابي العالية قال رايت مسجد صالح
عليه السلام قبلته الى الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي الى الصخرة نحو الكعبة فاهل الكتاب
يعلمون ان امر الكعبة حق من ربهم ثم اوعدهم الله تعالى فقال عز من قائل وما الله بغافل عما
يعملون اي لا يخفى عليه جحود اليهود والنصارى ولا تغني الايات عندهم مجحد ما يعرف وفي هذه الآية
دلالة على تجويز الاجتهاد في الاحكام الحوادث وان كل احد من المجتهدين انما يكلف ما يودي
اليه اجتهاده ويغلب على ظنه لان الغايب عن الكعبة لا يكلف اصابة عين الكعبة اذ لا سبيل اليها
قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية فمن لا يجد سبيلا الى اصابة عين الكعبة لم يكلف اصابتها
الا بغالب الظن وفي الآية دليل ايضا ان الاشبه من الحوادث مطلوبة كما ان القبلة حقيقة هي مطلوبة
بالاجتهاد وكذلك تكليف الاجتهاد في طلب الحقيقة كما صح تكليف طلب القبلة بالاجتهاد لان لها حقيقة
قوله عز وجل ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا
لمن الظالمين اخبر من الله تعالى عن عناد اهل الكتاب ومخالفتهم بعد علمهم ان الكعبة حق
يقول لئن اتيتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم بكل علامة تدل على صدق مقالتك ما صلوا الى قبلتك
وما انت بمصل الى قبلتهم بعد التحويل وفي هذا قطع اطماع اليهود في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
قبلتهم فانهم كانوا يقولون لو رجع الى قبلتنا لآمنا بك ونتبعك وانما قوله تعالى وما بعضهم بتابع
قبلة بعض فالمعنى كيف ترجوان يتبعوك ويصلوا الى قبلتك ولا يتبع بعضهم بعضا مع اتفاقهم
على التظاهر عليك ولئن اتبعت يا محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم اي ان صليت الى قبلتهم و
اتبعت ملتهم من بعد ما جاءك من العلم ان الدين هو الاسلام وان الكعبة هي القبلة انك اذا لمن
الضارين لنفسك وهذا وعيد من الله تعالى على معصية علم الله تعالى انها لا تقع منه كما في قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك واول هذه الآية تعرض التحضيض فاما من اهل الكتاب من يسلم و
يتبع ملة الاسلام واجيبت لئن بما فيها من معنى اليمين ولئن تجاب بجواب لو لان لئن
تدخل على الماضي بمعنى المستقبل وحقيقتها ايقاع الشي لوقوع غيره وكذلك ان مع لفظ الاستقبال تعالى
تقول لئن اتيتني اكرمتك وان تاتني اكرمتك ولو يدخل على الماضي بمعنى الماضي وحقيقتها منع
الشي لامتناع غيره يقال لو اتيتني لاكرمتك اي لم تاتني فلم اكرمك وفي الآية ابطال حجاج من
يحتج من اهل الكتاب ويقول ان بيت المقدس قبلة اهل الكتاب ورثوها من انبيائهم عليهم السلام
فهي اولى بالتوجه اليها من الكعبة لان الله تعالى بين بهذه الآية ان اهل الكتاب لم يجتمعوا كلهم على
قبلة واحدة بل خالف بعضهم بعضا ويصلون الى جهتين مختلفتين فلا يمتنع ايضا ان يبعث الله
تعالى نبيا يامره بالتوجه الى جهة اخرى قوله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
تعالى كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون معنى الآية والله اعلم
ان العلماء بالكتب المنزلة على الانبيا صلوات الله عليهم من قبل وصحة ما فيها من صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ونعته يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته ومبعثه وقيل يعرفون
ان التحول الى الكعبة حق كما يعرف احدهم ولده اذا راه مع الغلمان وان طائفة منهم مثل كعب بن
الاشرف واصحابه ليكتمون الحق وهم يعلمون انه حق وانما قال تعالى وان فريقا منهم لانهم لو جحدوا

كلهم

كلهم ذلك لما صح مع كثرتهم ان يجتمعوا على كتمانه لان ذلك لا يوجد من العادة لان واحدا
لو دخل البصرة وسال عن جامعها لم يجز ان لا يلقاه احد ممن يساله الا وهو يكذب في ذلك او
يكتمه وانما يجوز ذلك على جمع قليل وفي هذه الآية بيان ان المراد بقوله تعالى وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق قوم مخصوصون من علماء اهل الكتاب يتصور عليهم التواطؤ على الكذب
لان الجمع العظيم لا يقدرون ان يظهروا خلاف ما يعلمون وقد روى عن عبد الله بن سلام
انه قال حين نزلت هذه الآية كنت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اشد معرفة لك مني بابني
فقال عمر رضي الله عنه كيف ذلك يا عبد الله قال لاني اشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حقا يقينا ولا اشهد بذلك على ابني لاني لا ادري ما احدثت فقال له عمر وفقك الله يا عبد الله قوله النساء ه
عز وجل الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي هذا القران حق من ربك يا محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل جاءك الحق من ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الكعبة قبلة ابرهيم عليه السلام فلا
اليهود فلا تكونن من الشاكين في امر القران والقبلة وما ورد من هذا الجنس خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد هو وعامة الامة فان القران انما نزل على ما يتفاهم الناس فيما بينهم ومن عادة الناس
ان يوجهوا امرهم ونهيهم الى من يقتدي به اقوى تنبيها للغير وتاكيدا الا ترى ان الرجل الحازم
اذا اقبل على اكبر اولاده واصطلح وزجره عن امر بحضرة جماعة اولاده كان منبها بذلك على عظم
ذلك الفعل ان اختاروه وارتكبوه قوله عز وجل ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات
اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير قال ابن عباس ومجاهد والسدي
رضي الله عنهم لاهل كل ملة من اليهود والنصارى وجهة اي قبلة يولي كل اهل ملة وجوههم في صلواتهم
اليها وذلك ان المسلمين يصلون الى الكعبة واليهود والنصارى يصلون الى جهتين مختلفتين وقيل
معنى هو موليها اي الله تعالى موليها اي يولي اهل كل ملة القبلة التي يريدها ومن قرا هو مولاها فالمعنى قدر
له ان يتولاها وقيل في معنى الآية لكل قوم من المسلمين وجهة من اهل ساير الافاق الى جهات الكعبة و
وراءها وقدامها وعن يمينها وعن شمالها ليس جهة من جهاتها اولى بان تكون قبلة من غيرها وقيل
لاهل كل ملة دين على حدة كما قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال الحسن رضي الله عنه
معناها لكل نبي طريقة واحدة وهي ما شرعه الله تعالى من الاسلام وان اختلف الاحكام ومعنى قوله تعالى
فاستبقوا الخيرات اي ظهر لكم الحق ايها المسلمون في طريقتكم فبادروا الى قبول امر الله تعالى وطاعته
مبادرة من يطلب الاستباق اليها وولوا وجوهكم حيث امركم الله تعالى ومعنى اينما تكونوا يات
بكم الله جميعا اي اينما تكونوا في الارض يقبض الله تعالى ارواحكم ويجمعكم يوم القيمة للحساب وان كانت
قد تفرقت بكم البقاع والبلاد وقيل هو خطاب للمومنين الذين قد سبق في علم الله تعالى انهم يصلون الى
الكعبة يقول الله تعالى اينما تكونوا في شرق الارض وغربها وفي اصلاب الآباء وارحام الامهات يجمعكم
الله تعالى على هذه القبلة ان الله على كل شيء قدير من الخلق والبعث والحساب وغير ذلك قادر لا يخفى عليه
شيء من افعال العباد واينما في معنى الشرط يجزم ما بعدها من الجواب يقال اين بيتك ازرك اي ان تعرف
بيتك ازرك وفي الآية دلالة ان تعجيل الطاعات افضل من تاخيرها ما لم تقم دلالة على فضيلة التاخير
نحو تعجيل الصلوة في اول وقتها وتعجيل الزكوة والحج وساير الفروض بعد حضور وقتها او وجود سببها وفي
فيها دلالة ايضا ان الامر على الفور وان جواز التاخير يحتاج الى دلالة لان الامر اذا كان غير موقت
فلا محالة انه يتعلق على الفور لانه من الخيرات فوجب مضمون قوله تعالى فاستبقوا الخيرات ايجاب
تعجيله لان المؤخر على خطر الفوت واذا سبق اليه الفوت واستدرك الوجوب قوله عز وجل

الألوكة

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تاكيد امر التحويل الى الكعبة وبيان انه ثابت لا يتغير بنسخ كما تغيرت قبلة بيت المقدس
وقال بعضهم معناه الى اي موضع خرجت اليه من النواحي التي كنت تصلي فيها الى غير الكعبة من
قبل فحول وجهك من ذلك الموضع في الصلوة شطر المسجد الحرام ولا تكن على ما كنت عليه من قبل و
ان الامر بالتوجه الى الكعبة لصدق من ربك وما الله بغافل عما تعملون اي ان الله تعالى عالم باعمالكم
مجازي كل عامل بعمله قوله عز وجل وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ في ابتدا هذه الآية بيان
ان حكم النبي صلى الله عليه وسلم وامته في التوجه الى الكعبة في السفر والحضر سوآء لانه كان من
الجائز ان يلحق به الفرق بين المسافر والمقيم كما ورد الشرع في باب النوافل على الراحلة فبين الله
تعالى ان المسافر كالمقيم في هذا التوجه ومعنى الآية ومن حيث خرجت اليه يا محمد من نواحي الارض
واقطارها فحول وجهك نحو الكعبة وحيث ما كنتم ايها المؤمنون بالبعد من الكعبة او القرب
مسافرين او مقيمين فحولوا وجوهكم نحو الكعبة لئلا يكون لليهود عليكم حجة لان المسلمين لو لم يصلوا
الى المسجد الحرام لكان ذلك مخالفة للبشارة السابقة فيكون ذلك حجة عليهم للناس بان يقولوا
ليس هذا هو النبي المبشر به صلى الله عليه وسلم اذ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو نبي تصلي امته
الى القبلتين ويقال معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة اي لئلا يكون لكفار اهل مكة حجة عليكم اذ قالوا
ترك محمد صلى الله عليه وسلم قبلة آبائه التي هي قبلة ابرهيم عليه السلام ويقال معنى الآية عرفكم الله
تعالى الاحتجاج في امر القبلة فلا يكون للناس حجة وقوله الا الذين ظلموا منهم استثناء منقطع المعنى لا
يحاجكم احد الا من ظلم فيما يحتجه ويحتج عليكم بغير الحق ويحاج بالباطل كما يقال ما لك علي حجة الا
الظلم اي ما لك علي حجة البتة ولكنك تظلمني ويسمى الظلم حجة كما قال الله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم
وكانت حجتهم الباطلة على النبي صلى الله عليه وسلم ان قالت اليهود ان كانت قبلتنا ضلالة فقد
صليت اليها سبعة عشر شهرا وان كانت هدى فقد انصرفت عنها وقالت كفار مكة تركت قبلة آبائك
ثم رجعت اليها فاجابهم الله تعالى بهذه الآية وقيل معنى الا الذين ظلموا اي الذين ظلموا منهم يتعلقون
بالشبهة ويضعونها موضع الحجة وهذا كما قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن معناه لكن اتباع
الظن وقال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب معناه لكن سيوفهم
بهن فلول وليس بعيب وكان ابو عبيدة يقول الا هاهنا بمعنى واو النسق كانه قال لئلا يكون للناس
عليكم حجة ولا الذين ظلموا قال الفرا هذا صواب في التفسير خطا في اللغة وانما يكون الا بمنزلة الواو
اذا عطفت على استثنا قبلها كقولك لك الف درهم الا عشرة دراهم الا مائة درهم معناه لك علي الف درهم
ومائة الا عشرة كانك اعتقلت المائة ثم استدركتها فقلت الا درهم الا مائة قال الشاعر
ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا معناه ولا دار مروان وانما حسن ذلك بعد قوله
غير واحدة وانما في قوله تعالى فلا تخشوهم اي لا تخافوا الكفار في انصرافكم الى الكعبة وخافوني في تركها و
لأتم نعمتي عليكم بالهداية الى قبلة ابرهيم عليه السلام وهذا معطوف على قوله تعالى لئلا والعامل فيهما
قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره ومعنى قوله تعالى ولعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا من الضلالة فان
قيل كيف اعاد قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وما فائدة تكرار هذا اللفظ
قلنا قد قدمنا ذكر الفائدة في كل لفظ على حدة فلا تكرار في الحقيقة وقيل ان الاعادة لاتصال كل واحدة

س

من الآيات الثلث بمعنى غير المعنيين الآخرين لان الاولى متصلة بكتمان اليهود امر القبلة والثانية متصلة
باخبار الله تعالى عن حقيقته ورفع الشكوك فيه والثالثة متصلة بقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم
حجة وفي الجملة ان نسخ القبلة امر عظيم لا يبتغي مثله من التاكيد والاعادة ليكون الناس على يقين
من ذلك ومعرفة في حكمه ومصالحه وبالله التوفيق قوله عز وجل كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا
مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
خطاب للعرب المعنى كما انعمنا عليكم برسالة رسول امي منكم اليكم فاذكروني وجاز ان يوصل قوله
تعالى كما ارسلنا بما تقدمه اي ولأتم نعمتي عليكم كما ابتدأت النعمة بارسال الرسول منكم اليكم لان
اختيار الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من العرب نعمة عظيمة وشرف لهم واستدعا الى الاسلام
لانه اختاره من العجم لكانت العرب مع عزتها وحميتها لا تتبعه فاختياره له من قريش نعمة عليهم و
شرف لهم يتلو عليكم آياتنا القرآن ويطهركم باخذ زكوة اموالكم ويامركم باشيا تكونوا بها ازكيا اذا
تمسكتم بها ويعلمكم الكتاب اي القرآن والحكمة الفقه والموعظة ومعرفة التاويل والسنة ويعلمكم من اقاصيص
الانبيا صلوات الله عليهم واخبارهم ما لم تكونوا تعلمون قبل ارسال الرسول اليكم قوله عز وجل
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ متصل بما قبله على ما تقدم ذكره ومعنى الآية والله تعالى
اعلم اجعلوا اذكركم اياي على مقادير كثرة نعمتي عليكم فاذكروني بالتوحيد والطاعة اذكركم بالرحمة و
المغفرة ويقال اذكروني عند الرخا اذكركم عند البلا واذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة واذكروني بالبصر اذكركم
بالفرج واذكروني بالدعا اذكركم بالاجابة واذكروني في الدنيا بالاخلاص اذكركم في الآخرة بالخلاص واذكروني
في ملا من الناس اذكركم في ملا من الملائكة واشكروا لي نعم الدين والدنيا كلها ولا تكفروا ايادي واحساني اليكم فان
قيل هل يجوز ان يكون جميع ما روي في معنى هذه الآية مرادا قلنا نعم لان جميع وجوه الذكر على اختلافها
راجع الى معنى واحد كاسم الانسان يتناول الذكر والانثى والاخوة يتناول الاخوة المتفرقين كذلك ذكر الله
تعالى لما كان المعني فيه طاعته والطاعة تكون تارة بالذكر باللسان وتارة بالعمل بالجوارح وتارة باعتقاد
القلب وتارة بالفكر في دلائله وحججه وتارة في عظمته وتارة في دعائه ومسئلته جاز ارادة الجميع بلفظ
واحد كلفظ الطاعة نفسها جاز ان يراد بها جميع الطاعات على اختلافها اذا ورد الامر بها مطلقا نحو قوله
اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاع الله تعالى
فقد ذكر الله تعالى وان قل صومه وصلوته ومن عصى الله تعالى فقد نسي الله تعالى وان كثر صومه وصلوته
وافضل وجوه الذكر الفكر في دلائل توحيد الله تعالى وعظمته وقدرته وسائر وجوه الذكر مبني عليه وتابع له
وبه يصح معناه قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واراد به ذكر القلب الذي هو الفكر في دلائل توحيد الله
تعالى واياته وكلما ازددت فيه ذكرا التوقف لديك او التعرف دينك او تحل الشبهة او تسعد الغير ازددت
اليه طمانينة وسكونا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر الخفي وخير
الرزق ما يكفي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا انبيكم بخير اعمالكم وارفعها
في درجاتكم وخير لكم من ان تلقوا العدو فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم وخير لكم من انفاق
الذهب والفضة قلنا ما هو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال حق على الله تعالى ان يذكر من ذكره فمن ذكره من اهل طاعته ذكره الله تعالى بالخير ومن
ذكره من اهل معصيته ذكره الله تعالى باللعنة وسوء الدار قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وذلك ان الله تعالى لما اوجب العبادات جميعا
بقوله تعالى فاذكروني اذكركم وامر بالشكر ضم الى ذلك ما يكون معونة عليهما فقال لهم من قائل يا ايها الذين

شبكة الألوكة

آمنوا الى اخره وصدقوا بوعد الله يقول الله تعالى استعينوا على ما الزمكم من عباده وشكره بالصبر على اداء
الفرايض واجتناب المحارم وبالمواظبة على الصلوة والاستكانة ومنها ان الله مع الصابرين على اداء
الفرايض بالنصر والمعونة والتسديد واتمام الله تعالى والله اعلم بالاستعانة بالصبر والصلوة لان الصبر
قصر النفس وتوطينها على احتمال المكاره في ذات الله تعالى وان لا يعدل بعد الثواب والحق وعند
ما يلزم من تحمل المشاق الى الجزع والتواني والصلوة تشتمل على الخشوع والخضوع والتذلل الذي يرقق
القلب ويورث الخوف وما فيها من الذكر يتضمن الوعظ والوعد والوعيد وذلك كله يعين على ترك
الطاعة وترك المعصية ومن وفر همته وقلبه على الصلوة وذلل نفسه وقلبه هذا التذليل سهل عليه
من طاعة الله تعالى ما يصعب على غيره والصبر اشق الطاعات الباطنة والصلوة اشق الطاعات
الظاهرة وبهما يستعان على ساير الواجبات قوله عز وجل **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات بل احياء ولكن لا تشعرون** وذلك ان المسلمين كانوا يقولون لشهدا بدر واحد مات
فلان وفلان وكان الكفار يقولون على طريق الطعن والذم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون
انفسهم في الحرب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فنهى الله تعالى المومنين الذين امرهم بالاستعانة
على الجهاد والفرايض بالصبر والصلوة ان يقولوا مثل هذا القول ونبه على ان ذلك كذب بقوله تعالى
بل احياء وقد اختلف المفسرون في حيوة الشهدا **قال** الحسن ومجاهد وقتادة وعامة اهل التاويل
انهم احيا على الحقيقة **وقال** بعض من شذ عن الاجماع انهم ليسوا باحيا بل هم اموات ولكن الله تعالى
سماهم احيا لما نالوا من جميل الذكر والثنا وهذا كما روي عن امير المومنين علي رضي الله عنه
انه قال مات خزان الاموال والعلما باقون ما بقي الدهر امثالهم في القلوب موجودة واعيانهم في
الارض مفقودة وكما قال الشاعر موت التقي حيوة لا انقضاء لها قد مات قوم وهم في الناس
احياء **وذهب** بعضهم الى ان المراد بالحيوة الحيوة المستقبلة عند البعث والنشور يحيون
ويسكن الشهدا الجنة فيعيشون العيش الرغد وقال ان المراد بالاية لا تقولوا انهم اموات
لا ينشرون ولا ينتفعون بما لقوا من الشدايد والمكروه وقيل لا تقولوا انهم اموات في الدين
كما قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه والصحيح من هذه الاقاويل هو القول الاول انهم
اليوم احيا على الحقيقة لان الله تعالى قال ولكن لا تشعرون ولو كان المراد بقوله بل احيا على معنى
انهم استحقوا الجميل الذكر والثنا او انهم يحيون عند البعث لكنا نشعر بذلك فان قال قايل انا نرى
جثة الشهيد مطروحة على الارض لا تتصرف ولا يكون عليها شي من علامات الاحيا ونراهم رميما في
القبور بعد مرور الازمان عليهم فكيف يكون معنى الحيوة قيل له اختلف الناس في هذا على قولين
منهم من جعل الانسان هو الجسم اللطيف الدقيق المنحصر الحساس الدراك المكلف المتعبد وهو
لا بشر هذا الجسم الكثيف كما قالوا الانسان الجبة وغيرها والبوس والنعيم له دون الجثة الكثيفة
فاذا فارق اللطيف الكثيف بلي الكثيف ونفي ثم يكون اللطيف بعد الموت ان كان سعيدا ينعم في
قبره الى يوم القيمة وان كان شقيا يعذب ويولم ويخوف الى يوم القيمة فعلى هذا لا يتاتى هذا السوال
لان الجثة وان كانت مطروحة على الارض فالذي هو الحي حسابه في هذا الوقت على هذا القول وهذا
كما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب
اخوانكم يوم احد جعل الله تعالى ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من
ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم
قالوا يا ليت اخواننا علموا ما اعد الله لنا من الكرامة فلم يجبنوا في الحرب ولم ينكلوا عند اللقاء

وقيل

يحيون للبعث

قال

قال الله تعالى انا مبلغهم عنكم فانزل الله جل ذكره ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احيا عند ربهم يرزقون فرحين الى اخر الاية ومنهم من قال ان الانسان هو هذا الجسم الكثيف المشاهد
الا انهم اجابوا عن هذا السوال بجوابين احدهما انه يجوز ان تكون الجثة مطروحة على الارض لا يرى
عليها شي من علامات الاحيا ثم تكون الجثة مع ذلك تصل اليها اللذات كما ان النايم لا يرى عليه شي
من علامات من يعلم شيا او يحس بشي ثم قد تكون هو في اللذات والسرور لما يرى في المنام واذا
انتبه اسف عليها فاته مما كان يراه في النوم وقد يكون النايم في غموم واهوال لما يراه في النوم
حتى اذا انتبه استراح **وقد روي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يفسح للمومن مد بصره في قبره
فيكون في روضة على حالة جميلة يصل اليه طيب ريحها ولذيذ نسيمها ويقال له نم نومة العروس
ويضيق على الكافر قبره ويفتح له باب من ابواب النار ويصل اليه من حرها وسمومها ويقال له نم
نومة المنهوش وفي هذه الاية والخبر دلالة على عذاب القبر والجواب الثاني ان الله تعالى يلطف
اجزاء الشهيد بقدر ما تقوم به البنية الحيوانية فيحييها ويوصل اليها اللذات والنعيم ويكون
الحيوة لتلك الاجزا اللطيفة وان كانت عامة جثة الشهيد مطروحة على وجه الارض فان قيل اذا
كان ساير المومنين عندكم منعمين في البرزخ فلماذا اختص الله تعالى الشهدا بانهم احيا قيل له يجوز
ان يكون اختصاصهم بالذكر في هذه الاية للتشريف وعلى جهة تقديم البشارة بذكر حالهم فان
درجتهم في الجنة ارفع ومنزلتهم اعلا واشرف كما قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين قوله عز وجل **ولنبلونكم
بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين**
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الاية اخبر الله تعالى ان الدنيا دار
بلاء وان الله تعالى يبتليهم فيها وامرهم بالصبر وبشرهم بالثواب لتطيب انفسهم ومعنى الاية
والله تعالى اعلم ولنبلونكم ولنختبرنكم معشر المومنين بشي من الخوف خوف العدو والفزع في
القتال والجوع بقحط السنين وقلة ذات اليد ونقص من الاموال بهلاك المواشي وذهاب
الاموال وقيل لانهم اذا اشتغلوا بالقتال احتاجوا الى انفاق ما في ايديهم ومنعهم اشتغالهم
بالقتال عن تكسب غيره وذلك من الاموال فلهذا قال ونقص من الاموال وقوله تعالى والانفس اراد به
الموت والقتل والامراض والثمرات ان لا تخرج الثمار والزروع كما كانت تخرج من قبل وقيل اراد
بالثمرات الاولاد لان الولد ثمرة القلب وهم اذا اشتغلوا بالقتال منعهم ذلك عن عمارة البساتين
وعن مناكحة النسا فقل عمارة بساتينهم وقل اولادهم وبشر الصابرين الذين يصبرون على هذه
الشدايد وانما امتحنهم الله تعالى بهذه الامور لامرين احدهما انه اذا اصاب من بعدهم مثل هذه الاحوال
علموا ان ما اصابهم من ذلك لم يكن لنقصان درجتهم عند الله تعالى وانه قد اصاب مثل هذه الامور من
هو اعلا درجة منهم وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم والثاني ان الكفار اذا شاهدوا
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد اصابهم مثل هذه الامور فصبروا على موافقته صلى الله عليه
وسلم ونصرته مع مقاساة الضر والشدايد علموا انهم مع كونهم عقلا انما صبروا على هذه الامور لاجل
الكرامة التي وعدها المومنين فيدعوهم ذلك الى الدخول في هذا الدين والثبات عليه ويجوز ان يكون
فايدة تقديم الله تعالى اليهم ذكر ما علم انه يصيبهم في الله تعالى من هذه البلايا والشدايد ان يوطنوا
انفسهم على الصبر عليها اذا وردت فيكونون ثابتين بتوطين النفس عليها قبل الفعل ويكون ذلك ابعد
لهم من الجزع واسهل عليهم بعد الورود قوله عز وجل **الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله**

شبكة الألوكة

بِلِّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ صفة الصابرين الذين ذكرهم الله تعالى وبشرهم برضوانه ومعنى الآية
الذين اذا اصابتهم مصيبة من هذه المصائب قالوا نحن عبيد الله وفي ملكه وقبضته يحكم فينا
بما يشاء من الشدة والرخاء ان عشنا فعليه ارزاقنا وان متنا فاليه مردنا وفي الاقرار بالعبودية لله
تعالى تفويض الامر اليه والرضا بقضائه والثناء تعالى ان يبتليهم بما يشاء تعريضًا منه لثواب الصبر
واستصلاحًا لهم بما هو تعالى اعلم به اذ هو مدبرهم في فعل الخير والصلاح فان افعاله كلها حكمة
وفي الاقرار بالبعث والنشور اعتراف بان الله تعالى يجزي الصابرين على قدر استحقاقهم فلا
يضيع اجر المحسنين وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حاكيًا عن
جبريل عليه السلام عن الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في اهله او ولده
او بدنه فاستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انشر له ديوانا او انصب له
ميزانا وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات
ولد الرجل يقول الله تعالى للملائكة وهو تعالى اعلم اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم اقبضتم
ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول تعالى فماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول
عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من
اصابته مصيبة فليذكر مصيبته في فانها من اعظم المصائب وعن انس رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر
عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر عظم المصيبة ومن استرجع بعد المصيبة جدد
الله تعالى له اجرها كيوم اصيب بها وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال لقد اعطيت هذه
الامة عند المصيبة ما لم يعط احد قبلهم وهو كلمة الاسترجاع ولو اعطيها الانبياء صلوات
الله عليهم لاعطيها يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفا على يوسف وقد اشتملت هذه الآية
على حكمين فرض ونفل فاما الفرض فهو التسليم لامر الله تعالى والرضا بفعله واما النفل
فاظهار القول بانا لله وانا اليه راجعون قوله عز وجل أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ
رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ يقول اهل هذه الصفة وهم الصابرون على
طاعة الله تعالى عليهم ثناء جميل من ربهم ومغفرة وبركة ورحمة لهم وهي النعم التي لا يعلم مقاديرها غير
الله عز وجل كما قال في آية اخرى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واولئك هم المهتدون
الى ما امروا به من الطاعات ومجانبة المعاصي وقيل هم الموفقون للاسترجاع ونيل الثواب وفي
اصل الصلوة في اللغة هو اللزوم يقال صلي واصطلى اذا لزم ومن هذا ما يصلى في النار وفي الآية بشارة
عظيمة وشهادة بالاهتداء بالغة لمن فوض امره الى الله واستسلم لقضائه والله تعالى اعلم وعن امير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال نعم العدلان ونعم العلاوة يعني بالعدلين
قوله تعالى عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبالعلاوة قوله تعالى واولئك هم المهتدون قوله عز وجل
إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا
وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ابتداء حكم مستانف الا انه منتظم بما قبله ومتصل به
وفي الصلة وجهان احدهما انه جرى فيما تقدم ذكر الاستعانة بالصبر والصلوة على سائر
الطاعات والسعي بين الصفا والمروة من جملة الطاعات والثاني انه ذكر فيما مضى الاهتداء الى
الطاعات ثم ذكر السعي بين الصفا والمروة اي هم المهتدون ايضا وسبب نزول هذه الآية ما روي
ان اسافًا ونايلة رجلا وامرأة من قريش كانا يطوفان بالبيت في الجاهلية فاصابا خلوة فاراد

احدهما

احدهما صاحبه فمسخهما الله تعالى نحاسا فقالت قريش لولا ان الله رضي ان يعبدا لما مسخهما
نحاسا فاخرجوهما الى الصفا والمروة فوضعوا اسافا على الصفا ونايلة على المروة وكانوا اذا
طافوا بين الصفا والمروة مسحوهما فلما جاء الاسلام تحرج المسلمون السعي بين الصفا والمروة
لمكان الصنمين وقالت الانصار ان السعي من امر الجاهلية فانزل الله تعالى هذه الآية و
معنى الآية والله تعالى اعلم ان الصفا والمروة من اعلام متعبدات الله تعالى فمن قصد البيت
بالعمل المشروع للحج من الاحرام والطواف والوقوف والسعي وغير ذلك او زار البيت بالعمل
المشروع للعمرة من الاحرام والطواف والسعي فلا اثم عليه في الطواف بين الصفا والمروة اي لا
يتحرج من الطواف بهما لمكان الاصنام التي عليهما لا لعين الطواف لان الطواف بهما واجب
ونظير هذا ان يكون الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلوة فيه الا متوجها الى بعض المواضع
التي يكره التوجه اليها في الصلوة مثل الحمام او المخرج فيقال له عند ذلك لا جناح عليك في ان تصلي
الى هذه المواضع لا يراد بذلك رفع الجناح عن فعل الصلوة لاجل عين الصلوة لان عين الصلوة واجبة
وانما يراد بذلك رفع الجناح لاجل المكان الذي يتوجه اليه كذلك في هذه الآية لم يرد رفع الجناح عن
الطواف بهما لعين الطواف لان الطواف واجب والمطوف له هو الله تعالى فلا معتبر بكون الاصنام
على الصفا والمروة وذهب بعض الناس في معنى هذه الآية الى انه لا حرج عليه في ان لا يطوف
بهما وهذا كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا وكقوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة اي
لا تقولوا وهذا تاويل من يقول ان السعي بين الصفا والمروة غير واجب وهو قول عطاء وانس رضي
الله عنهما وفي قراءة ابن عباس وابي فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما واستدلوا على ذلك بقوله
تعالى في آخر الآية ومن تطوع خيرا قالوا وهذا يقتضي انه تطوع فاما على القول الاول الذي ذكرناه
ان السعي بين الصفا والمروة واجب فمعنى ومن تطوع خيرا اي زاد على الطواف الواجب بحمل
العمرة او الحجة الثانية فان الله تعالى شاكر له عالم بثوابه وفي الآية ما يدل على وجوب السعي بين
الصفا والمروة لان الله تعالى سماهما من شعائر الله تعالى وذهب الشافعي رحمه الله الى ان
السعي بين الصفا والمروة ركن لا يقوم الدم مقامه وليس اذا سمى الله تعالى السعي من شعائره ما يدل
على انه ركن من اركان الحج فان الله تعالى سمى المزدلفة المشعر الحرام ولا اختلاف ان الدم يقوم
مقام الوقوف بالمزدلفة اذا ترك الحاج الوقوف بمزدلفة غداة يوم النحر والصفا في اللغة الحجارة
الصلبة التي لا تنبت شيئا وهو جمع واحدته صفاة مثل حصاة وحصى وبحرة وبحر والمروة الحجارة
اللينة الا انهما صارا في العرف والاستعمال اسمين لموضعين معروفين وقيل انما سميت الصفا
صفا لانه جلس عليها صفي الله تعالى آدم صلوات الله عليه وسميت المروة مروة لانها
جلست عليها امرأته حواء والشعائر معالم الحج من موقف ومسعى ومنحر وساير المناسك
واحدتها شعيرة قال الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ومن هذا اشعار الهدي وهو اعلامه بشيء
واصله العلم لانه يعلم بعلامة يقال شعرت بكذا اي علمته والحج في الشريعة اسم للنسك المعروف
وفي اللغة اسم للقصد وتسمى الطريق محجة لانه يقصد والحجة فعلة من الحج سميت بذلك لانه يقصد ابطال
قول الخصم والعمرة هي النسك المعروف في الشريعة فاما في اللغة فهي الزيادة وهي ماخوذة من العمارة
وسميت زيارة البيت عمرة لان الزائر يعمر المكان بالزيارة والجناح هو الميل في اللغة يقال اجنحته
فجنح اي املته فمال ومن ذلك جناح الطير قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها اي مالوا اليه
فكان الجناح الميل الى ما فيه ماثم والطواف هو الدوران تقول فلا جناح عليه ان يطوف

بهما فاما على ظاهر القراءة فاصل يطوف يتطوف ادغمت التاء في الطاء لقرب المخرجين ومن قرا يطوف
بضم الياء وكسر الواو فهو من طوّف اذا اكثر الطواف والتطوّع هو تبرّع الانسان من ذات يده بما
ليس بفرض عليه يقال طاع يطوع اذا انقاد واطاع يطيع اذا امضى لامره وطاوعه اذا وافقه والفرق
بين التطوع والطاعة ان الطاعة هو موافقة الامر والتطوع هو التبرع المبتدا ومن قرا ومن يطوع خيرا
بجزم العين فالاصل يتطوع ادغمت التاء في الطاء والشاكر من صفات الله تعالى المجازي لان الشكر
هو اظهار النعمة و الله تعالى جل ذكره من ان يكون لاحد عليه نعمة فوصفنا الله تعالى انه شاكر او مجاز
على الشكر فيكون هذا تسمية الجزاء على الشيء باسم المجزي عليه الا ان الله تعالى اخرج الكلام مخرج
التلطف مظاهرة بالانعام والاحسان وهو كقوله تعالى من الذي يقرض الله قرضا حسنا سمى الصدقة
قرضا حسنا تلطفا على معنى انه يرد على المتصدق اضعاف ما تصدق به قوله عز وجل إن الذين
يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون نزلت في علماء اليهود الذين كتموا امر النبي صلى الله عليه وسلم
وصفته في التورية وكتموا امر القبلة فذكر الله تعالى عاقبة امر الكاتمين وما يستحقون على الكتمان
من العقوبات ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان الذين يكتمون ما انزلنا من الاحكام والعلم يعني الهدى
يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما اوضحناه للناس في التورية والانجيل اولئك اهل
هذه الصفة يبعدهم الله من رحمته بايجاب العقاب لهم ويلعنهم اللاعنون المؤمنون من الجن
والانس والملائكة ولعن الخلايق دعاؤهم عليهم ان يبعدهم الله تعالى باللعن والابعاد وعن ابن
عباس انه قال في تفسير هذه الاية ان الكافر اذا وضع في قبره يسئل من ربك وما دينك ومن نبيك
فيقول لا ادري فيقول المنكر ونكير لا دريت ولا تليت ثم يضرب ضربة يسمعها كل شيء
الا الثقلين فلا يسمع صوته الا لعنه فذلك قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون وعن ابن مسعود
انه قال هو الرجل يلعن صاحبه في الامر فترفع اللعنة الى السماء ثم تنزل فلا تجد صاحبها الذي
قيلت له اهلا فترجع الى الذي تكلم بها فلا تجد لذلك اهلا فتنطلق فتقع على اليهود وعن مجاهد الى م
انه قال اللاعنون هم دواب الارض وهوامها فيقولون منعنا القطر بمعاصي ابن ادم
وفي الاية دلالة وجوب اظهار علوم الدين وتنبيه للناس وزجر عن كتمانها ولا يزول الاية
على سبب لا تمنع اعتبار عمومها اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كتم علما يعلمه جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار
وفي الاية دلالة على امتناع جواز اخذ الاجرة على الطاعة من حيث دلت على لزوم اظهار
العلم وترك كتمانه اذ غير جائز الاستحقاق الاجر على ما عليه فعله الا ترى انه لا يصح استحقاق ق
الاجر على الاسلام قوله عز وجل إلا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب
عليهم وانا التواب الرحيم اعلام من الله تعالى انه يقبل التوبة من الذنب الذي لا غاية
لعقابه يقول الا الذين تابوا من اليهودية واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم ويقال
اصلحوا ما كانوا افسدوه على من لا علم له وبينوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتابهم و من ع
شهدوا بالحق فيما عندهم من العلم فاولئك اقبل توبتهم واتجاوز عنهم وانا المتجاوز الرحيم
التائبين الرحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الاية دلالة ان التوبة لا تنفع فيما يراد بها الا بعد
ان يعرف التائب انها سابه ما يلزمه فيصلح ما يلزمه فيصلح ويصلح ما افسده من الناس
لهذا قالوا ان من عمل بالمعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن جهر بالمعاصي فلا بد من ان يجهر

بالتوبة

بالتوبة قوله عز وجل إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون عام في جميع
الكفار من الكاتمين وغيرهم يقول ان الذين ثبتوا على كفرهم ولم يتوبوا من الكفر قبل موتهم اهل
هذه الصفة عليهم لعنة الله تعالى ولعنة الملائكة ولعنة جميع الناس اما المؤمنون فيلعنونهم في الدنيا
والاخرة واما الكفار فيلعن بعضهم بعضا في الاخرة كما قال الله تعالى ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا وعن ابي العالية ان الكافر يوقف يوم القيمة فيلعنه الله تعالى ثم
الملائكة ثم الناس اجمعون ومعنى خالدين فيها اي في اللعنة واللعنة هاهنا النار لان معنى اللعنة
ابعاد الله تعالى من جنته وابعاده من رحمته عذابه ومعنى لا يخفف عنهم العذاب لا يهون عليهم
طرفة عين ولا يمهلون ساعة للاستراحة يستغيثون فلا يغاثون ويستعتبون فلا يعتبون وانما
يردون الى ما هو اشد منه وقرا الحسن رضي الله عنه والناس اجمعون بالرفع ووجه قراءته انه
رد اللفظ على المعنى لان معنى قوله تعالى عليهم لعنة الله اي يلعنهم الله والملائكة وهذا كما يقال عجبت
من ضرب زيد وعمرو ومن قيامك واخوك اي عجبت من ان ضرب زيد وعمرو ومن ان قمت انت
واخوك وفي هذه الاية دلالة على ان على المسلمين لعن من مات كافرا لان قوله تعالى والناس
اجمعين يقتضي امرنا بلعنه بعد موته فلا يسقط اللعن عن الكافر بزوال التكليف عنه بموته
او جنونه قوله عز وجل وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم وجه اتصال هذه الاية
بما قبلها ان الله تعالى ذكر فيما مضى قصة الكفار من عبدة الاوثان واهل الكتاب ثم ذكر من بعد توحيده
المؤمنين وبين معبودهم خلاف معبود الكفار وقال بعضهم هذه الاية خطاب لمشركي مكة كانت لهم
ثلثمائة وستون صنما يعبدونها من دون الله تعالى فدعاهم الله الى توحيده والاخلاص في عبادته وقيل المانوية ع
وقيل نزلت هذه الاية في صنف من المجوس يقال لهم المانية قالوا ربنا اثنان لانا نرى الاشياء
زوجين وضدين مثل الليل والنهار والظلمة والنور والخير والشر والحر والبرد والحزن والسرور ثنا له ع
فمن كان خالق الخير لا يكون خالق الشر فهما اثنان احدهما خالق الخير والاخر خالق الشر ومعنى
الاية والله اعلم ان الذي يستحق ان توله قلوبكم اليه في المنافع والمضار وفي جملة حوائجكم وفي التعظيم
له اله واحد لا يستحق الالهية احد غيره وهو العاطف على خلقه المتحنن بهم فتفهم من وحدانية
الله تعالى اربعة معان احدها واحد لا يتجزأ وليس بذي ابعاض وما جاز عليه التجزي والتقسيم فليس
بواحد على الحقيقة والثاني واحد في استحقاق العبادة والوصف له بالالهية لا يستحق ذلك سواه
والثالث واحد في صفاته لا يشركه فيها احد مثل صفة الرحمن والقديم ونحو ذلك فان الله مختص
بصفات واسماء لا يوجد منها شيء في غيره والرابع واحد في انتفاء النظير والكفو والمثل فاما اذا
وصفناه جل ذكره بانه قادر او عالم لم يشركه في كيفية استحقاق هاتين الصفتين احد فان الله تعالى
عالم بالمعلومات كلها على وجه لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاشياء كلها على وجه لا يصح عليه
العجز ونحن نعلم بعض المعلومات ولا نعلم بعضها ونقدر على بعض الاشياء دون بعض ويصح
علينا العجز والجهل وكذلك اذا وصفنا الله تعالى بانه حي او غني او باق فهذه صفات لا يتصور عليه
فيها الزوال والنقصان فاما قوله لا اله الا هو لفظ يقتضي نفي معبود الكفار واثبات معبود
المؤمنين ويقال فيه نفي الالهية عمن لا يستحق الالهية واثبات الالهية لمن يستحقها وانما قرن
هذا اللفظ والله تعالى اعلم بالرحمة لان العبادة انما يستحق باعلى مراتب النعم فلذلك بولغ في صفة
الرحمة روي انه لما نزلت هذه الاية انكر المشركون توحيد الله تعالى فانزل الله تعالى قوله عز وجل

الألوكة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ المعنى والله اعلم ان في خلق السموات بما هي عليه من سقف بغير عمد ترونها
مزين بالمصابيح والارض بما فيها من البر والبحر والسهل والجبل ومعادن الذهب والفضة
وسائر اصناف الجواهر والوان النبات والخلق واختلاف الليل والنهار في الصفة والصورة
اسود وابيض في الجو والاذهاب على تعاقب كل واحد منهما خليفة صاحبه يخلف احدهما
الاخر ايضا وفي الزيادة والنقصان باخذ كل واحد منهما من صاحبه فيختلفان ابدا ولا
يتفقان في السنة الا مرة وفي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس في التكسب وغير
ذلك وفيما انزل الله من السماء من ماء المطر فاحيى به الارض بعد يبسها وذهاب النبات
عنها وخلق وفرق في الارض من اجناس الدواب والحيوانات وفي تقليب الرياح شمالا و
جنوبا ودبورا وصبا وفي السحاب المذلل بين السماء والارض لمنافع بني ادم لعلامات دالة
على وحدانية الله تعالى لقوم يميزون ويعرفون انه لو كانت هذه الامور الى اثنين لاختلفا
وقد اشتملت هذه الاية على دلايل التوحيد كل واحدة منهما بانفرادها حجة على ثبوت
وحدانية الله تعالى اما السماء والارض فهما جسمان كثيفان من شانهما التسفل فامساكهما الله
تعالى كما ترى في الهواء لا للارض عمد من تحتها ولا للسماء علايق من فوقها ولو اجتمع الخلق
كلهم على اقامة حجر في الهواء من غير عمد تحته ولا علاقة فوقه لم يقدروا على ذلك فلا بد من معرفة
صانع قديم اذ لا يجوز ان تقيم السموات انفسها على غير قرار لان الحي اذا كان جسما لم يمكنه ذلك
فالجماد اولى ان يتعذر عليه ذلك واما الليل والنهار فيتعاقبان تعاقب الضد والضدان لا
يجتمعان في الوجود ولا بد من ان يتقدم احدهما عن وجود الاخر ولا يجوز عليهما القدم لان القديم
واجب الوجود لنفسه اذ لم يكن واجب الوجود لنفسه لم يكن بالوجود اولى منه بالعدم وما لا يكون
بالوجود اولى منه بالعدم لا يوجد الا بايجاد موجد والموجد لا بد من ان يتقدم ما يوجده وما
تقدمه غيره لا يكون قديما والقديم ما لا يصح عليه العدم وما يصح عليه العدم لا يكون الا محدثا
ولا بد للمحدث من محدث لا يشبهه واما الفلك فلولا جري الماء برقته وتحرك الرياح لما جرت
الفلك وذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى كما قال جل ذكره في اية اخرى ان يشا يسكن الريح
فيظللن رواكد على ظهره واما انزال الماء من السماء فغير ممكن الا من الله تعالى وقيل ان الله
تعالى خلق السحاب على هيئة الغربال او المنخل ليخرج المطر منه قطرة قطرة ولا يلتقي منه
قطرتان في الجو اذ لو خلق الله تعالى السحاب على هيئة اخرى لخرج المطر جملة منهمرا اسيالا فكان
يغرق ما ياتي عليه كما كان في وقت طوفان نوح عليه السلام قال الله تعالى ففتحنا ابواب السماء
بماء منهمر وهذا لا يكون الا من فعل قادر عليم حكيم واما احياء الارض بالنبات فلو اجتمع الخلق
كلهم على احياء شيء لم يقدروا عليه وانما سمى الله تعالى عمارة الارض حيوة لان النبات اذا بدا نشأ
له الارض فكانما تتحرك وتحيى قال الله تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت لاهتزازها من النبات
وقيل عني بالاحياء ... منها اذ الارض جماد لا يطلق اسم الحيوة عليها فحذف المضاف لدلالة الحال
واما قوله تعالى وبث فيها من كل دابة اي من الاجناس المختلفة كما قال الله تعالى فمنهم من يمشي على
بطنه الى اخر الاية واما تصريف الرياح فلو لم يكن ذلك فعل فاعل حكيم مختار لوجب ان يكون الرياح

على

على صفة واحدة في جميع الاحوال وقيل في معنى تصريف الرياح اختلافها في كون بعضها نعمة وبعضها
عذابا واما السحاب المسخر بين السماء والارض مع كونه جسما كثيفا من غير شيء يعمده من تحت او
يعلقه من فوق دليل على ان له موقفا اوقفه في الجو على هذا الحد واما ذكر الارض في هذه الاية بلفظ
الوحدان فلمعنيين احدهما ان الارض من اسماء الاجناس يقع على الواحد والجمع كالماء والتراب وقد ذكر الله
تعالى عدد الارض في اية اخرى حيث قال عز من قايل سبع سموات ومن الارض مثلهن والثاني ان السموات
صنعت من اشياء مختلفة فاستحقت الجمع في اختلاف الاجناس والارضون من شيء واحد وهو الطين
والحجر والمدر فجاء بالجنس اذ الجنس دال عليه واسم الفلك يقع على الواحد والجمع يقال السفينة الواحدة
فلك وذلك نحو فعل وفعل وسقم وسقم فاما في لفظ الجماعة نحو اسد واسد والله تعالى اعلم قوله عز وجل
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ وذلك ان الله تعالى لما
بين امر التوحيد وبين الادلة عليه ليستدل بها العاقلون على ذلك عطف على ذلك ذكر من عدل عن التوحيد
بعد هذا البيان والبرهان فقال ها هنا ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم المشركون يرون الايات
ولا يستدلون بها على التوحيد ويتخذون مع رؤيتهم اياها لله تعالى اندادا اي اعدالا او شركا وامثالا
وهي الاوثان جعلوها مثلا لله تعالى اذ عبدوها مع الله تعالى يحبونها كحبهم لله تعالى اي يسوون بينها وبين الله
تعالى في المحبة والحب لله في الحقيقة هو الحب لتعظيمه ومدحه وعبادته فلما احبوا الاصنام على [illegible]
العبادة والمدح والتعظيم كما اوجبوا ذلك لله تعالى كانوا قد احبوا الاصنام كحبهم لله تعالى وقيل معنى يحبونهم
كحب الله اي يحبونهم كما يجب ان يحب الله تعالى وقيل معناه يحبونهم كحب المؤمنين لله تعالى ثم قال الله تعالى
والذين امنوا اشد حبا لله اي المؤمنون يخلصون في محبة الله تعالى لا يشركون معه غيره وهم يشركون معه
معبوداتهم وقيل معناه ان المؤمنين يعبدون الله تعالى على كل حال والكفار يعبدون الاوثان في الرخاء فاذا
اصابتهم شدة تركوا عبادتها والدليل على ان حقيقة الحب الطاعة ما قال القايل شعر قيل هذا البيت
لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع ۞ فكل من كان يطيع الله تعالى فهو اشد حبا لله و
قيل لابي سليمان الداراني ما اقرب ما يتقرب به العبد الى الله تعالى فبكى وقال اقرب ما يتقرب به العبد
الى الله تعالى ان يطلع الله تعالى على قلبه لا يريد فيه من الدنيا والاخرة الا هو واما قوله تعالى ولو يرى الذين
ظلموا اذ يرون العذاب اي لو راى عبدة الاوثان اليوم ما يرون حين رؤية شدة عذاب الله تعالى وقوته لتركوا
عبادة الاوثان ومحبتها وقرى يرون بضم الياء على فعل ما لم يسم فاعله ومن قرا ولو ترى بالتاء على سبيل المخاطبة
فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لو رايتهم يا محمد صلى الله عليه وسلم حين يبصرون العذاب لان
القوة لله جميعا ولان الله تعالى شديد العقاب للرؤسا والاتباع من اهل الاوثان لرايت امرا عظيما وشرا
وفظيعا وهايلا وانما لم يذكر الجواب لان المعنى يدل عليه كما يقال لو رايت فلانا تحت السياط فيستغنى
عن الجواب اذ حذف الجواب في مثل هذا المواضع ابلغ في الفصاحة لانك اذا حذفت احتمل الكلام اشياء كثيرة
فاذا بينت كان الجواب مقصورا على اللفظ واما من قرا ان القوة لله جميعا وان الله كلاهما بالكسر فعلى
الابتداء وقراءة العامة بالنصب على معنى البناء اي بان القوة لله جميعا ونظير هذا قوله تعالى ان لك ان لا
تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها وانك على العطف والابتداء ومعنى شدة العذاب في الاية انه يسهل معه
كل عذاب لما روي ان من صفة نار جهنم ان من اخرج منها وادخل نار الدنيا وقع عليه النوم استراحة
ذكره قوله عز وجل إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ
وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ

شبكة الألوكة

وما هم بخارجين من النار متصل بما قبله المعنى ان الله تعالى شديد العذاب وقت تبرأ المتبوعون من
التابعين وفي هذا زيادة تهديد للكفار لان الله تعالى بين في هذه الآية ان القادة والاشراف من عبدة الاوثان
يتبرون عند ذكر من الذين اتبعوهم من تعظيمهم وعبادتهم واتباعهم ونصروا انفسهم على الاعياد
بهم واعتقدوا ان ذلك من اوكد اسباب نجاتهم اذا كان ذلك اليوم يتبرون منهم عند مشاهدة العذاب
ومعنى رأوا العذاب اي دخلوا جميعا النار وعاينوا اهوالها وهذا كقول القايل قد رايت السجن وهذه يريد
انك شاهدته وكنت فيه ومعنى قوله وتقطعت بهم الاسباب اي الوصلات وهي الحلف والمودة التي
كانت بينهم في الدنيا يتحابون عليها واصل السبب الحبل يشد بالشي فيجذب به ثم جعل كل ما جر شيا
سببا وتقطع الاسباب ان لا يبقى لهم سبب الى رحمة الله تعالى بوجه من الوجوه وامّا قوله تعالى وقال
الذين اتبعوا لو ان لنا كرة اي قال السفلة والخدم لو ان لنا رجعة الى الدنيا لنتبرأ منهم في الدنيا كما
تبرأوا منا في الاخرة يقول الله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي كتبرؤ بعضهم من بعض
يريهم الله تعالى اعمالهم التي عملوا في الدنيا لغير الله تعالى ندامات تحل بهم في الاخرة كما اراهم تبرؤ بعضهم
من بعض ونقال كما اراهم العذاب وكل عمل عمل في الدنيا لغير الله تعالى فهو حسرة وندامة يوم القيمة
وعن السدي في قوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم ان الله يريهم الجنة فترفع لهم فينظرون الى بيوتهم
والى منازلهم فيها لو اطاعوا الله تعالى فيقال لهم تلك مساكنكم لو اطعتم الله تعالى ثم تقسم ذلك بين
المومنين وامّا قوله تعالى وما هم بخارجين من النار اي القادة والاتباع كلهم من عبدة الاوثان
يبقون خالدون في النار لا يخرجون منها ابدا آيسهم الله تعالى بهذه الاية عن الخروج من النار
وبين انهم انما يحزنون في وقت لا ينفعهم الحزن وفي الاية زجر عن المعاصي وعن اتباع غير امر
الله تعالى على سبيل الهوى والتقليد وامّا انتصاب قوله تعالى فنتبرأ منهم على جواب التمني لان
معنى لو ان لنا كرة ليت لنا كرة ولو قرى بالرفع لجاز في على الابتدا تقول ليت زيدا يحضرني فاكرمه
واكرمه كلاهما بالنصب والرفع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس
في الجنة حسد ولكن فيها حسرة وان اشد الناس حسرة يوم القيمة لثلثة نفر رجل يكسب المال
ولا ينفق في الحق وورثه من انفق بالحق فيرى ثواب ماله في ميزان غيره ورجل تعلم العلم و
علم الناس فعملوا به فيرون الدرجات وهو لا يعمل بعلم نفسه ورجل كان له عبد صالح
ترفع درجته فوق درجة مولاه قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا
ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وذلك ان الله تعالى لما ذكر الموحدين في
ثوابهم والكفرين وعقابهم اتبع ذلك بذكر نعمه في الدنيا على الفريقين واحسانه اليهم وان
معصية من عصاه وكفر من كفر لا يمنعه من الاحسان الى الكافة فقال عز من قايل يا ايها الناس
كلوا مما في الارض من الزروع والانعام وغيرهما مما احل الله تعالى لكم حلالا طيبا يجوز ان يكون
من في قوله تعالى مما في الارض على التبيين اي كلوا ما في الارض من المحللات كما في قوله وكلوا
مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون للتبعيض لان كل ما في الارض غير حلال فان الله تعالى حرم
الميتة وما اشبهها بآيات اخر وامّا قوله تعالى طيبا يجوز ان يكون صفة للحلال وهما واحد
جمع بينهما في اللفظ للتاكيد كما يقال سحقا وبعدا وكذب ومين ويجوز ان يكون معنى الطيب المستلذ
فاما الحلال فما كان غير محظور ومعنى قوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا
تسلكوا طريقه التي يدعوكم اليها انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة وذهب بعض المفسرين
الى ان هذه الآية نزلت في بني ثقيف وبني عامر بن صعصعة كانوا يحرمون البحيرة والسائبة

والوصيلة والحامي وبعض الحروث كما قال الله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية والخطوات جمع الخطوة كما يقال حجرة وحجرات وغرفة
وغرفات والخطوة في اللغة بعد ما بين قدمي الماشي ومن قرا خطوات باسكان الطاء
فلثقل الضمة فاما الخطوة بفتح الخاء فهي المرة من الخطو كما يقال مضغة ومضغة ولقمة و
لقمة وقري في الشواذ خطوات بنصب الخاء والطاء قوله عز وجل انما يامركم بالسوء والفحشاء
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يقول ان الشيطان انما يامركم بالاثم والقبيح من العمل وبان تقولوا
على الله ما لا تعلمون انه حرم عليكم ما لم يحرمه ويقال هو وصفهم لله تعالى بالاولاد والانداد وذهب
بعضهم الى ان السوء ما يجب به التعزير والفحشاء ما يجب به الحد وزعم مقاتل رحمه الله كل
ما في القرآن من ذكر الفحشاء فهو زنا الا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فانه
منع الزكوة وقيل ان السوء في اللغة ما يسوء الانسان اي يحزنه وتفرع عاقبته والفحشاء ما جاوز
الحد في الشناعة حتى استبشعه كل عاقل فان قيل كيف يصح ان يامرنا الشيطان ونحن لا نشاهد
شخصه ولا نسمع صوته قيل معنى يامركم اي يدعوكم ويحثكم وهذا كقول الانسان نفسي تامرني بكذا
وهواي يامرني بكذا اي يدعوني اليه وقد يجد الانسان اثر وسوسة الشيطان في نفسه ودعائه
الى المعاصي بان يثقل بعض الطاعات عليه ويميل الى بعض المعاصي وقد علم بالاخبار الصادقة ان
هذا يكون من فعل الشيطان الذي ثبتت عنده عداوته اياه فلا يكون مخالفة الشيطان الا في فعل
الطاعة وترك المعصية قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع
ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون في الآية بيان
عناد الكفار واتباعهم التقليد دون الحجة يقول اذا قيل لهؤلاء الكفار اتبعوا في التحليل والتحريم
ما انزل الله لا اهواكم قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاوثان في تحريم البحيرة و
نحوها يقول الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا وهذا الف الاستفهام دخلت على واو
العطف ومعناها التوبيخ والذم كانه تعالى قال ايتبعون اباءهم وان كانوا جهالا لا يعقلون شيا
من الدين ولا يهتدون للسنة وفي هذه الآية بيان انه لا يجوز للانسان ان يتبع قول من لا يعلم
انه على حق او على باطل وفيها دليل على ان رضى الله تعالى على المكلفين اتباع الحجة والطريق الى
الدين ثم ضرب الله تعالى للكفار مثلا لوصفهم بعد ما امر ونهى فلم ياتمروا ولم ينزجروا فشبههم
بالدواب فقال عز وجل ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
صم بكم عمي فهم لا يعقلون يقول مثلك يا محمد صلى الله عليه وسلم مع الذين كفروا و
يقال مثلنا مع الذين كفروا فحذف اختصارا لدلالة الكلام عليه ويقال مثل واعظ الذين كفروا
فحذف المضاف كما في قوله تعالى واسال القرية كمثل الذي يصيح بما لا يدري ما يقال له الا انه يسمع
الصوت وهو الشاة والبعير والبقر ينزجر بالصوت ولا يفقه ما يقال لها ولا يحسن جوابا
اي كما ان البهائم لا تفهم معنى كلام من يدعوها كذا هؤلاء الكفار لا ينتفعون بوعظ النبي صلى
الله عليه وسلم عرضتم عن الخير لا يسمعون الحق خرس لا يتكلمون بخير عمي لا يبصرون الهدى
فهم لا يعقلون ما يؤمرون به وذهب بعض المفسرين رحمهم الله الى ان هذه الآية مثل ضربه
الله تعالى للكفار والهتهم يقول مثل الكفار في دعائهم الاصنام كمثل راعي الابل والغنم كما لا
تفهم البهائم معنى كلام من يدعوها ويزجرها كذلك الاصنام لا تسمع ولا تنفع والدعاء والندا
واحد كما ان الحلال والطيب واحد وقيل الدعا ما يكون للقريب والندا انما يكون بمد الصوت

للبعيد وقال بعضهم الدعا تعريف السامعين اسم المدعو والندا امالة المدعو اليك قوله عز وجل
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ
خاطب الله تعالى المومنين بهذه الآية تعظيماً لشانهم كما خاطب الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين
حين قال عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم
يا ايها الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تعالى كلوا من حلال ما رزقناكم من الحرث والانعام واشكروا
الله على ما رزقكم واباح لكم من النعم ان كنتم تقرون انه الهكم ورازقكم وتعرفون ذلك لان الشكر
انما يكون من العارف بربه دون الجاهل ويكون ذلك تعظيماً للمنعم لمكان نعمته وهذا الامر بالاكل
امر اباحة وتخيير لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقد يكون الاكل تعبداً في بعض الاحوال
عند دفع الضرر عن النفس وتقويتها على طاعة الله تعالى وعند مساعدة الضيف اذا كان هو يمتنع
عن الاكل اذا انفرد وينبسط اذا سوعد روى انه لما نزلت هذه الاية قالت الكفار ان لم تكن
البحيرة والسايبة والوصيلة محرمة فما المحرمات فانزل الله تعالى قوله عز وجل إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا
إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقول انما حرم الله تعالى عليكم الميتة وهي التي تموت حتف
انفها بغير ذكاة وقد تكون الميتة بسبب من فعل ادمي اذا لم يكن فعله فيها على وجه الذكوة
المبيحة له والدم يعني الدم المسفوح كما قال الله تعالى في اية اخرى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
الى قوله تعالى او دما مسفوحاً فاما قوله تعالى ولحم الخنزير فالمراد به المذكى منه وغير المذكى
لان في ابتدا هذه الآية تحريم الميتة عاماً فلما افرد لحم الخنزير بالتحريم علمنا انه لم يرد به الخنزير
الميت واما قوله تعالى وما اهل به لغير الله اي ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله تعالى و
اما قوله تعالى فمن اضطر يقول من الجاته ضرورة المجاعة او ضرورة الاكراه الى اكل شي من هذه
المحرمات غير طالب لذلك ويقال غير طالب عند اكله تلذذاً ولا عاد اي ولا متجاوز قدر ما
يسد به رمقه وقيل ولا مجاوز قدر حاجته من عدا فلان الشي يعدوه اذا جاوزه وقال
بعضهم في معنى هذه الآية غير باغ على امام ولا معتد على امته اي غير مفارق للجماعة ولا عاد على
المسلمين بالسيف فلا اثم عليه اي لا حرج عليه في الاكل عند الضرورة ان الله غفور لذنوب
العباد اذا تابوا رحيم بهم اذ رخص لهم للاضطرار في اكل ما حرم عليهم قبل الاضطرار وقد
اختلف اهل اللغة في قوله تعالى انما حرم ذكر الزجاج وغيره انه معنى ما حرم عليكم الا الميتة و
الدم قالوا لان انما يشتمل على ان التي للاثبات وما التي للنفي فتكون اثباتاً لما بعدها ونفياً لما
سواها تقول ان زيداً منطلق فيكون خبراً عن انطلاق زيد واذا قلت انما زيد منطلق فقد نفيت
عنه في المعنى جميع الصفات الا الانطلاق وتقديره ما زيد الا منطلق وقال بعضهم انما للتاكيد
فقط ويجوز ان يكون معناه ان الذي حرم الله تعالى عليكم الميتة وفي الميتة لغتان ميّتة بالتشديد
وميْتة بالتخفيف وقيل ان الميتة مخففة من الميّتة وليس فيهما علة الا طلب التخفيف وقال
بعضهم الميّت بالتشديد يكون لما سيموت وبالتخفيف لما قد مات وعلى هذا التاويل قوله تعالى انك
ميت وانهم ميتون والاهلال في اللغة رفع الصوت كانوا اذا ارادوا الذبح رفعوا الصوت
بذكر الهتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا استهل الصبي صارخاً سمي وورث وورث
وصلي عليه وقال لا حج الاملي اهل ولبى ومن هذا سمي الهلال هلالاً لان الناس يرفعون
اصواتهم عند رويته والاضطرار هو ان يدفع الانسان الى ما لا يمكنه الانفكاك منه والبغا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرجل

في اللغة الطلب من بغى الرجل يبغي حاجته بغاً تقول العرب خرج في بغاء ابل له اي في طلب ابل
له والبغي هو قصد الفساد يقال بغى الجرح يبغي بغياً اذا ورم وترامى الى الفساد والبغا بكسر
الباء الزنا من باب فعل يفعل ايضا بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل وفي الاية دلالة على
انه لا يجوز الانتفاع بالميتة بوجه من الوجوه ولا ان يطعمها الكلاب والجوارح لان ذلك ضرب
من الانتفاع بها وظاهر قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة يقتضي تحريم جميع الميتات الا ان
النبي صلى الله عليه وسلم خص السمك والجراد من هذه الجملة بالاباحة بقوله صلى الله عليه
وسلم احلت لنا ميتتان ودمان فالميتتان السمك والجراد واما الدمان فالكبد والطحال و
قد اختلف الناس في اكل السمك الطافي وهو الذي يموت في الماء حتف انفه قال علي كرم الله وجهه
ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ما دسر به البحر فكل وما
طفا فلا تاكل وعن ابي بكر وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما اباحة اكل السمك الطافي
فلما اتفق المسلمون على تخصيص غير الطافي من هذه الاية خصصناه واختلفوا في الطافي فكرهه
اصحابنا رحمهم الله وتركوه على العموم الذي وردت به الاية في تحريم الميتة وفي الاية دليل على
صحة قول ابي حنيفة رحمه الله في جنين الناقة والبقرة ونحوهما اذا خرج بعد ذبح الام لا
يؤكل الا ان يخرج حياً فيذبح واما جلد الميتة اذا دبغ فقد اختلف الفقهاء فيه قال اصحابنا
يجوز بيعه والانتفاع به استدلالاً بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دباغ الاديم
ذكاته وروي ذكاة الاديم دباغه فاجرى النبي صلى الله عليه وسلم الذكاة والدباغ مجرى واحداً
وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر بشاة ميتة لميمونة فقال هلا انتفعتم بجلدها فقيل انها ميتة
فقال صلى الله عليه وسلم انما حرم من الميتة اكلها واما شعر الميتة وصوفها وقرنها وعظمها
ففيه ايضا خلاف بين اهل العلم قال اصحابنا لا يكون ذلك ميتة لانه يؤخذ من الحيوان في حال
حيوته فلا يكون نجساً بالاتفاق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس
بمسك الميتة اذا دبغ وصوفها وشعرها اذا غسل بالماء وكان مالك يقول لا ينتفع بعظام الميتة
ولا باس بشعرها وصوفها وقال الشافعي لا ينتفع بشيء منها واما لبن الميتة والانفحة فهما طاهران
في قول ابي حنيفة رحمه الله وقال ابو يوسف ومحمد يكره اللبن لانه في وعاء نجس وكذلك الانفحة
اذا كانت مائعة فان كانت جامدة فلا باس وقالوا جميعاً في البيضة اذا كانت من دجاجة ميتة
لا باس بها ومن الدليل على طهارة هذه الاشياء في موضع خلقتها قوله تعالى وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين وقد اتفق
المسلمون على جواز اكل اللحم المذكى بما يبقى في عروقه من الدم بعد الذبح وفي ذلك دليل ان
موضع الخلقة لا ينجس بمجاورة ما خلق فيه واما دهن الميتة فلا خلاف بين الائمة انه نجس
لا يجوز الانتفاع به بوجه من الوجوه واما اختلفوا في الدهن الذي تموت الفارة فيه هل يجوز
الاستصباح والانتفاع به لغير الاكل وقد وردت السنة في ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه سئل عن الفارة تموت في السمن فقال ان كان جامداً فالقوها وما حولها وان
كان مائعاً فاريقوه وفي بعض الروايات انتفعوا به من غير اكل واما تخصيص لحم الخنزير
في الاية فلان اعظم منفعته وما كان يبتغى منه الكفار اللحم فخص اللحم بالذكر واراد جميع
اجزائه وهذا كما قال الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومعلوم ان ايقاع جميع الافعال
في الصيد حرام على المحرم ولكن خص القتل لانه اعظم ما يقصد به وكذلك خص الله تعالى

شبكة الألوكة

البيع بالنهي وقت النداء يوم الجمعة واراد بذلك جميع الامور الشاغلة عن الجمعة يدل على هذا
ان الله تعالى قال في آية اخرى او لحم خنزير فانه رجس وهذه الكناية راجعة الى نفس الخنزير
فاقتضت نجاسة جميع اجزائه الا انه اكثر اهل العلم استحسنوا اجازة الانتفاع بشعر الخنزير
يصلح للخرز دون جواز بيعه وشرائه لما شاهدوا التابعين واهل العلم يقرون الاساكفة
على استعماله من غير نكير ظهر منهم عليهم وهذا مثل ما قالوا في اباحة دخول الحمام من غير شرط اجرة
معلومة ولا مقدار مدة لبثه فيها ولا مقدار ما يستعمل من الماء لان ذلك كان ظاهرا مستفيضا في
عهد السلف غير منكر به على فاعليه فصار ذلك اجماعا منهم وفي الآية دلالة على تحريم ذبيحة اليهودي
والنصراني اذا سموا عليها غير الله تعالى لان الاهلال لغير الله تعالى اظهار غير اسم الله تعالى
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم اليهود يذكرون مع اسم الله
شيئا اخر فلا تاكلوه فان قيل اذا سمى النصراني على الذبيحة باسم الله تعالى فانما يريد به المسيح
فاذا كانت ارادته لذلك لم تمنع صحة ذبيحته وهو مع ذلك مهل به لغير الله فاذا اظهر ما اضمر
فلم اذا حرمت تلك الذبيحة على المسلم قيل له لان الله تعالى كلفنا حكم الظاهر فاذا اظهر غير اسم
الله تعالى حكم على ما اظهر فدخل تحت قوله تعالى وما اهل به لغير الله واما اضمر لم يظهر الا اسم
الله تعالى فهذا الاسم لا يستحقه احد الا الله تعالى فلا يجوز حمله على اسم المسيح الا ترى ان من
اظهر القول بالتوحيد وتصديق الرسول كان حكمه حكم المسلمين مع جواز اعتقاده التشبيه
المضاد للتوحيد واختلف اهل العلم في معنى قوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم
عليه فقال ابن عباس والحسن ومسروق غير باغ في الميتة ولا عاد في الاكل وهو قول اصحابنا و
مالك اباحوا للبغاة الخارجين على المسلمين اكل الميتة عند الضرورة كما اباحوا لاهل العدل
وقال مجاهد وسعيد بن جبير اذا لم يخرج باغيا على امام المسلمين ولم يكن سفره في معصية
فله ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها وان كان سفره في معصية او كان باغيا على امام المسلمين
لم يجز له ان ياكل وهو قول الشافعي رحمه الله وظاهر قوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يوجب الاباحة
للجميع من المطيعين والعصاة وقد قال الله تعالى في آية اخرى ولا تقتلوا انفسكم اتفق
اهل العلم ان من امتنع من المباح حتى مات كان قاتلا نفسه فلا يختلف في ذلك حكم العاصي والمطيع
بل يكون امتناعه عند ذلك عن المباح زيادة في عصيانه والميتة عند الضرورة بمنزلة المذكاة
في حال الامكان والسعة واختلفوا في حد الاضطرار فالصحيح من ذلك ان الاضطرار لا يكون
الا عند خوف التلف في اخر الرمق وعن عبد الله بن المبارك انه قال اذا كان بحيث لو دخل
السوق لا ينظر الى شيء سوى المطعوم وقال بعضهم اذا كان يضعف عن الغزا يعني وهذا عند
المتقين حد الاضطرار الى الشبهات فاما مقدار ما ياكل من الميتة عند الضرورة قال
اصحابنا لا ياكل منها الا قدر ما يمسك رمقه وقال مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود
منها فان وجد شيئا مباحا طرحها وفي الاية تعليق الاباحة بوجود الضرورة والضرورة
هي خوف الضرر بترك الاكل منها على نفسه او بعض اعضائه فمتى اكل منها مقدار ما
يزول معه خوف الضرر في الحال فقد زالت الضرورة ولا يمكن اعتبار سد الجوعة لان
الجوع في الابتداء لا يبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه فان قيل ما معنى قول الفقهاء
ان اكل الميتة عند الضرورة رخصة وهو من الواجبات عند الضرورة قيل بلى هو واجب
عند عامة الفقهاء حتى روي عن مسروق رضي الله عنه انه قال من اضطر الى ميتة فلم ياكل حتى

مات

مات دخل النار الا ان من عادة الفقهاء رحمهم الله فيما كان تخفيفا عن ثقيل ان يصفوه
بهذا الوصف سواء كان من باب المباح او الواجب وعلى هذا قالوا في المسح على الخفين انه رخصة
وهو من باب الواجب الذي لا بد منه عند ترك غسل الرجلين فلما كانت اباحة اكل الميتة
للمضطر تخفيفا عن ثقيل سمي ذلك رخصة فان قيل هلا دل قوله تعالى فلا اثم عليه على انه
مباح لان هذه اللفظة لا تستعمل الا في المباح قيل انما ذكر الله تعالى هذا اللفظ ليبين زوال
الحرج في تناول ذلك عند الضرورة تمييزا بين حال المضطر وحال المختار ثم لا يمتنع ذكر هذا ان
يكون واجبا وهذا كما تقدم في تفسير قوله تعالى فلا جناح عليه ان يطوف بهما فان قيل قوله تعالى
فلا اثم عليه في ظاهر اللفظ يناقض قوله تعالى ان الله غفور رحيم لان الغفران يقتضي اثبات اثم
يغفر ويستر قيل لما كانت الضرورة تبيح ما لولاها لكان محرما جاز في الاكل عند الضرورة بان
يقول الله تعالى ان الله غفور رحيم لانه بالغفران قد ستر ما لولا الاباحة لكانت معصية منكشفة و
برحمته جوز عند الضرورة احياء النفس بتناوله وقال الحسن اراد بهذا رفع العقاب عمن تاب
من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة وفي قوله تعالى فمن اضطر قراءتان من قرا بضم النون
كانت ضمة النون في الحقيقة ضمة الالف التي بعدها الا انها تقع على النون عند القراءة ومن قرا
بكسر النون قال ان النون من قوله تعالى فمن ساكنة والساكن اذا حرك حرك الى الكسر قوله عز وجل
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في
بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم نزل في علماء
اليهود والنصارى قال بعضهم اراد بالآية كتمان ما انزل الله تعالى من نفس الكتاب وقال بعضهم اراد
به كتمان التاويل دون التنزيل فان التنزيل يعرفه العلماء والعوام جميعا فلا يجوز ان يتواطؤوا على
كتمانه لان ذلك يتعذر في التورية والانجيل مع ظهورهما كما يتعذر مثله في القرآن فاما التاويل
فلا يعرفه الا العلماء فيجوز ان يتواطؤوا على كتمانه كالعالم بمعنى المتشابه من الصفات فيدعون ان يكتم
معناه للمتشبهة ليستاكلهم بذلك ومعنى الاية ان الذين يكتمون ما انزل الله من نعت النبي صلى الله عليه
وسلم وصفته وغير ذلك من الرخص والاحكام التي بينت في الحلال والحرام ويختارون بسبب الكتمان
عرضا يسيرا من متاع الدنيا وهو ما كان لهم من الهدايا والفضول من اغنيائهم ورؤسائهم ويقال اراد
به الرشا التي كانوا ياخذونها منهم اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار قال بعضهم معناه ياكلون في جهنم
النار ويقال ما ياكلون الا الحرام وسماه نارا لان عاقبته النار في الحقيقة واما قوله تعالى ولا يكلمهم الله
يوم القيمة قال بعضهم معناه يغضب عليهم ولا يكلمهم الله بما يكلم به اولياءه كما يقول فلان لا يكلم فلانا
يريد بذلك انه عليه غضبان لا يكلمه بخير فلذلك لا يكلم الله تعالى هؤلاء الكافرين بما يكلم به اولياءه من البشارة
والرضا واما التهديد فلا بد من ذلك كما قال الله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقال عز من قائل فلنسألن
الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وقال بعضهم معنى قوله ولا يكلمهم الله اي لا يسمعهم كلامه بنفسه بل
يرسل اليهم ملائكة العذاب فيكلمونهم بامر الله تعالى ويسألونهم كما ارسل الرسل اليهم وانما اضاف الله تعالى
السؤال الى نفسه لان سؤال الملائكة يكون بامره ومعنى ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم خيرا وقيل لا يطهرهم من اعمالهم
الخبيثة ولهم عذاب اليم مؤلم موجع يخلص وجعه اليهم فان قيل كيف قال ما ياكلون في بطونهم ولا يكون الاكل الا
فيما يصل الى الجوف فلم ذكر البطن قيل لما ذكر الله تعالى في هذه الآية يشترون به ثمنا قليلا واراد به الرشا في
الفضول كان لا يجوز ان يتوهم متوهم ان المراد بالاكل غير الاكل الذي يصل الى البطن كما يقال اكل فلان ماله اي افسده
وبدده فذكر البطن تاكيدا كما قال تعالى ولا طائر يطير بجناحيه ويقال بطشت بيدي ومشيت برجلي وجواب اخر

ان العرب تقول جعت في غير بطني وشبعت في غير بطني اذا جاع من يجري جوعه مجرى جوعه وشبع من يجري
شبعه مجرى شبعه فيفيد الاكل بالبطن ليزيل هذا الابهام قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار المعنى والله اعلم الذين مالوا الى تحريف التورية
والانجيل هم الذين استبدلوا الكفر بالايمان واختاروه عليه واما قوله تعالى والعذاب بالمغفرة فلان
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يوجب المغفرة والكفر به يوجب العذاب فيكون المستبدل الكفر بالايمان
مشتريا العذاب بالمغفرة وقوله فما اصبرهم على النار قال الكسائي وهذا اللفظ استفهام بمعنى التوبيخ التعليق ع
والتعجب جميعا يريد بهذا الله توبيخ لهم وتعجيبا لنا كانه تعالى قال ما اجراهم على فعل اهل النار مع علمهم
وحكى الكسائي عن رجل كان يحلف بالله تعالى على شيء فقال له خصمه ما اصبرك على الله تعالى اي ما اجراك
على الله تعالى ويقال معنى الاية اي شيء صبرهم على النار ودعاهم اليها ويقال معناه ما ابقاهم في
النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس اي ما ابقاه فيه قال الحسن رضي الله عنه ما
لهم من صبر عليها ولكن ما اقلهم بعمل اهل النار والصحيح ان مثل هذا اللفظ لا يكاد يقال لمن يقدم
على عمل اهل النار مع الشبهة والتاويل فانما يقال ذلك لمن يقدم والعلم له حاصل فلما كان علماء
اليهود عالمين بصحة امر محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ونبوته واقدموا مع ذلك على ما كانوا عليه
من طريقة الرياسة واجتلاب المنفعة وعدلوا عنها بتقصيد عليهم ومعرفتهم واختاروا الضلالة
على الهدى صح ان يقال لهم فما اصبرهم على النار من حيث اجترؤوا على الله تعالى في حال التكليف
مع العلم بالوعد والوعيد قوله عز وجل ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين
اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد اي ذلك العذاب لهم في الاخرة ويقال ذلك الضلال بان الله
تعالى نزل الكتاب بالحق بالعدل والصدق فاختلفوا فيه وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في
الكتاب قال بعض المفسرين اراد بالذين اختلفوا اليهود والنصارى واراد بالكتاب التورية و
الانجيل وما فيهما من البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة امره ودينه وقال بعضهم اراد
بالذين اختلفوا الكفار كلهم واراد بالكتاب القران اختلفوا فيه فقال بعضهم سحر وقال بعضهم
اختلاق وقول البشر وقال بعضهم اساطير الاولين وقوله تعالى لفي شقاق بعيد اي خلاف طويل
يتباعدون في المشاقة يشاقون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة
والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا
واولئك هم المتقون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اليهود والنصارى بقوله
تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب ثم قال عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم اي ليس البر تولية
الوجوه الى المشرق والمغرب وذلك انه لما كانت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة كثر الخوض في
امر القبلة قال الحسن توجهت النصارى نحو المشرق واليهود نحو المغرب واتخذوهما قبلة
وزعموا انهما البر فاكذبهما الله تعالى بهذه الاية وبين ان البر في طاعة الله تعالى واتباع
امره لا في اخذ المنسوخ وترك الناسخ وبين ان البر لا يتم الا بالايمان ويقال معنى الاية
ليس البر كله في الصلوة فقط ولكن البر الذي يؤدي الى الثواب بر من يؤمن بالله تعالى
واليوم الاخر والغرض من الاية والله تعالى اعلم ان البر مجموع خصال هي الايمان بالله تعا

و

واليوم الاخر بما فيه من البعث والحساب والثواب والعقاب والاقرار بالملئكة انهم عباد
الله تعالى ورسله لا كما قال بعض العرب ان الملئكة بنات الله تعالى والاقرار بالكتب التي انز لها
الله تعالى والاقرار بالنبيين كلهم وقوله تعالى واتى المال على حبه عطف على من امن اي واعطى العيش ح
المال على حبه يعني المال على شهوته ووجوده وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويامل الغنى ذوي القربى
يعني اقرباءه في الرحم واليتامى وهم الصغار والفقراء الذين قد مات اباؤهم والمساكين الذين لا شيء
لهم وابن السبيل قال بعضهم هو الضيف ويقال هو المسافر الذي لا يجد ما يحمل به الى بلده فتجب
مواساته بما يبلغه الى بلده وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق كما يسمى طير الماء ابن الماء و
السائلين الذين يسالون الناس ما ينفقونه لحاجتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل
وان اتى على فرس وقوله وفي الرقاب قال بعضهم هو شري الرقاب للعتق وقيل اعانة المكاتبين
ليسعوا في فك رقابهم وذهب بعض المفسرين الى ان الهاء في قوله تعالى على حبه عائد الى الايتاء
اي على حب الاعطاء يعطي بطيبة من نفسه ولا يكون متسخطا عند الاعطاء ويحتمل ان يريد على حب الله
تعالى كما قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يمتنع ان يكون جميع هذه
الوجوه مرادا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان المراد بهذه الاية حب
المال وهو ما روي عن ابي هريرة انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل
الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على
ذي الرحم الكاشح واما قوله تعالى واقام الصلوة يعني الصلوة المفروضة واتى الزكوة يعني الزكوة
المفروضة فهذا عطف على قوله تعالى واتى المال فيه دليل ان المراد بايتاء المال غير الزكوة لان
المعطوف غير المعطوف عليه فيحتمل ان يكون الامر بايتاء المال حثا على صدقة التطوع لان الاية
وردت في اوائل الواجبات وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل هل في المال
حق غير الزكوة فقال اللهم نعم وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بايتاء المال صلة ذي الرحم اذا
وجد قريبه ذا فقر وضر ووجوب الاطعام اذا راى فقيرا مضطرا اجهده الجوع فعلى هذا يكون
جميع هذه الاية على الواجبات واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نسخت الزكوة كل
صدقة قد كانت قبلها فتاويله الحقوق الواجبة في المال من غير ضرورة مثل ما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من كان له نخل فليات بعذق من نخله فليعلقه على باب المسجد تاكله المارة
فانما نسخت الزكوة مثل هذه الحقوق التي كانت في اول الاسلام يدل على هذا ان الفقهاء اجمعوا
على وجوب صدقة الفطر اذ كان الامر بصدقة الفطر بعد فرض الزكوة واما قوله تعالى والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من امن والمراد بالعهد العهود التي امر الله تعالى بالوفاء بها من الايمان ت
وساير المواثيق مدحهم الله تعالى على الوفاء بما عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصرته على
الاعداء ومظاهرته بالجهاد وغيره وذلك من العهود واما قوله تعالى والصابرين في الباساء والضراء
وحين الباس الباساء الحالة ذات البؤس والفقر والضراء الحالة ذات السقم والوجع وفي مثل هاتين
الحالتين يعظم موقع الصبر على العبادات ومعنى وحين الباس حين شدة الحرب يقال لا باس
عليك اي لا شدة عليك ويقال بئس الرجل يباس باسا اذا اشتدت شجاعته وبؤس الرجل
يبؤس بؤسا اذا اشتدت حاجته واما قوله اولئك الذين صدقوا اي اهل هذه الصفة هم الذ

الألوكة

عند قوله إعانهم وجهها وهو البر واولئك هم المتقون محارم الله تعالى وفي سائر امورهم ومن قرأه
ليس البر برفع الراء جعل المتوسط ان تولوا ومن نصب البر جعله خبر ليس على التقديم والتاخير
المعنى ليس توليتكم وجوهكم البر فان كلمة ان اذا قرنت بالفعل المضارع صار بمعنى الاسم
من شدد لكن نصب البر ومن خففها رفع البر فان قيل كيف قال تعالى والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء رفع قوله تعالى والموفون بعهدهم ونصب الصابرين
قلنا اما قوله والموفون عطف على من امن وهو موضع الرفع كانه قال ولكن البر الموفون والموفون
واما قوله تعالى والصابرين قال بعضهم انه عطف على قوله تعالى ذوي القربى وذلك في موضع نصب
لوقوع فعل الايتاء عليه فكذلك المعطوف عليه وقال بعضهم ان هذا نصب على المدح باضمار اذكر او اعني
والعرب ان تعدل من المرفوع الى المنصوب في المدح على هذا الاضمار ومن المنصوب الى المرفوع على
اضمار هو وكذلك في الذم ونظير هذا قوله تعالى والمقيمين الصلوة والموتون الزكوة وقوله تعالى ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى قال الشاعر عن بنو ضبة اصحاب الجمل وقال
لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك
تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم فصل مبتداء يشتمل على احكام
مبتداة والمعنى والله تعالى اعلم يا ايها الذين صدقوا بالله وبرسله فرض عليكم القصاص في القتلى واما
قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ذهب بعض اهل العلم ان القصاص مقصور على الحر بالحر والعبد
بالعبد وانه لا يقتل الحر بالعبد قال واراد بقوله تعالى والانثى بالانثى ان يقتل الانثى من كل واحد
من الجنسين بالانثى من جنسها واول اصحابنا ليس معنى الاية هذا ولكن الله تعالى اراد بهذا
ابطال اعتبار الشرف في باب القصاص بالانفس على ما روي عن ابن عباس انه قال نزلت هذه الاية
في حيين من العرب وهما الاوس والخزرج كان بينهم قتلى وجراحات في الجاهلية وكان لاحدهما
طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا يتطاولون على الاخرين بغير مهر واقسموا لنقتلن
بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي
جراحات اولئك باخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى هذه الاية ليبان ان الحر بالحر وفاء والعبد بالعبد وفاء يدل على صحة هذا ان
اول الاية عام في جميع القتلى وقوله الحر بالحر تخصيص بعض ما شمله العموم الاول ورد بموافقته
فلا يوجب ترك العموم الاول اذ الترك انما يكون بالمنافي لا بالموافق ولهذا اجمعوا ان المرأة تقتل
بالرجل والرجل يقتل بالمرأة مع قول الله تعالى والانثى بالانثى لان اول الاية محكم وما بعده محتمل
متشابه والمتشابه مردود على المحكم واما قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء قال بعض المفسرين
ان من اسم للقاتل والمعنى من ترك له القود من اخيه المقتول ورضي منه بالدية ويقال من ترك له القود
من ولي القتيل وهو اخو القاتل في الدين ورضي منه بالدية فليتبع العافي وهو ولي القتيل بالمعروف له
ليرفق في طلب الدية من القاتل ولا يعنف وليؤد القاتل اليه باحسان اي لا يبخس ولا يماطل قالوا وقد
يذكر العفو المقرون باللام بمعنى الترك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفوت لكم عن صدقة الخيل
والرقيق الا ان في الرقيق صدقة الفطر ويجوز ان يكون الاتباع فيها بالمعروف والاداء باحسان
كلاهما راجعين الى القاتل لان الامر اذا تعقب فعلا لم يسم فاعله كان منصرفا الى المفعول به دون الفاعل

اذ الفاعل غير مذكور فيه وهذا كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ازلت اليه نعمة فليشكرها ومن احيل على ملئ فليتبع و
ذهب اصحابنا في هذا التاويل الذي ذكرناه الى ان القاتل اذا رضي منه ولي القتيل بالدية لزمته اجابته
الى ذلك ديانة لا حتما وايجابا وهذا كالمضطر الى طعام غيره اذا عرض عليه صاحب الطعام طعامه
بثمن المثل لزمته الاجابة الى ذلك لاحياء نفسه ديانة لا حتما وتاولوا هذه الاية ايضا تاويلا اخر
اقرب الى ظاهر الاية احدها ما قالوا ان العفو في اللغة ما سهل وتيسر قال الله تعالى خذ العفو اي ما
يسهل من الاخلاق وقال النبي صلى الله عليه وسلم اول الوقت رضوان الله واخره عفو الله يعني
تيسير الله على عباده ويقال خذ ما اتاك عفوا اي سهلا فمعنى قوله تعالى فمن عفي له اي ولي القتيل
اذا بذل له من بدل اخيه المقتول او من جهة اخيه شيء من المال من جانب القاتل فله اتباع
بالمعروف اي فليقبله وليؤد القاتل اليه باحسان كان الله عز وجل ندب ولي المقتول الى
اخذ المال اذا سهل ذلك من جهة القاتل واخبر انه تخفيف منه ورحمة كما قال عز وجل عقيب ذكر
القصاص في سورة المائدة فمن تصدق به فهو كفارة له فندب الى العفو والصدقة والذي يؤيد
هذا التاويل ما روي عن ابن عباس انه قال كان في بني اسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية وقال
الله تعالى لهذه الامة يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص الى قوله تعالى فاتباع بالمعروف وقال
فالعفو ان يقبل الدية من العمد وقال في قوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة معناه ان الصلح
من القصاص على شيء من الدية او غير ذلك تسهيل عليكم من ربكم ورحمة رحمكم الله بها وذكر بعض
المفسرين انه كان في اهل التورية القتل لا غير وكان في اهل الانجيل العفو ولم يكن لهم قود ولا دية
فخفف الله تعالى عن هذه الامة وشرع لهم القصاص مطلقا ثم جعل لهم الرضا بالدية وبيان
ان هذا التاويل اقرب الى ظاهر الاية من التاويل الاول ان قوله تعالى شيء منكر ولو كان المراد
به القود لكان معرفا والله تعالى اعلم والتاويل الثالث ما روي عن الشعبي انه قال كان بين حيين
من العرب قتال على نحو ما ذكره عبد الله ابن عباس قال الشعبي فارتفعوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم القتلى بوا اي سوا واصطلحوا على
الديات ففضل لاحد الحيين على الاخر فذلك قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء اي من فضل له على
اخيه شيء من الديات التي وقع الاصطلاح عليها فليؤد بالمعروف والعفو يذكر ويراد به الفضل
قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا والتاويل الرابع ما روي عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية
في دم بين الاولياء يعفو احدهم عن نصيبه فيتحول نصيب الباقين مالا يجب على القاتل اداؤه اليهم
وروي عن عمر وعلي انهما قالا في الدم بين الاولياء اذا عفا احدهم مثل قوله الا انهما لم يذكرا ذلك
في تاويل هذه الاية وفي هذا بيان ان القصاص مما لا يتجزأ اذا سقط بعضه سقط كله وانقلب نصيب
الباقين مالا وفيه بيان ان العمد اذا سقط فيه القود كانت الدية في مال القاتل لا على العاقلة لان قوله
تعالى فاتباع بالمعروف امر ينصرف الى من تقدم ذكره وقد تقدم ذكر القاتل وكان تقدير الكلام
فعليه اتباع بالمعروف واما قوله تعالى فمن اعتدى بعد ذلك اي ولي المقتول اذا ظلم فقتل قاتل
وليه بعد اخذ الدية منه فله عذاب اليم القتل في الدنيا والنار في الاخرة والقصاص في اللغة ان
يفعل بالقاتل مثل ما فعل به من قولك اقتص فلان اثر فلان اي فعل مثل فعله قال الله تعالى فارتدا على اثارهما
قصصا وقال عز وجل حكاية عن ام موسى عليهما السلام وقالت لاخته قصيه اي اتبعي اثره والكتب
هو اثبات الخط الدال على معنى فسمي به ما يدل على الفرض وقال بعضهم معنى قوله تعالى كتب عليكم

شبكة الألوكة

القصاص او كتب ذلك في اللوح المحفوظ فان القران انما نسخ من اللوح المحفوظ ولو قرئ كانما عفا
بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع وليؤد جاز من حيث المعنى لكن القراءة سنة متبعة
فلا يقرا بما لم ينقل من القرا قوله عز وجل **ولكم في القصاص حيوة يا اولى الالباب لعلكم تتقون**
اى لكم بعيش المومنين فيما شرعه الله لكم من القصاص بقاء فان الذى يريد قتل غيره اذا علم انه
ان قتل قتل امسك عن القتل فيكون في ذلك حيوة للذى هم بقتله وحيوة له وفي بقائهما بقاء من
يتعصب لهما فان الفتنة تثبت بالقتل فتودى الى المحاربة التى لا يعلم الى ماذا تنتهى فذلك قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة يا اولى الالباب ذوى العقول من الناس لكى تتقوا القتل مخافة القصاص
فان قال قايل ايش الفرق بين هذا وبين ما كانت العرب تقوله القتل انفى للقتل وتقول اكثروا
القتل ليقل القتل قيل له هذا يترجح على قولهم من اربعة اوجه احدها ان هذا اوجز عبارة فان
هذا عشرة احرف وذلك اكثر والثانى ان هذا اكثر فايدة فان قوله تعالى القصاص حيوة بيان العدل
واعتبار المساواة وبيان الغرض المطلوب من القصاص وهو الحيوة ومعلوم ان القتل اذا كان
على وجه الظلم لا ينفى القتل ولكنه يهيج القتل والثالث ان هذا ابعد من الكلفة فان في قولهم القتل
انفى للقتل تكرارا وفي التكرار على النفس كلفة والرابع ان هذا احسن تاليفا للحروف المتلايمة فان
الخروج من القاف الى الصاد ومن الصاد الى الحاء اسهل على النفس من الخروج من اللام الى الهمزة ومن
التاء الى اللام وقد رام بعض المتاخرين ان ياتى بمثل هذا فقال وهو عصام بن عبيد الزمانى ابلغ
ابا مالك عنى مغلغلة وفى العتاب حيوة بين اقوام وهذا وان كان حسنا لكن بينه وبين ما في كتاب
الله تعالى بون بعيد لان هذا دعا الى العتاب وفي كتاب الله زجر عن القتل ظلما قوله عز وجل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
حقا على المتقين قيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه وان كان لكم ايها المومنون في القصاص
حيوة فان اخر الامر الموت فتعلموا ما يجب عليكم عنده روى انهم كانوا في ابتدا الاسلام يوصون
للاباعد طلبا للريا والسمعة فامر الله تعالى من ترك مالا بالوصية للوالدين والاقربين في الرحم
المحرم بالمعروف ومعنى الاية والله تعالى اعلم فرض عليكم ان مرض احدكم ان توصوا فان
معنى اذا حضر احدكم الموت اذا احدث به المرض وهو قادر على الوصية لانه اذا عاين الموت
فقد شغل عن الوصية وغيرها ويجوز ان يسمى الشى باسم سببه كما يقال عشقها فاهلكته وهى لم
تهلكه الا ان العشق لما كان سببها اضافوا الهلاك اليها ويقال معنى قوله اذا حضر احدكم الموت
ان يوصى حال حيوته فيقول اذا حضرنى الموت فاعملوا كذا وكذا ومعنى ان ترك خيرا اى مالا والخير
المال بلغة جرهم ويقال ان المراد بالخير المال الكثير والكثير ما تعارفه الناس كثيرا والمعروف
هو القصد الذى يعلم اولوا التمييز انه لا حيف فيه ولا جور ومعنى حقا على المتقين اى يحق حقا
عليهم وفيه تاكيد لايجاب الوصية لان على الناس ان يكونوا متقين قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولا خلاف بين المسلمين ان تقوى الله تعالى فرض والوصية هى العقد لما يراد
من الافعال في مستانف الاوقات بعد موت الموصى ورفع الوصية لانصرافها الى ما لم يسم فاعله
وهو قوله تعالى كتب **وقد ذهب** بعض اهل العلم الى ان هذه الاية غير منسوخة في الوالدين
والاقربين الذين لا يرثون الميت مثل الكفار والمماليك حتى قال الحسن رضى الله عنه
ان من اوصى بثلث ماله لاجنبى كان ثلثا الوصية لاقاربه الذين لا يرثونه وثلثها للموصى
له فاما اكثر اهل العلم فقد اتفقوا ان هذه الاية منسوخة واختلفوا باى دليل نسخ فقال

بعضهم

بعضهم باية المواريث المذكورة في سورة النساء وهذا ابعد لان الله تعالى شرع المواريث في تلك
الاية بعد وصية يوصى بها او دين فكيف يجوز ان تكون تلك الاية ناسخة لهذه الاية والصحيح ان
هذه الاية انما نسخت بقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية
لوارث وهذا الخبر وان كان من اخبار الاحاد فقد تلقته الامة بالقبول فجرى مجرى الخبر
المتواتر اذ الامة لا تجتمع على قبول خبر باطل ويجوز نسخ القران بمثل هذه السنة ولا تجب الوصية
الا على من عليه شى من الواجبات لله تعالى او للعباد ويستحب لمن لا شى عليه الوصية بالثلث
لاقاربه الذين لا يرثونه بالرحم وفي جهات الخير اذا لم يخف ضررا على ورثته بقلة الثلثين
وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم في اخر اعماركم
زيادة في اعمالكم **وروى** ابو امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حاف في
وصيته القى في الوى والوى واد في جهنم **وعن** ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الضرار
في الوصية من الكباير قوله عز وجل **فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه**
ان الله سميع عليم يقول من غير امر الوصية بعد ما سمعه وعلم صحته فانما اثمه على المبدل دون
الموصى ان الله سميع لما قاله الموصى عليم بما فعله الموصى وفي هذه الاية دلالة على ان من كان عليه دين
ولم يفرط في قضايه في حال الحيوة واوصى بان يقضى عنه بعد الموت او فرط في قضايه في حال الحيوة
ثم ندم على ذلك واوصى بان يقضى عنه ففرط الوصى في قضايه فانه لا اثم على الميت بذلك وانما ياثم الوصى
قوله عز وجل **فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور**
رحيم معناه وذلك ان الله تعالى لما توعد المبدل في الاية التى قبل هذه الاية خاف الاوصياء من
التبديل فكانوا ينفذون وصية الميت وان جار في وصيته وظلم وان استغرق وصيته المال كله فانزل
الله تعالى هذه الاية وبين ان الاثم في تبديل الحق بالباطل فاما اذا غير الوصى من باطل الى حق على طريق
الاصلاح فهو محسن لا اثم عليه ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان من علم من موص ميلا عن الحق على جهة
الخطا او اثما اى ميلا عن الحق على جهة العمد بان زاد في الوصية على الثلث او اقر بغير الواجب او تعمد
حيفا عليه فاصلح الوصى بين ورثة الموصى واقاربه وبين الموصى له وبين غرمايه بان رد الوصية
الى المعروف الذى امر الله تعالى به فلا اثم عليه في التبديل والرد اذ انما امر الله تعالى به ولا اثم عليه
في التبديل ان الله غفور رحيم اذ رخص للوصى في خلاف الوصية على جهة الاصلاح والهاء والميم في
قوله تعالى فاصلح بينهم كناية عن الورثة قد دلت على الموصى له والكناية تقع عن المعلوم وان لم يكن
قد جرى له ذكر **قال الشاعر** وما ادرى اذا يممت ارضا اريد الخير ايهما يلينى الخير الذى انا ابتغيه
ام الشر الذى هو يبتغينى فكنى الشاعر في البيت الاول بقوله ايهما يلينى عن الخير والشر جميعا
وان لم يكن سبق الا ذكر الخير **فان قيل** كيف يكون معنى قوله تعالى فلا اثم عليه والوصى اذا رد الوصية
الى امر الله تعالى كان محتسبا مستحقا للثواب **قلنا** ان المتوسط بين اثنين على سبيل الصلح جرى امره
على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤال ومشورة فلما كان التوسط يقتضى ذلك بين الله تعالى
انه لا اثم عليه في فعله اذا اراد به الاصلاح وان كان نقصانا الى ذلك مع كراهة الطباع اذا لم يكن من
يجيبه الى ذلك مكرها بالوعيد قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب**
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون فصل مبدا معناه فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين
من قبلكم لكى تتقوا الاكل والشرب والجماع في زمان الصوم وقيل معناه لكى تكونوا اتقياء كما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالصوم فان الصوم لكم وجاء والصوم في اللغة عبارة

شبكة الألوكة

عن الامساك يقال للتارك الطعام صايم وللتارك الكلام صايم وللفرس القايم صايم لانه ترك السير قال
الله تعالى فقولى انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا وقال الشاعر خيل صيام وأخرى غير صايمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما ويقال صامت الريح اذا سكنت وصامت الشمس اذا استوت
عند انتصاف النهار فكانها كالممسكة عن الحركة هذا حكم هذا اللفظ في اللغة واما في الشرع فهو الكف
في نهار الصوم عن الاكل والشرب والجماع وما في معناها بنية الفرض او القربة عرف ذلك بتوقيف
النبي صلى الله عليه وسلم الامة عليه والصوم الشرعي مشبه بصوم الخيل لانه امساك عن الامور
التي تتوق اليها النفس وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم يحتمل ثلاثة معان احدها ما قال
الحسن والشعبي وقتادة رضي الله عنهم انه كتب على الذين من قبلنا وهم النصارى صوم شهر رمضان
فصاموه زمانا قال الحسن فصادفوا فيه الحر الشديد فحولوه الى وقت لا يتغير ثم قالوا عند التحويل
نزيد فيه فزادوا عشرا ثم بعد زمان اشتكى ملكهم فنذر سبعا فزادوه ثم استخلف عليهم
من بعد ذلك ملك اخر فقال ما بال هذه الثلاثة فاتمه خمسين يوما وهذا من اخبار الاحاد وقال
ابن عباس والربيع بن انس والسدى رضي الله عنهم كان الصوم من العتمة الى وقت العتمة ثم
كان على الاكل والشرب والجماع قبل صلوة العشا الاخرة وقبل النوم فاذا صلوا العشا الاخرة او
رقدوا قبل الصلوة حرم عليهم الاكل والشرب والجماع الى العتمة فذلك قوله تعالى كما كتب على
الذين من قبلكم ثم نسخ هذا بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم الاية وقال
بعضهم ليس في هذه الاية اكثر من تشبيه اصل فرض الصوم بصوم من تقدمنا كانه قال تعالى فرض
عليكم اصل الصوم كما فرض على من كان قبلكم وهذا لا يقتضي التشبيه في الوقت والعدد لانه ليس
في التشبيه ان يستغرق المشبه جميع وصف المشبه له به وانما يقتضي ما يقع عليه قوله عز وجل
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى اياما معدودات
هي ثلاثة ايام من كل شهر كان الله اوجب صومها ثم صار ذلك منسوخا بصوم شهر رمضان وقال
عبد الرحمن بن ابى ليلى لم يكن قط صيام ثلاثة ايام من كل شهر واجبا ولكن الله تعالى انما تعبدنا به
على جهة التطوع وقال اكثر المفسرين قوله تعالى اياما معدودات وجه التشبيه كانه قال تعالى
كتب عليكم الصوم اياما معدودات كما كتب على الذين من قبلكم قالوا واراد بالايام المعدودات
ما بينه من بعد بقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القران هدى لان قوله تعالى اياما معدودات
كالمجمل الذى لا يدل على وقت وعدد فبينه الله تعالى بقوله شهر رمضان الذى انزل فيه القران
وقال بعضهم انما انتصب قوله تعالى اياما معدودات على الظرف من قوله تتقون اى لكى
تتقوا في ايام معدودات واما قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر اى من لا يقدر
على الصوم لمرضه او كان مسافرا فلم يصم فعليه عدة من ايام اخر تنوب عن صوم ما فاته يصوم
ذلك في الصحة والاقامة ومعنى قوله وعلى الذين يطيقونه اى على الذين يطيقون الصوم فلم
يصوموا فدية طعام مسكين وذلك انه كان يرخص في الصوم الاول لمن يطيق الصوم ان
يفطر ويتصدق مكان كل يوم على مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه
واما من قرا مساكين فالمعنى عليه طعام مساكين فدية ايام يفطر فيها واما قوله تعالى فمن تطوع
خيرا اى زاد على طعام مسكين واحد وان تصوموا خير لكم من ان تطعموا ويفطروا واحدا

او اكثر ان كنتم تعلمون ثواب الله تعالى في الصوم ومن قرا فدية طعام على اضافة الفدية الى الطعام
فالفدية مصدر والمعنى عليهم ان يفدوا مكان كل يوم طعام مسكين فالفدية اسم لما يفدى به فرع
بطعام مسكين واما ما روى عن ابن عباس وعايشة وعلى الذين يطوقونه اى يكلفون الصوم
ولا يقدرون عليه وفي حرف حفصة وعلى الذين لا يطيقونه يقتضي ان الشيخ الكبير الذى لا يقدر على
الصوم ولا يرجا له القضا عليه ان يفدى مكان كل يوم طعام مسكين وهو قول عامة الفقهاء في حكم
الشيخ الكبير وقد يجوز ان يتعلق حكم التكليف به وان لم يقدر على الصوم كالذى لا يجد الما لطهارة
يوم بالقامة التيمم مقام الوضوء واختلف اهل العلم في مقدار الفدية التى تجب بكل يوم قال
اصحابنا نطعم لكل يوم نصف صاع من حنطة او صاعا من شعير او صاعا من تمر وقال اخرون يطعم
مدا من حنطة عن كل يوم وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من مات وعليه صوم رمضان فلم يقضه اطعم عنه مكان كل يوم نصف صاع لمسكين
واوجب النبى صلى الله عليه وسلم على كعب بن عجرة في فدية الاذى اطعام ستة مساكين لكل مسكين
نصف صاع من بر فان قيل لو كان يجوز للمقيم الصحيح ترك الصوم الى الفدية لكان ينبغى
ان لا يوجب القضا على المسافر اذا افطر في سفره ولا على المريض اذا افطر في مرضه بل كان يجب
ان يوجب عليهما الدية قيل ان المسافر ما دام مسافرا والمريض ما دام مريضا لا يجب الصوم
عليهما حتى لو ماتا قبل الاقامة والصحة لقيا الله تعالى ولا شى عليهما واذا لم يجب الصوم عليهما
لم يوجب الله تعالى عليهما الفدية فاما المسافر اذا اقام والمريض اذا برا فحالهما حال الصحيح المقيم
في شهر رمضان وكان يجوز لهما ترك الصوم بالفدية ثم صار ذلك منسوخا فيهما كما صار منسوخا
في الصحيح المقيم والله تعالى اعلم قوله عز وجل شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ
لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ المعنى والله تعالى اعلم
شهر رمضان الذى انزل فيه القران هاديا ومبينا للناس من الضلالة والدلالات وابضاحات
من الهدى والفرق بين الحق والباطل فمن شهد منكم الشهر بالعقل والبلوغ والصحة والاقامة
فليصمه ويقال معناه من كان شاهدا غير مسافر فليصم وهذا نسخ لما كان من قبل من التخيير بين
الصوم وتركه الى الفدية ومعنى ومن كان مريضا او على سفر اى من كان مريضا او مسافرا فافطر
فعليه عدة من ايام اخر يقضيها في الصحة والاقامة عدد ما افطر يريد الله بكم اليسر اذ رخص لكم
الافطار في المرض والسفر ولا يريد بكم العسر تكليف الصوم في السفر والمرض وقوله تعالى ولتكملوا
العدة عطف على مضمر قبله تقديره فعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة اى لتتموا عددها
افطرتم للمرض والسفر ويقال عدة ثلثين يوما اذا غم عليكم هلال شوال ولتكبروا الله اى لتعظموه
بقلوبكم واقوالكم واعمالكم على ما هداكم من شرايعه وامور دينه ولكى تشكروا الله على الرخصة ونعمة الهدى
قال ابن عباس حق على المسلمين اذا نظروا الى هلال شوال ان يكبروا الله تعالى ويقال اراد بالتكبير التكبير
في صلوة العيد الفطر وفايدة تعريف شهر رمضان بالذى انزل فيه القران لبيان ان تخصيص هذا
الشهر بايجاب الصوم فيه لاختصاصه بنزول القران لان مدار الدين على القران واختلفوا في معنى
قوله تعالى الذى انزل فيه القران قال ابن عباس انزل الله تعالى القران من اللوح المحفوظ جملة واحدة
الى الكتبة في السما الدنيا ليلة القدر فكان جبريل عليه السلام ينزل على ما يومر به من ذلك نجوما

شبكة الألوكة

الاية والاثنين الى احدى وعشرين سنة وعن السدى انه قال كان ابن عباس رضى الله عنهما يجمع
بين هذه الاية وبين قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقوله سبحانه انا انزلناه في ليلة مباركة وعن
اى قلابة انه قال انزلت التورية في اثنتى عشرة خلت من رمضان والانجيل في ثمانى عشرة من رمضان
والقران في اربع وعشرين وقال مقاتل كان ينزل القران في كل شهر من شهور رمضان الى السماء
الدنيا ما كان ينزل في تلك السنة فنزل الى السفرة من اللوح المحفوظ في عشرين شهرا ونزل به جبريل
عليه السلام في عشرين سنة وقال بعضهم كان ابتدا انزال القران على النبى صلى الله عليه وسلم في
شهر رمضان فاضيف انزال الكل الى الوقت الذى وقع ابتدا انزاله فيه فان قيل على التاويل الاول
كيف يصح ان يكون القران قد انزل كله على السفرة في ليلة القدر وفيه اخبار عن امور لم تكن وقعت
مثل قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وسالونك عن الانفال ونحو ذلك قيل له يجوز انه
كان اصله انه اذا كان كذا ثم حذفت الصلة عند الانزال كما في قوله تعالى ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة معناه اذا كان يوم القيمة نادى اصحاب النار اصحاب الجنة وذهب بعض المفسرين
الى ان قوله تعالى شهر رمضان راجع الى الايام معدودة كانه تعالى قال اياما معدودات هى شهر رمضان
ويجوز ان يكون معناه كتب عليكم شهر رمضان اى صومه ومن نصب الشهر جعله بدلا من قوله اياما
معدودات ويجوز ان يكون نصبا على الاغرا والشهر ماخوذ من الشهرة والبياض ومنه شهر السيف
اذا سله وشهر الهلال اذا طلع واشتقاق رمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره
ومن ذلك الرمضا وهى الارض الحارة ويقال رمضت يومنا اذا اشتد حره كانه اتفق تسمية هذا الشهر بهذا
الاسم في وقت كان هذا الشهر في زمان الحر كما قيل شهر ربيع الاول وشهر ربيع الاخر لانه اتفق تسميته بهذا
الاسم في وقت الربيع ورمضان على وزن فعلان لا ينصرف عند التعريف مثل حسان ماخوذ من الحس
واما القران فمصدر مثل الرجحان والنقصان ومن قرا قرانا بغير الهمز فهو من الاقتران اى قرنت
بعضه الى بعض حسن التاليف يقال ليس لشعر فلان قران اى تاليف حسن والفرقان مصدر من
فرق يفرق اذا فصل بين الشيئين ومن قرا ولتكملوا العدة بالتشديد فهو من كمل يكمل بمعنى واحد
الا ان التكميل ابلغ فان قيل ما فايدة تكرار قوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
قلنا كان الصوم الاول للتخيير بين الصوم والفدية فلما نسخ الله تعالى ذلك التخيير من بعد والزم
الصوم حتما كان من الجايز ان يظن ان حكم الصوم لما انتقل من تخيير الى تضييق ان التضييق حكم
يعم الكل فبين الله تعالى ان حال المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضا كحالهما
اولا فهذا فايدة اعادة هذا اللفظ والله تعالى اعلم وظاهر قوله تعالى ومن كان مريضا يقتضى جواز
الافطار لمن يعتقد اسم المرض سوا كان الصوم يضره او لا يضره الا ان اهل العلم قد اتفقوا كلهم
على ان المريض الذى لا يضره الصوم غير مرخص له في الافطار قال ابو حنيفة وصاحباه
رحمة الله عليهم جميعا اذا خاف ان صام ان يزداد مرضه افطر وقال مالك اذا اجهده الصوم
وقال الشافعى اذا ازداد مرضه زيادة بينة افطر وان كانت زيادة محتملة لم يفطر و
السفر مشتق من السفر الذى هو الكشف من قولهم سفرت المراة عن وجهها اذا كشفت
واسفر الصبح اذا اضا واسفرت الريح السحاب اذا كشفته والمسفرة المكنسة لانها تسفر
عن الارض يكنس التراب قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اى مضيئة مشرقة ويسمى الخروج
الى الموضع البعيد سفرا لانه يكشف عن اخلاق المسافر واحواله وليس للسفر حد معلوم
واختلف فيه اهل العلم قال اصحابنا انه مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشى

الاقدام وقال اخرون مسيرة يومين وقال بعضهم مسيرة يوم فلما اختلفوا واختلفت
الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم في سفر المراة بغير محرم كان الاخذ باباحة الفطر وفي
قصر الصلوة بالثلث المتفق عليها اولى وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال يمسح المقيم يوما وليلة والمسافر ثلاثة ايام ولياليهن ومعلوم ان هذا بيان حكم المسافرين جميع
والله اعلم قوله عز وجل واذا سالك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون وجه اتصال هذا
الفصل بما قبله هو انه لما امروا بالتكبير والتعظيم والدعا وبين لهم وجوب الانقطاع الى الله تعالى
في الطلب والمسالة قال ابن عباس وقد كان نزل قوله تعالى وقال ربكم ادعونى استجب لكم فقال
بعضهم اين ربنا اقريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الاية وقال معاذ وقد
ان عمر واقع امراته في ليلة من ليالى شهر رمضان بعد صلوة العشا في الصوم الاول حين
كان لا يحل الاكل والشرب والجماع بعد صلوة العشا ولا بعد النوم قبل الصلوة فجا عمر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول اعتذر اليك يا رسول الله من نفسى هذه الخاطية
وذكر له القصة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن جديرا بذلك يا عمر فنزلت هذه الاية اى
اذا سالك عبادى صايموا شهر رمضان عن اجابتى وعفوى فيما جنوا على انفسهم فانى قريب
بالاجابة وعن قتادة انه قال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وقت ندعوا حتى
يستجاب دعاونا فنزلت الاية وقال الكلبى قالت اليهود لعنهم الله كيف يسمع ربك دعانا
وانت تزعم ان بيننا وبين السما مسيرة خمسماية عام وان غلظ كل سما مسيرة خمسماية عام
فنزلت هذه الاية ولا تنافى بين هذه الروايات كلها ومعنى الاية والله تعالى اعلم اذا سالك
عبادى عنى ورحمتى بهم واستجابتى لدعايهم وقبولى توبتهم فاعلمهم انى قريب في الرحمة لهم و
الاستجابة لدعايهم اعلم من كلامهم ما يخفى وما ظهر وهذا هو معنى القرب اذ لا يجوز ان يعنى بقوله
قريب قرب المسافة لان القرب والبعد لا يجوز ان الا على الاجسام التى تتحرك وتسكن وتدنو وتبعد
ومن يكون متمكنا على المكان وكل من ذا حاله لا يكون الا محدثا من حيث لا يعرى عن المحدثات
ولو كان الامر كما يقول المشبهة ان الله تعالى على العرش لما صح وصفه بالقرب من كل من يناجيه
ويساله ويدعوه بل كان يجب ان يكون قريبا من بعض وبعيدا من بعض وان يكون قريبا من حملة
العرش بعيدا من غيرهم فصح ان معنى قوله تعالى قريب قرب الرحمة والاستجابة عند ما فسره جل ذكره
بقوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال ما قاله الزجاج اذا قال القايل اين الله فالله تعالى
قريب لا يخلو منه مكان كما قال عز وجل ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وكما قال تعالى وهو معكم
اينما كنتم فمعناه احاطة علمه بهم وقدرته عليهم لان الله تعالى كان قبل المكان وبعد ان خلق
المكان لم يتغير عما كان فان قيل كيف قال الله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان ونحن نرى كثيرا
يدعون الله تعالى فلا يجيب دعاهم قيل يا ابن احمد يدعو الله تعالى على ما توجبه الحكمة الا وهو يجيب دعاه
وصفة الدعا على شرايط الحكمة ان يقول اللهم افعل بى كذا وكذا ان لم يكن مفسدة في دينى وفيما يرضيك
عنى يجب ان يقول هذا الشرط بلسانه او ينويه بقلبه فيجيبه الله تعالى اذا لم يكن ما سال مفسدة لى
الدين اذ الله تعالى يدبر امر العباد وهو تعالى اعلم بهم منهم بانفسهم فلا يقف تدبيره في مصالحهم على طلبهم
فان قيل ان الله تعالى يفعل هذا من دون الدعا فاى الفايدة الدعا قيل فيه جوابان احدهما ان
الدعا عبادة تعبدنا الله تعالى بها لما فيها من الخشوع واظهار الافتقار الى الله تعالى كما روى في الخبر اللهم

اغنني بالافتقار اليك ولا تفقرني بالاستغنا عنك والثاني انه لا يمتنع ان لا يكون وقوع ما سأله الداعي مصلحة قبل المسألة ويكون مصلحة له بعد المسألة فيكون وهذا الدعا ضرب من العبادة قال بعضهم قوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعان عام يعرض التخصيص كما حكي عن ابي سهل الانماري انه قال في هذه الاية اجيب دعوة الداعي بعد ان لا يعجل ولا ييأس ولا يدعو عن قلب ساه لاه وعن جعفر الصادق انه قال ان للدعا اركانا واجنحة واسبابا واوقاتا فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وقطع الاسباب واجنحته الصدقة فانها تطفي سخط الرب واسبابه ان لا يكون السوال بحق لاداوقاته الاسحار وبين الاذان والاقامة وبعد ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب بعضهم الى ان المراد بالدعا العبادة وبالاجابة القبول استدلالا بقوله تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ومنهم من فرق الدعا والطلب جعل الدعا لامور الاخرة والطلب لحاجات الدنيا وقد ذم الله تعالى اقواما دعوا في مسالة الدنيا فقال تعالى ومن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وعن السدي انه قال لا دعا الا والله تعالى يستجيب للعبد ان كان له رزق في الدنيا عجله وان لم يكن له ذخره الى يوم القيمة واما معنى قوله تعالى فليستجيبوا لي فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الكلبي ان الاستجابة ان تقول بعد صلاتك لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك والايمان ان يقول المؤمن امنت بالله وكفرت بالطاغوت وعدك حق ولقاؤك حق واشهد انك واحد فرد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واشهد ان الساعة اتية لا ريب فيها وانك تبعث من في القبور قال ابن عباس رضي الله عنهما ما تركت هذه الكلمات بعد صلوة بعد ما نزلت هذه الاية وقال الكلبي ما تركتها منذ اربعين سنة فعلى هذا يكون معنى الاستجابة الاجابة بالطاعة والانقياد لله تعالى فيما الزمه وهذا كما يقال اقاد واستقاد واخلف واستخلف قال الشاعر
وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب
معناه فلم يجبه عند ذلك مجيب في الجابة موافقة الطلب وقال بعضهم الاستجابة طلب الاجابة كالاستعجال طلب العجلة وقيل على هذا التفسير ان الاستجابة ان يقول الرجل في اخر صلوته امرتنا ربنا بالدعا وقضيت على نفسك الاجابة قلت واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع الاية ومعنى يرشدون ليكونوا على رجا الرشد في مصالح الدنيا والاخرة يقال رشد يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا واصل دعاني باثبات اليا الان ان الاكثر في القراة حذف اليا اختصارا لان الكسرة دليل عليها وقد روي عن كعب الاحبار انه قال قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال عز من قايل يا موسى انا جليس من ذكرني قال يا رب فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها من جنابة او غايط فقال عز من قايل يا موسى اذكرني على كل حال وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان في غزاة فرفع اصحابه اصواتهم بالتكبير والتهليل والدعا فقال صلى الله عليه وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من اعطي الدعا لم يحرم الاجابة لقوله تعالى ادعوني استجب لكم ومن اعطي الشكر لم يحرم الزيادة لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قوله عز وجل احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون

انفسكم

انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان الله تعالى لما فرض الصوم الاول من العتمة الى وقت العتمة كان يحل الطعام والشراب والرفث للرجل ما لم يرقد او يصلي العشا الاخرة فاذا فعل احدهما حرم عليه الى مثلها من القابلة فجا رجل من الانصار يقال له صرمة بن انس يكنى ابا قيس وقد جهده الصوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا قيس امسيت طليحا فقال له ظللت امس في النخل نهاري كله اجر بالجرير حتى امسيت فاتيت اهلي فارادت ان تطعمني شيئا سخنا فابطأت علي فنمت فايقظوني وقد حرم علي الطعام والشراب فامسيت اليوم وقد جهدني الصوم فقال عمر رضي الله عنه معتذرا من مثل ذلك وقال رجعت الى اهلي بعد ما صليت العشا فراودتني نفسي فاتيت امراتي فقال صلى الله عليه وسلم لم تكن بذلك جديرا يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى الاية والله تعالى اعلم احل لكم في الليلة التي يكون في غدها الصوم الافضا الى النسا والمراد منهن من الجماع وغيره ذلك هن سكن لكم وانتم سكن لهن علم الله انكم كنتم تظلمون انفسكم بمعصيتكم فتجاوز عنكم ولم يعاقبكم فالان جامعوهن في ليالي الصوم واطلبوا ما قضى الله تعالى لكم قال ابن عباس معناه من الولد وهذا على معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم وروي عن ابن عباس انه قال في رواية اخرى ابتغوا ليلة القدر التي كتب الله تعالى لكم ثوابها وعن قتادة انه قال اطلبوا الرخصة التي كتب الله تعالى لكم فان الله تعالى يحب ان تؤخذ رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه وقيل معناه ابتغوا فيما ابيح لكم وما امرتم به وقرئ في الشواذ وابتغوا ما كتب الله لكم بالعين غير معجمة ولفظ الاية يحتمل هذه المعاني كلها والعبد ماجور على ما يقصدون من ذلك اتباع امر الله عز وجل وقوله وكلوا واشربوا امر اباحة واطلاق من حظر كما في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وكذلك الامر بالمباشرة في هذه الاية امر اباحة ومعنى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر حتى يتبين لكم النهار من الليل وقيل حتى يتبين لكم الفجر الثاني من الفجر الاول وهما فجران احدهما يبدو اسود معترضا وهو الخيط الاسود والاخر هو الذي يبدو ساطعا يملا الافق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد ولكنه الاحمر المعترض وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لبلال رضي الله عنه لا تؤذن حتى يستبين لك الفجر هكذا ومد يده عرضا فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذين الخبرين ان الفجر المعترض الذي يحرم الطعام ويبيح الصلوة هو الفجر الثاني الذي يبدو معترضا في الافق وان الفجر المستطيل الى وسط السما هو من الليل والعرب تسمي الفجر الاول ذنب السرحان وقد روي عن عدي بن حاتم الطائي انه قال بعد نزول هذه الاية اخذت خيطين ابيض واسود فوضعتهما تحت وسادي فلما كان في قريب من الفجر جعلت انظر اليهما فلم يبن لي الابيض من الاسود ما لم ينفجر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فتبسم وقال صلى الله عليه وسلم ان وسادك اذا لعريض طويل وفي بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم انك لعريض القفا انما هو سواد الليل وبياض النهار تجوزا عما اشتبه هذا على

عدي بن حاتم قبل نزول قوله تعالى من الفجر ويجوز ان استعارة الخيط الابيض من الخيط الاسود
في الفجر كانت في لغة قريش فنزل القران بلغتهم ولم يكن عدي وغيره ممن اشكل عليهم يعرفون هذه
اللغة فان قيل كيف شبه الليل بالخيط الاسود وهو مشتمل على جميع العالم قيل ان الخيط الاسود هو
السواد الذي يكون في الافق من جانب مطلع الشمس قبل ظهور الخيط الابيض فيه وهو في ذلك الموضع
مشابه للخيط الابيض الذي يخرج بعده ولذلك يسمى الخيط الاسود ومعنى قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل اي اتموا الصيام بعد طلوع الفجر الثاني الى اول الليل وفي عطف هذا اللفظ في الاية على اباحة
الاكل والشرب والرفث دليل ان الصوم المامور به شرعا هو الامساك عن الامور التي ذكر الله تعالى
اباحتها ليلا دون ما في معناها دون الامساك عن جميع الاشيا على نحو ما تقدم ذكره واول الليل
قرص الشمس بحيث لا يرى اثره على الارض مع ارتفاع الموانع ومعنى ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد لا تجامعوهن وانتم لابثون في المساجد نزلت في قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا معتكفين في المسجد وكان الرجل منهم يخرج الى اهله فيجامع فيغتسل ثم يرجع الى المسجد
فنهوا ان يجامعوا ليلا ولا نهارا حتى يفرغوا من الاعتكاف واما قوله تعالى تلك حدود الله قال الكلبي
اي المباشرة في الاعتكاف معصية الله تعالى ويقال جميع ما ذكر الله تعالى في اول هذه الاية الى
اخرها احكام الله تعالى لان حد الحلال الى حد الحرام ومعنى الحدود ما منع الله تعالى عن مخالفتها و
كل من منع شيئا فقد حده ويسمى الحديد حديدا لانه يمتنع به من الاعداء ويسمى الحاجب حدادا واحداد
المراة على زوجها لانها تمتنع من الزينة وحد الدار ما يمنع غيرها ان يدخل فيها وقيل ان الحد هو
الجامع المانع ومعنى فلا تقربوها اي لا تقربوا المباشرة في الاعتكاف ويقال لا تقربوا احكام الله تعالى
بالخلاف كما قلنا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة ومعنى كذلك يبين الله اياته للناس اي كما بين
الله تعالى لكم هذه الاحكام فهكذا يبين للناس ساير ادلته على دينه وشرايعه وقيل ساير اوامره و
نواهيه لكي يتقوا معاصيه فلا يتعدوا حدوده والرفث المذكور في اول هذه الاية كلمة جامعة في
اللغة لكل ما يريده الرجال من النساء وهو في هذه الاية الجماع لا خلاف بين اهل العلم فيه وقد يسمى الكلام
الفاحش رفثا قال ابن عباس الغشيان والاتيان والافضاء والمباشرة والرفث في كتاب الله تعالى
عبارة عن الجماع ولكن الله تعالى حيي كريم يكني بالحسن عن القبيح واما تسمية المراة لباسا فلان كل
واحد من الزوجين يلابس صاحبه ويتوحد فيكون كل واحد منهما كاللباس للاخر وحقيقة اللباس ما
يستر ومنه سمى الله عز وجل الليل لباسا لانه يستر كل شي بظلامه وسمت العرب المراة لباسا قال النابغة
اذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا ويقال سمي كل واحد من الزوجين لباسا لصاحبه
لان كل واحد منهما ستر لصاحبه فلا يظهر لهما في اللباس فاحشة وقيل كل واحد منهما ستر لصاحبه من
النار والخيانة في اللغة انتقاص الحق على جهة المساترة فيكون معنى تختانون انفسكم اي تساترون
بعضكم بعضا في مواقعة المحظور من الجماع والاكل والشرب بعد العتمة او النوم في ليالي الصوم كقوله تعالى
تقتلون انفسكم يعني تقتل بعضكم بعضا ويجوز ان يكون معنى تختانون تعملون عمل الخاين لنفسه في الاضرار
بها والاختيان افتعال من الخيانة قال القتيبي الخيانة هو ان يؤتمن الرجل على شي فلا يؤدي الامانة فيه
ويسمى الفعل المحظور خيانة لانه خلاف الدين الذي هو امانة والمباشرة في اللغة هي الصاق البشرة
بالبشرة وقد بينا انها في هذه الاية كناية عن الجماع ومعنى الاعتكاف في اللغة هو اللبث قال الله عز وجل
ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون والاعتكاف اسم مجمل مثل الصوم في الامساك الا ان الشرع نقل اسم
الاعتكاف الى معان اخر مع اللبث لم يكن الاسم يتناولها في اللغة منها الكون في المسجد ومنها الصوم

عند

عند كثير من اهل العلم ومنها نية التقرب الى الله تعالى بذلك وترك الجماع راسا فلا يكون معتكفا الا بوجود
هذه المعاني وقد اختلف السلف في المسجد الذي يجوز فيه الاعتكاف فكان ظاهر قوله عز وجل
وانتم عاكفون في المساجد يقتضي اباحة الاعتكاف في جميع المساجد فاما ايجاب الصوم في الاعتكاف
فلان اللفظ لما كان مجملا مفتقرا الى البيان ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الاعتكاف الا بالصوم
كان فعله صلى الله عليه وسلم واردا مورد البيان كفعله في الصلوة واما المباشرة المذكورة في الاية فهي
نهي الصاق البشرة بالبشرة على وجه الشهوة ليلا ونهارا حرام في الاعتكاف الا ان الاعتكاف لا يفسد
بالتقبيل بدون الانزال وقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت ترجل راس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو معتكف فكانت تمس بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها فدل
ذلك ان المباشرة بغير الشهوة غير محظورة في الاعتكاف وقال اذا قبل امراته فسد اعتكافه
وقال الشافعي لا يفسد الاعتكاف من الوطي الا ما يوجب الحد وقال في موضع اخر اذا باشر فسد
اعتكافه وفي هذه الاية دلالة على اباحة الاكل والشرب والوطي في ليالي الصوم الى ان يحصل له الا
والتيقن بطلوع الفجر وان الشك لا يحظر عليه ذلك اذ لا يجوز وجود الاستبانة مع الشك وهذا
ظاهر فيمن يستبين الفجر ويرى مطلعه من حيث يطلع مشاهدة اذا لم تكن هناك علة فاما من لا يصل
الى معرفة الفجر بغيم او ضعف بصر او ليلة مقمرة فان شك في الفجر فالاحوط له ان لا ياكل استبراء
لدينه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك
وان اكل وهو شاك فصومه تام في ظاهر الرواية وروى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة انه
قال ان كان في موضع يرى مطلع الفجر وليس هناك علة فلياكل ما لم يستبن له الفجر وان كان
في موضع لا يرى او كانت ليلة مقمرة فلا ياكل اذا شك في الفجر وان كان اكثر رايه انه اكل والفجر
طالع فعليه القضا قال وهذا قول زفر وقول ابي يوسف رحمهما الله وهذه الرواية مفسرة
لرواية الاصل المجملة والله تعالى اعلم قوله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون
نزلت في شان امرء القيس بن عابس الكندي وعبدان بن اشوع الحضرمي اختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ارض ادعاها الحضرمي على صاحبه فاراد المدعى عليه ان يحلف بالكذب
فقال صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض وانما انا بشر مثلكم
اقضي بما اسمع فمن قضيت له بشي من حق اخيه فلا ياخذ منه قليلا ولا كثيرا فانما اقطع له قطعة
من النار فانزل الله تعالى هذه الاية وصارت عامة في جميع الناس ومعنى الاية والله تعالى اعلم لا
ياكل بعضكم مال بعض بالباطل وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان اموالكم واعراضكم عليكم
حرام يعني اموال بعضكم على بعض واكل المال بالباطل على وجهين احدهما اخذه على وجه الظلم
بالغصب والخيانة وشهادة الزور واليمين الفاجرة والاخرى اخذه من جهات محظورة مع
رضى المالك كمهر القمار واجرة الغناء والملاهي والنايحة وثمن الخمر والخنزير والربا والمعاملات
المحرمة واما قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام يجوز ان يكون نهيا ثابتا على معنى ولا تظهروا
محاكمتكم للحكام بالباطل فيحكم الحاكم في الظاهر لاحدكم مع علم المحكوم له انه غير مستحق له
في الباطن ويجوز ان يكون جوابا لما قبله على معنى لا تجمعوا بين هذين الامرين كما تقدم
في قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق قوله تعالى لتاكلوا فريقا من اموال
الناس اي طايفة من اموال الناس بالظلم والجور وانتم تعلمون انكم مبطلون في دعواكم

وان الجحد عليكم في الباطن وهذا مثل وديعة لا بينة عليها فجحدها المودع فيحلف على ذلك فيكون القول قوله وكذلك اذا كان عنده احد مال يتيم فجحد وحلف وكذلك لو ادعى على انسان مالاً وكان قد استوفى ذلك المال منه ولم يعلم شهوده بذلك فشهدوا له بالمال فحكم له الحاكم بذلك والادلاء بالحجة ماخوذ من ادلاء الدلو وهو ارسالك اياها في البير تقول دليت دلوي ادليها ادلاء اذا ارسلتها لتملاها واذا استخرجتها قلت دلوتها ادلوها دلواً ووجه شبه الخصومة بارسال الدلو في البير ان المرسل الدلو ربما امتلا دلوه وربما لم يقع في دلوه شي كذلك المحا صم ربما يظفر بطلبته وربما خابت طلبته ويجوز ان يكون معنى الادلاء هاهنا ان المخاصم يكون متعلقاً بالخصومة والحكم ليتوصل الى الباطل كما يتعلق من ادلى دلوه بالحبل ليتوصل الى الماء وقد روى عن سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شاهد زور لا يرفع قدما عن قدم حتى يجب له النار وفي بعض الروايات لا يرفع قدميه عن مكانهما حتى يلعنه الله تعالى من فوق عرشه وعن ام سلمة انها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجلان يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما اقضي بينكما برايي فيما لم ينزل علي فيه فمن قضيت له بحجة اراها فاقتطع بها قطعة ظلما فانما يقتطع قطعة من النار ياتي بها في عنقه يوم القيمة فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقي لصاحبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن اذهبا فتوخيا واستهما وليحلل كل واحد منكما صاحبه ففي هذه الاية والاخبار دليل ان حكم الحاكم لرجل بالمال لا يبيح له اخذ المال الذي لا يستحقه وفيها دليل ان الحاكم مكلف بالظاهر لا بالمغيب وفيها دليل ان كل مجتهد فيما يسوغ فيه الاجتهاد مصيب ولا خلاف بين الامة ان حكم الحاكم بالاملاك المرسلة لا يوثر في اباحتها اذا علم المحكوم له انه مبطل وانما اختلف اهل العلم في حكمه بالعقود والفسوخ وهل ينفذ ظاهراً و باطنا مع علم المحكوم له ان شهوده شهود زور او لا ينفذ قال الامام ابو حنيفة ينفذ لما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال شاهداك زوجاك ومن المفسرين من حمل قوله تعالى وتدلوا بها الى الحكام على معنى لا تعطوهم اياها على وجه الرشوة ليحكموا لكم بالباطل ويقال لا يعطي الاوصيا بقية ما في ايديهم من اموال الايتام الحكام لكي يتخلصوا ويتبروا مما فعلوا في اموالهم قوله عز وجل يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون قال ابن عباس نزلت هذه الاية في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة وهما من الانصار سالا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير ثم لا يزال ينتقص ويدق حتى يعود كما كان لا يكون على حالة واحدة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى والله اعلم يسالونك على وجه الحكمة في معنى الاهلة قل هي بيان المواقيت التي يحتاج الناس اليها في صومهم وفطرهم وعدة نسائهم واجال ديونهم و الشروط التي بينهم الى اجل معلوم وقوله تعالى والحج اي هي بيان وقت حجهم ولو جعل الله تعالى القمر مدوراً ابداً على هيئة الشمس لم تعرف الشهور والسنة وكان يشق حفظ عدد الايام وكان اذا غفل الانسان عن الحساب لم يعرف المواقيت واما قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها قال ابن عباس وذلك انه في الجاهلية واول الاسلام كانوا اذا احرم الانسان منهم فان كان من اهل مدر يعني من اهل البيوت نقب نقباً في ظهر بيته يتخذ سلما اليه منه يدخل ومنه يخرج

دلايل غر

ولا

ولا يدخل من باب بيته وان كان من اهل الوبر اي من اهل الخيام والفساطيط خرج ودخل من خلف الخيمة والفسطاط وكان لا يدخل من الباب ولا يخرج منه وربما كانوا لا يستظلون بشي وهم لا يدخلون البيت كي لا يحول بينهم وبين السماء شي الا ان يكون الرجل من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة قوم شددوا على انفسهم سموا الحمس للتشديد من الحماسة وهي الشدة في كل شي كانوا في ايام حجهم لا يا قطون الاقط ولا يسلون السمن ولا ينتفعون الوبر والشعر ويدخلون من الباب احل لهم ما حرم على غيرهم وحرم عليهم ما احل لغيرهم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من باب بستان قد خرب وهو محرم فاتبعه قطبة بن عامر من غير الحمس فدخل معه من الباب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دخلت من الباب وانت محرم من غير الحمس قال انك قد دخلت وانت محرم قال انا من الحمس قال ان كنت احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فنزل قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي ليس البر بان تاتوا البيوت من خلفها اذا احرمتم ولكن البر من اتقى ويقال ولكن ذا البر من اتقى الشرك والمعاصي ومخالفة امر الله تعالى لا من ابتدع شيئا لم يامر الله به واتوا البيوت من ابوابها محرمين ومحلين واخشوا الله واطيعوه في جميع ما امركم به ونهاكم عنه لكي تنجوا من العقوبة وتفوزوا بالبقاء في الجنة قال الحسن رضي الله عنه كان من عادة العرب اذا خرج الرجل في حاجته في السفر فلم تتيسر له تلك الحاجة كان لا يستطيع ان يدخل من باب البيت فكان ينقب نقبا من ورا البيت وكان يدخل من ذلك النقب فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال هذا مثل ضربه الله تعالى لهم بان ياتوا البر من وجهه وهو الوجه الذي امر الله عز وجل به وفيه بيان ان ما لم يشرعه الله قربة ولا ندب اليه لا يصير قربة ولا دينا بان يتقرب به متقرب ويعتقده دينا ونظيره من السنة ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صوم الصمت وعن صوم الوصال والصمت ان يصمت يوما لا يتكلم فيه والوصال ان يواصل يومين او ثلاثة لا يفطر بينهما بليل ولا نهار فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يعتقد ترك الاكل بالليل الذي لا صوم فيه قربة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا في الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما شانه قالوا انه نذر ان يقوم في الشمس فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتحول الى الظل وكان ابو عبيدة يقول في هذه الاية ليس البر ان تطلبوا المعروف من غير اهله ولكن اطلبوه من اهله واما الشيعة فتاولوا الاية على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا مدينة العلم وعلي بابها وقد اختلف اهل اللغة في الوقت الذي يسمى هلالا فقال بعضهم يسمى هلالا من اول الشهر الى ثلاثة ايام ثم يقال له القمر الى اخر الشهر وقال الزجاج اكثرهم يسمونه هلالا لليلتين وقال الاصمعي يسمى هلالا حتى يغلب ضوؤه سواد الليل وهذا لا يكون الا في السابعة وفي الاية دلالة على جواز الاحرام بالحج في جميع السنة ودلالة بان المدة تكون لحقوق جميع الناس فيما يكون متعلقاً بالمدة من العدة وغير ذلك لان الله تعالى جعل جميع الاهلة وقتا لجميع الناس في الحج والله تعالى اعلم قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه رضي الله عنهم في العام الذي اراد فيه العمرة حتى نزل الحديبية قريبا من مكة والحديبية اسم بير فسمي ذلك الموضع باسم تلك البير فصده المشركون عن البيت فاقام بالحديبية شهرا ثم صالحه المشركون على ان يرجع عامه ذلك كما جا على ان تخلى له مكة من العام المقبل ثلاثة ايام فيطوف بالبيت وينحر الهدي ويفعل ما شا وصالحوه على ان لا يكون بينهم قتال الى عشر سنين فرجع

يصوم غر

تكرر

www.alukah.net

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلما كان العام المقبل تجهز لعمرة القضا وكانوا يخافون ان لا تفي قريش بذلك وكانوا يكرهون قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها والله اعلم قاتلوا في طاعة الله تعالى الذين يبدؤنكم بالقتال ولا تجاوزوا الحد بنقض العهد بالبداية بقتالهم ان الله تعالى لا يرضى عمل المعتدين عن الحدود قيل ان هذه اول آية نزلت في القتال فان القتال كان محظورا قبل الهجرة كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال عز من قايل وجادلهم بالتي هي احسن وقال جل ذكره فاعف عنهم وقال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم امر الله تعالى المسلمين بالقتال بعد الهجرة لمن قاتلهم من المشركين ثم نزلت آية اخرى في الاذن بالقتال عاما لمن قاتلهم ولمن لم يقاتلهم وهي قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير وعن عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه ان المراد بالذين يقاتلونكم وهذه الآية الذين هم من اهل القتال دون النسا والولدان الذين لا يقاتلون فهذه الآية على قوله محكمة غير منسوخة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى يوم فتح مكة امراة مقتولة فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه ما اراها قاتلت ثم قال صلى الله عليه وسلم لواحد من اصحابه الحق خالدا وقل له لا تقتل وليدا ولا امراة وفي بعض الروايات لا تقتل ذرية ولا عسيفا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن قتل النسا والولدان ومعنى لا تعتدوا على هذا التاويل لا تجاوزوا الى قتل من لا تومرون بقتله والله تعالى اعلم قوله عز وجل **واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين** تاويل هذه الآية على ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في الآية المتقدمة واقتلوا الذين يبدؤنكم من اهل القتال من اهل مكة حيث وجدتموهم واخرجوهم من مكة كما اخرجوكم والشرك الذي هم فيه اعظم ذنبا عند الله تعالى من القتال في الحرم والشهر الحرام ومعنى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام على هذا التاويل انهم اذا بداوكم بالقتال في غير الحرم ثم لجوا الى الحرم فكفوا عن قتالهم فلا تقاتلوهم في الحرم حتى يقاتلوكم فيه فان بداوكم بالقتال في الحرم فاقتلوهم هكذا جزاء الكافرين يعني القتل في الحرم اذا قاتلوا وانما سمي الكفر فتنة في هذه الآية لان الكفر يودي الى الهلاك كما ان الفتنة تودي الى الهلاك ويقال اصل الفتنة الاختبار والكفر فساد يظهر عند الاختبار ثقفوا وان قتلوكم بغير الفتنة فاني قاتلوا منكم تقول العرب قتلنا اي قتل بعضنا والثقف في اللغة الاصابة يقال ثقفت فلانا اثقفه ثقفا وثقافة اذا اخذته ويقال رجل ثقف لقف اذا كان ضابطا للامور حاذقا وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية ناسخة للآية التي قبلها لان في هذه الآية امرا بقتال المشركين كلهم حيث وجدهم المسلمون سوا قاتلوا او لم يقاتلوا وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ضرب من التخصيص للعموم المذكور في اول هذه الآية فكان الله تعالى امر بقتال المشركين في كل موضع الا بحضرة المسجد الحرام فانه امر ان لا يبدؤهم عنده بالقتال قوله عز وجل **فان انتهوا فان الله غفور رحيم** يقول فان انتهوا عن الشرك والقتال فان الله غفور لما مضى من جاهليتهم رحيم بهم بعد توبتهم واسلامهم وهذا كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قوله عز وجل **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية ناسخة لقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لان الله تعالى امر بقتال المشركين في هذه الآية حتى لا يبقى الشرك بالله

تعالى

تعالى وقال بعضهم حرمة القتال في الحرم ثابتة لم تنسخ ولا يحل القتال فيه الا مع من قاتل وقد ذهب اصحابنا رحمهم الله الى ان هذا الحكم ثابت غير منسوخ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم فتح مكة ان مكة حرام بحرام الله تعالى حرمها الله عز وجل يوم خلق السموات والارض وانما احلت لي ساعة من النهار ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطب يوميذ حين قتل رجل من خزاعة رجلا من هذيل فقال ان اعتى الناس على الله تعالى ثلاثة رجل قتل غير قاتله ورجل قتل في الحرم ورجل قتل بذحل الجاهلية فعلى هذا يكون تاويل هذه الآية والله تعالى اعلم وقاتلوا اهل مكة الذين يقاتلونكم حتى لا يكون شرك بالله تعالى ويكون الدين كله لله تعالى عز وجل فان انتهوا عن قتالكم فلا سبيل ولا حجة في القتل في الحرم والشهر الحرام الا على الذين يبدؤن بالقتال وينقضون العهد ومن الدليل على ان هذه الآية غير ناسخة لما قبلها انهما مع ما قبلها مذكوران في خطاب واحد على ما يقتضيه نسق التلاوة ونظام التنزيل ولا يصح النسخ الا بعد التمكين من الفعل ولا يجوز اثبات النسخ الا بالنقل الصحيح واثبات التاريخ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخلا له اهل مكة البيت الحرام ثلثة ايام فدخله النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فطافوا بالبيت ونحروا الهدي عند المنحر واقاموا بمكة ثلثة ايام حتى قضوا حاجتهم من البيت ثم انصرفوا فانزل الله تعالى قوله عز وجل **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين** معنى الآية والله اعلم الشهر الحرام الذي دخلت فيه مكة بالشهر الحرام الذي صددتم فيه في العام الاول ومعنى والحرمات قصاص اي اقتصصت لكم منهم في الشهر الحرام في ذي القعدة كما صدوكم في الشهر الحرام في ذي القعدة مراغمة على دخول المسجد ويقال معنى الآية قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام وامر هذه الحرمات قصاص اي لا يجوز للمسلمين الا قصاصا واراد بالحرمات حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام فمن اعتدى عليكم بالقتال في الحرم فكافيوه بمثل ما فعل واخشوا الله تعالى في كل ما امرتم به ونهيتم عنه واعلموا ان الله مع المتقين بالنصر والمعونة واصل العدوان والاعتدا في اللغة الظلم ومجاوزة الحد الا انه سمي المجازاة على الظلم عدوانا واعتدا لان صورة الفعلين واحد وان كان احدهما طاعة والاخر معصية تقول العرب ظلمني فلان فظلمته وجهل علي فجهلت عليه وعلى هذا قول الله عز وجل ومكروا ومكر الله وقوله عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم واسم المثل قد يقع على ما يكون من جنسه وعلى ما لا يكون من جنسه فكل ما كان من المكيل والموزون والمعدود اذا استهلكه واحد على صاحبه كان عليه مثله من جنسه وما كان غير ذلك من اصناف الاموال فمثله قيمته وما يكون جزاء من طريق الحكم لان من اعتدى على غيره بقذف لم يكن المثل المستحق عليه ان يقذف مثل ما قذفه بل يكون المثل جلد ثمانين وكذلك لو شتم رجلا بما دون القذف كان عليه التعزير وكان ذلك مثلا لما قاله والله تعالى اعلم **وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين** المعنى في ذلك ان الله تعالى ذكر فرض الجهاد في الآية المتقدمة ثم قرن الى ذلك الانفاق في سبيل الله تعالى في هذه الآية ومعناها والله تعالى اعلم تصدقوا يا اهل الميسرة في طاعة الله تعالى ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة وحذف ذكر النفس لان في الكلام دليلا ويجوز الحذف اذا كان في المذكور دليل على المحذوف وقد اختلفوا في معنى الالقا باليد الى التهلكة فقال بعضهم معناه لا تمسكوا بايديكم عن الصدقة في الجهاد فتهلكوا قال ابن عباس في هذه الآية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم؟ لذ؟ ثنا؟ نعته؟ عليه و؟ لكم؟

الألوكة www.alukah.net

امر الناس بالجهاد الى مكة للحج ونادوا منادية بالاستعداد في الحج فقام اليه ناس من اعراب حاضري
المدينة فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتجهز فوالله ما لنا زاد ولا مال نتجهز به و
لا يطعمنا احد فانزل الله تعالى هذه الاية فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على الصدقة و
رغبتهم فيها فقال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق فقال تصدقوا ولو بشق
تمرة فقالت امراة من النسا ما لي شق تمرة قال تصدقوا ولو بظلف شاة وعن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله دينه قلنا فيما بيننا ان اموا لنا
ضاعت فلو قمنا فيها فاصلحناها فامر الله تعالى بالجهاد فاخبر ابو ايوب ان الالقا بالايدي الى التهلكة هو
ترك الجهاد في سبيل الله تعالى وعن عبيدة السلماني انه قال هو الرجل يذنب الذنب فيلقي بيده
ولا يعمل يقنط من رحمة الله تعالى فيهلك وقال بعضهم هو الاسراف في الانفاق حتى لا يبقى له ما ياكل
فيتلف وعن البرا بن عازب رضي الله عنه انه قال هو الرجل يخرج من بين الصفين فيستقتل من
غير قصد نكاية العدو واما قوله تعالى واحسنوا فمعناه احسنوا في النفقة والافضال على المحتاج و
يقال احسنوا بالانفاق في سبيل الله تعالى فانكم اذا فعلتم ذلك كنتم محسنين والاحسان هو فعل الحسن
في المعقول الا انه اذا اطلق انصرف الى النفع الحسن وهو نقيض الاساة وقد ذكر محمد بن الحسن
رحمه الله في السير الكبير ان رجلا لو حمل على الف رجل وهو وحده لم يكن بذلك باس اذا كان يطمع
في نجاة او كان يطمع في نكاية وان كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه يرهب بذلك العدو و
يجري بذلك المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا باس بذلك لان هذا افضل النكاية و
فيه منفعة للمسلمين وانما يكره ذلك اذا كان لا منفعة فيه بوجه من الوجوه وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة
حق عند سلطان جاير فقتله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شر ما
في رجل شح هالع وجبن خالع فذم الجبن وذلك يوجب مدح الاقدام والشجاعة فيما
يعود الى الدين وان ايقن فيه بالتلف والله تعالى اعلم قوله عز وجل واتموا الحج والعمرة
لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او
نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام
ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب روي عن علي وعبد الله
بن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا اتمام الحج والعمرة ان تحرم بهما من دويرة اهلك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال تمام العمرة الى البيت وتمام الحج الى اخر الحج كله وقيل اتمامهما
ان تكون النفقة حلالا وينتهي عن جميع ما نهى الله تعالى عنه ويأتي بجميع ما شرع الله فيهما من
المشاعر والمواقف وقال مقاتل رحمه الله اتموا الحج والعمرة لله من المواقيت ويقال ان اتمامهما
اقامتهما على التمام وهذا تاويل من يذهب الى ان العمرة واجبة قال الحسن ومجاهد هذا امر
باتمامهما بعد الشروع فيهما والاظهر من لفظ الاتمام والله اعلم انه انما يطلق بعد الدخول فيه كما
في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل واما قوله تعالى فان احصرتم اي منعتم من البيت بعدما احرمتم
بحج او عمرة فاردتم الاحلال فعليكم ما تيسر من الهدي قال ابن عباس رضي الله عنهما اعلاه بدنة
واوسطه بقرة وادناه شاة يبعث المحصر بها الى مكة ويواعدهم اليوم الذي يذبحون عنه اذا ذبح

عنه

عنه حل ورجع الى اهله ثم يقضي ما كان احرم به بعد ذلك ومعنى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ
اي لا يحلق احدكم راسه ولا يحل من الاحرام حتى يبلغ الهدي الحرم اي حتى يعلم ان هديه قد ذبح عنه
في الحرم وقوله فمن كان منكم مريضا اي كان مريضا من المحرمين محصرين او غير محصرين فلم يستطع الاقامة
على شروط الاحرام فحل وفعل شيا مما يفعل الحلال قبل ان يذبح عنه الهدي او كان في راسه قمل يؤذيه
لا يستطيع ان يصبر عليه فحلق راسه فعليه فدية اما صنع صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من تمر او صاع من شعير او شاة يذبحها في الحرم وروي
عن كعب بن عجرة انه قال نزلت هذه الاية في مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر
على وجهي فقال صلى الله عليه وسلم اتوذيك هوام راسك قلت نعم قال احلق راسك واطعم ستة
مساكين لكل مسكين نصف صاع من حنطة او صم ثلثة ايام او انسك بنسيكة وقوله فاذا امنتم
اي امنتم الموانع من المرض والعدو وكل مانع ويقال في الاية اضمار واختصار تقديرها فاذا
امنتم من العدو وبراتم من المرض فاقضوا ما كنتم احرمتم به قبل الاحصار من حج او عمرة فمن تمتع
بالعمرة الى الحج اي من بدا بالعمرة في اشهر الحج واقام بمكة في عامه فحج من غير ان يرجع الى اهله فعليه
ما تيسر من الهدي فمن لم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج يصومها قبل
يوم النحر متتابعا او متفرقا وصيام سبعة ايام اذا رجعتم الى اهاليكم ويقال اذا رجعتم الى ما كنتم عليه اذ
فرغتم من الحج تلك عشرة كاملة للهدي وقيل كاملة للثواب وذلك التمتع والهدي لمن لم
يكن اهله حاضري المسجد الحرام يعني بمكة واتقوا الله في جميع ما امرتم به ونهيتم عنه واعلموا
ان الله شديد العقاب اذا عاقب فلا تستحلوا مخالفة شي مما امرتم به ونهيتم عنه وقد اختلف
السلف في وجوب العمرة فروي عن عبد الله بن مسعود والشعبي وابرهيم النخعي انها تطوع
وبه قال اصحابنا وقال مالك رحمهم الله وروي عن عايشة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر
ومجاهد انها واجبة وبه قال الشافعي رحمه الله ولا دلالة في هذه الاية على الوجوب لان لفظ الاتمام
يقتضي نفي النقصان عنها اذا فعلت لان ضد التمام هو النقصان ومثل هذا اللفظ يستعمل في
الواجبات والنوافل وقرئ والعمرة لله بالرفع على معنى الابتدا قال الزجاج ومن نصب العمرة
احتمل ان يكون للابتدا لكن نصبها اتباعا للحج واما قوله تعالى لله فلان اهل الجاهلية كانوا
يشركون في احرامهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وتعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فامر الله تعالى باخلاص القول والعمل لله تعالى واما الاحصار فقد
ذكر الكسائي وابو عبيدة واكثر اهل اللغة ان الاحصار هو ان يكون بمرض او عدو والحصر ان يكون
بحبس عدو يقال احصره المرض او العدو فهو محصر وحصره العدو فهو محصور وهذا على مذهبنا
مستمر وقال الفرا لا فرق بين الحصر والاحصار وهما يشتركان في المعنى وهذا اقرب من مذهب
الشافعي رحمه الله فان عنده لا يكون المريض محصرا ولا يكون الاحصار الا بالعدو واما المريض
فلا يحلل بالهدي وان لم يقدر على الذهاب وانكر ابو العباس المبرد والزجاج على الفرا و
وقالا ان الاحصار والحصر مختلفان في المعنى الا ترى انك تقول حبست الرجل اذا جعلته في
الحبس واحبسته اذا عرضته للحبس وقبرته اذا دفنته في القبر واقبرته اذا عرضته للدفن
في القبر وقتلته اذا باشرت قتله واقتلته اذا عرضته للقتل والهدي في اللغة اسم لما
يهدى الى البيت وهو جمع هدية كما يقال جدية وجدي ويقرا من الهدي بالتشديد وهو جمع هدي
وعن عايشة وعبد الله بن عمر انهما قالا الهدي في هذه الاية ان الهدي انما يكون بدنة او بقرة دون الشاة

الألوكة
www.alukah.net

تعالى فاستيسر على هذا القول التخيير بين اعيان الابل والبقر وقد اتفق الفقهاء في تفسير
قوله تعالى هديا بالغ الكعبة ان الشاة هدى في جزاء الصيد واتفقوا ان ما عدا الاصناف الثلاثة
من الابل والبقر والغنم ليس من الهدى ولا يجوز من كل شيء الا الثني فصاعدا الا الجذع من
الضان اذا فرط لها ستة اشهر على ما ورد به الخبر في الاضحية والثني البالغ من كل نوع و
هو عند الفقهاء في الغنم ابن سنة وفي البقر ابن سنتين وفي الابل ابن خمس سنين واختلفوا
في المحل المذكور في قوله تعالى حتى يبلغ الهدى محله قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس
وعطاء وطاوس ومجاهد رضي الله عنهم محله محرم وهو الحرم وقال مالك والشافعي رحمهما الله
محله الموضع الذي احصر فيه فيكون معنى حتى يبلغ الهدى محله اي ينحر الهدى فيحل اكله والمحل
يذكر ويراد به الوقت مثل محل الدين وهو وقته الذي تجب المطالبة به ويذكر ويراد به المكان كما
قال الله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وظاهر الاية يقتضي ان يبلغ الهدى بعد الاحصار
مبلغا لم يكن بالغا قبل ذلك ولو كان موضع الاحصار محلا للهدى لكان بالغا محله بوقوع الا حصار
وادى ذلك الى بطلان الغاية المذكورة في الاية فان قوله تعالى في شان الحديبية والهدى معكوفا
ان يبلغ محله فهو حجة في ان المحل هو الحرم وليس في تلك الاية بيان موضع الذبح انه كان في الحل او في
الحرم فيحتمل ان الهدى كان ممنوعا عن الحرم ثم لما وقع الصلح اطلقوا الهدى حتى ذبح في الحرم
وقد روي عن ناجية بن جندب انه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث معي الهدى
حتى اخذ به في الشعاب والاودية فاذبحها بمكة ففعل وذهب ابو يوسف ومحمد والثوري
الى ان هدي المحصر عن الحج موقت بيوم النحر وليس في هذه الاية دليل ان المراد بالمحل الزمان
لان قوله تعالى فان احصرتم عائد الى الحج والعمرة المذكورين في اول هذه الاية ولا خلاف ان هدي
الاحصار في العمرة غير موقت بيوم النحر وفي الظاهر قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى
محله دليل ان المحصر اذا لم يجد الهدى لا يحل حتى يجد الهدى فيذبح عنه وقال عطاء يصوم عشرة
ايام ويحل كالمتمتع اذا لم يجد وحكم المرض في الاحرام على ثلاثة اوجه اما ان يكون كسرا او عرجا كما
روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فهذا
يكون حكمه حكم المحصر من الفاعل عن المضي الى مكة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر
فقد حل اي جاز له ان يحل بان يبعث الهدى حتى يذبح عنه وهذا كما يقال اذا انقضت عدة المراة
حلت للازواج اي حل لها ان تتزوج واما ان يكون مرضا يحتاج فيه الى فعل شيء مما يحظر
الاحرام من حلق او لبس او تغطية او نحو ذلك فيفعله لدفع الاذى فيكون حكمه ما ذكر الله تعالى
بقوله سبحانه ففدية من صيام او صدقة او نسك واما ان يكون لا يحتاج اليه الى استعمال
شيء مما يحظر الاحرام فيكون حكمه حكم الاصحاء وانما سمي الجمع بين فعل العمرة اولا وفعل الحج
ثانيا في اشهر الحج في سفر واحد من غير ان يلم باهله حلالا فيما بينهما تمتعا لما فيه من الارتفاق
باسقاط احد السفرين عن نفسه ويقال لما في ذلك من الانتفاع باستحقاق ثواب الحج و
العمرة بجمعهما في اشهر الحج على الوجه واما اذا احرم بالعمرة في شهر رمضان وطاف لها
شوطا او شوطين ثم اتى باكثر افعال العمرة في اشهر الحج وحج من عامه ذلك في ذلك السنة كان
متمتعا ايضا عندنا وفي هذا خلاف بين اهل العلم رحمهم الله وسبب التمتع ما روي في الخبر ان
الكفار كانوا يرون العمرة في اشهر الحج من افجر الفجور ويجعلون المحرم صفر ويقولون اذا برا
الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم

هذا

واصحابه رضي الله عنهم مكة صبيحة اليوم الرابع من ذي الحجة مهلين بالحج امر نبي الله صلى الله عليه
وسلم من لم يسق الهدى من اصحابه ان يحل ويجعلها عمرة فتعاظم ذلك عندهم وقالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الحل قال الحل كله وقال لو استقبلت من امري ما استدبرت لما سقت الهدي
ولحللت معكم فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسخ الحج لنا خاصة ام لمن بعدنا فقال
بل لنا خاصة ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين حلوا من اصحابه فاحرموا بالحج يوم
التروية حين اراد الخروج الى منى وعلى هذا قالوا انما سمي التمتع تمتعا لما فيه من التمتع بالنساء
بين الحج والعمرة اذا لم يكن ساق الهدى واما صورة القران فهي ان يحرم بالحج والعمرة معا في
عام واحد او يحرم بالحج قبل ان ياتي باكثر افعال العمرة وحكم القران حكم التمتع في الهدى وبدله
وهدي المتعة والقران يختص عندنا بيوم النحر كما قال الله تعالى فكلوا منها واطعموا البائس
الفقير ثم ليقضوا تفثهم فرتب قضاء التفث على ذبح الهدايا ولا يكون قضاء التفث قبل يوم
النحر ولا خلاف ان قضاء التفث لا يترتب على هدي المفرد بالحج ولهذا قال اصحابنا ان هدي
المتعة والقران دم نسك يجوز الاكل منه كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قارنا وكان
ساق معه مائة بدنة فنحر ثلثا وستين بيده واعطى عليا كرم الله وجهه ما غبر واشركه في هديه
وامر ان ياخذ من كل بدنة بضعة ففعل فاكلا من اللحم وشربا من المرق واما ما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مفردا بالحج عام حجة الوداع فيحتمل اختلاف الروايات في هذا الباب لان
الناس كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم ارسالا فسمعه بعضهم يقول حين احرم لبيك بحجة
وعمرة معا ثم لما اخذ في عمل العمرة سمعه قوم يلبي بالعمرة ثم لما شرع في عمل الحج سمعه قوم يلبي بالحج
الا ترى الى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني
الليلة آت من ربي وانا بالعقيق فقال صل في هذا الوادي المبارك ركعتين وقل لبيك بحجة و
عمرة معا ولهذا قال اصحابنا في الرواية المشهورة عنهم ان افضل الحج القران ثم التمتع ثم الافراد
والله تعالى اعلم والافضل في صوم المتعة ان يصوم قبل يوم التروية بيوم ليكون اخر الثلثة يوم
عرفة واما قوله فصيام ثلثة ايام في الحج ذهب بعض اهل العلم الى ان صوم المتعة لمن لم يجد الهدى
لا يجوز الا بعد احرامه بالحج واما اصحابنا رحمهم الله قالوا لا يجوز ان يكون قوله تعالى في الحج
بمعنى في فعل الحج لان فعل الحج الذي لا يصح الا به انما هو الوقوف يوم عرفة بعد الزوال و
يستحيل صوم الايام الثلثة فيه فكان المراد بعد احرام الحج او في اشهر الحج وظاهره يقتضي
جواز فعله بوجوده في ايهما كان واذا صام للمتعة بعد احرامه بالعمرة في اشهر الحج فقد صام
بعد وجود سبب المتعة فوجب ان يجزيه وهذا كما قال الله تعالى ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير
رقبة مؤمنة ثم لم يمتنع جواز تقديم الكفارة على القتل لوجود الجراحة التي هي سبب
القتل واما اذا لم يصم الثلثة قبل يوم النحر فقد اختلف اهل العلم في ذلك قال عمر وعبد
الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم لا يجزيه الا الهدى ولا يحل الا به وهو قول
اصحابنا رحمهم الله وقال ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم يصوم ايام منى وهو قول مالك
رحمه الله وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يصوم بعد ايام التشريق وهو قول الشا فعي
رحمه الله والفايدة في قوله تعالى عشرة كاملة انه كان يجوز ان يتوهم ان البدل لا يلحق المبدل
في الثواب فبين الله تعالى انه في الكمال بمنزلة المبدل لو فعله ويقال ان الواو قد جاءت في
القران بمعنى التخيير كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع فاكد الله

الألوكة
www.alukah.net

تعالى وجوب صوم العشرة كلها بقوله تعالى تلك عشرة كاملة لازالة هذا الاشكال والاصل
في حاضري المسجد الحرام حاضرين المسجد الحرام سقطت النون للاضافة وسقطت اليا في اللفظ
لسكونها وسكون اللام في المسجد كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وقد اختلفوا في حاضري المسجد الحرام
قال عطاء ومكحول رضي الله عنهما هم كل من دون المواقيت الى مكة وهو قول اصحابنا الا ان اصحابنا يقولون
اهل المواقيت بمنزلة من دونها لانهم كلهم في حكم اهل مكة يجوز لهم دخولها من غير احرام وقال ابن عباس
ومجاهد حاضروا المسجد الحرام اهل الحرم وقال الحسن وطاوس ونافع هم اهل مكة وقال الشافعي هم من كانت
داره دون ليلتين من مكة وذلك مقدار اقرب المواقيت الى مكة وهو اقل مسيرة السفر عنده في قول له وظاهر
قوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام يقتضي الاشارة الى المتعة والهدى جميعا لاباحة المتعة و
القران لاهل المواقيت ومن دونها الى مكة وذهب الشافعي رحمه الله الى ان قوله تعالى ذلك اشارة الى الهدى
دون المتعة والقران فيجوز عنده المتعة والقران لاهل مكة لكن لاهدي عليهم والله تعالى اعلم قوله عز وجل
الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من
خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب في الاية تقدير
حذف مبتداء مضاف ومعناها وقت الحج اشهر معلومات ويقال الحج في اشهر وهذا كما قال الله تعالى غدوها
شهر ورواحها شهر ومعناه مدة غدوها ومدة رواحها واختلفوا في هذه الاشهر قال ابن عباس واكثر اهل
التفسير انها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة وامّا من قال انها شوال وذو القعدة وذو الحجة فيها
بالخلاف لان مراد من قال ذو الحجة بعضه لان الحج لا محالة في بعض هذه الاشهر لا في جميعها ويجوز اضافته
الى جميع هذه الاشهر وان كان هو في بعضها الا ترى انك تقول لقيت فلانا سنة كذا ووقت يوم كذا تريد بذلك
بعض المدة ويقال وقت الصبح من حين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وان كانت صلوة الصبح لا تستغرق
هذا الوقت كذلك الحج لا خلاف بين الائمة انه ليس يبقى بعد ايام منى شيء من مناسك الحج ومعنى فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث اي من اوجب فيهن الحج بالتلبية او ما يقوم مقامها من ذكر اشعار وسوق
الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا يرفث ولا يفسق وهذا لفظ خبر بمعنى النهي كما ان قوله تعالى يتربصن
ويرضعن خبران لفظا وامران معنى والرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجال من النسا قال
ابن عباس رضي الله عنهما الرفث مراجعة النسا بذكر الجماع واما الفسوق فقد اختلفوا فيه قال
ابن عمر رضي الله عنهما هو ما نهى الله تعالى عنه في الاحرام واختار بعضهم هذا القول وقالوا لو كان
المراد به جميع المعاصي لكان لا يختص بالنهي عنها حالة الاحرام وقال ابن عباس وجماعة من
المفسرين ان المراد بالفسوق جميع المعاصي وفايدة تخصيص حالة العبادة بالنهي عنها لتعظيم حرمة
العبادة كما يقال لا تغتب في صومك ولا تعبث في صلوتك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل وان جهل عليه فليقل اني امرؤ صائم واما قوله
تعالى ولا جدال في الحج قال بعضهم الجدال ان تجادل صاحبك حتى تغضبه او يغضبك ويقال ان
المشركين كانوا يحجون عامين في ذي القعدة وعامين في ذي الحجة وكان حج ابي بكر رضي الله عنه
حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للحج في آخر عامي ذي القعدة وحج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجة الوداع في اول عامي ذي الحجة وقال صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجع الحج الى ذي الحجة كما كان فانزل
الله تعالى هذه الاية اي لا تجادلوا في ميقات الحج ويقال كانت قريش تقف بالمزدلفة وكانت الحمس
وربيعة تقف بعرفة خارج الحرم وكان كل فريق يجادل صاحبه في الموقف فنزلت هذه الاية

ومعنى وما تفعلوا من خير اي من اسباب الحج وترك الرفث والفسوق والجدال يعلمه الله يقبله
منكم فيجازيكم عليه والله تعالى عالم من دون ان تفعلوا ولكن المراد به يعلمه الله تعالى مفعولا وكان
من قبل يعلمه غير مفعول واراد تعالى بهذا الحث على فعل الخير ودل به على العدل الذي يقتضي انه
لا يجازي المرء على ما يعلم منه وانما يجازيه على ما يقع منه ويقال هذا كلام خرج مخرج التهديد
اي لا يخفى علي ما تفعلون من خير او شر ومعنى وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا ولا
تكلفوا الناس وما تكفون به وجوهكم عن المسألة نزلت في قوم كانوا يخرجون باهاليهم بغير زاد في
سفر الحج والعمرة ويتكلون على الناس ويسمون انفسهم المتوكلة يقولون نحج بيت ربنا والله تعالى رازقنا وقيل
نزلت في قوم كانوا يلقون ازوادهم ويصيبون في حجهم من اهل الطريق ظلما فيقولون نحن حجاج
فبين الله تعالى ان الزاهدين يتقوا ما لا يحل لا ان تلقوا ازوادكم وتصيروا كلا على الناس و
يقال في الاية تقديم وتاخير وتقديره وتزودوا من الطاعات واتقون يا اولي الالباب فان خير
الزاد التقوى ولا يمتنع ان يكون المراد بالاية زاد الدنيا وزاد الاخرة فكان الله تعالى حض على
الزادين جميعا وامر بالتزود لسفر الدنيا بالطعام ولسفر الاخرة بالتقوى فان النجاة من هلكات
سفر الدنيا بالزاد ومن سفر الاخرة بالعمل الصالح قال الشاعر ❊ اذا انت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ❊ ندمت على ان لا تكون كمثله ❊ فترصد للامر الذي كان ارصدا
ويروى سفيان الثوري رحمه الله انه كان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت ❊ اذا انت لم تزرع وابصرت
حاصدا ❊ ندمت على التفريط في زمن البذر وقد اختلف اهل العلم في جواز الاحرام بالحج قبل اشهر الحج
روي عن ابن عباس وجابر وعطاء ومجاهد وعكرمة رضي الله عنهم انهم قالوا لا يحرم الرجل بالحج قبل
اشهر الحج وحكى عطاء من احرم بالحج قبل اشهر الحج فليجعلها عمرة وقال الشافعي تكون عمرة وحكي
ابراهيم النخعي جواز الاحرام بالحج قبل اشهر الحج وهو قول اصحابنا ومالك والثوري والليث رحمهم الله
وقد قدمنا فيما سلف ذكر وجه الدلالة على جواز ذلك من قوله عز وجل يسالونك عن الاهلة قل هي
مواقيت للناس والحج وان ذلك عموم في كون الاهلة كلها وقتا للحج ومعلوم ان الاهلة ليست بمواقيت
لافعال الحج فوجب ان يكون حكم ذلك اللفظ مستعملا في احرام الحج واما ما ذكر الله تعالى في هذه الاية
يحتمل انه توقيت لافعال الحج فان من قدم مكة محرما بالحج قبل اشهر الحج وطاف وسعى لم يجز ذلك السعي
معتدا به من الحج ويحتمل ان يكون المراد بالحج المذكور في اول هذه الاية الحج الذي تقدم ذكره قبل هذه الاية
وهو حج التمتع وذهب بعض مشايخنا الى ان قوله اشهر معلومات توقيت لاستحباب الاحرام لانه اذا
قدم الاحرام على شوال امتد مكثه في الاحرام واضطر الى شيء من محرمات الاحرام يدل على ذلك ما روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يحرم الرجل بالحج قبل اشهر الحج وهو رواية اخرى
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وظاهر هذه الآية تقتضي ان الاحرام بالحج يوم النحر جايز والله لا يفصل
بين يوم النحر وبين ما بعده والفرض ايجاب الشيء والزامه وقطعه عن شيء معلوم ومن ذلك فرضة
النهر وفرضة السهم وفرض الله تعالى على العباد الصوم والصلوة اي قطع الحكم بايجابهما على تقدير معلوم
فاما سوق الهدي بنية الاحرام فانه يقوم مقام التلبية والايجاب كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قيل له عام حجة الوداع ما بال الناس قد حلوا وانت لم تحل بعد فقال صلى الله عليه وسلم اما اني قلدت
هديي ولبدت راسي فلا احل حتى انحر فجعل تقليد الهدي تاثيرا في الاحرام وقد اتفقت الامة ان المراد
بالرفث المذكور في هذه الاية الجماع فما دونه من اللمس والتقبيل ونحو ذلك اذ لا خلاف بينهم ان من قبل امراته في
احرامه لشهوة فعليه دم واصل الرفث في اللغة انه بالقول الافحاش فيه وبالفرج الجماع وباليد الغمز للجماع

الألوكة
www.alukah.net

وعن ابن عباس انه كان ينشد في احرامه فيقول وهن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا فقيل هذا رفث فقال رضي الله عنه انما الرفث مراجعة النسا بذكر الجماع والنصب في قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق نصب على التبرية ويقرا بالرفع والتنوين وكلا الوجهين جايز في كلام العرب واكثر القرا في قوله تعالى ولا جدال في الحج على النصب لم ينقل فيه الرفع والتنوين الا في رواية شاذة ومن رفع الرفث والفسوق جعل ما بعده كلاما مبتدا والاختلاف ان الجدال والفسوق لا يفسدان الحج لانه نهي تاديب واما الرفث فهو حتم اذا وجد الجماع في الحج قبل الوقوف بعرفة افسد الحج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وفي الخبر دلالة ان النهي عن الرفث والفسوق امر بالتوبة عن الفسوق اذ الاصرار عليها من اعظم المعاصي وروي ان الفضل بن عباس كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم من المزدلفة الى منا فكان يلاحظ النسا وينظر اليهن فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجهه بيده من خلفه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره غفر الله له وفي الاية دلالة بطلان قول المتصوفة الذين يسمون بالمتوكلة في تركهم التزود والسعي في المعاش لان الله تعالى امر بالتزود في هذه الاية وشرط في وجوب الحج الاستطاعة ولهذا المعنى فسر النبي صلى الله عليه وسلم الاستطاعة حين سئل عنها بالزاد والراحلة قوله عز وجل ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين روي عن عبد الله بن عمر ان رجلا ساله فقال اني لاكري الابل الى مكة افيجزي من حجي فقال اولست تلبي وتقف بعرفات وترمي الجمار قال بلى قال سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ما سالتني عنه فلم يجبه حتى انزل الله تعالى هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انتم حجاج ومعنى الاية والله تعالى اعلم ليس عليكم جناح ان تطلبوا رزقا في التجارة في ايام الحج فاذا دفعتم من عرفات فاذكروا الله تعالى باللسان عند المشعر الحرام وهو الجبل الذي يقف عليه الناس بالمزدلفة واذكروه بالثنا والتوحيد والشكر ذكرا مثل هدايته اياكم اي ذكرا يكون جزا لهدايته وانتم كنتم من قبل هدايته اياكم لمن الضالين عن الهدى وقيل ان المراد بالذكر الاول في هذه الاية صلوة المغرب والعشا اللتين جمع بينهما في وقت العشا بالمزدلفة والمراد بالذكر الثاني هو الذكر المفعول بالمزدلفة غداة جمع في موقف المزدلفة فعلى هذا يكون الذكر الاول غير الثاني وقد تسمى الصلوة ذكرا على معنى ان الذكر ركن من اركانها كالركوع في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين والافاضة هي الدفع بالكثرة يقال افاض القوم في الحديث اذا تدافعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل اناه اذا ملاه وفاض الانا اذا انصب منه الما للامتلا وافاض البعير بجرته اذا رمى بجرته متفرقة كثيرة وعرفات جمع عرفة وهي مكان واحد ذكرها الله بلفظ الجمع واراد بجميع انحايها وسميت عرفات لارتفاعها من سائر الارض وكذلك الاعراف ويقال سميت بهذا الاسم لان ادم وحوا عليهما السلام تعارفا هناك بعد الفراق ويقال لان جبريل عليه السلام عرفها ابرهيم عليه السلام ليقف عليها حين كان يعلمه امور المناسك فقال ابرهيم عليه السلام عرفت والكسر والتنوين في عرفات على معنى ان هذا اللفظ محكي على ما كان في الاصل يقال هذا عرفات ورايت عرفات ومررت بعرفات ونظير هذا من الاسامي انك اذا سميت انسانا بظالمين قلت جاني ظالمين ورايت ظالمين ومررت بظالمين قال امرو القيس تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عالي ومن قرا اذرعات بالكسر بغير تنوين فلانه وان اعتبر حكم الاصل فهو في الحال واحد لا ينصرف لاجتماع التعريف والتانيث وسميت المزدلفة المشعر الحرام على معنى انها معلم للمتعبد من متعبدات الله تعالى والشعار العلامة ومن ذكر

اشعار

اشعار الهدى ويسمى المزدلفة جمعا ايضا قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم قال الضحاك معناه افيضوا من المزدلفة الى منى لتقيضى منها قريش وروي في رواية اخرى ان المراد بالناس ابرهيم عليه السلام لانه كان الامام المقتدى به فسماه الله تعالى ناسا كما قال الله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا وانما ذهب الضحاك رحمه الله الى ان المراد بالافاضة في هذه الاية الافاضة من المزدلفة لان الله تعالى عطف هذه الاية على الافاضة من عرفات الى المزدلفة فعلم ان المراد بهذا الافاضة من المزدلفة وذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بالافاضة في هذه الاية الافاضة من عرفات وذلك ان الحمس من قريش وغيرها كانت لا تخرج من الحرم وكان وقوفها بالمزدلفة لا غير افتخارا وتعاليا على الناس كانوا يقولون نحن اهل الله فلا نخرج من حرمه فاما غير الحمس كانوا يقفون بعرفة فانزل الله تعالى هذه الاية وامر قريشا وغيرهم من الحمس ان يقفوا بعرفة حيث تقف الناس ويدفعوا منها معهم وانما ذكر الناس في امر قريش بالافاضة من حيث افاض الناس لان قريشا ومن دان دينها كانوا قليلا بالاضافة الى سائر الناس وقوله تعالى ثم افيضوا على هذا التاويل راجع الى اول الكلام كانه قال احرموا كما امركم الله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس فيكون الامر بالافاضة عطفا على الاحرام دون الافاضة من عرفات والفايدة في اعادة ذكر الافاضة ان قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات يقتضي ان الوقوف بعرفة من مناسك الحج وقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس بيان ان الوقوف بعرفة من فروض الحج على الناس كلهم لان الامر بالافاضة يقتضي الوجوب ولا يتوصل الى الافاضة منها الا بالكون فيها هناك وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج عرفة فمن ادرك عرفة بليل او نهار فقد ادرك الحج ومن فاته عرفة بليل او نهار فقد فاته الحج اراد بالليل ليلة يوم النحر فان اول وقت الوقوف بعرفة بعد زوال الشمس من يوم عرفة واخره طلوع الفجر من يوم النحر فان دفع منها قبل غروب الشمس ولم يرجع اليها قبل دفع الامام فعليه دم في ظاهر الرواية واما موضع الوقوف فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف الا بطن عرنة والمزدلفة كلها موقف الا بطن محسر وقد اختلف اهل العلم رحمهم الله في الوقوف بالمزدلفة فذهب اكثرهم الى انه ليس بركن من اركان الحج على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قدم ضعفة اهله بليل وفي بعض الاخبار انه قدم اغيلمة بني عبد المطلب بليل وجعل يلطخ افخاذهم بيده ويقول ابيني لا ترموا جمرة العقبة الا مصبحين فلو كان الوقوف بالمزدلفة فرضا لما رخص ترك الضعفة كالوقوف بعرفة واما قوله تعالى واستغفروا الله قال بعضهم هذا امر بالاستغفار من الذنوب في مواطن الحج فان الدعا في تلك المواضع جدير بالاجابة وقال بعضهم هذا خطاب للحمس امرهم الله تعالى بالاستغفار عما كان منهم في الجاهلية من مخالفة امره بترك الوقوف بعرفات ان الله غفور لذنوب العباد اذا تابوا رحيم بهم بعد التوبة قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق معناه والله تعالى اعلم اذا فرغتم من متعبدات حجكم في الحج فاذكروا الله تعالى بالخير كذكركم اباكم بل اشد ذكرا وذلك انهم كانوا يقفون بعد قضا المناسك يوم النحر في المسجد الذي بمنى وبين الجبل ينشدون الاشعار ويتفاخرون بذكر فضايل ابايهم يقول احدهم يا رب ان عبدك فلانا يعني اباه كان يفعل كذا وكذا من الخير ذاكرهم الله ان يذكروه فهو الذي فعل ذلك الخير الى ابايهم وان اياديه عندهم اكثر واعظم من ايادي ابايهم ونعمه عليهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم بعد نزول هذه الاية ان الله تعالى قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء ان الناس من ادم وادم من تراب لا فضل للعربي على العجمي الا بالتقوى ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم

الألوكة
www.alukah.net

وقال بعضهم معنى قوله اذا قضيتم اردتم قضاء المناسك قال الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله وقال عز من قائل اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا اقالوا واراد بالذكر في هذه الاية جميع الاذكار المسنونة
في الحج بعرفات والمزدلفة وعند الرمي والطواف وقال بعضهم اذكروا الله تعالى بالتوحيد كما تذكرون
اباكم بذلك فانكم لا ترضون ان تنتسبوا الى ابوين وكذلك لا ترضون من انفسكم باتخاذ الهين وعن
عطار رحمه الله في قوله تعالى كذكركم اباكم هو كقول الصبي اول ما يعقد الكلام ابه ابه اي استعينوا بالله
وافزعوا في جميع اموركم اليه كما يفزع الصبي الى ابيه في جميع اموره ويلهج بذكره واما قوله تعالى فمن
الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا نزلت في مشركي قريش كانوا يقولون اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما
وعبيدا واماء واموالا ولم يكونوا يسالون لانفسهم التوبة والمغفرة كانوا لا يرجون الا نعيم الدنيا ولا يخافون
البعث والنشور فبين الله تعالى بقوله وماله في الاخرة من خلاق اي من يطلب بعمله امور الدنيا لا يريد
بذلك ثواب الله تعالى فلا نصيب له من ثواب الاخرة ثم بين جل ذكره دعاء المؤمنين بقوله عز وجل و
منهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال مجاهد
رحمه الله معنى الحسنة النعمة في الدنيا اي يسالون الله تعالى نعمة الدنيا والاخرة وان يقيهم عذاب النار
وقال الحسن وجماعة من اهل العلم ان الحسنة في الدنيا هو العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة والوصول
الى نعيمها وثوابها وعن قتادة انه قال ذكر لنا ان رجلا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فاضنى الرجل في مرضه ونحل جسمه فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك فاتاه يعوده فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو بكذا فقال صلى الله عليه وسلم
يا ابن ادم انك ضعيف لا تستطيع ان تقوم لعذاب الله تعالى ولكن قل ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار فدعا بها الرجل فبراه والاصل في قنا اوقينا ولكن الواو سقطت كما سقطت
في يقي لان الاصل فيه يوقي سقطت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة فاذا سقطت من يوقي سقطت من اوقي
وانما اجتلبت الف الوصل لسكون الواو فاذا سقطت الواو فلا حاجة للمتكلم الى الواو وسقطت الالف و
سقطت الياء في اخر الكلمة للوقف والجزم قوله عز وجل اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع
الحساب معناه الذين يسالون الله تعالى الدنيا والاخرة لهم حظ ونصيب من الثواب اكتسبوه
في حجتهم وفي هذا بيان استجابة دعائهم على القطع وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ليدخلن اقوام من امتي ممن نزلت فيهم الجنة لم يصبهم من بلوى الدنيا شيء كانوا يسالون الله تعالى العافية
في الدنيا والاخرة يقولون ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار ومعنى
سريع الحساب اذا حاسب فحسابه يسير كلمحة البصر هكذا روي في الخبر وفي بعض الروايات ان الله
تعالى يحاسب العباد قدر فواق ناقة والفواق ما بين الحلبتين وفي ذكر سرعة الحساب في
الاية بيان علم حقيقة الامر وان محاسبة الله تعالى لا تكون بعقد الاصابع والخط وفكرة القلب
كما تكون محاسبة الناس بعضهم بعضا لكن يحاسبهم جميعا في لحظة واحدة يظن كل واحد انه محاسبه
خاصة لا يشغله شيء عن شيء وقيل معنى سريع الحساب سريع المجازاة وفيه اخبار عن سرعة فناء
الدنيا وقيام الساعة قوله عز وجل واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون
روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعطاء والضحاك وابرهيم النخعي ان الايام المعدودات ايام التشريق
والايام المعلومات عشر ذي الحجة وهكذا روي عن ابي حنيفة وابي يوسف ومحمد رحمهم الله وروي
في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الايام المعدودات ايام العشر والمعلومات ايام

النحر

النحر ولا شك ان في هذه الرواية غلطا وهو خلاف الكتاب لان الله تعالى عقب الايام المعدودات
بقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وليس في العشر حكم يتعلق بيومين دون الثالث وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايام منى ثلثة ايام التشريق فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن
تاخر فلا اثم عليه وفي هذا الخبر بيان مراد الاية من قوله تعالى اياما معدودات وروي عن ابي يوسف
في رواية اخرى ان المعلومات ايام النحر والمعدودات ايام التشريق قال هذا القول اشبه بالاية يعني
لان الله تعالى قال في ذكر ايام المعلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقال في هذه الاية فمن تعجل في يومين
فلا اثم عليه فيوم النحر على هذه الرواية من المعلومات دون المعدودات واخر ايام التشريق من المعدودات
دون المعلومات واليوم الثاني والثالث من ايام النحر من المعلومات والمعدودات جميعا والجواب
عن استدلال ابي يوسف من الايتين ان لفظ المعلومات يقتضي الشهرة ولفظ المعدودات يقتضي تقليل
العدد كما في قوله تعالى دراهم معدودة فاقتضى الظاهر ان المعدودات اقل من المعلومات ويحتمل ان يكون
معنى على ما رزقهم من بهيمة الانعام لما رزقهم كما قال الله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لما هداكم
فكان الله تعالى اراد بالايام المعلومات ايام العشر والله تعالى اعلم لان فيها يوم النحر وفيه الذبح
ويكون ذلك اليوم بتكرار شيئين عليه ايام واما الذكر المذكور في هذه الاية فهو الذكر عند رمي الجمار في
ايام التشريق ايام منى وقال بعضهم هو التكبير في ادبار الصلوات في هذه الايام يكبر من صلوة
الغداة من يوم عرفة الى صلوة العصر من اخر ايام التشريق عند جماعة من الفقهاء رحمهم الله و
التاويل الاول اصح واقرب الى ظاهر القران لان الله تعالى عقب الذكر في هذه الاية بقوله تعالى فمن تعجل
في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر اي من تعجل الرجوع الى اهله فلا اثم عليه في تركه اليوم الثالث
ومن تاخر الى اخر النفر واقام هناك في اليوم الثالث فلا اثم عليه لمن اتقى الرفث والفسوق في
التفريط في حدود الحج كلها فاما من لم يتق فغير موعود له بالثواب واما قوله تعالى واتقوا
الله امر لهم بالتقوى في مستقبل اعمارهم الا تتكلوا على ما سلفتم من اعمال البر ولكن زيدوا في
الطاعة في باقي العمر واعلموا انكم اليه تحشرون في الاخرة اي يجازيكم الله باعمالكم اذ الحشر انما
يكون للمجازاة ومن تصور انه لا بد من حشره ومحاسبته ومسايلته ولا بد من احد امرين لا ثالث
لهما اما الجنة واما النار يدعوه ذلك الى التشديد في التقوى والحشر في اللغة هو جمع الناس في
المكان من كل ناحية والمحشر هو المجمع فان قيل كيف قال الله تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه
معلوم ان من تاخر فانما تاخر لاقامة فرض فلا يليق بحاله ان يقال فلا اثم عليه بل كان الاليق ان
يقال من تاخر كان اعظم لاجره قيل ليس المراد بهذه الاية التفضيل بين التعجيل والتاخير لكن الغرض
رفع الاثم في الحالين وهذا على مزاوجة الكلام كما يقول الانسان لغيره ان اعلنت الصدقة فحسن
وان اسررت فحسن ومعلوم ان اخفاء صدقة التطوع افضل من اعلانها واعلان صدقة
الفرض افضل من اخفائها وجواب اخر ان رمي الجمار لا يجوز ان يكون تطوعا اذ المتنفل يكون
عابثا فلما قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه اوهم ذلك كون الرمي في ذلك اليوم الثالث
تطوعا لانه جعله مخيرا بين فعله وتركه فقال تعالى ومن تاخر فلا اثم عليه ليبين ان هذا وجب
خير بين فعله وتركه وظاهر الاية يقتضي ان من لم ينفر في اليوم الثاني من ايام التشريق حتى غابت
الشمس لا ينبغي له ان ينفر حتى يرمي الجمار اليوم الثالث وهكذا قاله اصحابنا رحمهم الله
الا انه لا يلزمه ذلك الا ان يصبح بمنى يوم الثالث فاذا اصبح بها يومئذ لم يجز له النفر بالاجماع
حتى يرمي وهذا مما يستدل به على صحة قول ابي حنيفة في تجويزه رمي الجمار في اليوم الثالث

قبل الزوال والأيام المعدودات في الحج ستة أيام يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر و
ويوم القر ويوم النفر ويوم الصدر وسمي يوم التروية لما روي ان جبريل عليه السلام قال
لابرهيم عليه السلام فيه ان احمل ريك من الماء وكذا الحاج يحمل فيه من الماء ما يكفيه لريه فاما
عرفة فقد ذكرنا لم سمي عرفة ويوم النحر معلوم ويوم القر لاستقرار الناس بمنى ويوم النفر
لانهم ينفرون من منى الى مكة ويوم الصدر يصدرون الى اهاليهم ورمي الجمار مشروع في يوم القر
بمنى والنفر والصدر وهي ايام التشريق قوله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله في
الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام قال ابن عباس نزلت هذه
الاية في اخنس بن شريق كان حسن المنظر حلو الكلام فاجر السريرة كافر القلب حلافا شديد الخصومة
في الباطل وكان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر له الحسن ويحلف بالله تعالى انه يحبه
ويتبعه على دينه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه فيعجبه وكان يدنيه من مجلسه
فاظهر الله تعالى على نفاقه ومعنى الاية والله تعالى اعلم ومن الناس من يعجبك كلامه وحديثه
اي تفرح باظهاره الايمان وتسر بقوله ويشهد الله على ما في قلبه اي يقول والله شهيد على
ان ما في قلبي كما هو على لساني من الايمان وهو شديد الخصومة جدل بالباطل والالد ماخوذ
من لديدي العنق وهما صفحتا العنق وتاويله ان خصمه في اي وجه اخذ من ابواب الخصومة من
يمين او شمال غلبه في ذلك والخصام والخصومة مصدر من خاصم يخاصم وقد يكون الخصام جمع
خصم مثل صعب وصعاب وكلب وكلاب فيكون المعنى على هذا القول وهو اشد الخصماء خصومة
قوله عز وجل واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد يقول اذا اعرض الاخنس عنك فارتك اسرع مشيا في الارض ليعصي فيها ويضر المؤمنين مشى
وليهلك ما قدر عليه من زرع ونسل والله تعالى لا يرضى بالمعاصي وذلك في الخبر ان الاخنس
خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع فاحرقه ومر بحمار فعقره فانزل الله تعالى
هذه الاية بما فيها من الوعيد الى اخرها في جهنم وصارت عامة في جميع المفسدين وقيل معناه
ليفسد فيها بوقوع الفتنة بين الناس ليشتغلوا عن الزراعة وعن اعمالهم فيكون فيه هلاك الحرث
والنسل وقيل يخيف الناس حتى يبعدوا من شره فتخرب الضياع وينقطع نسل الناس والدواب
وفي هاتين الايتين تحذير من الاغترار بظاهر القول وما يبديه الرجل من حلاوة المنطق والامر بالاحتياط
فيما امرنا بايتمان الناس عليه من امر الدين والدنيا حتى لا يقتصر على ظاهر امر الانسان خصوصا
فيمن هو الد الخصام ومن ظهرت منه دلايل الريبة لابد من استبراء حاله والبحث عن حقيقة امره
ولهذا قالوا ان علينا استبراء حال من نراه في الظاهر اهلا للقضاء والشهادة والفتيا والامانة و
ما جرى مجرى ذلك وان لا يقبل منهم ظاهرهم حتى نبحث ونسال عنهم اذ قد حذرنا الله تعالى امثالهم
في توليتهم على امور المسلمين الا ترى انه عقبه بقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها و
يحتمل ان يكون المراد بالتولي ان يتولى امرا من امور المسلمين فاعلم الله تعالى بهذه الاية انه
لا يجوز الاقتصار على الظاهر دون الاحتياط والاستبراء قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد معناه اذا قيل لهذا المنافق احذر
عقوبة الله تعالى ولا تفسد اخذته الحمية والانفة بسبب الاثم الذي فيه والكفر
الذي في قلبه يعني تكبر وقال اهل اللغة يقال له اتق الله يقال معناه حملته العزة على فعل ما يوجب
الاثم وهذا كما يقال الانسان اخذت فلانا بان يفعل كذا اي دعوته الى ان يفعل كذا قوله تعالى

فحسبه

فحسبه جهنم اي كفاه النار في الآخرة عقوبة ونكالا وبئس القرار النار والمهاد الفرش الوطي للنوم
كما يمهد للصبي يقال مهدت الامر ووطاته بمعنى واحد فلما كان المعذب بالنار يلقى على نار جهنم
جعل ذلك مهادا له على معنى ان جهنم للكافر مكان المهاد للمؤمن في الجنة كما قال الله تعالى فبشرهم بعذاب قه اذا تصور ده
اليم وفي الاية تسلية للمظلوم بما يعلم من عاقبة ظالمه وزجر للظالم كي مستقره في النار لا يمكنه مفارقته
مكانه كان ذلك رادعا له عن المعاصي وحكي ان يهوديا كانت له حاجة الى هرون الرشيد فاختلف
الى بابه سنة فلم تقض حاجته فوقف يوما على الباب فلما خرج هرون سعى بين يديه فقال اتق الله يا امير
المؤمنين فنزل هرون عن دابته وخر ساجدا فلما رفع راسه امر بحاجته فقضيت له فلما رجع
قيل له يا امير المؤمنين نزلت عن دابتك لقول يهودي قال لا ولكن تذكرت قول الله عز وجل و
اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم قوله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله والله رءوف بالعباد قال عبد الله بن عباس نزلت الاية في صهيب بن سنان
وفي نفر من اصحابه منهم عمار بن ياسر وامه سمية وابوه ياسر وبلال وخباب بن الارت و
غيرهم رضي الله عنهم اجمعين اخذهم المشركون في طريق مكة فعذبوهم فاما صهيب فقال لهم انا
شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من عدوكم اعطيكم مالي ومتاعي وذروني وديني اشتريه منكم
بمالي ففعلوا ذلك فاعطاهم ماله وتوجه الى المدينة فلما دخل المدينة لقيه ابو بكر رضي الله عنه فقال
ربح البيع يا صهيب فقال وبيعك لا يخسر وما ذاك يا ابا بكر فاخبره بما نزل فيه وهو قوله تعالى
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله واما سمية وياسر فقتلا وكانا اول قتيلين
قتلا من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما بمكة اصبروا يا آل ياسر فان موعدكم
الجنة واما الاخرون فانهم اعطوا على العذاب بعض ما اراد المشركون من كلمة الكفر وسب الا سلام
وكانت قلوبهم مطمئنة بالايمان فتركوا وقدموا المدينة وفيهم نزل قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقيل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه على هذا التاويل الذي
ذكرناه ومن الناس من يشتري نفسه ودينه بماله وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قالا في هذه الاية يبيع نفسه
هو الرجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقتل عليه فعلى هذا معنى قوله يشري نفسه اي يبذلها في
الجهاد في سبيل الله وهذا من اسماء الاضداد قال الشاعر في شريت بمعنى بعت وشريت بردا ليفتني
من بعد برد كنت هامه وقوله تعالى ابتغاء مرضات الله نصب على انه مفعول له كما قال ابتغاء
مرضات الله تعالى ومعنى والله رءوف بالعباد رحيم بهم يخصهم الخير ويثيبهم عليه رافة بهم
ويقال انه لرافته ورحمته امرهم ببيع انفسهم لكي ينالوا من كريم ثوابه ما هو خير لهم من السلامة
وطول البقاء قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين قال الحسن رضي الله عنه خاطب الله تعالى بهذه الاية جميع
المؤمنين على الاسلام والطاعة كفعل من يشري نفسه الا تراه قال بعد ذلك ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اي لا تفعلوا فعل الالد الخصام ومعنى الاية على هذا القول يا ايها الذين آمنوا ادخلوا
بكلمة الايمان اثبتوا على الايمان ويجوز ان يكون امرا للمخلصين بالاقامة على الاسلام في مستقبل
امرهم وان لا يتخلف احد عن شيء مما يجب عليه من احكام الاسلام وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية فيمن اسلم من اهل الكتاب وكانوا يتقون السبت ويحرمون
لحم الجمل ويتقون اشياء كانوا يتقونها قبل ان يسلموا فامروا ان يدخلوا في جميع شرائع محمد صلى
الله عليه وسلم يعني ادخلوا في السلم كله ومعنى كافة في اشتقاق اللغة ما يكف الشيء عن جزء

شبكة الألوكة

اي الحقوا الى حيث تنتهوا الشر بعد فتكفوا ان تعدوا وادخلوا كلكم حتى يكف عن عدو واحد لم يدخل فيه واصل كافة من الكف وهو المنع وسمي الراحة كفا لانه يكف بها عن البدن ويقال استكف القوم في هذا الامر فلان اذا مالوا اليه باجمعهم وامتنعوا عن غيره ومعنى ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقفوا اثاره لان وكلكم شاهد شرايع الاسلام اتباع الشيطان انه لكم عدو ظاهر العداوة فان قيل كيف قال الله تعالى انه لكم عدو مبين وهو لم يبد لنا شخصه ولا يبين نفسه شيا قيل قد كان ابدا العداوة لابينا ادم عليه السلام حين امتنع من السجود له وقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فكان ابداوه واظهاره العداوة لابينا ادم عليه السلام ابداه واظهاره لنا وقيل لما صحت الدلالة على عداوة الشيطان ايانا وارادته اهلاكنا جاز ان يقول الله تعالى انه لكم عدو مبين فان قيل اذا كان في المومنين من لا يقبل منه البتة ومن يقبل ايضا انما يوتى من قبل نفسه كما قال الله تعالى حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم فكيف يكون عدوا بين العداوة قيل عداوة العدو لا تقوى بمقدار كيده وانما تقوى وتظهر بما هو عليه من ارادته الاضرار والفساد قوله عز وجل فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم يقول ان عدلتم عن طريق الاستقامة بالخروج من طاعة الله الى المعصية وعلى قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فان ملتم الى اول شريعتكم في تحريم السبت ولحوم الابل من بعد ما جاءتكم الدلالات في الحجج محمد صلى الله عليه وسلم وشرايعه فاعلموا ان الله عزيز حكيم غالب لنقمة لا يعجزه شيء من ذلك حكيم اي محكم متقن في الفعل يعني عالم ذو حكمة فيما شرع لكم من دينه وفي هذه الاية تشديد العصيان بزلة القدم والغرض منها الزجر عن المعصية فان الانسان اذا علم ان الذي كان منه العقوبة على المعصية قادر لا يجوز عليه العجز ولا المنع عما يريد وعالم بمقدار ما يستحق من العقاب لا يجازي المسيء جزاء المحسن ولا المحسن جزاء المسيء كان ابعد له من فعل المعصية والعزة في اللغة الامتناع يقال ارض عزازة اذا كانت منيعة بالشدة و الصعوبة قوله عز وجل هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور افترق الناس في تاويل هذه الاية على اربعة اقوال فرقة منهم يتاولونها على ظاهرها ويصفون الله جل وعز بالاتيان الذي هو زوال من مكان الى مكان ويتبعون ما ورد في هذا الباب من الاخبار المتشابهة وفرقة يعرفون الاتيان تفسيرا ولا يعتقدون ظاهر اللفظ يقولون ياتي بلا تشبيه بلا كيف واما الفرقتان الاخريان من اهل السنة والجماعة فاحداهما لا يفسرون هذه الاية ويقولون نؤمن بظاهرها ونسكت عن الخوض في معناها لما فيه من الاشتباه والتشبيه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الاية من المكتوم نؤمن بها ولا نفسرها كما قال الله تعالى في الايات المتشابهات وما يعلم تاويله الا الله وروى هشام عن ابن عباس ان القران نزل على اربعة اوجه وجه لا يعذر احد بجهالته ووجه يعرفه العلماء بفرونه ووجه يعرف من قبل العربية ووجه لا يعلمه الا الله تعالى فاما الفرقة الرابعة فيردون مثل هذه الايات المتشابهات الى الايات المحكمات ومعنى هذه الاية على هذا القول والله تعالى اعلم ما ينظر الكفار بعد قيام الحجة عليهم الا ان ياتيهم امر الله تعالى او ياتيهم عذاب الله لان الاتيان لفظ مشتبه يحتمل حقيقة اللفظ في الاتيان ويحتمل اتيان الامر وقد قامت الدلالة على ان الله تعالى لا يجوز عليه الاتيان والمجيء والانتقال والزوال لان ذلك من صفات الاجسام والمحدثين قال الله تعالى في اية محكمة ليس كمثله شيء وجعل ابرهيم صلوات الله عليه ما شاهد من حركات النجوم وانتقالها وزوالها دليلا على حدثها حين قال لا احب الافلين فاحتج به على قومه كما قال الله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه يعني في حدث الاجسام والكواكب تعالى الله عما يقول المشبهة علوا كبيرا فلما كان لفظ

الاتيان

الاتيان مشتبها في نفسه وجب رده الى المحكم نحو ما فسره الله تعالى في سورة النحل يقول الله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك ولما قال جل ذكره فاتى الله بنيانهم من القواعد وقال عز وجل من قايل فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم عذابه لانه اتاهم ويقال جاء الامير اذا قدم معظم جنده وبقي هو مع قوم قليل وربما يقال جاء الامير وحده وانما ذكر الظلة في الاية فلان الهول اذا بدا من الظلة كان من السحاب في السماء كانت اعظم واشد الا ترى ان الرعد والبرق اذا كان بعد ما غشي القوم ظلل الغمام كان اهول منهما اذا كانا في يوم لم يغشهم ظلل الغمام فيه يؤيد هذا التاويل قول الله عز وجل في حكاية قصة شعيب عليه السلام فاخذهم عذاب يوم الظلة واما قوله تعالى والملائكة قرئ بالرفع على تقدير وتاتيهم الملائكة ومن قرا بالكسر فعلى تقدير وظلل من الملائكة اي جماعة من الملائكة وسماهم الله تعالى ظللا لان الملائكة لا تسير بالاقدام ولكنها تطير بالاجنحة كما تطير الطير ومعنى وقضي الامر امضي الحكم بانزال الفريقين منازلهم من الجنة والنار وقوله تعالى والى الله ترجع الامور على من قرا برفع التاء فعلى تحويل ما لم يسم فاعله اي عواقب الامور ومصير الخلايق الى الله تعالى ومن قرا التاء بالنصب فعلى والى الله تصير الامور ومن قرا بالياء فلان تانيث الامور غير حقيقي والامور في الحال وفي الاوقات كلها راجعة الى الله تعالى لكن معنى يرجع على وجهين احدهما ان الله لما كانت الامور كلها قبل ان يملك العباد منها شيا لخالقه ثم ملكهم كثيرا من الامور ثم تكون الامور كلها اليه في الاخرة ترجع اليه الامور وهو خالقه جاز ان يقال ترجع الامور اليه والمعنى الاخر ان لا يملك احد يوميذ شيا غيره وهذا كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع وانما عنى بهذا البيت انه يصير رمادا الا انه كان مرة رمادا فيرجع الى ما كان عليه قوله عز وجل سل بني اسرايل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر الايات البينات وامتناعهم عن قبولها وعلم اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه فقال عز من قايل سل بني اسرايل وهذا سوال تقريع وانكار لتكذيبهم وتقرير لقلب النبي صلى الله عليه وسلم لا سوال استفهام لان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يحتاج الى السوال والمعنى والله تعالى اعلم كما ان هولاء لم يومنوا بالايات البينات التي اعطيتها فلا تعجب وسل بني اسرايل انا نعرف ايات بني اسرايل كم اعطيناهم من علامة واضحة وثبت موسى عليه السلام من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من المعجزات كما اتيتك من المعجزات لانك فلم يومن اوليك كما لم يومن هولاء الكفار ومن يبدل نعمة الله اي يغير حجة الله الدالة على امر النبي صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءتهم بان يجحدوها او يعرفوها عن وجهها فان الله تعالى شديد العقاب اي التعذيب لمن استحقه وسمى الله تعالى الحجج نعمة لانها من اعظم النعم على الناس في امر الدين قوله عز وجل زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب ذكر الله تعالى في هذه الاية السبب المانع للكفار من الايمان روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية زين للكفار الحيوة الدنيا لما بسط الله تعالى فيها لهم من الخير ويسخرون من فقرا المومنين في امر المعيشة وذلك ان ابا جهل ورؤسا قريش كانوا يضحكون من فقرا المومنين وهم عبد الله بن مسعود وعمار وخباب وسالم مولى ابي حذيفة وعامر بن فهيرة وابو عبيدة الجراح وغيرهم كان الكفار يقولون ان هولاء قد تركوا الدنيا فلا يكون لهم شيء لاخرة اذ كانوا لا يقرون ببعث ولا نشور وكانوا يعيرونهم بقلة ذات ايديهم وكان اهل الكتاب يساعدون المشركين في الاستهزاء بالمومنين يقول الله عز وجل والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اي اتقوا الشرك والفواحش والكبائر فوق الكفار يوم القيمة في الجنة يكون المومنون في عليين والكفار في الجحيم والله يرزق من يشاء بغير حساب من الكفار وغيرهم بغير مقدار ولا هنداز

الذين د

شبكة الألوكة www.alukah.net

اي يرزق رزقا كثيرا لا يعرف حسابه وهذا كما يقال لفلان مال لا يحصى يراد بذلك كثرته لان الشي يحصى
وان كثر عدده وقيل ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز
وجل لولا ان يجزع عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت عليه الدنيا صبا و
مصداق ذلك قول الله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة الى آخر الاية وقال صلى الله عليه و
سلم ان الدنيا لو تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وقيل قطرب رحمه الله انه قال
في قوله تعالى والله يرزق من يشا بغير حساب ان الله تعالى يعطي العدد المتناهي لا من عدد اكثر منه كما
يفعله العباد لكن يعطي المتناهي من غير المتناهي ويقال معناه ان الله تعالى لا يحاسب على ما يرزق لانه
لا شريك له فيما يفعله ويقال يرزق الكافر في الدنيا لا بحساب ربما يؤكد ذلك يرزق المؤمن تفضلا
لان ثواب عمل المؤمنين مدخر في الاخرة كما قال الله تعالى لهم اجرهم عند ربهم وقيل معناه يرزق
الله تعالى الثواب المذكور في هذه الاية من يشا من عباده المؤمنين بغير حساب لهم ولا تبعة عليهم
فان قيل اليس قال الله تعالى في اية اخرى جزاء من ربك عطاء حسابا فكيف قال في هذا الموضع بغير حساب
قيل العطاء من جهة الله تعالى على ضربين احدهما يكون ثوابا والاخر تفضلا فما يكون ثوابا يكون له حساب
لانه يكون على مقدار الاستحقاق بالعمل واما التفضل فلا يكون له حساب كما قال الله تعالى ليوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله فالمراد بقوله تعالى عطاء حسابا الثواب دون التفضل والمراد بقوله تعالى والله يرزق
من يشا بغير حساب التفضل فان قيل كيف قال بغير حساب وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال حلالها حساب وحرامها عذاب قيل روي عن عائشة رضي الله عنها ان معنى
الحساب في المؤمنين العرض ومن نوقش الحساب عذب فان قيل من الذي زين للكفار الحيوة الدنيا
قيل ذهب بعض المفسرين الى ان ابليس هو الذي زينها لهم كما قال الله تعالى في اية اخرى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم وعن الحسن انه قال زينها والله لهم الشيطان فلا احد اذم للدنيا ممن خلقها قال
الله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وذهب بعضهم
الى ان الله تعالى هو الذي زين لهم الحيوة الدنيا اذ خلق فيها الاشيا المعجبة المحبوبة وركب الشهوات
في قلوب العباد فنظر الذين كفروا الى الدنيا باكثر من مقدارها فاغتروا بها كما قال تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قال وانما فعل الله تعالى ذلك لان التكليف لا يتم الا مع
الشهوة فان الانسان لا يجوز ان يكلف الاتيان بما يدعوه الى ما تنفر عنه نفسه او بان يزجر عما تتوق
نفسه اليه وهو معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات قوله عز وجل كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا
الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم قال ابن عباس في
تفسير هذه الاية كان الناس اهل ملة واحدة كفارا كلهم في ابتدا عهد نوح عليه السلام وكذلك
في عهد ابرهيم عليه السلام يعني ان امم الانبياء صلوات الله عليهم الذين بعثت اليهم الانبيا
صلوات عليهم كانوا كفارا كما كانت هذه الامة وجائز ان يقال كانوا امة واحدة على الكفر وان
كان فيهم مسلمون اذ كان المسلمون قليلين مقهورين في تقية لانصراف اسم الامة الى الاعم الاكثر
وقال قتادة والضحاك كان الناس امة واحدة على الحق فاختلفوا اي كانوا مومنين في زمن آدم
عليه السلام الى مدة طويلة وكان جميع من في السفينة مع نوح عليه السلام مومنين ثم تفرقوا فبعث

الله النبيين مبشرين ومنذرين وقيل كانوا امة واحدة في الجاهلية لا امر عليهم ولا نهي فبعث الله تعالى
النبيين مبشرين بالجنة لمن اطاع الله تعالى ومنذرين بالنار والسخط لمن عصاه ومعنى وانزل معهم
الكتاب اي انزل عليهم الكتاب لان الانبيا صلوات الله عليهم لم يكونوا منزلين حتى ينزل الكتاب معهم وقوله
تعالى بالحق اي بالعدل ومعنى ليحكم بين الناس ليقضي الكتاب بينهم بالحكمة واضاف الحكم الى الكتاب وان كان
الله تعالى هو الذي يحكم على جهة التفخيم لامر الكتاب وقال معناه ليحكم الله تعالى بين الناس اذ سبق على هذا
ذكر الله تعالى ثم نسق ذكر الكتاب واما قوله تعالى فيما اختلفوا فيه فيجوز ان يكون معناه فيما اختلفوا فيه من الحق
ويجوز ان يكون فيما اختلفوا فيه من امر الدين ويكون الها في فيه راجعة الى ما وقال بعضهم فيما اختلفوا فيه
من الكتاب وقيل ان هذا لا يصح لانه انما انزل الكتاب بعد الاختلاف والاختلاف في الكتاب لم يقع قبل انزال
الكتاب واما قوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه اي لم يختلف في امر الدين وبعث النبيين صلوات
الله عليهم الا الذين اعطوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات من الله تعالى وقوله تعالى
بغيا نصب على معنى مفعول له اي لم يختلفوا الا للبغي والحسد والتفرق وذلك ان اهل الكتاب كانوا على حقيقة
امر النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم قبل بعثته فلما بعثه الله تعالى كفروا به الا قليلا منهم فهدى الله الذين
امنوا اي ارشد الله تعالى المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق الذي اختلف فيه اهل الزيغ باذنه اي بتوفيقه
فضله وعلمه والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم يوفق لمعرفته من يشا ممن كان اهلا لذلك الطريق
واضح يرضاه الله تعالى والامة في اللغة على وجوه منها الجماعة كما في قوله تعالى وجد عليه امة من الناس
يسقون وقوله تعالى قد خلت من قبلكم امم اي جماعات وقرون ومنها اتباع الانبيا صلوات الله عليهم
كما تقول نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومنها الامام كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة ومنها الدين
والملة كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله تعالى وادكر بعد امة ومنها
القامة يقال فلان حسن الامة اي القامة ومنها الرجل المنفرد بدين على حدة قال صلى الله عليه وسلم
يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحدة ومنها الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد والامة بكسر الهمزة
النعمة يقال فلان ذو امة اي ذو نعمة واصل هذا الباب من القصد يقال اممت الشي اذا قصدته وفي
ذكر الكتب المنزلة قبل القران فقد روي ان الله تعالى انزل على شيث عليه السلام خمسين صحيفة كانت
يعمل بها هو ومن معه ومن بعده الى زمن ادريس عليه السلام ثم انزل الله تعالى على ادريس عليه السلام
ثلثين صحيفة فكان يعمل بها الى زمن ابرهيم عليه السلام ثم انزل الله تعالى على ابرهيم عليه السلام عشر
صحايف فكان يعمل بها الى زمن موسى عليه السلام ثم انزل على موسى عليه السلام عشر صحايف قبل التورية
فكان يعمل بها موسى عليه السلام ومن معه الى غرق فرعون ثم انزل الله تعالى التورية فكان يعمل بها الى زمان
داود عليه السلام ثم انزل الزبور فكان يعمل بها الى زمن عيسى عليه السلام ثم انزل الانجيل فكانت
يعمل بها الى بعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم انزل الفرقان ناسخا لما قبله من الكتب وذهب
بعض المفسرين الى ان معنى لما اختلفوا فيه يوم الجمعة فان اول يوم شرعه الله تعالى للعبادة خاصة يوم
الجمعة فقالت اليهود نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو يوم السبت فجعل
عليهم ذلك اليوم وقالت النصارى نريد اليوم الذي بدئ فيه الخلق وهو يوم الاحد فجعل ذلك عليهم كما
قال تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ثم هدانا الله عز وجل ليوم الجمعة واليهود غدا وللنصارى
بعد غد كما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون
السابقون يوم القيمة بيد ان كل امة اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم ونحوه فعموم اللفظة قوله
تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه يقتضي جميع الحق الذي هدى الله تعالى

المؤمنين من الجمعة وغير ذلك فان قيل كيف قال الله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق وهذا يوجب ان يكون كلهم قد ذهبوا عن الحق فكيف يجوز ان يختلفوا في الحق وكلهم ذاهبون عنه قيل لا يمتنع ان يكونوا مختلفين وهم كلهم ذاهبون عن الحق كما قلنا في غلو كل واحد من فريقي اليهود والنصارى في امر المسيح عليه السلام وهذا كما يقال ضلوا عن الطريق واختلفوا في طلب الطريق فسلك كل فريق منهم طريقا على حدة وعدلوا عن الطريق المستقيم فان قيل كيف قال الله تعالى فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه ولم يقل فهدى الله الذين امنوا للحق قيل ذكر الفراء هذا من الكلام المقلوب ومعناه هدى الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا فيه وقد يرد في كلام العرب مثل ذلك كما قال الشاعر كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم ومعناه كما كان الرجم فريضة الزنا وقال اخر ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره والعين لا تحلى وانما السراج يحلى عن العين وقيل لما كانت الهداية بذكر الاختلاف قدم الاختلاف ثم عقبه بتفسير ما هداهم اليه قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب معناه اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولم يصبكم صفة الذين مضوا من قبلكم اي لم تبتلوا كما ابتلي الذين من قبلكم مستهم البأساء اي الشدة وهو الفقر والضراء البلاء والفقر والمرض وقيل البأساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء ومعنى وزلزلوا حركوا وخوفوا حتى يقول الرسول والذين امنوا اي اجهدوا حتى قال كل رسول بعث الى امة متى نصر الله اي متى يأتي الله بنصره فيقول الله عز وجل الا ان نصر الله قريب يعني الا ان نصر الله لكم ولامتك يا محمد صلى الله عليه وسلم قريب عاجل كما نصرت الرسل قبلك والمثل قد يذكر بمعنى الصفة كما قال الله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفة الجنة التي وعد المتقون واصل الزلزلة من زلة القدم عن المكان يقال زلزلته اذا كررت الزلزلة على مكانه وذلك انه لما تضاعف المعنى في زلزلة الارض ضوعف اللفظ كما يقال صر اذا صوت وصرصر اذا اتى بصوت فيه ترجيع واقل اذا رفع وقلقل اذا كرر الرفع وذهب السدي وقتادة الى ان هذه الاية نزلت بالمدينة يوم الخندق حين اشتدت مخافة المؤمنين من العدو ويقال وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى قال فيما تقدم يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ثم قال فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه وكان المسلمون اتكلوا على مجرد اهتدائهم فبين الله تعالى في هذه الاية انه لا يجوز الاتكال على مجرد الايمان من غير مكابدة ما قاساه السلف من المؤمنين كما قال جل ذكره في اية اخرى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية الى قوله من قبلهم واما القراءة في قوله تعالى حتى يقول الرسول من قرا يقول بالنصب فعلى الاصل لان حتى تنصب ما بعدها من الفعل ومن قرا بالرفع ادخل حتى على جملة ما بعده لا على الفعل خاصة كانه قال حتى الرسول يقول فلا يظهر عمل حتى قال الشاعر فواعجبا حتى كليب تسبني كان اباها نهشل او مجاشع فان قيل كيف يجوز ان يستبطى بعض الانبياء صلوات الله عليهم نصر الله تعالى عن الوقت الذي توجب الحكمة النصر فيه فيقول متى نصر الله قيل هذا على معنى التمني ودعا النصر لا على اعتقاد تاخير النصر وهذا كما يقول الانسان متى الضيف وان علم ان الضيف كائن لا محالة قوله عز وجل يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية جوابا عن سؤال عمرو بن الجموح الانصاري لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم

على

على الصدقة ورغب فيها الناس وذلك قبل نزول الفرائض قال عمرو يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا نتصدق وعلى من نتصدق فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها والله اعلم يسألونك يا محمد بماذا يتصدقون به قل لهم ما تصدقتم من مال فعلى الوالدين والاقربين بالرحم ويتامى المسلمين عامة ومساكين المسلمين عامة والضيف النازل بكم وما تفعلوا من خير من وجوه البر فان الله به عليم يحصيه ويجازيكم عليه لا يضيع عنده عمل عامل فان قال قائل كيف يطابق في هذه الاية الجواب هذا السؤال لان السؤال انما وقع عن المنفق والجواب انما وقع في المنفق عليه قيل ان الجواب مطابق لهذا السؤال لان قوله تعالى قل ما انفقتم من خير يتناول القليل والكثير لشمول اسم الخير فكان الجواب صدر عن القليل والكثير ببيان من تصرف اليه النفقة لان السؤال اذا كان حكيما يعلم ما يحتاج اليه السائل اجاب عن كل ما يحتاج اليه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وانما قال ذلك عليه السلام لانه علم انهم لما جهلوا حكم ماء البحر فانهم اشد جهلا بحكم ما فيه من الماكول كذلك هؤلاء لما جهلوا المنفق كان جهلهم بالمنفق عليهم اكثر فلهذا ذكر الله تعالى المنفق عليهم مع ذكر المنفق في هذه الاية دلالة على ان الصدقة على الاقربين افضل من الصدقة على غيرهم وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وفي بعض الروايات خير الصدقة ما ابقت غنى وابدا بمن تعول فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة انما تجب على الابعدين اذا فضل عن الاقربين كما قال الله تعالى في اية اخرى بعد هذه الاية وهو قوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل العفو واختلف اهل العلم رحمهم الله في النفقة المذكورة في هذه الاية هل هي واجبة ام لا فقال الحسن رحمه الله المراد بها التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة فيه كالوالدين والمولودين ووضع الزكوة فيمن يجوز وضع الزكوة فيه وقال السدي هذه الاية منسوخة باية الزكوة والصحيح ان الاية ثابتة الحكم عامة في الفرض والتطوع لان الاية متى امكن استعمالها لم يحكم بنسخها ويحتمل ان يكون المراد بهذه الاية النفقة على الوالدين والاقربين اذا كانوا محتاجين ويحتمل ان تكون في نفقة الجهاد وقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه موقوفا عليه ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال دينار اعطيته في سبيل الله ودينار اعطيته مسكينا ودينار اعطيته في رقبة ودينار انفقته على اهلك فان الدينار الذي انفقته على اهلك اعظمها اجرا قوله عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال لما كتب الله تعالى الجهاد على المسلمين شق ذلك عليهم وكرهته نفوسهم وثقلته قلوبهم احب الله تعالى ان يطيب نفوسهم بهذه الاية وقيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان فيما قبلها ذكر التعبد بالنفقة التي تشق على البدن وفي هذه الاية ذكر ما هو اشق في التعبد منه وهو القتال ومعنى الاية فرض عليكم القتال وهو شاق عليكم واراد بالكراهة والله تعالى اعلم كراهية الطبع لا عدم الرضى بالامر وهذا كما يلحق الانسان الصوم في الصيف من جهة الطبع وهو مع ذلك يحبه ويرضاه من حيث ان الله تعالى امر به واما قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم اي لعلكم تكرهون الجهاد وهو خير لكم لما فيه من نصر دين الله تعالى وقمع اعداء الله تعالى والفوز بالغنيمة مع عظم المثوبة وادراك محل الشهداء وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اي لعلكم تحبون القعود عن الجهاد وهو شر لكم تحرمون الفتح والغنيمة والشهادة ويتسلط عليكم العدو والله يعلم ما فيه مصلحتكم وما هو خير لكم في عاقبة اموركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما امرتم به اذ ليس كل ما تشتهون خيرا ولا

الألوكة alukah.net

يعني ما تحذرون وهو شر لكم في هذه الآية دليل على فرض القتال كما قال تعالى كتب عليكم الصيام واراد به فرض الصيام ثم لا يخلو القتال المذكور في هذه الآية من ان يرجع الى معهود قد عرف قبل نزول هذه الآية وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ويكون هذه الآية تأكيدا لذلك القتال المعهود الذي علم حكمه او يكون القتال في هذه الآية راجعا الى جنس القتال فتكون هذه الآية مجملة مفتقرة الى البيان لان من المعلوم ان الله تعالى لم يأمرنا بقتال الناس كلهم ولا يصح اعتقاد العموم فيه فكان بيان هذا المجمل بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وسنبين في تلك الآيات اختلاف اهل العلم في فرض الجهاد وكيفيته ان شاء الله تعالى واما الكَره والكُره فهو بالنصب القهر وبالضم الشيء المكروه وقيل هما لغتان بمعنى واحد كالضَعف والضُعف وهما مصدران اقيما مقام المفعول كانه قيل وهو مكروه لكم كما يقال فلان رضى اي مرضي وحكى ابو عبيدة رحمه الله قال جميع ما ورد في القرآن من كره يجوز ان يقرأ بالضم والفتح الا في هذا الموضع فانه لا يجوز الا بالفتح لاجماع القراء على ذلك قوله عز وجل **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** روي عن عبد الله بن عباس في سبب نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه بعث ابن عمته عبد الله بن جحش الاسدي قبل بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين وهو اميرهم كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا وقال له اذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك به ولا تستكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله حتى بلغ حيث ثم نزل ففتح الكتاب فاذا بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن اتبعك من اصحابك حتى تنزل ببطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك تأتينا منهم بخير والسلام فقال عبد الله سمعا وطاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خير اصحابه فانطلق القوم معه حتى اذا كانوا بنجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما وكانا رفيقين فاستأذنا في طلبه فاذن لهما ومضى معه بقية اصحابه حتى وصل بطن نخلة بين مكة والطائف فنزل فبيناهم كذلك اذ مر بهم عمرو بن الحضرمي في عير لقريش في اول يوم من رجب والمؤمنون يظنون انه آخر يوم من جمادى الآخرة فامر عبد الله ان يحلقوا راس عكاشة ليشرف على المشركين فيظنوا انا قوم امنوا فيفعل ذلك فلما راه المشركون قالوا قوم عمار لا بأس عليكم منهم ورمى واقد بن عبد الله عمرو بن الحضرمي فقتله واستأسروا بعض المشركين وهرب بعضهم الى مكة واستاق المسلمون العير فعيرهم المشركون بذلك وقالوا استحل محمد صلى الله عليه وسلم الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويتفرق فيه الاسلة ووقف النبي صلى الله عليه وسلم في امر الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما امر الله المسلمين بالقتال ظنوا عموم الامر في جميع شهور السنة مع الشهر الحرام وغيرها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية والقول الاول اقرب الى ظاهر القرآن ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم يسألونك عن قتال في الشهر الحرام لان قوله تعالى قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر الحرام كما في قوله تعالى اصحاب الاخدود النار ذات الوقود واما قوله تعالى قل قتال فيه كبير اي القتال في الشهر الحرام عظيم الذنب عند الله تعالى ثم استأنف الكلام فقال وصد عن سبيل الله اي منع الناس عن الكعبة ان يأتوها ويطوفوا

بها

بها وكفر به اي بالله تعالى ويقال بالحج واما قوله تعالى والمسجد الحرام قال بعضهم معناه وكفر بالمسجد الحرام ان الله تعالى جعل المسجد للمؤمنين ولعبادتهم اياه فيه فلما جعله الكفار للاوثان وصدوا المسلمين عنه كان ذلك كفرا منهم بالمسجد الحرام وقال بعضهم هذا على التقديم والتاخير كانه قال جل ذكره يسألونك عن الشهر الحرام والمسجد الحرام قتال فيه وقال تقدير الآية وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفر به واخراج اهل المسجد الحرام منه اعظم عقوبة عند الله تعالى من القتال في الشهر الحرام اي الكفار مع هذه الاجرام اولى بالعيب ممن قتل رجلا من المشركين في الشهر الحرام ثم قال جل ذكره والفتنة اكبر من القتل اي الشرك بالله اعظم عقوبة واثما من القتال وذهب الفراء رحمه الله الى ان قوله تعالى وصد عن سبيل الله مردود الى قوله تعالى وكبير اي القتال في الشهر الحرام كبير والصد عن سبيل الله تعالى كبير واما قوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم اي لا يزال اهل مكة يقاتلونكم ايها المسلمون حتى يصرفوكم عن دينكم الاسلام الى دينهم الكفر ان قدروا على ذلك ثم حذر المسلمين ليثبتوا على الاسلام بقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه اي يرجع عن دين الاسلام فيمت على كفره فاولئك بطلت اعمالهم التي عملوها في الدنيا والتي عملوها للآخرة اي لا يبقى لهم من اعمالهم ثواب يجازون به في الدارين واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مقيمون دائمون والصد والصرف والمنع نظائر يقال صده يصده صدا اذا صرفه غيره عن الشيء وصد بنفسه صدودا اذا اعرض بنفسه والحبوط ماخوذ من انتفاخ بطن الدابة باكل الكلأ يقال حبطت الدابة بكسر الباء تحبط حبطا وحبوطا واسم الداء منه حباط وحبط العمل يحبط حبطا وحبوطا اذا بطل ثوابه وحكي الحسن حبطت بفتح الباء فيكون مضارعه يحبط مثل هبط يهبط والاول اجود واعرف لانه بالعلل اشبه واما من قرأ يرتدد بدالين فهو لغة الحجاز واظهار التضعيف حذرا من التقاء الساكنين واما من قرأ يرتد منكم عن دينه كما قال الله تعالى في آية اخرى فهو لغة بني تميم ادغموا الحرفين من جنس واحد وحركوا الى الفتحة وقوله تعالى فيمت جزم بالنسق ولو كان جوابا لكان رفعا واكثر الامة على ان النهي عن القتال في الشهر الحرام منسوخ نسخته سورة التوبة قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية لانها نزلت بعد حظر القتال بالشهر فان قيل الا كان نفس الارتداد يحبط العمل حتى يبطل الجهد الذي اداه من جهة الاسلام فاي فائدة في قوله تعالى فيمت وهو كافر قيل انما ذكره تعالى ما وصف في هذه الآية من امر الآخرة لا امر يرجع الى احباط عمله في الماضي اذ المعلوم من حال المرتد انه اذا عاد الى الاسلام والتوبة والعمل الصالح ومات على ذلك انه لا يعاقب في الآخرة فلما جمع الله تعالى في هذه الآية بين احباط عمله فيما يتصل بالدنيا والآخرة حتى يزول ثوابه الى العقاب الدائم كان شرط موته على الكفر وذكر في التفسير انه لما نزلت هذه الآية قام عبد الله بن جحش واصحابه فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انطمع من ربنا ان تكون لنا هذه غزوة في الجهاد فنزل قوله عز وجل **ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** المعنى والله تعالى اعلم ان الذين صدقوا وهاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا في محاربة المشركين في طاعة الله تعالى اهل هذه الصفة يطمعون في مغفرة الله تعالى وجنته والله غفور لما كان منهم من القتال والاسر واخذ الغنيمة في الشهر الحرام رحيم بهم حين رفع اثم ذلك عنهم والمهاجرة مفاعلة من الهجرة وهي في هذا الموضع هجران الوطن والعشيرة في رضى الله والهجر نقيض الوصل واطلق اللفظ في الآية على المفاعلة ويراد ما ذكرناه ونظيره المساعدة لانها ضم الرجل ساعده الى ساعد اخيه للتقوية والمعونة واما المجاهدة فهي بذل الرجل الجهد من نفسه مع اخوانه ويجوز ان يراد بذلك ان يبذل الجهد في قتال عدوه وقد فعل العدو مثل فعله فيصير مفاعلة وانما جمع الله تعالى في اول هذه الآية بين الخصال الثلاثة لا لانه لا يستحق الثواب على كل واحد منها على الانفراد ولكن للترغيب في جملتها

الألوكة

وانما قال جل ذكره والله تعالى اعلم يرجون رحمة الله لان احدا لا يعلم انه صاير الى ان يبلغ في الطاعة كل مبلغ الا بخبر الله تعالى او بخبر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يدري لعله قصر في شيء من الواجبات ولا يدري ما الذي يكون منه وبما يختم له من بين موته ولا يعلم احد من المسلمين ما يختم له به ختم الله امورنا بالسعادة و الشهادة قوله عز وجل يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس و اثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال لكراهتهم اياه فبين حكمه ثم سألوه عن الخمر والميسر لحبهم اياهما وكراهتهم مفارقتهما رجاء انه ربما يرخص لهم فيهما فقال جل ذكره قل فيهما اثم كبير وعن عبد الله بن عباس انه قال كان المسلمون يشربون الخمر في بدو الاسلام وهو لهم حلال وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي في اليوم والليلة وقت الصلوة الا من كان سكران فلا يحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجماعة تعظيما للجماعة وتوقيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان عمر رضي الله عنه يجي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول بين لنا امر الخمر فانها مهلكة للمال مذهبة للعقل فانزلت هذه الاية يسألونك عن الخمر والميسر الاية واما الميسر فقد كان جماعة من العرب يجتمعون فيشترون جزورا ثم يجعلون لكل رجل منهم سهما ثم يقترعون عليها فمن خرج سهمه برئ من ثمنها واخذ نصيبه من الجزور ويبقى اخرهم عليه ثمن الجزور كله ولا ياكلون من لحمها شيئا فيقسم اصحابه نصيبه وربما كانوا يتصدقون بذلك على الفقراء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك ايضا قال ابن عباس رضي الله عنهما فلما نزلت هذه الاية تركها بعض الناس وقالوا لا حاجة لنا فيما فيه اثم كبير ولم يتركها بعضهم قالوا ناخذ منفعتها ونترك اثمها وكانوا على ذلك حتى اصاب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خمرا فانتشى منها وحضرت الصلوة فقام يصلي المغرب بالصحابة فقرا قل يا ايها الكفرون على غير الوجه الذي انزل قال اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فكانوا يشربونها قبل وقت الصلوة ويجتنبونها وقت الصلوة وكانوا ينشدون الاشعار في شربها ويفخرون فقال عمر والله ان الله تعالى ليقربنا الى تحريمها لم يبين لنا ثم دعا فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الى قوله فهل انتم منتهون قال عمر انتهينا يا رب فامر النبي صلى الله عليه وسلم باراقة الخمور حتى امر بكسر الدنان تغليظا وتشديدا ومعنى الاية والله اعلم يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الخمر والميسر قل فيهما اثم عظيم لان الخمر توقع العداوة والبغضاء وتحول بين الانسان وبين عقله الذي يعرف به ما يجب عليه لخالقه والقمار يورث العداوة فان المقمور اذا راى غيره قد فاز بماله من دون منفعة رجعت اليه ابغضه وعاداه واما قوله تعالى ومنافع للناس فالمنفعة في الخمر اللذة في شربها و التجارة فيها قبل التحريم والمنفعة في الميسر مصير الشيء الى الانسان من غير كد ولا تعب واما قوله واثمهما اكبر من نفعهما لان الاثم الذي فيهما اعظم في المضرة من نفعهما وقوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون اي اي شيء يتصدقون قل العفو اي الفضل وما يسهل عليكم انفاقه وهذا نزل جوابا عن قول عمرو بن الجموح بما ذا نتصدق وفي الاية المتقدمة جواب عن قوله على من نتصدق وكان الرجل بعد نزول هذه الاية ان كان من اهل الزرع والنخل نظر الى ما يكفيه وعياله سنة ثم تصدق بسائره وان كان من اهل التجارة امسك راس ماله ومن الربح ما يقوت به ويحتاج اليه وتصدق بالفضل وان كان ممن يعمل بيده امسك ما يكفيه وعياله يومه ذلك وتصدق بسائره وكانوا على ذلك الى ان فرضت الزكوة مقدرة معلومة وقال بعضهم اراد بالفضل مال الزكوة كما قال صلى الله عليه وسلم لا صدقة الا عن ظهر غنى وقوله

هذه الاية

هذه الاية مجملة ثم بيانها بسائر الاخبار الواردة في نصب الزكوة ومن قرا بالنصب فعلى تقدير انفقوا العفو و قراة الرفع على معنى قل هو العفو واما قوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل هذا البيان يبين الله لكم اوامره ونواهيه ودلائله في الدين لعلكم تتفكرون في امر الدنيا انها دار فناء وبلاء ولا يبقى منها الا العمل الصالح وفي امر الاخرة فانها دار جزاء وبقاء لا ينفع فيها الا سابق تقوى الله تعالى وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة واختلف المسلمون في معنى الخمر قال بعضهم انه كل ما خامر العقل [illegible] مشتق من قولهم خمرت الاناء اذا غطيته واختمرت المرأة اذا لبست الخمار وما واراك من الشجر وذهب الجمهور الاعظم من الفقهاء الى ان اسم الخمر في الحقيقة يتناول النيء المشتد من ماء العنب وغاية الاشتداد ان يقذف الزبد على قول ابي حنيفة رحمه الله و قال صاحباه اذا اشتد صار خمرا قذف بالزبد او لم يقذف والدليل على ان اسم الخمر مخصوص بالنيء المشتد من ماء العنب دون غيره وان غيره ان سمي بهذا الاسم فهو محمول عليه ومشبه به على وجه المجاز ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بنشوان فقال له اشربت خمرا فقال والله ما شربتها منذ حرمها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فماذا شربت قال الخليطين قال فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليطين والاستدلال من الخبر ان الشارب نفى اسم الخمر عن الخليطين بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه ولو كان ذلك يسمى خمرا من جهة لغة او شرع لما اقره عليه واذا كان الخليطان لا يسميان خمرا مع وجود قوة الاسكار فيهما علم ان اسم الخمر مقصور على ما وصفناه و يدل عليه ما روي ان عليا كرم الله وجهه لما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع عن الاشربة فقال صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر بعينها ويروى لعينها والسكر من كل شراب واما ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة فيحتمل ان المراد به احدهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم لكن لما كان ظاهر الاضافة اليهما يقتضي ان الخمر منهما ولم يكن جميع ما يخرج منهما من العصير والدبس والخل وغير ذلك خمرا بالاتفاق علم ان المراد بالخبر تحريم بعض الخارج من هاتين الشجرتين وذلك البعض غير مذكور في الخبر وحمل اصحابنا على ان ما يشتد من الخارج من هاتين الشجرتين على حد الابتدا قبل ان مسته النار حرام قليله وكثيره استدلالا بحكمة من الخبر لانه يكون للابتدا في اللغة ولم يجعلوا الخارج من النخل خمرا يتعلق بقليله وكثيره الحد وان كان على حد الابتدا ويدل على ذلك ان اسم الخمر لو كان حقيقة في كل ما خامر العقل لما انتفى هذا الاسم عن سائر الاشربة المسكرة بحال لان اسماء الحقائق لا ينتفي عن مسمياتها بحال الا ترى ان الارادة في قول الله تعالى يريد الله ليبين لكم وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لما كانت حقيقة لم يجز نفيها عنه بحال ولما كانت الارادة في قوله تعالى فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض على سبيل التوسع و الاستعارة جاز نفي الارادة عن الجدار وكذلك قال الله تعالى اني اراني اعصر خمرا واراد بالخمر العنب و قد وضعت العرب لكل شراب سوى الخمر اسما على حدة وخصت النيء المشتد من عصير العنب باسم الخمر وقد يجوز ان يسمى عصير العنب خمرا لمخامرته العقل ثم لا يكون كل ما خامر العقل خمرا كما ان الحائط اسم الجدار بمعنى الاحاطة ثم لا يسمى كل محيط بشيء حائطا وكذا النبيذ يسمى نبيذا لما ينبذ فيه من الزبيب ثم لا يسمى كل منبوذ فيه نبيذا وذهب بعض المفسرين الى ان في هذه الاية دليل تحريم الخمر قطعا لان الله تعالى سماه اثما والاثم كله محرم قال الله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي فاخبر ان الاثم محرم ولم يقتصر في هذه الاية على الاخبار بان فيهما اثما حتى وصفه الله تعالى بانه كبير تاكيدا لحظرها فان قال قائل قوله تعالى ومنافع للناس دلالة على اباحتها قيل له يحتمل ان المراد بذلك منافع الدنيا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي سائر المحرمات منافع لمرتكبيها في دنياهم إلا أن تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب فذكر منافعها فيهما
عند ذكرها على إباحتها لا سيما وقد أكد حظرها مع ذكر منافعها في سياق الآية بقوله تعالى وإثمهما أكبر من نفعهما
فإن قيل ليس في قوله تعالى إثم كبير دلالة على تحريم القليل منها لأن مراد الآية ما يلحق من المأثم بالسكر وترك
الصلوة والمرابدة والقتال وإذا حصل المأثم بهذه الأمور فقد وفينا ظاهر الآية مقتضاها من التحريم و
لا دلالة فيه على تحريم القليل منها قيل له معلوم أن في مضمون قوله تعالى فيهما إثم كبير ضمير شربها لأن جسم
الخمر هو فعل الله تعالى ولا مأثم فيها وإنما المأثم مستحق بأفعالنا فيها فكان تقدير الآية قل في شربها وفعل
الميسر إثم كبير فيتناول ذلك شرب القليل والكثير منهما كما لو قيل حرمت الخمر كان معقولا أن المراد به
شربها والانتفاع بها فإن قيل فإن دلت الآية على تحريم الخمر على ما ذكرتم فلما لم يفهموا بعض نزول
آية تحريم الصلوة مع السكر ثم آية المائدة وهم أرباب اللغة لا يجوز أن يخفى عليهم ما ذكرتم حتى سأل عمر
رضي الله عنه بيانها بعد نزول هذه الآية قلنا جائز أن يكون بعضهم تأول في قول الله تعالى ومنافع
للناس جواز استباحة منافعها وأن الإثم مقصور على بعض الأحوال دون بعض وطلب كبار الصحابة
رضي الله عنهم نزول ما هو أكد في التحريم من هذه الآية لما علموا وظنوا أن في ذلك صلاحا كما التمس إبراهيم
عليه السلام مشاهدة إحياء الموتى ليزداد سكونا وطمأنينة وأما الميسر فهو مفعل من يسر ييسر يسرا
وميسرا والياسر المقامر والميسر القمار ويذكر الميسر بمعنى التجزئة أيضا يقال يسر إذا جزأ الجازر
وكلما جزأته فقد يسرته وقيل إن الميسر الجزور نفسه إذا جزى وكانوا يتخذون جزورا ويجعلونها أقساما
يتقامرون في السبق في الدواب والإبل والنضال إذا كان الذي يستحق واحدا إن سبق ولا يستحق الآخر
إن سبق وليس هو من القمار في شيء وإنما ذلك لرياضة الخيل والاستعداد للعدو وكما قال الله تعالى وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا إن القوة الرمي لهو المؤمن
في الخلاء وقوته عند اللقاء وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قال لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه سابق بين الخيل وأما إذا شرط في الرهان أن من سبق منهما أخذ وإن لم يسبق أعطى فإنهما
كان هذا باطلا فإن أدخلا بينهما رجلا إن سبق استحق وإن سبق لم يعط شيئا فهذا جائز وهذا الدخيل هو
الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم محللا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من
أدخل فرسا بين فرسين يأمن أن يسبق فهو قمار ومن أدخل فرسا بين فرسين لا يأمن أن يسبق
فليس بقمار وما ذكر الله تعالى من تحريم الميسر في الآية يقتضي تحريم القرعة في العبيد يعتقهم
المريض ثم يموت ولا يخرجون من الثلث لما فيه من القمار بإخفاق بعض وإنجاح بعض وهذا هو
القمار بعينه وليست القرعة في القسمة كذلك لأن كل واحد يستوفي نصيبه لا يخفق لأحد منهم قوله
عز وجل ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله
يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم روي عن عبد الله بن عباس أنه
قال لما أنزل الله تعالى قوله إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أشفق المسلمون من مخالطتهم فكان
كل من كان في حجره يتيم يجعل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء
فشق ذلك عليهم فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله تعالى أنزل في
أموال اليتامى ما أنزل من الشدة أفيصلح لنا يا رسول الله أن نخالطهم فنستعير منهم الخادم والدابة
ونشرب من لبن شاتهم ولا نرزؤهم إلا قدر ما نعطيهم من مالنا بأفضل منه فأنزل الله تعالى قوله ويسألونك
عن اليتامى أي عن مخالطة اليتامى قل إصلاح لهم أي إصلاح لأموالهم خير الأشياء إذ هو خير من

الإنفاق

الإنفاق الذي هو مسوغ عليه في ذلك وقوله تعالى وإن تخالطوهم فإخوانكم حث على تحري الإصلاح في
حالة الاختلاط وغير ذلك يقول إن شاركتموهم وخلطتم أموالكم بأموالهم فهم إخوانكم في الدين والله يعلم
المفسد من المصلح يقول يعلم من يكون غرضه بالمخالطة إصلاح أمر اليتامى ومن يكون غرضه الفساد لأموالهم
ولو شاء الله لأعنتكم أي أحرجكم وآثمكم في مخالطتهم والعنت الإثم وقد تسمى الفجور عنتا لما فيه
من الإثم ويقال معنى لأعنتكم ضيق عليكم وكلفكم ما يشتد عليكم مثل النهي عن المخالطة وإيجاب التحرز
لطلب الأرباح لهم أصله من عنت البعير يعنت عنتا إذا حدث في رجله كسر ويقال أكمة عنوت
إذا كان لا يمكن مجاوزتها إلا بمشقة وقال أبو عبيدة معناه لأهلككم ومعنى إن الله عزيز حكيم أي
منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من المساهل والمشاق ذو حكمة فيما أمركم به في أمر اليتامى وغيره ذلك
واتصلت هذه الآية بما قبلها من جهة آية أخرى فيها تقدم ذكر النفقة وفي هذه الآية ذكر إنفاق الوصي
من مال اليتيم ومخالطته واسم اليتيم إذا أطلق انصرف إلى الصغير الذي لا أب له لأن العرب تسمي
المنفرد يتيما كما قال الشاعر إن القبور تنكح الأيامى النسوة الأرامل اليتامى ويقولون الدرة
اليتيمة يريدون بذلك أنها منفردة لا نظير لها وفي الآية ضروب من الأحكام منها أن قوله قل إصلاح لهم
خير يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه في مال اليتيم أنه يأكله
بقدر طعامه وطعام نفسه بغالب الظن ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشرى وجواز دفعه
مضاربة إذا كان ذلك صلاحا ويدل على أن لولي اليتيم أن يعاقد نفسه في ماله إذا كان فيه خير ظاهر
لليتيم على ما قاله أبو حنيفة رحمه الله ويدل على أن للوصي أيضا أن يؤاجر الصبي ممن يعلمه الصناعات
والتجارات أو يستأجر من يعلمه ما له فيه صلاح من أمر الدين والأدب لأن كل ذلك من الإصلاح و
يدل على جواز الاجتهاد في الحوادث لأن الإصلاح لا يعلم إلا بالاجتهاد وفي قوله تعالى وإن تخالطوهم
فإخوانكم دليل على أن للولي أن يزوج اليتيم ابنته أو يزوج اليتيمة بعض ولده أو يتزوج اليتيمة لنفسه
فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلطوا أيضا به يقال فلان خليط فلان إذا كان شريكا له في
المال ويقال قد اختلط فلان بفلان إذا صاهره وهذه كلمة مأخوذة من الخلطة التي هي الاشتراك في
الحقوق من غير تمييز بعضهم عن بعض ولا يكون التزويج إلا الولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم
لأن الوصاية لا يستحق بها الولاية في التزويج وفي قوله تعالى فإخوانكم بيان أن أطفال المؤمنين مؤمنون
كما قال تعالى إنما المؤمنون إخوة قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة
خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه و
يبين آياته للناس لعلهم يتذكرون روي عن عبد الله بن عباس ومقاتل أنهما قالا نزلت هذه
الآية في مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليخرج من بها
من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها عناق وكانت خليلة له في الجاهلية فأتته و
قالت له ويحك يا مرثد ألا تخلو قال لها ويحك يا عناق إن الإسلام قد حال بيننا وبين ذلك ولكن
إن شئت إذا رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمرته أن أتزوجك فقالت أبي
تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما انصرف إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم أعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق فقال أيحل لي أن أتزوجها فنزلت هذه الآية ومعناه
والله أعلم لا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى وقوله ولأمة مؤمنة أي نكاح
أمة مؤمنة خير من نكاح حرة مشركة وإن أعجبتكم الحرة المشركة لحسنها وجمالها وقوله تعالى

الألوكة www.alukah.net

وفي سائر المحرمات منافع لمن يكتسبها في دنياهم الا ان تلك المنافع لا تفي بضررها من العقاب فذكر منافعها غير دال على اباحتها لاسيما وقد اكد حظرها مع ذكر منافعها في سياق الاية بقوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما فان قيل ليس في قوله تعالى اثم كبير دلالة تحريم القليل منها لان مراد الاية ما يلحق من الماثم بالسكر وترك الصلوة والمواثبة والقتال واذا حصل الماثم بهذه الامور فقد وفي بظاهر الاية مقتضاها من التحريم ولا دلالة فيه على تحريم القليل منها قيل له معلوم ان في مضمون قوله تعالى فيهما اثم كبير ضمير شربهما لان جسم الخمر هو فعل الله تعالى ولا ماثم فيها وانما الماثم مستحق بافعالنا فيها فكان تقدير الاية فعل شربها وفعل الميسر اثم كبير فيتناول ذلك شرب القليل والكثير منها كما لو قيل حرمت الخمر كان معقولا ان المراد به شربها والانتفاع بها فان قيل فان دلت الاية على تحريم الخمر على ما ذكرتم فهلا لم يقنعوا بها حتى نزلت اية تحريم الصلوة مع السكر ثم اية المائدة وهم ارباب اللغة لا يجوز ان يخفى عليهم ما ذكرتم حتى سال عمر رضي الله عنه بيانا بعد نزول هذه الاية قلنا جائز ان يكون بعضهم تاول في قول الله تعالى ومنافع للناس جواز استباحة منافعها وان الاثم مقصور على بعض الاحوال دون بعض وطلب كبار الصحابة رضي الله عنهم نزول ما هو اكمل في التحريم من هذه الاية مما علموا وظنوا ان في ذلك صلاحا كما التمس ابرهيم عليه السلام مشاهدة احياء الموتى ليزداد سكونا وطمانينة واما الميسر فهو مفعل من يسر الشيء ييسر يسرا وميسرا والياسر المقامر والميسر القمار ويذكر الميسر بمعنى التجزية ايضا يقال يسر اذا جزا الجازر وكل جزا فقد يسر له وقيل ان الميسر الجزور نفسه اذا جزي وكانوا يتخذون جزورا ويجعلونه اقساما يتقامرون في السبق في الدواب والابل والنضال اذا كان الذي يستحق واحدا ان سبق ولا يستحق الاخر ان سبق وليس هو من القمار في شيء وانما ذكر لرياضة الخيل والاستعداد للعدو كما قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان القوة الرمي لنفع الرمي في الجهاد ولقوته عند اللقاء وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا سبق الا في خف او حافر او نصل وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سابق بين الخيل واما اذا شرط في الرهان ان من سبق منهما اخذ وان لم يسبق اعطى ايهما كان فهذا باطل فان ادخلا بينهما رجلا ان سبق لم يستحق وان سبق لم يعط فهذا جائز وهذا الدخيل هو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم محللا وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من ادخل فرسا بين فرسين يامن ان يسبق فهو قمار ومن ادخل فرسا بين فرسين لا يامن ان يسبق فليس بقمار وما ذكره الله تعالى من تحريم الميسر في هذه الاية يقتضي تحريم القرعة في العبيد يعتقهم المريض ثم يموت ولا يخرجون من الثلث لما في هذه من القمار باخفاء حق بعض وايجاب بعض وهذا هو القمار بعينه وليست القرعة في القسمة كذلك لان كل واحد يستوفي نصيبه لا يخفق لاحد منهم قوله عز وجل ويسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم روي عن عبد الله بن عباس انه قال لما انزل الله تعالى قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اشفق المسلمون من مخالطتهم فكان كل من كان في حجره يتيم يجعل لليتيم بيتا وطعاما وخادما على حدة وكانوا لا يخالطون اليتامى في شيء فشق ذلك عليهم فجاء عبد الله بن رواحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى انزل في اموال اليتامى ما انزل من الشدة افيصلح لنا يا رسول الله ان نخالطهم فنستعين منهم بالخادم والدابة ونشرب من لبن شياههم ولا نرزؤهم الا عدنا عليهم من مالنا بافضل منه فانزل الله تعالى قوله ويسالونك عن اليتامى اي عن مخالطة اليتامى قل اصلاح لهم اي لا صلاح لاموالهم خير الاشياء اذ هو خير من

الانفاق

الانفاق الذي هو موسع عليه في ذلك وقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حث على تحري الاصلاح في حالة الاختلاط وغير ذلك يقول ان شاركتموهم وخلطتم اموالكم باموالهم فهم اخوانكم في الدين والله يعلم المفسد من المصلح يقول يعلم من يكون غرضه بالمخالطة اصلاح امر اليتامى ومن يكون غرضه افسادا هم ولو شاء الله لاعنتكم اي احرجكم واثمكم في مخالطتهم والعنت الاثم وقد يسمى الفجور عنتا لما فيه من الاثم ويقال معنى اعنتكم ضيق عليكم وكلفكم ما يشتد عليكم مثل النهي عن المخالطة وايجاب التفرد لطلب الارباح لهم واصله من عنت البعير يعنت عنتا اذا احدث في رجله كسر ويقال اكمة عنوت اذا كان لا يمكن مجاوزتها الا بمشقة وقال ابو عبيدة معناه لاهلككم ومعنى ان الله عزيز حكيم اي منيع غالب لا يمانع فيما يفعل من التسهيل والتشديد حكيم فيما امركم به في امر اليتامى وغير ذلك واتصلت هذه الاية بما قبلها من جهة ان اية اخرى فيها تقدم ذكر النفقة وفي هذه الاية ذكر انفاق الوصي من مال اليتيم ومخالطته واسم اليتيم اذا اطلق انصرف الى الصغير الذي لا اب له لان العرب تسمي المنفرد يتيما كما قال الشاعر ان القبور تنكح الايامى النسوة الارامل اليتامى ويقولون الدرة اليتيمة يريدون بذلك انها منفردة لا نظير لها وفي الاية ضروب من الاحكام منها ان قوله قل اصلاح لهم خير يدل على جواز خلط الوصي ماله بمال اليتيم في مقدار ما يغلب على ظنه في مال اليتيم انه ياكله بقدر طعامه وطعام نفسه بغالب الظن ويدل على جواز التصرف في ماله بالبيع والشراء وجواز دفعه مضاربة اذا كان ذلك صلاحا ويدل على ان لولي اليتيم ان يعاقد نفسه في ماله اذا كان فيه خير ظاهر لليتيم على ما قاله ابو حنيفة رحمه الله ويدل على ان للوصي ايضا ان يواجر الصبي ممن يعلمه الصناعات والتجارات او يستاجر من يعلمه ما له فيه صلاح من امر الدين والادب لان كل ذلك من الاصلاح ويدل على جواز الاجتهاد في الحوادث لان الاصلاح لا يعلم الا بالاجتهاد وفي قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم دليل على ان للولي ان يزوج اليتيم ابنته او يزوج اليتيمة بعض ولده او يتزوج اليتيمة لنفسه فيكون قد خلط اليتيم بنفسه وعياله واختلط ايضا به يقال فلان خليط فلان اذا كان شريكا له في المال ويقال قد اختلط فلان بفلان اذا صاهره وهذه كلمة ماخوذة من الخلطة التي هي الاشتراك في الحقوق من غير تمييز بعضهم عن بعض ولا يكون التزويج الا للولي الذي يكون ذا نسب من اليتيم لان الوصاية لا تستحق بها الولاية في التزويج وفي قوله تعالى فاخوانكم بيان ان اطفال المومنين مومنون كما قال تعالى انما المومنون اخوة قوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يومن ولامة مومنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون روي عن عبد الله بن عباس ومقاتل انهما قالا نزلت هذه الاية في مرثد بن ابي مرثد الغنوي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج من بها من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة يقال لها عناق وكانت خليلة له في الجاهلية فاتته وقالت له ويحك يا مرثد الا تخلو قال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال بيننا وبين ذلك ولكن ان شئت اذا رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استامرته ان اتزوجك فقالت ابي تتبرم ثم استغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الذي كان من امره وامر عناق قال ايحل لي ان اتزوجها فنزلت هذه الاية ومعناه والله اعلم لا تتزوجوا المشركات حتى يصدقن بتوحيد الله تعالى وقوله ولامة مومنة اي نكاح امة مومنة خير من نكاح حرة مشركة وان اعجبتكم الحرة المشركة لحسنها ورغبة لها وقوله تعالى

www.alukah.net

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا اي لا تزوجوهم مسلمة حتى يصدقوا بالله تعالى ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو اعجبكم الحر المشرك اولئك يعني المشركين والمشركات يدعون الى عمل اهل النار والله
يدعوا الى اسباب الوصول الى الجنة والمغفرة من مخالطة المؤمنين وغير ذلك باذنه تعالى بامره وعلمه
الذي علم انه وصلة لكم اليهما ويبين آياته للناس امره ونهيه في التزويج وغيره لعلهم يتذكرون
يتعظون ويرغبون في اهل الديانة والامانة وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لانهم كانوا اذ ابتدأ الاسلام
يتحرجون من اليتامى ويجوزون عشرا ويتحرجون في اموال اليتامى فخفف الله تعالى عليهم ذلك في سورة النساء
بقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والظاهر
ان اسم المشركات يتناول الوثنيات قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
ان ينزل عليكم وقال عز من قائل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين ففرق بينهما في اللفظ
وظاهر العطف يقتضي ان المعطوف غير المعطوف عليه فعلى هذا لا يكون تزوج المسلمين بالكتابيات داخلا
في هذه الاية لكن استفيد جوازه لهم بقوله تعالى في سورة المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وعن عبد الله بن عباس والحسن ومجاهد والربيع ان هذه الاية عامة في جميع الكافرات الكتابيات
منهن وغير الكتابيات ثم نسخ منها الكتابيات باية المائدة وروي عن ابن عمر انه كان اذا سئل عن
اليهودية والنصرانية قال ان الله تعالى حرم المشركات على المؤمنين ولا اعلم شيئا من الشرك اكبر من ان تقول ربها
عيسى عليه السلام او عبد من عباد الله وكان الزجاج يقول كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد
زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن من عند غير الله والقرآن انما هو من الله عجز المخلوقون
عن اتيان مثله فمن زعم فيما اتى به الا الله تعالى انه من عند غير الله تعالى فقد اشرك به غيره والتكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم بعد العجز والا اثم الاشراك بالله تعالى لان المعلوم من حال المسلمين انهم يصفون
لا يثبت الها شريكا بالله ومن شك في الاله او جوز الها ثانيا مشركا وقال قتادة وسعيد بن جبير رضي
الله عنهما ان الكتابيات مخصوصات من هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى
انه قرأ هذه الاية ثم قال استثنى الله تعالى اهل الكتاب بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
فاخبر ان قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات يترتب عليه قوله والمحصنات وان الكتابيات مستثنيات
من المشركات فان قيل في الاية نهي عن نكاح المشركات بسبب دعوتهن الى الشرك الى النار وهذه
العلة تعم جميع الكتابيات وغيرهن فكيف ابيح للمسلمين نكاح الكتابيات والعلة قائمة قيل يحتمل ان
يكون قوله تعالى اولئك يدعون الى النار راجعا الى قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين لا الى قوله ولا تنكحوا المشركات
لان اولئك كناية عن الرجال دون النساء ولا يجوز تزويج المسلمة من مشرك ولا كتابي وجواب اخر ان
ما يجري مجرى العلل الشرعية يجوز تخصيصه كما يجوز تخصيص الاسامي قال الله تعالى انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ومعلوم ان هذه العلة لا يجب اجراؤها في جميع
معلولاتها وان الشيطان قد يوقع العداوة في البياعات والمناكحات والمداينات فلما كانت هذه
العلة مقصورة على المذكور دون غيره لتاكيد حكم المذكور كذلك كان حكم سائر العلل الشرعية المنصوص
عليها وفي الاية دلالة على جواز نكاح الامة المؤمنة لمن يجد الطول الى تزويج الحرة لان الله تعالى امر
المؤمنين بتزويج الامة المؤمنة بدلا من الحرة المشركة التي تعجبهم وواجد الطول الى الحرة المشركة
واجد الى الحرة المسلمة اذ لا فرق بينهم في العادة في المهور فهو محمول على قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا
على حسن الاختيار دون التحريم قوله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم

الله

الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية
في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف نصنع بالنساء اذا
حضن نقربهن او لا نقربهن فنزلت هذه الاية فلما نزلت عمد المسلمون الى النساء الحيض فاخرجوهن من
البيوت كما كانت الاعاجم يفعل بنسائهم اذا حضن واذا فرغن من حيضهن واغتسلن ردوهن الى
البيوت فقدم اناس من الاعراب الى المدينة فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزل الحيض عنهم في
البيوت قالوا يا رسول الله البرد شديد وقد عزلنا النساء فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت بردا وان
آثرنا اهل البيت هلكت النساء الحيض وليس كلنا يجد سعة فنوسع عليهم جميعا فقال عليه السلام انما امرتم
ان تعتزلوا مجامعتهن في الفرج اذا حضن ولم تؤمروا ان تخرجوهن من البيوت وقرأ عليهم الاية ووجه
اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما تقدم حديث نكاح من تحرم ومن تحل فبين الله تعالى بعدها حال
التحليل والتحريم بهذه الاية ومعناها والله اعلم يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الحيض قل هو اذى
اي الدم مستقذر نجس وفي قوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض اي اعتزلوا مجامعتهن وهن حيض ولا
تجامعوهن حتى ينقطع عنهن الدم فاذا اغتسلن فجامعوهن من حيث امركم الله بتجنبه في الحيض
وهو الفرج قال عبد الله بن عباس وقتادة والربيع وقيل معناه فأتوهن من قبل النكاح والجهات
التي يحل فيها ان تقرب المرأة في الشريعة وقال مجاهد كانوا يأتون النساء في ادبارهن في ايام الحيض
فانزل الله تعالى هذه الاية وحرم بها ما كانوا يفعلونه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتيان
النساء في اعجازهن حرام وعن عبد الله بن مسعود انه قال محاش النساء حرام ويدل عليه ان الله تعالى
حرم الجماع في الفرج في حالة الحيض للاذى والادبار لا تنفك من الاذى فكان تحريمها اولى من الامرين وقوله
تعالى ان الله يحب التوابين اي يرضى عن عمل التوابين من الذنوب ومن اتيان النساء في وقت الحيض
ويحب المتطهرين من الاحداث والانجاس ويقال من الذنوب والمحيض مصدر يقال حاضت المرأة تحيض
حيضا ومحيضا ومحاضا وكل ذلك مصدر كما يقال ما في بني فلان مكيل ومكال اي كيل وفي قوله
قل هو اذى دليل ان المراد بالمحيض نفس الدم وفي هذا جواب لليهود فانهم كانوا يجتنبون
مواكلة النساء ومشاربتهن ومجالستهن في حال الحيض واراد المسلمون ان يفعلوا كذلك في الاسلام
فاجابهم الله تعالى بهذه الاية ووصف الحيض بالاذى لبيان لزوم اجتناب مجامعتهن
في حال الحيض لانهم كانوا قبل ذلك عالمين بلزوم اجتناب النجاسات والاقذار فاطلق
عليه لفظا عقلوا منه الامر بتجنبه والدليل على ان اسم الاذى يقع على النجاسات قول النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اصاب نعل احدكم اذى فليمسحها بالارض وليصل فيها وقد يجوز ان يطلق اسم
المحيض على موضع الحيض كالمبيت والمقيل وعلى هذا قال محمد بن الحسن يجتنب الرجل من حائض
امرأته شعار الدم وله ما سوى ذلك وقال ابو حنيفة وابو يوسف فلا يستمتع بها ما فوق
الازار وذكرها ما تحت الازار على ما ورد به الحديث عن عائشة وميمونة رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يباشر نساءه وهن حيض فوق الازار وقد يطلق لفظ الفعل ويراد به
طرف الزمان كالمنبع والمولد فاذا ساغ تقدير الوجوه الثلاثة في اسم المحيض حمل على الجميع والحيض اسم
لمقدار من الدم تتعلق به احكام منها منع الصلاة والصوم وحظر الجماع وانقضاء العدة واجتناب
دخول المسجد ومس المصحف وقراءة القرآن وتصيير الصبية بالغة اذا رأته في اوان الحيض واقل
ذلك ثلاثة ايام وما دون الثلاثة عرق لا يكون حيضا عند اهل العلم رحمهم الله تعالى واكثره
عشرة ايام عند اصحابنا رحمهم الله وعند الشافعي اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما ومدة

الألوكة www.alukah.net

عدي بن ثابت عن ابيه عن جده رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المستحاضة تدع
الصلوة ايام حيضها ثم تغتسل وتتوضا لكل صلوة وفي بعض الروايات تدع الصلوة ايام اقرائها واسم
الايام المطلقة يتناول الثلث الى العشرة يقال فيما زاد على العشرة احد عشر يوما وروى ابو امامة الباهلي
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اقل الحيض في البكر والثيب ثلثة ايام واكثره عشرة
وقد اختلف اهل العلم في اقل الطهر ايضا ذهب عامة الفقهاء الى ان اقله خمسة عشر يوما ولا غاية لاكثره
وكان مالك رحمه الله لا يوقت لقليل الحيض ولا لاكثره وظاهر قوله تعالى حتى يطهرن فاذا تطهرن يقتضي
ان انقطاع الدم والاغتسال كلاهما شرط لجواز القربان وهذا كما يقال لا تكلم الامير حتى يجلس فاذا
طابت نفسه فكلمه معناه لا تكلمه حتى يجلس ويطيب نفسه فاذا طابت كلمه وهذا عند اصحابنا رحمهم الله
محمول على الاعم الاغلب لان الاعم في النساء انه ينقطع حيضهن دون العشرة فاما اذا انقطع على راس العشرة
فقد تيقن بانقطاع دم الحيض من جميع الوجوه اذ الدم ان عاودها بعد العشرة لم يكن حيضا وانما بقي وجوب
الاغتسال عليها وذلك لا يمنع الوطي كوجوب الاغتسال بحكم الجنابة وذهب بعض المفسرين الى ان
المراد بقوله تعالى حتى يطهرن وبقوله تعالى فاذا تطهرن انقطاع الدم يقال طهرت المراة واطهرت و
تطهرت اذا انقطع دمها يدل على هذا انها لو اغتسلت وهي حائض لم تطهر فاذا كان لفظ التطهر يحتمل انقطاع
الدم ويحتمل الاغتسال حمل على الطهر الذي لا يحتمل الا وجها واحدا وكان قوله تعالى فاذا تطهرن تاكيدا
للحكم المذكور قبله وهذا كما يقال لا تعط فلانا حتى يدخل الدار فاذا دخلها فاعطه الا ان الاجماع قد انعقد
فيما اذا انقطع دمها دون العشرة انه لا يحل للزوج ان يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة ويجوز
ان يجمع بين القراتين في قوله تعالى حتى يطهرن فتحمل قراة التخفيف على ما اذا انقطع دمها على راس العشرة
وقراة التثقيل حتى يطهرن على ما اذا انقطع الدم دون العشرة والله تعالى اعلم قوله عز وجل
نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه
وبشر المؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت اليهود تقول انا نجد في التورية ان كل اتيان
يوتى النساء غير مستلقيات فانه دنس عند الله تعالى ومنه يكون الحول والخبل يعنون حول الولد فكذبهم
الله تعالى بهذه الاية والمعنى والله تعالى اعلم نساؤكم حرث لكم اي مزدرع للولد وعن الزجاج انه قال
نساؤكم ذوات حرث لكم فيهن تحرثون للولد واللذة قال ابو عبيدة سميت المراة حرثا على وجه الكناية
فانها للولد كالارض للزرع وقوله تعالى فاتوا حرثكم اي موضع حرثكم انى شئتم كيف شئتم مستلقيات
ومستدبرات بعد ان يكون في صمام واحد وهو الفرج ومعنى وقدموا لانفسكم اي قدموا من الاعمال الصالحة
لاخرتكم وقيل اراد التسمية عند الجماع وقيل هي النية الصالحة عند ذلك اي رجا ان يقضي الله تعالى له ولدا
يعبده وقوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه ولا تقربوهن في حال الحيض ولا على وجه لا يحل واعلموا انكم
ملاقوه يوم القيمة فيجازيكم باعمالكم وبشر المؤمنين اي المصدقين بالبعث والثواب بالجنة ومن الناس
من تعلق في جواز اتيان المراة في غير قبلها بقوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وهذا
لا يصح لان قوله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم يقتضي اباحة اتيان المراة في موضع الحرث وهو القبل فان
الولد انما يكون من اتيان المراة في قبلها والقول بجواز اتيان المراة في خلفها يحكى عن مالك رحمه الله و
اصحابه ينفون عنه هذه المقالة لقبحها وشناعتها وقد روي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من اتى حائضا او امراة في دبرها او اتى كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما انزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى رجل
اتى رجلا او امراة في دبرها وانما يروى عن نافع عن ابن عمر اباحة اتيان الرجل امراته في خلفها فلم

يجمع

فلم يجمع العلماء على رواية نافع لانه روي ان نافعا روى ذلك في اخر عمره عن ابن عمر انه قال هي اللواطة الصغرى
قوله عز وجل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله
سميع عليم قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنه
حلف ان لا يدخل على ختنه بشير بن النعمان الانصاري ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه وجعل يقول
حلفت بالله ان لا افعل ولا يحل لي الا ان ابر يميني فنزلت هذه الاية فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقرا عليه الاية وقال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليات الذي هو خير افعلوا
الخير ودعوا الشر فكفر ابن رواحة يمينه ورجع الى الذي هو خير ومعنى الاية لا تجعلوا الله علة لايمانكم
وهو ان يجعل الرجل اليمين معترضا بينه وبين ما هو مندوب اليه او مامور به من البر والتقوى و
الاصلاح يفعل ذلك للامتناع من الخير لان المعترض بين الشيئين يمنع وصول احدهما الى الاخر ومعنى
ان تبروا وتتقوا اي لا تبروا ولا تتقوا القطيعة ولا تصلحوا بين المتشاجرين وهذا كما قال امرؤ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اراد بذلك لا ابرح ويقول الرجل
والله اقوم فيكون معناه لا اقوم واذا اراد اثبات القيام قال والله لاقومن وكان ابو العباس
المبرد رحمه الله ينكر ايضا حرف النفي في هذه الاية ويقول هذا انما يكون في جواب اليمين فاما مثل
هذا الموضع فلا يجوز حذف حرف النفي قال والصواب ان معناه تاركي ان تبروا ويقال كراهة ان تبروا
فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ونظير هذه الاية قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان
يوتوا اولي القربى والمساكين الاية وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
لا تعترضوا باليمين بالله في كل حق وباطل وهو نهي عن كثرة الحلف لما في ذلك من الجراة على الله عز وجل
والابتذال لاسمه في كل حق وباطل يقال هذه عرضة لك اي عدة لك تبتذله فيما يشا ويقول القائل قد جعلتني
عرضة للومك قال الشاعر ولا تجعلني عرضة للوايم وقد ذم الله تعالى مكثر الحلف بقوله ولا تطع كل
حلاف مهين ومعنى ان تبروا على هذا التاويل الاثبات اي لا تحلفوا في كل شيء لان تبروا اذا حلفتم وتتقوا الماثم
فيها وعن ابي عبيدة ان معناه ان لا تبروا اذا حلفتم وتتقوا الماثم فان من كثر حلفه قل بره في اليمين ويجوز
ان يكون قوله تعالى ان تبروا ابتدا خبره محذوف تقديره ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس اولى لكن
حذف الاولى لان في الكلام دليلا عليه فعلى هذا يكون موضع ان تبروا رفعا وعلى التاويل الذي تقدم يكون
نصبا لان معناه لان تبروا موضعه نصب انتصب بنزع حرف الخافض ويجوز ان يكون موضعه خفضا لانك
تقول جيتك لان تضرب زيدا وجيتك ان تضرب زيدا ومعناه جيتك لضرب زيد ومعنى والله سميع عليم سميع
لايمانكم عليم بما تقصدون بها عند الحلف واذا احتملت الاية النهي عن كثرة الحلف والنهي عن جعل اليمين
علة مانعة من البر والتقوى ولا تضاد بين المعنيين وجب حمل الاية عليهما جميعا قوله عز وجل لا يؤاخذكم
الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم قال ابن عباس
في تفسير الاية يعني يمين اللغو ان يحلف الرجل بالشيء يرى انه كذلك فليس كذلك قال ومعنى قوله ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم بما تعمدتم الكذب وهو ان يحلف على شيء يعلم انه ليس كذلك ومعنى والله غفور
اي لمن تاب من اليمين الغموس حليم عن الحالف اذ لم يعجل عليه بالعقوبة وعن عائشة رضي الله عنها
ان يمين اللغو هو ما يجري في خلال الكلام لا والله وبلى والله مما لا يعقد عليه قلبه وعن عطا رحمه الله عنها انها
قالت هو قول الرجل فعلنا والله كذا وصنعنا والله كذا وهو يظن انه كذلك وعن طاوس وسعيد بن جبير
رضي الله عنهما انهما قالا في يمين اللغو انها يمين الغضبان الا ان سعيدا قال اذا حنث في يمينه كفر
وعن زيد بن اسلم ان اللغو هو اليمين التي الحنث فيها خير من البر لا يؤاخذ الله تعالى بالاثم اذا كفر ولكن

www.alukah.net

يؤاخذ الحالف بعزمه على ان لا يبر ولا يتقي واعتماده في ذلك الحلف قال وعنى والله غفور اي غفور لمن حنث
وكفر عنه حليم حين رخص له في الحنث ولم يعاقبكم على اليمين على ترك البر والتقى وقد ذهب اصحابنا
رحمهم الله في تفسير اللغو الى انه يكون على الماضي فاما اذا جرى على لسانه كلمة اليمين على امر في المستقبل
انعقدت يمينه عليه وان لم يقصد لزمته الكفارة فيها بالحنث بقوله تعالى في اية اخرى ولكن يؤاخذكم بما
عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين الاية اذ ليس في تلك الاية تعليق الكفارة بكسب القلب لانه
يستوي حال القاصد فيها للخير والشر ويتساوى حكم الجد والهزل ولو لم يفسر اللغو بهذا التفسير الذي ذكرناه
لكان في ذلك حمل الايتين على الاعادة والتكرار وفي قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دليل ان المراد
بيمين اللغو يمين الظان لانه انما يقابل المعقود الخاطر فقد كان المراد بقوله تعالى بما كسبت قلوبكم ما عقد
قلبه عليه من الكذب والزور فيؤاخذكم بها في الاخرة والله تعالى اعلم واللغو في اللغة هو الكلام الساقط
الذي لا فايدة فيه ولا حكم له يقال الغيت الشي اذا طرحته وقد يذكر اللغو ويراد به الكلام الفاحش القبيح
كما قال الله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقال جل ذكره واذا مروا باللغو مروا كراما الا ان الله تعالى
لما قابل اللغو في هذه الاية باليمين التي يؤاخذنا بها بكسب القلب علم ان المراد باللغو ما يقصد به الكذب

قوله عز وجل للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور
رحيم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان العرب في الجاهلية كان الرجل يكره امراته ولا
يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يطاها ابدا ولا يخلي سبيلها اضرارا بها فتبقى معلقة لا ذات زوج
ولا مطلقة حتى يموت احدهما فابطل الله تعالى ذلك من فعلهم وجعل الاجل في هذا بعد هذا القول اربعة
اشهر اذا تمت هذه المدة ولم يفئ اليها بانت بتطليقة ومعنى الاية والله تعالى اعلم للذين يحلفون
من نسائهم ان لا يقربوهن انتظار اربعة اشهر فان فاءوا يقول اذا رجعوا عما حلفوا عليه فقرب
الرجل امراته او كان عاجزا عن الوطء ففاء بلسانه فان الله غفور لذنب الاضرار بالامتناع من الجماع
رحيم بهم ان رخص لهم القرب بالكفارة وفي قراءة عبد الله بن مسعود فان فاءوا فيهن فان الله غفور
رحيم والايلاء في اللغة هو الحلف تقول آلى يولي ايلاء والية والوة والوة والوة والالايا
جمع الالية قال كثير قليل الالايا حافظ ليمينه وان بدرت منه الالية برت وهذا اصله في اللغة
من الايلاء كما قال الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة واما الايلاء في الشرع فهو الحلف على ترك
الجماع الذي يكسب الطلاق بمضي المدة حتى قيل آلى فلان من امراته اذا فعل بها ذلك وقد اختلف السلف
رحمهم الله فيما يكون موليا به على وجوه احدها ما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ان الايلاء هو
الامتناع من الجماع على جهة الغضب والاضرار بتاكيد اليمين حتى لو كان للرجل امراة لها ولد رضيع فخشي ان
قربها ان تحبل فيضر ذلك بالصبي والولد فحلف ان لا يقربها لم يكن موليا وقال ابرهيم النخعي وابن
سيرين والشعبي هو اليمين على ان لا يجامعها سواء كان في الغضب او في الرضا وبهذا القول قال فقهاؤنا رحمهم الله
حتى قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد كل يمين في زوجة منعت جماع اربعة اشهر من غير حنث يلزمه
او تعيين ايلاء الاخرى فهو ايلاء والقول الثالث هو ما روي عن سعيد بن المسيب ان
الايلاء هو اليمين في الجماع وغير ذلك من الضرر حتى لو حلف ان لا يكلمها كان موليا والقول الرابع
قول عبد الله بن عمر انه اذا هجرها فهو ايلاء ولم يذكر الحلف والتربص انتظار الشيء خيرا او شرا يحل بك
او تحل به ولذلك سمي المحتكر متربصا لانتظاره غلاء السعر قال الشاعر تربص بها ريب المنون لعلها
تطلق يوما او يموت حليلها والفيء في اللغة هو الرجوع ومنه قوله تعالى حتى تفيء الى امر الله اي ترجع من
البغي الى العدل الذي هو امر الله عز وجل ومن ذلك سمي الظل الذي يكون بعد زوال الشمس فيئا يقال فاء الفيء

اذا رجع ويقال فلان سريع الفيء من الغضب اي سريع الرجوع من الغضب الى الرضا واما الفيء الشرعي
المذكور في هذه الاية قال ابن عباس ومسروق وسعيد بن المسيب هو الجماع في حالة القدرة والمراجعة بالقول
عند العجز وبهذا اخذ اصحابنا حيث قالوا ان المريض اذا فاء بلسانه واستمر المرض من اول الاربعة الاشهر
الى اخرها صح الفيء وبطل معنى الطلاق وقال الحسن وابرهيم وعلقمة ان الفيء هو المراجعة بالعزم وكان
الحسن وابرهيم يقولان لا كفارة على الفايء لان الله تعالى قال فان فاءوا فان الله غفور رحيم وهذا يقتضي
نفي المواخذة من جميع الوجوه وخالفهما الاخرون في ذلك وقالوا عليه كفارة الحنث فان قيل اذا كان في المريض
بالقول ما لا يسقط اليمين حتى لو صح من مرضه بعد ايلاء ان قرب لزمته الكفارة وان لم يقرب حتى مضت اربعة
اشهر اخرى بانت منه بتطليقة فكيف يرتفع الايلاء مع بقاء اليمين قلنا يجوز ان يبطل معنى الطلاق من
الايلاء ويبقى معنى اليمين الا ترى انه لو طلقها ثلثا ثم عادت اليه بعد زوج بطل معنى الطلاق حتى لو لم يقربها
في هذا النكاح لم تطلق ثم معنى اليمين باق حتى لو وطيها حنث ولزمته الكفارة كذلك الفيء باللسان يرفع معنى
الطلاق في المدة الماضية ولا يرفع معنى اليمين والله تعالى اعلم قوله عز وجل وان عزموا الطلاق فان
الله سميع عليم المعنى والله تعالى اعلم ان حققوا الطلاق بالاقامة على حكم اليمين الى تمام اربعة اشهر
فان الله سميع لايلائهم عليم بهم وبنياتهم والعزم هو العقد على فعل في المستقبل يقال عزم على الامر و
اعتزم اذا عقد قلبه عليه واما العزم الشرعي المذكور في الاية فعلى ثلاثة اوجه قال عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما عزيمة الطلاق انقضاء الاربعة الاشهر قبل ان يفيء من غير عذر وهو قول عبد الله بن
مسعود وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان رضي الله عنهم قالوا انها تبين بعد هذه المدة بتطليقة وبه اخذ
اصحابنا رحمهم الله واختلف عن علي وعبد الله بن عمر وابي الدرداء فروي عنهم مثل قول الاولين وروي
عنهم انه يوقف بعد مضي المدة فاما ان يفيء واما ان يطلق وهو قول عايشة رضي الله عنها وبه قال مالك
والشافعي رحمهما الله فان امتنع منهما فللشافعي قولان احدهما ان يحبسه الحاكم ولا يجبره على احد الامرين
والثاني يطلق عليه الحاكم وقال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله والزهري وعطاء وروايه ان
مضت اربعة اشهر فهي تطليقة رجعية ولفظ الاية يحتمل الوجوه التي حصل عليها اختلاف السلف ولولا
احتماله لها لما تاولوه عليها واختلافهم في هذا اجماع منهم على تسويغ الاجتهاد في الالفاظ المحتملة
فان قيل قوله تعالى فان الله سميع عليم يقتضي ان عزيمة الطلاق مسموعة ولا يكون ذلك الا بقول من الزوج
بعد الايلاء قلنا هذا القول لا يصح لان الله تعالى لم يزل سميعا ولا مسموع وقد قال الله تعالى وقاتلوا في سبيل
الله واعلموا ان الله سميع عليم وليس هنا كلام قول لان ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتمنوا لقاء
العدو واذا لقيتموهم فاثبتوا وعليكم بالصمت وقد استدل محمد بن الحسن رحمه الله في اية الايلاء على
امتناع جواز الكفارة قبل الحنث فقال لما حكم الله تعالى للمولي باحد حكمين من فيء او عزيمة طلاق دل ان الحكم
مقصور على احد هذين الامرين فلو كان تقديم الكفارة على الحنث يسقط الايلاء بغير فيء ولا عزيمة طلاق
لانه ان حنث لا يلزمه في الحنث شيء يسقط حكم الايلاء بغير ما ذكره الله تعالى وذلك خلاف الكتاب وبالله التوفيق
قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا
اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم
قال عبد الله بن عباس كان اهل الجاهلية يطلق الرجل امراته فان كان مشغولا كان احق برجعتها وان كان ساخطا
بنفسها كانت المراة اذا احبت زوجها قالت انا حبلى وليست حبلى ليراجعها وان كرهته وهي حبلى قالت
لست حبلى لكيلا يقدر على مراجعتها فجعل الله تعالى عدة المطلقات ثلاثة قروء ونهى النساء عن كتمان ما

أرحامهن من الحيض والحبل قال وكان في الجاهلية طلاق آخر وهو أن يطلق الرجل امرأته التطليقة الواحدة أو اثنتين فيكون أحق برجعتها ما لم تتزوج فإذا تزوجت غيره بطلت الرجعة وإن كان الطلاق ثلاثا كانت أحق بنفسها منه كما قال الأعشى لما قال له بنو هزان طلق امرأتك وكانت هزانية فطلقها واحدة بقوله • أجارتنا بيني فإنك طالقة • كذاك أمور الناس غاد وطارقة • فقالوا له عد فطلق الثانية فقال • وبيني حصان الفرج غير ذميمة • وموموقة إذ كنت فينا ووامقة • فقالوا أعد فقال • وبيني فإن البين خير من العصا • وأن لا ترى لي فوق رأسك بارقة • فعرفوا أنها بانت فقال • وذوقي فتى حي فإني ذائق • فتاة أناس مثل ما أنت ذائقة • ومعنى الآية والله تعالى أعلم والمطلقات يتربصن بأنفسهن ماذا يصنع بهن أزواجهن من المراجعة وترك المراجعة وقد اختلف السلف في المراد بالقروء المذكورة في هذه الآية قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم هي الحيض وقالوا إن الزوج أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة وبه أخذ أصحابنا رحمهم الله وقال ابن عمر وزيد بن ثابت وعائشة رضي الله عنهم هي الأطهار وإذا دخلت في الحيضة الثالثة فلا سبيل له عليها وبه قال مالك والشافعي رحمهم الله • وإنما اختلف السلف في هذه المسألة لأن القرء في اللغة عبارة عن الحيض وعن الطهر وهو من أسماء الأضداد والقروء جمع القرء قال أبو عبيدة رحمه الله هو خروج من شيء إلى شيء يقال قرأ النجم إذا طلع وقرأ إذا غاب فالمرأة تخرج من الحيض إلى الطهر ومن الطهر إلى الحيض وقال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله هو الوقت ويقال رجع فلان لقرئه وقارئه أي لوقته الذي كان يرجع فيه فالحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت قال الشاعر • يا رب ذي ضغن وضب فارض • له قروء كقروء الحائض • وأراد بذلك الحيض وقال آخر • أفي كل عام أنت جاشم غزوة • تشد لأقصاها عزيم عزائكا • مورثة مالا وفي الحي رفعة • لما ضاع فيها من قروء نسائكا • فأراد بالقرء الطهر فلما اختلف السلف رحمهم الله واختلف اللغة في هذا الاسم ولم يجز حمله على الأمرين جميعا وجب حمله على حقيقته دون مجازه واسم القرء حقيقة في الحيض مجاز في الطهر لأن كل طهر لا يسمى قرءا وإنما الطهر الذي يكون بين الحيضتين يسمى بهذا الاسم لمجاورته الحيض فلو كان هذا الاسم حقيقة في الطهر لكان لا ينتفي عنه بحال لأن الأسماء الحقائق لا تنتفي عن مسمياتها بحال وقد وجدنا هذا الاسم ينتفي عن طهر الآيسة والصغيرة فكان حمله على الحيض أولى من حمله على غيره وإذا اختلفت الأمة في ذلك كان المرجع فيها إلى لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المستحاضة تدع الصلاة أيام أقرائها وأراد بالأقراء الحيض واتفقت الصحابة أن عدة أم الولد بالحيض وكذلك الاستبراء في المملوكات بالحيض بالإجماع واعتبار الحيض أحوط لأنها تخرج عن العدة باعتبارها بيقين لأن من يعتبر الطهر يحتسب بالطهر الأول الذي وقع فيه الطلاق فيأخذ وخروجها من العدة عنده بشروعها في الحيضة الثالثة وفي الآية حصر القرء بالثلث فلو حملت على الأطهار لحملت على الطهرين وبعض الطهر الأول وذهب الزجاج رحمه الله إلى أن القرء الجمع من قولهم قرأت القرآن أي لفظت به مجموعا ويقال قريت الماء في الحوض وسمي الحوض مقراة قال وإنما يجتمع الدم في البدن في الطهر فهو القرء غير أن هذا الأمر لا يعلم الحقيقة لأن هذا من علم ما في الأرحام وقد خص الله تعالى نفسه بعلم ما في الأرحام ولا يمتنع أن يجتمع الدم في حالة الحيض قطرة أو قطرتين كالعصير وغير ذلك إذ لو اجتمع جملة لدر دررا لا ينقطع كالبول وسائر المائعات المجتمعة والله تعالى أعلم والمطلقة قبل الدخول مخصوصة من هذه الآية بآية أخرى وهو قوله يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن إلى آخر الآية وكذلك الحامل مخصوصة بآية أخرى روي أن رجلا من أشجع جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال طلقت امرأتي وهي حامل وقد ذهبت وأنا أخاف أن تطلق فتتزوج من بعدي فيكون ولدي له فأنزل الله تعالى قوله والمطلقات

يتربصن

يتربصن بأنفسهن إلى آخر الآية فردت امرأة الأشجعي على الأشجعي فقام معاذ بن جبل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الكبيرة التي يئست من المحيض من نسائكم ما عدتها فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر فقام آخر فقال يا رسول الله أرأيت الصغيرة التي لم تبلغ الحلم ما عدتها فنزل واللائي لم يحضن فقام رجل آخر فقال فالحوامل ما عدتهن فنزل وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن • وأما معنى قوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن تخويف من الله تعالى للمعتدات كيلا يكتمن ما خلق الله تعالى في أرحامهن من الحبل فيخبرن بانقضاء العدة لمدة تحتمل لتزوجن ويلزمن الولد لغير أبيه ولا يكتمن الحيض فيمتنعن عن الإخبار بانقضاء العدة ليستوجبن النفقة على أزواجهن وقوله تعالى إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس على طريق الشرط ولكن على معنى إن كن مؤمنات فينبغي أن يحجزهن إيمانهن عن كتمان ما في أرحامهن من الحيض والحبل وهذا كما يقال للرجل لا تظلم إن كنت مؤمنا فلا تظلم لا يكون هذا القول مطلقا للظلم لغير المؤمن لكن المعنى إن كنت مؤمنا فينبغي أن يحجزك إيمانك عن الظلم وفي قوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتمن دليل أن قول المرأة مقبول على أمرها حتى لو قالت حضت حرم على الزوج وطؤها وإذا قالت طهرت حل له وطؤها إذ لو لم يجب قبول قولها لم يكن لنهيهن عن الكتمان معنى ولا فائدة ولهذا قال أصحابنا رحمهم الله لو قال لامرأته أنت طالق إذا حضت فقالت حضت طلقت وكان قولها كالبينة في حق نفسها لأنا قبلنا قولها فيما يخصها من انقضاء عدتها وإباحة وطئها وحظره وفرقوا بين هذا وبين سائر الشروط نحو قوله إذا دخلت الدار وإن كلمت زيدا فقالوا لا يقبل قولها في سائر الشروط إلا ببينة فأما إذا علق عتق عبده بحيض زوجته فقالت حضت لم تصدق لأن ذلك حكم في غيرها لا يخصها ولا يتعلق بها فهو كغيره من الشروط فلا تصدق ومعنى قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن في ذلك أي أزواجهن أحق بمراجعتهن في الأجل الذي أمرن أن يتربصن فيه إن أرادوا بمراجعتهن حسن الصحبة والمعاشرة دون الإضرار والعدوان وذكر الرجعة في هذا تخصيص حكم في بعض ما انتظمه عموم أول هذه الآية لأن قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن عام في المطلقة الثلاث فما دونها وقوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن خاص فيمن كان طلاقها دون الثلاث وخصوص آخر الآية لا يمنع عموم أولها قال الله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه وهذا عام في المؤمنين والكافرين ثم قال وإن جاهداك لتشرك بي وهذا خاص في الوالدين الكافرين ولهذا نظائر كثيرة والبعولة جمع بعل مثل عمر وعمومة والهاء زائدة مؤكدة بمعنى تأنيث الجماعة يقال في جمع الذكر ذكارة وفي الحجر حجارة وفي الجمل جمالة وليس للجمع قياس معلوم وإنما يتبع في ذلك ما روي عن أهل اللغة ومعنى قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي لهن على الأزواج من الحق والحرمة وحسن المعاشرة مثل ما للأزواج عليهن من الحقوق بالمعروف واسم المعروف عام في كل ما يعرف من إقامة الحق بين كذلك لأن كل واحد يعرفه أنه حق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في خطبته بعرفات اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ومعنى قوله تعالى وللرجال عليهن درجة أي لهم زيادة فيما للنساء عليهم وهو الفضل بنفقتهن وقيامهم بما يصلحهن وفي العقل والميراث وأن يكون الرجل مسلطا على تأديب المرأة إذا نشزت وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قروح

تنقضي بالقبح والصديد ثم لجسنه ما ادت حقه ومعنى والله عزيز حكيم اي ملك غالب يامر بما اراد و
تحضن بما احب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما يامر من امر الدين والدنيا لا يامر شيا الا بالحكمة قوله
عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا
مما اتيتموهن شيا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون روى عن عروة بن الزبير وقتادة رضي الله عنهما في معنى اول هذه الاية ان
الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة وفي الاية ما يدل على
هذا القول لان الله تعالى عقبه بقوله تعالى فامساك بمعروف وعن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالاية
بيان طلاق السنة وقوله تعالى الطلاق مرتان لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر والندب كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وخشوع وفي لفظ المرتين دليل ان التفريق سنة
لان من طلق اثنتين معا لا يقال طلقها مرتين وليس في هذه الاية كيفية سنة التفريق وقد فسر الله سبحانه
بقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واراد بذلك والله تعالى اعلم تفريق الطلاق
على اطهار العدة الا ترى ان الله تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة وذكر الرجعة في سياق الاية بقوله تعالى لا
تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين طلق امراته
في حال الحيض ما هكذا امرك ربك انما امرك ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة فانها هي
العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النسآء وفي بعض الروايات قال النبي صلى الله عليه وسلم انما طلاق العدة
ان تطلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر رضي الله
عنه مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ثم ان شاء امسك بعد ذلك وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة امر الله تعالى ان يطلق لها النساء واما معنى قوله تعالى فامساك بمعروف
اي عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة اذا اردتم الرجعة او تسريح باحسان او تركهن
حتى ينقضي تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن والاحسان ان يوفي حقها من المهر ونفقة العدة
وان لا يطول العدة عليها لا لقصد رجعتها لكن ليطلقها اخرى فتلزمها عدة مستانفة وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية فقيل له اين التطليقة الثالثة قال النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى او تسريح باحسان واما قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا فان ابن
بن عباس رضي الله عنهما قال نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول وفي زوجها ثابت بن قيس كانت
تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يكاد يصبر عنها وكان بينهما كلام
فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يضربني ويسيء الي فقال لها ارجعي الى زوجك فاتته الثانية
وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها ولا ينظر في امرها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه فقالت يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال يا ثابت ما لك ولاهلك فقال
والذي بعثك بالحق ما على الارض شيء احب الي منها غيرك فقال لها لا تطيعني فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كنت احدثك اليوم
حديثا ينزل عليك خلافه هذا هو من اكرم الناس لزوجته لا اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني ابغضه
فلا انا ولا هو فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لي قل لها فلترد ها علي وانا اخلي سبيلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لها اتردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وزيادة فانزل الله تعالى

ولا يحل لكم

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيا الاية فقال صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا ثم قال لثابت
خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى الاية ولا يحل لكم
ان تاخذوا شيا مما اتيتموهن من المهر ولا غيره الا ان يخافا قال ابو عبيدة معناه يعلما ويوقنا
حقيقة الا ان يكون الاغلب عليهما على ما ظهر لهما من اسباب التباعد الخوف من ان لا يقيما حدود
ومن قرا يخافا على فعل ما لم يسم فاعله كان المعنى الا ان يخافا عليهما الا يقيما حدود الله وهو ما اوجب
الله تعالى للزوج على المراة وللمراة على الزوج وقد يذكر الخوف في معنى العلم كما قال ابو محجن الثقفي
اذا مت فادفني الى اصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني بالفلاة فانني
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها وقوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله اي علمتم بغالب
ظنكم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام على النكاح فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا حرج عليهما
في الاخذ والاعطاء ويقال معناه لا حرج على الزوج ان ياخذ ما افتدت به المراة نفسها مما اعطاه الزوج
قال الفرا الخذ كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج ذلك من احدهما كذلك في هذه الاية
اراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفي الحرج عن الزوج في الاخذ فاما المراة فهي مفتدية باختيارها ورضاها
وانما يباح للزوج ان يخلعها اذا كان النشوز من قبل المراة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لو اختلعت بكل شيء لها لاجزته وروي ان امراة نشزت فبعث الى عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعى بها فقال رضي الله عنه كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت ليالي منذ كنت
عنده اقر لعيني منهن فقال رضي الله عنه لزوجها اخلعها ولو من قرطها ونحن نقول بهذين الخبرين في
جواز الزيادة في القضا فاما من طريق الديانة فيكره للزوج ان ياخذ منها اكثر مما اعطاها لقول
النبي صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا واما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له اخذ شيء منها
ديانة لان الله تعالى قال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا
تاخذوا منهن شيا ومعنى قوله تعالى تلك حدود الله اي هذه الايات المنزلات من الاوامر و
النواهي فرايضه واحكامه فلا تعتدوها ولا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اي يتجاوز احكام الله
تعالى فيترك ما امره الله تعالى به او يفعل ما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم
والطلاق مصدر من طلقت المراة تطلق وقد يقال طلقت بضم اللام الا ان الاول افصح لانه يقال للمراة طالق
ولا يقال لها طليق ويسمى النعجة التي ترتع بقرب اهلها كالمهملة طالقا والتسريح في اللغة هو الاطلاق يقال
سرحت البعير اسرحه تسريحا اذا اطلقته وسرحت الماشية اسرحها اذا اطلقتها حتى ترعى وسرحتها
بنفسها تسرح سروحا اذا انطلقت بنفسها المرعى ويسمى المشط مسرحا كانه يطلق الشعر وفي الاية دلالة
جواز الرجعة بالفعل على ما هو المذهب عند اصحابنا رحمهم الله لان ظاهر الامساك والرد في اللغة يتناول
الفعل الا ان الاجماع قد انعقد على جواز الرجعة بالقول ايضا وقد اختلف السلف في الخلع انه طلاق او
فسخ وذهب بعض اهل العلم الى انه فسخ وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدلوا بظاهر هذه الاية
فقالوا ان الله تعالى ذكر الطلاق الثالث بعد هذه بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو
كان الخلع طلاقا لحصل الطلاق اكثر من ثلث فاما اكثر فقهاء الامصار رحمهم الله قالوا ان الخلع طلاق
وهو قول عمر وعثمن وعبد الله بن مسعود والحسن وابرهيم النخعي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين وليس في
ظاهر هذه الاية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا حكم مبتدا اذ الواو للاستيناف
الا انه يتوهم دليل الجمع لان الله تعالى ذكر في اول هذه الاية حكم الطلاقين بغير بدل وخيار الزوج بين ان
يراجعها في العدة او النكاح الاول حتى تنقضي عدتها ثم استانف بيان حكم الطلاقين اذا كانا على وجه الخلع وابان

الألوكة www.alukah.net

تشغف بالغيظ والصديد ثم لحسنة ما ادت حقه ومعنى والله عزيز حكيم اي ملك غالب يامر بما اراد و
عصى بما احب فينتقم ممن عصاه وهو ذو حكمة فيما يامر من امر الدين والدنيا لا يامر شيئا الا بالحكمة قوله
عز وجل الطلاق مرتان فإمساك بمعروف او تسريح بإحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا
جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون روى عن عروة بن الزبير وقتادة رضي الله عنهما في معنى اول هذه الآية ان
الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان فانه بعد الطلقة الثالثة لا يملك الرجعة وفي الآية ما يدل على
هذا القول لان الله تعالى عقبه بقوله تعالى فامساك بمعروف وعن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالآية
بيان طلاق السنة وقوله تعالى الطلاق مرتان لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر والندب كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وخشوع وفي لفظ المرتين دليل ان التفريق سنة
لان من طلق اثنتين معا لا يقال طلقها مرتين وليس في هذه الآية كيفية سنة التفريق وقد فسر الله سبحانه
بقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واراد بذلك والله تعالى اعلم تفريق الطلاق
على اطهار العدة الا ترى انه تعالى خاطب الرجال باحصاء العدة وذكر الرجعة في سياق الآية بقوله تعالى لا
تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي بعد هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر حين طلق امرأته
في حال الحيض ما هكذا امرك ربك انما امرك ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة فانها هي
العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وفي بعض الروايات قال النبي صلى الله عليه وسلم انما طلاق العدة
ان تطلقها طاهرا من غير جماع او حاملا قد استبان حملها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر رضي الله
مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر ثم ان شاء امسك بعد ذلك وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء واما معنى قوله تعالى فامساك بمعروف
اي عليكم امساكهن بحسن الصحبة والمعاشرة اذا اردتم الرجعة او تسريح باحسان او تركهن
حتى ينقضي تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن والاحسان ان يوفي حقها من المهر ونفقة العدة
وان لا يطول العدة عليها لا يقصد رجعتها لكن ليطلقها اخرى فيلزمها عدة مستانفة وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الآية فقيل له اين التطليقة الثالثة قال النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى او تسريح باحسان واما قوله تعالى ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا قال
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول وفي زوجها ثابت بن قيس كانت
تبغضه بغضا شديدا لا تقدر على النظر اليه وكان يحبها حبا شديدا لا يكاد يصبر عنها وكان بينهما كلام
فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يضربني ويسيء الي فقال لها ارجعي الى زوجك فاتته الثانية
وبها اثر الضرب فشكت اليه فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها ولا ينظر في امرها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها واريته اثارا بها من ضربه فقالت يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال يا ثابت ما لك ولاهلك فقال
والذي بعثك بالحق ما على الارض شيء احب الي منها غيرك فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كنت احدثك اليوم
حديثا ينزل عليك خلافه هذا هو من اكرم الناس لزوجته لا اعتب عليه في دين ولا خلق ولكني ابغضه
فلا انا ولا هو فقال ثابت قد اعطيتها حديقة لي فقل لها فلترد علي وانا اخلي سبيلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لها اتردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم وزيادة فانزل الله تعالى

ولا يحل لكم

ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الآية فقال صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا ثم قال لثابت
خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى الآية ولا يحل لكم
ان تأخذوا شيئا مما آتيتموهن من المهر ولا غيره الا ان يخافا قال ابو عبيدة معناه يعلما ويوقنا
حقيقة الا ان يكون الاغلب عليهما على ما ظهر لهما من اسباب التباعد الخوف من ان لا يقيما حدود
ومن قرا يخافا على فعل ما لم يسم فاعله كان المعنى الا ان يخاف عليهما الا يقيما حدود الله وهو ما فرض
الله تعالى للزوج على المراة وللمراة على الزوج وقد يذكر الخوف في معنى العلم كما قال ابو محجن الثقفي شعر
اذا مت فادفني الى اصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها ولا تدفنني بالفلاة فانني
اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها واما قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله اي علمتم بغالب
ظنكم ان لا يكون بينهما صلاح في المقام على النكاح فلا جناح عليهما فيما افتدت به اي لا حرج عليهما
في الاخذ والاعطاء ويقال معناه لا حرج على الزوج ان يأخذ ما افتدت به المراة نفسها مما اعطاها الزوج
قال الفراء هذا كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج ذلك من احدهما كذلك في هذه الآية
اراد بقوله تعالى فلا جناح عليهما نفي الحرج عن الزوج في الاخذ فاما المراة فهي مفتدية باختيارها ورضاها
وانما يباح للزوج ان يخلعها اذا كان النشوز من قبل المراة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال لو اختلعت بكل شيء لها لاجزته وروي ان امراة نشزت فبعث الى عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعى بها فقال رضي الله عنه كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت ليالي منذ كنت
عنده اقر لعيني منهن فقال رضي الله عنه لزوجها اخلعها ولو من قرطها وفي هذا دليل بهذين الخبرين
جواز الزيادة في القضاء فاما من طريق الديانة فيكره للزوج ان يأخذ منها اكثر مما اعطاها لقول
النبي صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا واما اذا كان النشوز من قبل الزوج فلا يحل له اخذ شيء منها
ديانة لان الله تعالى قال وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا
تأخذوا منه شيئا ومعنى قوله تعالى تلك حدود الله اي هذه الآيات المنزلات من الاوامر و
النواهي وفرائضه واحكامه فلا تعتدوها ولا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله اي يتجاوز احكام الله
تعالى فيترك ما امر الله تعالى به او يعمل بما نهاه فاولئك هم الظالمون الضارون لانفسهم بمعصيتهم
والطلاق مصدر من طلقت المراة تطلق وقد يقال طلقت بضم اللام والاول افصح لانه يقال للمراة طالق
ولا يقال لها طليق وسمي النجد الذي يرتفع بقرب اهلها كالمهلة طالقا والتسريح في اللغة هو الاطلاق يقال
سرحت البعير اسرحه تسريحا اذا اطلقته وسرحت الماشية اسرحها اذا اطلقتها حتى ترعى وسرحت لها
بنفسها تسرح سروحا اذا انطلقت بنفسها للرعي ويسمى المشط مسرحا لانه يطلق الشعر وفي الآية دلالة
جواز الرجعة بالفعل على ما هو المذهب عند اصحابنا رحمهم الله لان ظاهر الامساك والرد في اللغة يتناول
الفعل الا ان الاجماع قد انعقد على جواز الرجعة بالقول ايضا وقد اختلف السلف في الخلع انه طلاق او
فسخ ذهب بعض اهل العلم الى انه فسخ وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما واستدلوا بظاهر هذه الآية
قالوا ان الله تعالى ذكر الطلاق الثالث بعد هذه بقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فلو
كان الخلع طلاقا لحصل الطلاق اكثر من ثلث فاما اكثر فقهاء الامصار رحمهم الله قالوا ان الخلع طلاق
وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود والحسن وابراهيم النخعي وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين وليس في
ظاهر هذه الآية دليل ان الخلع فسخ لان قوله تعالى ولا يحل لكم ان تأخذوا حكم مبتدا اذ الواو للاستيناف
الا ان يقوم دليل الجمع فكان الله تعالى ذكر في اول هذه الآية حكم الطلاقين بغير بدل وحق الزوج بين ان
يراجعها في العدة الى النكاح الاول حتى تنقضي عدتها ثم استانفها حكم الطلاقين اذا كانا على وجه الخلع والابانة

الألوكة www.alukah.net

عن موضع الحظر والاباحة فيها ثم ذكر حكم التطليقة الثالثة بالاية التي بعد هذه الاية وهذا مما يستدل به على ان المختلعة يلحقها الطلاق لان عامة فقهاء الامصار اتفقوا على ان تقدير الاية وترتيب احكامها على ما وصفناه فحصلت التطليقة الثالثة بعد الخلع والله تعالى اعلم قوله عز وجل فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ المعنى والله تعالى اعلم الطلقة الثالثة التي في قوله تعالى او تسريح باحسان فلا تحل له من بعد الطلقة الثالثة حتى يتزوج زوجا غير الزوج الاول ويدخل بها ويطلقها اذ لا خلاف بين اهل العلم ان دخول الزوج الثاني بها شرط في اباحتها للزوج الاول الا ما روي عن سعيد بن المسيب رحمه الله رواية شاذة انه لم يجعله شرطا ولم يتابعه احد على ذلك وانما جعل دخول الزوج الثاني شرطا لمفهوم الاية وورود السنة اما مفهوم الاية فلان الله تعالى قال حتى تنكح زوجا غيره والنكاح هو الوطء في الحقيقة وذكر الزوج يفيد العقد لاستحالة ان يكون زوجا من غير عقد وكان قوله تعالى حتى تنكح كناية مفيدة مغنية عن التصريح واما السنة فما روي ان رفاعة القرظي طلق امراته ثلثا فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تريد ان ترجع الى زوجها الاول فقال صلى الله عليه وسلم هل جامعك عبد الرحمن فقالت ما الذي معه الا كهدبة ثوبي هذا فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى زوجك الاول قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك فقدمت على مقالتها فقالت يا رسول الله قد اطاف بي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اصدقك الآن واما قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره فهو غاية للتحريم الموقع بالثالثة واذا وطيها الزوج الثاني ارتفع ذلك التحريم من حيث انها تحت زوج كسائر النساء الاجنبيات فمتى فارقها الثاني وانقضت عدتها حلت للاول وذلك قوله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا اي ان طلقها الزوج الثاني بعد ما دخل بها فلا حرج على المراة والزوج الاول ان يتراجعا بان يتزوجها مرة اخرى بعد انقضاء العدة وقوله تعالى ان ظنا ان يقيما حدود الله اي يتراجعا ان علما او غالب ظنهما انهما يقيمان حدود الله تعالى فيما بينهما لانهما قد افترقا وراى الزوج وحدته وراءت المراة عزبتها ووحشتها والحكمة في شرط دخول الزوج الثاني بها والله اعلم ان الطلاق لما كان من ابغض المباحات الى الله عز وجل على ما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ابغض المباحات الى الله عز وجل الطلاق شرط الله تعالى في حرمة الطلقة الثالثة ما يكبر على الازواج من غشيان الغير تلك النساء حتى لا يعجلوا بالطلاق عند الغضب ولا يطلقوا الا على وجه السنة وذهب بعض المفسرين الى ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون النساء بغير عدد ويراجعوهن بغير عدد فجعل الله تعالى الطلاق محصورا والرجعة محدودة واما قوله تعالى وتلك حدود الله اي هذه التي ذكرت احكام الله تعالى وقرا بعضهم بتبينها في القران ويقرا نبينها بالنون لقوم يعلمون ان اوامر الله تعالى ووافق ما ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق وتخصيص العلماء في الاية لانهم هم الذين يحفظون اوامر الله تعالى واحكامه وينتفعون بالايات وقيل خصهم الله تعالى بالذكر على جهة النباهة لهم كما خص الله تعالى جبريل وميكائيل من بين الملائكة على جهة النباهة لهما وقد اتفق السلف في من بعدهم من فقهاء الامصار على الزوجين المملوكين خارجان من قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف واتفقوا على ان الرق يوجب نقصان الطلاق وان العبد اذا طلق زوجته الامة تطليقتين لم تحل له الا بعد زوج اخر فاما اذا كان احد الزوجين حرا والاخر مملوكا فان اصحابنا رحمهم الله اعتبار عدد الطلاق بالنساء وهو قول علي وابن مسعود قالوا اذا كانت المراة حرة فطلاقها ثلث سوا

كان زوجها حرا او عبدا وان كانت امة فطلاقها ثنتان سوا كان زوجها حرا او عبدا وقال عثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس اعتبار عدد الطلاق بالرجال وهو قول مالك والشافعي رحمهما الله وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ويدل على ذلك ما تقدم ذكره ان الاعتبار في تفريق الطلاق المسنون باطهار العدة واذا كانت المراة امة ولا خلاف ان عدتها حيضتان ولو جعلنا الطلاق بالزوج وهو حر لم يمكنه تفريق الثلث على اطهار عدتها لان عدتها تنقضي قبل وجود الطهر الثالث قوله عز وجل وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ نزلت في ثابت بن يسار الانصاري طلق امراته فلما ارادت ان تبين منه راجعها ثم طلقها فما زال يضارها بالطلاق ويراجعها ليمنعها من الازواج ومعنى الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم النساء تطليقة او تطليقتين فبلغن اجلهن اي قاربن وقت انقضاء عدتهن فامسكوهن بمعروف اي احبسوهن بالرجعة على حسن الصحبة لا لتطويل العدة او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن بمعروف حتى تنقضي تمام اجلهن ويكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تحبسوهن في العدة اضرارا ولا حاجة لكم اليهن والضرار ان يطلقها ثم يدعها حتى اذا حاضت ثلثا راجعها ثم يطلقها اخرى ثم يذرها حتى تحيض ثلثا ثم يراجعها ثم يطلقها الثالثة ثم يذرها حتى تحيض ثلثا فيمنعها من التزوج الى انقضاء تسع حيض ومعنى لتعتدوا عليهن اي تظلموهن وقيل لتستوفوا العدة عليهن كما قال الله تعالى في اية اخرى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها اي تستوفونها وهذا كما يقال اعتددت الحق واكتلت الحق اذا استوفاه بالوزن او الكيل وقوله تعالى ومن يفعل ذلك يعني الضرار فقد ظلم نفسه اي عرضها لعذاب الله تعالى باتيان ما نهى الله تعالى عنه ومعنى ولا تتخذوا ايات الله هزوا الا تتركوا ما حد الله تعالى لكم في امر الطلاق وغير ذلك فتكونوا مقصرين لاعبين وهذا كما يقول الرجل الذي لم يتوان في الامر انما انت لاعب ومعنى ابي الدرداء وابي موسى الاشعري والحسن رضي الله عنهم قالوا كان الرجل يطلق امراته او يعتق عبده ثم يقول انما كنت لاعبا فانزل الله تعالى هذه الاية ولا تتخذوا ايات الله هزوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلق لاعبا او اعتق لاعبا فقد جاز عليه اي نفذ عليه وحكم الرجعة في هذا حكم الطلاق والعتاق لان الله تعالى ذكر قوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا عقيب الامساك والتسريح فهو عائد اليهما ومما يؤكد هذا التاويل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق وفي بعض الروايات الطلاق والنكاح والرجعة ومعنى واذكروا نعمة الله عليكم احفظوا منة الله تعالى عليكم في امور الدين وقوله تعالى وما انزل عليكم من الكتاب اي اذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب اي القران والحكمة وهي فقه الحلال والحرام يعظكم به ينهاكم عن الضرار وسائر المعاصي وقوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله بكل شيء من اعمالكم من العدل والجور عليم عالم يجزيكم على الخير والشر والاجل في اللغة هو غاية الوقت الموقت لحلول الدين وغيره كذلك يقال اجل باجل اجلا اذا تاخر واجلت الاجل تاجيلا اذا اخرته عن غيره واعلم ان قوله تعالى في هذه الاية فبلغن اجلهن على مقاربة انقضاء العدة لان الله تعالى خص الرجعة في الايات المتقدمة حال العدة حيث قال جل ذكره وبعولتهن احق بردهن في ذلك فلا يمكن حمل قوله تعالى فبلغن اجلهن على انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن

الألوكة
www.alukah.net

رجعتها وهذا كما يقول القايل بلغنا المدينة وبلغنا القرية اذا قرب منها ونظير ذلك قول الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله اى اذا اردت قراة القران وكذلك قوله تعالى واذا قلتم فاعدلوا ليس المراد به العدل بعد القول ولكنه العزم قبل القول على ان لا يقولوا الا عدلا ومن الناس من يحتج بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان في ايجاب الفرقة بين المعسر العاجز عن النفقة وبين امراته لان الله عز وجل انما خيرهم بين احد شيئين فاذا عجز عن احدهما تعين عليه الثاني وهذا الاحتجاج بعيد من الاية لان العاجز عن نفقة المراة ممسك بالمعروف اذ لم يكلف الانفاق في هذه الحالة قال الله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها وغير جايز ان يقال ان المعسر ممسك بالمعروف اذ ترك الامساك بالمعروف ذم والعاجز غير مذموم ولو كان مذموما لكان اصحاب الصفة وفقرا الصحابة الذين عجزوا عن الانفاق على انفسهم فضلا عن نسايهم غير ممسكين بالمعروف فيجب ان يستحقوا الذم على ذلك وهذا محال من القول وفي الاية دليل ثبوت حكم الرجعة وان قصد الزوج اضرارها بالرجعة لان الله تعالى نهى عن ذلك فاما نفسه ولو لم يثبت الرجعة بفعله لما كان بها ظالما لنفسه قوله عز وجل وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ روى عن الحسن وقتادة انهما قالا نزلت هذه الاية في معقل بن يسار كانت اخته تحت ابي البداح عبد الله بن عاصم فطلقها تطليقة واحدة ثم تركها حتى انقضت عدتها ثم ندم على طلاقه اياها فخطبها فرضيت المراة بذلك ان تراجعه وابى اخوها معقل وقال لها اني اخترته على اشراف قومي فطلقك ثم تريدين ان تراجعيه وجهي من وجهك حرام ابدا ان تزوجتيه فانزل الله تعالى هذه الاية ينهى معقلا عما صنع ومعنى الاية والله تعالى اعلم واذا طلقتم النسا واحدة او اثنين فبلغن اجلهن يعني انقضت عدتهن والمراد ببلوغ الاجل في هذه الاية حقيقة البلوغ بانقضا العدة فلا تعضلوهن اى لا تمنعوهن ان ينكحن ازواجهن الذين كانوا ازواجا لهن من قبل وقيل من رضين بهم ازواجا لهن وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم بالمعروف اى اذا تراضوا بنكاح جديد ومهر وشهود مما لا يكون مستنكرا في عقل ولا عادة ولا خلق وقوله تعالى ذلك يوعظ به اى ذلك الذي ذكر النهي عن العضل يوعظ به من كان منكم يصدق بالله وبيوم البعث ذلكم ازكى لكم يعني ان لا تمنعوها خير لكم وادخل في التزكية من المنع لهن واطهر من الذنب والله يعلم حب كل واحد منهما لصاحبه وانتم لا تعلمون ذلك ويقال يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والآجل ويعلم ما يزكيكم مما يرديكم وانتم لا تعلمون ذلك فلما نزلت هذه الاية دعا النبي صلى الله عليه وسلم معقلا فقرا الاية عليه وقال ان كنت تومن بالله واليوم الاخر فلا تمنع اختك من ابي البداح فقال اني مومن بالله واليوم الاخر واشهدكم اني قد انكحته والعضل في اللغة معنيان احدهما المنع يقال عضل الرجل المراة يعضلها ويعضلها اذا منعها عن الازواج ظلما واعضل الداء الاطبا اذا اعياهم عن معالجته ويقال دا عضال ومسالة معضلة والاخر التضييق يقال عضل الفضا بالجيش اذا ضاق بهم وعضلت المراة بولدها اذا عسر خروجه من بطنها وعضلت الدجاجة اذا احتبس الفرخ في بيضتها فلم يخرج والمعنيان متقاربان لان الامر الممتنع يتضيق فعله وعن الشعبي رحمه الله انه سيل عن مسالة مشكلة فقال زباء ذات وبر لا تنساق ولا تنقاد لو نزلت باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لاعضلت بهم وانما جعل الله تعالى الامتناع من العضل ازكى لنا من العضل لان العضل

ربما

ربما يودي الى ارتكاب المحظور على غير وجه العقد ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وفي الاية دلالة جواز نكاح المراة على نفسها اذا عقدت بغير اذن الولي لان الله تعالى اضاف العقد اليها ونهى الولي عن عضلها اذا تراضى الزوجان بالمعروف ويدل على ذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يتراجعا وقوله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف فان قيل كيف قال الله تعالى ذلك يوعظ به ولم يقل ذلكم مع كونه خطابا للجماعة قيل قد اختلفوا في ذلك قال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقال بعضهم ذلك راجع الى القبيل كانه قال ذلك ايها القبيل او الحزب ويجوز افراد ذلك في مثل هذه المخاطبات على هذا الطريق ويجوز رجعه على اصل الكلام ويجوز ان يثنى في التثنية نحو قوله تعالى ذلكما مما علمني ربي وقال جل ذكره قالت فذلكن الذي لمتنني فيه فكان جمع الخطاب في قوله تعالى ذلكم ازكى لكم على اصل الكلام قوله عز وجل وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ورد هذه الاية على لفظ الخبر ومعناه الامر كانه قال ليرضع الوالدات كما قال الله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ويقال حسبك درهم يراد به اكتف بدرهم يدل على ذلك انه لو كان قوله والوالدات يرضعن خبرا لما وجد مخبره على خلاف ما اخبر الله تعالى فلما كان من الوالدات من لا يرضع علم انه لم يرد به الخبر فكان هذا محمولا في حال قيام النكاح على الاوامر الواجبة من طريق الدين لا من جهة الحكم فانها اذا امتنعت من الرضاع لم يكن للزوج ان يجبرها على ذلك من حيث الحكم وان ارضعت لم تستحق نفقة الارضاع مع بقاء الزوجية ولا يجتمع لها نفقتان احداهما للزوجية والاخرى للارضاع وقال بعض المفسرين في الاية اثبات حق ارضاع للام وبيان مدة الرضاع المستحق على الوالد فان الوالد لو امتنع من الرضاع في الحولين اجبر عليه كما قال الله تعالى في اية المطلقات فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن وقال جل ذكره وان تعاسرتم فسترضع له اخرى قال بعضهم هذا بيان مدة الرضاع الموجب للحرمة وهذا لا يصح لان الاية وردت في ارضاع الوالدة ولدها وارضاع الوالدة لا يوجب الحرمة فان الحرمة انما ثبتت بين الوالدة والولد بالعلوق لا بالرضاع فان قيل كيف قال الله تعالى حولين كاملين والحولان لا يكونان الا كاملين قيل لازالة الايهام فان الانسان قد يقول اقمت عند فلان سنتين اذا كان قريبا من سنتين وسرت شهرا اذا كان قريبا من شهر وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة اى لمن اراد من الاباء ان يتم الرضاعة المفروضة عليه وقوله تعالى وعلى المولود له رزقهن يعني على الاب نفقتهن وكسوتهن بالمعروف كما يعرف انه العدل يكون ذلك اجرة لهن على الرضاع اذا كان ارضاع الولد بعد الفراق وقوله تعالى لا تكلف نفس الا وسعها اى لا يجبر الاب على النفقة والكسوة الا مقدار طاقته قال الثوري والضحاك هذا في المطلقات دون الزوجات لان الله تعالى قابل هذه النفقة بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بالارضاع وانما تجب بسبب الزوجية وقوله تعالى لا تضار والدة بولدها قال ابن عباس لا ينتزع منها ولدها ويعطي غيرها بمثل الاجر الذي تقبل الام الولد به وقوله تعالى ولا مولود له بولده قال لا تطرح المراة الولد

الألوكة
www.alukah.net

الى الاب بعد ما عرفها ولا يقبل ثدي غيرها وهذا التأويل ظاهر على قراءة الرفع لا تضار على فعل ما لم يسم فاعله واصله لا تضارَر فاما على قراءة النصب لا تضارَّ فيجوز انه كان في الاصل لا تضارِرْ فاسقطت النون من اخره وبقيت حركة الراء دليلا على سقوط النون وجعل الزجاج رحمه الله قوله تعالى لا تضارَّ بالنصب نهيا للوالدة عن الاضرار بالولد و قوله تعالى ولا مولود له بولده نهيا للوالد عن الاضرار بولده وقال معنى الاية لا تتركوا الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فيضر بالولد لان الوالدة اشفق على ولدها من الاجنبية ولا ياخذ الاب الولد من امه قصدا للاضرار بها فيضر بولده او لا تمنعها الاجرة فيضر بولده قال رحمه الله وموضع لا تضار جزم على النهي اصله لا تضارر فادغمت الراء الاولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين لانها لما ادغمت سكنت والاصل عند التقاء الساكنين الفتحة فيما كان قبله الف او فتحة ويجوز ان تكون قراءة الرفع على هذا التأويل الذي ذكره الزجاج على لفظ الخبر عن فعل المراة ومعناه النهي و قوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك يعني على وارث الولد اذا لم يكن للمولود اب مثل ما على الاب من النفقة والكسوة وترك المضارة قال عمر والحسن انه على العصبات دون اصحاب الفرائض وقال قتادة انه على الوارث من العصبات واصحاب الفرائض جميعا على كل واحد منهم بمقدار نصيبه من الميراث الا انه لم يشترط ان يكون الوارث ذا رحم محرم من الولد وقد شرط اصحابنا رحمهم الله ذلك و قوله تعالى فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي ان اراد الابوان فطام الصبي من اللبن دون الحولين بتراضيهما ومشاورتهما فلا اثم عليهما في ذلك وعن ابن عباس ان معناه ان ارادا فصالا قبل الحولين او بعدهما بتراضيهما فلا جناح عليهما فان تشاقا رجعا الى الحولين و قوله تعالى وان اردتم يعني الاباء والامهات ان تسترضعوا اولادكم غير الوالدة فلا اثم عليكم و قوله تعالى اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف يعني اذا كان تسليمكم ما اعطيتم من اجرة الرضاع على ما تراضيتم به وقيل معنى اذا سلمتم اي اذا سلّمتم ما اعطاه بعضكم لبعض من التراضي بذلك ومن قرا ما اتيتم بالقصر فمعناه ما جئتم وقيل في معنى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي ان اردتم ان تسترضعوا بعد الحولين لهلاك ان الولد لا يصبر عن اللبن فلا جناح عليكم و قوله تعالى واتقوا الله اي اخشوه في الضرار ومخالفة امر الله تعالى واعلموا ان الله بما تعملون من العدل والجور في اولادكم ونسائكم بصير عالم يجزيكم به والكلف في اللغة هو الحمل على الغير على وجه المشقة وهو ماخوذ من الكلف الذي يكون في الوجه وهو الاثر سمي به لكلفة المكلف تظهر عليه اثر المشقة والوسع الطاقة ماخوذ من سعة الطريق الى العرض فان سعة الطريق عكس من عرض الطريق كذلك الوسع ما اتسع للانسان فيطيقه والطاقة تمكن فيما يطيقه الانسان والفصال الفطام فصالا لانفصال المولود من الاغتذاء بثدي امه الى غير ذلك من الاقوات واصل الفصل القطع والتفريق والتبصير تفعيل من البصارة يقال بصر بالشيء اذا علمه والبصر رؤيته بعينه اذا راه والتشاور من المشاورة وهي استخراج الراي بالراي من قولهم شرت العسل اشوره شورا واشرته اشارة و قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن دلالة ان الام احق بامساك الولد ما دام صغيرا وان استغنى عن الرضاع بعد ان يكون ممن يحتاج الى الحضانة ولهذا قالوا ان الام اذا لم تختر ان ترضع الولد بعد الطلاق واختارت ان يكون الولد عندها امر الزوج ان يستاجر ظئرا لترضعه في بيت ام الرضيع واما تاويل ذكر الحولين في مدة الرضاع محمول على قول ابي حنيفة رحمه الله على بيان مقدار استحقاق نفقة الرضاع وفي الاية ما يدل على ذكره على حسب ما تقدم ذكره فاما اكثر مدة الرضاع في ثبوت حكم الحرمة ثلثون شهرا على ما ذكره

وعن عكرمة عن عبد الله بن عباس انه كان يقول في قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا في هذه الاية اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان الله تعالى قال في اية اخرى وفصاله في عامين وكان يقول اذا كان الحمل ستة اشهر كانت مدة الرضاع سنتين واذا كان الحمل تسعة اشهر كان مدة الرضاع سنة وتسعة اشهر وعلى هذا مهما زاد في الحمل شهر نقص من الرضاع بازائه وهذا يقتضي ان الحمل اذا بلغ سنتين ان المراة لا ترضع ولدها الا ستة اشهر وكان ابو حنيفة رحمه الله يحمل قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا على ذكر الحمل على الايدي مع بيان اكثر مدة الرضاع والله تعالى اعلم وفي ايجاب نفقة الرضاع على الاب دلالة وجوب نفقة الاولاد الصغار والكبار من الاناث والرجال الزمنى على الاب و قوله تعالى رزقهن وكسوتهن بالمعروف يقتضي وجوب النفقة على مقدار الكفاية مع اعتبار حال الزوج في العسر واليسار لانه ليس من المعروف الزام المعسر اكثر مما يقدر عليه وفيه دلالة على جواز استيجار الظئر بطعامها وكسوتها فان قيل كيف تجب نفقة الرضاع عندكم بعد موت الاب على قدر الميراث وقد قلتم ان الصبي اذا كان له خال وابن عم كانت النفقة على الخال والميراث لابن العم قلنا ليس المراد بالاية حصول الميراث لان الميراث لا يكون في حالة الحيوة وبعد الموت لا يدرى من يرثه وجائز ان يحدث له من الورثة من يحجب من اوجبنا عليه النفقة وكان المراد بالاية والله اعلم ذا رحم محرم من اهل الميراث فان ايجاب هذه النفقة على طريق صلة الرحم وابن العم ليس بذي رحم محرم والخال وان يكن وارثا في هذه الحالة فهو من اهل الميراث وهو ذو رحم محرم قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية ان الذين يموتون منكم ويتركون نساء من بعدهم ينتظرن في عدتهن مضي اربعة اشهر وعشر لا يتزوجن ولا يتزين في هذه المدة فاذا بلغن اجلهن يقول انقضت عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن اي لا حرج عليكم في تركهن بعد انقضاء هذه المدة ليتزين بزينة لا ينكر مثلها ويتزوجن من الاكفاء ويفعلن كل معروف والله بما تعملون من الخير والشر خبير عالم يجزيكم به فان قيل الذين اسم موصول ويتوفون ويذرون من صلته وجملته مبتدأ ويتربصن فعل الازواج لا فعل الذين ولا فيه ضمير عايد الى الذين فبقي المبتدا بلا خبر والمبتدا لا يخلو من خبر اسما كان او فعلا وليس من ذلك هاهنا شيء قيل له قال ابو العباس المبرد في الاية ضمير وتقديره ازواجهم يتربصن لان الفعل يدل على الفاعل وقال الاخفش تقديره يتربصن من بعدهم اربعة اشهر حتى يكون الضمير عايدا الى الذين وذكر الزجاج ان النون في قوله يتربصن قايم مقام الازواج كناية عنها لا محالة فصار كالتصريح وهذا كما يقال الذي يموت ويخلف ابنتين يرثان الثلثين معناه يرث ابنتاه الثلثين وظاهر لفظ العشر يتناول الليالي الا ترى انه يقال للايام عشرة ايام وانما غلب لفظ التانيث في الاية فقيل عشرا لان العرب تقدم الليل على النهار ويعدون اول كل شهر من الليلة الا ترى انهم يصلون التراويح اذا راوا الهلال هلال رمضان ويدعونها اذا راوا هلال شوال ومن عادتهم انهم اذا ذكروا احد العددين على سبيل الجمع ارادوا مثله من العدد الاخر كما قال الله تعالى في قصة زكريا عليه السلام قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا وقال في موضع اخر ثلث ليال سويا والقصة واحدة فعبر تارة بالايام عن الليالي وتارة بالليالي عن الايام والحكمة في تقدير عدة الوفاة باربعة اشهر وعشر ما روي عن عبد الله بن مسعود انه قال

شبكة الألوكة www.alukah.net

يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة
ثم ينفخ فيه الروح في عشرة ايام فيكتب اجله ورزقه وانه شقي او سعيد فيجوز ان الله تعالى قدر
هذه المدة في عدة الوفاة ليظهر انها حامل او حايل واختلف في ان الحامل داخلة تحت هذه الاية او لا قال
عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم ان الحامل تخرج من العدة اذا
وضعت حملها وان كان زوجها على السرير حتى قال عبد الله بن مسعود من شاء باهلته ان قوله تعالى
واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله تعالى اربعة اشهر وعشرا وقال علي كرم الله وجهه عدة الحامل
المتوفى عنها زوجها تنقضي بابعد الاجلين وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن في المطلقة او المتوفى عنها زوجها قال
صلى الله عليه وسلم فيهما جميعا وروي ان سبيعة بنت الحرث وضعت حملها بعد موت زوجها
بايام فارادت ان تتزوج فرآها ابو السنابل فقال اتريدين ان تتزوجي قالت نعم قال كلا انه اخر
الاجلين فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له فقال صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنابل اذا اتاك من يريدك
فاعلميني واكثر السلف رحمهم الله على ان عدة المتوفى عنها زوجها باربعة اشهر وعشر من يوم موت الزوج
فاما ما روي عن علي كرم الله وجهه انها تعتد من يوم ياتيها الخبر فمحمول على انه اذا اخفي عليها
وقت الموت كان الاحتياط ان تحتسب عدتها من يوم ياتيها الخبر ويحتمل ان يكون المراد به انها
تجتنب ما تجتنبه المعتدة من الزينة والخروج من يوم علمت ولا خلاف بين الفقها رحمهم الله في
مدد العدة بالشهور واجل الايلا والايمان والاجارات اذا عقد على الشهور مع روية الهلال
ان الاعتبار بالاهلة فاما اذا كان ابتدا المدة في بعض الشهر روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه يحتسب
لكل شهر ثلثون يوما وروي عنه في رواية اخرى انه يحتسب بما بعد من الاهلة شهورا ويكمل من
الشهر الاخر ما بقي من الشهر الاول تتمة ثلثين يوما وهو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومالك والشافعي
رحمهم الله واجمع اهل التفسير على ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وان كانت هذه الاية متقدمة على تلك الاية في التلاوة
واجمع العلما الا ابا بكر الاصم ان اربعة اشهر وعشرا عدة الحرة دون الامة وان عدة الامة تنقضي بشهرين
وخمسة ايام وكان ابو بكر الاصم رحمه الله يقول ان عدتهما جميعا تنقضي باربعة اشهر وعشرة لان ولد الامة
انما ينفخ فيه الروح في الوقت الذي ينفخ فيه الروح في ولد الحرة فالجواب عن هذا ان يقال ان خبر عبد الله
صحيح من اخبار الاحاد لا يوجب حقيقة العلم ولما اجمعوا ان الرق ينصف عدة الاقرا وعدة الشهور
في الايسة والصغيرة كذلك وجب ان ينصف عدة الوفاة قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا
الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا
ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم روي عن عبد الله بن عباس رضي
الله قال التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة اني اريد النكاح واحب امراة من صفتها كذا وكذا فيصفها
بالصفة التي عليها حتى تعلم رغبته فيها وقيل هو ان يقول لها الخاطب انك لتعجبيني وارجو ان يجمع
الله تعالى بيني وبينك او يقول باليت لي مثلك وان قضى الله امرا كان ومعنى الاية والله تعالى اعلم
لا حرج عليكم فيما عرضتم به من خطبة النسا اللواتي هن في عدة من موت او طلاق باين او ثلاث وقوله تعالى
او اكننتم في انفسكم او اضمرتم واخفيتم في قلوبكم العزم على النكاح علم الله انكم ستذكرونهن في العدة لرغبتكم
فيهن وخوفكم سبق غيركم اليهن ولكن لا تواعدوهن سرا اي لا تواعدها ايها الخاطب في السر ولا

تواعدها

ولا تواعدها الا تتزوج غيرك وقيل لا تواعدها في السر تصريحا وقيل ان المراد بالسر الجماع لانه لا
يكون الا في السر كانه قال لا يبعث الخاطب نفسه لها ليرغبها في نفسه وقوله تعالى الا ان تقولوا
قولا معروفا معناه الا ان تعرضوا بالخطبة كناية من غير افصاح ومعنى قوله عز وجل ولا تعزموا
عقدة النكاح اي على عقدة النكاح لان العزم تقتضي معزوما عليه لكن حذف على التخفيف كما يقال
ضرب فلان الظهر والبطن اي على الظهر والبطن ومعنى حتى يبلغ الكتاب اجله حتى يبلغ فرض
الكتاب اجله اي حتى تنقضي العدة فان العدة فرض القران ويجوز ان يكون الكتاب نفسه في معنى
الفرض فيكون المعنى حتى يبلغ الفرض اجله كما قال الله تعالى كتب عليكم اي فرض عليكم وقوله تعالى
واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم اي ما في قلوبكم من الوفا وغير ذلك فاحذروه ان تخالفوه فيما امركم
به ونهاكم عنه واعلموا ان الله غفور لذنبكم ان تبتم عنه حليم حين لا يعجل عليكم بالعقوبة والتعريض
في اللغة الايما والتلويح والدلالة على الشي من غير كشف ولا تبيين وهو ان يقول الرجل لغيره ما اقبح
البخل يعرض به بالبخل بذلك والكناية هي الدلالة على الشي مع العدول عن الاسم الاخص الى لفظ اخر
يدل عليه وهو ان يكني الرجل عن زيد فيقول لغيره ما اخر صديقك وما الرجل الذي كنا عنده والخطبة
بكسر الخا هي الكلام الذي يستدعى به الى النكاح والخطبة بالضم هو الكلام المولف ضربا من التاليف اما
موعظة او دعا الى شي وهما يتفقان في التعريف ويختلفان في المصدر واما الاكنان فهو الستر
تقول في كل شي سترته اكننته وفي ما تصونه كننته قال الله تعالى كانهن بيض مكنون اي مصون
وكل واحد من اللفظين قريب من الاخر والعقد في اللغة هو الشد يقال عقدت الحبل فاما عقد العهد
فهو تشبيه بعقد الخيط من التوثق وفي الاية دلالة ان التعريض بالقذف هو ان يقول الرجل لست بزان
يعرض بغيره انه زان لا يكون حكمه حكم تصريح القذف لان الله تعالى اباح التعريض بخطبة
النكاح في العدة وحرم التصريح بذلك فيها قوله عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النسا
ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره
متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قال ابن عباس معناه لا حرج عليكم ان طلقتم النسا ما لم
تجامعوهن او تسموا لهن مهرا ومتعوهن يعني اللواتي طلقتموهن قبل المسيس والفرض على الغني بمقدار
غناه وعلى الفقير مقدار طاقته متاعا بالمعروف اي ما تعرفون انه القصد وقدر الامكان حقا على
المحسنين اي واجب على المومنين فان قيل في اول هذه الاية اباحة الطلاق بعد الشرطين وهو
ان يكون قبل المسيس او بعد الفرض فيجوز ان يطلقها بعد المسيس وقبل الفرض ان لا يحل قيل قد اختلف
الناس في معناه قال بعضهم معناه ما لم تمسوهن او لم تفرضوا لهن فريضة وهذا كما يقال انه كذا ما لم تاكل
او تشرب يراد بذلك ما لم يا كل وما لم يشرب وكذلك ما لم تصطلح او تقعد يعني ما لم تصطلح او لم تقعد
فيكون تقدير الاية لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن ومتى فرضتم لهن فريضة او لم
تفرضوا لهن فريضة لانه انما يعطف الذي لم يفرض لها على التي فرض لها فيكون معنى الاية اباحة
الطلاق قبل المسيس في جميع الاحوال في حالة الطهر والحيض جميعا سوا كانت المراة قد فرض لها
المهر او لم يكن فرض لها المهر بخلاف الطلاق بعد المسيس فانه لا يباح في حالة الحيض وقال بعضهم
تقدير الاية ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة الا ترى ان الله تعالى عطف عليه قوله وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة ولو كان الاول بمعنى ما لم تمسوهن وقد فرضتم او لم تفرضوا
لما عطف عليها المفروض لها فدل على ان معناه ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة وقد يكون او
بمعنى الواو كما قال الله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا معناه ولا كفورا وكذلك قال الله تعالى وان

الألوكة www.alukah.net

كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط والمعنى وجاء احد منكم من الغايط فيكون شرط وجوب المتعة
المعنيان جميعا وهما عدم المسيس وعدم التسمية وفايدة تخصيص الطلاق بما قبل المسيس والفرض انه
لما كان المهر والنكاح من حق الله تعالى حتى لا يجوز خلو النكاح منه وكان الطلاق قبل المسيس يسقط المهر كله
كان من الجايز ان يتوهم متوهم ان الطلاق قبل المسيس لا يحل فازال الله تعالى هذا التوهم وبين ان الطلاق
قبل المسيس والفرض وان اسقط المهر كله مباح لوجود ما يعد المهر بعد الطلاق وهو المتعة والى هذا القول
الاخير ذهب اصحابنا رحمهم الله فلو يوجبوا المتعة الا للمطلقة التى لم يمسها زوجها ولم يفرض لها مهرا
وقد روى عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في المراة تهب نفسها للرجل ثم طلقها قبل المسيس
مهر لها وعلى الزوج المتعة وقال لا اجمع وجوب شى من المهر والمتعة قال اعلا المتعة خادم وثياب وورق
وادناها درع وخمار وملحفة وقد قال اصحابنا ان قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره دليل
على ان حال الرجل معتبر في الفقر والغنى وفي قوله تعالى متاعا بالمعروف دليل على ان حال المراة
معتبر في الشرف والدناة لانا اذا اعتبرنا حال احدهما في ذلك ربما زاد الواجب على الزوج قبل الدخول
على الواجب عليه بعد الدخول وهذا لا يكون من المعروف ولهذا قالوا لا يجاوز بالمتعة نصف مهر المثل بغير
رضى الزوج وقد اختلف السلف في ان هذه المتعة هل يجبر عليها الزوج او لا فقال شريح واهل المدينة
ان القاضى يامر الزوج به من دون ان يجبره عليه وكان شريح يقول للزوج ان كنت من المتقين
او من المحسنين فمتعها واما اصحابنا فان القاضى يجبر الزوج على المتعة للمراة التى طلقها قبل المسيس
والفرض وقوله تعالى حقا على المحسنين تاكيد لايجاب السابق بقوله تعالى ومتعوهن وليس في الفاظ الايجاب
اكد من قولهم حقا عليه وفي قوله على المحسنين بيان انها من شرايط الاسلام وعلى كل احد ان يكون محسنا كما قال
الله تعالى هدى للمتقين وهو هدى للناس كلهم وقيل انما خص المحسنين بالذكر تشريفا لهم لا لانه لا يجب على
غيرهم موصف المومنين بالاحسان لان الاحسان اكثر اخلاقهم وقوله تعالى متاعا نصب على المصدر من
قوله تعالى ومتعوهن وقوله تعالى حقا نصب على الحال من قوله تعالى بالمعروف وتقديره عرف حقا ويجوز ان
يكون نصبا على معنى حق ذلك عليهم حقا يقال حققت على فلان القضا اى اوجبته وفي الاية دلالة جواز النكاح
بغير تسمية المهر لان الله تعالى حكم بصحة الطلاق مع عدم التسمية والطلاق لا يصح الا في نكاح صحيح
قوله عز وجل وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ
مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ معنى الاية والله تعالى اعلم
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اى من قبل ان تجامعوهن وقد سميتم لهن مهرا فعليكم نصف ما
سميتم من المهر الا ان يتركن ما وجب لهن من الصداق يقول احداهن ما مسنى ولا قربنى فلا آخذ له المهر
واما قوله تعالى او يعفو الذى بيده عقدة النكاح فذهب اكثر المفسرين الى ان الذى بيده عقدة النكاح
هو الزوج والعفو ان يترك لها جميع الصداق ولا يرجع عليها بشى من المهر اذا كان اعطاها مهرها
وان لم يكن اعطاها فعفوه ان يتفضل عليها بان يتم لها جميع مهرها وقد يكون الصداق عبدا بعينه
او عوضا من العروض لا يمكن تمليكه بالاسقاط والابراء من واحد من الجانبين فيكون معنى العفو
في ذلك الفضل وفي الاية ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى في اخر الاية ولا تنسوا الفضل بينكم واما ندب
الزوج الى تتميم الصداق لانه اذا تزوجها ثم طلقها فقد فعل ما يشينها فكان الافضل ان يعطيها
مهرها وذهب بعضهم الى ان الذى بيده عقدة النكاح هو ولى المراة حتى قال مالك رحمه الله
لولى البكر ان يسقط نصف الصداق عن الزوج بعد الطلاق قبل الدخول والصحيح هو القول الاول

لان قوله تعالى عقدة النكاح يقتضى عقدة موجودة والزوج هو الذى يملك استدامة النكاح وحله
وهو الذى يملك العقد على نفسه من غير ولى يحتاج اليه ويكون عقدة النكاح في الحقيقة بيد الزوج
واما ولى المراة فلا يملك العقد عليها الا برضاها ولا يملك اسقاط ساير حقوقها واما قوله تعالى وان
تعفوا اقرب للتقوى فهو ندب لكل فريق من الزوج والمراة الى العفو كانه قال ايهما عفا عن صاحبه
فقد اخذ بالفضل وقوله تعالى اقرب للتقوى اى اقرب الى ان يتقى احدهما ظلم صاحبه فان من ترك حق نفسه
كان اقرب الى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له ومن بذل الفضل كان اقرب الى بذل الفرض وقوله ولا
تنسوا الفضل بينكم اى لا تتركوا الاحسان والانسانية فيما بينكم ان الله بما تعملون من الفضل والا
بصير عالم يجزيكم به ونسيان الفضل هو الاستقصاء في استيفاء الحق على الكمال حتى لا يترك شيا من حقه
على صاحبه وذهب بعضهم الى ان قوله تعالى وان تعفوا خطاب للازواج خاصة وظاهر هذه الاية يقتضى
ان الزوج اذا كان سمى لها مهرا بعد عقد النكاح ثم طلقها ان المسمى يتنصف بالطلاق واليه ذهب
مالك والشافعى وهو قول ابى يوسف الاول ثم رجع هو الى قول ابى حنيفة ومحمد فكان المراد بهذه الاية على
قولهم ان يكون الفرض في نفس العقد لان التسمية بعد تمام عقد النكاح تقرر مهر المثل وبدل عنه
فيسقط بالطلاق قبل الدخول ويجب المتعة والله تعالى اعلم وقد ذهب اصحابنا رحمهم الله في هذه
الاية الى ان المراد بقوله تعالى من قبل ان تمسوهن نفى المسيس او ما يقوم مقامه فانه اذا خلا بها خلوة صحيحة
بان لا يكون احدهما محرما او مريضا ولا صايما صوم فرض ولا تكون المراة حايضا ولا رتقاء ثم طلقها وجب
لها المهر كله وان لم يدخل بها كما روى عن زرارة بن اوفى انه قال اجمع الخلفا الراشدون المهديون
ان من اغلق على امراته بابا وارخى سترا ثم طلقها وجب لها الصداق كاملا وعليها العدة وروى عن عمر
رضى الله عنه بين العنين وامراته واوجب عليه المهر وقال ما ذنبهن اذا جاء العجز من قبلكم و
لا يمتنع ان يقوم مقام المسيس ما هو مثله في الحكم كما قال الله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان
يتراجعا ومعلوم ان ما قام مقام الطلاق من ساير انواع الفرقة كان حكمه حكم الطلاق في اباحتها للزوج
الاول قوله عز وجل حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ
وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه جرى فيما تقدم ذكر التقوى حيث قال وان تعفوا اقرب للتقوى
والصلوة من التقوى ومعنى هذه الاية واظبوا وداوموا على الصلوات المفروضات في مواقيتها بشرطها
واما قوله تعالى والصلوة الوسطى فقد اختلفوا في هذه الصلوة قال امير المومنين على وابن عباس
والحسن انها صلوة العصر وقال زيد بن ثابت انها صلوة الظهر وقال قبيصة بن ذويب انها
المغرب وقال جابر بن عبد الله انها صلوة الغداة واما من قال انها العصر فانما سماها الوسطى لانها
بين صلوتى الليل وصلوتى النهار وانما خصها بالذكر لانها تقع في وقت اشتغال الناس بامورهم
فحضهم بالذكر وحث عليها واما من يقول الظهر فانما سماها الوسطى لانها تقع في وسط النهار وانما خصها
بالذكر لانها اول صلوة اوجبت على الناس واما من يقول انها صلوة المغرب لانها وسط صلوة او
على الناس وقيل انها وسط في اعداد الركعات لانها بين الثنتين والاربع وانما خصها بالذكر لانها
اول صلوة الليل التى يرغب الناس عن الصلوة فيه واما من يقول انها الفجر لانها تقع في وقت بين
الظلام والضيا وانما خصها بالذكر لانها صلوة مفردة من بين ساير الصلوات حتى لا يجمع بينها وبين
غيرها بوجه من الوجوه فاما ساير الصلوات فالظهر والعصر يجمعان في وقت الظهر بعرفات و
المغرب والعشا يجمعان في وقت العشا بالمزدلفة واى صلوة من هذه الصلوات كانت هى المراد
فان تخصيصها بالذكر يدل على فضيلتها او على تاكيد امرها كما دل تخصيص جبريل وميكايل عليهما السلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من بين سائر الملائكة على فضلهما على غيرهما من الملائكة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وبطونهم نارا وعن ابي يونس مولى عايشة قال امرتني عايشة رضي الله عنها ان اكتب لها مصحفا فقالت اذا بلغت هذه الآية فآذني فلما بلغت آذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر وعن حفصة رضي الله عنها انها قالت لكاتب مصحفها حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى صلوة العصر كما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى وقوموا لله قانتين قال ابن عباس معناه قوموا لله داعين والقنوت هو الدعاء في الصلوة في حال القيام وقال الحسن وهو احدى الروايتين عن ابن عباس معناه قوموا لله طائعين وقال عبد الله بن مسعود معناه ساكتين كما روي عن زيد بن ارقم انه قال كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت هذه الآية وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وقال مجاهد معناه خاشعين فنهوا عن العبث والالتفات في الصلوة وقيل معناه مطيلين للقيام كما في قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك والحفظ ضد النسيان والاغفال خلاف المضيع واصل الحفظ ضبط الشيء في النفس نحو حفظ العلم والادب ثم قد استعمل في ضبط ما لا يكون في النفس والاوسط هو الشيء بين الشيئين على جهة الاعتدال قوله عز وجل فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون يقول ان خفتم من العدو فلم يمكنكم ان تقوموا قانتين موفين حق الصلوة فصلوا قياما على ارجلكم حيث ما توجهتم بالايماء اذا لم يمكنكم استقبال القبلة واقامة الركوع والسجود وقوله تعالى او ركبانا اي اذا لم تستطيعوا النزول عن الدواب فصلوا ركبانا حيث توجهت بكم لا عذر لكم في ترك الصلوة في حال الخوف وكان الحسن رضي الله عنه يقول في قوله تعالى فرجالا ان معناه قائمين او ماشين وذهب اصحابنا رحمهم الله الى انهم لا يصلون وهم يقاتلون او يمشون لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فاتته ثلاث صلوات يوم الخندق فقضاهن على الترتيب ولولا ان الاشتغال بالقتال يفسدها لما ترك الايماء بها حال القيام ومعنى فاذا امنتم اي اذا امنتم من الخوف فصلوا لله تعالى كما امركم قانتين مؤدين حقوق الصلوة وشرائطها وقوله تعالى ما لم تكونوا تعلمون معناه بعلمكم ما لم تكونوا تعلمون قبل التعليم والرجال جمع راجل مثل صاحب وصحاب وتاجر وتجار والركبان جمع راكب مثل فارس وفرسان قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية قبل نزول آية المواريث وقبل نسخها بالعدة وكانت المراة في ابتداء الاسلام اذا احتضر زوجها اوصى لها من ماله بنفقة سنة من طعامها وشرابها وكسوتها وسكناها فان كانت من اهل المدر سكنت بيت زوجها حتى يحول لها بيتا وان كانت من اهل الوبر سكنت بيت زوجها حتى تعزل بيتا فتحول اليه فان خرجت من بيت زوجها او تزوجت فلا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخت الوصية باية المواريث وبقول النبي صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ونسخ حكم الحول باعتبار اربعة اشهر وعشر عدة الوفاة بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ومعنى هذه الآية والله تعالى اعلم والذين يتوفون منكم ويتركون نساء من بعدهم فعليهم وصية لازواجهم ويقال كتب عليهم وصية قال بعضهم كتب الله تعالى عليهم ان يوصوا اذا حضر احدهم الموت كما تقدم ذكره في آية الوصية للوالدين والاقربين وقال بعضهم كانت هذه الوصية واجبة من الله تعالى لنسائهم اوصى الميت او لم يوص وصية او كتب الله تعالى عليهم وصية

وقوله

وقوله تعالى الى الحول اي متعوهن متاع السكنى والنفقة حولا وقوله تعالى غير اخراج اي لا تخرجوهن من بيوت ازواجهن وانما انتصب غير لانه صفة المتاع وقيل على معنى لا اخراجا كما يقال اتيتك غير رغبة اليك وقوله تعالى فان خرجن وقال بعضهم معناه ان خرجن قبل مضي الحول فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن في التشوف والتزين والتزوج بالمعروف اذا لم تكن المراة تحبس في البيت ويقال معناه فان خرجن بعد انقضاء عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن وقوله تعالى غير اخراج يتضمن معنيين احدهما وجوب السكنى في مال الزوج والثاني حظر الخروج والاخراج لا تعلق حق الغير بالسكنى التي هي فيها وقد نسخ الحكم الاول واما الحكم الثاني فهو لزوم اللبث في البيت الى ان تنقضي عدتها اربعة اشهر وعشر باق لم ينسخ ولا يجوز لها ان تبيت بالليالي دون منزلها والا ان تتزين لان امراة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها فنكحلها فزجرها ثم قال صلى الله عليه وسلم كانت احداكن تجلس في احلاس بيتها حولا لا تخرج حتى اذا مر بها كلب خرجت ورمته ببعرة فهلا الان اربعة اشهر وعشر وعن زينب بنت ابي سلمة قالت دخلت على زينب ابنة جحش حين توفي اخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان نسوة قلن انا نشكو الوحشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوحشة فامرهن ان يتزاورن بالنهار ولا يبتن بالليل دون منازلهن ومعنى والله عزيز حكيم اي قادر على النقمة ممن خالف امره وحكيم فيما حكم على الازواج قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين روي عن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري ان المراد بالمتاع المذكور في هذه الآية المتعة وهي واجبة لكل مطلقة وذهب بعض اصحابنا الى ان المتعة تجب للمطلقات كلهن من طريق الديانة بحكم هذه الآية ولكن لا يجبر الزوج على المتعة الا المطلقة لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر للآية المتقدمة وقال بعضهم المراد بالمتاع في هذه الآية نفقة عدة الطلاق لان الله تعالى عطفه على قوله تعالى متاعا الى الحول والمراد به هناك النفقة والسكنى والمتاع في اللغة اسم لما يستمتع به كما قال الله تعالى متاع قليل وقال عز وجل ذلك انما هذه الحيوة الدنيا متاع ويحتمل ان يكون المراد بالمتاع في هذه الآية الحق الذي يجب لها عند الطلاق اما المهر واما المتعة وعن سعيد بن المسيب ان حكم غير المدخول بها اذا كان قد فرض لها المهر منسوخ بهذه الآية بقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن والى هذا ذهب الشافعي رحمه الله حيث قال لكل مطلقة متعة الا التي طلقها زوجها قبل المسيس وبعد الفرض قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون اي مثل هذا البيان يبين الله لكم دلالاته في المستقبل كما بين في الماضي من امور دينكم ودنياكم لكي تفهموا ما امرتم به ويقال لكي تكمل عقولكم فان العقل الغريزي انما يكمل بالعقل المكتسب ويقال لكي تعملوا عليه وحقيقة العاقل الذي يعقل ما افترض عليه وحقيقة العقل استواء الاشياء المستقيمة قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة سمي المذنبين جهالا وان كانوا مميزين لانهم لم يتدبروا عواقب ما عملوا الا الله قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون روي عن عبد الله بن عباس انه قال ذكر ان الله تعالى من ملوك بني اسرائيل امر بالخروج بهم الى القتال عدوهم فخرجوا الى القتال ثم جبنوا وكرهوا القتال فقالوا

لملكهم ان الارض التي يأتي بها الوبا فلا نأتيها حتى ينقطع الوبا منها فقال لهم الله موتوا فماتوا
وهم ثمانية الاف رجل وفي رواية اربعون الف رجل فمكثوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل
موت اصحابهم فخرجوا اليهم ليدفنوهم فعجزوا عنهم من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر ثم احياهم الله
تعالى بعد ثمانية ايام فبقي فيهم من ريح النتن الذي كان فيهم بعد الموت حتى بقي في اولادهم الى
اليوم وعن اسباط السدي انه قال وقع الطاعون في بني اسرائيل فخرج قوم منهم من ديارهم هاربين
حتى انتهوا الى مكان وهم بضعة وثلثون الفا فقال لهم الله موتوا فماتوا وتفرقت عظامهم وتقطعت
اوصالهم فاتى على ذلك ما اتى عليهم اذ مر بهم نبي يقال له حزقيل عليه السلام فقال الحمد لله القادر
على ان يحيي هذه الاجساد فاوحى الله اليه ان احيهم باذن الله فنادى الا ايتها العظام البالية
ان الله تعالى يامرك ان تجتمعي فاجتمعي حتى صرن اجسادا من عظام ثم قال الا ايتها الاجساد
البالية ان الله تعالى يامرك ان تكتسين لحما فكسين اللحم وعروقه عليهن حتى صرن اجسادا من لحم ثم
قال الا ايتها الاجساد الفانية ان الله تعالى يامرك ان تقومي باذن الله تعالى فقاموا فرجعوا
الى بلادهم واقاموا وتوالدوا وكان احدهم اذا اكتسى ثوبا صار عليه كفنا يكون فيه ريح الموت
ومعنى الاية والله تعالى اعلم الم تعلم الذين ويقال الم ينته علمك الى خبر هولا الذين خرجوا من ديارهم
والالف في اول هذه الاية الف توقيف والمراد بالروية روية القلب لا روية العين وهذا
على سبيل التعجيب كما تقول الم تر الى ما صنع فلان ومعنى قوله تعالى حذر الموت اي خرجوا هاربين حذر
الموت وانتصب الحذر على معنى مفعول له وظاهر هذا يقتضي ان خروج هولا القوم كان على وجه
الفرار من الوبا على ما قدم السدي رحمه الله وهو اقرب الى ظاهر هذه الاية وقيل في معنى الوف
اي مؤتلفوا القلوب لم يخرجوا على تباغض ومعنى فقال لهم الله موتوا اماتهم الله تعالى وهذا كما
يقال قلت براسي كذا اي اشرت براسي وقال بعضهم اماتهم الله تعالى بقول سمعوه وسمعته الملائكة
واما قوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس اي بتفضل على جميع الناس كما تفضل على هولاء باحيائهم بعد
الموت واراهم البصيرة التي لا غاية بعدها ولكن اكثر الناس لا يشكرون رب النعم وفي الاية دلالة
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث اخبرهم عن من قبله ولم يكن قرا الكتب فصدقه اليهود
والنصارى وعلموا انه حق وفيها معنى الحث على الجهاد وبيان ان الموت لا ينفع الهرب منه وهذا
كما قال الله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال جل ذكره قل لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل وقال عز من قائل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
واذا كانت الاجال موقتة محصورة لا يقع فيها تقديم ولا تاخير كما قدر الله تعالى فما يجدي الفرار عن
الطاعون وغيره وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اراد ان يدخل الشام وبها الطاعون
فاستشار اصحابه في ذلك فاشار عليه بعض المهاجرين بالدخول فعزم على الرجوع فقال له ابو عبيدة
بن الجراح يا امير المومنين اتفر من قدر الله تعالى فقال عمر رضي الله عنه لو كان غيرك يقولها يا ابا
عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى ارايت لو كانت لك ابل فهبطت واديا له عدوتان
احداهما خصبة والاخرى جدبة اليست ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة
رعيتها بقدر الله فجاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال عندي من هذا علم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا وقع هذا الرجز بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا منها
فحمد الله تعالى عمر وانصرف فان قال قايل اذا كانت الاجال مقدرة محصورة لا يتقدم ولا يتاخر فلم
نهى صلى الله عليه وسلم عن دخول ارض بها الطاعون واي فرق بين دخولها وبين البقاء فيها

قيل

قيل وجه النهي عن الدخول انه اذا دخلها وبها طاعون فمات ربما اذا كان اجله بها فيقول قايل لو لم يدخلها
ما مات وهو الذي قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض
او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فلذلك كره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يدخل ارضا بها طاعون لما عسى ان يموت فيها باجله فيقول قوم من الجهال لو لم يدخلها لم
يمت قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم اكثر المفسرين على ان هذا خطاب لهذه
الامة يقول قاتلوا في طاعة الله ولا تفروا من الموت كما هرب هولا الذين سمعتم خبرهم فلا ينفعكم
الهرب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المنافق بقلة الهرب من القتال عليم بما يضمره فلا تعصوه
هذه الاية متصلة بقوله فاماتهم الله ثم احياهم وقال لهم قاتلوا في سبيل الله قوله عز وجل من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط و
اليه ترجعون استدعا الى البر والانفاق في سبيل الله تعالى بالطف الكلام وابلغه وسماه الله
قرضا تاكيدا لاستحقاق الجزاء لانه لا يكون قرضا الا والعوض مستحق فيه ومعنى الاية والله تعالى اعلم من
ذا الذي يتصدق بصدقة طيبة من نفس طيبة لا يمن بها على السائل ولا يوذيه قال الحسن رضي الله
عنه هو التطوع في ابواب البر من النفل وقال ابن زيد رحمه الله هو الانفاق في الجهاد في سبيل
الله وقوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة قال ابن زيد يعطيه سبعمائة امثاله كما قال الله تعالى في اية اخرى
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة و
عن ابي عثمان النهدي رحمه الله قال دخل ابو هريرة رضي الله عنه اصبعيه في اذنيه وقال صمتا
ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يضاعف الله تعالى للمومن حسنة الى الفي
الف حسنة وقال السدي رحمه الله الاضعاف الكثيرة لا يعلمها احد الا الله عز وجل واما
قوله تعالى والله يقبض ويبسط اي يقتر ويوسع على من يشا من خلقه وقيل يسلب النعمة عن قوم
ويبسطها على قوم وقيل يقبض الصدقات ويبسط عليها الجزاء عاجلا واجلا واليه ترجعون
في الاخرة فيجازيكم بما قدمتم واصل القرض في اللغة القطع بالناب وسمي المقراض مقراضا لانه يقطع
ثم استعمل اسم القرض في الاموال لان في ذلك قطع قطعة من المال يقال اقرضت فلانا اذا اقطعت
له قطعة يجازيك عليها وقوله تعالى فيضاعفه من قرا بنصب الفاء فعلى جواب الشرط في الاستفهام و
جواب الاستفهام بالفا يكون منصوبا ومن قرا بالضم فعلى العطف على قوله يقرض وقرئ فيضعفه
ويضعّفه والتضعيف والمضاعفة بمعنى واحد وضعف الشي مثلاه في المقدار تقول ضعفت القوم
اضعفهم ضعفا اذا صرت مع اصحابك على الضعف من اوليك القوم وضعفت الشي تضعيفا
واضعفته اضعافا وضاعفته مضاعفة اذا زدت على الشي حتى صارت الزيادة مثليه او اكثر
وقد جهلت اليهود معنى هذه الاية او تجاهلت حيث قالت ان الله تعالى يستقرض منا فنحن فقراء
الينا ونحن اغنيا كما قال الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وعرف
المسلمون معنى الاية ووثقوا بثواب الله تعالى ووعده روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه
انه قال لما نزلت هذه الاية جاء ابو الدحداحة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ارى ربنا يستقرض مما اعطانا لانفسنا وان لي حديقتين فان تصدقت باحداهما
فلي مثلها في الجنة قال نعم قال وام الدحداحة معي قال صلى الله عليه وسلم نعم قال والصبية
معي قال نعم فتصدق بافضل حديقته وهي تسمى الحنينة فلما رجع الى اهله وجد ام الدحداحة
والصبية في الحديقة التي تصدق بها فقام على بابها وتحرج ان يدخلها ثم نادى يا ام الدحداحة

الألوكة www.alukah.net

قالت بيك قال فجعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها في الجنة وأم الدحداحة معي و
الصبية معي قالت بارك الله تعالى لك فيما اشتريت ثم خرجوا منها ودفعها الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد قبل منك واعطها اليتيمين اللذين في حجرك
وقال صلى الله عليه وسلم كم من نخلة مدلٍ عذوقها في الجنة لابي الدحداحة قوله عز وجل
ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل
في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا
إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين معنى الآية والله تعالى اعلم ألم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم
بالملإ من بني اسرائيل وهم اشرافهم ووجوههم وقوله تعالى من بعد موسى اى من بعد وفاته اذ قالوا
لنبي لهم اسمه بالعبرانية اشمويل هلقانا وبالعربية اسمعيل هكذا قاله الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما
وقال قتادة رضي الله عنه هو يوشع بن نون خليفة موسى عليهما السلام وقال السدي رضي الله عنه
هو شمعون النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان بعد يوشع وانما سمي شمعون لان الامة سالت الله تعالى
ان يعطي ولدا من اولادهم النبوة فاعطاهم شمعون قالوا سمع الله الدعا فسموه شمعون وهو بالعبرانية
شمعون وقوله تعالى ابعث لنا ملكا اى ادع الله تعالى ان يجعل لنا ملكا نقاتل معه عدونا في طاعة الله
تعالى من قرا نقاتل بالجزم فعلى جواب الامر ومن قرا بالرفع فعلى معنى فانا نقاتل ومن قرا يقاتل بالياء
مجزوما ومرفوعا فهو راجع الى الملك وكان عدو بني اسرائيل قوما يقال لهم الفلسطينيون قوم جالوت
كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين لقيت منهم بنو اسرائيل بلا شديدا حتى غلبوهم
على كثير من اراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم ولم يكن لبني اسرائيل ملك يقاتلهم في سبيل الله تعالى وانما
سالوا الملك لانهم علموا ان كلمة القوم لا تتسق وامورهم لا تنتظم ولا يحصل منهم الاجتماع على القتال
الا بملك يحملهم على ذلك ويجمع شملهم وفي هذا دليل وجوب الامامة ولهذا فزع اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يومه الى نصب امام وقوله تعالى قال هل عسيتم ان كتب اى قال لهم نبيهم لعلكم اذا بعث الله
تعالى لكم ملكا وفرض عليكم القتال ان تجبنوا عن القتال فلا تقاتلوا وانما قال لهم ذلك ليستعرف ما عندهم
من الحرص والجد قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله معناه وما لنا في الا نقاتل اى اى شي لنا في ترك
القتال يقال هربت ان اقول كذا اى من ان اقول وقيل معناه وليس لنا ان نمتنع عن قتال عدونا وطلب
مرضات الله تعالى وقوله تعالى وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اخرجنا من منازلنا وسبوا
ذرارينا ومعنى الاخراج من الابنا انه لما كان الاخراج من الديار يودي الى مفارقة الابنا قالوا
اخرجنا من ديارنا وابنائنا ويجوز ان يكون على وجه الاتباع كما يقال متقلدا سيفا ورمحا و
قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اى لما فرض عليهم القتال تولوا عن الطاعة في القتال الا قليلا منهم
وهم ثلثمايه وثلثه عشر رجلا وقوله تعالى قليلا نصب على الاستثنا والمعنى استثنى قليلا منهم بجاي
جاي القوم الا زيدا ومعنى والله عليم بالظالمين عالم بالذين ظلموا انفسهم بالمعصية ويعاقبهم
وفي هذا تهديد لمن تولى عن القتال والملا الجماعة الاشراف من الناس يجتمعون للمشاورة
وجمعه الاملا واشتقاقه من ملات الشي وفلان غني ملي به اذا كان مكثرا ومعنى الملا الذين
يملون العين والقلب وقرا اهل عسيتم بكسر السين يقال عسيت ان افعل كذا وعسيت والنصب
الفصيح قوله عز وجل وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك
علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده

بسطة

بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم المعنى والله تعالى اعلم
قال لهم نبيهم اشمويل عليه السلام ان الله تعالى قد اجابكم الى ما سالتم وجعل لكم طالوت ملكا ملكه عليكم قالوا
من اين يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه يعنون ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والملك في
سبط يهوذا وليس هو من سبط النبوة ولا من سبط المملكة كان من اولاد بنيامين ولم يكن في نسله
ملك ولا نبوة ويقال انه كان دباغا وقيل انه كان يبيع الخمر وقوله تعالى ولم يؤت سعة من المال
اى لم يعط مالا ينفقه علينا كما تفعله الملوك مع قرانهم وخدمهم قال عليه السلام ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة اى اختاره للملك عليكم وزاده بسطة اى فضيلة في العلم والجسم كان يومئذ
اعلم رجل في بني اسرائيل فرفعه الله تعالى بالعلم وقيل كان عالما بامر الحرب وكان يفوق الناس
بمنكبيه وعنقه وراسه فاعلمهم الله تعالى ان العلم هو الذي يجب ان يقع به الاختيار وان الزيادة
في الجسم مما يهيب به العدو وقوله تعالى والله يؤتي ملكه من يشاء اى يعطي ملكه من يشاء
وهو جل وعلا لا يشا الا الحكمة والعدل وقوله تعالى والله واسع عليم اى يوسع على من يشا من عباده
ويعلم اين ينبغي ان يكون الملك والسعة وانما قيل واسع بمعنى موسع كما يقال اليم بمعنى مولم ويقال
معناه واسع الفضل الا انه حذف الفضل كما يقال فلان كبير اى كبير القدر ويقال معناه ذو سعة
كما يقال عيشة راضية اى ذات رضى ورجل تامر ولابن اى ذو تمر ولبن وكما يقال رجل
رامح ونابل واما الاصطفا فهو الافتعال من الصفوة الا ان التا تنقلب طا لان التا مهموسة و
الصاد مجهورة فجعلت التا طا لسهولة اللفظ واما اسم طالوت وجالوت وداود فلجتمع فيه
العجمة والتعريف فلذلك لا ينصرف ولو سمي رجل باسم جاموس لانصرف وان كان اعجميا لانه
تمكن في العربية لانك يدخل عليه الالف واللام فتقول الجاموس وفي الاية دلالة ان الامامة
لا تكون ارثا وانما يستحقها الانسان بحالة في نفسه وذكر الجسم في هذه الاية عبارة عن
فضل قوة طالوت لانه في العادة ان من كان اعظم جسما فهو اكثر قوة ولا حظ لعظم الجسم الا
في امر القتال وهو وبال على صاحبه قوله عز وجل وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم
التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن
في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين قال ابن عباس هذا جواب عن قولهم لنبيهم والله ما نصدقك
ان الله قد بعثه علينا ولكنك انت بعثته علينا ملكا مضارة لنا حين سالناك ملكا فاتنا
باية ان الله تعالى قد بعثه علينا قال لهم نبيهم ان الدلالة على كون طالوت ملكا ان
ياتيكم التابوت الذي اخذ منكم عدوكم وكان ذلك التابوت من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه
الامشاط مموه بالذهب عليه صفايح الذهب وكانت السكينة في التابوت قال وهي شبه
دابة راسها راس الهرة قال مجاهد وكان لها جناحان من زبرجد او ياقوت ويقال كان
فيها روح وكانت تكلمهم بالبيان فيما اختلفوا فيه وكان لعينها شعاع اذا نظرت الى الناس
ذعروا وقال ابن عباس كانت بنو اسرايل اذا حضروا القتال قدموا التابوت بين ايديهم
الى العدو واذا انت السكينة في التابوت سمع التابوت انينها فذهبت نحو العدو وهم
يمضون معه فاذا استقرت ثبتوا خلفه فلما عصت بنو اسرايل الانبيا عليهم السلام
سلط الله تعالى عليهم عدوهم فقاتلهم وغلبهم التابوت فدفنوه في مخلاة لهم وكان
اذا تبرز احد منهم عند التابوت اخذه الباسور فلما ابتلاهم الله بذلك عرفوا ان ذلك من
التابوت وقالوا ان اية بني اسرايل الذي فينا يعنون التابوت هو الذي يفعل بنا هذا الفعل

الألوكة www.alukah.net

وربطوا التابوت على عجلة وربطوا العجلة على بقرتين ووجهوهما نحو بني اسرائيل فضربت الملائكة جنوبهما
وساقوهما حتى جاءوا به على ارض بني اسرائيل فلما راوا التابوت قد جيء به اقروا لطالوت بالملك فذلك
قوله تعالى ان يأتيكم التابوت وقد فسرناه وقوله تعالى فيه سكينة من ربكم اي فيه ما تسكنون به اذا اتاكم
وتطمئن قلوبكم اليه في الحروب وعن علي كرم الله وجهه ان السكينة كانت ريحا هفافة لها وجه
كوجه الانسان واما قوله تعالى وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون قيل انه كان في التابوت رضاض
الالواح لموسى وعصاه من اس وعمامة هرون وقفيز من المن وهو الترنجبين الذي كان لبني اسرائيل
في طست من ذهب وقوله تعالى تحمله الملائكة اي تسوقه الملائكة وهذا كما يقال حملت متاعي الى ارض كذا
اذا كنت سببا لحمله وقال بعضهم ارسل الله تعالى ريحا انتزعت التابوت من ايدي الكفار ثم حملته
الملائكة فالقته بين يدي طالوت وهذا معجزات الانبياء صلوات الله عليهم اشبه والله تعالى اعلم وقوله
تعالى ان في ذلك لاية لكم في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله تعالى ملك عليكم طالوت ان كنتم مصدقين
بذلك قوله عز وجل فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس
مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه
هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين روي
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال خرج طالوت من البلد بالجنود فسار بهم وهم سبعون الفا
خرجوا معه في حر شديد فاصابهم العطش فسالوا الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي
مختبركم بنهر جار وهو نهر الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس معي على عدوي ولم يطعمه
فانه معي على عدوي وقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده استثناء يقرا بضم الغين وفتحها فمن
قرا بالفتح فهو مصدر غرفت ومن قرا بالضم فهو مقدار ما يملأ اليد من المغروف ونظير ذلك الخطوة
بالنصب مصدر وهي برفع الخاء مقدار ما يكون بين قدمي الماشي قال الكلبي ومقاتل رضي الله عنهما
كانت الغرفة يشرب منها الرجل وخادمه ودابته وقيل ابتلاهم الله تعالى بذلك النهر ليميز الصادق
من الكاذب في افعاله وكان اشمويل عليه السلام هو الذي اخبر طالوت بهذا الابتلاء لان الله تعالى
لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فلا يجوز هذا القول الا من نبي واما قوله تعالى
فشربوا منه الا قليلا اي لم يطيعوه الا قليلا وذلك انه لما عرض لهم النهر وقد اشتد بهم العطش وقعوا
في النهر فشربوا كلهم اكثر من غرفة الا قليلا وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كعدة اهل بدر قال
صلى الله عليه وسلم يوم بدر لاصحابه انتم على عدد اصحاب طالوت قال ابن عباس وقتادة و
الربيع من استكثر منهم من الماء لم يذهب عطشه واما من لم يشرب منه الا غرفة فانه يروى
ويذهب عطشه واما قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه يقول لما تخلى طالوت النهر
والذين صدقوه فلم يشربوا الا مقدار الغرفة راوا قلتهم قال بعضهم لبعض لا نوع لنا اليوم
بجالوت وجنوده وذهب بعض المفسرين الى ان القوم كلهم جاوزوا النهر ثم ان الذين
خالفوا في الشرب من النهر اعتزلوا من المطيعين وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده واما
قوله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله فمعناه يوقنون ويعلمون وقد يسمى العلم ظنا كما
تقدم في قوله تعالى يظنون انهم ملاقوا ربهم وقيل معنى يظنون في هذه الاية يتوهمون انهم يقتلون
في هذه الوقعة لقلة عددهم وكثرة عدد اصحاب جالوت فانه روي انه كان معه مائة الف و
قوله تعالى كم من فئة قليلة معناه كم من فرقة قليلة عددهم قهرت فرقة عددها كثيرة بامر

الله تعالى

الله تعالى ونصرة الله تعالى والله مع الصابرين في النصرة والمعونة والفصل في اللغة هو القطع
يقال فصل من المكان اذا قطعه بالمجاوزة والجنود جمع تكثير يقال جند واجناد وجنود واصل ذلك من
الجند وهو الارض الغليظة والنهر والنهر لغتان والطعم الذوق يقال تطعم تطعم واصل الغرفة من
قولهم فارت راس فلان بالسيف فانه فارا اذا قطعه بنصفين قوله عز وجل ولما برزوا لجالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين معنى
الاية والله تعالى اعلم لما خرجوا واصطفوا لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي
اصبب علينا الصبر صبا واصل هذا من قولهم افرغت الاناء اذا اخليته وصببت ما فيه وقوله تعالى
وثبت اقدامنا اي ثبتها في اماكنها في الحرب بتقوية قلوبنا ومعنى وانصرنا على القوم الكافرين اعنا
على قوم جالوت بالقاء الرعب في قلوبهم والبروز في اللغة هو الظهور والابراز الاظهار ويقال
بارز بين الصفين اذا خرج بين الصفين لطلب القتال قوله عز وجل فهزموهم باذن الله وقتل داود
جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين في الاية ايجاز لان ذكر الهزيمة
بعد سوال النصر دليل اجابة الدعا كان الله تعالى قال فاستجاب دعاهم فهزموهم باذن الله روى
اصحاب القصص باسانيدهم ان داود عليه السلام كان راعيا وكان له سبعة اخوة خرجوا مع طالوت
للقتال فلما ابطا خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل اليهم ابنه داود عليه السلام ينظر ما امرهم ويأتيه
بخبرهم فاتاهم وهم في الصفوف وقد برز جالوت وهو يقول هل من مبارز فلم يخرج اليه احد
فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على حق لبرز الي بعضكم فقال داود عليه السلام اما فيكم رجل يخرج
الى هذا الاقلف فقالوا له اسكت فذهب داود عليه السلام الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته
فمر طالوت به وهو يحرض الناس فقال داود عليه السلام ما تصنعون لمن يقتل هذا الاقلف قال
طالوت انكحه ابنتي واجعل له نصف مملكتي قال داود عليه السلام فانا اخرج اليه فاعطاه طالوت
درعه وسيفه فلما خرج في الدرع جرها لان طالوت كان اطول منه فرجع الى طالوت وقال اني
لم اتعود القتال في الدرع ولكني قاتلت بالمقلاعة قال له طالوت وهل جربت نفسك في غير هذا
قال نعم وقع الذئب في غنمي فضربته ثم اخذت براسه وجسده وقطعت راسه من جسده
فقال له طالوت ان الذئب ضعيف فهل جربت نفسك في غير هذا قال نعم دخل الاسد في غنمي فضربته
ثم اخذت بلحييه فشققتهما افترى هذا اشد ام الاسد قال لا واخذ داود المقلاعة وخرج الى جالوت
فمر بثلاثة احجار فقلن خذنا معك ففيها ميتة جالوت فاخذهن ثم مضى نحو جالوت فلما راه
جالوت قال خرجت الي لتقتلني بالمقلاعة كما يقتل الكلب قال له داود عليه السلام هل انت الا مثل
الكلب وكان على جالوت بيضة فيها ثلثمائة رطل فقال جالوت اما ان ترميني او ارميك قال داود
عليه السلام بل ارميك ثم اخذ احدى الحجارة الثلث فرمى بها فوقعت في صدره فنفذته
وقتلته بعد ما نفذت خلقا كثيرا فهزم الله تعالى جنوده ثم ان طالوت زوج داود عليه السلام
ابنته واراد ان يدفع اليه نصف مملكته فقال له وزيره لو دفعت اليه نصف ملكك صار شريكا
لك في الملك وفسد عليك الملك فامتنع طالوت من ذلك وقصد قتله فهرب داود عليه السلام
وانطلق طالوت في طلب داود عليه السلام حتى اتى على امراة من قدماء بني اسرائيل وهي تبكي على داود
عليه السلام فضرب بابها قالت من هذا قال انا طالوت قالت انت اشقى الناس طردت داود النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قتل جالوت وهزم جنوده فقال انما اتيتك لاسالك ما توبتي قالت توبتك

الألوكة
www.alukah.net

ان تاتى مدينة كذا و تقاتل اهلها فان فتحتها فهى توبتك وان قُتلتَ فهى توبتك فانطلق طالوت
الى تلك المدينة فقاتل اهلها حتى قُتِل فاجتمع بنو اسرايل وملّكوا داود عليه السلام عليهم من بعده
فذلك قوله تعالى واتاه الله الملكَ والحكمةَ اى جمع الله له بين الملك والنبوة ولم يجتمع كلاهما لاحد
الا لداود عليه السلام وسليمن عليه السلام وَاَمّا قوله تعالى وعلّمه مما يشاء اى علّمه علم الدروع
ومنطق الطير وغير ذلك من العلوم وَمعنى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعضٍ اى لولا دفع الله
تعالى باس المشركين بالغزاة المجاهدين كما دفع بداود عليه السلام شر جالوت لفسدت الارض باهلها
لغلبة الكفار ويقال معناه لولا الانبيا عليهم السلام الداعون الى سبيله الناهون عن الفساد
والجبار الذين ياخذون على ايدى الاشرار لفسدت احوال الناس كما روى في الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لولا رجال رُكّع وصبيان رُضّع وبهايم
رُتّع لصببت عليهم العذاب صبّا وَقال الحسن رضى الله عنه ما يزع الله تعالى بالسلطان اكثر
مما يزع بالقران ولولا السلاطين والامرا المتسلطون على الدعارة والعيارين لخرجوا
على اهل الصلاح واستولوا عليهم ومن قرا ولولا دفاع الله الناس فهو من قولهم دافع يدافع
مدافعة ودفاعا والدفع الصرف والهزم الكسر والرد وهزمة الرعد صوت فيه تردد وتشقق
وتهزم السقا اذا يبس وتكسر وانثنى بعضه على بعض وَاَمّا قوله تعالى ولكن الله ذو فضل
على العلمين اى ذو منّة عليهم بدفع المفسدين عن المصلحين قوله عز وجل تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ اى القران بما فيه من اخبار الامم الماضية ايات
ايات الله ينزل بها جبريل عليه السلام بها عليك لتبيان الحق من الباطل وانك لمن المرسلين لانك
اخبرت بهذه الايات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها وقيل في معنى هذه الايات
اماتة الله تعالى الالوف في دفعة واحدة واحياوهم بدعا نبيهم دفعة واحدة واعطاوه
الملك طالوت وهو من اهل الخمول الذى لا ينقاد له الناس ونصر اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم
على جالوت واصحابه مع شوكتهم وكثرة عددهم دلالات الله تعالى على قدرته وعلى نبوة انبيائه
صلوات الله عليهم وانك لمن المرسلين لانك قد اعطيت من الايات مثل ما اعطى الانبيا قبلك
وزيادة قوله عز وجل تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ
مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ معنى الاية والله تعالى اعلم
ان الذين نزلنا عليك خبرهم في القران هم الرسل لم يكونوا في الفضل متساوين ولكن فضّلنا بعضهم على
بعض في الدنيا والعقبى ثم نشر فضيلة كل واحد منهم فقال منهم من كلّم الله وهو موسى عليه السلام كلّمه
الله تعالى من غير سفير كان بينه وبينه ورفع بعضهم درجات اى اتخذ الله ابرهيم خليلا وسخر لسليمن
الريح والجن والشياطين وعلّمه منطق الطير والنمل وَقال مجاهد رضى الله عنه اراد بهذه الاية فضيلة
محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الانبيا صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل هو
ادريس عليه السلام كما قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليّا وَمعنى واتينا عيسى بن مريم البينات اى
اعطيناه الدلالات على اثبات نبوته من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى والانبا بما غاب عنه وَ
قوله تعالى وايدناه بروح القدس اى قويناه واعنّاه بجبريل الطاهر عليه السلام حين اراد واقتله حتى
رفعه الله الى السماء وَقال الحسن رضى الله عنه الروح جبريل عليه السلام والقدس هو الله عز وجل

فيصير

فيصير تقدير الاية وقويناه بروح الله تعالى وَعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال روح القدس اسم
الله الاعظم الذى كان به عيسى عليه السلام يحيى الموتى وَاَمّا قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
اى لو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الرسل من بعد ما وضحت لهم الحجج والدلايل كما قال الله تعالى ولو شاء
الله لجمعهم على الهدى وقال جل ذكره ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا وقيل معناه ولو شاء الله
تعالى لانزل اية تضطرهم الى الايمان بالله تعالى وتمنعهم عن الكفر كما قال الله تعالى ان نشا ننزل عليهم
من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وَمعنى ولكن اختلفوا اى شا اختلافهم فاختلفوا ويقال لم
يلجيهم الى الايمان لان التكليف لا يحسن مع الضرورة والجا لا يحسن الامع التخلية وَقوله تعالى ومنهم
من كفر اى بالكتب والرسل ولو شا الله لم يقتتلوا مع اختلافهم بان يامر المومنين بالكف عن القتال وبان
يلجيهم جميعا الى ترك القتال ولكن الله يفعل ما يريد من تقدير الاتفاق والاختلاف وغير ذلك مما توجبه
الحكمة قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ
وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ حث على الانفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى وقيل هو الامر بالزكوة
وَاَمّا قوله تعالى من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه وهو يوم القيمة لا فدا فيه وَقوله تعالى ولا خلة معناه
ليس فيه خلة لغير المومنين واما المومنون فتكون لهم خلة كما قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وَقوله تعالى ولا شفاعة اى لغير المومنين واما المومنون فيشفع بعضهم لبعض ويشفع
لهم الانبيا والرسل صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال جل ذكره ولا
تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فاما قراءة النصب والرفع في قوله تعالى لا بيع فيه ولا خلة فالوجه في ذلك
قد تقدم ذكره وَمعنى قوله تعالى والكفرون هم الظالمون اى هم الذين ظلموا انفسهم حتى لا خلة ولا شفاعة
وكان عطا رضى الله عنه يقول الحمد لله الذى لم يقل والظالمون هم الكفرون لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم
كافرا قوله عز وجل اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ذكر وحدانية الله تعالى وصفته ليعلم ان من
كان بهذه الصفات لا يخفى عليه كفر من كفر به ولا معصية من عصاه فيجازى كل عامل على ما عمل
بعلمه واراد بهذه الاية نفى معبود الكفار واثبات معبود المومنين واثبات الشى مع نفى غيره ابلغ
في الاثبات كانه قال الله لا اله الا هو دون غيره وهو المعبود لا معبود للخلق سواه وَمعنى الحى
القيوم الدايم الذى لا يموت موصوف بالبقا على الابد وبه حى كل حى وَاَمّا القيوم فهو القايم بتدبير
الخلق في انشائهم وارزاقهم واعمالهم واجالهم ومجازاتهم على عملهم كما قال الله تعالى افمن هو قايم على
كل نفس بما كسبت وقيل معنى القيوم العالم بالامور من قولهم فلان يقوم بهذا الكتاب اى يحسنه و
يعلم ما فيه ويقال معنى الحى القيوم الدايم الذى لا يزول يقال فلان حى قايم كما كان وَمعنى لا تاخذه
سنة اى لا تاخذه النعاس وهو اسم لاول ما يدخل الراس من النوم قبل وصوله الى القلب وَاَمّا
النوم فهو اسم للذى يصل الى القلب فيستثقل ومعنى هذا انه لا يغفل عن تدبير الخلق فان قيل اليس
معنى نفى النوم بعد ان نفى النعاس قلنا مثل هذا اللفظ انما يكون لنفى قليل النوم وكثيره ونظيره قول
العرب فلان لا يملك قليلا ولا كثيرا وَقد ورد في الخبر ان قوم موسى عليه السلام قالوا له اينام
ربنا قال لهم موسى عليه السلام اتقوا الله تعالى ولا تقولوا مثل هذا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
الى جعلتك واسطة بينى وبين خلقى لتبلغني عنهم كما بلغتهم عنى خذ بيدك قارورتين مملوتين

الألوكة

ماء فاخذهما في يدي فالقى الله تعالى على موسى عليه السلام النعاس فضربت احداهما على الاخرى فاصطكتا
وانكسرتا ثم اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل لهولاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو
اخذني نوم او نعاس لهلكت السموات والارض اسرع من كسر الزجاجتين وقوله تعالى له ما في السموات
وما في الارض اي هو مالك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده وانما في تحت قبضته و
قدرته وقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه جواب عن قول المشركين في اصنامهم هولاء
شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي لا يشفع احد لاحد عند الله
تعالى الا بامره ورضاه كما يشفع المومنون بعضهم لبعض بالدعا وكما يشفع الانبيا صلوات الله
عليهم للمومنين ومعنى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قال ابن عباس ما بين ايديهم من امر
الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا وقال مجاهد والسدي على الضد من هذا وقيل يعلم الغيب الذي
تقدمهم والذي يكون بعدهم ولا يحيطون بشيء من علمه اي لا يعلمون الغيب لا ما تقدمهم و
لا ما يكون بعدهم الا بما شا الله تعالى ان يعلمهم وهو ما انبا به الانبيا صلوات الله عليهم ليكون
دليلا على تثبيت نبوتهم واما قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قال ابن عباس كرسيه علمه
فلا يخفى عليه شيء مما في السموات والارض كما قال الله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقيل معناه
وسعت قدرته التي يمسك بها السموات والارض وقال الحسن الكرسي هو العرش بعينه ويقال بل هو
سرير دون العرش ويقال هو مكان تخلق الله فيه السموات والارض وقال عطا بن ابي رباح والكلبي ومقاتل
السموات السبع والارضون السبع تحت الكرسي في الصغر كحلقة في ارض فلاة قال الكلبي ومقاتل
يحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة اوجه وجه انسان ووجه ثور ووجه اسد ووجه نسر اقدامهم
في الصخرة التي تحت الارضين مسيرة خمسماية عام وروي عن عبد الله بن مسعود بين كل
سما الى سما مسيرة خمسماية عام وبين السما السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسماية عام وبين الكرسي
وبين الما مسيرة خمسماية عام والعرش فوق الما والله تعالى فوق عرشه يعلم ما انتم فيه ولا
حجة لاهل التشبيه في هذا الحديث لان المراد بمثل هذا اللفظ القهر والقدرة يدل على ذلك ما روي
في بعض الروايات عن ابي هريرة انه وصف الارضين وقال بين كل ارضين مسيرة خمسماية عام و
لو حفرتم في الارض السابعة لوجدتم الله تعالى ثم وهذا كما قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة
الا هو رابعهم وقال جل ذكره وهو معكم اين ما كنتم وقال سبحانه وهو الذي في السما اله وفي الارض اله
واما من يزعم من الجهال ان العرش مكان قعوده والكرسي موضع قدميه فقد وصف ربه
بصفة الجبابرة الذين يتعظمون في المجالس والاماكن وهو في الجهل بمنزلة من يزعم ان الكعبة
موضع سكونه فيه والا لم يكن لوصف الكعبة انها بيت الله تعالى معنى وكذلك القول في
المساجد وقد ثبت بدليل العقل ان الله تعالى لا يشبه الاجسام ولا يجوز عليه ما يجوز عليها
من المماسة والمجاورة وكيف يصح ان يكون على العرش والكرسي وهو خالقهما وقد كان ولا هما
ولا يحتاج الى مكان فكيف يتغير فيصير محتاجا الى مكان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا
كبيرا واما قوله تعالى ولا يوده حفظهما اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السموات والارض
ويقال ما اودك فهو لي آيد اي ما اثقلك فهو لي مثقل ومعنى وهو العلي العظيم العلي عن
الاشباه والامثال وصفات المحدثين عظيم الشان والسلطان والبرهان والقيوم
على وزن فيعول من القيام والقيام على وزن فيعال والاصل قيووم وقيوام الا ان اليا الساكنة
اذا تعقبتها واو متحركة حولت الواو يا وادغمت احدى اليايين في الاخرى والكرسي في اللغة

والكراسة

والكراسة انما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضا والكرس ما تلبد بعضه على بعض في
ادناب الغنم ومعاطن الابل ويقال جعل لهذا الحائط كرسا اي جعل له ما يمسكه ويقال للعلما الكراسي
لانهم هم المعتمد عليهم في امر الدين كما يعتمد على السرير وكذلك يقال للعلما اوتاد الارض لانهم
قوام الارض وقد روي عن محمد بن الحنفية انه قال لما نزلت اية الكرسي خر كل صنم في دار الدنيا
وخر كل ملك في الدنيا على وجهه وسقطت التيجان عن رؤسهم وهربت الشياطين فضرب بعضهم
على بعض حتى اجتمعوا الى ابليس فاخبروه بذلك فامرهم ان يبحثوا عنها والى المدينة فبلغهم ان اية
الكرسي قد نزلت وعن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا اية الكرسي
في دبر كل صلوة مكتوبة اعطاه الله تعالى قلوب الشاكرين واعمال الصديقين وثواب النبيين عليهم
السلام وبسط عليه يمينه بالرحمة ولم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت فيدخلها وقد كثرت الروايات
في فضل هذه الاية وعظم الثواب في قراتها وبالله التوفيق قوله عز وجل لا اكراه في الدين قد تبين
الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم اختلف اهل التفسير في هذه الاية على ثلثة اقوال قال السدي
والضحاك كانت هذه الاية نزلت قبل الامر بقتال المشركين كما قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن وقال من
قايل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وكان القتال محظورا في اول الاسلام الى ان قامت
عليهم الحجة الصحيحة بصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما عاندوا بعد البيان امر الله تعالى
المسلمين بقتالهم بقوله تعالى اقتلوا المشركين وغير ذلك من ايات القتال وقال الحسن وقتادة
وهو رواية عن ابن عباس ان هذه الاية خاصة في اهل الكتاب ان لا تكرهوا على الاسلام بعد
ان بذلوا الجزية واما مشركوا العرب فلا يقرون بالجزية ولا يقبل منهم الا الاسلام او السيف
والقول الثالث ان معناه من دخل في الاسلام بمحاربة المسلمين ثم رضي بعد الحرب فليس بمكره
اي لا تقولوا لهم انما اسلمتم كرها فلا اسلام لكم ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان لا تكرهوا على
الاسلام وقد وضح الطريق المستقيم من الطريق الذي ليس بمستقيم بما اعطى الله تعالى انبياه من
المعجزات فلا تكرهوا على الدين وقوله تعالى لا اكراه لفظه خبر بمعنى النهي ودخول الالف واللام في
الدين لتعريف المعهود ومعنى فمن يكفر بالطاغوت اي من يكفر بما امر الله تعالى ان يكفر به و
يصدق بالله تعالى وبما امر الله به فقد عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله حجة ولا
انقطاع لها بالشبهة والشكوك والله سميع لما يقول الانسان في امر الدين عليم بنيته في ذلك
والغي نقيض الرشد يقال غوى الرجل يغوى غيا وغواية اذا سلك خلاف طريق الرشد وغوى
يغوى اذا خاب قال الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لايما
والطاغوت ماخوذ من الطغيان زيدت في اخره التا والواو فصار طغووت كما قالوا جبروت
وملكوت ورهبوت ورحموت ثم قلبت عين الفعل من طغووت الى موضع اللام كما
قيل صاعقة وصاقعة فصار طوغوت قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فقيل طاغوت
وهو اسم للاصنام والشياطين وكل ما يعبد من دون الله تعالى واما العروة فهي معروفة وهي
عروة الدلو وغير ذلك يقال عراه يعروه اذا جعل له عروة واعتراه الهم اذا تعلق به الهم وعروة
الحمى وعرواؤه الرعدة اذا تعلقت به وعروت الرجل اعروه اذا تعلقت بسبب منه واغاثته
المصدق بالاسلام بالمستمسك بالعروة الوثقى لان الشيء الخفي يمثل ابدا بالجلي والتمسك بالايمان
امر خفي وبالعروة الظاهر جلي فشبه به فان قال قايل اذا كان قوله تعالى لا اكراه

في الدين يقتضي حظر اكراه الذمي على الاسلام فكيف يصح اسلام الذمي اذا اكره على الاسلام مع انه لا يجوز اكراهه على ذلك بعد دخوله في عقد الذمة قيل لما كان الاسلام لا يختلف حكمه في حال الاكراه والطوع فيما يجوز اجباره عليه اشبه من هذا الوجه العتق والطلاق وسائر ما لا يختلف فيه حكم الجد والهزل فصح اسلامه ثم اذا اظهر الكفر بعد ذلك اجبر على الاسلام بالحبس ولم يقتل لشبهة انه لم يعتقد الاسلام فان قيل لمشركوا العرب الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم فكيف يصيرون مسلمين بالاكراه على ذلك ومعلوم ان من دخل في الدين كرها فليس بمسلم قيل انما اكرهوا على اظهار الاسلام لا على اعتقاده لان الاكراه على الاعتقاد لا يتصور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس الى ان قال وحسابهم على الله والفايدة في هذا الاكراه ان المكره اذا اظهر الاسلام وان كان غير معتقد لذلك فان سماعه القران ومجالسته المسلمين يدعوه الى الاسلام ويوضح عنده فساد اعتقاده فيتحقق اسلامه قوله عز وجل اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ معنى الاية والله تعالى اعلم الله تعالى ولي المؤمنين في نصرهم واظهارهم على مخالفيهم وهدايتهم في اقامة الحجة في دينهم ومتولي جزائهم على حسن عملهم يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الهدى والذين جحدوا توحيد الله تعالى اولياؤهم الذين يتولونهم هم الطاغوت ولفظ الطاغوت الوحدان ومعناه الجمع وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات ولم يكن لهم نور البتة قيل ان المراد به النصارى الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام خرجوا من التوحيد الذي كانوا فيه الى الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال اراد به قوما ارتدوا عن الاسلام وجواب اخر انه لولا الطاغوت لكانوا مومنين فلما كان الطاغوت سببا لاباتهم الاسلام فكان الطاغوت اخرجوهم وهذا كما يقال اخرج فلان ولده من الميراث اي فعل فعلا لولم يفعله لاستحق ولده الميراث قوله عز وجل أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ المعنى الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم بالذي جادل ابرهيم عليه السلام في ربه وهذا على جهة التعجب الناس من محاجة من حاج ابرهيم في ربه وكلمة الى للغاية كانه تعالى قال هل رايت كالذي حاج ابرهيم او هل انتهت رويتك الى من كان كالذي حاج ابرهيم في ربه وهذا كما تقول العرب الم تر الى فلان كيف يصنع اي هل رايت كفلان في صنيعه وقوله تعالى ان اتاه الله الملك اي بان اعطاه الله تعالى الملك فاعجب بملكه وسلطانه وهو نمرود بن كنعان اول من تجبر في الارض بادعا الربوبية فحاجه ابرهيم عليه السلام في توحيد ربه وقيل ان الهاء في قوله تعالى ان اتاه راجعة الى ابرهيم عليه السلام والملك النبوة ووجوب طاعته على الناس في قوله تعالى اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت احتجاج وهو نمرود قال لابرهيم عليه السلام من ربك قال ابرهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويخلق الموتى ويميت عند انقضاء الاجال فقال له نمرود انا احيي واميت قال له ابرهيم عليه السلام ايتني ببيان ذلك فاتى برجلين من السجن وجب عليهما القتل فقتل احدهما واستحيى الاخر فقال هذا قد احييته وهذا قد امتّه قال ابرهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من نحو المشرق فات بها من نحو المغرب فبهت الذي كفر اي تحير وانقطع بما ظهر عليه من الحجة والله تعالى لا يرشد القوم المشركين الى دينه وحجته فان قيل لم لم يثبت ابرهيم عليه السلام على الحجة الاولى والانتقال من حجة الى حجة اخرى

في المناظرة غير محمود قيل عنه اجوبة احدها ان ابرهيم عليه السلام كان داعيا ولم يكن مناظرا فما كان يراه اقرب الى الهداية اخذ به والثاني انه روي ان ابرهيم عليه السلام انتقل عن الحجة الاولى بعد الالزام لانه روي انه قال لنمرود الكفر احييت الحي ولم تحي الميت والانتقال بعد الالزام محمود والثالث ان نمرود كان عالما انما ذكره ليس بمعارضة وكان من حوله من الصحابة يوقنون بكذبه في قوله انا احيي واميت ولكن اراد التمويه على اغمار قومه كما قال فرعون للسحرة حين امنوا بموسى عليه السلام ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي تواطاتم على هذا المكر مع موسى عليه السلام ثم امنتم به فكان هذا القول تمويها منه على قومه كذلك فعل نمرود في قوله انا احيي واميت واظهر لهم العجز عن معارضته فترك ابرهيم عليه السلام اطالة الكلام وعدل الى حجة مسكتة لا يمكنه التمويه فيها فان قيل فهلا قال النمرود لابرهيم عليه السلام ان مجيء الشمس هو العادة فقل لربك حتى ياتي بها من المغرب قيل علم بما راى من المعجزات التي ظهرت له انه لو ساله ذلك لاتى به فكان يزداد فضيحة للناس وقيل خذله الله تعالى عن هذا القول فلم يوفق للسؤال والله تعالى يفعل ذلك مع المبطلين لان الذين بعث فيهم ابرهيم عليه السلام كانوا يزعمون ان حوادث العالم من حركات الكواكب السبعة واعظمها عندهم الشمس وكانوا يسمونها الهة وكانوا لا يعرفون بالله تعالى وهم لا يختلفون هم وسائر من يعرف سير الكواكب ان للشمس حركتين متضادتين احداهما من المغرب الى المشرق وهي حركتها التي تختص بها بنفسها والاخرى تحريك الفلك لها من المشرق الى المغرب في كل يوم وليلة فقال له ابرهيم عليه السلام انك معترف ان للشمس الهة تعبدها وتسميها الهنا حركة سير ليست هي حركة نفسها بل بتحريك غيرها لها فانا ادعوك الى عبادة من احدث هذه الحركة في الشمس ولو كانت الشمس الها لما كانت مقهورة مجبورة فلم يمكنه دفع هذا الحجاج بوجه من الوجوه وذلك قوله تعالى فبهت الذي كفر والبهت في اللغة هو مواجهة الرجل بالكذب على فعله يقال بهت يبهت بهتا وباهت يباهت مباهتة وفي الحديث ان اليهود قوم بهت اي كذبة والبهت الحيرة عند انقطاع الحجة ايضا وفيه لغات بهت وبهت وبهت وبهت واجودها بهت بضم الباء وفي الاية دلالة على ان الله تعالى لا يشبهه شيء وان طريق معرفته ما نصب من الدلايل على توحيده لان انبياء الله تعالى عليهم السلام انما حاجوا الكفار بمثل ذلك ولم يصفوا الله تعالى بصفة توجب التشبيه وانما وصفوه بافعاله واستدلوا بها عليه وبالله التوفيق قوله عز وجل أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عطف على معنى الكلام الاول لا على اللفظ كانه قال ارايت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قرية ويقال ان الكاف في هذه الاية زايدة كما في قوله تعالى ليس كمثله شيء روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في عزير بن شرخيا وكان من علما بني اسرايل سباه بخت نصر من بيت المقدس الى ارض بابل حين سلطه الله تعالى عليهم فخرب بيت المقدس فخرج عزير ذات يوم في ارض بابل على حمار فمر بدير هرقل على شاطئ دجلة فطاف بالقرية فلم يجد بها ساكنا وعامة شجرها حامل فحمل يتعجب من خراب القرية وموت اهلها وكثرة حملها وهي ساقطة على سقوفها

الألوكة

وذلك ان السقف يقع قبل الحيطان ثم تقع الحيطان عليه واخذ شيئاً من التين والعنب وتناول بعضها وعصر العنب فشرب منه ثم جعل فضل التين في سلة وفضل العنب في اخرى وفضل العصير في زق ثم نظر الى القرية فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي كيف يحيي الله تعالى هذه القرية بعد خرابها وموت اهلها لم يكن هذا القول منه انكاراً للبعث لكن احب ان يرى كيف يحيي الله تعالى الموتى ويزداد بصيرة في ايمانه فنام في ذلك الدير فاماته الله تعالى في منامه مائة عام و اعمى عنه الانس والسباع والطير ثم احياه فنودي يا عزير كم لبثت وكان اميت في صدر النهار ثم بعث بعد مائة سنة في اخر النهار فظن ان مقدار لبثه يوم فقال لبثت يوماً فلما نظر الى الشمس فقال قد بقي منه شيء قال او بعض يوم فنودي بل لبثت ميتاً مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك العصير لم يتسنه اي لم يتغير طعمها بعد مائة عام ولم يغيرها السنون فنظر فاذا العنب والتين كما شاهدهما والعصير طريا ثم قيل وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض تلوح قد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فاجتمعي فارتفعت العظام وسعى بعضها الى بعض قال فرايت الصلب تسعى كل فقرة منها الى صاحبتها ثم رايت الوركين يسعيان الى مكانهما والساقين الى مكانهما والوظيفين الى مكانهما ثم رايت الاضلاع يسعى كل ضلع منها الى فقرته ثم رايت الكتفين سعيا الى مكانهما والذراعين الى مكانهما ثم رايت العنق تسعى كل فقرة منها الى صاحبتها ثم جاء الراس الى مكانه ثم رايت العصب والعروق واللحم التي عليه ثم بسط عليه الجلد ثم ذري عليه الشعر ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا لله تعالى وقال عند ذلك اعلم ان الله على كل شيء قدير حين تبين له من كمال القدرة البالغة في حماره والموتى في نفسه وابقائه العنب والعصير اللذين هما من اسرع الاشياء فسادا وتغيرا ثم شاهد البعث بعد الموت قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بعث وهو شاب ابن اربعين سنة على السن التي اميت عليها وكان ابنه في ذلك الوقت ابن عشرين سنة فصار لابنه مائة وعشرون سنة ولعزير اربعون سنة فذلك قوله تعالى ولنجعلك اية للناس وقيل في معنى ولنجعلك اية انه رجع الى بني اسرائيل وهو يقرا التورية كلها عن ظهر قلبه فاملاها عليهم لم يخرم منها حرفا وكانت التورية قد ذهبت عنهم فاتاهم رجل من بني اسرائيل فانتسب لهم فعرفوه فقال اخبرني جدي ان ابي قال دفنت التورية يوم سبينا في خابية في كرم فاروه كرم جده فاخرج التورية فعارضوها بما املاها عزير فما اختلفا في حرف فتعجبوا من كثرة علمه وحداثة سنه فقال بعضهم عزير ابن الله وقال الحسن وقتادة والربيع ان القرية المذكورة في هذه الاية هي قرية بيت المقدس بعدما خربها بخت نصر وكان وهب بن منبه يقول كان المار بهذه القرية ارميا النبي صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق هو خضر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى خاوية اي خالية لا انيس بها والخوى الفرجة بين الشيئين يقال خوت الدار اذا خلت وخوى البطن اذا جاع واصل الخلا وقد يقال خوت النجوم اذا سقطت ولم تمطر وسمي السقف عريشا لارتفاعه على ارضه كما سميت الظلة من الشجر عريشا لارتفاعها على ما تحتها يقال عرشت الكرم تعريشا وعرشته اعرشه عرشا اذا اظللته وقد يسمى البيت عريشا لارتفاع ابنيته ويسمى السرير عرشا لارتفاعه من الارض وعرش الرجل قوام امره ويجوز اسقاط الهاء من قوله تعالى لم يتسنه في الوصل يقال سانيت مساناة وسانهت مسانهة و[illegible] وقيل ان الاصل في قوله تعالى لم يتسنه لم يتسنى حذفت الياء للجزم ثم عوضت منها ها

في

في الوقف وكان في الاصل يتسنو لان تقدير السنة سنوة الا ترى ان جمعها سنوات وتصغيرها سنيهة الا ان الواو ترد الى الياء في التفعل والتفاعل كالتراضي والتداعي لان الياء اخف من الواو ويجوز ان يكون اثبات الهاء في هذا الموقف كما في قوله تعالى فبهداهم اقتده وذهب بعضهم الى ان قوله لم يتسنه من اسن الماء اذا تغير قال ابو عبيدة لو كان من اسن لكان لم يتاسن وذهب بعضهم الى ان هذه من قوله تعالى حما مسنون اي متغير وابدلوا النون من يتسنن ياء وهذا كما قالوا في تظننت تظنيت وتقضي البازي قال الزجاج لا يجوز ان يكون من حما مسنون لان معنى مسنون مصبوب على سنن الطريق واما القراءة في قوله تعالى كيف ننشرها من قرا بالراء غير معجمة فمعناه نحييها من النشر يقال نشر الميت اذا عاش ونشره الله تعالى وانشره اذا احياه ومنه قوله تعالى ثم اذا شاء انشره ومن قرا ننشزها بالزاي معجمة فمعناه نرفعها ونعلي بعضها على بعض من النشز وهو المكان المرتفع ومنه نشوز المراة على زوجها ترفعها عن طاعة زوجها وقوله تعالى اعلم ان قرئ بقطع الالف اي قال عزير علمت ما كنت اعلمه غيبا ومن قرا اعلم بغير قطع الالف فالمعنى قال لنفسه اعلم ان الله على كل شيء قدير فان قيل قوله تعالى حكاية لبثت يوما او بعض يوم اكان صدقا ام كذبا قلنا لم يكن كذبا لانه اخبر عما عنده كانه قال عندي اني لبثت يوما او بعض يوم ونظيره ما حكاه الله تعالى عن اصحاب الكهف قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقد كانوا لبثوا ثلثماية وتسع سنين ونظيره قول النبي صلى الله عليه وسلم في احدى صلاتي العشي الظهر او العصر قال له ذو اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم تقصر ولم انس وكان صلى الله عليه وسلم صادقا في ذلك لانه اخبر عما عنده وفي ظنه وبهذا ما عفى الله عز وجل عن المؤاخذة بلغو اليمين على ما تقدم ذكره قوله عز وجل واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم تقدير هذه الاية الم تر الى اذ قال ابرهيم ويقال واذكر اذ قال ابرهيم وعن عبد الله بن عباس في سبب هذه القصة ان ابرهيم عليه السلام مر بجيفة على ساحل البحر تنقض عليها الطيور والسباع فتاخذ منها بافواهها فتاكل ويسقط من افواهها في البحر فتاكل منه الحيتان وتجيء سباع البر فتاخذ منه عضوا عضوا فوقف منه متعجبا وقال اي رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن اي اولم تصدق بانك تحيي الموتى قال بلى صدقت ولكن احب ان اعلم كيف تحيي هذه النفس التي ارى بعضها في بطون السباع وبعضها في بطون الحيتان وبعضها في حواصل الطيور فذلك قوله ولكن ليطمئن قلبي وهكذا روي عن مقاتل وقيل معنى ولكن ليطمئن قلبي اي ليسكن قلبي انك اعطيتني الذي سالتك وقيل انك اتخذتني خليلا وقال بعضهم لما جرى بين ابرهيم عليه السلام وبين النمرود بن كنعان من المناظرة ما جرى وقال نمرود انا احيي واميت احب ابرهيم عليه السلام ان يرى صنع الله تعالى في احياء الاموات فسال الله تعالى ذلك ليزداد عيانا بعد ان كان علمه غيبا واستدلالا لان الاستدلال تعتريه الشبه والشكوك والعيان لا يعتريه الشبه فلذلك قال ولكن ليطمئن قلبي قال الله تعالى فخذ اربعة من الطير قال عبد الله بن عباس فاخذ ابرهيم عليه السلام اربعة من الطيور [illegible] فجزا كل واحد منهن اربعة اجزاء وجعل راس كل واحد وجناحيه مع رجل اخر وعجز وبعض ظهره خالف بينهم فجعلهن على اربعة اجبل فدعاهن فطرن في الهوا حتى اجتمع

الألوكة
www.alukah.net

كل طير على حياله ثم دعاهن على الجبال فأتينه سعيا يقول مشيا بسرعة قال وكان هذا قبل ان ولد
لابرهيم عليه السلام وقبل ان تنزل عليه الصحف وكان يومئذ ابن خمس وسبعين سنة وقال
ابو بكر الهذلي اربعة طيور مختلفة الوانها واسماؤها وريشها اخذ الطاووس والديك والحمامة
والغراب فقطع رؤسهن وخلط بين ريشهن ولحومهن ودمائهن اربعة اجزاء على اربعة
اجبال على كل جبل ريش ولحم ودم وعظم ثم نودين بالوحي ايتها العظام المتكسرة واللحوم
المتقطعة والعروق المتمزقة ارجعن يرد الله تعالى فيكن ارواحكن فجعل العظم يثب الى
العظم واللحم الى اللحم ويجري الدم الى الدم ويطير الريش الى الريش حتى سواهن الله تعالى قال
وامسك ابرهيم عليه السلام رؤسهن بيده فجئن يسعين على ارجلهن فعلق عليهن رؤسهن
فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابرهيم اني حين خلقت الارض جعلت بيتي في وسط الارض فاذا
كان يوم القيمة ارسلت من السما اربعة رياح الشمال والجنوب والدبور والصبا فتجمع
اجساد القتلى والهلكى من اربع زوايا الارض الى اربعة اركان البيت كما اجتمعت اربعة
اطيار من اربعة اجبال ثم قال عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وأما قوله تعالى
فصرهن اليك بكسر الصاد وضمها فمعناه ضمهن ويقال املهن واجمعهن في الضم وهي في معنى
الجمع والشد ويقال قطعهن يقال صار يصور صورا وصار يصير صيرا اذا قطع واذا
امال والصور الميل في العنق وكان الفرا يقول صار يصير مقلوب من صرى يصري وانكر
ابو العباس السراج ذلك وقال هما لغتان للعرب كجذب وجبذ والمقلوب كقولهم قسي من القوس
لان من حقه تاخير السين فقدم وقيل على معنى القطع ان قوله تعالى اليك من صلة قوله فخذ اربعة
من الطير كانه قال فخذ اربعة من الطير اليك فصرهن وأما قوله تعالى واعلم ان الله عزيز
حكيم اي غالب على كل شي قدير لا يمتنع عليه ما يريد حكيم فيما يريد لا يفعل الا ما فيه الحكمة
قوله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم
وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه جرا فيما تقدم ذكر النفقة في الجهاد في سبيل الله بقوله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا ثم ذكر تعالى ما كان من مسالة قوم من الله تعالى ان يبعث لهم ملكا يقاتلون
معه اعداءهم وكانت الغلبة لهم مع قلة عددهم وكثرة عدد اعدائهم ثم عقبه الله تعالى بذكر امور
تدل على وحدانية الله تعالى فبين ان الكفر بعد هذه الآيات اعظم واشنع وان الايمان اقوى
واحسن فمن كفر بعد هذا فقاتلوه وانفقوا في القتال فان النفقة في القتال تكون بسبعماية ضعف
وروي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الآية والآية التي بعدها في شان عثمان ابن عفان
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما اما عثمان فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال
علي جهاز من لا جهاز له واشترى بئر رومة فجعلها سبيلا للمسلمين واما عبد الرحمن بن عوف
فكان له ثمانية آلاف فجاء باربعة آلاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي ثمانية آلاف درهم
امسكت نصفها لنفسي ولعيالي واقرضت نصفها لربي عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما امسكت وفيما اعطيت وامر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضت منه ومعنى الآية والله
تعالى اعلم صفة الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى كصفة حبة القيت في الارض واخرجت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اي كما يكون الحبة واحدة والمكتسب بها سبعمائة فكذلك النفقة
تكون واحدة والمكتسب بها سبعمائة ضعفها وقوله تعالى يضاعف لمن يشاء اي كما يضاعف

الله

الله في ذرع الزارع الحادث من البذر الجيد في الارض العامرة كذلك يضاعف للمرء الصالح
ثواب نفقته بالمال الطيب اذا وضعه في موضعه ومعنى والله واسع عليم اي واسع الفضل جواد
لا ينقصه ما يتفضل به من السعة والمضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة والفائدة في تخصيص
السبع في الآية ما قالوا ان السبع اشرف الاعداد كما روي عن عبد الله بن عباس انه قال
كادت الاشيا تكون كلها سبعا فان السموات سبع والارض سبع والكواكب السيارة سبعة والبحار
سبعة وايام الاسبوع سبعة وسجود العبد على سبعة اعضاء وجعل الله تعالى السبع زينة حيث
قال جل ذكره ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو كان يستغفر لهم احدى وسبعين
مرة لكان ايضا لا يغفر الله لهم واجمع اهل التفسير في السورة ان العدة بالمضاعفة
سبعماية مخصصة بالانفاق في الجهاد واما في غير ذلك من الطاعات فالحسنة بعشر امثالها
كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا
خوف عليهم ولا هم يحزنون نزل في شان النفقة التي يستحق بها الثواب المضاعف معناه
الذين ينفقون اموالهم في طاعة الله تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على السايل بان يقول
للسايل اذا وقع بينه وبينه خصومة اعطيتك وقت كذا وكذا واحسنت اليك واغنيتك وما
اشبهه مما ينقص ذلك على السايل واما قوله ولا اذى اي لا يؤذي السايل ولا يعيره ولا يوجه
بان يقول له انت ابدا في فقر ومن ابلاني بك واراحني الله تعالى منك وما اشبهه وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله تعالى يوم القيمة ولا ينظر الله
ولا يزكيه وله عذاب اليم واما قوله تعالى لهم اجرهم عند ربهم اي للذين ينفقون في الطاعة ولا
يمنون ولا يؤذون ثواب عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فيما يستقبلهم من اهوال
يوم القيمة ولا هم يحزنون على ما خلفوا في الدنيا واصله من القطع يقال مننت الشي اذا قطعته
ومنه قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ويقال حبل منين اي مقطوع قوله عز وجل
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم معناه قول
كلام حسن ورد جميل ولطف ودعا للسايل بالسعة وتجاوز عن مطالبه ويقال معنى المغفرة
ستر الخلة على السايل فان المغفرة في المعطي خير من صدقة اي هذه الاشيا احسن عند الله من
صدقة يتبعها اذى لان الصدقة اذا اتبعها الاذى ذهب المال والثواب جميعا قال الضحاك لان تمسك
عليك مالك خير من ان تنفقه ثم تتبعه منا واذى وقوله تعالى والله غني حليم اي غني عن صدقات
العباد حليم اذ لم يعجل بالعقوبة على الذي يمن بصدقته ونظير هذه الآية قوله عز وجل واما تعرضن
عنهم ابتغا رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئا الناس ولا يؤمن بالله و — واحد
اليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون
على شي مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين سبحانه ما الطفه حين مدح
الانفاق الذي خلص من المن والاذى معرضا قبح المن والاذى فيه ثم فضل القول الحسن
على الانفاق المشوب بالمن والاذى ثم صرح الخطاب فقال عز من قايل لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وقوله تعالى كالذي ينفق ماله رئا الناس اي لا تكونوا في ابطال تلك الصدقة
كالمنافق الذي يتصدق لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب بل خوفا من الناس وريا لهم

الألوكة www.alukah.net

انه مومن ثم ضرب لنفقة المنافق مثلا فقال جل ذكره فمثله كمثل صفوان اى الحجر الاملس عليه تراب
فاصابه وابل اى مطر كثير شديد الوقع فذهب بالتراب الذى كان على الحجر وبقى الحجر يابسا لا شىء
عليه وقوله تعالى لا يقدرون على شىء مما كسبوا اى لا يقدر المان بنفقته والموذى والمنافق
على شىء من الثواب مما انفقوا كما لا يقدر احد من الخلق على التراب الذى كان على الحجر الاملس
بعد ما يصيبه المطر الشديد ومعنى والله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يهديهم حتى خلطوا
اعمالهم وقيل لا يهديهم بالمثوبة لهم كما يهدى المومنين واصل الوابل من الوبيل وهو الشديد
كما قال الله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ويقال وبلت السما تبل اذا اشتد مطرها والصلد الحجر الاملس الصلب
ويسمى البخيل صلدا تشبيها له بالحجر انه لا يخرج منه شىء ويقال للارض التى لا تنبت شيئا
صلد وصلد الزند صلودا اذا لم يور نارا وفى الاية دلالة ان الصدقة وساير القرب اذا لم تكن
خالصة لوجه الله تعالى لا يتعلق بها الثواب ويكون فاعلها كمن لم يفعل فان الله تعالى قال وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز الاستيجار على الحج و
تعليم القرآن وساير الافعال التى من شرطها ان تفعل على وجه القربة لان اخذ الاجرة عليها يخرجها
من ان تكون قربة بدلالة هذه الايات ثم ضرب جل ذكره لنفقة المخلصين المتثبتين مثلا اخر اعلا
من المثل الاول فقال عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله و
تثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها
وابل فطل والله بما تعملون بصير اى صفة نفقة الذين ينفقون اموالهم لطلب رضى الله تعالى
وتصديقا وحقيقة ويقينا فى قلوبهم بالثواب ويقال توطينا لانفسهم على الثبوت على طاعة ربهم
ويقال تأملا وتدبرا لا يوقعونها غير موقعها كصفة بستان بمكان مرتفع من الارض اصابها مطر
كثير شديد او قرش مثل الرذاذ وهو المطر الدايم الصغار القطر الذى لا تكاد تسيل منه المثاعب كذلك
المنفق لوجه الله تعالى ان كانت نفقته كثيرة فثوابها كثير وان كانت قليلة شيئا بعد شىء فيحمدها
والله بما تعملون من الريا والاخلاص بصير عالم يجزيكم على قدر نياتكم والربوة والربوة والربوة
والرباوة بمعنى واحد كل ذلك من الربو وهو الارتفاع والمطر على الروابى اشد وشمها احسن و
ريعها اكثر منه اذا كانت بمكان متسفل كما قال الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبل هطل والاكل والاكل بتسكين الكاف وضمها بمعنى واحد وهو اسم
لما يوكل والاكل المصدر والطل لا تعطى فى الحقيقة الا انه يطلق مثل هذا اللفظ على التوسع و
المجاز يقال كم تعطى ارضك من الحنطة وكرمك من العصير اى كم تخرج منها وضعف الشىء مثله وضعفا
مثلاه زايدين عليه اى تثمر مرتين واربعا ثم ضرب جل ذكره لنفقة المان مثلا اخر فقال عز وجل
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون وهذا استفهام فى الظاهر يقتضى فى
الحقيقة تقريرا اى لا يود احدكم كما قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا معنى الاية
ايتمنى احدكم ان يكون له بستان من نخيل وكروم تجرى من تحت شجرها ومساكنها وغيرها
الانهار له فى الجنة من الوان الثمار كلها واصابه الهرم والضعف وله اولاد صغار فعجز
عن الحيلة واصابها يعنى تلك الجنة اعصار اى ريح عاصف تهب من الارض بالشدة كالعمود
الى نحو السما تسميها العرب الزوبعة وسميت اعصارا لانها تلف كثوب عصر وقوله تعالى

فيه

فيه نار اى فى الاعصار نار فاحترقت يعنى احترقت هذه الجنة يقول كما يحزن هذا الشيخ الكبير نفع
بستانه عند افقر ما يكون اليه عند عجزه وعجز اولاده من ان يغرسوا مثل ذلك البستان لا يرد عليه
شبابه وقوته ليغرس ثانيا ويغتم ويتوارى اسفا وتحسرا على ذلك فكذلك المان بصدقته
يحرم فى الاخرة اجرها عند افقر ما يكون اليه يرى فى القيامة اعماله هباء منثورا ولا يوذن له فى
الرجوع الى الدنيا فيتصدق ويكون من الصالحين وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم الايات اى
كهذا البيان الذى بين الله لكم فيما تقدم يبين لكم الدلالات والعلامات لكى تتفكروا فتعتبروا فان
قيل قوله تعالى ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من
كل الثمرات على لفظ الاستقبال وقوله تعالى واصابه الكبر فعل ماض فكيف عطف الماضى على
المستقبل قيل الجواب عنه من وجهين احدهما ان قد هاهنا مقدرة معناه وقد اصابه الكبر
فيكون معناه الحال قال الله تعالى او جاءوكم حصرت صدورهم اى قد حصرت والثانى يود يقتضى ان يكون فى خبره
لو كما فى قوله تعالى يود احدهم لو يعمر وقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا ويقتضى ان يكون فى خبره ان
كما فى هذه الاية ولو للماضى وان للمستقبل ثم قد يستعمل لو مكان ان وان مكان لو ويقام احدهما مقام
الاخر يقول الانسان انا اتمنى لو يكون لى ولد ويقول انا اتمنى ان كان لى ولد فاذا كان معنى التمنى
قد يقع على الماضى صح عطف الماضى عليه وفى الذرية قولان احدهما انه من ذراه واصله ذرر
لان الهمزة اذا كان قبله حرف مد ولين مد ما قبله فاجتمعت واوان فى اخر الكلمة قبلها ضمتان
فثقل فصيرنا الواوين يائين كما فعلنا فى عتو عتيا فلما صارا يائين لانكسار ما قبلهما فصار ذرية
والثانى انه من الذر واصله ذرورة كرهنا كثرة التضعيف فقلبنا الرا الاخيرة ياء كما هو فى
تقضى وتظنى فصار ذروية فاجتمعنا على ياء وواو والاولى ساكنة فصيرناهما يائين وادغمنا
الاولى فى الثانية وكسرنا ما قبلهما والضعفاء الجمع ضعيف كنديم وندما والضعاف قوله تعالى
ذرية ضعافا جمع ظريف وظراف وظرفا وكريم وكرام وكرما قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد
معنى الاية والله تعالى اعلم يا ايها الذين اقروا وصدقوا بتوحيد الله تصدقوا من حلال ما
كسبتم من الاموال من جيد ما كسبتم وقوله تعالى ومما اخرجنا لكم من الارض اى من اصناف
الحبوب والثمار وقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث لا تعمدوا الى الردى من اموالكم منه تتصدقون
ولستم بقابضيه وقابليه الا ان تغمضوا فيه يقول لو كان لبعضكم على بعض حق فجاء بدون
حقه لم ياخذه منه الا ان يتغافل عن بعض حقه ويتسامح عن عيب فيه فكيف تعطون
فى الصدقة ويقال معنى قوله تعالى ولستم باخذيه اى لو ان احدكم اهدى له ردى المال لم ياخذ
الا على اغماض وحيا وهذا على قول من يقول ان هذه الاية انما وردت فى التطوعات وقد روى
فى سبب نزول هذه الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة وقال ان لله تعالى
فى اموالكم حقا وكان ياتى اهل الصدقة بصدقاتهم فيضعونها فى المسجد فيقسمها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهم فجاء رجل ذات يوم بعد ما تفرق عامة اهل بعذق من حشف فوضعه فى
الصدقة فلما ابصره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيس ما صنع صاحب الحشف فامر به
فعلق فجعل كل من يراه يقول بيس ما صنع صاحب الحشف فانزل الله هذه الاية وذهب بعضهم
الى ان معنى قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث لا تتصدقوا بالحرام فيكون معنى الا ان تغمضوا فيه على

هذا التأويل الآن تنوخص في تناوله إن كان حراما والإغماض ترك النظر يقال في المثل أغمض وهذا الأمر وغمض أي لا تستقص وكن كأنك لم تبصره وتقول العرب أغمض فلان على القذى وأغمض إذا لم يعترض على الأمر مع كراهته له ومعنى والله أعلم واعلموا أن الله غني حميد أي غني عن صدقاتكم وعن غني فقال إنما أمر بالصدقة عن حاجة ولكن بلاكم بما أمركم فهو مستحق للحمد على ذلك وعلى جميع أمره ويقال معنى الحميد الموجب للحمد على طاعته وفي الآية إباحة الكسب وإخبار أن فيه ما هو طيب والمكاسب على وجهين أحدهما أبدال الأموال وأرباحها والثاني أبدال المنافع وقد نص تعالى على إباحته ذلك كله في مواضع من كتابه نحو قوله تعالى وأحل الله البيع وحرم الربا وقوله تعالى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وقال صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم حبلا فيأتي الجبل فيحتطب خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه وعموم هذه الآية يوجب الصدقة في جميع الأموال لأن قوله تعالى ما كسبتم يشتمل على أنواع الأموال وقوله تعالى أنفقوا أمر وظاهر الأمر على الوجوب إلا أن الدلالة قد قامت على أن الصدقة لا تجب إلا في أموال مخصوصة وورد الشرع بالإيجاب فيها فهذه الآية مجملة في مقدار الواجب مفتقرة إلى البيان يمكن الاحتجاج بها فيما اختلف في وجوبه منها نحو مال التجارة وصدقة الخيل ووجوب العشر على قول أبي حنيفة في جميع ما يقصد بالزراعة وفي قليل الخارج وكثيره ولا خلاف بين أهل العلم أن من أدى الأردأ عن الأجود في صدقة الإبل والبقر والغنم أن عليه أداء الفضل وإنما اختلفوا في أداء الردي عن الجيد في ذوات الأمثال نحو أن يؤدي خمسة دراهم زيوف عن خمسة جياد قال أبو حنيفة وأبو يوسف لا يحل له أن يفعل ذلك ولكن إذا فعل فليس عليه فضل يلزمه الأداء لأن الجودة لا تتقوم في حقوق الآدميين فكذلك في حقوق الله تعالى وقال محمد عليه أن يؤدي فضل ما بينهما لأنه لا ربا بين العبد وسيده وفي قوله تعالى إلا أن تغمضوا فيه دلالة جواز أخذ الردي عن الجيد في الصرف والسلم وجواز بيع الفضة الجيدة بالردية وزنا بوزن قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم المعنى والله تعالى أعلم الشيطان يخوفكم الفقر بالنفقة في وجوه البر وإنفاق الجيد من المال ويأمركم بالمعصية وهي منع الزكوة وإنفاق الردي من المال في الواجبات وإنما سمي منع الزكوة فحشا لأن العرب تسمي البخيل فاحشا والبخل فحشا ويقال إنما سمي بهذا الاسم لما في ذلك من التقاطع فإن الغني إذا ترك الإنفاق على ذوي الحاجات من أقاربه وجيرانه أدى ذلك إلى القطيعة ومعنى والله يعدكم أي يعدكم مغفرة لذنوبكم بالإنفاق من خيار المال وفضلا أي خلفا في الدنيا والآخرة والله واسع عليم يوسع الرزق والخلف والمثوبة ويعلم حيث ينبغي أن تكون الصدقة وروي عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا اثنتان من الله واثنتان من الشيطان فمن الله المغفرة والفضل ومن الشيطان الفقر والفحشا قوله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب اختلفوا في تفسير الحكمة قال ابن مسعود رضي الله عنه هي القرآن وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هي علم ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وقال السدي رحمه الله هي النبوة وقال قتادة

رحمه الله

رحمه الله هي الفقه وقال مجاهد وإبراهيم رحمهما الله الإصابة والفهم وقال الربيع رحمه الله هي خشية الله تعالى ويقال هي العلم بوسوسة الشيطان في عدة الفقر والأمر بالفحشا وكل هذه الأقاويل محتمل لأن الحكمة في اللغة فعلة من إحكام الشيء وهو كل ما تشهد العقول بصحته وتخضع لرفعته ومعنى ومن يؤت الحكمة أي من يعط العلم فقد أعطي خيرا كثيرا يعمل به أي رحمه الله تعالى لأن نعم الدين أعظم من نعم الدنيا إذ الدنيا فانية ونعم الدين تدوم وتبقى والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة وحكي عن بعض الحكماء رحمه الله أنه كان يقول سمى الله تعالى العلم خيرا كثيرا والدنيا متاعا قليلا فينبغي لمن أعطي العلم أن يعرف قدر نفسه ولا يتواضع لأصحاب الدنيا لدنياهم ومعنى وما يذكر إلا أولو الألباب أي ما يتفكر فكرا يتعظ به إلا ذوو العقول وسمي العقل لبا لأنه أنفس ما في الإنسان كما أن لب الثمرة أنفس ما فيها والله تعالى أعلم قوله عز وجل وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار معنى الآية والله تعالى أعلم ما تصدقتم من صدقة أو عقدتم على أنفسكم فعل بر مثل صلوة أو صدقة أو صوم فإن الله عز وجل لا يخفى عليه ذلك يقبله ويجازي عليه وليس للمشركين من مانع في الآخرة مما يراد بهم من العذاب فإن ناصر الإنسان هو الذي يدفع عنه أو يعينه على عدوه ويقال ومعنى وما للظالمين ليس لمن وضع الصدقة في غير موضعها إما بالربا أو بالمن والأذى من ناصر ينصره والهاء في قوله عز وجل يعلمه راجع إلى الاسم الذي في قوله تعالى وما أنفقتم من نفقة لأن في تقديره أي شيء أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر ثم ذكر الله عز وجل صدقة السر والعلانية بسؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل فقال جل وعز إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير معناه أن تظهروا الصدقات فنعم الشيء صدقة العلانية وإن تسروها وتعطوها الفقراء فهو خير لكم من العلانية وكلاهما مقبول منكم ويكفر عنكم من ذنوبكم بقدر صدقاتكم والله بما تعطون من الصدقة عالم يجزيكم به وذهب الحسن وقتادة إلى أن الإخفاء في كل صدقة أفضل مفروضة كانت أو تطوعا وقال ابن عباس إن صدقة التطوع إخفاؤها أفضل ليسلم به من الريا وأما المفروض من زكوة الأموال الظاهرة لا يلحقه الريا ويلحقه بالإخفاء تهمة المنع فيكون إظهاره أفضل كما في الصلوات الخمس والجمعة والأعياد وإلى هذا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال أفضل صلوة المرء في بيته إلا المكتوبة يدل على صحة هذا القول أنه لا خلاف أن العامل إذا جاء قبل أن يؤدي رب المال صدقته فطالبه بأدائها أن الفرض عليه أداؤها في هذه الحال وذهب بعضهم إلى أن الإخفاء في الصدقات كلها كان أحسن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان لا يظن بهم منع الزكوة فأما في زماننا فبخلافه وأما القراءة في نعما هي بكسر النون والعين وبنصب النون وكسر العين وبكسر النون وتسكين العين كل ذلك لغات وأما قوله عز وجل ونكفر من قرأ بجزم الراء فلأنه جواب الشرط عطف على موضع الفاء من قوله تعالى نحو كما في قوله تعالى فأصدق وأكن من الصالحين ومن قرأ برفع الراء كان عطفا على موضع ما بعد الفاء فيكون الفاء في حكم الاستئناف لما بعده كما في قوله عز وجل من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم وقرئ ويكفر بالياء وبرفع الراء قوله عز وجل ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون

الألوكة www.alukah.net

رخصة من الله تعالى في التصدق على فقرآ اهل الكتاب والمشركين حين سال المطوت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ايجوز لنا يا رسول الله ان نتصدق بما نتصدق على ذوي قرابتنا
من غير اهل ديننا قال عبد الله بن عباس اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضآ
وكانت معه اسما بنت ابي بكر فجآتها امها قتيلة وجدتها ابوها فتسالونها الصلة والعطية
فقالت لا اعطيكم شيا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم لستم على ديني
فسالته فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال محمد بن الحنفية كان يكره على المسلمين التصدق
على اليهود والنصارى فامروا بذلك في غير فريضة ومعنى الاية والله تعالى اعلم ليس عليك
يا محمد صلى الله عليه وسلم تحصيل الثواب لهم بان تمنعهم الصدقة لتحملهم على الايمان
ولكن الله تعالى يثبت ويرشد ويوفق للخير من يشآء ممن كان اهلا له وما تنفقوا من مال
على بر او فاجر فلانفسكم ثوابه اي ذخره وثقفه عايد اليكم فلا تمنعوا به على غيركم ومعنى
وما تنفقون الا ابتغآ وجه الله اي علم الله عز وجل انكم لا تريدون بنفقتكم الا طلب مرضاة
الله عز وجل وان كان المتصدق عليه كافرا وانما وضع الوجه موضع الرضوان لمعنيين احدهما
لتحقيق الاضافة لان ذكره يرفع الايهام انه له او لغيره والثاني ان الوجه اشرف الشي فاذا
اريد تشريف الشي ذكر بالوجه ومعنى وما تنفقوا من خير اي ما يتصدقوا من مال يوف اليكم
ثوابه في الاخرة وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيا من ثواب اعمالكم وصدقاتكم وظاهر هذه
الاية يقتضي جواز دفع الصدقات الى الكفار الا ان النبي صلى الله عليه وسلم خص منها الزكوة
بقوله امرت ان اخذ الصدقة من اغنيائكم واردها في فقرائكم وقيل لحسن والزجاج في
معنى قوله ليس عليك هداهم اي ليس عليك ان تحمل الكفار على النفقة في وجوه البر فيكون هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على امتناعهم من الايمان والانفاق قوله عز وجل للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من
التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم قيل معناه ما انفقتم من نفقة للفقرا ويقال معناه عليكم بالنفقة للفقرا الذين
حبسوا في طاعة الله تعالى اي حصرهم فرض الجهاد فمنعهم من التصرف وهولا اصحاب الصفة
حبسوا انفسهم في طاعة الله لطلب العلم وفضل الجمعة وخدمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانوا نحوا من اربعماية رجل لم تكن لهم مساكن ولا عشاير كانوا معتكفين في المسجد في صفته والوا نخرج
في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فحث الله تعالى على الصدقة عليهم فكان
الرجل اذا كان عنده فضل اتاهم به ومعنى لا يستطيعون ضربا في الارض الزموا انفسهم تعلم الشريعة
وفرض الجهاد شغلهم ذلك من السفر للكسب والتجارة ليس انهم لا يقدرون على ذلك كما يقال امرني الوالي
ان اقيم فما اقدر ان ابرح اي الزمت نفسي طاعته فلا اقدر لا انه لا يقدر على الحركة والضرب في الارض هو السير
يقال ضربت في الارض ضربا ومضربا اذا سرت فيها وكان السدي يقول احصروا في سبيل الله منعهم الكفار
بالخوف منهم فلا يستطيعون تصرفا في الارض يمنع الكفار اياهم عن ذلك وقيل هذا لا يصح لانه لو كان كذلك لقال
حصروا بغير الالف واما قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف اي يظنهم الجاهل بامرهم وشانهم اغنيا
من التعفف لتجملهم باللباس وكفهم عن المسالة والتعفف يذكر ويراد به ترك المسالة كما ورد الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله تعالى ومعنى تعرفهم بسيماهم اي تعرفهم
انت يا محمد صلى الله عليه وسلم بعلامة فقرهم فيهم جهد الفاقة وبذاذة الهيئة ورثاثة الحال وتعالى

تعالى مة طاعتهم من اصفرار الوجوه وانكسار البدن بقيام الليل وصيام النهار واما قوله عز وجل
لا يسألون الناس الحافا قال ابن عباس معناه الحاحا وعن الحاح اي ليس لهم سوال فيكون الحافا ولما لو
على هذا القول وجهين احدهما من قوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اي من القناعة ولو كانوا
يسالون لم يكن يحسبهم الجاهل اغنيا والثاني من قوله عز وجل تعرفهم بسيماهم ولو كانوا يسالون لكان
تعرفهم بالسوال لا بالسيما واما يسمى الملح ملحفا لانه يلصق بالمسول ويشتمل على وجوه الطلب في المسلة
كاشتمال اللحاف ومعنى وما تنفقوا من خير اي ما تنفقوا من مال فان الله به عليم يجزيكم به وفي
الاية دلالة على ان لذي ثياب الكسوة وان قيمة كثيرة يشبه ظاهر حاله احوال الاغنيا لا يمنع ذلك من
دفع الزكوة اليه اذا كان عند المتصدق انه فقير لا يملك كمال الزكوة لان الله عز وجل امر باعطا الزكوة
ودفعها الى من كان ظاهر حاله يشبه حال الاغنيا وفيها دليل على جواز دفع الزكوة الى الصحيح الجسم لان
هولا اصحاب الصفة كانوا من المهاجرين والمجاهدين في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحد
الغنى الذي يوجب تحريم الصدقة في الشرع ان يفضل ملكه عن مسكنه وكسوته وخادمه وما يحتاج
اليه ما يساوي مائتي درهم وان كان اقل من مائتي درهم حلت له الصدقة لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اخذ الصدقة من اغنيائكم واردها في فقرائكم ثم قال وفي مائتي درهم خمسة دراهم وليس فيما
دونها شي فجعل الناس صنفين اغنيا وفقرا وجعل الغني من في ملكه هذا القدر لان الصدقة لا تجب
على من ملك ما دونه واما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من سال الناس
عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم قيل يا رسول الله وما ظهر غناه قال ان يعلم ان عند اهله ما
يغديهم ويعشيهم وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ونحو ذلك
من الاخبار فهو محمول على تحريم السوال يدل عليه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم
الصدقات اذ جاءه رجلان قويان فسالاه ان يقسم لهما فرفع راسه اليهما وقال اما انه لا يحل لكما
ولو سكتما اعطيتكما فلولا ان المراد بقوله لا تحل حرمة السوال دون جواز الدفع لم يكن لقوله صلى الله
عليه وسلم اعطيتكما معنى ولا فايدة قوله عز وجل الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال عبد الله بن عباس ومقاتل
نزلت هذه الاية في امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه كانت له اربعة دراهم لم يكن يملك غيرها
فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل
معنى ينفقون اموالهم بالليل والنهار اي يداومون على الانفاق والصدقة قال ابن عباس رضي الله عنهما
كانوا ينفقون على هذا الوجه حتى نزل فرض الزكوة فلما اقتصر على تلك العدة واراد بهذا والله اعلم ان
الصدقة لم تكن مقدرة في المال بوجه ثم صارت مقدرة بنزول فرض الزكوة فلما اقتصر على تلك العدة
ومن شار اليه ومعنى مكحول رضي الله عنه انه قال في الاية هم الذين يرتبطون الخيل للجهاد في سبيل
الله تعالى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المنفق على فرسه في سبيل الله عز وجل كالباسط
يده بالصدقة لا يقبضها قوله عز وجل الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه
موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى لما بين ما للمتصدقين من طيب ما لهم من عظم الاجر
والثواب بين بعد ذلك ما لا يطلبه من التجارة وذكر عقوبة اكل الربا فقال جل ذكره الذين ياكلون الربا اي
الذين ياكلون الربا اي الذين ياكلونه في الدنيا لا يقومون في الاخرة من قبورهم لعظم بطونهم الا كما يقوم في

الألوكة
www.alukah.net

الربا الذي يضربه ويصيبه الشيطان من المس وهو الجنون روي انهم يبعثون يوم القيمة وقد انتفخت بطونهم كلما
قاموا سقطوا والناس يمشون عليهم وهم كالمجانين قال الحسن رضي الله عنه هذه علامة اكلة الربا يعرفون
بها يوم القيمة وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بانهم قالوا انما البيع مثل
الربا كان الرجل اذا حل ماله على طالبه فيقول المطلوب زدني في الاجل وازيدك في مالك فيفعلان ذلك فاذا
قيل لهم ان هذا ربا قالوا هما سوا الزيادة في اخر البيع بعد الاجل كالزيادة في اول البيع اذا ابتعت بالنسية سوا وليس
الامر على ما توهموه لان الزيادة في الثمن في اخر البيع بعد الاجل لا تعاد في الاجل بعد ما صار الثمن مستحقا دينا في الذمة
يكون عوضا عن الاجل والاعتياض عن الاجل باطل واما الزيادة في الثمن في اصل العقد يكون مقابلة للمبيع ويجوز
بيع المبيع بثمن قليل وكثير وقد بين الله عز وجل في الاية ان ذلك القول جهل منهم بما وضع الله تعالى من الشريعة
عليه من مصالح الدين والدنيا وان الامر بالشرع لا بالقياس في موضع النص فقال واحل الله البيع وحرم الربا اي احل
الله تعالى الزيادة في اول البيع وحرم الزيادة الاخيرة فمن جاءه موعظة اي نهي وزجر من ربه عن الربا فانتهى
عنه فله ما مضى من اكل الربا قبل النهي ولا اثم عليه في ذلك وامره فيما بقي من عمره الى الله عز وجل ان شاء عصمه
وان شاء لم يعصمه ويقال معنى فله ما سلف له ما اخذ من الربا قبل التحريم وامره الى الله في المستقبل في العفو
والتجاوز عنه وانما لم يقل من جاءته موعظة لان تانيث الموعظة ليس بحقيقي فيجوز تذكيره ويجوز ان ينصرف
الى المعنى كانه قال من جاءه وعظ او نهي من ربه عن الربا ومعنى ومن عاد قال بعضهم من عاد الى اكل الربا فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون دايمون الى ما شا الله تعالى ويقال من عاد بعد النهي الى قوله انما البيع مثل الربا
فاولئك اهل النار هم فيها مقيمون دايمون لان مستحل الربا كافر لانكاره اية من كتاب الله تعالى والربا في اللغة
عبارة عن الزيادة ومنه الرابية والربوة من الارض اذا كانت زايدة على ما حواليها ويقال اربى فلان على فلان
في القول والفعل اذا زاد عليه فاما الربا في الشرع فهو على ضربين احدهما ربا الفضل وهو الزيادة في احد البدلين
المقدرين من جنس واحد واسنده الا بالخبر الوارد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد والفضل ربا الى اخر الخبر وهو معروف عند الفقها رحمهم الله
والاخر ربا النسا ولا يكون ذلك الا بالنسية في احد البدلين الا اذا كان البدلان من جنس واحد مثل الثوب
الهروي بالهروي واتفقا في معنى الثمنية والمثمنية مثل الحنطة بالشعير كما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم يدا بيد ولا خير فيه نسية والى هذا ذهب اصحابنا
رحمهم الله وكانت العرب تعقد بعض الدراهم والدنانير الى اجل بزيادة على مقدار القرض على ما يتراضون
بينهم ربا ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد ربا وان كان متفاضلا من جنس واحد فاسم الربا شرعي وفي معنى
اللغة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ان اية الربا من اخر ما نزل من القران وقبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان يبين لنا كثيرا منه فان من الربا ابوابا لا تكاد تخفى على ذي لب منها السلم في السن وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ياتي على الناس زمان لا يبقى احد الا اكل الربا فان لم
ياكله اصابه من غباره وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده
اذا علموا به ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الربا بضع وسبعون بابا ادناه كاتيان الرجل امه واما الخبط في اللغة فهو الضرب على غير
استوا يقال خبط البعير اذا ضرب بيده قال زهير رايت المنايا خبط عشوا من تصب تمته ومن تخطى
يعمر فيهرم وخبط الشجر ضربها بالعصى ليسقط ورقها والمس الجنون فيقال رجل ممسوس اي مجنون
وفلان مس اي جنون قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار
اثيم معناه يهلك الله الربا ويذهب بركته والمحق نقصان الشي حالا بعد حال يقال محقه الله محقه

محقا

محقا فالمحق وامتحق اي هلك ومال الربا ينقص حالا بعد حال الى ان يتلف كله وقيل ان مال اكل الربا
لا يخلو من احد وجوه ثلث اما ان ينفقه فيما لا يصلح او يذهب عنه او يذهب عن ولده ومعنى ويربي
الصدقات يقبلها ويعطي خلفها في الدنيا ويضاعف ثوابها في الاخرة من واحد الى عشرة الى سبعين
الى سبعماية الى ما شا الله من الاضعاف كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقبل
الصدقات ولا يقبل منها الا الطيبة ويربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه وفصيله حتى ان اللقمة
تصير مثل احد ومعنى والله لا يحب كل كفار اثيم اي يبغض كل جاحد بتحريم الربا فاجر عاص باكله
واستحلاله وانما قال كفار اثيم ولم يقل كافر ليتبين ان مستحل الربا مع كونه كافرا كفار للنعمة والاثيم
المتمادي في الاثم والاثم الفاعل للاثم قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون معناه ان الذين
امنوا بالله وكتبه ورسله وبتحريم الربا وعملوا الصالحات الطاعات فيما بينهم وبين ربهم واقاموا الصلوة
الخمس بما يجب من حق الله عز وجل فيها واعطوا الزكوة المفروضة من اموالهم لهم جزاؤهم وثوابهم في الاخرة
عند ربهم ولا خوف عليهم اذا ذبح الموت ولا هم يحزنون اذا اطبقت النار على اهلها وانما جمع الله تعالى
بين هذه الخصال لا لان الثواب لا يستحق على كل واحد منها فانما يستحق على جملتها اذ لو كان كذلك
لكان فيه تصغير امر كل واحد منها ولكن جمع بينها للترغيب في كل واحدة منها وهذا كما قال الله عز
وجل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاما الى اخر الاية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد لا لان الوعيد على مجموع هذه الخصال
دون احادها اذ لو كان كذلك لكان فيه توهين كل واحدة منها ولكن جمع بينها ليتبين ان الوعيد يلحق
الانسان بفعل كل واحدة منها قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربا ان كنتم مومنين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نفر من ثقيف مسعود
وحبيب وربيعة وعبد ياليل بني عمرو بن عمير الثقفي كانت لهم ديون على بني المغيرة وكانت بنو المغيرة
يربون لهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على اهل مكة وضع الربا كله وكان اهل الطايف قد صالحوا
على ان لهم رباهم من الناس ياخذونه وما كان عليهم من ربا الناس فهو موضوع عنهم لا يوخذ منهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب في اخر كتابهم ان لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين
فلما حل الاجل كتب ثقيف الى بني المغيرة يطلبون رباهم فقالت بنو المغيرة ما بالنا نكون اشقى
الناس وضع الربا عن الناس كلهم ويوخذ منا خاصة فقالت لهم ثقيف انا صالحنا على ان ربانا لنا
وما كان علينا من ربا فهو موضوع فتخاصموا الى اميرهم وهو عتاب بن اسيد فلم يدر ماذا يقضي
بينهم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة فانزل الله تعالى هذه الاية خطابا
لثقيف بقوله اتقوا الله تعالى وذروا ما بقي من الربا فانه لم يبق غير رباكم ان كنتم مومنين اي من
كان مصدقا بتحريم الربا فهذا حكمه وفي الاية دليل ان كل ما طرا على عقد البيع قبل القبض مما يوجب
تحريم ذلك العقد اوجب فسخه نحو النصرانيين يتبايعان في الخمر ثم يسلم احدهما قبل قبض الخمر و
المسلمين يتبايعان في الصيد ثم يحرم احدهما قبل قبض الصيد فانه ينفسخ البيع ولو كان الصيد
والخمر مقبوضين ثم احرما او اسلما لم يبطل البيع لان الله تعالى انما ابطل في هذه الاية من الحرام ما لم يقبض
قوله عز وجل فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا
تظلمون ولا تظلمون اول هذه الاية يحتمل معنيين احدهما ان لم تقبلوا امر الله تعالى ولم تقروا بتحريم
الربا ولم تتركوه فاعلموا انكم يحاربكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اي يعذبكم الله تعالى في الاخرة

الألوكة

بالنار ويعزركم رسوله صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالسيف والاذن العلم يقال اذن يأذن اذنا اذا
علم ومن قرا فآذنوا بالمد فمعناه فاعلموا اصحابكم المتمسكين بمثل ما انتم عليه ان من عامل بالربا مستحلا
له حاربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى الثاني ان لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نزول الامر
بتركه فاذنوا بحرب من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك لا يوجب الاكفار لان لفظ محاربة
الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يطلق على ما دون الكفر كما في اية قطاع الطريق وهذا الحكم في اية الربا
انما يستقيم اذا اجتمع اهل بلد او قرية لهم منعة او قوة على المعاملة بالربا وكانوا محاربين له فان الامام
يستتيبهم فان تابوا والا قاتلهم فاما اذا عامل واحد او جماعة قليل عددهم معاملة الربا فان الامام
يستتيبهم فان تابوا والا زجرهم وعزرهم وحبسهم الى ان يظهر منهم توبتهم وقد روي عن عبد الله بن
عباس وقتادة والربيع بن انس نحو ان الامام يستتيبه فان تاب والا قتله وهذا محمول على ان يفعله
مستحلا له لانه لا خلاف بين اهل العلم انه ليس بكافر اذا اعتقد تحريمه ومعنى وان تبتم فلكم رؤوس
اموالكم اي ان رجعتم عن استحلال الربا واقررتم بتحريمه ويقال ان تبتم عن معاملة الربا فلكم رؤوس اموالكم
التي اسلفتموها الى الغرماء لا تظلمون بطلب الزيادة على راس المال ولا تظلمون بحبس راس المال عنكم وفي
قوله عز وجل ولا تظلمون دليل ان المطلوب اذا امتنع من اداء راس المال مع القدرة عليه كان ظالما و
لهذا قالوا ان المديون يحبس في الدين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مطل الغني ظلم
وروي انه قال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته ومعلوم انه لا يستحق الضرب بالاجماع فلم يبق
الا الحبس قال عبد الله بن عباس لما نزلت هاتان الايتان كتب بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عتاب فقراهما على ثقيف فقالوا بل نتوب الى الله عز وجل فانه لا يدان لنا بحرب الله عز وجل و
حرب رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبوا رؤوس اموالهم من بني المغيرة فقالت بنو المغيرة نحن اليوم اهل
عسرة فاخرونا الى ان تدرك الثمار فابوا ان يؤخروهم حتى نزل قوله عز وجل وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون معناه ان كان المطلوب ذا ضيق وشدة فتاخيره
الى السعة واليسار وروي عن ابن عباس وشريح وابراهيم ان الانظار انما يجب في الدين يعني دين الربا خاصة
وكان شريح يحبس المعسر في غيره من الديون وروي عن ابي هريرة والحسن والضحاك ان ذلك واجب في
كل دين وهذا هو الاصح والله تعالى اعلم لان نزول الاية في راس مال الربا لا يمنع اعتبار سائر الديون به
بالاستدلال والقياس وذهب بعض اهل النحو الى ان الرفع في قوله ذو عسرة دليل على انه ابتدا على
معنى وان وقع ذو عسرة او وجد ذو عسرة يقال قد كان الامر اي وقع الامر ولو كان هذا مختصا بالربا
لقال وان كان ذا عسرة بالنصب ويحتمل ان يكون تقديره الرفع وان كان ذو عسرة غريما لكم وفي قراءة ابي
بن كعب رضي الله عنه وان كان ذا عسرة اي كان المطلوب ذا ضيق وشدة والنظرة مصدر يقال بعت
بنظرة اي بتاخير ومن قرا فناظره فهو من اسماء المصادر ايضا كما في قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقوله
عز وجل تظن ان يفعل بها فاقرة ومن قرا ميسرة بضم السين فهو لغة في الميسرة ومعنى وان تصدقوا خير
لكم اي ان تصدقوا براس المال فهو افضل لكم ان كنتم تعلمون ثواب من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله
تعالى يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله وفي الاية دليل على ان للامام ان يتعرف عن احوال المحبوسين على ما قالوا
ان كل من ثبت عليه حق فحبسه الامام فانه يسال عنه بعد شهرين او ثلثة فان كان موسرا تركه في الحبس
ابدا الى ان يقضي الحق وان كان معسرا خلى سبيله وذكر ابن رستم عن محمد عن ابي حنيفة رحمه الله ان
المطلوب اذا قال انا معسر واقام البينة على ذلك وقال سل عن حاله قال لا اسال عنه احدا والجواب ان له
مالا اخباه فاحبسه شهرين او ثلثة حتى يضجر فيعطي المال ان كان له مال ثم ان لم يظهر له مال فاني اسال

عنه

عنه الا ان يكون معروفا بالعسر فلا احبسه كما روي ان رجلا اتى عليا كرم الله وجهه بغريمه
وساله حبسه فقال الرجل بينة على ماله احبسه قال فاني اذا الزمه قال اما ضعفت من لزومه
وقال الشافعي يباع على الغريم ما ظهر من ماله ويحبس اذا بقي عليه من الدين شيء فان اتى
بالبينة على اعساره قبلت بينته وحلفته على ذلك بالله ما له شيء سوى ما ظهر عليه فاذا
حلف منعت غرماءه من لزومه وليس في هذه الاية ما يمنع الملازمة بعد ظهور الاعسار
لان النظرة تقتضي النظر وفي اخراج المطلوب من الحبس مع الملازمة نظر لهما لكي يستوفي
صاحب الحق حقه من كسبه اذا وجد فيه فضلا عن نفقته وقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه ابتاع بعيرا من اعرابي بتمر الى اجل فلما حل الاجل اتاه الاعرابي يتقاضاه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتنا وما عندنا شيء فجعل الاعرابي يقول وا عذراه فهم عمر
رضي الله عنه ان يضربه فقال صلى الله عليه وسلم دعه فان لصاحب الحق مقالا وفي بعض الروايات
نادى الي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان لصاحب الحق اليد
واللسان وفي قوله عز وجل وان تصدقوا دليل على ان الصدقة افضل من القرض لان القرض يقع
المال بتاخير الاسترجاع وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قرض مرتين صدقة مرة
قوله عز وجل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
تحذير من الله عز وجل ان يوافي العباد ذلك اليوم على غرة وغفلة وتقصير في اوامر الله تعالى
ومخالفته فيما احل وحرم يقول اخشوا عذاب يوم ترجعون فيه الى جزاء الله تعالى ويقال الى
ملك الله تعالى فلا يكون لكم يومئذ غلط حضرة ولا شفاعة ومعنى وصف الناس بالرجوع
اليه في ذلك اليوم اي حالهم اخرا وان لا يملك احد ضرهم ولا نفعهم الا الله تعالى يعود الى مثل
ما كان عليه حالهم اولا في بطون امهاتهم كان لا يملك ضرهم ولا نفعهم الا الله ثم بعد الرضاع في
حال الرضاع والفطام والنشو والبلوغ ملك بعضهم ضر بعض ونفع بعض في ايام الدنيا ثم يرجع
الامور كلها الى الله عز وجل في اليوم الاخر وهو يوم القيمة ومعنى ثم توفى كل نفس ما كسبت
يوفر على كل نفس جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد في
سيئاتهم قال ابن عباس رضي الله عنه هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
القران وذلك انه لما حج البيت نزل عليه جبريل عليه السلام وهو واقف بعرفة بقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم ثم نزل بعد ذلك هذه الاية واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقال يا رسول الله
ضعها على راس ثمانين ومائتي اية من سورة البقرة فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
هذه الاية بسبعة ايام قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب و
ليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا
او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا
رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب
الشهداء اذا ما دعوا ولا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة
وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا
اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله و
الله بكل شيء عليم روي عن عبد الله بن عباس ان الكتاب كانوا على عهد رسول الله صلى الله

الألوكة

عليه وسلم قليلا فامر الله الناس في بيعهم وشرائهم بالكتابة للمداولة بينهم وكان يقول اشهد ان السلف
المضمون الى اجل معلوم قد احله الله وانزل فيه اطول اية من كتاب الله تعالى فتلا هذه الاية وظاهر الاية على
كل دين من سلم او غيره ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان فيما تقدم امر الدين اذ هو من باب المداينة
والمتاجرة فذكر الله عز وجل المداينة المباحة وامر بالكتابة ومعنى الاية والله تعالى اعلم يا ايها الذين
صدقوا بتوحيد الله تعالى اذا تبايعتم بالنسيئة الى وقت معلوم فاكتبوا الدين باجله واشهدوا عليه
كيلا يحدث في نفس احدكم الطمع في مال صاحبه ولا يقع الشك في مقداره والتداين تفاعل من المداينة
وهو فعل الاثنين في سبب الدين وانما قال عز وجل بدين ولا يكون التداين الا بدين لان تداينتم قد يكون
بمعنى تجازيتم في الدين وهو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ عن الاشتراك
وجائز ان يكون على وجه التاكيد كما يقال ضربت ضربا وشتمت شتما ولا فرق بين قولك دينا وبين
قولك بدين كما لا فرق بين قولك كلمت فلانا كلاما وبين قولك بكلام واختلفوا في هذه الكتابة انها
فرض او ندب ذهب ابو سعيد الخدري والحسن والشعبي رضي الله عنهم ان الكتابة والاشهاد على
الديون الآجلة كانا واجبين بهذه الاية ثم نسخا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لا والله ان اية الدين محكمة ما فيها نسخ وهو قول الربيع وكعب وهذا هو الاصح والله
اعلم لان الامر بالكتابة والاشهاد انما ورد مقرونا بقوله عز وجل فان امن بعضكم بعضا ولم يثبت
بين نزول هذين الحكمين ويستحيل ورود الناسخ والمنسوخ معا في شيء واحد وكان المراد بالامر الندب
والفائدة في قوله عز وجل الى اجل مسمى بيان وجوب اعلام الاجل وان جهالة الاجل في البياعات يفسدها
واما قوله عز وجل وليكتب بينكم كاتب بالعدل اي ليكتب الصك بين المتداينين كاتب بالحق لا يزيد على الحق
على المطلوب ولا ينقص من حق الطالب يعني ان سبيل الكاتب اذا كتب ان يكتب على حد العدل والاحتياط
في كتبه الشروط الصحيحة والتحرز عن العبارات المحتملة للمعاني المشتركة ليخرج الكتابة من اختلاف الفقهاء
وموضع الاحتمال حتى يحصل بذلك معنى الوثيقة ولذلك قال عز وجل ولا ياب كاتب ان يكتب كما
علمه الله اي لا يمتنع ان يكتب كما علمه الله تعالى شكرا لما انعم الله تعالى عليه حيث علمه الله عز وجل
الكتابة واحوج غيره اليه فليكتب وقد اختلف السلف رحمهم الله في وجوب الكتابة على الكاتب
قال الشعبي هو واجب على الكفاية كالجهاد ونحو ذلك وقال السدي هو واجب على الكاتب في حال فراغه
وقال الضحاك كانت الكتابة واجبة في ذلك الوقت ثم نسخ بقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
والصحيح ما تقدم ان الكتابة غير واجبة في الاصل على المتداينين فاذا لم تكن واجبة عليهم فكيف تكون
واجبة على الاجنبي الذي لا حكم له في هذا العقد ولا سبب له فيه غير ان المتداينين اذا قصدوا الى ما
ندبهم الله تعالى اليه من الاستيثاق بالكتاب ولم يكونوا عالمين بذلك كان على من علم ذلك ان يبينه
لهم وليس عليه ان يكتبه لهم ولكن يبين حتى يكتبوه او يكتبه اجير او متبرع باملاء من يعلمه كما لو اراد
انسان ان يصوم صوم تطوع او يصلي صلوة تطوع ولم يعلم احكامهما كان على العالم بذلك ان يبينه له لان
على العلماء بيان النوافل اذا سئلوا كما ان عليهم بيان الفرض واما قوله عز وجل فليملل الذي عليه الحق
اي ليمل على الكاتب حتى يكتب والاملال والاملاء بمعنى واحد مثل التقصص والتقضي والتظني والتظنن
واما قوله عز وجل وليتق الله ربه اي ليخش الله تعالى الذي عليه الحق في الاملاء ولا ينقص من حق الطالب شيئا
وفي هذا اثبات جواز الاقرار وبيان ان كل من اقر بشيء لغيره كان القول قوله في ذلك اذ لولاه لم يكن للموعظة
في ترك البخس معنى كما تقدم ذكره في قوله عز وجل ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن واما قوله
تعالى فان كان الذي عليه الحق سفيها خفيف العقل جاهلا بشروط الاملاء بتمييز صحيحا او

صعيفا

اوضعيفا في العقل مثل الصبي والمراة او كبير السن او لا يستطيع ان يمل هو لمرض او خرس او لا يقدر على ذلك
لعيبه فليملل وليه الذي يقوم بامره بالعدل بالحق وقد احتج ابو يوسف ومحمد والشافعي رحمهم الله في
اثبات الحجر على السفيه بان الله تعالى اجاز لولي السفيه الاملال عليه في هذه الاية وهذه الاية
مشتركة الدلالة لان في مضمونها جواز مداينة السفيه لقوله عز وجل اذا تداينتم بدين الى قوله عز وجل
فان كان الذي عليه الحق سفيها وهذا حجة لابي حنيفة رحمه الله وانما خالف بين السفيه وبين غيره
في الاملال لنقصان فهمه بماله وعليه على ما تقتضيه شروط الوثيقة وقد قالوا ان المراد بقوله
عز وجل فليملل وليه ولي الدين اي ليكن هو الذي يملي الكتاب حتى يقر به المطلوب الذي عليه الدين
ومن الدليل على صحة هذا القول انه لا خلاف ان اطلاق اقرار ولي المحجور عليه بالسفه لا يجوز الا ان يكون
في مقابلة مال السفيه فعلم ان المراد بهذا ولي الدين والله اعلم واما قوله عز وجل واستشهدوا
شهيدين من رجالكم اي اشهدوا على الحق شهيدين من رجالكم من الاحرار البالغين المسلمين دون
الكفار والعبيد وفي الاية ما يدل على هذه الشرائط في الشهود لان اول هذه الاية خطاب للمؤمنين
وقوله تعالى من رجالكم دليل ان البلوغ شرط في الشهادة وفي عطف هذا اللفظ على التداين و
الاملاء دليل ان الحرية شرط في الشهود لان العبد لا يملك المداينة الا باذن المولى واذا اقر بشيء لم يجز
اقراره الا باذن مولاه واما قوله عز وجل فان لم يكونا رجلين اي ان لم يكن الذان يشهدان رجلين ورجل م
فليشهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان شهيدان لان وجه قوله عز وجل وامراتان بدل قوله
عز وجل واستشهدوا شهيدين فلولا ان اسم الشاهدين يشترك فيه رجلان او رجل وامراتان جميعا
لم يصح ان يفسره بقوله عز وجل فرجل وامراتان بل كان يجب ان يقول واستشهدوا رجلين فان لم
يكونا فرجل وامراتان الا ترى انه لا يصح ان يقال اعتق رقبة عبدا فان لم يكن فصيام شهرين لان اسم
الرقبة اسم الرقبة العبد والامة جميعا لا يقع على الصيام كما يقع على العبد ويصح ان يقال اعتق رقبة
عبدا فان لم يكن فامة لانه يشترك في اسم الرقبة العبد والامة جميعا فلم تكن شهادة رجل وامراتين من
الابدال التي لا تصح مع القدرة على الاصل مثل قوله عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا ونحو ذلك لانه
لا خلاف في جواز شهادة المراتين ورجل مع وجود رجلين فعلم انه لم يرد به اقامة شهادة المراتين
مقام رجل عند عدم الرجلين وانما اراد تسمية الرجل والمراتين شهيدين فيكون ذلك اسما شرعيا
يحتاج اليه فيما امر باقامته بشهادة شاهدين الا فيما قامت الدلالة عليه من الحدود والقصاص
وفي الاية ما يدل على جواز شهادة رجل وامراتين في ابدال المنافع والاعيان نحو الاجرة والمهر وبدل
الخلع والصلح من دم العمد لان هذه ديون اجلها بعقود مداينة لان لفظ الاية يقتضي عموما اشتماله
على دين مؤجل في العقد الذي لا يصح الا بالاجل لان الله تعالى قال اذا تداينتم بدين ولم يقل ببيع وقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدين بالدين ومعنى ممن ترضون من الشهداء اي من ترضون
عدالته وامانته وهذا القيد يدل على ان من الشهود من لا يرضى كان فيهم من يرضى والمرضي من
يجتمع فيه ثلاثة اشياء احدها العدالة واصلها الايمان واجتناب الكبائر ومراعاة حقوق الله
تعالى من الواجبات والمسنونات وصدق اللهجة واداء الامانة والثاني نفي التهمة نحو ان
لا يكون المشهود له والدا ولا ولدا ولا زوجا ولا زوجة للشاهد وان لا يكون الشاهد شهد
بهذه الشهادة فردت شهادته للتهمة فان شهادته هو لا غير مقبولة لمن ذكرنا وان كانوا
عدولا مرضيين في الحال والثالث التيقظ وقلة الغفلة وذلك ان لا يكون الشاهد ممن
يلقن فيتلقن ويجوز عليه التزوير فيشهد به وروى ابن رستم عن محمد في رجل صوام قوام مغفل

شام

عليه

يخشى ان يلقن فيأخذه قال هذا اشد من الفاسق في شهادته واما قوله عز وجل ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فمعناه والله اعلم لان تنسى احديهما فتذكرها التي حفظت تقديره لان تذكر احداهما الاخرى الناسية ان نسيت فيكون الجزا مقدما في المعنى وهذا كما يقال ليعجبني ان يسال السايل فيعطى اي يعجبني الاعطا ان سال السايل ويقال اعددت هذا ان يميل الحايط فادعمه وانما اعده للادعام لا للميل لكن انما ذكر الميل لانه سبب الادعام كما ذكر الضلال هاهنا لانه سبب الاذكار ومن قرا ان تضل فتذكر بكسر الالف وضم الرا على معنى الابتدا والشرط وموضع تضل جزم بالشرط وجواب الشرط بالفا يقتضي الرفع وقيل في تفسير القرآن ان امتنعت احدى المراتين عن ادا الشهادة تعظها الاخرى حتى تشهد ومن قرا فتذكر بالتخفيف فالاذكار والتذكير بمعنى واحد يقال اذكرت فلانا وذكرته بمعنى واحد وقيل في معنى التخفيف يجعلها ذكرا اي يقومان مقام رجل واحد وقد اعترض على هذا القول وقيل ان في الاية تعليق الاذكار من النسيان وقد ورد على وفق هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما رايت من ناقصات العقل والدين اذهب بعقول ذوي الالباب منكن فقالت امراة ما نقصان ديننا قال صلى الله عليه وسلم تقعد احداكن شطر دهرها لا تصوم ولا تصلي فقالت ما نقصان عقلنا فقال صلى الله عليه وسلم اقيمت شهادة امراتين منكن مقام شهادة رجل واحد وفي الاية دلالة ان الشاهد وان عرف خطه لا يجوز له ان يشهد على كتابه الا ان يكون ذاكرا للشهادة واما قوله عز وجل ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا اي لا يمتنعوا اذا دعوا الى اقامة الشهادة عند الحاكم او الحكام واما من قال معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة في الكتاب وهو التحمل فتحمل الشهادة فرض على الكفاية واما قوله عز وجل ولا تساموا اي لا تملوا ان تكتبوا الحق قليلا كان الحق او كثيرا الى محله يقال سامت اسام سامة اذا مللت قال الشاعر

سيمت تكاليف الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابا لك يسام

واما قوله عز وجل ذلكم اقسط عند الله اي الكتاب اعدل عند الله احصى للاجل واحفظ للشهادة واقرب الى ان لا تشكوا في مقدار الحق ومقدار الاجل وفي هذا دليل انه لا تجوز اقامة الشهادة الا مع زوال الريب كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع واما قوله عز وجل الا ان تكون تجارة حاضرة فاكثر اهل القراة في التجارة الرفع معناه الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد فليس عليكم حرج في ترك كتابة في تلك التجارة ومن نصب التجارة فمعناه الا ان تكون المداينة تجارة وفي هذا توسعة من الله تعالى لعباده لان لا تضيق عليهم امر بياعاتهم في الماكول والمشروب والاشيا التي تمس حاجتهم اليها في اكثر الاوقات وتشق عليهم كتابة جميعها واما قوله عز وجل واشهدوا اذا تبايعتم فمعناه اشهدوا على حقوقكم اذا بعتم واشتريتم وهذا محمول على البياعات النفيسة ولما يتعلق بها من الحقوق لبعضهم على بعض من عيب يوجد او رجوع بالثمن عند الاستحقاق فاما العقد اليسير الذي جرت العادة التوسع بالاشهاد فيه نحو شرا الخبز والبقل والما وما جرى مجرى ذلك فغير داخل في هذا الخطاب واما قوله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد فيحتمل وجهين احدهما لا يضار الكاتب ولا الشاهد الطالب ولا المطلوب اي لا يكتب الكاتب الا بالحق ولا يشهد الشاهد الا بالحق فتقديره ولا يضارر على النهي والثاني على فعل ما لم يسم فاعله اي لا يدعى الكاتب وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله الا بضرر يدخل عليه وكذلك لا يدعى الشاهد ويحبس للشهادة فيتضرر ومعنى وان تفعلوا فانه فسوق بكم اي تقصدوا المضارة بعدما نهى الله تعالى عنها فانه اثم وخروج من امر الله تعالى واتقوا في الضرار ولا تعصوه فيما امركم به ويعلمكم الله تعالى ما به قوام دينكم ودنياكم والله بكل شي من اعمالكم عليم يعلم ما تعملون

في

في الكتابة والشهادة قوله عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم معنى الاية والله تعالى اعلم وان كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبا يكتب الوثيقة بالحق وفي قراة ابن عباس كتابا يعني الصحيفة والدواة فرهان مقبوضة اي الوثيقة رهان يقبضها الذي له الحق من الذي عليه الحق وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا اي ان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيا فليؤد الذي اؤتمن امانته وهو المطلوب امانته بان لا يخون ولا يجحد وليتق الله ربه الذي رباه فيما اؤتمن عليه ثم حذر الله تعالى الشهود فقال عز من قائل ولا تكتموا الشهادة اي لا تكتموها عند الحكام ولا تمتنعوا من ادايها ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي فاجر سريرته واضاف الاثم الى القلب وان كان الاثم من الكاتم لان اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب وهذا ابلغ في الوعيد واحسن في البيان لان كاتم الشهادة يلحقه الاثم من وجهين احدهما العزم على ان لا يؤدي والثاني ترك ادايها باللسان وقوله والله بما تعملون عليم اي بما تعملون من كتمان الشهادة واقامتها وادا الامانة والخيانة فيها عالم لا يخفى عليه شي مما تفعلون وتدعون والرهان مصدر راهنت مراهنة ورهانا وقد يقام المصدر مقام الاسم ويقال ان الرهان جمع الرهن كالكباش والبغال والجبال جمع الكبش والبغل والجبل والرهن وقد اختار بعضهم رهن مقبوضة فصلا بين رهان الخيل والرهن في غيرها واختار الزجاج رحمه الله هذه القراة لموافقة المصحف فان المكتوب في المصحف بغير الف وقال ابو عبيدة الرهن جمع الرهن كما يقال سقف وسقف وفرس ورد وخيل ورد وقال الكسائي والفرا الرهن جمع الرهان كما يقال ثمر وثمار وثمر وعن مجاهد انه كان يذهب الى ظاهر هذه الاية وكان يكره الرهن الا في السفر ولا خلاف بين فقها الامصار وعلما السلف في جواز الرهن في الحضر وقد روي عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعاما الى اجل ورهنه درعه والقايدة في ذكر السفر في الاية ان الاغلب من حال السفر عدم الشهود والكتاب فخص الرهن بحال السفر والله اعلم وفي هذه الاية دلالة ان الرهن لا يصح الا مقبوضا لان الله عز وجل عطف الرهن على الشهادة وجعله قايما مقامها فلما كان استيفا العدد المذكور والصفة المشروطة في الشهود والحاق ذلك وجب ان يكون حكم الرهن فيما شرط الله عز وجل له من الصفة والثاني ان الرهن وثيقة للمرتهن بدينه ولو صح غير مقبوض لبطل معنى الوثيقة وكان بمنزلة ساير اموال الراهن اذ يكون عند الراهن والدين جميعا وفي الاية دلالة ان الرهن مضمون لانه عطف الامانة على الرهن والشي لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره والحكمة في الامر بالكتاب والاشهاد والرهن والله تعالى اعلم ان هذه الاحكام كلها من مصالح الدين والدنيا لما في ذلك من صلاح ذات البين ونفي التنازع والاختلاف فان المطلوب اذا علم ان عليه شهودا او كتابا او رهنا في يد الطالب قل الخلاف لعلمه ان الخلاف لا ينفعه بل يظهر بذلك كذبه بشهادة الشهود عليه واذا لم يكن كتاب ولا وثيقة وجحد المطلوب حمل جحوده الطالب على مقابلته بمثله حتى ربما لا يرضى بمقدار حقه دون الاضرار به في اضعافه فيؤدي ذلك الى فساد ذات البين وذهاب الدنيا والدين قال الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقد نبه الله سبحانه عباده على هذا المعنى في تحريم الخمر والميسر حيث قال جل ذكره انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى اخر الاية ولهذا ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغرر وبيع ما ليس عند الانسان والبياعات المجهولة وما يؤدي ... تنبيها الى اخر الايات الثلث اشارة الى وجوب حفظ ... الايتين

الألوكة
www.alukah.net

المال والزوج عن صحبته وهو نظير قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقوله
عز وجل ولا تبذر تبذيرا وقوله عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه نهى عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال قوله عز وجل لله ما في السموات
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شيء قدير روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في كتمان الشهادة وذهب
جماعة من المفسرين الى انها عامة في الشهادة وغيرها ومعنى الاية والله اعلم ان ما في السموات والارض
كلها لله تعالى وكلهم عبيده وفي ملكه يقضي فيهم ما يشاء ان تظهروا الشهادة او تكتموها ويقال ان تظهروا
العمل بالاحكام التي تقدمت في هذه الاية او تسروه فلا تعملوه يحاسبكم الله تعالى به في القيمة ويقال يعلم فيكم
ما تعملون روي عن ابن شريق في قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا انه العرض من نوقش الحساب عذب
وقوله عز وجل فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قيل في معناه يغفر لمن يشاء لمن تاب من الذنوب ويعذب
من يشاء لمن اصر عليها فانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار والاولى ان يقال ظاهر هذه الاية
ويعذب بالجزم فعطف على جواب الشرط قوله تعالى والله على كل شيء قدير ان المسلم المذنب اذا مات
قبل التوبة فهو في مشية الله تعالى ان شاء رحمه وان شاء عذبه ومن قرا فيغفر ويعذب بالجزم فعطف على معنى
جواب الشرط واما قوله تعالى والله على كل شيء قدير اي الله تعالى على كل شيء من المغفرة والعقوبة قادر
واختلف اهل التفسير في هذه الاية انها محكمة او منسوخة ذهب بعضهم الى ان المراد بالاية ان تظهروا
ما في قلوبكم او تضمروه في قلوبكم يحاسبكم به الله تعالى لكنها نسخت بما بعدها قالوا لما نزلت هذه الاية
شق ذلك على المسلمين مشقة شديدة قالوا ان الرجل ليحدث نفسه بامر من المعصية ثم لا يعمل بها
او يعمل بها فيحاسب بها احدنا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقولون كما
قالت اليهود سمعنا وعصينا فقالوا بل نقول سمعنا واطعنا فنزلت هذه الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فنسخ ما قبله وعن سفيان الثوري انه قال بلغني ان الانبياء عليهم السلام كانوا ياتون قومهم بهذه الاية
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيقولون لا نطيق هذا ولا نحمله فلما عرض على هذه
الامة قبلوه فوضع عنهم بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها واستدلوا على هذا القول بما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا او يتكلموا
به وقال بعضهم لا يجوز ان تكون هذه الاية منسوخة لانها خبر من عند الله عز وجل والخبر لا يحتمل
النسخ لانه خلف وبداء وذلك جهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا لكن المراد بالاية اظهار العمل
واخفاوه وقال مجاهد هذه الاية محكمة في الشك واليقين قال الله عز وجل في قلوبهم مرض فزادهم الله
مرضا اي شكا وقال الربيع بن انس هذه الاية محكمة لم ينسخها شيء يعرف الله تعالى عبده يوم القيمة يقول
انك خفيت في صدرك كذا وكذا وساعة كذا وكذا ثم لا يواخذه واستدل على هذا القول بقوله عز
وجل ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسؤولا ويحتمل ان يكون هذا
تاويل الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به
انفسها وقيل تاويل الخبر ان هذه الاية انما وردت فيما يواخذ به العبد فيما بينه وبين الله تعالى وذلك
الخبر انما ورد فيما يلزم العبد من احكام الدنيا فلا يقع عتقه ولا طلاقه ولا بيعه ولا هبته بالنية ما لم يتكلم
ومن نظائر هذه الاية قوله عز وجل ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وقوله تعالى ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية ويدل على ذلك ان من احب ما ابغضه الله تعالى وابغض ما احبه
الله تعالى كان معاقبا على ذلك وان لم يعمل الا بقلبه وقال محمد بن علي الحكيم في هذه الاية ان الاخفاء نوعين

على

على السر ويحتويه ثم لا يصل اليه ولا يتمكن منه وهذا القول حسن جدا اختاره جماعة من المفسرين رحمهم الله
قوله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
وذلك لما سبق في السورة ذكر احكام كثيرة اثنى الله عز وجل على من امن بها وقبلها فقال عز من قائل امن
الرسول بما انزل اليه جميع الاحكام التي انزلها الله تعالى وكذلك المؤمنون كلهم امنوا بالله تعالى ولانما
وحد الله تعالى قوله امن لان لفظ الكل موحد وانما اتى بالايمان بالملائكة لان حيا من خزاعة
كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك وقالت الفلاسفة ان الكواكب هي الملائكة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ان الملائكة عباد الله ليسوا بنات الله تعالى ولا الكواكب
واما قوله عز وجل وكتبه ففيه قراءتان احداهما على لفظ الجماعة وقرا حمزة والكسائي وكتابه على
لفظ الوحدان وهي قراءة عبد الله بن عباس ويحتمل ان يكون المراد بلفظ الوحدان جنس الكتاب كما يقال
كثر الدرهم والدينار في ايدي الناس ويحتمل ان يكون المراد بالكتاب القران وقوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله معناه قالوا لا نفرق بين احد من رسله اي لا نفعل كما فعل اهل الكتاب امنوا ببعض وكفروا
ببعض ومن قرا لا يفرق بالياء فالمعنى كل امن كل لا يفرق واما قوله عز وجل وقالوا سمعنا واطعنا اي قالوا
سمعنا قولك واطعنا امرك ويقال معنى اطعنا قبلنا ما سمعنا لان من سمع ولم يقبل قيل هو اصم كما قال
الله تعالى صم بكم عمي ومعنى قوله غفرانك ربنا اي اغفر غفرانك يا ربنا الا انه استغنى بالمصدر عن الفعل
في الدعاء كما يقال حمدا وشكرا اي احمد حمدا واشكر شكرا وحكي عن الكسائي عن بعض العرب انه كان يقول
في دعائه رحمانك ريحانك وكان يسال الله تعالى الرزق واما قوله تعالى واليك المصير فالمعنى
اليك المرجع والمصير اي نحن مقرون بالبعث وهذا كما قال الله عز وجل حكاية عن ابرهيم عليه السلام اني ذاهب
الى ربي سيهدين اي ذاهب الى حيث امرني ربي قوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين معناه والله تعالى اعلم لا يكلف الله نفسا وضعا من فروضها من صوم او
صلوة او صدقة او غير ذلك من حديث النفس الا بقدر طاقتها كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومي ايماء ولهذا
ما امر الله عز وجل المريض الذي لا يقدر على الوضوء بالتيمم والشيخ الكبير الذي لا يقدر على الصوم بالفدا وقال
صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وقيل ان هذه الاية واردة مورد البيان لقوله عز وجل
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه فغلط بعض الرواة وقال ان هذا ناسخ لما قبله فان قيل هل يجوز العدل
ان يكلف فوق الوسع قيل هذا خبر عن سعة رحمته وتعطفه على خلقه كما نفى الظلم عن نفسه وان كان
لا يتوهم منه الظلم وقد قال قوم لو كلف فوق الوسع كان له ذلك لان الخلق خلقه والامر امره ولكنه اخبر
انه لا يفعله فقالوا ان معنى قوله عز وجل الا وسعها الا ما يسعها او يجوز لها واما قوله تعالى لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت فالمعنى لها ما كسبت من الطاعة وعليها ما اكتسبت من المعصية اي لا
يواخذ احد بذنب غيره كما قال عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا فرق بين كسبت واكتسبت في
اللغة وكان محمد بن علي الحكيم يقول ان الكسب من توحيد الفاعل لتوحيد من الملكوت والاكتساب
من النفس والنفس من التراب وقيل في الفرق بينهما ان الكسب فعل الانسان لنفسه ولغيره والاكتساب
ما يعمله لنفسه خاصة كالمقطع والانقطاع فوصف السيئ بالاكتساب لان وزره لا يتعداه

ومعصيته لا يضر غيره ووصف المحسن بالكسب لأن غيره يشاركه في ثوابه بالهداية والشفاعة
وأما قوله عز وجل ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي إن نسينا طاعتك أو أخطأنا
في أمرك وقال الكلبي وأخطأنا إن جهلنا أو تعمدنا وذهب إلى الخطأ الذي هو ضد الصواب لا ضد
القصد يقال خطئ إذا تعمد وأخطأ إذا سها وقد يقال أخطأ إذا تعمد وقيل معنى الآية إن
تركنا أمرا أو اكتسبنا خطيئة والنسيان بمعنى الترك معروف في الكلام كما في قوله تعالى نسوا الله
فنسيهم أي تركوا ذكر الله تعالى وأمره فتركهم في العذاب والمراد بنفي المؤاخذة في النسيان لسقوط الإثم
في الآخرة فأما حكم الدنيا فلا يرتفع التكليف منه إذا ذكره بعد النسيان كما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها وتلا قول الله عز وجل وأقم الصلاة
لذكري وقوله عز وجل واذكر ربك إذا نسيت وكذلك الخطأ مرفوع الإثم في الآخرة وهو تأويل الخبر
المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فأما في أحكام
الدنيا فيتعلق به الحكم فإن الله عز وجل نص على لزوم حكم قتل الخطأ في إيجاب الدية والكفارة وأما
قوله عز وجل ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا أي لا تحمل علينا ثقلا ويقال عهدا كما
حملته على الذين من قبلنا بني إسرائيل بحرم سهام أمرهم بقتل بعضهم بعضا وحرمت عليهم الطيبات بظلمهم
وكما كانوا مأمورين بقطع موضع النجاسة من الثياب ونحو ذلك من الأمور التي كانت ثقلا عليهم وأصل
الإصر في اللغة العطف ومنه أواصر الرحم لأنها تعطفه عليه فالواحدة آصرة يقال ما تأصرني عليه
آصرة ما يعطفني عليه قرابة ولا مودة والإصر حبل يشد على طرف وتد يحبس به المارة ويمنعون عن
النفوذ ليؤخذ منهم المكس والعشور وأما قوله عز وجل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به أي لا تجهدنا
ولا تحملنا ما يشق علينا وهذا كما يقال لا طاقة لي بهذا الأمر ولا أطيق كلام فلان أي لا أحتمله
إلا بمشقة وهذا هو معنى هذه الآية لأن الله تعالى لا يكلف أحدا شيئا لا يكون ذلك في قدرته
قال الله تعالى وكانوا لا يستطيعون سمعا ومعلوم أن أسماعهم كانت صحيحة قال الشاعر إنك
إن كلفتني ما لم أطق ۞ ساءك ما سرك مني من خلق ۞ ويقال معنى ما لا طاقة لنا به أي لا تحملنا ما لا
طاقة لنا به من العذاب وأما قوله تعالى واعف عنا أي اعف عنا من ذلك كله ويقال اترك عنا العقوبة
ومعنى العفو الترك وقوله عز وجل واغفر لنا أي استر لنا ذنوبنا وعيوبنا وارحمنا أي أنعم علينا بالجنة
والثواب ويقال معنى الآية واعف عنا من المسخ واغفر لنا من الخسف وارحمنا من الغرق أي لا تفعل بنا القذف
ما فعلت ببعض من تقدمنا من الأمم وقوله تعالى أنت مولانا أي ولينا وناصرنا ومتولي أمورنا
ثم سألوه جل ذكره بعد ما سموه باسم المولى ما يسأل من المولى من النصرة قالوا فانصرنا على القوم الكافرين
أي أعنا عليهم في إقامة الحجة وإظهار الدين كما وعدتنا روي عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وكان معاذ بن جبل رضي الله
عنه إذا ختم هذه السورة قال آمين وعن الحسن والضحاك ومجاهد وجماعة غيرهم أن قوله تعالى
آمن الرسول إلى آخر السورة كان في قصة المعراج وهو رواية عن ابن عباس حتى قال بعض المفسرين
إن جميع القرآن نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم إلا قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل
إليه من ربه فإنه سمع ليلة المعراج قالوا لما انتهى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج إلى سدرة المنتهى قال
له جبريل عليه السلام إني لم أجاوز هذا المكان ولم يؤمر بالمجاوزة أحد غيرك فامض أنت قال
فمضيت حتى انتهيت إلى ما أراد الله تعالى فأشار جبريل عليه السلام أن سلم على ربك فقلت التحيات
لله والصلوات والطيبات قال الله عز وجل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال عليه

السلام

السلام فأردت أن يكون لأمتي حظ في السلام فقلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقال جبريل
عليه السلام وأهل السموات كل واحد منهم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
قال الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرك أمته في الكرامة
والفضيلة فقال عليه السلام والمؤمنون كل آمن بالله إلى آخر الآية قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فقال جبريل عليه السلام عند ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم سل
تعط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا إلى آخر السورة قالوا فلما رجع النبي
صلى الله عليه وسلم أوحى الله إليه هذه الآيات ليعلم أمته بذلك ويعلمهم كيف يدعون الله تعالى وعن
أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما يجيئان يوم القيامة
كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما قال تعلموا البقرة وآل عمران
فإن أخذهما بركة وتركهما حسرة أحد قال ولا تستطيعهما البطلة يعني السحرة وعن عائشة رضي الله عنها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ سورة البقرة وآل عمران جعل له يوم القيامة جناحان
يطير بهما على الصراط كالبرق السورة التي يذكر فيها آل عمران مدنية وهي مائتا آية لا اختلاف في سورة آل عمران
جملتها بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم الله لا إله إلا هو
الحي القيوم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم ويقال هو قسم أقسم الله بأن الله
عز وجل واحد لا شريك له ولا معبود للخلق سواه وقد تقدم تفسير الحروف المقطعة في أول سورة البقرة
ومعنى الحي الدائم الذي لا بد له أي الذي لا يموت ولا يزول والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت قال
محمد بن إسحق والربيع إن بضعا وثمانين آية من أول هذه السورة نزلت في نصارى نجران حين وفدوا على رسول هو
الله صلى الله عليه وسلم وحاجوه في أمر عيسى عليه السلام فأنزل الله عز وجل هذه الآيات وفي قوله عز
وجل الله لا إله إلا هو الحي القيوم بيان أن الله تعالى المختص باستحقاق العبادة لتفرده بالأفعال على ما
يجب به العبادة وتفرده بفعل ما يستحق به العبادة وأكثر القراء في قوله تعالى الم على فتح الميم في
للفتح وجهان أحدهما أنه لما كانت الميم بعدها ساكنة استثقلوا فيها التسكين فحركوها إلى الفتح لأن
ما قبلها ... كما حركوا في كيف وأين والثاني أنه ألقى عليها حركة الهمزة من ألف الله وهذا جائز في الهجاء وإن كان
لا يجوز مثله في الكلام الموصول من حيث أن حروف الهجاء مبنية على الوقف فيكون ما بعد كل حرف كالمبتدأ
والألف من قوله عز وجل الله ألف وصل تسقط في درج الكلام ومن قرأ بتسكين الميم فعلى أصل
حروف الهجاء أنها مبنية على الوقف والسكت وقوله عز وجل نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان
أي نزل عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن بالصدق والعدل ويقال لإقامة أمر حق
ومعنى مصدقا لما بين يديه موافقا لما تقدمه من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالى في
الدعاء إلى توحيد الله تعالى وبيان أقاصيص الأنبياء صلوات الله عليهم والأمر بالعدل والإ
حسان وسائر ما لا يجوز فيه النسخ وقوله تعالى وأنزل التوراة والإنجيل من قبل أي أنزل التوراة
جملة على موسى عليه السلام والإنجيل جملة على عيسى عليه السلام من قبل القرآن بيانا للناس من
الضلالة وأنزل الفرقان قيل إن المراد به هو القرآن وأعاد ذكره لبيان أنه يفرق بين الحق
والباطل ومتى اختلفت فوائد الصفات على موصوف واحد لم يكن ذكر الصفة الثانية تكريرا
بل تكون الثانية في حكم المبتدأة لأن لكل صفة فائدة ليست للأخرى والصفة الأولى تفيد أن
من شاء أن يكتب والصفة الثانية تفيد أن من شاء أن يفرق بين الحق والباطل وقيل

الألوكة

ان كل كتاب لله تعالى فهو فرقان والفرض من الاية والله تعالى اعلم ان الله تعالى قد حكم في جميع
الكتب المنزلة ان عبادة غيره حرام فاعلموا الحكمة ان اقربتم بالاهية وقوله عز وجل مصدقا لما
من الكتاب وفيه بيان ان الله تعالى بشر الانبيا صلوات الله عليهم في كتبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وان اليهود والنصارى كما صدقوا بالتوراة والانجيل فعليهم ان يصدقوا بالقران الذي يصدقهما
وانما قيل للماضي بين يديه وللاتي خلف لان ما مضى تقدمت به وكانه بين يديك تنظر اليه وما لم
يات بعد فانك لا تستبقه على انه بعد خلفك لا تبصره ومعنى التوراة في اللغة الضيا
والنور وقال البصريون اصلها ووريه على وزن فوعلة مثل الحوقلة والدوقلة من ورى الزند ووري
لغتان اذا اخرجت نارا ولكن الواو الاولى قلبت تا كما قالوا تولج اصله وولج من ولج اذا دخل وقلبت الواو
الاولى تا كيلا يجتمع واوان في اول الكلمة فصار تورية ثم قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها الا ان
تفعلة لا يكاد يوجد وقال الكوفيون التورية تورية على وزن تفعلة قلبت اليا الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها الا ان تفعلة لا يكاد يوجد في الكلام وقال بعضهم اصله تورية على وزن تفعلة فنقل من الكسر
الى الفتح كما قالوا جارية وجاراة وناصية وناصاة قال الزجاج هذا ردي لا يقال في توفية توفاة و
توقية وتوقاة والانجيل افعيل من النجل وهو الاصل سمي بهذا الاسم على معنى انه اصل العلوم والحكم وقيل
انه من نجلت الشي اذا استخرجته واظهرته فمعناه انه مستخرج منه علوم وحكم قوله عز وجل ان
الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام معناه مع ما قبله ان ذكر الله تعالى
ما يدل على صدق قوله ثم جحدوا بايات الله تعالى وهي العلامات الهادية اليه الدالة على توحيده فاولئك
لهم عذاب شديد والله عزيز غالب امره لا يمنعه احد منعه ممن يريد عذابه ذو انتقام اي ذو نقمة
ينتقم ممن عصاه ثم حذرهم عن التلبيس والاستتار بالمعصية فقال عز وجل ان الله لا يخفى عليه شي في
الارض ولا في السما اي الذي لا يخفى عليه شي مما في الارض والسما لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم فيحصي كل
ما يعملونه فيجازيهم في الاخرة وفايدة تخصيص الارض والسماوات كان الله لا يخفى عليه شي بوجه من
الوجوه لان ذكر الارض والسما الهيبة النفس واهول في الصدر وذكره على الوجه الاهول اذ كان الغرض
به التحذير ثم احتج جل ذكره على الخلق في علمه بالسر والعلانية بتصويره الانسان وساير الحيوان في
ارحام الامهات اذ ليس يقدر احد ان يخلق من الما المهين الضعيف في قعر الرحم المظلم على هذا الخلق
المحكم الصنعة المحكم البنية الا العالم بكل شي من السر والعلانية فقال عز وجل هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشا لا اله الا هو العزيز الحكيم اي يخلقكم في الارحام كيف يشا
من لون وطول وقصر وعظم وصغر وذكورة وانوثة وحسن ودمامة يفعل كل ذلك بالحكمة وقوله
تعالى لا اله الا هو للتاكيد فذكر المدلول الذي دل عليه الكلام الاول اي لا مصور لا خالق الا هو ومعنى
العزيز الحكيم المنيع في سلطانه لا يغالب ولا يمانع المحكم في تدبيره وقضايه في عباده وافعال الله تعالى
كلها شاهدة بانه الواحد القديم العالم القادر الذي ليس كمثله شي لا يوصل الى معرفته الا بالاستدلال
بصنايعه وعجايب تدبيره اذ ليس بمحدود فيدرك بالابصار ويحوى بالخواطر والافكار فلو لم يكن
واحدا وكان معه اله غيره لكان اذا اراد هو تصوير واحد ذكرا واراد الاله الاخر تصويره انثى
لم يكن وجوده على الصورة التي اراد هو تصويره عليها باولى من وجوده على الصورة التي اراد الاخر تصويره
عليها ولو لم يرد واحد منهما الا ما اراد الاخر لكان كل واحد منهما عاجزا في نفسه لا يقدر على شي
دون موافقة غيره وفي هذه الاية جواب للنصارى من وجه اخر وهو انهم كانوا يدعون ربوبية
عيسى عليه السلام لولادته بلا والد وكانوا يقولون انه ابن الله تعالى لهذه العلة فبين الله تعالى ان ولادة

عيسى

اصل

عيسى عليه السلام بلا والد ليس باعجب من احيا النطفة وخلقها ذكرا او انثى وكيف تنسا في فقد على مثل هذا بعد
على خلق بشر بلا اب من تراب وبالله التوفيق قوله عز وجل هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغا الفتنة وابتغا تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من
عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معنى الاية هو الذي انزل
عليك القران منه ايات واضحات بينات بالحلال والحرام لم ينسخ هن اصل الكتاب الذي انزل عليك وهن ام في
التورية والانجيل والزبور وكل كتاب نحو قوله تعالى في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
ومعنى واخر متشابهات اي ومنه ايات اخر اشتبهت على اليهود مثل الم والمر والر والمص على ما ذكرنا
من قصتهم في ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم في اول سورة البقرة فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق و
الهدى وهم اليهود فيتبعون ما اشتبه عليهم من امر الحروف المقطعة يحسبون ذلك بحساب الجمل ابتغا
الفتنة يعني طلب الكفر والشرك والاستقامة على ما هم عليه وابتغا تاويله او طلب تفسير منتهى ما كتب الله
تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم من الاكل ليرجع الملك الى اليهود وما يعلم تفسير منتهى ما كتب الله عز وجل
لهذه الامة من الاكل الا الله تعالى وعن الربيع بن انس رحمه الله تعالى ونزوح منه قال الحسن قالوا حسبنا
وانزل الله تعالى هذه الاية ان هذه الاية نزلت في وفد نصارى نجران لما حاجوا النبي صلى الله عليه وسلم في
المسيح فقالوا اليس هو كلمة الله تعالى وروح منه قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنا
ان النصارى صرفوا قوله كلمة الله الى ما يقولونه من قدم عيسى عليه السلام مع الله تعالى وصرفوا قوله تعالى
وروح منه الى انه جز منه قديم معه كروح الانسان وانما اراد الله عز وجل بقوله وكلمته ان الله تعالى انما
صيره بشرا بكلمة منه وهو قوله تعالى كن فكان وسماه روحه لان الله تعالى خلقه من غير اب بل امر جبريل
عليه السلام فنفخ في جيب مريم عليها السلام فهو روح من الله تعالى اضافه الله عز وجل الى نفسه تشريفا
له كبيت الله وسما الله وارض الله تعالى وقيل سماه روحا لانه كان يحيي به الموتى كما سمي القران روحا بقوله
عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا من حيث ان فيه حيوة الناس في امر دينهم فصرف اهل الزيغ
قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه الى مذاهبهم الفاسدة طلبا للكفر والضلال ولم يردوا هذا
اللفظ الذي اشتبه عليهم واشتبهوا على انفسهم الى الاية المحكمة وهي قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل
ادم خلقه من تراب فعلى هذا يكون معنى قوله وما يعلم تاويله الا الله اي ما يعلم تاويل جميع المتشابه حتى يشرعب
علم المتشابهات كلها الا الله وقال الزجاج المحكم ما اعترف به اهل الشرك مما اخبر الله تعالى من انشا الخلق
وجعله من الما كل شي حي وما خلق تعالى من الثمار وسخر لهم من الفلك والرياح والمتشابه ما تشابه عليهم من
امر البعث ابتغا الفتنة وهو افساد ذات البين في الدين والحرب وابتغا مرجع المتشابه وعاقبة امره ولا يعلم احد
متى البعث الا الله ومن الدليل على صحة هذا التاويل انه تعالى ذكر اقرار المومنين بالبعث من بعد فقال عز من قايل
حكاية عنهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه قال والتاويل المصير والعاقبة يقال فلان تاول الاية
اي نظر الى ما يوول اليه معناها وقال الفقها المحكمات الناسخات والمتشابهات المنسوخات وهي رواية
اخرى عن ابن عباس وانما سمي الناسخ محكما لانه ثابت الحكم والعرب تسمي البنا الوثيق محكما والعقد الوثيق
الذي لا يمكن حله محكما وسمي المنسوخ متشابها من حيث اشبه المحكم في التلاوة وخالفه في ثبوت الحكم فيشتبه
على التالي حكمه في ثبوته او نسخه وقد انكر اليهود النسخ حيث قالوا انه يشبه البدا وذلك لا يجوز على الله تعالى
والفايدة في هذه الاية في كل من احتج في المتشابه لباطله وقيل هذا في بعض المفسرين المحكم مثل سورة الاخلاص
والمتشابه مثل قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى الذي يحتمل استوا الجلوس واستوا الملك على ما عليه

بالاقتدار والاستيلا ونحو قوله تعالى لما خلقت بيدي وغير ذلك من الاي التي يحتاج الى تاويلها في الابانة عنها ويقال
المحكم نحو قوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام والمتشابه مثل قوله تعالى
قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ثم قال جل ذكره وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم قال عز من قائل
فقضاهن سبع سموات في يومين فظن من لا معرفة له ان العدد ثمانية ايام ولم يعلم ان اليومين الاولين داخلان في
الاربعة التي ذكرها الله عز وجل من بعد كما يقول القائل سرنا من البصرة الى بغداد في عشرة ايام وسرنا الى الكوفة في خمسة كقول
عشر يوما واراد دخول العشرة في ذلك وقال ابن زيد المحكم هو الذي لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة
موسى عليه السلام وقوله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فويل يومئذ للمكذبين ولفظ الاية يحتمل جميع هذه
الاوجه ولولا احتمال اللفظة لها لما تاول اهل التاويل الاية عليها وقد سمى الله تعالى جملة القرآن محكما حيث قال جل ذكره الر كتاب احكمت
اياته فوصفه بالاحكام في لزوم الفوايد وسماه كله متشابها في اية اخرى حيث قال عز من قائل الله نزل احسن
الحديث كتابا متشابها اي يشبه بعضه بعضا في الحسن والتصديق ووصف في هذه الاية بعض القرآن انه
محكم وبعضه انه متشابه واراد بالمحكم ههنا ما لا يحتمل الا وجها واحدا وبالمتشابه ما يحتمل وجوها
شتى وفي مضمون هذه الاية ما يقتضي وجوب رد المتشابه الى المحكم لانه تعالى قال في صفة المحكمات هن ام
الكتاب وام الشي التي منها ابتداؤه واليها مرجعه فتسميه المحكمات اما يقتضي بنا المتشابه عليها ورده
اليها ثم وصف جل ذكره متبعي المتشابه من غير حمله له على معنى المحكم بالزيغ وقلوبهم بقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم
زيغ واعلم انهم لا يبتغون الفتنة وهي الكفر والضلال وقد اختلف اهل العلم في معنى قوله تعالى وما يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم فمنهم من جعل تمام الكلام بعد قوله عز وجل والراسخون في العلم وجعل الواو التي في قوله
والراسخون في العلم للجمع كقول القائل لقيت زيدا وعمرا او ما جرى مجراه لان حقيقة الواو للجمع الا ان تقوم دليل
الاستيناف ونظيره ما قال الله عز وجل في شان قسم الفيء ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول
الى ان قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا كذلك قوله والراسخون في العلم يقولون معناه والثابتون
في العلم يعلمون تاويل ما نصبه الله تعالى لهم الدلالة عليه من المتشابه ويعلمهم يقولون ربنا امنا به فيروى
عن ابن عباس وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يعلمونه فان قيل ما شابه قال ابن عباس وانا ممن يعلم تاويله
لقول الله عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ومنهم من جعل
تمام الكلام عند قوله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله وفي قراءة عبد الله بن مسعود ويقول الراسخون في
العلم امنا به وهو مروي ايضا عن عبد الله بن عباس وعمر بن عبد العزيز ولا يبعد ان يكون للقرآن تاويل استاثر الله
تعالى بعلمه دون خلقه لانا لا نعلم مراد الله تعالى وحكمته في جميع اوامره ونواهيه فيلزمنا العمل بما انزله
ولو يطالبنا بالاستدلال الى معرفته ولم يخف عنا علم ما غاب عنا من وقت قيام الساعة ونحو ذلك الا لعلمه
عز وجل بما فيه المصلحة لنا وما هو خير لنا في ديننا ودنيانا وما اعلمناه علم يتعلق الا لمصلحتنا وصار فصرف
فيصدقه جميع ما انزله الله عز وجل والتصديق بذلك كله ما علمنا منه وما لم نعلم وقد قيل على ان جميع
ان المتشابهات لا سبيل لاحد الى معرفته كوقت نزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام
الساعة وعلم ما في الارحام وعلم الامور المتوقعة وقوله وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتعظ بالقرآن الا
ذووا العقول من الناس فان قيل كيف قال جل وعز هن ام الكتاب فوحد الام ولم يقل هن امهات الكتاب مع
ان الايات جمع قيل فيه قولان احدهما انه قال ذلك على جهة الحكاية على معنى الجواب كانه قيل ما ام الكتاب
فقال جل ذكره هن ام الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره والثاني ان الايات المحكمات بمجموعها
اصل الكتاب وليست كل اية محكمة ام الكتاب واصله كما قال جل ذكره وجعلنا ابن مريم وامه اية ولم يقل
ايتين لانه جعلهما اية واحدة فان قيل لم انزل الله عز وجل في القرآن المتشابه وهلا جعل جميعه محكما فكان

لا يحتاج

لا يحتاج الى رد المتشابه الى المحكم قيل لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس على الخبر واشتغلوا عن النظر والاستدلال
فكان لا يحصل لهم العلم عند ذلك بصحة الامور والحوادث فجعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها ليكون
ذلك داعيهم الى النظر والاستدلال بادلة الله تعالى المودعة في العقول ولولا ذلك لم يظهر فضل العالم المجتهد
الذي يرد المتشابه على المحكم على غير المجتهد وبالله التوفيق قوله عز وجل ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب معطوف على قوله عز وجل كل من عند ربنا معناه ربنا
لا تمل قلوبنا عن الهدى بعد اذ ارشدتنا وبصرتنا دين الحق ويقال معناه لا تتعبدنا بما يكون سببا لزيغ
قلوبنا معناه لا تكلفنا الشدايد فيعصي الانسان عند تكليف الشدايد كما قال عز وجل فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم وقوله وهب لنا اعطنا من عندك نعمة ويقال تعطفا تثبت به قلوبنا على
الهدى واسم الرحمة يقع على كل خير ونعمة وقوله عز وجل انك انت الوهاب اي انت المعطي للموضع في
الوهاب الذي من سنته وعادته الاعطاء والهبة قوله عز وجل ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب
فيه ان الله لا يخلف الميعاد معناه يقولون ربنا انك محيي الناس باجمعهم بعد الموت لجزاء يوم لا
ريب فيه اي ليس فيه ريب وشك لوضوحه وهو يوم القيمة وهذا اقرارهم بالبعث والنشور وقوله عز
وجل ان الله لا يخلف الميعاد يجوز ان يكون حكاية عن الموحدين على معنى انك لا تخلف الميعاد ويجوز ان يكون
هذا اخبارا عن الله تعالى والميعاد ما وعده الله تعالى من البعث والحساب والميزان والجنة والنار قوله
عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار
ان المراد بالذين كفروا اليهود الذين تقدم ذكرهم ويقال انهم نصارى نجران ويقال عامة الكفار ومعنى لن تغني قيل
عنهم اموالهم لا تدفع عنهم كثرة اموالهم واولادهم شيئا من عذاب الله عز وجل في الدنيا والاخرة وسمي المال
غنى لانه يدفع عن صاحبه الفقر والنوائب فاخبر الله عز وجل ان اموال هؤلاء الكفار واولادهم لا تنفعهم
ولا تجيرهم من العذاب لانه لا يقبل منهم فداء ولا شفاعة بل يصيرون الى النار وتتقد بابدانهم وتشتعل بهم
وان الوقود بفتح الواو ما يوقد به النار وهو الحطب وهذا بيان ان اهل النار يحترقون في النار احتراق
الحطب لا كما يحترق الانسان بنار الدنيا فان نار الدنيا سبيل الصحة بدن الانسان ولا تاخذ كما
تاخذ الحطب كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ومن قرا وقود بضم الواو فهو مصدر وقدت
النار وقودا كما يقال وردت ورودا وولج ولوجا فيكون المعنى ولكنهم ذووا وقود النار واعاد ذكر الله
تعالى الاموال والاولاد في الاية لان اكثر الناس يدخلون النار لاجل المال والولد فاخبر الله تعالى ان شيئا
من ذلك لا ينفع في الاخرة كما ينفع احدهم لاجل المال والولد ويكون هذا القول عبرة للمؤمنين قوله
عز وجل كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد
العقاب يقول عادة هؤلاء الكفار في الكفر والتكذيب بالحق كعادة ال فرعون وعادة الذين من قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود كذبوا بكتبنا ورسلنا فعاقبهم الله تعالى بكفرهم وشركهم والله شديد العقاب اذا عاقب
معاقبة شديدة على الدوام والتابيد لا كعقوبة اهل الدنيا والداب في اللغة العادة يقال داب يداب
دابا ودؤوبا اذا اعتاد الشي ومرن عليه وقد يذكر الداب بمعنى الاجتهاد يقال داب في كذا اذا اجتهد فيه
والمعنى على هذا القول اجتهاد هؤلاء الكفار في كفرهم وتظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم كاجتهاد ال فرعون
على موسى عليه السلام والكاف من اول هذه الاية في موضع الرفع لانه خبر الابتداء التقدير الذي تقدم ذكره
ان داب هؤلاء مثل داب ال فرعون قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى
جهنم وبئس المهاد معناه والله تعالى اعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون ستهزمون وتقتلون وتحشرون بعد الموت الى جهنم وبئس الفراش النار من قرا ستغلبون بالتا

الألوكة www.alukah.net

فعلى معنى قل لهم وخطاب لليهود ومن قرأ بالياء فمعناه بلغهم انهم سيغلبون ولهذه الآية قصتان احداهما ما
روي عن عبد الله بن عباس وقتادة قالا لما هزم الله عز وجل قريشا يوم بدر وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهود بسوق قينقاع فدعاهم الى الاسلام وحذرهم مثل ما نزل بقريش من الانتقام فأبوا وقالوا لسنا كقريش
الاغمار الذين لا يعرفون القتال ولو حاربتنا لعرفت انا نحن الناس [illegible] فأنزل الله تعالى
هذه الآية والثانية ما قاله الكلبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود هذا والله
النبي الامي الذي بشر به موسى عليه السلام نجده في التوراة بنعته وصفته فارادوا اتباعه فقال بعضهم
لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ قالوا لا والله ما هو به لقد تغيرت حالته وصفته وكان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد
فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى ابي سفيان بمكة فوافقوهم على ان تكون كلمتهم
واحدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية **فصل** ان هذا الخطاب لجميع الكفار ولا يتأتى [illegible] وفي هذه الآية
دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب ثم بان صحة ما انبأ به ولا يمكن حمل ذلك على الاتفاق
مع كثرة ما اخبر به من الغيوب في الامور المستقبلة ووجد مخبره على ما اخبر به من غير خلف وذلك لا يكون
الا من عند الله عز وجل العالم بالغيوب ولعمري [illegible] قوله عز وجل **قد كان لكم
آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان
في ذلك لعبرة لاولي الابصار** يقول قد كان لكم ايها اليهود وقيل ايها الكفار في فرقتين وجمعين التقيا يوم بدر فرقة تقاتل في
طاعة الله عز وجل وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وفرقة اخرى
كافرة وهم مشركوا مكة تسعمائة وخمسون رجلا وقوله تعالى يرونهم مثليهم رأي العين من قرأ بالتاء وهم بالياء
فالمعنى ترى الفئة المؤمنة الفئة الكافرة مثليهم ظاهر العين وظن المسلمون ان المشركين ستمائة ونيف والله
يغلبون المشركين كما وعدهم الله بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فقلل الله تعالى المسلمين في اعين
المشركين والمشركين في اعين المؤمنين حتى اقتتل الفريقان كما قال عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
ويقللكم في اعينهم ثم قذف الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب حتى انهزموا بكف من تراب الحصى رماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورماه في وجوههم وقال صلى الله عليه وسلم شاهت الوجوه **وذهب** بعضهم في معنى هذه الآية ان المشركين
كانوا يرون المسلمين مثلي ما هم عليه ومن قرأ ترونهم بالتاء فهو خطاب لليهود يعني ترون كفار مكة قريش والمؤمنين
رأي العين وقوله تعالى والله يؤيد بنصره من يشاء اي يقوي وينصر بقوته من يشاء ان في ذلك وقلة المؤمنين
المشركين مع قلة المؤمنين وشوكة المشركين وعلمهم ان ليس للمؤمنين رجاء مدد لعبرة لاولي الابصار والذين لذوي
بصائر القلوب ويجوز ان يكون معناه ان في ذلك لعبرة لمن ابصر عينه يومئذ وفي قوله تعالى فئة قراءتان من
قرأها بالرفع فعلى معنى احداهما فئة تقاتل في سبيل الله ومن قرأ بالخفض فعلى طريق البدل من فئتين تقديره في فئة
تقاتل في سبيل الله وفي اخرى كافرة **كما قال الشاعر** وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت ۝ فاما التي صحت فازد شنوءة ۝ واما التي شلت فازد عمان ۝
وقد يروى البيت الاول برفع رجل صحيحة وكلاهما جائز وبالله التوفيق قوله عز وجل **زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة و
الانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب** بين الله تعالى بهذه الآية
ان ما بسط للمشركين من زهرة الدنيا وزينتها هو الذي منعهم من تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يدعوهم اليه
والمعنى والله اعلم حسن للناس حب اللذات ولم يرد بالشهوات نفس الشهوة فان الشهوة توقان النفس
وميل الطبع فكان المعنى حب المشتهيات وقد فسره الله عز وجل بقوله من النساء والبنين فاما القناطير

صدق ه

الكفار ه

المقنطرة

المقنطرة فقد اختلف اهل التفسير في مقدارها فمن قائل ان القنطار ملء مسك ثور ذهبا او فضة وآحاده ثم
الاوقية وقيل الف ومائتا مثقال **وعن الحسن البصري** انه قال مثل دية احدكم
اي من قال من ذهب وفضة وقيل الف ومائتا مثقال [illegible]
وجملته انه كثير من المال **واما المقنطرة** فقال بعضهم القناطير ثلثة والمقنطرة المضعفة وقيل
القناطير تسعة والمقنطرة تسعة وقيل المقنطرة هي المكملة كما يقال الف مؤلفة وبدرة مبدرة
وقال الفراء هي الاموال المنضدة بعضها فوق بعض والقنطرة في اللغة عقد الشيء واحكامه ومن
ذلك سمي الجسر القنطرة **واما الخيل المسومة** فهي الرواتع الحسان والسوم في اللغة على وجهين
اما من السوم وهو الرعي يقال اسمت الماشية وسومت اذا رعيت كما يقال انزلت وكرمت واذكرت وذكرت
واما من السيما وهي العلامة من الاوضاح والغرر التي تكون في الخيل **واما الانعام** فهي جمع النعم واسم النعم
في الغالب يقع على الابل خاصة وقد يقع على سائر المواشي من البقر والغنم **والحرث** الزرع وقيل في الحكمة في تقديم
ذكر النساء في الآية ان فتنتهن عامة تحمل الرجل على قطع ارحام الآباء والامهات وجمع المال من الحلال والحرام قال
صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء **ثم** ذكر فتنة البنين لان حبهم يحمل الرجل على جمع
المال دون قطع الرحم **ثم** ذكر فتنة الذهب والفضة لانها عامة في الملوك والتجار واصحاب الغنى **ثم** ذكر فتنة الخيل
لانها خاصة في الملوك واصحاب السلطان **ثم** ذكر فتنة اهل البوادي وهي الانعام **ثم** ذكر فتنة اهل القرى وهي الحرث
ثم زهد في ذلك كله حثا على الصدقة وتحريضا على سبيل الخير فقال عز ذكره ذلك متاع الحيوة الدنيا اي هذا
الذي ذكرت مع عظم الاحسان فيه الى الخلق متاع اي شيء يستمتع به في الدنيا ثم يزول ويفنى والله عنده حسن
المآب اي حسن المرجع والمنقلب للمؤمنين وهو الجنة الباقية ثم اعلم الله عز وجل ان ما اعد للمؤمنين في الآخرة
خير من بقية الدنيا فقال عز وجل **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** معناه و
الله اعلم قل يا محمد صلى الله عليه وسلم اخبركم بخير من الذي زين للناس في الحيوة الدنيا للذين اتقوا الشرك والكبائر و
الفواحش ولا يشتغلون بالزينة عن طاعة الله تعالى عند ربهم جنات بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها
انهار الماء والعسل والخمر واللبن خالدين فيها مقيمين لا يبغون عنها حولا ليست كالمياه كمياه الدنيا تغور احيانا او تنقطع
احيانا او يكون جانبها ابدا وقوله تعالى وازواج مطهرة اي ولهم نساء مطهرة في الخلق والخلق ورضوان من
الله اي لهم مع ذلك رضا الله تعالى وهو من اعظم النعم قال الله في موضع آخر ورضوان من الله اكبر وقوله تعالى
والله بصير بالعباد عالم باعمالهم وثوابهم واختلفوا في منتهى الاستفهام في قوله عز وجل قل اؤنبئكم قال بعضهم
منتهى الاستفهام عند قوله عز وجل بخير من ذلكم وقوله عز وجل للذين اتقوا عند ربهم استيناف كلام وقال
بعضهم منتهى الاستفهام عند قوله تعالى عند ربهم وقوله تعالى جنات استيناف كلام على تقدير الجواب كانه
قيل ماذا الخير فقيل هو جنات وهذا كقوله عز وجل قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وقرأ
ورضوان من الله بضم الراء وهو لغة قيس وتميم واما الكسر فهو لغة عامة العرب وهو في العربية حسان
والخفض بدلا من الخير قوله عز وجل **الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار**
معناه للمتقين الذين يقولون يا ربنا اننا صدقنا بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم فاغفر لنا خطايانا
وادفع عنا عذاب النار وموضع الذين على هذا التقدير خفض ويجوز ان يكون موضعه رفعا على معنى
هم الذين يقولون ربنا **فان قيل** ما معنى سؤال هؤلاء المغفرة من الله تعالى مع ان الله عز وجل قد اخبر انهم
اتقوا ما حرم الله تعالى عليهم ومن تكون هذه حاله لا يقع منه الذنب وان وقع كان صغيرة والصغائر تقع
مغفورة **قيل** عنه جوابان احدهما ان التوبة عن الصغائر واجبة وان كانت تقع مغفورة كما اخبر الله
عز وجل عن ابراهيم عليه السلام بقوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وان كانت خطيئته وقعت

يكون مار

مفعول به فثبت ان التوبة عن الصغائر واجبة لما فيها من اظهار الرغبة في المغفرة والثاني ان هذا القصد
على وجه الاستكانة والخضوع ومسالة ما يعلم من حاله ان الله تعالى يفعله وهذا كما اخبر الله تعالى عن الملائكة
بقوله عز وجل فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وان كان الله تعالى يفعله لا محالة للذين تابوا واتبعوا سبيله
قوله عز وجل **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار** في محل الخفض
بدلا من الذين يقولون ويجوز ان يكون الذين يقولون مع ما بعده بدلا من العباد وذهب بعضهم الى ان الصابرين
نصبت بالمدح ومعنى هذه الاية الصابرين على طاعة الله والشدائد والمصائب والصادقين في ايمانهم واقوالهم
وافعالهم فان الصدق قد يقع في الفعل كما يقع في القول يقال صدق فلان القتال وصدق في الحملة اي حقق ويقال
في ضده كذب فلان في القتال والحملة **ومعنى** والقانتين القائمين بعبادة الله عز وجل والمنفقين اموالهم
في طاعة الله تعالى وقوله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال قتادة اراد به المصلين بالاسحار **وقال** انس بن
مالك اراد به السائلين المغفرة بالاسحار وهو نحو قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم
يستغفرون **وقال** الحسن انهم صلوا الى وقت السحر ثم كان بعدها الاستغفار **وعن** ابرهيم بن حاطب
عن ابيه قال سمعت صوتا في جنب المسجد سحرا يقول الهي دعوتني فاجبتك وامرتني فاطعتك وهذا سحر فاغفر لي
فنظرت فاذا هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والسحر هو الوقت الذي قبل طلوع الفجر تقول العرب جئتك اعلا
السحر يريدون اول السحر وهو اول ادبار الليل الى طلوع الفجر الصادق والصلوة والاستغفار في ذلك الوقت افضل
لان صاحبه اقرب الى الخشوع والرهبة كما قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا وقد مدح الله تعالى
اهل هذه الصفة لتركهم تعالى جنوبهم عن المضاجع الى اخر الاية قوله عز وجل **شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم** قال محمد بن السائب الكلبي رضي الله عنه لما ظهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار الشام فقال احدهما لصاحبه حين نظر الى المدينة
ما اشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم قالا انت
محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قالا انت احمد قال صلى الله عليه وسلم نعم قالا فانا نسالك عن شهادة ان انت
اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك فقال صلى الله عليه وسلم سلاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله تعالى
فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم شهد الله انه لا اله الا هو الى اخر الاية فاسلم الرجلان وصدقا برسول
الله صلى الله عليه وسلم **واما** معنى الاية قال ابو عبيدة رحمه الله معنى شهد الله قضى الله تعالى ويقال اخبر الله
تعالى وحقيقة الشهادة اداء العالم ما عنده من العلم اي علم الله وبين ويقال معناه شهد الله تعالى بما خلق من الدلائل
انه لا اله الا هو اي خلق من الخلق ما شهدت خلقته لكل احد على وحدانيته لمن يقف ذلك وقوله تعالى والملائكة
اي شهدت الملائكة بهذه الشهادة لما عاينت عظيم قدرته واولوا العلم يشهدون بما شهد الله تعالى
به وملائكته بما تبين لهم من الدلائل وحدانيته وتوحيده وفي هذا بيان فضل اهل العلم **وروي** عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال من شهد لله تعالى بالتوحيد فهو من اولي العلم وقوله عز وجل قائما بالقسط
اي بالعدل يقال فلان قائم بالتدبير اي يجري افعاله على الاستقامة ونصب قائما على الحال من قوله تعالى شهد
وقيل قوله تعالى لا اله الا هو ويجوز وقوع الحال المؤكدة على الاسم في غير الاشارة يقول انه زيد معروفا وهو الحق
مصدقا **فان قيل** ان الحال وصف هيئة الفاعل وذلك فيما يقبل التغير فكيف يجوز من الله تعالى ان يوصف
بانه قائم بالقسط **قيل** هذا على مذهب الكوفيين لازم لانهم يسمون هذا النمط القطع يعنون بالقطع قطع المعرفة
الى لفظ النكرة فاما عند البصريين فالحال حالان حال يأتي بعد الفعل يجوز عليه التغير وحال يأتي بعد الاسم
لا يجوز عليه التغير وهذا من ذلك ولذلك قوله عز وجل وهذا صراطي مستقيما وانما تكرر لا اله الا هو في الاية
تأكيدا لكلام في الرد على النصارى نصارى نجران ان المستحق للعبادة من كان على هذه الصفة لا المسيح

ومن

ومن جانبه **ومعنى** العزيز الحكيم الغالب المنيع ذو الحكمة في امره وسلطانه قوله عز وجل **ان الدين عند الله الاسلام
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله
سريع الحساب** معناه ان الدين المرضي عند الله تعالى الاسلام ويقال معناه ان الطاعة عند الله الاسلام والدين
في اللغة الجزاء فسميت الطاعة دينا لانها سبب الجزاء وانما الاسلام فهو الدخول في طاعة الله تعالى فيما امر به
وعن اليه اصله من السلم وهو الانقياد على السلامة يقال اسلم اذا دخل في السلم كما يقال اشمر اذا دخل في الشام
واربع اذا دخل في الربيع ومن قرا ان الدين بالنصب فمعناه شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله
الاسلام ويجوز في العربية انه لا اله الا هو بالكسر على معنى ان الشهادة في معنى القول وما بعد القول مقتضى
على الحكاية **وعن** سعيد بن جبير انه قال كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من احياء العرب
صنم او صنمان فلما نزلت هذه الاية شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام اصبحت تلك الاصنام
كلها قد خرت سجدا **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه انه من قال شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام
وقال استودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة جيء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل
عبدي عهد الي وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
اي لم يترك اليهود والنصارى الاسلام ولم يتمسكوا باليهودية والنصرانية الا من بعد ما جاءهم العلم في كتابهم
حسدا بينهم **روي** ان اليهود كانوا يسمون مسلمين فلما بعث عيسى عليه السلام وسمى الحواريين مسلمين
حسدت اليهود مشاركتهم في الاسم فسموا انفسهم يهودا وكانوا يسمون مسلمين ويسمون يهودا تعريبا
النصارى حسدتهم وسموا انفسهم نصارى وقيل معنى البغي هو طلب الاستعلاء بغير حق وقوله تعالى ومن يكفر
بايات الله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فان الله سريع المجازاة كما قال جل ذكره وما امر الساعة
الا كلمح البصر وهو اقرب ويقال معنى سريع الحساب انه عالم لا يحتاج في حفظه الى اثبات
وتذكر قوله عز وجل **فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
ااسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد**
قال الكلبي معناه فان خاصموك في الحجة فقالوا انما اليهودية والنصرانية ديننا وديننا الاسلام
فقل اخلصت طاعتي وعملي لله تعالى ويقال معناه اخلصت قصدي بالعبادة لله تعالى ويقال
الرجل لاخر وجهي اليك اي قصدي اليك ويقال مر فلان على وجهه اي على قصده ويقال معناه سلمت
نفسي لله تعالى كما في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه معناه الا هو وكذلك قوله عز وجل ويبقى
وجه ربك معناه الذات وقال الزجاج معنى الاية فان طالبوك بالحجة فاحتج عليك باتباعك امر
الله تعالى الذي هم اجمعون مقرون بانه خالقهم ودعاهم الى ما يدعو اليه والى ما قام الدلالات والايات
بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ومن اتبعني اي كذلك ومن اتبعني والاصل في هذا اثبات
الياء في اخره لكن حذفت الياء للتخفيف واستغنيت كسرة النون دليلا على الياء وقوله تعالى وقل للذين
اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى والاميين مشركي العرب اسلمتم كما اسلمت فان اخلصوا
فقد اهتدوا وامن الضلالة وان تولوا عن الاسلام وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن
الله فانما عليك البلاغ بالرسالة عن الله تعالى وليس عليك ان لا يتولوا والله بصير بالعباد عالم بمن يؤمن ومن
لا يؤمن لا يخفى عليه شيء من احوالهم التي يجازيهم بها **فان قيل** والاية عطف من اتبعني وهو ظاهر على المضمر في
قوله عز وجل اسلمت والعرب لا تعطف الظاهر على المضمر **قيل** انما لا يعطف اذا لم يكن بين الكلامين
فاصل فاما اذا دخل بينهما فاصل جاز عطف الظاهر على المضمر الا ترى انه لا يجوز ان يقول اسلمت وزيد
ولو قلت اسلمت بانشراح الصدر وطيب النفس ومن جاءني كان جائزا في الكلام واما الاستفهام

الألوكة

وقوله عز وجل أأسلمتم يتضمن التهدد والامر بالقول كما يقول الرجل لآخر بعد ما يأمره بالامر أقبلت
والامانة أم لم يكون ذلك سوالا بالوعيد يتضمن الامر بالقبول قال الكلبي رحمه الله فلما نزلت هذه الاية
ذكر ذلك لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى بن مريم كلمة من الله تعالى
وروح منه قالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله قالوا معاذ الله ولكنه ابن
الله قال الكلبي فذلك حين تولوا عن الاسلام وانتحلوا غيره فانزل الله عز وجل قوله عز وجل ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم
بعذاب اليم معناه ان الذين يجحدون أعلام الله تعالى التي بينها لهم واما قوله عز وجل ويقتلون النبيين ففي
اضافة قتل الانبيا صلوات عليهم الى هولا الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما
رضاهم بفعل من سلف منهم النبيين نحو واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وقرا بعضهم فيقاتلون
النبيين بغير حق روى فيهم زكريا ويحيى عليهما السلام والثاني ان هولا قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم وهموا
بقتله كما قال الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك الاية وقرا بعضهم فيقاتلون النبيين
بغير حق روى عن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس
اشد عذابا يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم رجل قتل نبيا عليه السلام او قتل رجلا امر بالمعروف و
نهى عن المنكر ثم قرا هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في
ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا
جميعا في اخر النهار من ذلك اليوم واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فمعناه اخبرهم بعذاب وجيع
يخلص وجعه الى قلوبهم واما دخول الفا في قوله فبشرهم بعذاب اليم وان كان خبر ان لا يجاب بالفا لا يقال ان
زيدا فقائم فلان ان في اول هذه الاية موصول بالذين والذي يوصل فيكون صلته بمنزلة الشرط والجزا فيجاب
بالفا فان قيل هل يقتل نبي بحق حتى يكون هذا بغير حق قيل المقصود من هذه الاية انهم قتلوا الانبيا الذين
صحت نبوتهم عليهم السلام فلم يكن القتل حقا اذ النبي عليه السلام لا يقتل بحق وقتلهم اذا كان كان باغيا
متبقيا ووصله حق وفي الاية دليل جواز انكار المنكر مع خوف القتل وروى ابو حنيفة رحمه الله عن عكرمة عن ابن
عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الشهدا حمزة بن عبد المطلب ورجل قام الى رجل عند
سلطان جائر فقتله قوله عز وجل اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
اي اهل هذه الصفة بطلت حسناتهم فلا يستحقون الحمد والثنا وولاية المومنين عليها في الدنيا ولا يستحقون
الثواب عليها في الاخرة وما لهم من ناصرين من مانعين يمنعونهم من العذاب اذا نزل بهم قوله عز وجل
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم
معرضون قال الكلبي وذلك ان رجلا وامراة من اشراف اهل خيبر من اليهود فجرا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا
رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون لهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصة في امر الرجم فيأخذوا
به فرفعوا امرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فقال بعضهم جرت علينا يا محمد صلى الله
عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فمن اعلمكم بها قالوا ابن صوريا وهو بفدك
فارسلوا اليه فلما قدم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود
قال كذلك يزعمون فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي من التورية فيه اية الرجم دله على ذلك ابن سلام
فقال لابن صوريا اقرا فقرا فلما اتى على اية الرجم وضع كفه عليها ثم قام ابن سلام فقال يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد جاوزها ووضع كفه عليها ثم قام ابن سلام اليه فرفع كفه عنها وقرا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى اليهود ان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة فعلى من البينة فان

كانوا

كانوا عدوا لا رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم
المحصنين الزانيين من اليهود فرجما فغضبت اليهود لذلك غضبا شديدا ورجعوا كفارا فذلك قوله
تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب معناه الم تعلم يا محمد صلى الله عليه وسلم بالذين اعطوا حظا
من علم التورية وقوله عز وجل يدعون الى كتاب الله قال ابن عباس والزجاج هو التورية دعي اليها
اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة لكتاب الله وان فيه البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن و
قتادة اراد به القران فانهم دعوا الى القران لموافقته للتورية في اصل الديانة واما قوله عز وجل ليحكم بينهم
قال بعضهم معناه ليحكم بينهم في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ويقال في امر ابراهيم عليه السلام ودينه ويقال
في حد الزنا لانهم تنازعوا في ذلك وقوله عز وجل ثم يتولى فريق منهم اي يعرض جمع كثير منهم عن الداعي وهم معرضون
عن العمل بالمدعو اليه فينظر انه حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا وانما قال معرضون بعد ذكر التولي لان
الانسان قد يعرض عن الداعي ويتامل ما دعاه الداعي اليه فينظر انه حق او باطل وهم لم يتاملوا ولم يتفكروا وانما
دعوا اليه قوله عز وجل ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما
كانوا يفترون يقول ذلك الاعراض والتكذيب بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
يعنون الاربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل وقيل عدد ايام الدنيا سبعة ايام ومعنى وغرهم
في دينهم غرهم افتراؤهم على الله تعالى انه لا يعذبهم الا اياما معدودات ويقال غرهم افتراؤهم انهم قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه قوله عز وجل فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون معناه كيف يحتالون وكيف يصنعون اذا جمعناهم بعد الموت لجزاء يوم القيمة يوم لا شك فيه
واعطيت كل نفس جزاء ما عملت من خير او شر تاما وافيا وهم لا ينقصون من حسنة ولا يزادون على سيئة وحذف
بيان الكيف وهذا مستعمل في الكلام يقول الرجل انت اكرمك وانت لم يزرك فكيف اذا زارك في
زيد فكيف يكون اكرامي لك اذا زرتني قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شي قدير
قال ابن عباس رضي الله عنهما لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال المنافقون ان محمدا صلى الله عليه
وسلم يتمنى ان يكون له ملك فارس والروم واني يكون له ذلك هم اعز وامنع من ان يدخل محمد صلى الله عليه وسلم في
بلدانهم او يغلب على بلادهم فانزل الله تعالى هذه الاية ويقال في وجه اتصال هذه الاية ومعناها قول لمحمد
صلى الله عليه وسلم بما عملوا ان اليهود قالوا لا نتبعك فان النبوة والملك لم يزل في اسلافنا بني اسرائيل فانزل الله هذه
الاية ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا الله يا مالك الملك فاما زيادة الميم في اللهم لانها بدل عن يا التي في
اوله التي هي اداة النداء الا انه لا يجوز في الاختيار ادخال الميم لا يقال غفر اللهم لي كما يقال يا الله اغفر
لي ولهذا لا يجوز الجمع بين الميم والاخرى وبين يا في اوله لانه لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض وانما شددت الميم
لانها عوض عن حرفين فان الندا حرفان هذا اختيار سيبويه والخليل رحمهما الله وقال الفرا ان معنى قول
القائل اللهم يا الله امنا بخير اي اقصد طرحت حركة الهمزة على الهاء كما يقال ويل ام فلان وويل امه والمعنى
الدعاء في للتخفيف قال ولا يذكر يا اللهم في الندا الا في الشعر كما قال الشاعر
وما عليك ان تقولي كلما ... صليت او سبحت يا اللهم ما ... اردد علينا شيخنا مسلما وانشد قطرب
اني اذا ما معظم الما الما ... اقول يا اللهم يا اللهما وقد انكروا على الفرا هذا القول وقالوا انه لا يصح لا في
نحو ولا الشعر واختلف اهل التفسير في معنى مالك الملك قال بعضهم معناه مالك كل ملك وهذه صفة لا
يستحقها احد غير الله تعالى ويقال معناه مالك امر الدنيا والاخرة وقال مجاهد اراد بالملك ههنا
النبوة وقيل ان هذا لا يصح لانه قال وتنزع الملك ممن تشاء والله تعالى لا ينزع النبوة من احد ولا يجوز ان ينزع لانه

لا يختار لأداء الرسالة إلا من يعلم من حاله أنه يؤدي الرسالة على الوجه وأنه لا يغير ولا يبدل لأنه عالم بعواقب الأمور ومعنى تؤتي الملك من تشاء تعطي الملك من تشاء أن تعطيه وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه وهذا كما يقال خذ ما شئت واترك ما شئت أي خذ ما شئت أن تأخذه واترك ما شئت أن تتركه وقوله تعالى وتعز من تشاء وتذل من تشاء ظاهر المراد ومعنى بيدك الخير بيدك النصر والفتح والغنى والغنيمة وعز الملك من خير الدنيا والآخرة وإنما قال بيدك الخير وإن كان بيده كل شيء من خير وشر لأنه إنما قال ذلك على وجه الرغبة والرغبة إنما تقع في الخير لا في الشر وفي ذكر أحد الأمرين دليل على الآخر كما قال تعالى سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وقوله تعالى إنك على كل شيء قدير أي على كل شيء من الإعطاء والنزع والعز والذل قادر قوله عز وجل **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب** معناه تدخل من الليل في النهار حتى يصير النهار خمسة عشر ساعة وهو أطول ما يكون وأقصره تسع ساعات وتدخل النهار في الليل حتى يصير الليل خمسة عشر ساعة وهو أطول ما يكون وأقصره تسع ساعات فما نقص من أحدهما دخل في الآخر هذا قول أكثر أهل التفسير وقال بعضهم معناه تذهب بالليل وتجيء بالنهار وتذهب بالنهار وتجيء بالليل وأما قوله وتخرج الحي من الميت قال عبد الله بن عباس وقتادة والضحاك معناه تخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة والنطفة من الحيوان والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وزاد بعضهم في هذا فقال هو السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والعالم من الجاهل والجاهل من العالم وفي قوله عز وجل وترزق من تشاء بغير حساب أي بغير هنداز ولا تقدير يقال فلان ينفق بغير حساب أي ينفق بالسعة ولا يحسب ما ينفق وقد تقدم تفسير هذا من وجوه أخر وبالله التوفيق قوله عز وجل **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير** قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه المنافقين كانوا مع إظهارهم الإيمان يتولون اليهود ويأتونهم بأخبار المؤمنين رجاء الظفر لهم على المؤمنين فنهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكفار فقال عز من قائل لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء أي إن كنتم مؤمنين فلا تتخذوا الكفار أولياء من دون المؤمنين وهذا في معنى النهي ومعنى النهي على الجزم لكن كسرت اللام لالتقاء الساكنين وفي قوله عز وجل من دون المؤمنين بيان أن المكان المرتفع في الولاية مكان المؤمنين وهذا كما يقال زيد دونك ليس يراد به أنك أرفع منه في الشرف ولا يراد به الارتفاع والاستفال في المكان ويقال من دون المؤمنين أي من غير المؤمنين وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك أي ولاية الكفار فليس من الله في شيء أي في ولاية ولا دين كما قال في آية أخرى ومن يتولهم منكم فإنه منهم يعني أن ولي الكافر راضي بكفره والرضا بالكفر كفر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا بريء من كل مسلم مع مشرك لا تتراءى ناراهما وقوله تعالى إلا أن تتقوا منهم تقاة أي إلا أن يحصل المؤمن في أيدي الكفار يخاف على نفسه فيداريهم فيرضيهم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان فهو في فسحة من ذلك كما روي أن مسيلمة الكذاب لعنه الله أخذ رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أتشهد أني رسول الله قال نعم ثم دعا بالآخر فقال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أفتشهد أني رسول الله قال إني أصم فأعاد عليه السؤال ثلاثا فأجاب في كل مرة بمثل هذا الجواب فضرب مسيلمة عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه وأخذ بالفضيلة فهنيئا له وأما الآخر فقبل رخصة الله تعالى فلا تبعة عليه وقرأ بعضهم تقية وتقاة وتقاة بالفتح والإمالة وكل ذلك لغات ومعناها واحد وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه أي يخوفكم عقوبته وذكر النفس لتحقيق الإضافة كما يقال احذر الأسد أي صولة الأسد وافتراسه دون عينه وقال الزجاج معنى نفسه إياه وإنما خاطب الله تعالى العباد على قدر علمهم وعقلهم ومعنى قوله عز وجل

تعلم ما

تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أي تعلم حقيقة ما عندي ولا أعلم حقيقة ما عندك وقوله عز وجل وإلى الله المصير زيادة في الإيعاد وتذكير بالمعاد أي فيعلم ما فعلتم عند رجعكم إليه قوله عز وجل **قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير** معناه قل إن تسروا ما في قلوبكم من التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم والعداوة للمؤمنين وتظهروه بالشتم والطعن والحرب يعلمه الله عز وجل فيجازيكم عليه وإنما ذكر الصدور مكان القلب لأنه مشتمل على القلب قال الله تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقوله عز وجل ويعلم ما في السموات وما في الأرض أي لا يخفى عليه شيء من عمل أهل السموات وأهل الأرض ولا يعزب عنه الإخفاء فإن الإخفاء والإبداء عنده سواء والله على كل شيء من عمل السر والعلانية وجزاء كل قادر قوله عز وجل **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد** أول هذه الآية منصرف إلى قوله ويحذركم الله نفسه كأنه قال ويحذركم الله نفسه يوم تجد ويقال معناه وإلى الله المصير يوم تجد وقوله تعالى محضرا أي تجده حاضرا مكتوبا في ديوانه لا ينقص فيه وقوله عز وجل وما عملت من سوء أي والذي عملت من سوء تتمنى أن يكون بينه وبين ذلك أجل طويل أبعد ما بين المشرق والمغرب ليته لم يعمل وقد تعبر العرب عما لا يكون بالبعد تقول هذا الذي يقول فلان بعيد أي ليس بكائن يحتاج إليه في هذا الموضع ومعنى والله رؤوف بالعباد رحيم بالمؤمنين خاصة هكذا قال عبد الله بن عباس وقيل إن أول هذه الآية عدل وأوسطها تهديد وتخويف وآخرها رأفة ورحمة وعن الحسن أنه قال من رحمة الله عز وجل أن حذركم نفسه قوله عز وجل **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** روي أنه لما نزلت الآيات المتقدمة قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وإنما أنزل الله تعالى مثل هذه الآيات في أعدائه لا في أحبائه وأرادوا بقولهم نحن أحباؤه أنا نحبه ويحبنا كما يقع اسم الصديق على كل واحد من المتصادقين فأنزل الله تعالى هذه الآية والمحبة في الحقيقة هي الإرادة وهو أن تريد نفع غيرك فيبلغ إرادته ونفعك إياه وأما المعنى الذي هو أعلى المحبة في هذا المعنى وأما المحبة للطعام والملاذ فهو شهوة وتوقان النفس في مشتهياتها كلها فأما محبة العباد لله عز وجل فالله عز وجل يستحيل عليه المنافع فلا يصح أن يراد بمحبته هذه الطريقة لكن يراد بمحبة إعظامه وإجلاله وطاعته ومحبة رسله وأوليائه ومحبة الله تعالى إياهم إثابته إياهم على طاعته وإنعامه عليهم وثناؤه ومغفرته لهم فمعنى قوله عز وجل إن كنتم تحبون الله أي إن كنتم تقصدون طاعة الله والرضا بشرائعه فاتبعوني على ديني يزدكم الله حبا ويغفر لكم ذنوبكم في اليهودية والله غفور رحيم وروي أنه لما نزلت هذه الآية عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليهود فقال عبد الله بن أبي بن سلول السلولي إن محمدا يجعل طاعته كطاعة الله تعالى ويأمرنا أن نحبه كما أحبت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام وقالت اليهود يريد محمد أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا فأنزل الله عز وجل **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** معناه إن كنتم تحبون الله كما تدعون فأظهروا دلالة الصدق بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن علامة حب الله تعالى طاعته قال الشاعر

تعصي الإله وأنت تزعم حبه * هذا لعمري في الفعال بديع *
لو كان حبك خالصا لأطعته * إن المحب لمن يحب مطيع *

وكان أبو سهل الأنماطي يقول علامة حب الله عز وجل أن يكون العبد دائم الفكر كثير الخلوة ظاهر الصمت لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودي ولا يحزن إذا أصيب ولا يفرح إذا أصاب ولا يخشى أحدا إلا الله عز وجل ولا يرجو إلا إياه ولا

الألوكة

يرجو الجنة اغيرهم وايضا قوله تعالى فان تولوا اي ان لم يفعلوا ما تدعوهم اليه من اتباعك وطاعة امرك فقد
كذبوا في قولهم انهم احباء الله تعالى ان الله لا يحب الكافرين لا يغفر لهم ولا يثني عليهم فلما نزلت هذه الاية
قالت اليهود نحن ابناء ابرهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله تعالى هذه الاية قوله عز وجل
ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين معناه والله تعالى اعلم ان الله انما
اصطفاهم على عالمي زمانهم لا لانهم اولياء وان آدم عليه السلام كما لا ينفع اولاده المشركين كذلك سائر
الانبياء صلوات الله عليهم لا ينفعونهم والاصطفاء هو الاختيار وهو افتعال من الصفوة اي جعلهم
صفوة خلقه وصفوة الله تعالى هم الذين لا دنس فيهم بوجه من الوجوه لا في الاعتقاد ولا في الفعل وفي
الصفوة ثلث لغات صَفوة وصُفوة وصِفوة واختلفوا في آل عمران في هذه الاية فقال بعضهم اراد بآل عمران
موسى وهرون وقال بعضهم اراد مريم قوله عز وجل ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم
يقول ولادا او اولادا اولاد الاولين الاخر والاخر من الاول والله سميع لقولهم عليم بهم وبمجازاتهم وقوله
عز وجل ذرية نصب على البدل وقيل على الحال اي اصطفاهم حال كون بعضهم من بعض واما اشتقاق
الذرية فقد تقدم ذكره وبالله التوفيق قوله عز وجل اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في
بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم قال ابو عبيدة اذ زائدة في الكلام وكذلك في سائر
الاي وقال جماعة من النحويين معناه واذكر اذ قالت ويقال قوله اذ قالت امرأت عمران راجع الى قوله تعالى وآل
عمران اي اصطفاهم اذ قالت ويقال هو راجع الى قوله سميع عليم وكان اسم امرأة عمران حنة وهي ام مريم
وجدة عيسى وكانت لها ابنتان احديهما ايشاع وهو عمران بن ماثان وبينه وبين عمران ابي موسى عليه
السلام الف وثمانمائة سنة وقوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي اوجبت لك على نفسي ان
اجعله عتيقا لخدمة البيت المقدس وكانوا يحررون اولادهم اي يعتقونها عن اسباب الدنيا يجعلون الولد
خالصا لله تعالى لا ينتفعون به في منافعهم كما ينتفع الوالد بولده ولم يكونوا يحررون الا الغلمان وكان
المحررون سكان بيت المقدس يتعهدونه ويكنسونه فاذا بلغوا خيروا فان احبوا اقاموا في البيت وان
احبوا ذهبوا والتحرير التخليص يقال طين حر اي خالص وتحرير الكتاب خلاصه من الفساد والاضطراب و
قوله عز وجل فتقبل مني انك انت السميع لدعائي العليم بنيتي والتقبل هو اخذ الشيء على الرضا يقال (اي تقبل نذري)
تقبل الامير هدية فلان اي اخذها مع الرضا واصل ذلك من المقابلة فسمي الاعتداد بالشيء فيما يقابل بالجزاء
تقبلا قوله عز وجل فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر
كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
وذلك انها كانت نذرت وقف المحرر ما في بطنها ان كان ذكرا فلما ولدت جارية اشفقت ان لا
يقبل منها فقالت رب اني وضعتها انثى اي ولدتها جارية وكان هذا القول منها على وجه الاعتذار لان
الانثى اضعف وعقلها انقص وكانوا لا يحررون النساء لخدمة البيت لما يلحقهن من الحيض والنفاس يقول
الله عز وجل والله اعلم بما وضعت وقرأ بعضهم وضعتُ حكاية عن قول المرأة واما قوله تعالى وليس الذكر
كالانثى فهو من قول المرأة معناه ليس الذكر كالانثى في خدمة البيت لان الانثى عورة لا تصلح لما يصلح له الذكر
وقوله تعالى واني سميتها مريم اي خادم الرب بلغتهم وقوله تعالى واني اعيذها بك اي امنعها بك وولدها ان
كان لها ولد من الشيطان الرجيم اي المرجوم وهو المطرود من رحمة الله تعالى روى ابو هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من مولود الا وللشيطان طعنة في جنبه حين يولد فيستهل صارخا من الشيطان
الا مريم وابنها عليه السلام قال ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
وفي الاية دليل جواز تعلق النذر بالخطر والاوقات المستقبلة وصحة النذر مع الجهالة لان امرأة عمران كانت لا

تدري ما في بطنها ذكرا او انثى وقيل ان للام ضربا من الولاية في تسمية الولد وتاديبه وتعليمه وقيل هذا النذر
من الانسان في ولده ان يفنيه على عبادة الله تعالى وطاعته وتعليمه الفقه والقرآن وعلوم الدين نذر صحيح في
شريعتنا قوله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما
دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان
الله يرزق من يشاء بغير حساب معنى الاية والله تعالى اعلم استجاب الله دعاها وقبل نذرها وجعل مريم صوامة
وقوامة رباها الله تربية حسنة فانما ذكر مصدر تقبلها بلفظ القبول لان في التقبل معنى القبول وذكر لفظ النبات
على المعنى ايضا لان في انبات الله نباتا واما قوله عز وجل وكفلها زكريا اي ضمها للقيام بامرها قال النبي صلى الله
عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين واشار باصبعيه ومن قرأ وكفلها بالتشديد وزكريا بالنصب فمعناه ضمها
الله تعالى الى زكريا وضمنه القيام بامرها روي ان امرأة عمران لما دعت هذا الدعاء المذكور في الاية المتقدمة
لفتها في خرقة ووضعتها في بيت المقدس فتنافس فيها الاحبار ايهم يكون عنده فقال زكريا عليه السلام
انا احق بها خالتها امرأتي فقالت له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع
عليها بالاقلام فيكون عند من يخرج سهمه فاخذوا الاقلام التي كانوا يكتبون بها كتاب الله عز وجل
فكانوا سبعة وعشرين رجلا فانطلقوا الى نهر سلوان فقالوا نطرح اقلامنا مع هذه الجرية فمن صعد قلمه
فقلب الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع ثم رموا اقلامهم مع الجرية فلما بلغت المبلغ الذي
سفلت اقلامهم جميعا وصعد قلم زكريا فقلبت الجرية فضمها زكريا الى نفسه واسترضع لها فلما بلغت المبلغ
الذي يصلح للبيت بنى لها محرابا وغرفة من البيت وجعل باب الغرفة في وسط الحائط لا يصعد اليها الا بالسلم
فكان يغلق عليها الباب لا يدخل عليها احد غيره فكانت اذا حاضت اخرجها الى منزله فتكون عند خالتها
واذا طهرت ردها الى البيت فذلك قوله عز وجل وكفلها زكريا واما قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا
المحراب قال بعضهم اراد بالمحراب المسجد وكانت مساجدهم تسمى المحاريب كما في قوله عز وجل اذ تسوروا
المحراب ويقال ان المحراب في اللغة هو الموضع العالي المقدم الشريف ومن ذلك سمي امام المسجد محرابا وهو
مفعال من الحرب لانه يحارب عليه وقيل هو موضع محاربة الشيطان ويقال ان المحراب موضع الحربية وهي (فمن حربية الرجل ماله الذي يعيش به)
المال واما قوله تعالى وجد عندها رزقا كان يجد عندها فاكهة الشتاء والصيف في الصيف وفاكهة
الصيف في الشتاء فقال يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذا فانه لا يدخل عليك احد غيري قالت هو من عند
الله اتاني به جبريل عليه السلام وعن الحسن رضي الله عنه انه كان يقول تكلمت مريم في المهد ولم تلقم ثديا قط
وانما كان يأتيها رزقها من الجنة واما قوله تعالى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقد تقدم تفسيره قوله
عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء
المعنى والله تعالى اعلم عندما راى زكريا ان الله تعالى يرزق مريم طمع ان الذي يأتي مريم بالفاكهة في الشتاء يصلح له
عقره وجسمه فدعا الله عند ذلك وقال رب هب لي اي اعطني من عندك ذرية طيبة اي ولدا صالحا انك
سميع الدعاء سامع الدعاء ومجيبه والاصل في هنالك هنال وهنال قرب الظرف والمكان يقال رايته هنا وانه
هنال والفصل بينهما ان هنا اقرب من هنال وهنال اقرب من هنالك ومعناه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك
وذلك ودخول اللام فيه لتأكيد التعريف ولا موضع للكاف من وجوه الحركات الا ان فيه خطابا قوله
عز وجل فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة
من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين معناه والله اعلم ناداه جبريل عليه السلام
وهو قائم يصلي في المسجد ان الله يبشرك بولد اسمه يحيى كما قال جل ذكره في اية اخرى نبشرك بغلام اسمه يحيى وقوله
تعالى مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم كان يحيى اول من صدق وشهد انه كلمة الله وروحه

وكان أكبر من عيسى بثلاث سنين وفي بعض الروايات أن مريم دخلت على خالتها بعد ما حملت بعيسى عليه السلام فوجد
ما في بطن خالتها وهو يحيى لما في بطنها فقالت لها خالتها إني أحس أن ما في بطنك حملت خير الناس وأخبرت زكريا بذلك
فقال لها أما إني لا أخشى على ابنة أختك وإنما أخشى على نفسي إذ لم يكن بعد ابنها أحد غيري وأما قوله عز وجل
وسيدا فالسيد في الحقيقة من تلزم طاعته ويجب على الناس الاقتداء به في العلم والحلم والعبادة والتقى
وأما قوله وحصورا فالحصور الذي لا يأتي النساء أحصر نفسه عما يكون من الرجال ويقال عن شهوات الدنيا
كلها وقد يسمى كاتم السر حصورا والذي لا يدخل مع الناس في الميسر حصورا لامتناعه من ذلك وأصله من الحصر
وهو الحبس ويسمى الحصير حصيرا لأنه دخل بعضه في بعض في النسج وحبس بعضه على بعض وذهب بعضهم إلى أن
الحصور هو الذي لا شهوة له والأول أولى لما في الثاني من إضافة العيب إليه ولأن هذا الثناء والصفة تشمل
حالة الاختيار كما يقال أكول وشروب وظلوم ونحو ذلك وقوله عز وجل ونبيا من الصالحين أي نبيا من
المرسلين ويقال معناه وكائنا من الصالحين نبيا لأن من الصالحين من ليس بنبي والصالح الذي يؤدي ما افترض
الله عليه ويؤدي حقوق الناس إليهم وإنما ذكر الملائكة بلفظ الجمع في أول هذه الآية فعلى معنى أنه أتاه
المراد به الجنس وهذا كما يقال فلان ركب السفن وإنما ركب سفينة واحدة لكن يراد به أنه ركب السفن
جعل كونه في هذا الجنس ومن قرأ فناداه بلفظ التأنيث فعلى معنى الجماعة ومن قرأ إن الله بالكسر فقالت له
الملائكة إن الله وقراءة التشديد في يبشرك من التبشير ومن قرأ يبشرك بالتخفيف فهو من قولهم بشرت الرجل
وبشرته إذا أفرحته يقال بشر فلان أي سر والبشر إذا أخبرته بخبر سرور وبشر الرجل بكسر إذا فرح و
إنما سمي يحيى لأنه كان في علم الله تعالى أن يقتل شهيدا والشهداء أحياء عند ربهم قوله عز وجل قال رب أنى
يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قيل في تفسير هذه الآية
قال زكريا لجبريل عليهما السلام حين سمع البشارة يا سيدي كيف يكون لي غلام وقد أدركني الهرم وامرأتي ذات
عقر لا تلد فقال له جبريل عليه السلام مثل ذلك يفعل الله ما يشاء أي الذي يشاء وقال بعضهم أراد زكريا بالرب
الله عز وجل أي قال يا رب كيف يكون لي غلام قال الكلبي رضي الله عنه كان زكريا ابن تسعين سنة وكانت امرأته قريبة
من السن وقال الضحاك رحمه الله كان هو ابن مائة وعشرين سنة فإن قيل كيف قال زكريا أنى يكون لي
غلام فاستبعد أن يعطيه الله ولدا على كبر السن من امرأة عاقر بعد ما بشرته الملائكة بذلك قيل لم يكن
هذا القول على جهة الاستبعاد ولكن من شأن من بشر بما يتمنى أن يحمله فرط سروره به على الزيادة في
الاستكشاف والاستثبات كما يقول الإنسان إذا رأى شيئا من الأمور العظيمة كيف كان هذا على جهة
الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا الشك في القدرة وكذلك إذا رأى شيخ وهب مالا عظيما لرجل قال كيف
سمحت نفس فلان بنفسه هذا المال كله يريد بذلك الاستعظام دون الاستنكار إذ هو عالم بأنه قد وهب
وقيل في معنى قوله تعالى أنى يكون لي غلام أي على أي حال يكون الولد أتردني الله تعالى وامرأتي إلى حال الشباب
أم على هذه الحالة وقال بعضهم معناه أيرزقني الله من امرأتي هذه أو من امرأة أخرى شابة فقيل له إن الله يفعل
كما أنت عليه بفعل الله تعالى الذي يشاء وروي أن جبريل عليه السلام حرك سعفة يابسة فأثمرت السعفة
وقال جبريل كذلك الله يفعل ما يشاء أي كما أثمرت السعفة اليابسة يفعل الله ما يشاء فإن قيل كيف قال في هذا
الموضع بلغني الكبر وقال في موضع آخر وقد بلغت من الكبر عتيا وهل يجوز أن يقول الإنسان بلغني البلد كما يقول بلغت
البلد قيل هما جائز في هذا الموضع ولا يجوز في البلد لأن الكبر كالطالب للإنسان لإتيانه عليه بتجدده فيه و
الإنسان كالطالب للكبر لدنوه إياه بمرور السنين والأعوام عليه وأما البلد فلا يكون طالبا للإنسان كما يكون
الإنسان طالبا للبلد قوله عز وجل قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا و
اذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار أي قال زكريا يا رب اجعل لي علامة إذا حملت امرأتي عرفت ذلك

منها

منها أراد بهذا القول أن يتعجل له السرور قبل ظهور الولد بالولادة وروي أن جبريل عليه السلام لما بشر زكريا
بالولد أتاه الشيطان فبشر زكريا عليه السلام أن الذي سمعه من الشيطان فقال رب اجعل لي آية
قال آيتك ألا تكلم الناس أي علامة حدوث حمل امرأتك أن لا تطيق الكلام مع أحد من الناس ثلاثة أيام
من غير خرس إلا إشارة بالعينين والحاجبين واليدين وقيل إن الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير إبانة
بصوت والرمز والنبض واللغة الحركة والتحرك وقوله عز وجل واذكر ربك كثيرا أي في هذه الأيام
الثلاثة وسبح بالعشي والإبكار أي صل غدوا وعشيا كانت تصلي من قبل يقال فرغت من سبحتي أي من صلاتي
وسمى الله التسبيح صلوة لما فيها من التوحيد والتمجيد والتنزيه من كل سوء وقال بعضهم أراد
التسبيح المعروف فيما بين الناس وقال الحسن جعلت آية زكريا أن أمسك لسانه عن الكلام مع
الناس من غير خرس ولا حدوث آفة به فكان لا يمكنه أن يتكلم مع الناس وكان يمكنه أن يذكر الله تعا
ويقرأ كلامه فكان هذا معجزة عظيمة له لأنها إنما كانت معجزة له في نفسه دون غيره من الناس فإن غيره
من الناس كان لو أراد يتكلم بذكر الله عز وجل ولا يتكلم مع الناس كان لا يمكنه أن يعلم أنه ممنوع من الكلام مع
الناس لأنه كان يظن أنه يمتنع من الكلام مع الناس بنفسه وذكر في الأيام الثلاثة في هذه الآية وذكر ثلاث ليال
سويا في آية أخرى في هذه القصة دليل أن أحد العددين إذا ذكر بلفظ الجمع أريد به مثله معه من العدد
الآخر في الأحكام الأخرى بهذا احتاف الأيام والليالي وكل واحد منهما بالذكر قال الله تعالى سبع ليال
وثمانية أيام حسوما فأما مع الإطلاق إذا ذكر أحد العددين على وجه الجمع في العقود والنذور دخل معه
مثله من العدد الآخر قوله عز وجل وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين معطوف على إذ قالت امرأة عمران والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وحده
على عموم ما تقدم ذكره ومعنى إن الله اصطفاك أي اختارك لطاعته وعبادته وطهرك من الكفر بالإيمان
كما قال الله عز وجل ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أراد طهارة الإيمان والطاعة
وقد سمى الله عز وجل الكفر نجاسة في قوله عز وجل إنما المشركون نجس وقيل معنى وطهرك أي من الأدناس
كلها من الحيض والنفاس وغيرهما وقوله عز وجل واصطفاك على نساء العالمين أي اختارك على نساء عالمي
زمانك بولادة عيسى عليه السلام بشرا من غير أب فإن قيل كيف يجوز ظهور الملائكة لمريم وذلك
معجز لا يجوز ظهوره على غير نبي ومريم لم تكن نبيا كما قال الله عز وجل وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم
قيل إنها وإن لم تكن نبيا فإن ذلك كان في وقت زكريا عليه السلام ويجوز ظهور المعجز في زمان الأنبيا
عليهم السلام لغيرهم ويكون ذلك معجزة لهم وقال بعضهم كان ذلك إرهاصا لنبوة عيسى عليه السلام
كما كان الشهب وتظليل الغمامة وكلام الذئب إرهاصا لنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز
وجل يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين قال سعيد بن جبير معنى اقنتي
أخلصي العبادة لربك وقال قتادة معناه أديمي الطاعة لربك وقال مجاهد معناه أطيلي القيام في
الصلوة وهذا القول أشبه الوجوه بظاهر الأمر لأن الله تعالى عطف الأمر بالركوع والسجود على ذلك
والقيام والركوع والسجود كلها أركان الصلوة ولذلك لم يكن هذا موضع بحث عند أهل العلم لأنه أمر
بالصلوة وقيل في قوله عز وجل واركعي مع الراكعين أمرها بالصلوة في الجماعة مع الأحبار في بيت المقدس
لأنها كانت خادم المسجد وفي الآية دليل أن الواو لا توجب الترتيب لأن الركوع مقدم على السجود في المعنى
وقد قدم السجود في هذه الآية دليل أن الواو لا توجب الترتيب لأن الركوع مقدم على السجود في اللفظ قوله
عز وجل ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم
يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون يقول ما قصصناه عليك يا محمد

الألوكة

صلى الله عليه وسلم من امر زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبارنا ما غاب عنك نرسل جبريل عليه السلام به اليك وما كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم عندهم اذ يطرحون اقلامهم في النهر على الجرية ايهم يضم مريم للقيام بامرها وما كنت عندهم اذ يختصمون في امرها للتربية وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالاقلام القداح وهي السهام سميت قلاما لانها تقلم اي تبرى كالقلم والقلم المقلوم وفي اخبار الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم بانبا الغيب دليل نبوته لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا ومثل هذه الاخبار لا تعلم الا باحد وجوه اربعة اما بالمشاهدة او بقراة الكتب او بالتعلم ممن قرا الكتب وعرف كلها الاخبار او بالوحي من جهة الله عز وجل وقد سقطت الوجوه الثلاثة عن النبي صلى الله عليه وسلم فثبت انه كان بالوحي من جهة الله عز وجل قوله عز وجل اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين معناه والله تعالى اعلم واذكر اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه يعني عيسى بن مريم سماه الله تعالى كلمة لانه كان بكلمة من الله تعالى القاها الى مريم ولم يكن من والد وقال بعضهم سمي كلمة لان الناس كانوا يهتدون به في اديانهم كما يهتدى بالكلام وقال بعضهم ذكره الله تعالى في كتب من قبل فكان الكلمة هو ما ذكر في الكتب من حديثه وهذا كما يقول الانسان لغيره اذا خرج الامر موافقا لقوله قد جا كلامي وانما قوله تعالى اسمه المسيح فانما ذكره بلفظ التذكير لان معنى الكلمة معنى الولد فلذلك لم يقل اسمها والله اعلم وقد اختلفوا في تسميته مسيحا روي عن عبد الله بن عباس انه قال المسيح الممسوح بالبركة وذهب الى ان المسيح فعيل بمعنى مفعول وقال بعضهم سمي مسيحا بمعنى الماسح كان يمسح ذوي العلل فيبرؤون وقيل لانه كان يمسح الارض سيحا ولا يستقر وقال الكلبي المسيح الملك الذي لا حاجة له الى احد من المخلوقين وروي عن عيسى عليه السلام انه كان يقول الشمس صلاتي والقمر سراجي ويقول جلاي الريح طعامي ما تنبت به الارض للبهائم ولا يموت ولا بيت يخرب ولا مال يسرق اصبح ولا عدالي وامسي ولا عشالي وانا من اغنى الناس واما عيسى فهو معرب وله من ايسوع بالسريانية واشتقاقه في كلام العرب من العيس وهو بياض الابل وقيل من العوص وهو من السياسة الا ان الواو قلبت يا لانكسار ما قبلها وقوله عز وجل وجيها في الدنيا والاخرة اي ذا قدر ومنزلة في الدنيا عند اهلها وفي الاخرة عند ربه والوجيه الذي لا يرد قوله يقال وجه الرجل يوجه وجاهة وله جاه اذا صار بحيث لا يرد مسالته وقوله عز وجل ومن المقربين اي من المقربين الى ثواب الله عز وجل في جنة عدن وهي الدرجة العليا والقرب الى الله عز وجل تقرب الى ثوابه قوله عز وجل ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين معناه ويكلم الناس في مضجع الرضاع ويكلم كهلا بعدما دخل في السن ومن الصالحين اي من المرسلين وقال الكلبي اراد بالمهد الحجر وكل ما مهد فهو مهد روي ان الحواريين مريم لما ولدت عيسى ذهب بهما يوسف ابن يعقوب الى مغارة فكانا في الغار اربعين يوما ثم اتت بهما وهو ابن اربعين يوما قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا فكلمهم وحجها فقال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ مبلغ الغلمان الذين يتكلمون فكان يكلم ويعلم ما لا يعلمه احد فان قيل الكلام في حال كونه في المهد مما يتعجب الناس به وانما الكلام من الكهل فليس بعجيب وكيف ذكره الله تعالى في القران قيل ذكر الكلام في الكهولة بشارة لمريم بان عيسى عليه السلام يعيش الى وقت الكهولة وقيل اراد به انه يتكلم في حال الكهولة بعد نزوله من السماء لقتل الدجال وقيل اراد بالكلام في المهد براة امه مما رماها اليهود واراد بالكلام في الكهولة ابطال ما ادعاه النصارى من كونه الها لانه كان طفلا ثم صار شابا ثم صار كهلا ومن يكون بهذه الصفة لا يجوز ان يكون الها والكهل في اللغة هو الذي جاوز حد الشباب ولم يبلغ حال الشيخوخة يقال اكتهل النبات اذا قوي واشتد وقيل ان الكهل هو الذي يكون ابن اربع وثلثين سنة قوله عز وجل قالت رب انى يكون

لي ولد

لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشا اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون معناه قالت مريم لجبريل عليه السلام باستبعاد كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر بالنكاح ولا بالسفاح وكان القول منها على جهة الاستعظام لقدرة الله عز وجل لا على وجه الاستبعاد كما تقدم ذكره وقال بعضهم اراد بهذا القول ان تعرف انه يكون لها ولد قبل ان يمسها بشر او بعد ان يمسها بشر فاجابها جبريل عليه السلام قال كذلك الله يخلق ما يشا اي كما قلت انت وبما تقدم كذلك يخلق الله ما يشا ان يكون لك ولد من غير ان يمسك بشر وقوله عز وجل اذا قضى امرا اي اذا اراد شيئا ويقال اذا احكم تكوين شي فانما يقول له كن فيكون كما اراده الله عز وجل وهذا اخبار عن سرعة كون مراد الله عز وجل لانه لا يكون في وهم العباد شي اسرع من كن فيكون وانما ذكره الله بلفظ الامر لانه ادل على القدرة وقال بعضهم هذه كلمة جعلها الله عز وجل علامة لحدوث امر من الامور والله التوفيق قوله عز وجل ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين معطوف على قوله ويكلم الناس ويقرا ونعلمه بالنون عطفا على قوله عز وجل نوحيه اليك والمراد بالكتاب الزبور وغيره من الكتب التي انزلها الله عز وجل على انبيائه صلوات الله عليهم سوى التوراة والانجيل وقيل اراد بالكتاب الكتابة والحكمة الفقه وهو فهم المعاني فاما قوله عز وجل والتوراة والانجيل قيل علمه الله التوراة وهو في بطن امه والانجيل بعد خروجه فهذا ايضا من الحكمة الا انه عز وجل ذكرهما تفخيما لامرهما كما قلنا في قوله عز وجل من كان عدوا لله وملائكته وقوله عز وجل ورسولا الى بني اسرائيل اي نجعله رسولا بعد بلوغه سنة الى بني اسرائيل باني قد جئتكم بعلامة من ربكم لنبوتي وقال بعضهم قوله عز وجل ورسولا عطف على وجيها ومن قرا اني قد جئتكم بالكسر فعلى الاستئناف نرفع الله تعالى الاية بقوله عز وجل اني اخلق لكم معناه وهو اني اقدر لكم من الطين واصور كشبه الطير فانفخ فيه في الطين كنفخ النائم فيصير طيرا يطير بين السما والارض بامر الله عز وجل ويقرا طائرا الا ان هذا احسن لان الطائر يراد به الحال الذي يقوم ويقعد وطيرا يراد به انه يصير طيرا من الطين وقوله عز وجل وابرئ الاكمه والابرص اي امسح الذي ولد اعمى والابرص ايضا واحيي الموتى باسم الله الاعظم يا حي يا قيوم وانبئكم بما تاكلون عندكم وعشية وما ترفعون من غدا لعشا ومن عشا لغدا ويجوز ان يكون معنى بما تاكلون معنى الذي تاكلون والذي تدخرون ويجوز ان يكون ما مع ما بعده بمنزلة المصدر كانه قال باكلكم وادخاركم ان في ذلك لاية لكم اي ان فيما اظهرت لكم لعلامة لكم في نبوتي ان كنتم مصدقين بالله عز وجل لان من صدق بالله عز وجل وعلم انه حكيم لا يظهر المعجزة على من يكذب ويحرص عليه وانما يظهرها على من يكون نبيا وقيل ان معنى ان كنتم مومنين اي من كان مومنا فهذا حكمه ان يتبع المعجزة ويقبلها روي ان عيسى عليه السلام لما دعاهم الى الله عز وجل بدعوى هذه المعجزات قالوا له اخلق لنا خفاشا سالوه ذلك لان الخفاش من اعجب الطيور يطير بغير ريش ولا يبيض ويحيض ويلد وطلبوا منه ذلك متعنتين فاخذ طينا وجعل منه خفاشا ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السما والارض فقالوا هذا سحر فقال ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله فقالوا ان ابرا الاكمه والابرص بفعله اطباونا فذهبوا الى جالينوس فاخبروه بامر عيسى عليه السلام فقال ان الذي ولد اعمى لا يبصر بالعلاج والابرص الذي لو غرز لا يخرج منه الدم لا يبرا بالعلاج وان كان هو يحيي الموتى فهو نبي فقالوا ما اكمه وابرص فسح بيده عليهما فبرا فقالوا هذا سحر فان كنت صادقا فاحيي الموتى فاحيى رجلا يقال له ابن العاذر لصديقه انه قد مات فذهب مع اصحابه

الألوكة
www.alukah.net

وقد جرى وابى عليه ايام فدعى الله عز وجل فقام باذن الله عز وجل وذكره يقطر فعاش وولد له واحيى
ابن العجوز مرّ به محمولا على سريره فدعاه فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع اهله وبقى وولد له الى م
واحيى ابنة العاشر ماتت واتت عليها ليلة فدعى الله تعالى لها فعاشت وبقيت وولدت فقالوا
انك تحيى من كان موته قريبا ولعلهم لم يموتوا او اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني
على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى الى قبره فدعى الله تعالى فخرج من القبر فقال له عيسى عليه
السلام من انت قال سام بن نوح عليه السلام قال من انا قال عيسى بن مريم روح الله وكلمته قال كيف
شاب راسك ولم يكن في زمانك شيب قال سمعت صوتا اجب روح الله فظننت ان القيمة قد قامت
فشاب راسي من هول ذلك قال اتحب ان اسال الله عز وجل ان تعيش معنا قال لا فان مرارة النزع لم تذهب
من حلقي بعد وكان من وقت موته اكثر من اربعة الاف سنة فقال للقوم صدقوه فانه نبي عليه السلام
ومات مكانه فامن بعض القوم وكذبه بعضهم وقالوا هذا سحر فاخبرنا بما اكلنا وادخرنا فكان يقول
يا فلان انت اكلت كذا وادخرت كذا ويا فلان انت اكلت كذا وادخرت كذا فمنهم من امن ومنهم من كفر
بزعمهم انك تكون بفعل وقد رفعه الله عز وجل الى السماء قوله عز وجل **ومصدقا لما بين يدي من التوراة**
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون معناه
والله اعلم وجئتكم مصدقا لما بين يدي اي بما في التورية واحكامها وصدقتها ويقال يعني بالتصديق ان
التورية البشارة في فانا اخرجت فقد صدقت ذلك ولا يجوز ان يكون ومصدقا عطفا على ورسولا
اذ لو كان كذلك لقال ومصدقا لما بين يديه وقوله عز وجل ولاحل لكم عطفه على معنى مصدقا كانه قال
جئتكم مصدقا ولاعطفه ومعناه ولاحل لكم اي لارخص لكم بعض الذي حرم عليكم لانه كان في التوراة اشيا
محرمة حللها عيسى عليه السلام بعضها وهو العمل في يوم السبت وشحوم البقر والغنم وساير ما حرم عليهم
بظلمهم فاما ان يكون احل لهم القتل والسرقة والزنا فمحال وكان ابو عبيدة يذهب في هذا الى ان معناه ولاحل
لكم كل الذي حرم عليكم احبارکم لا ما حرمته انبياؤكم عليهم السلام وكان يستدل في عبارة الكل بالبعض
بقول لبيد **ترّاك امكنة اذا لم ارضها ٭ او يعتلق بعض النفوس حمامها ٭** قال معناه كل
النفوس وقال الزجاج لا يجوز ان يكون البعض عبارة عن الكل لان بعض الشيء جزء منه قال ومعنى قول لبيد
او يعتلق بعض النفوس حمامها لان نفسه بعض النفوس وهذا كلام يستعمله الناس يقول القايل
بعضنا يعرفك يريد انا اعرفك قال وانما حاء عيسى بتحليل بعض ما حرم عليهم من الطيبات
بظلمهم واما قوله عز وجل وجئتكم باية من ربكم اي لم احل لكم شيئا مما حرم عليكم من غير برهان بل
اتيتكم بعلامة تبين فاتقوا الله فيما امركم ونهاكم واطيعون فيما ابينه لكم قوله عز وجل **ان الله ربي**
وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم حكاية قول عيسى عليه السلام اي قال لهم ان الله ربي
وربكم خالقي وخالقكم فاعبدوه اي وحدوه هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم طريق واضح لا
عوج فيه من سلكه اداه الى الحق قوله عز وجل **فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله**
قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون معناه والله اعلم لما علم عيسى
عليه السلام منهم الكفر والقصد الى قتله قال من اعواني مع الله تعالى ووضع الى وهذا موضع مع لان
الى الغاية ومع للانضمام وهما يتقاربان في المعنى وهذا كما يقال الذود الى الذود ابل معناه الذود مع الذود
ابل وقال الزجاج معنى من انصاري الى الله من يضيف نصرته الي الله فان من ينصرني فهو ينصر الله **وقال** الحسن
معناه من انصاري في سبيل الله ويقال معناه من انصاري لله كقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي

الى الحق معناه من يهدي الى الحق بدليل انه عقبه بقوله قل الله يهدي للحق وقوله عز وجل قال الحواريون نحن انصار
الله اي قال المخلصون في النصرة والتصديق نحن اعوان دين الله تعالى معك صدقنا بتوحيد الله تعالى
واشهد يا عيسى بانا مسلمون فانا نشهد لك على ذلك والاحساس هو العلم من جهة الحاسة واختلف
اهل التفسير في الحواريين قال بعضهم المخلصون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواريي
من امتي اي هو من خواص امتي وكان الحواريون لعيسى عليه السلام اثني عشر رجلا من اصحابه مكان العشرة من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم سموا حواريين من الحور وهو الخلوص يقال عين حوراء اذا اشتد بياض بياضها وخلص
واشتد سواد سوادها وخلص ومنه يقال دقيق حواري الذي لم يبق فيه الا اللباب وقال بعضهم سموا
حواريين من الحور وهو البياض لانهم احلصوا في بياضهم قيل كانوا قصارين يبيضون الثياب قدموا
عيسى عليه السلام فقال الا ادلكم على تطهير انفع من هذا قالوا نعم قال تعالوا حتى نطهر انفسنا من الذنوب
فاتبعوه على ذلك وقيل كانوا يبيضون الثياب وقيل كانوا يبيضون القلوب من الفساد وقيل كانوا ملوكا فتبعوه
وقال بعضهم كانوا صيادين فقال لهم عيسى عليه السلام الا ادلكم على اصطياد انفع من هذا فقالوا بلى قال
تعالوا حتى نصطاد انفسنا من نيران ابليس فاتبعوه كلهم كانهم ذهبوا في هذا الى اشتقاقه من الحور الذي يرجع
هو الرجوع ومنه سمي المحور محورا لانه راجع الى المكان الذي زال منه وقيل لانه يدور راجعا منصقلا حتى ينقض
واما ما روي في الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور فمعناه من الرجوع والخروج من الجماعة بعد ان
كنا فيها يقال كار عمامته اذا لفها على راسه وحارها اذا نقضها قوله عز وجل **ربنا امنا بما انزلت**
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي قالوا يا ربنا صدقنا بما انزلت من الانجيل على عيسى
عليه السلام واتبعنا عيسى عليه السلام فاثبت اسامينا في جريدة المصدقين لانبيائك عليهم السلام
الذين شهدوا وصدقوا بالايمان قبلنا قوله عز وجل **ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**
معناه والله تعالى اعلم مكر الكفار الذين لم يؤمنوا بقصدهم قتل عيسى عليه السلام والمكر هو الاحتيال في تدبير
الشر وقوله تعالى ومكر الله اي جازاهم الله تعالى على ما تقدم ان الجزاء على المكر يسمى مكرا كما في الاعتداء والسخرية
والاستهزاء وقوله عز وجل والله خير الماكرين اي هو افضل الصانعين حين جازى الكفار على فعلهم وخلص
المكور به وذلك ان اليهود كانوا قد اجمعوا على قتل عيسى عليه السلام وهرب منهم الى بيت ودخل البيت
ووقعه جبريل من الكوة التي فيه فقال ملك اليهود لرجل خبيث منهم يقال له طظيانوس الى م
ادخل عليه البيت فاقتله فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام عليه فلما خرج راوه على شبه عيسى عليه
السلام فحسبوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عليه السلام وبدنه يشبه
بدن صاحبنا فان كان هذا صاحبنا فاين عيسى عليه السلام وان كان هذا عيسى فاين صاحبنا فوقع
بينهم قتال فقتل بعضهم بعضا **قال** الضحاك واما المسيح فقد كساه الله عز وجل الريش والبسه
النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار في الملائكة قوله عز وجل **اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك**
ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون اي هذه الاية متصل بقوله عز وجل
خير الماكرين ويقال معناه واذكر اذ قال الله عز وجل يا عيسى ذكر بعض المفسرين ان في الاية تقديما وتاخيرا
معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك اي مميتك بعد الانزال الى الارض وقال بعضهم
معنى متوفيك اي قابضك الي من بين الكفار ومكرهم يقال توفيت من فلان كذا اذا استوفيته وقوله
عز وجل ومطهرك من الذين كفروا اي مخرجك من بين اظهرهم فانهم كانوا ارجاسا وكان تطهير عيسى
عليه السلام منهم ازالتهم عنه فان التطهير ازالة الانجاس عن الثوب والبدن **وقال** الربيع معنى

معنى متوفيك وفاة نوم لا وفاة اماتة اي بعثه الله عز وجل في حالة نومه الى السماء وقوله ورافعك الي اي الى
سمائي وجعل الرفع الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء وقال بعضهم معناه ورافعك الى كرامتي كما قال ابرهيم
عليه السلام ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني ربي فانه كان يذهب الى الشام واما قوله عز وجل وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا فمعناه جاعل الذين صدقوك فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك قال بعضهم اراد
به فوقهم في العز والغلبة لا ترى يهوديا حيث كان الا اذل من النصارى قالوا وهذا يدل على انه لا يكون
لليهود مملكة كما هو للنصارى وقال بعضهم اراد بفوق الذين كفروا فوقهم في الحجة والبرهان
قال ابن عباس رضي الله عنهما ان الذين اتبعوا عيسى عليه السلام هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم الذين
صدقوه في جميع ما قال ومعنى ثم الي مرجعكم الى مرجع الكفار والمؤمنين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين قوله عز وجل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة و
ما لهم من ناصرين معناه اعاقبهم عقوبة شديدة في الدنيا بالقتل والسبي والجزية وفي الاخرة
بالنار وما لهم من مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل قوله عز وجل واما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين اي الذين صدقوا وعملوا
الصالحات يكمل لهم ثواب اعمالهم والله لا يرحم الظالمين ولا يغفر لهم قوله عز وجل ذلك نتلوه عليك
من الايات والذكر الحكيم معناه والله تعالى اعلم اي ان ما جرى من القصص نزل به عليك يا محمد صلى الله
عليه وسلم نتلوه عليك جبريل عليه السلام بامرنا واضاف التلاوة الى نفسه من حيث حصلت بامره
ويقال معنى نتلوه نحملك به وحقيقة التلاوة اظهار الكلمة على جهة الحكاية يقال انشا فلان كتابا
وتلاه علينا فلان وقوله عز وجل من الايات اي من علامات نبوتك وما فيه عبرة لمن اعتبر وتبصرة
لمن تبصر وقوله عز وجل والذكر الحكيم اي ومن القران ذي الحكمة في التاليف والنظم وسماه
حكيما لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة ويقال معنى الحكيم المحكم وهو فعيل بمعنى مفعول
ويقال المراد بالذكر الحكيم اللوح المحفوظ قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان وفد نصارى
نجران السيد والعاقب والاسقف وعدة من علمائهم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا فقالوا اسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم بل يمنعكم من الاسلام
ثلث اكلكم الخنزير وعبادتكم الصليب وقولكم لله عز وجل ولد فقالوا ارايت خلقا من غير اب وقالوا في احيا
عيسى عليه السلام الموتى دليل ان الله عز وجل اتخذه ابنا فانزل الله عز وجل قوله ان مثل عيسى عند الله
يقول صفة خلق عيسى عليه السلام بلا اب كصفة خلق ادم عليه السلام خلقه من غير اب اي صور
الله ادم عليه السلام من تراب من غير اب ولا ام ثم قال تعالى لادم كن فكان واراد الله عز وجل بهذه
الاية ان كون الولد من غير اب ليس باعجب من كون الانسان بغير اب وام وقد خلق الله ادم عليه
السلام من تراب من غير اب وام وفي هذه الاية دليل على صحة القياس لانه لو لم يصح القياس لم يكن الله تعالى
يحتج به وفيها دليل لجواز قياس الشيء على الشيء من وجه دون وجه لان الله عز وجل انما شبه عيسى عليه
السلام بادم عليه السلام في كونه من غير اب لا في كونه من غير ام ولا في خلقه من التراب فان قال قائل
هلا قال الله عز وجل كن فكان فان ادم عليه السلام قد انقضى كونه وقد اخبر عنه بالمستقبل قيل ان الفعل
الماضي منقطع والمضارع متصل ومن ذلك كما يقال في الاصول ان ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه فعل كذا وكان يفعل فانه لا يقتضي التكرار وما روي انه كان يفعل كذا فانه على التكرار دون الانقطاع
ثم فعل الله تعالى مبني على المهلة وحدوث على التدريج التدريج وكذلك امر عيسى عليه السلام على التدريج

الا ترى
كان

الا ترى انه عز وجل خلق السموات والارض في ستة ايام وكذلك نبات الحبوب وادم عليه السلام على
التدريج وكذلك امر عيسى عليه السلام على التدريج كان يبدو شيئا فشيئا فاخبر الله عز وجل عن
ذلك بفعل دائم قوله عز وجل الحق من ربك فلا تكن من الممترين ابتداء هذه الاية رفع على
خبر مبتدا محذوف معناه الذي انباك به هو الحق والصدق في امر عيسى عليه السلام فلا تكن
من الممترين اي من الشاكين قال بعضهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كلهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك في امر عيسى عليه السلام قط وهذا كما قال الله عز وجل يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء وقال بعضهم معناه لا تكن ايها السامع لهذا النبا من الشاكين والمراد به كل
من كان من المكلفين قوله عز وجل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على
الكاذبين معنى الاية والله تعالى اعلم من خاصمك في امر عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من البيان
ان عيسى عليه السلام لم يكن الله ولا شريكه فقل تعالوا معشر النصارى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
ليخرجوا الى فضاء الارض وانفسنا وانفسكم اي وتخرج نحن بانفسنا وانتم بانفسكم ثم نبتهل اي نلتعن والبهلة
اللعنة يقال بهلة الله اي لعنة وباعده ويقال معنى نبتهل نجتهد ونتضرع في الدعا على الكاذب من
الابتهال وهو التضرع والاجتهاد وطلب الشيء من فتر الابتهال فقال اهل ذلك فنجعل لعنة الله على
الكاذبين اي يقول لعنة الله في امر عيسى عليه السلام على الكاذبين وقد روي انه لما نزلت هذه
الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران ان الله عز وجل امرني ان اباهلكم ان لم
تقبلوا فقالوا يا ابا القاسم صلى الله عليه وسلم بل نرجع فننظر في امرنا ثم ناتيك فخلوا وجمعوا الملا
بعضهم البعض فقال السيد للعاقب قد والله علمت ان الرجل نبي مرسل ولئن لاعنتموه ليستاصلنكم
وما لاعن نبي قوما قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وان انتم لم تتبعوه وابيتم الا الف دينكم فوادعوه
وارجعوا الى بلادكم فلما كان من الغد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه هو ولم يخلف احدا من اهل
البيت اخرجه معه ادعيا محتضنا حسينا اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي على اثرهم وعلي خلفهم
رضوان الله عليهم فابوا ان يلاعنوه وانقادوا والعقوبة الجزية تؤدونها اليه في كل سنة فقالوا صالحنا
يا محمد صلى الله عليه وسلم حتى نرجع الى بلادنا وابعث معنا رجلا عدلا يقضي بيننا في اموالنا
وعطية من اموالنا فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفي حلة الف في صفر والف في رجب
وعليهم وان كان كون باليمن عهم بثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا والمسلمون ضامنون
لها حتى يردوها عليكم وكتب لهم كتاب الامان والصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما كتب محمد صلى الله عليه وسلم لنجران ان كل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضلا عليهم ترك ذلك كله
على الفي حلة في كل صفر الف حلة وفي كل رجب الف حلة ثمن كل حلة اوقية وما زادت الحلل على الاواقي
فبحساب وما نقص من درع حلة او خيل او ركاب فبحساب وعليهم عارية ثلاثين درعا وثلاثين
فرسا وثلاثين بعيرا اذا كان كيد باليمن ولنجران وحاشيتها جوار الله تعالى وذمة محمد صلى الله عليه وسلم
على انفسهم وملتهم وكل ما تحت ايديهم من قليل وكثير لا يغير ما كانوا عليه ولا يغير من حقوقهم ولا يغير
اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا يحشرون من بلادهم ولا يعشرون ولا يطا ارضهم
جيش ومن سال منهم حقا فالنصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن اكل الربا من ذي قبل فذمتي منه
بريئة لا يؤخذ منهم رجل بظلم اخر ولهم جوار الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا حتى ياتي
الله بامره ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم شهد الشهود ابو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو

ومالك بن عوف وغيرهم ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم معاذ بن جبل رضي الله عنه ليقضي بالحق فيما بينهم ورجعوا الى بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو باهلوني لاضطرم الوادي عليهم نارا ولم يبق نصراني ولا نصرانية الى يوم القيمة وفي بعض الروايات قال لو العنوا لهلكوا كلهم حتى العصافير في سقوفهم وفي هذا الخبر ان امتناعهم من المباهلة لم يكن الا لعلمهم ان الحق مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ لو لم يعلموا ذلك لباهلوه حتى كان يظهر بطلان قوله صلى الله عليه وسلم في الحال قوله عز وجل إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم يقول هذا الذي جئناك به من الحجج والايات لهو الخبر الحق بان عيسى عليه السلام لم يكن الله ولا ولده ولا شريكه والقصص هو الخبر الذي يتلو بعضه بعضا من قولهم قص فلان اثر فلان اذا اتبعه وقوله تعالى وما من اله الا الله اي ما اله الا الله واحد بلا ولد ولا شريك وما اعطى الله عز وجل عيسى عليه السلام من المعجزة التي يعجز عنها المخلوقون لا تخرجه من العبودية لله عز وجل وان الله لهو العزيز الحكيم اي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به ودخول من في قوله ما من اله الا الله لتوكيد النفي في جميع ما ادعاه المشركون انهم الهة وقوله عز وجل وان الله لهو العزيز الحكيم اي العزيز بالنقمة لمن لا يؤمن به والحكيم في خلق عيسى عليه السلام من غير اب وفي امره ان لا نعبد الا الله عز وجل قوله عز وجل فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين يقول ان اعرضوا عما اتيت به من البيان فان الله عالم بالمفسدين يجازيهم على ذلك ثم دعاهم الله عز وجل الى التوحيد فقال عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا اهل الكتاب هلموا الى الكلمة عدل بيننا وبينكم وفي سواء ثلث لغات سواء وسوى وسُوى ولا يمد منها الا المفتوح ويقال معنى الى كلمة سواء اي الى كلمة ذات سواء اي مستوية بيننا وبينكم ثم فسر الكلمة فقال ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا اي ان لا نشرك به احدا من المخلوقين اربابا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اي نرجع الى المعبود بأمر الله عز وجل وان عيسى عليه السلام بشر كسائر البشر فلا نتخذه ربا وسمى الله تعالى هذه الالفاظ كلمة لان معناها يرجع الى شيء واحد وهو كلمة العدل لا اله الا الله تقول العرب للكلام الذي فيه شرح قصة وان طال كلمة يقال انشدنا كلمة فلان اي قصيدة وذهب بعض المفسرين الى ان معنى ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله كما قيل في تفسير قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله اي اطاعوهم في معصية الله وعن عدي بن حاتم انه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الاية وفي عنقي صليب من ذهب فقال صلى الله عليه وسلم الق هذا الوثن عنك واحلق شعر الكفر عن راسك فقلت يا رسول الله ما كنا نعبدهم فقال صلى الله عليه وسلم اليس كانوا يحلون لكم فتاخذون بقولهم ويحرمون عليكم فتاخذون بقولهم فقلت نعم فقال صلى الله عليه وسلم هو ذاكم وقوله عز وجل فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي ان ابوا التوحيد فقولوا انتم اشهدوا بانا مقرون بالتوحيد مستسلمون لما اتتنا به الانبياء صلوات الله عليهم من قبل الله تعالى ثم ذكر الله تعالى خصومة اهل الكتاب مع النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم انا مسلمون على دين ابرهيم فقال عز وجل يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون قال الكلبي وذلك ان اليهود والنصارى اجتمعوا في بيت مدراس اليهود وكل فريق يقول ان ابرهيم عليه السلام منا وعلى ديننا فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اللهم فينا ايتنا اولى

بإبرهيم

بإبرهيم عليه السلام ودينه فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين منكم بريء من دين ابرهيم عليه السلام ان ابرهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فانزل الله تعالى هذه الايات يقول يا اليهود والنصارى لم تخاصمون في ابرهيم عليه السلام ودينه وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون انه ليس لكم دعوى الاسلامية فيعلمون ان اليهودية ملة محرفة عن شريعة موسى عليه السلام وان اليهود سموا بهذا الاسم لانهم من ولد يهوذا والنصرانية ملة محرفة عن شريعة عيسى عليه السلام حتى نصارى لانهم من قرية بالشام يقال لها ناصرة وقيل معنى قوله عز وجل افلا تعقلون افلا تتفكرون فتعلمون انه ليس في التوراة والانجيل ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا فان قيل ليس في نزول التوراة والانجيل بعد ابرهيم عليه السلام ما يدل على انه لم يكن ابرهيم عليه السلام على اليهودية ولا على النصرانية وليس في ذلك احتجاج بل يدل نزول القرآن بعده على انه لم يكن على الاسلام قيل ان اهل الكتابين جميعا كانوا قد اتفقوا على وصف ابرهيم عليه السلام بانه مسلم الا ان اليهود ادعوا ان الاسلام كان يهودية والنصارى ادعوا انه كان نصرانية فوضح انه لم يكن في الكتابين ونحن انما ادعينا انه كان مسلما ولم ندع اكثر من ذلك وفي كتابنا نصفه بالاسلام كما بين الله تعالى هذه الاية قوله عز وجل ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون معناه والله تعالى اعلم وانتم يا هؤلاء يا معشر اليهود والنصارى خاصمتم فيما لكم به علم وهو امر موسى عليه صلى الله عليه وسلم وصفته في كتابكم فلم تخاصمون فيما ليس لكم به علم وهو امر ابرهيم عليه السلام والله يعلم دين ابرهيم وشانه وانتم لا تعلمون وقيل ان ها في ها انتم تنبيه وانتم اسم المخاطبين وهؤلاء اشارة اليهم كانه يقول انتم هم الذين حاججتم وزعم الاخفش ان اصل ها استفهام التوبيخ فحولت الهمزة الاولى هاء كقولك هرقت واهرقت قوله عز وجل ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين تكذيب من الله تعالى للفريقين في قولهم ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا او نصرانيا ومعنى ولكن كان حنيفا مسلما اي مائلا عن اليهودية والنصرانية مخلصا مستسلما لامر الله عز وجل وما كان مع المشركين على دينهم والحنيف هو المائل عن كل دين سوى الاسلام نسبة بالاحنف الذي يكون صدور قدميه مائلة من جهة الخلقة قوله عز وجل إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين قال الكلبي وذلك ان رؤساء اليهود كانوا يقولون والله يا محمد صلى الله عليه وسلم لقد علمت انا اولى بدين ابرهيم وما بك الا الحسد لنا فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها ان احق الناس بولاية ابرهيم عليه السلام للذين اتبعوه في دينه في زمانه ولم يغيروا ولم يبدلوا وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا اصحابه الذين اتبعوه والله ولي المؤمنين بالنصر والمعونة ثم ذكر الله تعالى دعوة كعب بن الاشرف واصحابه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا وحذيفة وعمارا الى دينهم اليهودية فقال عز من قائل ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون معناه تمنت جماعة من اهل الكتاب ان يهلكوكم بادخالكم في الضلال وما يرجع وبال ضلالهم الا على انفسهم وما يعلمون ان وبال ذلك يعود عليهم وقيل ما يعلمون ان الله تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على فعلهم قوله عز وجل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون معناه يا اهل الكتاب لم تجحدون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وانتم تعلمون وكتابكم انه نبي مرسل ويقال وانتم تشهدون بما يدل على صحة هذه الايات من كتب الانبياء صلوات الله عليهم والاصل لم تكفرون لما تكفرون اي لاي شيء تكفرون حذفت الالف من اخره للتخفيف وفتحة الميم دليل على سقوطها

الالف وعلى هذا لم تقولون وقد تجيئون وعم يتساءلون قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون معناه لم تخلطون الحق بالباطل ولبس الحق بالشيء
خلط احدهما بالآخر وذلك لانهم اقروا ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضه ويقال معناه لم تخلطون
صفة محمد صلى الله عليه وسلم بصفة الدجال ولم تكتمون الحق وانتم تعلمون ان محمدا والاسلام حق وكتابكم
وقيل في معنى لم تلبسون لم تغطون الحق بباطلكم يقال لبست على فلان الامر لبسه اذا عميته عليه ويقال لبس
الثوب لبسا لبسه ومعنى تغطية الحق بالباطل تحريفهم التوراة والانجيل وتأويلهم على غير وجهه
ثم ذكر تعالى حيلة كعب بن الاشرف واصحابه في تحويل القبلة فقال عز وجل وقالت طائفة من اهل
الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون
معناه انهم قالوا لسفلتهم صدقوا بالقبلة التي صلى المسلمون اليها صلوة الصبح وهي قبلة بيت المقدس وجحدوا
القبلة التي صلوا اليها آخر النهار وهي الكعبة لعلهم يرجعون الى قبلتكم وقال بعضهم ان علماء اليهود قالوا
فيما بينهم كما غير اصحابنا بالاشياء الى دين محمد صلى الله عليه وسلم فان نحن كفرنا به كما آمنا اصحابنا
ونؤمن ببعض ونكفر ببعض لم يتهمهم انا نصدقه فيما نصدقه ونريهم انا نكذبه فيما ليس عندنا ويقال انهم
اتوا النبي في صدر النهار فقالوا انك الذي وجدناك في التوراة انك نبي مبعوث ولكن انظرنا الى العشي لننظر في
امرنا فلما كان العشي اتوا الانصار فقالوا لهم كنا اعلمناكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي هو مكتوب
في التوراة الا انا نظرنا في التوراة فاذا هو من ولد هرون عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل
بن ابرهيم عليه السلام فليس هو النبي الذي هو وانما فعلوا ذلك لعل من يرى منهم يرجع لان مثل هذا يكون عندنا
اقرب شيء الى تشكيك المسلمين ووجه الشيء اوله ويقال لاول الثوب وجه الثوب ويقال وجه الشيء
اشرفه واعلاه واشرف النهار اوله قوله عز وجل ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى
هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم حكاية قول كعب بن الاشرف واصحابه قالوا لليهود لا تصدقوا
الا لمن تبع دينكم اليهودية وصلى الى قبلتكم بيت المقدس واما قوله عز وجل قل ان الهدى هدى الله فقال
بعضهم هذا كلام معترض بين كلامي اليهود ويجوز دخول العارض بين الكلامين اذا احتيج اليه
كما دخل في قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى
اول الكلام فقال عز من قائل اولئك لهم جنات عدن وكذلك قوله تعالى قل ان الهدى هدى
الله عارض ثم عاد الى كلام اليهود فقال عز من قائل ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي قالوا لا تصدقوا
ان يعطى احد من الكتاب والعلم مثل ما اعطيتم فصار تقدير الآية ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم ما اعطيتم وان يحاجكم احد عند ربكم الا من كان مثلكم على دين اليهودية
قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فلا تنكروا ان يؤتيه غيركم
وقال بعضهم ليس في الآية تقديم وتأخير ومعناه قالت اليهود لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل يا محمد
ان الهدى هدى الله فلا تجحدوا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او ان يحاجكم احد عند ربكم قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء اي النبوة والكتاب والهدى بقدرة الله تعالى يعطيه من يشاء والله واسع عليم
اي واسع الفضل والمقدرة عليم بمن هو من اهل الفضل وذهب الفراء والكسائي الى ان معنى او يحاجوكم
معنى حتى على جهة التأكيد التي كما يقال لا تفعل كذا او تقوم القيامة اي حتى تقوم القيامة ويراد
به لا تفعل اصلا قوله عز وجل يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم يعني يختص
بدين الاسلام من يشاء ويقال يختص بالنبوة من يشاء والله ذو الفضل العظيم على من اختصه بالاسلام والنبوة

قوله

يعلمون

قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار
لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم
والآية دليل وبيان ان اهل الكتاب فيهم امانة وفيهم خيانة فمنهم من ان تبايعه بقنطار يؤده
اليك بلا عناء ولا تعب ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا بعد عناء وتعب وقال الضحاك
هو فنحاص بن عازوراء اليهودي اودعه رجل دينارا فخانه وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا اي ذلك الاستحلال
والخيانة منهم لقولهم ليس علينا في مال العرب والذين لا كتاب لهم حجة ولا اثم كانوا يستحلون ظلم من
خالفهم ويقولون على الله الكذب بل يقولون لم يجعل لهم علينا في كتابنا حرمة كحرمتنا وهم يعلمون ان
الله عز وجل قد انزل عليهم في كتابهم الوفاء واداء الامانة لمن ائتمنهم وخالطهم قوله عز وجل بلى
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين يقول ليس الامر كما يقولون لكن من اوفى عهد الله الذي
عاهده الله تعالى في التوراة واتقى ظلم الناس في ترك الوفاء ونقض العهد فان الله يحب المتقين نقض
العهد وترك الوفاء قوله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا
خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الآية فيما كان بين امرئ القيس وعبدان بن
الاشوع من الخصومة في ارض غلب عليها امرؤ القيس فاستحلفه عبدان فهم بالحلف فنزلت هذه الآية
فامتنع ان يحلف واقر لعبدان بحقه ودفعه اليه وعن الشعبي انه قال نزلت هذه الآية في رجل نفق
سلعته باليمين الفاجرة ويقال نزلت هذه الآية في اليهود لكتمانهم نعت النبي صلى الله عليه وسلم و
صفته ومعنى الآية والله تعالى اعلم ان الذين يختارون على عهد الله عرضا يسيرا من الدنيا اولئك لا
نصيب لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله تعالى بكلام خير ورحمة وهذا كما يقال فلان لا يكلم فلانا ولا ينظر
اليه يراد بذلك انه غضبان لا يكلمه الا بالسوء ويقال معنى الآية لا يسمعهم الله تعالى كلامه كما
يكلم اولياءه بغير سفير ومعنى ولا يزكيهم اي لا ينسبهم الى الزكوة ولا يثني عليهم خيرا ولهم مع هذا الاخرى
عذاب مؤلم وجيع قوله عز وجل وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون روي ان جماعة من اليهود اولي الفاقة والفقر قدموا المدينة من
الشام ليسلموا فلقيهم كعب بن الاشرف فقال اتعلمون انه نبي صلى الله عليه وسلم قالوا نعم وما تعلمه
انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله فقال كعب بن الاشرف لقد حرمكم الله خيرا كثيرا
كنت اردت ان احبوكم واكسوكم ثم حرمكم الله تعالى فقالوا ... حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة
سوى صفته ونعتا سوى نعته ثم انتهوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلموه وسألوه ثم رجعوا الى كعب
فقالوا كنا نرى انه رسول الله فاذا هو ليس بالنعت الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا
واخرجوا الذي كتبوه فنظر اليه كعب ففرح ولجأ الى اكرامهم وخلع عليهم ثم بعث الى كل واحد منهم بثمانية
اذرع من الكرابيس وحفنة اصوع من الشعير فنزلت الآية والمعنى وان من اهل الكتاب طائفة
يحرفون الكتاب ثم يقرءون ما حرفوه لتظنوا ايها المسلمون ان ذلك من التوراة وما هو من التوراة و
يقولون هو من عند الله نزل وما هو من عند الله نزل ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك
المحرف من التوراة وهم يعلمون انهم يكذبون والليّ باللسان هو العدول عن الصدق والصحة واصله
من الفتل يقال لويت العود اذا فتلته ولويت اليد اذا فتلتها ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليّ
الواجد ظلم ولي الحبل هو ان يعدله عن وجه الاستواء قوله عز وجل ما كان لبشر ان

الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون وذلك أنه لما كثرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الإسلام وقامت عليهم الحجج قالوا إن هذا الرجل يريد أن نتخذه ونعبده كما سأل عيسى عليه السلام من قومه حتى عبدوه فأكذبهم الله عز وجل في قولهم بهذه الآية ومعناها ما كان لبشر من الأنبياء مثل عيسى وعزير وغيرهما أن يعطيه الله تعالى الكتاب وعلم الحلال والحرام والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي أي لا يجتمع لأحد النبوة والقول للناس كونوا عبادًا لي وليس هذا على وجه النهي ولكنه على وجه التنزيه لله عز وجل أنه لا يختار نبيًا يقول مثل هذا القول للناس ويجوز أن يكون على الوجه هذا المعظم للأنبياء صلوات الله عليهم فإن من أعطي النبوة علم أنه ليس له أن يدعو إلا إلى عبادة عز وجل قوله تعالى ولكن كونوا ربانيين أي ولكن يقول كونوا ربانيين علماء عاملين بتعليمكم الكتاب للناس وبما كنتم تدرسون لأنفسكم ومن قرأ تعلمون بنصب التاء والتخفيف فمعناه بعلمكم وبدرسكم وإنما قيل للفقهاء ربانيون لأنهم يربّون العلم أي يقومون به وزيدت الألف والنون للمبالغة كما يقال رجل لحياني وللجمة الوافرة جماني وقيل تعالى لأنه قال يقال رجل ربّي وربّاني عالم عامل معلم لأن العالم إنما ينبغي أن يقال له عالم إذا كان له منفعة من علمه يعمل عليه فأما إذا لم يعمل فهو والجاهل سواء وقيل إن الرباني منسوب إلى الرب جل وعز قوله عز وجل ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أي لا يأمركم النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لا يأمركم الله تعالى أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا وذكر الملائكة لأن خزاعة كانت تقول الملائكة بنات الله تعالى من قرأ برفع الراء فقوله تعالى ولا يأمركم فعلى الابتداء ومن نصب الراء فعلى البناء في قوله عز وجل أن يؤتيه الله الكتاب وقوله تعالى أيأمركم بالكفر استفهام بمعنى الإنكار أي أن الله عز وجل بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليدعوا الناس إلى الإسلام فكيف يدعوهم إلى الكفر بعد أن كانت فطرتكم على الإسلام ويقال بعد أن كنتم مقرين بالتوحيد قوله عز وجل وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين المعنى واذكر لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم القصة حين أخذ الله العهد على كل رسول عليه السلام أن يؤمن بسائر الرسل عليهم السلام ويأخذ الميثاق من قومه على الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمن الذي يخرج من بعده وعلى نصرته وقوله تعالى لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق من قرأ لما آتيتكم فيكون ما في موضع الشرط وجوابه لتؤمنن به ودخول اللام في الشرط والجواب للتأكيد كما في قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك وكما يقال لئن جئتني لأكرمنك ويقال هذه لام القسم كأنه استحلفهم والله لتؤمنن به وأخذ الميثاق في معنى التحليف لأن الحلف يشبهه وموضع ما من قوله تعالى لما آتيتكم نصب بقوله آتيتكم كأنه للذي آتيتكموه من كتاب قال د
ومن قرأ آتيناكم لأن عظيم الشأن قد يعبر عن نفسه بلفظ الجمع ومن قرأ لِما آتيتكم بكسر اللام فعلى معنى أخذ الله تعالى الميثاق لإيتائه الكتاب والحكمة وصرف الكلام من الخبر إلى الخطاب كأنه قال وإذ أخذت وقوله تعالى قال أأقررتم أي قال الله تعالى للأنبياء أأقررتم بما أمرتكم به وأخذتم على ما قلت لكم عهدي والإصر في اللغة الثقل لكن يراد به العهد لما فيه من الثقل ولفظ الأخذ يحتمل وجهين أحدهما قبلتم على ذلك عهدي والثاني أخذتم العهد بذلكم على أممكم يقال فلان أخذ بيعة فلان إذا قبل بيعته ويقال أخذ بيعته إذا استوثقها على غيره له وقوله عز وجل قالوا أقررنا أي قالت الأنبياء صلوات الله عليهم أقررنا بالعهد لنؤمنن به ولننصرنه قال الله عز وجل فاشهدوا أي يشهد بعضكم على بعض بذلك ويقال

معنى

معنى فاشهدوا وأبينوا لمن يكون بعدكم لأن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي ثم قال تعالى وأنا معكم من الشاهدين أي أنا من الشاهدين عليكم وعلى أممكم ويقال في معنى فاشهدوا أي قال الله عز وجل للملائكة فاشهدوا عليهم وإلزامهم شهادة الله تعالى للنبيين تبيينه أمر نبوتهم بالآيات المعجزات قوله عز وجل فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون يقول من أعرض بعد أخذ الميثاق على النبيين وعلى أممهم فأولئك هم الفاسقون في الكفر أي هم الخارجون إلى أفحش مراتب الكفر لأن الكفر منه ما هو أصغر ومنه ما هو أكبر قوله عز وجل أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا وإليه يرجعون معناه والله أعلم أبعد هذه الوثائق الجارية بينهم وبين الله عز وجل في أمر النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون دينًا سوى ما عهد الله تعالى إليهم قال الكلبي وذلك أنه لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم حين اختلفوا في دين إبراهيم عليه السلام كلا الفريقين منكم بريء من دين إبراهيم عليه السلام قالوا والله لا نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى قوله أسلم من في السماوات والأرض أي له أخلص وخضع قال الكلبي أما أهل السماوات ومن ولد في الإسلام من أهل الأرض فأسلموا طائعين ومن أبى قوتل حتى يدخل في الإسلام كرهًا يجاء بهم في السلاسل ويكرهون على الإسلام وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل وقال قتادة في معنى قوله صلى الله عليه وسلم وله أسلم أي استسلم بعضهم قبل رؤية البأس وبعضهم بعد رؤية البأس وقال بعضهم معناه وله أسلم من في السماوات والأرض لإقرارهم له بالألوهية كما قال الله عز وجل ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال الزجاج معناه أن كلهم خضعوا لله من جهة ما فطرهم عليه لأنه لا يمتنع ممتنع من جبلة جبله عليها ولا يقدر على تغييرها أحب تلك الجبلة أو كرهها لا يمكنه التخلص من حكم الله عز وجل في الحياة والبلاء ومعنى وإليه يرجعون كلاهما بالتاء على المخاطبة وإلى حسابه يرجعون في الآخرة فبادروا إلى دينه ولا تطلبوا غيره ويقرأ يبغون ويرجعون كلاهما بالياء على المغايبة فأما نصب طوعًا وكرهًا فلأنه مصدر وضع موضع الحال كما يقال جئتك ركضًا وعدوًا أي راكضًا وماشيًا مسرعًا قوله عز وجل قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وأمر له أن يقول عن نفسه وعن أمته آمنا بالله وهذا كما يخاطب رئيس القوم أن يقول عن نفسه وعن قومه ومعنى لا نفرق بين أحد منهم أي لا نفرق بين الرسل في الإيمان بهم ولا نفعل كما فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون أي مخلصون في الطاعة والتوحيد قوله عز وجل ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الآية وما بعدها إلى قوله عز وجل ... في عشرة رهط آمنوا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن أبيرق ووحوح بن الأسلت والحرث بن سويد وغيرهم وندم الحرث وأرسل إلى أخيه الجلاس بن سويد المسلم أني قد ندمت على ما صنعت فسل لي نبي الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة وإلا ذهبت في الأرض فنزلت هذه الآيات ومعنى هذه الآية من يطلب دينًا غير دين الله الإسلام فلن يقبل منه ما قام عليه أي لن يثاب ولن يجزى عليه ويقال معنى لن يقبل منه أن المرتد لا يقبل منه إلا الإسلام أو السيف ولا يقر على الكفر بالجزية فإن هذه الآية نزلت في المرتدين وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين أي من المغبونين ترك منزله في الجنة واختار منزله في النار قوله عز وجل كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين معناه كيف يهدي الله قومًا كفروا بالله تعالى بعد إيمانهم به وقوله تعالى وشهدوا عطف على قوله عز وجل إيمانهم دون قوله تعالى كفروا وقد يعطف الفعل على المصدر كما يقول أعجبني ضرب زيد وأن غضب فصار تقدير الآية كفروا بعد أن آمنوا وبعد أن شهدوا أن الرسول يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم حق وجاءهم البينات ودلالات صدقه ونبوته فكيف يستحقون هداية

وهذا

الله عز وجل كما يقال كيف احسن الى فلان وقد اتيت عليه الكفر فلم يعرف حق نعمتي ومعنى والله لا يهدي القوم الظالمين
اي لا يرشد المشركين من لم يكن اهلا لذلك فان قيل ظاهر هذه الاية يقتضي ان من كفر بعد اسلامه لا يهديه الله تعالى وان الظالمين
لا يهديهم الله تعالى وكثير من المرتدين اسلموا ومن الظالمين تابوا قيل معناه لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على
كفرهم فاذا جاهدوا وقصدوا الرجوع الى الحق وفقهم كما قال جل ذكره والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقيل بمعنى قوله تعالى كيف يهدي الله قوما اي كيف يرحمهم وينجيهم من العقوبة قوله عز وجل اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون يقول اهل هذه الصفة جزاؤهم ان عليهم لعنة الله اي عذاب الله واللعنة من الله الابعاد بالمكروه و
اما لعنة الملائكة والناس فدعاؤهم على الكفار ان يعذبهم من رحمته فان قيل كيف قال الله تعالى والملائكة والناس
اجمعين ومن الناس من يوالي الكافر ويوافقه ولا يلعنه قيل فيه جوابان احدهما انهم في الاخرة يلعن بعضهم بعضا
والثاني ان الله تعالى كتب في الدنيا في قلوبهم اللعن على الظلمة في كل جارحة واحد وقوله تعالى خالدين فيها اي مقيمين في
اللعنة وقيل فيما توجبه اللعنة وهو النار لا يهون عليهم ولا يؤجلون حين ينزل بهم قوله عز وجل الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم استثنا من قوله الله عز وجل عليهم لعنة الله
ومعناه الا الذين تابوا من الكفر والشرك من بعد ارتدادهم واصلحوا اي لم يكتفوا بمجرد الايمان وقيل اصلحوا اعمالهم بالتوبة
وقيل اصلحوا ما افسدوه من الناس ممن غرهم فان الله غفور متجاوز عنهم رحيم بهم بعد التوبة قال عبد الله بن
عباس لما نزلت في الحرث بن سويد الرخصة في التوبة ارسل اخوه الجلاس اليه ان الله عز وجل فرض عليكم التوبة فارجع الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فرجع وتاب من صنيعه وقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه قلما
ذلك اصحابه الذين بمكة فقالوا نتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم ريب المنون فان بدا لنا الرجعة اليه ذهبنا كما ذهب
الحرث فيقبل توبتنا فانزل الله تعالى قوله عز وجل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون يقول ان الذين كفروا بالله والرسول بعد تصديقهم ثم
ازدادوا كفرا باقامتهم بمكة مادة لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون عن الاسلام وفي هذه الاية دليل
ان هؤلاء لم يكونوا يحققون التوبة لانه قال واولئك هم الضالون وكانت هذه الاية خاصة في قوم علم الله انهم لا
يتوبون الا عند حضور الموت ومات بعضهم كافرا ولو كانوا يحققون التوبة قبل المعاينة لقبلت توبتهم ويجوز ان
يكون معنى لن تقبل توبتهم اي التوبة التي يتوبون حين الموت وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الاية وما قبلها نزلت
في اليهود لانهم كانوا مؤمنين بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه شاهدين له بالنبوة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فانزل
الله عز وجل هذه الايات وبين ان توبتهم في وقت ايمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه غير مقبولة منهم
لانهم كفروا بعد ذلك وازدادوا كفرا قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين معنى الاية والله تعالى اعلم
ان الذين كفروا وماتوا على كفرهم لو كان لاحدهم في الاخرة ملء الارض ذهبا فافتدى به لم يقبل منه كما روي في الخبر انه
يقال للكافر يوم القيمة لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به من هذا العذاب فيقول نعم فيقال لقد سئلت
ما هو ايسر عليك من هذا فلم تفعل وقوله تعالى اولئك لهم عذاب اليم اي اهل هذه الصفة لهم عذاب وجيع في الاخرة
ليس لهم من مانع يمنعهم من العذاب والملء بفتح الميم الفعل والملء بكسرها مقدار ما يملأ به الشيء يقال هذا ملء هذا
اي مقدار ما يملؤه وهذا كما يقال رعيت رعيا والرعي الراعية وقوله تعالى ذهبا نصب على تمييز لانه تمييز
جملة مبهمة كما في قوله عز وجل انا اكثر منك مالا واعز نفرا وتمييز عدد منهم كما يقال عشرون درهما وتمييز
مقدار مبهم كما يقال عندي مل قدح عسلا واما دخول الواو في قوله عز وجل ولو افتدى به فذهب بعضهم الى ان الواو
زائدة وانكره الزجاج رحمه الله فقال ان فائدة الواو تعميم النفي لوجوه القبول ولو لم يكن الواو لاوهم الكلام

المقدار والتمييز

ذلك

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما
ذلك لا يقبل في الافتدا ويقبل على غير وجه الافتدا قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما
تنفقوا من شيء فان الله به عليم قال ابن عباس رضي الله عنهما لن تنالوا ما عند الله من ثوابه في الجنة
حتى تتصدقوا مما تحبون من الاموال وقيل معناه لن تبلغوا حقيقة التوكل والتقوى حتى تخرجوا كل اموالكم
طيبة بها نفوسكم وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول هذه الاية منسوخة نسختها اية الزكوة
وذهب اكثر اهل التفسير الى ان المقصود من هذه الاية الحث على الصدقة صدقة النفل والفرض بابلغ وجوه الترغيب
لان قوله عز وجل مما تحبون يدل على المبالغة فيه ليكون ذلك دليلا على صدق نية المتصدق كما روي عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال صلى الله عليه وسلم ان ينفق
المال على حبه وهو صحيح شحيح يامل العيش ويخشى الفقر واشترى ابن عمر رضي الله عنهما جارية كان يهواها
فلما ملكها اعتقها ولم يصب منها فقيل له اعتقتها بعد ان كنت تهواها ولم تصب منها قال رضي الله عنه لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كان يشتري اعدال السكر فيتصدق
بها فقيل له هلا تصدقت بثمنه قال لان السكر احب الي فاردت ان انفق مما احب وعن جعفر الصادق
رضي الله عنه انه قال البر هو الذي يوصل العبد الى رحمته والمراد بذلك نيل الكمال وهو قول علماء اهل الغرب
وهذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه اراد به نفي حقيقة المسكنة لا نفي
اصل المسكنة وقوله عز وجل وما تنفقوا من شيء اي وما تتصدقوا من مال فان الله به عليم ومجازيكم عليه في
الدنيا والاخرة وانما اتصلت هذه الاية بما قبلها لبيان ان النفقة مقبولة من المؤمنين وان كانت الفدية
مردودة على الكفار في الدنيا والاخرة قوله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين

وهو

روي عن عبد الله بن عباس انه قال في معنى هذه الاية كل الطعام الحلال اليوم ما سوى الميتة والدم ولحم الخنزير
كان حلالا لبني يعقوب عليه السلام من قبل ان تنزل التوراة على موسى عليه السلام الا الطعام الذي حرمه يعقوب
على نفسه وهو لحم الابل والبانها وذلك انه عليه السلام كان يمشي الى بيت المقدس فلقيه ملك من الملائكة وهو
الا انه لا يعلم يعقوب عليه السلام انه ملك فصارعه فكان في ذلك حتى اضاء الفجر غمز الملك فخذ يعقوب عليه
السلام فهيج به عرق النسا فصعد الملك الى السماء وجاء يعقوب يعرج حتى اتى الاهل فكان يبيت الليل ساهرا من
وجعه ويصيح فنذر لئن شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه على نفسه فشفاه الله عز وجل من ذلك
فحرم احب الطعام والشراب اليه وكان لحوم الابل والبانها واستن ولده بسنته في ذلك قوله عز وجل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فلما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم لليهود ما الذي حرم اسرائيل على
نفسه فقالوا كل شيء نحرمه اليوم على انفسنا فانه كان محرما على نوح عليه السلام ثم لم يزل حراما حتى انتهى الينا وارادوا بذلك
تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان تستحلوه وادعوا ان ذلك مسطور في التوراة فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم
قل فاتوا بالتوراة فاتلوها اي اقرؤوها هل تجدون فيها تحريم لحوم الابل والبانها وهل تجدون فيها تحريم كل ذي
ظفر وتحريم شحوم البقر والغنم وغير ذلك مما حرم الله عز وجل عليكم من الطيبات بعد نزول التوراة بظلمكم وبغيكم
كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فلما قال ائتوا بالتوراة خوفا من الفضيحة
لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله سبحانه قوله عز وجل فمن افترى على الله الكذب
من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون اي من اختلق على الله الكذب بان يقول عليه ما لم يقله في
كتاب من بعد ذلك يقول من بعد قيام الحجة عليه فاولئك هم الظالمون لانفسهم وفي هذا اعظم دلالة على نبوة نبينا
صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرأ الكتب ولم يجالس اهل الكتاب فلم يكن يعرف سرائر كتب الانبياء صلوات الله عليهم

الألوكة
www.alukah.net

المستقدمين لان اعلام الله عز وجل وقد اخبرهم ان ما قالوه ليس في كتابهم وامرهم بان ياتوا بالتوراة ولو لم يكن في كتابهم
حجة للنبي صلى الله عليه وسلم لكان يكذبهم اظهارا لكذبهم باسهل الوجوه وهو ان ياتوا بكتاب انفسهم فان قيل كيف كان من
اسرائيل تحريم هذه الاشيا على نفسه والتحريم والتحليل انما يكون بحسب المصالح والانسان لا يعلم موقع المصالح قيل
يحتمل انه كان اذن له في تحريم تلك الاشيا على نفسه مصلحة له كما انه اذن لنا في الاجتهاد في الاحكام وكان ما نفعله
نحن بالاجتهاد مصلحة لنا قوله عز وجل قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم صدق الله في ان كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فاتبعوا
ملة ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها وافعلوا ما كان يفعله من الصلوة الى الكعبة وحج البيت وما كان من المشركين
اي لم يكن ابرهيم عليه السلام على دين المشركين ولم يفعل كما فعلت اليهود في دعاويهم ان عزيرا ابن الله ولا بمقالة النصارى
ان المسيح ابن الله وهذه الاية حجة على اليهود في انكارهم نسخ الشريعة وفي ظنهم ان ذلك لا يجوز من جهة الله عز وجل انه لما
حرم يعقوب عليه السلام الطعام على نفسه بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون بيان ان من انبيا الله صلوات
الله عليهم من كان يحرم من احب الاطعمة عنده لحق الله عز وجل فلا تعولوا مثله في الايثار على انفسكم بالانفاق وطاعة
الله سبحانه فان قيل هل يجوز لنا تحريم الاشيا على انفسنا كما جاز لاسرائيل قيل لا لانه لم يؤذن لنا في التحريم كما اذن لاسرائيل
على انه لا يمتنع ان يكون انما حرمها على نفسه باليمين واحدنا يمكنه تحريم المباحات على نفسه باليمين الا انه قد اذن لنا
بالحنث في الايمان وبالتكفير ولم يكن قد اذن لهم بالحنث والكفارة قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين روي عن امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وعن الحسن
البصري رضي الله عنه انهما قالا معناه ان اول بيت وضع لعبادة الناس على وجه الارض الكعبة بناها ابرهيم عليه
السلام كما قال الله عز وجل واذ بوانا لابرهيم مكان البيت الى ان قال واذن في الناس بالحج فلا ولم يرد به انه لم يكن قبل
الكعبة بيت حتى لو كان قبل الكعبة بيوت مبنية واما بنا بيت المقدس فقد كان بعد الكعبة بدهر طويل بناه
سليمن بن داود عليهما السلام وقد يقال اول لمن لا اخر له يقول الرجل هذا اول قدومي مكة وربما لا يقدم بعد ذلك
وله اقاليم وقال اول عبد املكه فهو حر فملك عبدا عتق في الحال وقال مجاهد وقتادة وجماعة رحمهم الله ان
اول بيت وضع في الارض كان هو الكعبة ولم يكن قبله بيت مبني قال الكلبي رضي الله عنه كان آدم عليه السلام حين خرج
من الجنة بنى الكعبة فطاف بها فلما كان زمن طوفان نوح عليه السلام وهو الطوفان رفعها الله عز وجل الى السماء
السادسة حيال موضع الكعبة وهي البيت الذي بناه ابرهيم عليه السلام وهو البيت المعمور يقال له الضراح يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوها قط قبله وروي في بعض الاخبار ان الله تعالى انزله من السما وهي من ياقوت
حمرا وكانت الملائكة تحجها قبل آدم عليه السلام فلما كثرت الخطايا رفعها الله عز وجل وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ان الكعبة كانت خشفة على وجه الما فدحيت الارض من تحتها واختلف المفسرون
رحمهم الله في بكة قال الزهري بكة موضع المسجد ومكة هو الحرم كله وسمي المسجد بكة لان البك هو الزحمة والدفعة
يقال بك اذا زحم فسمي المسجد بكة لان الناس يكونون فيه اي يزدحمون للطواف وفي هذا بيان انه لا يجوز الطواف
خارج المسجد لان الله عز وجل خص المسجد بكونه موضع الزحمة في الطواف وقال ابو عبيدة بكة اسم لبطن مكة
ومكة هو المعروف وقال مجاهد بكة ومكة واحد ابدلت الباء من الميم كما يقال ضربة لازم ولازب وسميت بكة
لانها تبك اعناق الجبابرة ما من جبار قصدها الا وقد قصمه الله عز وجل كاصحاب الفيل وغيرهم وقيل
سميت بكة لازدحام الناس من كل افق يقال امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيئا وقوله
عز وجل مباركا نصب على الحال تقديره الذي استقر بمكة ثابت الخير والبركة لان البركة هي ثبوت الخير ونموه يقال برك
بركا وبروكا اذا ثبت على حاله وقوله عز وجل وهدى للعالمين معناه انه بيان ودلالة للعالمين على الله عز وجل
باهلاك الله عز وجل كل من قصده من الجبابرة كما قال الله عز وجل اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس

من حوله

من حوله وباستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفا الطير اذا مرض بالبيت وبان لا تعلوه طير اعظاما
له وامحاق ما يرمى فيه من الجمار في كل سنة فلولا انه ما يتقبل منها يرفع كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال ولولا
ذلك لكان يجب ان يكون قد اجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال وباجتماع الكلب مع الظبي هناك فلا ينفر الظبي من الكلب
ولا يتعدى عليه الكلب وكل هذا لا يكون الا من جهة الله عز وجل ويجوز ان يكون المراد بالهدى انه طريق
الجنة وبالله التوفيق قوله عز وجل فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان امنا ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين معناه فيه
علامات واضحات وهي ما تقدم ذكره ومقام ابرهيم عليه السلام ايضا والاية في مقام ابرهيم عليه السلام
ان قدميه دخلتا في حجر صلد بقدرة الله عز وجل فصار الحجر في اللين كالطين حتى ساخت قدماه فيه ثم
عاد حجرا صلدا فيكون ذلك دلالة على صدق نبوته عليه السلام وقوله عز وجل ومن دخله كان امنا
قال الحسن عظمت لله عز وجل قلوب العرب في الجاهلية على من لاذ بالحرم او عاذ اليه وان كان جانيا واجرى
العادة بذلك في الاسلام وكان يقول في الايات البينات ان مقام ابرهيم عليه السلام اية ومن دخله
كان امنا اية ولله على الناس حج البيت اية وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما فيه اية بينة مقام ابرهيم
وذهب اكثر المفسرين الى ان قوله تعالى ومن دخله كان امنا على لفظ الخبر ومعناه الامر وهو امر لنا ان
نومن من جنى في غير الحرم ثم لجا اليه واما قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فمعناه
القصد والذهاب الى الكعبة ويقرا حج البيت بكسر الحا وهو بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وقوله عز وجل
من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل كما يقال ضربت فلانا راسه اي ولله الحج على
من استطاع من الناس سبيلا اليه والاستطاعة في ظاهر اللغة ان يمكنه الوصول الى مكة باي وجه امكنه والى هذا
ذهب الحسن وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وقال مالك رحمه الله لو قدر على المشي اليه لزمه وروي عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاستطاعة في هذه الاية فقال
السبيل الى البيت الزاد والراحلة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لزوم فرض الحج مخصوص بالركوب
دون المشي وان من لا يمكنه الوصول اليه الا بالمشي لذهاب يشق ويعسر فلا حج عليه وهكذا روي عن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما وبه اخذ اكثر الفقها رحمهم الله حتى شرطوا مع الزاد والراحلة نفقة الاهل الى ان يرجع
وان لا يحول بينه وبين الحج عدو واما قوله عز وجل ومن كفر فان الله غني عن العالمين فمعناه من انكر
فريضة الحج فلم يره واجبا فان الله غني عمن حج وعمن لم يحج اي لم يتعبد الناس بالعبادات لحاجته اليها
وانما تعبدهم بها لعلمه بمصلحتهم فيها وقد روي انه لما نزل فرض الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع المسلمين اليهود والنصارى ومشركي العرب فقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم
الحج فحجوا فلم يقبله الا المسلمون فانزل الله عز وجل قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وايضا
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ادرك حج الاسلام فلم يحج ولم تمنعه حاجة ظاهرة
ولا امام ظالم ولا مرض حابس حتى يموت على ذلك فليمت على اي حال شا يهوديا او نصرانيا فهو على طريق التهديد
والتغليظ لا يكون المومن يهوديا ولا نصرانيا ولا يجوز الحكم بالكفر باخبار الآحاد ويدل الخبر انه لو مات وجب
عليه وقد وجد الاستطاعة فليمت على اي دين شا والله اعلم ولا حجة في هذه الاية لمن احتج بها ان الاستطاعة
قبل الفعل تقتضي الابدال المراد بالاية والله اعلم استطاعة الاحوال والاسباب فاما استطاعة الافعال فلا تكون
الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا يكون الا معه قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لليهود والنصارى
لم تكفرون بالحج وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران والله عالم بما تعملون وانما قال في هذا الموضع قل

الألوكة

يا اهل الكتاب وقال من قبل يا اهل الكتاب لانه عز وجل خاطبهم اولا على جهة التلطف في استدعائهم الى
الايمان ثم اعرض عن خطابهم ازلالا واهانة لهم وامر نبيه بخطابهم بقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون
نزلت في قوم من اليهود كانوا يدعون عمارا واصحابه رضي الله عنهم الى اليهودية وكانوا يسعون في احيا الضغاين
التي كانت بين الاوس والخزرج في الجاهلية وكانت قد ماتت في الاسلام ومعنى الاية قل يا محمد صلى الله عليه وسلم
لم تصرفون من آمن عن دين الله تعالى وعن الطريق التي هي الوصلة الى رضى الله من الاسلام والحج وغير ذلك تطلبون
لها ميلا يقال ابغني كذا اي اطلبه لي وابغيني بقطع الالف اعني على طلبه ويقال في الامر والدين عوج بكسر العين وكل
شي منتصب كالحائط والجدار والعصا عوج بفتح العين وقوله وانتم شهداء فيه قولان احدهما وانتم شهداء بتقدم
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في كتبكم والثاني وانتم عقلاء كما في قوله تعالى او القى السمع وهو شهيد وقوله تعالى
وما الله بغافل عما تعملون تهديد لهم على الكفر اي لا يخفى على الله شي مما تعملون من الجحد والكتمان قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
قال بعض المفسرين هذا خطاب للاوس والخزرج يقول ان تطيعوا طائفة من اليهود في احيا الضغاين
التي كانت بينكم بالعصبية والحمية الجاهلية يصرفوكم الى الشرك والكفر بعد تصديقكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقران وقال بعضهم معنى الاية ان تطيعوا رؤسا اهل الكتاب في تغيير صفات النبي صلى الله عليه
وسلم ولبسوها عليكم يردوكم كفارا قوله عز وجل وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم معناه على اي حال يقع منكم الكفر و
دلايل توحيد الله تعالى ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرا عليكم وهو القرآن ومعكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبين لكم الايات وهذا على طريق التعجب والاستبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بدلالات الله
عز وجل ومعنى ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم اي من يستمسك بدينه ويمتنع به عن غيره
فقد ارشد الى طريق قايم يرضاه الله تعالى وهو الاسلام قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون معنى الاية يا ايها الذين آمنوا اي صدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم
والقران اطيعوا الله حق طاعته واثبتوا على الاسلام حتى لا يدرككم الموت الا وانتم مسلمون قال الكلبي رضي الله عنه
حق تقاته ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر ولا ينسى قال فلم تطق العباد ذلك وشق
عليهم فانزل الله عز وجل قوله فاتقوا الله ما استطعتم فصار اشد هذه الاية منسوخا به والى هذا ذهب
قتادة ومقاتل والقتيبي وجماعة من المفسرين وقال بعضهم لا يجوز ان يكلف الله عباده ما لا يطيقون و
ليست هذه الاية منسوخة وانما معناها اتقوه فيما يحق عليكم ان تتقوه فيه وهو ما فسره الله عز وجل في
كتابه في مواضع شتى ولو كانت هذه الاية منسوخة لكان في ذلك اباحة بعض المعاصي وذلك لا يجوز و
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وطاوس رحمه الله ان هذه الاية محكمة غير منسوخة واحتج
بعض المفسرين بالنسخ من وجه اخر بان الله عز وجل لو كلف عباده ان يتقوه حق تقاته واجبا في حال
الامن والخوف جميعا ولم تكن التقية مباحة في حال الخوف ثم صارت التقية مباحة بقوله فاتقوا الله ما
استطعتم واسمعوا واطيعوا وقوله عز وجل الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقد يقول الرجل لا استطيع
كذا اي اشق عليه كما قال الله عز وجل وكانوا لا يستطيعون سمعا واراد بذلك مشقته عليهم والتقاة في
الاصل وقاة من الوقاية ابدلت التا من الواو كما قالوا تخمة وهو من الوخامة وتجاه وهو من الوجاهة
والتراث من الوراثة قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من

النار

النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون معناه تمسكوا بدين
الله وقال اراد بالحبل القران الذي عهده الله الى عباده وهو الحبل الذي يتمسك به للنجاة قال بعض الحكما
ان مثل من في الدنيا كمثل من وقع في بير فيها من كل نوع من الافات لا يمكنه الخروج منها والنجاة من افاتها
الا بحبل وثيق وكذلك الدنيا دار محنة فيها من كل الافات ولا سبيل الى النجاة منها الا بالتمسك بحبل
وثيق وهو كتاب الله عز وجل ومعنى ولا تفرقوا اي تناصروا في دين ولا تتفرقوا فيه واحفظوا منة
الله تعالى عليكم اذ كنتم اعداء في الجاهلية يقتل بعضكم بعضا ويسبي بعضكم بعضا فالف تعالى بين قلوبكم
بالاسلام الحاجز للانفس والاموال ان تستباح فصرتم بنعمة الله اخوانا في الدين وذلك انه كان بين الاوس والخزرج
قبل الاسلام ما يقرب من مائة وعشرين عاما حتى كادوا يتفانون فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فاسلم بمكة
اناس من الاوس والخزرج وهم بالمدينة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وقعت الالفة بين الاوس و
الخزرج وزالت العداوة التي كانت في الجاهلية بينهم فالتقى رجلان من الانصار احدهما من الاوس والاخر
من الخزرج فقال الخزرجي اما والله لولا جاء الاسلام وقدوم النبي صلى الله عليه وسلم علينا وعليكم لاستعبدنا
ابناءكم وقتلنا اباءكم فقال الاوسي قد والله تاخر عنا وعنكم زمان من الدهر فضربناكم حتى ادخلناكم دوركم فهلا
علمتم ما تقولون وانشدا ما شاء الله تعالى من الشعر فتنادى فنزعت الخزرج الى صاحبهم وفزعت
الاوس الى صاحبهم واخذوا السلاح وتقدم بعضهم الى بعض فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار
اليهم في اناس من المهاجرين وهو راكب على حمار قال جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه فما كان من طالع
يومئذ اكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا فاومى الينا بيده فكففنا ووقف
بيننا على حمار له فقرا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته الى قوله عز وجل اولئك لهم عذاب عظيم
والقى القوم ازمان السلاح واعتنقوا الحرب فلم يكن في الارض شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه و
سلم بعد نزول الاية ومشى بعضهم الى بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعانق بعضهم بعضا
يبكون قال جابر ما رايت اكثر باكيا من يومئذ ولا رايت يوما اقبح اوله ولا احسن اخره من يومئذ وقال الحسن
رضي الله عنه هذا خطاب لجميع العرب فانه كان بينهم عداوة وطوايل وقتال وكان يغير بعض القبايل على
بعض فازال الله عز وجل ذلك عنهم بجمعهم على الاسلام واما قوله عز وجل وكنتم على شفا حفرة من
النار فكنتم تقعون فيها لو ادرككم الموت على الكفر فانقذكم منها اي خلصكم الله تعالى من النار والحفرة
بالنبي صلى الله عليه وسلم وشفا الشي في اللغة حرفه وهو مقصور يكتب بالالف وتثنيته شفوان وجمعه
اشفا ويقال اشفى فلان على كذا اي اشرف عليه واما قوله عز وجل كذلك يبين الله لكم آياته اي مثل
هذا البيان الذي تلي عليكم يبين الله تعالى لكم الايات الدلالات والحجج والاوامر والنواهي لكي تهتدوا من الضلالة
وتكونوا على رجا الهداية والله الموفق قوله عز وجل ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون معناه لتكن منكم جماعة يدعون الى
الصلاح والاحسان ويامرون بالتوحيد واتباع محمد صلى الله عليه وسلم وساير الطاعات الواجبة وينهون
عن الكفر والشرك وساير ما لا يعرف في شريعة ولا سنة واولئك هم المفلحون الناجون من السخط و
العذاب وانما قال ولتكن منكم ولم يقل ولتكن جميعكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية
اذا قام به البعض سقط عن الباقين لان الغرض من ذلك وقوع المعروف وزوال المنكر لا الامر يرجع الى
الناهي والامر فاذا ازال المنكر صار كانه لم يقع منكر قط وليس كالصلوة والصوم وساير فروض الاعيان لان تلك
الفروض انما تجب لامر يرجع الى نفس تلك الافعال ويجوز ان يكون المراد بالامة في الاية العلما الذين يحسنون
ما يدعون اليه ومن للتبعيض وقيل ان معنى الاية لتكونوا كلكم كذلك ومن هاهنا دخل للتوكيد وتخصيص

www.alukah.net

المخاطبين من سائر الاجناس كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان معناه فاجتنبوا الاوثان فانها
رجس لان المراد به اجتنبوا بعض الاوثان دون بعض ثم النهي عن المنكر على مراتب اولها الوعظ والتخويف فان
لم يقلع بذلك لم يجز للناهي ان يتعدى عنه الى ما فوقه ثم بالايدي والنعال ثم بالسوط ثم بالسلاح والقتال لان
المقصود زوال المنكر فاما اذا كان الناهي عن المنكر خائفا على نفسه فقد روى ابو سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وذلك اضعف الايمان وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل ان كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك
ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله تعالى قلوب
بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود الى قوله تعالى فاسقون ثم قال
صلى الله عليه وسلم كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يدي الظالم فتقصرنه على
الحق قصرا ... النبي صلى الله عليه وسلم ان من شرط النهي عن المنكر ان يكون ممن لا يجالس المقيم على المعصية بل
يجانبه ويظهر هجرانه قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
واولئك لهم عذاب عظيم معناه ولا تكونوا كاليهود والنصارى الذين اختلفوا فيما بينهم وصاروا
فرقا وشيعا من بعد ما جاءهم العلامات في امر محمد صلى الله عليه وسلم واولئك لهم عذاب عظيم على تفرقهم
واختلافهم ثم اخبر بوقت ذلك بقوله عز وجل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون تقدير الآية والله تعالى اعلم
عذاب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهو يوم القيامة تشرق وجوه الذين سجدوا في الدنيا لله عز وجل
مخلصين له بالتوحيد فتصير وجوههم كالثلج بياضا والشمس ضياء وتسود وجوه الكفار والمنافقين من الحزن
حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون فاما قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم فجوابه محذوف لان
في الكلام دليلا عليه المعنى فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم وهذا كما في قوله عز وجل واذ يرفع ابرهيم القواعد من
البيت واسماعيل ربنا تقبل منا وقوله عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
فاما قوله عز وجل بعد ايمانكم فقد قال بعضهم معناه بعد ايمانكم يوم الميثاق ويقال هو خطاب لاهل
الردة قوله عز وجل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون
يقول واما المؤمنون الذين ابيضت وجوههم في الآخرة ففي جنة الله تعالى صاروا اليها برحمته هم فيها مقيمون
دائمون وفي الآية بيان ان العبد لا يصل الا برحمته وان اجتهد الجهد في طاعته قوله عز وجل تلك
آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين اي هذه حجج الله ننزل بها جبريل عليه
السلام فيقرؤها عليك بالصدق وما الله يريد ظلما للخلق ... علم الله عز وجل ان من بعده باستحقاق
بعده لا يعذب احدا بغير ذنب قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور
معناه جميع ما في السموات والارض من الخلق عبيد الله تعالى ومخلوقوه ومرزوقوه فلا يريد ظلمهم فان قيل
فما وجه هذا المعنى لا يحتاج الى الظلم والى الله ترجع عواقب الامور في الآخرة ولو قال واليه ترجع الامور لكان حسنا
لكن عادة ذكر الله تعالى تفخيما له والتوكيد او ليكون قوله عز وجل والى الله ترجع الامور مستقلا بنفسه قوله
عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون
خطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته لان المراد في الجمع ما هو المذكور في الآية فمن اراد
ان يكون من الصالحين فليات بهذه الشرائط ومعنى الآية والله اعلم كنتم فيما تقدمت البشارات في كتب الامم

المتقدمة

المتقدمة افضل اهل دين وملة وانصح الناس للناس قال الحسن رضي الله عنه نحن آخر الامم واكرمها على
الله عز وجل ويقال معنى كنتم اي كنتم عند الله في اللوح المحفوظ وقيل انتم منذ كنتم ويجوز ان تكون لفظة
الكون زائدة كما في قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما وقوله عز وجل تأمرون بالمعروف صفة لهذه
الامة بالوفاء يقول تأمرون بالتوحيد واتباع الشريعة وتنهون عن الشرك والظلم لا يخلون من خالفهم
من غيرهم ومعنى وتؤمنون بالله توحدون الله عز وجل بالايمان ويقال معناه توحدون الله عز وجل
بالايمان برسوله صلى الله عليه وسلم لان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله تعالى لانه يزعم ان المعجزات
التي اتى بها النبي صلى الله عليه وسلم اتى بها من ذات نفسه فيجعل غير الله تعالى يفعل فعل الله عز وجل وآيات الانبياء صلى
الله عليهم لا يقدر عليها الا الله عز وجل وفي هذه الآية ما يدل على هذا التاويل وهو قوله تعالى ولو آمن
اهل الكتاب معناه لو صدق اليهود والنصارى مع ايمانهم بالله باعلامهم نبيه صلى الله عليه وسلم
لكان خيرا لهم من الاقامة على دينهم منهم المؤمنون عبد الله بن سلام واصحابه وسائر من اسلم من اهل
الكتاب واكثرهم الفاسقون الخارجون عن امر الله عز وجل وهم الذين لم يسلموا منهم وفي الآية صحة
اجماع الامة لان الله عز وجل مدحهم بقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا يستحقون من الله
عز وجل صفة مدح الا وهم قائمون بحق الله عز وجل غير ضالين ولانه تعالى اخبر انهم يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر والمعروف ما امر الله تعالى به والمنكر ما نهى الله تعالى عنه فاقتضت الآية ان ما امرت به
فهو معروف وما نهت عنه فهو منكر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع امتي على الضلالة قوله
عز وجل لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون معناه لن
يصلوا الى ضرر ثم يضر المسلمين الا ان يوذوكم باللسان بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلثة
وبالسب والبهت والتحريف وان يخرجوا الى قتالكم يعطوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون من ...
اياهم وفي الآية دلالة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لانه اخبر ان اليهود ان قاتلوا انهزموا وكان كما اخبر اذ
يهود المدينة كلهم من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ويهود خيبر لم يثبت احد منهم لحرب المسلمين
قط بل قتل بعضهم وانهزم الباقون ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انكم معشر المسلمين تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر واذا انكرتم على اليهود فلم يقبلوا تعرضوا لمحاربتكم فلا تجبنوا وقاتلوهم فانهم يولون
الادبار قوله عز وجل ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب
من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون معناه الزمت وجعلت عليهم مذلة القتل والسبي اينما وجدوا وادركوا
وضرب الشيء على الشيء الزامه اياه يقال فلان ضرب الضريبة على عبده اذا الزمها اياه ومن ذلك سميت الضريبة
ضريبة ومعنى الا بحبل من الله الا ان يعتصموا بعهد الله وهو الاسلام وقوله عز وجل وحبل من الناس
اي عهد وامان وعقد ذمة المسلمين وقوله عز وجل وباءوا بغضب من الله اي انصرفوا بغضب ورجعوا
من الله عز وجل ومعنى وضربت عليهم المسكنة جعل عليهم زي الفقر والبؤس حتى صار لا يرى احد منهم الا
... بعد ان كانوا ذوي عز ويسار ومنعة فيرى الرجل منهم عليه البؤس والمسكنة وانه
لغني ولم يبق لليهود منعة في موضع من المواضع وفي هذا ايضا دلالة صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ومعنى ذلك بانهم كانوا يكفرون اي ذلك الذل والغضب عليهم من الله عز وجل بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقرآن وبقتلهم الانبياء صلوات الله عليهم بغير حق وعصيانهم وتجاوزهم
الحد وفي هذا بيان ان الله عز وجل انما عاقبهم هذه العقوبة الغليظة من غير سبب انما عاقبهم بما
لغلظ ما ركبوه فان الله عز وجل لا يعذب احدا بغير ذنب قوله عز وجل ليسوا سواء من اهل الكتاب

الألوكة
www.alukah.net

امة قايمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون وذلك ان الله عز وجل لما ذكر
في الايات المتقدمة من امن من اهل الكتاب ومن لم يؤمن قال من عز من قايل ليسوا سوا اي ليس الفريقان
سوا وهذا وقف تام ثم استانف عز وجل قوله من اهل الكتاب لبيان افتراق الفريقين في الطريقة فقال عز
من قايل من اهل الكتاب امة قايمة عادلة مستقيمة مهتدية وقال الاخفش معناه ذو امة قايمة
اي ذو طريقة قايمة قال والامة الطريقة من قولهم امت الشي اذا قصدته ومعنى يتلون ايات الله
يقرون القران في ساعات الليل ومعنى وهم يسجدون قال بعضهم يصلون قالوا وهذه واو الحال لان القراة
لا تكون في الركوع ولا السجود وانما ذكرت الصلوة باسم السجود لان السجود نهاية ما فيه من التواضع قال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اراد به صلوة العتمة وقال اراد به ما بين المغرب الى العشاء الاخرة
وقال بعضهم معنى في قوله عز وجل وهم يسجدون عطف السجود المعروف على قراة القران فكانه قال وهم مع الواو م
ذلك يسجدون واختلف اهل اللغة في واحد الاناء فقال بعضهم انا مثل معا وامعا وقال بعضهم انى مثل
نحي وانحا قوله عز وجل يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين قال عبد الله بن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة
معه رضي الله عنهم قال احبار اليهود ما امن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا اشرارنا فانزل الله عز وجل هذه الاية
الا انها وان نزلت فيهم فمن حق كل مسلم ان يكون على هذه الصفات ومعنى هذه الاية يصدقون بالله و
بالبعث بعد الموت ويامرون باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن اتباع الجبت والطاغوت ومخالفة
محمد صلى الله عليه وسلم ويبادرون الى الطاعات والاعمال الصالحة فاولئك من المؤمنين المخلصين وهم
ابو بكر وعمر وساير الصحابة رضي الله عنهم قوله عز وجل وما يفعلوا من خير فلن يكفروه و
الله عليم بالمتقين اي وما تعملوا من طاعة فلن تجحدوه يعني تجزون به وتثابون عليه لان الكفر هو
الستر وستر الخير انما يكون بترك الجزا عليه ومعنى والله عليم بالمتقين عالم باعمالهم وثواب اعمالهم
ومن قرا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء فهو راجع الى قوله عز وجل الصالحين قوله عز وجل ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
معناه ان الذين جحدوا محمدا صلى الله عليه وسلم والقران لن تنفعهم كثرة اموالهم واولادهم شيا مما نزل
بهم من عذاب الله عز وجل واولئك اهل النار هم فيها مقيمون دايمون قوله عز وجل مثل ما ينفقون
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله
ولكن انفسهم يظلمون معناه مثل ما ينفق اليهود في اليهودية على روساهم وعلمائهم وما ينفق اهل الاوثان
على اصنامهم في تظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم واهلاكهم مال انفسهم كمثل ريح فيها برد شديد
ويقال الصر صوت لهب النار التي تحرق الزرع اصابت حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم بمنع حق
الله عز وجل عليهم فيه فاهلكته اي احرقته الريح فلم ينتفعوا منه بشي في الدنيا كذلك من ينفق في
غير طاعة الله تعالى لا ينتفع بنفقته في الاخرة كما لا ينتفع صاحب هذا الزرع بزرعه في الدنيا قوله
الله عز وجل وما ظلمهم الله عز وجل باهلاك زرعهم ولكن انفسهم يظلمون بمنع حق الله عز
وجل فيه وقال بعضهم معنى الاية مثل اهلاك الله عز وجل نفقة هولا في هذه الحيوة الدنيا لوضعهم
لها في غير حقها كمثل اهلاك ريح فيها صر اصابت زرع قوم زرعوا في غير موضع الزراعة وفي غير وقت
الزراعة فاهلكته الريح لوضعهم ذلك في غير موضعه والله اعلم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا
تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم
وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت

هذه

نزلت هذه الاية في الانصار كانوا قد ظاهروا اليهود حتى صار كان بينهم نسبا وكانوا يواصلونهم ويعاطفونهم
حتى كان الرجل من الانصار يتزوج اليهم فيختارهم على قومه وكانت اليهود يحذرون بعم مثل ذلك فلما جا الله
عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم والاسلام وامن الانصار ابغضتهم اليهود وكان الانصار يخالطونهم
ويشاورونهم كما كانوا يفعلون قبل الاسلام للرضاعة والمصاهرة التي كانت بينهم وبينهم فنهى الله عز وجل
الانصار بهذه الاية وما بعدها ومعنى الاية يا ايها المؤمنون لا تتخذوا دخلا من غيركم يعني اليهود وبطانة
الرجل خاصته واهل سره الذين يستبطنون امره سميت بذلك على جهة التشبيه ببطانة الثوب الذي يلي جلد
الانسان في القرب وحرف من في قوله تعالى من دونكم للتبيين اي لا تتخذوا الذين هم اسافل واراذل بطانة وقوله
عز وجل لا يالونكم خبالا اي لا يبقون غاية ولا يتركون الجهد في القائكم في الفساد وضرب بعضكم على بعض يقال
ما الوت في الحاجة جهدا اي ما قصرت ويقال لو الية هذا الامر الوا والخبل والخبال الفساد يقال فلان مخبل
الراي اي فاسد الراي ويقال خبل اي جنون ويقال معنى ودوا ما عنتم اي تمنوا ما اعنتكم والعنت والعنة
المشقة يقال اكمة عنوت اي طويلة شاقة المسالك ومعنى قد بدت البغضاء من افواههم قد ظهرت العداوة
من السنتهم بالشتم والطعن وما يضمرون في قلوبهم من القتل لو ظفروا بكم اعظم مما اظهروا اكثر ومعنى قد بينا
لكم الايات اخبرناكم بما اخفوا وابدوا بالدلالات والعلامات ان كنتم تعقلون الفصل بين العدو والولي
قوله عز وجل ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم
قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور [illegible]
معناه انتم يا هولاء تحبون اليهود بمصاهرتكم ومظاهرتكم ولا يحبونكم لدينكم وتؤمنون بالتوراة والانجيل
وساير كتب الله عز وجل ولا يؤمنون هم بكتابكم كله واذا لقوكم يعني منافقي اهل الكتاب قالوا امنا
بمحمد صلى الله عليه وسلم انه رسول صادق فيما يقول واذا خلوا فيما بينهم عضوا عليكم اطراف الاصابع من
الحنق عليكم وهذا مثل ضربه الله عز وجل من شدة عداوة اليهود للمؤمنين ومن صبر على مكايدهم لان المغتاظ
من الشي الاسف على ما فاته من مراده منه يعض انامله من الغيظ وقوله عز وجل قل موتوا بغيظكم ليس على
طريق الايجاب لانه لو كان على طريق الايجاب لماتوا كلهم من ساعتهم كما قال الله عز وجل في موضع اخر
فقال لهم الله موتوا ولكن اللفظ من هذه الاية على صيغة الامر والمراد به الخبر معناه تموتون بغيظكم و
لن تبلغوا ما تاملون من قهر محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ومعنى ان الله عليم بذات الصدور
عالم بما في القلوب من البغض والعداوة وغير ذلك قال الفرا في قوله عز وجل ها انتم اولاء العرب اذا
جاءت الى اسم مكني قد وصف بهذا جعلته بين ها وذا فتقول للعرب ها انا ذا وها هو ذا وها انا ذان فيكون معنى
ها انتم اولاء ها انتم الذين تحبونهم ويحبونكم بمعنى الصلة واولاء اسم موصول وكسرت الهمزة الاخيرة من اولاء
لسكونها وسكون الالف التي قبلها وقال بعضهم ها اشارة وانتم خطاب ابتدا واولاء في تقدير الخبر
وخبرهم حال كانه قال انتبهوا يا هولاء لعلكم تحبونهم قوله عز وجل ان تمسسكم حسنة تسوهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيا ان الله بما يعملون محيط
معناه ان اصابتكم نعمة بالالفة والغلبة على الاعداء والغنيمة والخصب تسوهم تلك الحسنة يعني
اليهود وان تصبكم محنة من جهد اعدايكم او جدب ونكبة يفرحوا بها وان تصبروا على اذى المنافقين من
اليهود وتتقوا معصية الله عز وجل لا يضركم احتيالهم لابطالكم في الهلاك ان الله بما يعملون محيط
اي احاط علمه وقدرته باعمالهم والمحيط بالشي هو المطيف بالشي من جميع جوانبه وقوله عز وجل ان
تمسسكم بغير الادغام لغة اهل الحجاز وقوله لا يضركم بالادغام لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين
جايز حسن ومن قرا لا يضركم بفتح الرا فلان الفتح اخف الحركات ومن كسر فلالتقا الساكنين واما الضم

فعلى اصل الكلمة تقديره ولا يضرركم كيدهم وقد تضمر العرب حرف الفاء وتريدها نيابة كما قال الشاعر ٭
من يفعل الحسنات الله يشكرها ٭ والشر بالشر عند الله مثلان ٭ ومن قرا لا يضركم فهو من الضير والضير
والضر بمعنى واحد قال الله عز وجل قالوا لا ضير وقال عز من قائل واذا مسكم الضر قوله عز وجل (والضير)
واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم معناه واذكر اذا اصبحت
من عند اهلك من المدينة تهيئ للمؤمنين مواضع الحرب لقتال المشركين يوم احد وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان راى في المنام بعد ما سمع بامر المشركين وجمعهم للقتال ان عليه درعا حصينة فاولها المدينة
وكره الخروج اليهم وامر بتبوئة المقاعد للقتال الى ان يواقعهم المشركون فقال رجال من المسلمين اخرج
بنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم لا يرى عدونا انا جبنا عنهم فلم يزالوا به حتى خرج وكان
ذلك في شوال في العام المقبل الذي كان قبله وقعة بدر وقوله عز وجل والله سميع عليم اي سميع
لقول المنافقين عليم بنياتهم وبما يصيب المسلمين في هذه الحرب وهذا قول اكثر المفسرين رحمهم الله
قالوا نزلت هذه الاية في غزوة احد وقال الحسن ومجاهد رضي الله عنهما نزلت الاية في يوم
الاحزاب وكل واحد من الموضعين قريب من المدينة قوله عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون قال اكثر المفسرين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما خرج الى احد رجع عبد الله بن ابي المنافق بثلث الناس بعد خروجهم للحرب فقصدت فرقتان
بنو حارثة وبنو سلمة ان يجبنا ويرجعا فثبت الله عز وجل قلوبهما حتى لم يرجعا وذلك قوله عز وجل اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا ومعنى والله وليهما اي ناصرهما وحافظ قلوبهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
في امورهم وفي الاية دليل ان هم الطائفتين كان هم خطرة لا عزيمة لان الله عز وجل مدحهما بقوله
والله وليهما وفي قوله عز وجل همت طائفتان منكم ان تفشلا دليل ان الفشل لم يكن واقعا منهم بعد
قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون معناه ولقد
اعانكم الله ببدر وانتم قليل في العدد وذلك ان المسلمين كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كان عدد
المهاجرين سبعة وسبعين رجلا وعدد الانصار مائتين وستة وثلثين وكان امير المؤمنين علي
كرم الله وجهه صاحب راية النبي صلى الله عليه وسلم وكان سعد بن معاذ صاحب راية الانصار وكان
عدد الكفار تسعمائة وخمسين فاتقوا الله اطيعوه فيما امركم به لتقوموا بشكر النعم التي انعمها عليكم
واختلفوا في تسمية بدر بهذا الاسم فقال بعضهم هو اسم لماء كان هناك ونسب المكان اليه وقال
بعضهم هو اسم موضوع لذلك المكان لا على جهة النسبة الى احد كسائر اسامي البلدان والامصار وروي
ان وقعة بدر كانت على راس تسعة عشر شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وهو اليوم
السابع عشر من رمضان والله تعالى اعلم وبالله التوفيق قوله عز وجل اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين وذلك ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كانوا يوم احد بعدما انصرف عبد الله بن ابي بثلث الناس سبعمائة رجل وكان المشركون ثلثة الاف رجل
فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بعدد ثلثة الاف من الملائكة منزلين
من السماء قال الله عز وجل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
الاف من الملائكة مسومين معناه ان تصبروا مع نبيكم صلى الله عليه وسلم وتتقوا مخالفته ويأتوكم
اهل مكة من وجههم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة معلمين بالصوف الابيض ويقال
بالصوف الاحمر في نواصي الخيل واذنابها اي ينزلهم الله عز وجل من السما معلمين بهذه العلامة
ويجوز ان يكون معنى مسومين مرسلين من الاسامة وهو الارسال ومن قرا مسومين بكسر الواو فلانهم سوموا

خيولهم

١٢٥

خيولهم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان
الملائكة قد تسومت وقال قتادة كانت على الملائكة يوم بدر سيما القتال وكانوا على خيل بلق قال
ابن عباس كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء مرخيها على اكتافهم او بين اكتافهم وسيماهم يوم حنين
عمائم خضر مرخيها على اكتافهم او بين اكتافهم قال ولم ينصر المؤمنون يوم احد القتال الا قليلا منهم
ولو صبروا لنزل عليهم الملائكة وانما هم ما وعدهم الله عز وجل ولكنهم لم يصبروا فلم ينزل عليهم الملائكة واما الفور
فقد يكون فور الابتداء وقد يكون فور الغضب وهو غليانه مثل فور القدر ومعنى الفور ههنا مستعار وحقيقته
حمي العدو وحرارته قوله عز وجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم معناه ما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم ولتسكن قلوبكم حتى
تثبتوا لاعدائكم ثم قال وما النصر الا من عند الله اي ان الله عز وجل وان امدكم بالملائكة وقوى قلوبكم فليس النصر
بكثرة العدد وقلته ولكنه يكون من عند الله تعالى العزيز في سلطانه الحكيم في امره وفي الاية بيان ان الانسان
لا يستغني بحال من الاحوال عن الله وان كثرت عدته واجتمع ماله وعظم الحق معه قال عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما ان الملائكة لم تباشر القتال الا يوم بدر واما فيما سوى ذلك فانها تحضر الصف وتكثر ولا
تقاتل وذهب بعض المفسرين الى ان الملائكة لم تقاتل البتة ولم يبعثوا الا للبشارة او لو بعثوا للاعانة لكان
ملك واحد يكفيهم كما فعل جبريل عليه السلام بقوم لوط حين ادخل جناحه تحت مدائنهم الاربع فبلغ
بجناحه الى الارض السابعة فاقتلعها من اصلها ورفعها الى السماء ثم جعل عاليها سافلها وذهب بعضهم
الى ان الملائكة كانوا يقاتلون وكانت علامة ضربهم اشتعال النار في موضع ضربهم حتى قال ابو جهل لعنه الله
لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه انت تقتلني انما قتلني الذي لم يصل سناني الى سنبك دابته وان اجتهدت
قالوا وقد جعل الله عز وجل اولئك الملائكة مجاهدون الى يوم القيمة فكل عسكر من المسلمين صبر واحتسب
قاتلت معهم الملائكة قوله عز وجل ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين
معناه نصركم ليقتل ويستاصل جماعة من الذين كفروا ويصيبهم بذلك او يهزمهم فيرجعوا منقطعين عن
امالهم والكبت هو الوهن في القلب فيصرع المرء على وجهه لا يحتمل كبته لذلك والمكبوت المهموم و
الخائب الذي لم ينل ما امل ولا يكون الخيبة الا بعد انقطاع الامل واليأس فقد يكون لا امل ويعد قوله
عز وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وذلك انه لما شج النبي
صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته وقتل سبعون رجلا من اصحابه رضي الله عنهم وهو يمسح
الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا وهو يدعوهم الى ربهم وهموا ان يلعنهم او
يلعن الذين انصرفوا مع عبد الله بن ابي بن سلول فانزل الله هذه الاية نهاه عن اللعن وبين ان فلاحهم
ليس اليه وانه ليس اليه من الامر شيء الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وهذا قول ابن عباس رضي
وقتادة ويقال ليس لك من الامر شيء ليس لك من النصر شيء فان هذا متصل بقوله وما النصر الا من عند الله العزيز
الحكيم فاما قوله تعالى او يتوب عليهم قال بعضهم هذا متصل بقوله عز وجل او يكبتهم وقوله
تعالى ليس لك من الامر شيء معترض بين الكلامين كما يقول القائل ضربت زيدا فافهم ذلك وعمرا فيكون
قوله فافهم معترضا بين الكلامين من غير ان يمنع اتصال احدهما بالاخر وقال بعضهم معنى او يتوب
عليهم حتى يلطف لهم لطفا يتوبون عنده او يعذبهم وقد يكون او بمعنى حتى كما يقال لا الزمنك او
تقضيني حقي يراد بذلك حتى تقضيني حقي وقال الضحاك ومقاتل رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم رهطا من فقراء اهل الصفة وكانوا سبعين رجلا بعثهم الى عصية ورعل وذكوان
يدعونهم الى الاسلام فغدروا اليهم فقتلوهم فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم

الألوكة www.alukah.net

اربعين صباحا في صلاة الغداة فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء الى اخر الاية قوله عز وجل ولله
ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم معناه جميع ما
في السموات وما في الارض من الخلايق كلهم عبيد الله وفي ملكه يغفر لمن يشاء الذنب الكبير اذا تاب و
يعذب من يشاء على الذنب الصغير اذا اصر على ذلك والله غفور رحيم في قبول توبتهم وتاخير العذاب
عنهم وانما ختم الله تعالى هذه القصة بالغفران والرحمة على معنى انه وان كان على التعذيب قديرا فهو
الغالب على امره وما يريد بخلقه الرحمة والمغفرة وسئل ابن المعتمر رحمه الله فقيل له كيف يعذب الله
عباده بالاجرام مع سعة رحمته فقال سعة رحمته لا تغلب حكمته اذ لا تكون رحمته رقة القلب كما تكون
الرحمة من الادميين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة
واتقوا الله لعلكم تفلحون قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في اهل الطايف
كانت بنو المغيرة يربون لهم فاذا حل الاجل زادوا في المال وزادوا في الاجل فنهاهم الله تعالى عن ذلك في
الاسلام ومعنى اضعافا فلا تاكلوا اضعاف ما ابتغوه لا تاخذوا الا المثل ومعنى مضاعفة لا تضعفوا الا
المالية في الزيادة في الاجل واخشوا الله تعالى في الربا ولا تستحلوا لكي تنجوا من العذاب في الاخرة وصارت
هذه الاية عامة في جميع الناس وانما اعاد تعالى تحريم الربا بعد ما كان ذكره في سورة البقرة لتاكيد التحريم
تصريح النهي عنه ويجوز ان يكون المراد باية الربا في سورة البقرة ربا النسيئة والمراد بهذه الاية وهذه
السورة ربا الفضل وجه اتصال هذه الاية بما قبلها اتصال النهي عن حال الجاهلية في الربا بالنهي عن حال الجاهلية
في الكفر قوله عز وجل واتقوا النار التي اعدت للكافرين معناه اخشوا النار في اكل
الربا التي اعدت او خلقت للكافرين قبل ايمانهم بالله عز وجل وتحريم الربا فان قيل اذا كانت النار معدة
للكافرين فكيف يعذب بها غير الكافرين قيل فايدة تخصيص الكافرين بالذكر انهم هم المخلدون في عذاب النار
وقد يدخلها غير الكافرين على طريق التبع وهذا كما قال عز وجل في ذكر الجنة اعدت للمتقين وان كان
الاطفال والمجانين يدخلونها تبعا للمتقين وقال بعضهم معنى الاية واتقوا النار في استحلال الربا فان من
احل الربا فهو كافر وقال بعضهم معناه اتقوا الربا فانه يخاف نزع الايمان من اكله ومن الذنوب ما يخاف منه
نزع الايمان كما روي ان رجلا كان عاقا لوالديه فقيل له عند الموت قل لا اله الا الله فلم يقدر على ذلك
حتى جاءت امه فرضيت عنه وروي ان رجلا لقن كلمة التوحيد فكان يقول ده دوازده ستين ده
قوله عز وجل واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معناه اطيعوا الله والرسول في تحريم الربا
لكي ترحموا فلا تعذبوا قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين معناه بادروا الى ما يوجب لكم ما كلف ومن ادى جميع ما كلف ستر
ذنوبه وحط عنه العقاب وقيل سارعوا بغير الواو معناه الى مغفرة من ربكم وهو التوبة فان التوبة باليقين توجب
المغفرة لان التايب يكون مؤديا جميع ما كلف ومن ادى جميع ما كلف ستر ذنوبه وحط عنه العقاب
وقرئ سارعوا بغير الواو على سبيل الابتداء لا على وجه العطف وانما اختلفت القراءة لاختلاف المصاحف
فان في مصحف اهل المدينة واهل الشام مكتوب بغير واو وفي مصحف عثمان ومصحف اهل العراق مكتوب
بالواو فاتبع كل قوم مصحفهم واما قوله عز وجل وجنة عرضها السموات والارض فقد روي عن عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال الجنان اربع جنة عدن وهي الدرجة العليا وجنة الماوى وجنة
الفردوس وجنة النعيم وفي كل جنة منها جنات عدد نجوم السما وقطر المطر كل جنة منها في العرض والسعة
لو الصقت السموات السبع والارضون السبع بعضهن ببعض لكانت الجنة الواحدة اعرض منها ودلت
الاية على ان طولها يزيد على السموات والارض لان طول الشيء يزيد على العرض في العادة وذهب بعض المفسرين

الربا حرم

الاية

الى انه ليس المراد بهذه الاية التقدير لكن المراد بها اوسع شيء رايتموه حتى قال اسماعيل السدي رحمه الله لو كسرت
السموات والارض فصيرن خردلا كان بكل خردلة لله تعالى جنة عرضها السموات والارض ومعنى اعدت
للمتقين خلقت للمتقين الشرك والمعاصي فان قيل اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين النار
قيل ان الله عز وجل خلق الجنة عالية والنار سافلة والشيئان اذا كان احدهما عاليا والاخر سافلا لا
يتنافيان لانهما يوجدان في مكانين متغايرين ويجوز ان يكون الجنة في السما وهي العرض من السما فان العرش
اعظم من السما وهو فوق السموات لذلك لا يمنع مثله في الجنة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
هذا السؤال فقال سبحان الله اذا جا النهار فاين ذهب الليل ومعنى هذا الجواب والله اعلم المعارضة لاسقاط
السؤال اي كما ان الله عز وجل قادر على ان يخلق ضيا فيذهب بالليل الذي هو الظلمة فكذلك هو قادر على ان يخلق
للنار موضعا عند خلق الجنة عرض السموات والارض قوله عز وجل الذين ينفقون في السراء والضراء
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين اول هذه الاية نعت للمتقين
ومعناه الذين يتصدقون في حال اليسر والعسر ويقال في سرا المسلمين في بيوتهم وولايمهم وضرايهم في
ماتمهم وفي حال ابتلاهم على انفسهم وان كان بهم خصاصة وذلك لان الذي يدعوا الى الشح بالمال احد
امرين اما اليسر من المال او الحرص فبين الله تعالى ان المتقين ينفقون على الدوام لا يمنعهم قلة المال
ولا كثرته عن الانفاق واما قوله عز وجل والكاظمين الغيظ فمعناه الذين يكظمون غيظهم ويردونه الى
اجوافهم يقال كظم البعير على جرته اذا ردها في حلقه فلم يجترها ويجوز ان يكون معنى الكظم الحبس
والشد يقال كظمت القربة اذا ملاتها وشددت راسها على الامتلاء والغيظ هو انقباض الطبع مما يكره
هكذا روي عن قتادة رضي الله عنه ولهذا لا يجوز الغيظ على الله تعالى وان كان يجوز عليه الغضب لان الغضب
هو ارادة العقاب واما قوله عز وجل والعافين عن الناس فمعناه الذين يعفون عن المذنبين من الاحرار
والمملوكين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه
فلم ينفذه زوجه الله تعالى من الحور العين حيث شا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما عفى
رجل عن مظلمة قط الا زاده الله تعالى بها عزا ولا نقصت صدقة من مال قط فتصدقوا ولا فتح رجل على نفسه
باب مسالة الا فتح الله عليه باب فقر وان اكرم الناس من اعطى من لا يرجوه واوصل الناس من وصل من قطعه
واعظم الناس عفوا من عفى عن قدرة واما قوله عز وجل والله يحب المحسنين فمعناه يثني على المحسنين
الى الناس ويرضى عملهم وقد روي عن عيسى عليه السلام انه قال ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك
ذلك مكافاة وانما الاحسان ان تحسن الى من اسا اليك وبالله التوفيق قوله عز وجل والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون متصل بقوله عز وجل والعافين عن الناس وقوله عز وجل والله يحب
المحسنين معترض دخل بين كلامين ويقال قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة كلام مبتدا جوابه اولئك
جزاؤهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في تفسير هذه الاية وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخى بين رجلين مسلمين انصاري وثقفي فخرج الثقفي بالقرعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
الانصاري يتعهد اهل الثقفي فيقوم على الباب فيسالهم عن حاجتهم فان كانت لهم حاجة عملها والا
انصرف فاقبل يوما فابصر امراة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقع حبها في نفسه ودخل
عليها حتى انتهى اليها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى وادبر وقالت سبحان الله
لتوبي من معصيتك الا انه اسيح في الجبال اتوب وانتحب وخرج يسيح في الجبال فلما رجع المسلمون من
غزاتهم لقي الثقفي اهله فاخبرته امراته بفعله فخرج الثقفي في طلبه يسال عنه في الرعاة والجبال والغار

الألوكة

حتى دُعي عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي فقال يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله عز وجل يجعل لك فرجا فاقبل معه حتى قدم المدينة فسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا التوبة لك ما تعلم ان الله عز وجل يغار للغازي في سبيله ما لا يغار للسوقي الجالس في بيته فقام على باب النبي صلى الله عليه وسلم فصاح يا رسول الله صلى الله عليه وسلم المذنب المذنب فاذن له فدخل فسأل فرد عليه الصلاة والسلام مثل ما رد اصحابه رضي الله عنهم فخرج يسيح في الجبال لا يمر على حجر ولا مدر ولا سهل ولا حجارة الا تمرغ عليه حتى اذا كان ذات يوم عند العصر نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبته فنزلت هذه الاية ومعناها والذين اذا فعلوا كبيرة او ظلموا انفسهم بفعل الصغيرة مثل النظرة واللمس والغمز والقبلة ذكروا مقامهم بين يدي الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعقابه ويقال معنى ذكروا الله ذكروا اسم الله تعالى فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا فاغفر لنا وقوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله معناه ليس احد يقدر على ان يغفر الذنوب الا الله عز وجل وهذا عارض دخل بين كلامين ذكره الله عز وجل على وجه التنبيه لتشتد الرغبة وطلب المغفرة من جهة الله عز وجل وقوله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا معناه ولم يقيموا على ما فعلوا من المعصية اي ندموا عليها فان الاستغفار باللسان من غير ندامة القلب توبة الكذابين ومعنى وهم يعلمون اي يعلمون انها معصية لله عز وجل فاما اذا لم يعلم انها خطيئة كان اثمها موضوعا عنهم وهذا مثل ان يتزوج امرأة اخته من الرضاعة وهو لا يعلم ذلك او اشترى جارية فوقع بها ثم استحقت الجارية كان اثم ذلك موضوعا عنه قوله عز وجل **اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين** معناه اهل هذه الصفة ثوابهم ستر من ربهم لذنوبهم وحط العقاب عنهم وبساتين تجري من تحت شجرها وغرفها الانهار مقيمين دائمين فيها ونعم اجر التائبين في التوبة ووضع عنهم ما كان مكتوبا على بني اسرائيل فانه كان اذا اذنب احدهم يرى توبته مكتوبة على بابه اجدع انفك او اجدع اذنك فوضع ذلك عن هذه الامة واكتفى منهم بالندم والاستغفار قوله عز وجل **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** معناه قد مضت من قبلكم سنن وهي الطرائق في الخير والشر ويقال معناه قد مضت من قبلكم سنن الهلاك في المكذبين رسلنا صلوات الله عليهم فسافروا في الارض فانظروا كيف صار اخر المكذبين الرسل والكتب اي فتعظوا بالاثار التي بقيت منهم في الارض مثل ديار قوم لوط وعاد وثمود وغيرهم وقال بعضهم اراد بالسير في الارض قراءة القرآن اي اقرءوا القرآن فاعتبروا عاقبته وتفكروا الى ما صار عاقبة المكذبين فان من قرأ القرآن فكأنه سافر في الارض قوله عز وجل **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** معناه هذا القرآن بيان للناس من الضلالة وهدى من العمى ونهي للمتقين من الفواحش والبيان في اللغة كل ما يظهر به المعنى للنفس والهدى بيان طريق الرشد دون طريق الغي والموعظة ما يدعو الى العمل الحسنة من ترغيب او ترهيب وتخصيص المتقين في الاية لان فائدة الهدى والبيان راجعة اليهم قوله عز وجل **ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** عائد الى ما تقدم ذكره من حديث حرب احد ومعناه لا تضعفوا عن قتال عدوكم ولا تحزنوا على ما اصابكم من القتل والهزيمة وانتم الاعلون في الحجة ويقال وانتم الغالبون في العاقبة ان كنتم مصدقين بوعد الله عز وجل بالنصر قال بعض المفسرين هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرجوا على عدوهم في عسكر الا ظفروا وما خرج واحد منهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ظفر وقال بعضهم هذا خطاب لعامة المؤمنين معناه ان صفة المؤمن المخلص ان يثق بالله عز وجل كما نصرهم يوم بدر وفي مواطن كثيرة ويقال ان قوله عز وجل ان كنتم مؤمنين متصل بقوله عز وجل ولا تهنوا وقوله وانتم الاعلون اعتراض بين الكلامين بوعد منه قوله عز وجل **ان يمسسكم قرح فقد مس**

القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين
ومعنى الاية والله تعالى اعلم ان يمسسكم قرح من حرب احد فقد مس القوم اهل مكة قرح مثله وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا قتلوا يوم بدر من المشركين سبعين واسروا سبعين وقتل يوم احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون وجرح سبعون ويجوز ان يكون المراد بالمثل في الاية المماثلة في اصل الجراحة في صفات الفعل واما القراءة في القرح بنصب القاف وضمها فهما لغتان ومعناهما واحد وهو الجراحة والمها يقال قرح الرجل اذا خرج وقال بعض اهل اللغة القرح بالنصب عين الجراحة وبالضم المها واما قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس فمعناه تلك الايام نصرفها بين الناس فنجعلها تارة لفريق وتارة عليهم والدولة هي الكرة لفريق على المراد ومن ذلك يقال الايام دول ثم بين الله عز وجل المعنى الذي لاجله يداول الايام بين المؤمنين والكفار فقال عز من قائل وليعلم الله الذين امنوا ومعناه ليرى من يقيم على الايمان ممن لا يقيم فيظهر المؤمن المخلص والذي في قلبه مرض **وقال** الزجاج معناه ليعلم الله تعالى علم مشاهدة بعد ما كان علمه علم غيب لان العلم الذي يعلمه الله عز وجل قبل وقوع الشيء لا يجب به المجازاة ما لم يقع واذا وقع هذا العلم كان التغيير حاصلا في المعلوم لا في العلم ولا في العالم كان احدنا يعلم الغد قبل مجيئه ثم اذا جاء فانما يعلمه اليوم ثم اذا انقضى فانما يعلمه امس ويكون التغيير حاصلا في المعلوم لا في العلم واما الواو في قوله تعالى وليعلم فلانه عطف على خبر محذوف تقديره وتلك الايام نداولها بين الناس لضروب من التدبير وليعلم الله تعالى المؤمنين ويميزهم من المنافقين **واما** قوله عز وجل ويتخذ منكم شهداء فمعناه ولكي يتخذ منكم شهداء يكرمهم بالشهادة قال بعضهم معناه ويجعلكم شهداء على الناس على معاصيهم لاجلالكم وتعظيمكم ثم قال عز من قائل والله لا يحب الظالمين اي لا يفعل الله تعالى بكم فعل المحب الظالمين فانه لا يحب الظالمين وفي بيان ان الله عز وجل لا ينصر الكفار على المسلمين لان النصر يدل على المحبة والله عز وجل لا يحب الكفار ولكن قد ينصر المسلمين في بعض الاوقات على الكفار وفي بعض الاوقات يكل المسلمين الى حولهم وقوتهم لذنب كان حصل منهم وانما جعل الله تعالى الدنيا متقلبة لكي لا يطمئن مسلم اليها لتقلبها ولكي يسعى للاخرة التي يكون نعيمها الى الابد قوله عز وجل **وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين** معطوف على قوله تعالى ويتخذ منكم شهداء معناه وليمحص الله المؤمنين من الذنوب يقال محصت الشيء امحصه محصا اذا خلصته من العيب ومحص الحبل يمحص محصا اذا ذهب عنه الوبر لكثرة العمل فصار املس وحبل محص وملص وامليص بمعنى واحد ومعنى ويمحق الكافرين اي يهلكهم لانهم متى ظفروا يخرجون للحرب مرة اخرى فيستأصلهم وهذا نائل بمداولة الايام والله اعلم قوله عز وجل **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** معناه اظننتم معشر المؤمنين ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله عز وجل جهاد المجاهدين ولا صبر الصابرين واقعا منكم مشاهدة وهذا استفهام بمعنى الانكار لظنهم وحسبانهم وقد يقول الرجل لشيء يعاتب عليه لم يعلم الله تعالى ذلك مني يريد اني لم افعله وقول الرجل لما يفعل معناه لم يفعل انضم اليه حرف ما واما في جواب المستقبل فيقال لن يفعل ولا يفعل وقرأ الحسن رضي الله عنه ويعلم الصابرين بالكسر عطفا على قوله عز وجل ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم واما قراءة النصب فهي نصب على الصرف صرف اخر الكلام عن اوله على تقدير وان يعلم الصابرين وهذا قول الكوفيين واما البصريون فيسمونه نصبا على الجمع وهذا كما **قال الشاعر**
لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *
اي لا يكن منك النهي عن خلق مع اتيانك مثله ويقال لا تأكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك الجمع بينهما قوله عز وجل **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون** قال عبد الله بن عباس وذلك انه لما اخبرهم الله عز وجل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهداء بدر يوم بدر من الكرامة والثواب والجنة رغبوا في ذلك وقالوا اللهم ارنا قتالا نقاتل نستشهد به فنلحق باخواننا في الجنة فاراهم الله عز وجل ذلك يوم احد فلم يثبتوا

الألوكة
www.alukah.net

مع نبيهم صلى الله عليه وسلم وانهزموا الا من ثبته الله تعالى منهم ممن تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل
بعضهم وجرح بعضهم فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها ولقد كنتم تمنون الموت بعد وقعة بدر
من قبل ان تنظروا اليه يوم احد فقد رايتموه يومئذ وانتم تنظرون الى السيوف فيها الموت وهذا تعيير
لهم بانهزامهم عند الحرب مع صدق رغبتهم في الشهادة وذكر الزجاج ان معنى تمنون الموت تمنون القتال
الذي هو سبب الموت قال ومعنى وانتم تنظرون وانتم بصراء كما يقال رايت كذا وكذا وان لم يكن في عينك علة وقد
استدل على هذا بقوله الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم الى اخر الاية قوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
وسيجزي الله الشاكرين نزلت هذه الاية جوابا لعذر المنهزمين من المسلمين يوم احد حين سمعوا صوتا ان
محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فلذلك انهزمنا وذلك ان مصعب بن عمير كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قتل ظن قاتله انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فنادى قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم ويقال ان ابليس لعنه
الله نادى بذلك ومعنى الاية ما محمد صلى الله عليه وسلم الا نبي وطاعته كمن تقدمه من الرسل صلوات الله
عليهم قتل بعضهم ومات بعضهم افان مات محمد صلى الله عليه وسلم او قتل في طاعة الله تعالى رجعتم الى دينكم الكفر وقلتم
لو كان نبيا لما قتل وهذا توبيخ لمن ترك القتال على الدين وبيان ان الانبيا عليهم السلام لا يبقون ابد الدهر وانما
قوله عز وجل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا معناه من يرجع الى دينه الشرك فلن ينقص من ملك الله تعالى
وسلطانه شيئا وانما يضر نفسه وسيجزي الله المومنين المجاهدين وانما سمي الارتداد انقلابا على العقبين لان الردة رجوع
الى قهقرى الاديان فكان الانقلاب على العقب تصغير اقبح ما يكون في المشي والسكل بالنفس وسمي المطيع شاكرا لان الطاعات
كلها شكر لله عز وجل على نعمه قوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين
معناه ما كانت نفس لتموت الا بامر الله تعالى كتب الله عز وجل كتابا الى اجل لرزقه وعمره وفي هذا تحريض للمومنين
على القتال لئلا يتركوا الجهاد خشية الموت والقتل واعلمهم ان عليكم قتلكم واماتهم من اذن الله تعالى لملك الموت في
قبض الارواح عند انتهاء الاجال والاجل الوقت المعلوم وقوله عز وجل كتابا مصدر منصوب يدل
على فعل محذوف سابق ومثله من التوكيد قوله عز وجل كتاب الله عليكم بعد قوله حرمت عليكم امهاتكم و
كذلك قوله عز وجل صنع الله الذي اتقن كل شيء ومعنى ومن يرد ثواب الدنيا من يرد بعمله الدنيا والرياء لا
نحرم حظه المقسوم له في الدنيا من غير ان يكون له حظ في الاخرة وقد شرح الله عز وجل في اية اخرى وهو قوله
عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ويقال معنى هذه الاية من اراد بالجهاد ثواب الدنيا
لم نحرم حظه من الغنيمة واما قوله عز وجل ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها ومن يرد بعمله ثواب الاخرة نعطه
منها ما يستحقه من الدرجة في الدنيا ومعنى وسنجزي الشاكرين سنجزي المطيعين قال بعضهم نجزيهم الجنة
في الاخرة وقال بعضهم لا نحرمهم الدنيا بارادتهم ثواب الاخرة كما قال عز وجل من كان يريد حرث الاخرة
نزد له في حرثه قوله عز وجل وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين معناه كم من نبي قاتل معه جماعات كثيرة فما فتروا وانما
منهم لما اصابهم في طاعة الله وما جبنوا عن قتال عدوهم وما خضعوا لعدوهم والله يحب عمل الصابرين
على قتال عدوهم لدين الاسلام وفي كاين ثلاث لغات كاين بتشديد اليا على وزن كعين وكاين على وزن كاعن وكاين
على وزن كاع واصل هذه الكلمة كاف التشبيه واي الاستفهام وان للشرط وحروف الافراد تؤدي معاني فاذا
ركبت ادت معاني خلاف الاول وهذا مثل لولا ولوما وهلا كلمات تقتضي التحضيض عند التركيب وكانت
قبل التركيب تؤدي غير ذلك المعنى وفي قاتل ثلاث قراءات قاتل على معنى قاتل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه

ربيون

ربيون والثاني قتل على معنى قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويوقف عليه والثالث قتل بضم القاف ويوقف عليه على معنى قتل معه
الربيون المجاهدون معه قال الحسن رضي الله عنه لم يقتل احد من الانبيا صلوات الله عليهم قط في معركة ولو
وقف على قتل لادى الى ان نبيا قتل في معركة وعلى هذا يكون معنى فما وهنوا اما وهن من بقي منهم وهذا كما يقول الرجل
قتلنا وسلبنا وهو لم يقتل وانما يريد بذلك قتل قومه واما ربيون فهو جمع ربية والربية الواحد عشرة
الاف ويقال هو جمع ربي وهو العالم التقي الصابر منسوب الى الرب جل وعز كما يقال الهي وانما كسرت الرا كما يقال
للمنسوب الى امس امسي بكسر الهمزة وكما يقال للمنسوب الى الدهر دهري بضم الدال والوهن انكسار الحد بخوف
الخوف ونحوه والضعف نقصان القوة في البدن والاستكانة الخضوع واظهار الضعف وهي افتعال من السكون
قوله عز وجل وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين حكاية قول الربيين من اتباع النبيين صلوات الله عليهم المتقدمين
ومعناه ما كان قولهم عند قتالهم عدوهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغاير والكباير ومعنى الاسراف
في اللغة مجاوزة الحد اراد بها ارتكاب الذنوب العظام ومعنى وثبت اقدامنا ثبتها للقتال بتقوية قلوبنا واعنا
على القوم الكافرين بالقاء الرعب في قلوبهم اي هلا قلتم ايها المومنون كما قال الربيون وهلا قاتلتم كما قاتلوا
وقرا قولهم في اول هذه الاية بالرفع على تقدير انه اسم كان والخبر ما بعد الا والاكثر في الكلام ان يكون الاسم ما
بعد الا فينتصب قولهم لخبر كان وقوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا وقوله ما كان حجتهم الا
ان قالوا ونحو ذلك قوله عز وجل فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين
معناه فاعطاهم الله النصر والغنيمة والثنا الحسن في الدنيا والجنة في الاخرة والله يحب المومنين المجاهدين
وفي الاية دلالة انه قد يجوز اجتماع الدنيا والاخرة لواحد وعن علي كرم الله وجهه انه قال من ابتغى دنياه اضر
باخرته ومن عمل لاخرته اضر بدنياه وقد جمعهما الله لاقوام قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين معناه ان تطيعوا اليهود والنصارى فيما يقولون
لكم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لو كان حقا لما ظهر عليه المشركون يصرفوكم الى دين الشرك فتنصرفوا مغبونين
الى دينكم الاول قوله عز وجل بل الله مولاكم وهو خير الناصرين معناه بل الله وليكم وناصركم وهو
خير المانعين من الكفار لان احدا لا يقدر ان ينصركم ولا ان يدفع كيد اعدايه وعند نصره لا يوثر فعل غيره
ومن قرا بل الله نصب بفعل على معنى بل اطيعوا الله عز وجل قوله عز وجل
واسكان الرعب في قلوب الكفرة بعد وقعة احد . سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بشارة من الله عز وجل
بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبيس مثوى الظالمين بشارة من الله عز وجل
واسكان الرعب في قلوب الكفرة بعد وقعة احد ومعنى الاية سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب المخافة
عقوبة لهم باشراكهم بالله شيا لم ينزل الله به كتابا فيه عذر وحجة لهم ومصيرهم في الاخرة النار وبيس
مقام الظالمين النار في الاخرة واصل السلطان القوة وسلطان الملك قوته والتسليط على الشي القوة
عليه وانما سميت الحجة سلطانا لانها قوية على قمع الباطل وقهر المبطل واصل الكلمة في الرعب بضم العين الا
ان اكثر القراء يقرون بتسكين العين لاستثقال الضمتين وفي الاية دلالة صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اخبر بالقاء الرعب في قلوب المشركين فكان كما اخبر كما روي ان ابا سفيان صعد جبلا
يوم احد ثم نادى اعل هبل اعل هبل فاستاذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم في ان يجاوبه فاذن له فنادى
عمر رضي الله عنه الله اعلى واجل فقال ابو سفيان يوم بيوم وحنظلة بحنظلة فقال عمر لا سوا قتلانا
في الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان نشدتك يا ابن الخطاب محمد صلى الله عليه وسلم في الاحيا فقال
عمر اي والله يسمع كلامك فقال ابو سفيان ان الموعد بيننا نحارب بعد هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

سنقذف خ

ثم بعد الصغرى وهو موضع يسمى بدر الصغرى وكانت وقعة احد على ثلث سنين من الهجرة وبدر الصغرى
على اربع سنين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ببدر الصغرى على الموعد ورعب الكفار ولم يجاسروا على
الحضور ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب حتى ان العدو ليرعب مني على مسيرة شهر قوله عز وجل
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما
اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا
عنكم والله ذو فضل على المؤمنين معنى الاية والله تعالى اعلم لقد انجزكم الله تعالى وعده الذي وعده لكم بالنصر
على عدوكم يوم احد ان تصبروا وتتقوا وذلك انه لما صاف رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم
احد جعل عبد الله بن جبير الانصاري مع خمسين من الرماة على ما يلي قبل خيل المشركين خلف المسلمين لئلا ياتيهم
المشركون من خلفهم وقال لهم ان رايتمونا يقتلوننا او نقتلهم فلا تبرحوا من مكانكم فلما هزم الله تعالى المشركين
وراى الرماة الناس من المسلمين يقعون في الغنائم ظنوا ان لن يحدث شيا فقولوا فتركوا امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم واقبلوا على النهب الا عبد الله بن جبير وثمانية من اصحابه رضي الله عنهم فخرج خالد بن الوليد
مع مايتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل ذلك الشعب وكان هو يومئذ مشركا فقتلوا من بقي من الرماة و
دخلوا خلف فية المسلمين وتفرق المسلمون ورجع المشركون فحملوا حملة رجل واحد فصار المسلمون من بين قتيل
وجريح ومنهزم فذلك قوله عز وجل اذ تحسونهم باذنه تستاصلونهم قتلا في اول الحرب بامره وعلمه حتى
حتى اذا فشلتم يقول جبنتم من عدوكم واختلفتم في الامر الذي امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثبات
على المركز وعصيتم الرسول من بعد ما اراكم الله عز وجل من النصرة على عدوكم قال بعض المفسرين حتى بمعنى اذا فشلتم
ههنا معقد بكانه قال اذا فشلتم وتنازعتم امتحنتم بما رايتم من القتل والبلا وقال بعضهم الواو في قوله عز و
جل وتنازعتم زايدة كما في قوله عز وجل حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقال امرو القيس * فلما اجزنا ساحة
الحي وانتحى * معناه انتحى قال سيبويه متى امكن ان لا يجعل حرف من كتاب الله عز وجل ملغى فهو اولى من غيره
ومعنى منكم من يريد الدنيا من الرماة من يريد الدنيا وهم الذين وقعوا في الغنائم ولم يثبتوا على المركز وقوله
عز وجل ثم صرفكم عنهم اي صرفكم الله عن المشركين بالهزيمة قيل ان المراد بالصرف في هذا الموضع رفع النصر وقيل
معنى صرفكم اذن لكم في الانصراف عنهم لما بقي الباقون من المسلمين وفيهم قلة لم يلزمهم الثبات للعدو فصاروا مأذونين
بالانصراف غير مامورين بالقتال حينئذ ومعنى ليبتليكم ليعاملكم معاملة المبتلي بان يجازيكم على ما يظهر
من عملكم لا على ما يعلمه فيكم وقال معناه ليبتليكم اولياونا واضاف الابتلا الى نفسه على جهة التفخيم للاوليا
كما قال ان الذين يؤذون الله والمراد به اوليا الله عز وجل وقوله عز وجل ولقد عفا عنكم اي لم يعاقبكم عند
ذلك فلم يقتلكم جميعا والله ذو فضل على المؤمنين ثم من عليهم بالعفو والتجاوز وفي الاية دلالة ان النصر
من الله عز وجل في جهاد العدو مضمن باتباع امره والاجتهاد في طاعته وعلى هذا جرت العادة اي عادة الله عز
وجل في نصر المسلمين على اعدايهم ولهذا حين كان المسلمون من الصدر الاول لا يقاتلون الا للدين فرض الله عز وجل
على عشرين الا يفروا من مايتين كما قال الله عز وجل وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين وكان
عدد المسلمين وسلاحهم يومئذ اقل فنصرهم الله عز وجل يوم بدر كافة المشركين وكان المشركون شاكين
في السلاح فقتل المسلمون منهم ما شاوا واسروا ... ثم لما خالط المسلمين بعد ذلك من لم يطلبهم
مثل بصايرهم خفف الله تعالى عن الجميع فقال عز من قائل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان تكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مايتين ومعلوم انه لم يرد ضعف قوى الابدان ولا عدم السلاح لان قوى ابدانهم
كانت باقية وكان عددهم اكثر وسلاحهم اوفر وانما اراد به انه خالطهم من ليس له قوة البصيرة مثل الاولين
فالمراد بالضعف ههنا ضعف النية واجرى الجميع مجرى واحدا في التخفيف ولم يكن من المطوعة غير ...

البصاير منهم باعيانهم واسماهم من اهل ضعف اليقين قوله عز وجل اذ تصعدون ولا تلوون على احد
والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير
بما تعملون راجع الى قوله عز وجل ولقد عفا عنكم لان عفوه عنهم لا بد ان يتعلق بذنب منهم وذلك الذنب
ما بينه بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على احد ومعناه اذ تبعدون هربا في الارض بالهزيمة والاصعاد السير في
مستوى الارض يقال اصعد فلان من مكة الى موضع كذا وقرا الحسن رضي الله عنه اذ تصعدون بفتح التا والعين
والصعود هو الارتقا الى المكان المرتفع قال وقد كانوا يصعدون الجبل منهزمين وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يلتفت اليه منهم احد حتى اتوا اعلا الجبل ولا تنافي بين القرائتين لانه كان يومئذ في المنهزمين صاعد
ومصعد ويحتمل انهم ذهبوا في بطن الوادي اولا ثم صعدوا الجبل ولا تلوون على احد لا تعرجون ولا تقيمون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقيم بعضكم على بعض والرسول يدعوكم في اخراكم اي من خلفكم وذلك انه لما
انهزم المسلمون لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين ابو بكر وعلي
وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وسعد وثمانية من الانصار ومعنى فاثابكم غما بغم جازاكم غما متصلا
بغم فاحد الغمين الهزيمة وقتل اخوانهم والثاني اشراف خالد بن الوليد عليهم ودخول المشركين من فم الشعب فدعى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ان هذه العصابة هم الذين يعبدونك في هذه البلاد واللهم ان يقتلوا لا تعبد
اللهم اصرفهم عنا فصرفهم الله عز وجل وقال بعضهم الغم الاول هو القتل والجراح والثاني انهم سمعوا بان النبي
صلى الله عليه وسلم قتل فانساهم الغم الاول وقوله عز وجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي اذا اتاكم غم النبي صلى الله
عليه وسلم نسيتم له كل غم من فوت الغنيمة ووجود الهزيمة وقيل معناه ان من تراكم الغموم عليه واعتاد ذلك قل
حزنه وتاسفه على ما يفوته من الدنيا وقال الزجاج معنى اثابكم غما بغم جازاكم غما بغم بما غممتم به النبي صلى الله عليه
وسلم بمفارقة المكان الذي امركم بحفظه وقال ان قوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم متصل بقوله عز وجل ولقد عفا
عنكم ومعنى والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم من اعتصام المسلمين وشماتة المنافقين قوله عز وجل ثم انزل عليكم
من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طايفة منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور
وذلك انه لما افترق الفريقان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في اثرهم وقال انظر فان هم
اجتنبوا الخيل وركبوا الابل فهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة فخرج علي رضي الله
عنه في اثرهم فاذا هم ركبوا الابل وقادوا الخيل قالوا قد اجتمعنا للتحارب ثانيا فرجع علي كرم الله وجهه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره عن حالهم وعما قالوا فقال صلى الله عليه وسلم كذبوا فانهم عازمون الانصراف
الى مكة فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن المسلمون والقى الله عز وجل عليهم النوم فما بقي منهم احد
الا ضرب ذقنه صدره الا معتب بن قشير واصحابه الذين كانوا يشكون في امر محمد صلى الله عليه وسلم لما علم الله عز
وجل من باطنهم خلاف ما عليه المومنون منعهم ما اعطى المومنين فترددوا في انفسهم وسوا الظن بربهم
ييأسوا من نصره وشكوا في سابق وعده وصادق عهده ومعنى الاية ثم انزل عليكم من الغم الذي كنتم فيه امنا
وقوله تعالى نعاسا بدل من الامنة اي امنكم امنا تنامون معه لان الخايف لا ينام وعن هذا قال ابن مسعود رضي الله عنه
النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال من الرحمن وقوله عز وجل يغشى طايفة منكم من قرا يغشى بالياء كان
نعتا للنعاس ومن قرا بالتاء كان نعتا للامنة وهذا كقوله عز وجل الم يك نطفة من مني يمنى ويمنى بالياء و
التاء والمراد بالطايفة التي يغشيهم النعاس في هذه الاية اهل الصدق واليقين وقوله تعالى وطايفة قد

اهمتهم انفسهم رقم بالايذا وهذه الطائفة هم المنافقون معتب بن قشير واصحابه اهمتهم انفسهم
يقال لكل من خاف وحزن في غير موضع الحزن والخوف اهمته نفسه ومعنى يظنون بالله غير الحق يظنون ان لا ينصر
الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كظنهم في الجاهلية ويقال كظن الجهال وهم المشركون
واما قوله عز وجل يقولون هل لنا من الامر من شيء ففيه وجهان احدهما هل نطمع ان يكون لنا شيء من الظفر والدولة
والثاني لو كان الامر الينا ما خرجنا ولكنا اخرجنا الى القتال مكرهين فقال لهم يا محمد ان النصر والظفر والدولة كل ذلك
لله عز وجل من نصب قوله تعالى كله جعله توكيدا للامر ومن رفعه جعله اسما مستانفا خبره لله وقوله تعالى يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك اي المنافقون يسرون ويضمرون في قلوبهم ما لا يظهرون لك بالسنتهم يقولون سرا
لو كان لنا من النصر والدولة شيء وكان دين محمد صلى الله عليه وسلم حقا ما قتل اصحابنا ها هنا اي بناحيته ويقال معناه
لو لم نخرج الى الحرب يوم ... ما قتلنا واما قوله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم معناه قل للمنافقين لو تخلفتم انتم في بيوتكم لخرج الذين كتب عليهم القتل الى المكان المنكشف من
مصارعهم ومواضع قتلهم لا محالة لنفوذ قضاء الله عز وجل ويقال معناه لو كنتم في بيوتكم لما اخطاكم ما كتب
عليكم ويقال معنى الاية لو كنتم ايها المنافقون في بيوتكم لبرز الذين فرض عليهم القتال وهم المؤمنون المخلصون
الى موضع القتال صابرين محتسبين واما قوله عز وجل وليبتلي الله ما في صدوركم فهو معطوف على قوله عز وجل
ليبتليكم ومعناه وليختبر ويظهر ما في قلوبكم باعمالكم لا بد غيبا يعلمه مشاهدة ومعنى وليمحص ما في قلوبكم
ليبين ما في قلوبكم ويذهب تعالى مرضا منكم والله عليم بما في القلوب من الخير والشر قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم
يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
ان الله غفور حليم معناه والله تعالى اعلم ان الذين انهزموا منكم معشر المؤمنين يوم التقى جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وجمع ابي سفيان واصحابه انما استزلهم الشيطان عن اماكنهم ببعض ما كسبوا و
هو مفارقة المكان الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ولقد عفا الله عنهم حين لم يستاصلهم
ويقال في معنى الاية ان هؤلاء لم يتولوا على جهة المعاندة والفرار من الزحف ولكن اذكرهم الشيطان خطاياهم
التي كانت منهم فكرهوا لقاء الله تعالى الا على حالة يرضونها ولذلك عفا الله عنهم ولهذا قيل ان الشيطان اذا لم
يقدر ان يوسوس الى الانسان في الدعاء الى المعصية وسوس اليه بان يريه شيئا طاعة ومعنى ان الله غفور حليم
يتجاوز لذنوبهم لم يعجل بالعقوبة عليهم وروي ان رجلا من الخوارج اتى عبد الله بن عمر فسأله عن عثمان رضي الله عنه
اكان هو في الخمسين الذين هربوا يوم احد فقال نعم قال اشهد يوم بدر قال لا قال اشهد بيعة الرضوان فقال لا
فولى الرجل فرحا فقال اخي ابن عمر بقصة عثمان رضي الله عنه قال له ارجع واجلس فرجع وجلس فقال له ابن
عمر اما يوم بدر فان النبي صلى الله عليه وسلم خلفه على ابنته ام كلثوم يقوم عليها فانها كانت مريضة فتوفيت
يوم هزم المسلمون الكفار فكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في الغزو وعثمان في تكفين ابنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودفنها والصلوة عليها فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم جعل اجره كاجرهم وسهمه كسهمهم واما
بيعة الرضوان فقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيساره على يمينه فقال هذا عن عثمان وعلمنا ان ضرب يسار
النبي صلى الله عليه وسلم على يمينه ليس باقل من ضرب يمين عثمان على يمينه واما يوم احد فقد ذكر الله عز وجل العفو
عنهم بقوله عز وجل ولقد عفا عنكم فقام الرجل خزيان ناكسا راسه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا
وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير
خطاب للمؤمنين المخلصين معناه لا تكونوا كمنافقي اهل الكتاب عبد الله بن ابي واصحابه قالوا لاخوانهم اذا ساروا
في الارض تجارا مسافرين فماتوا من سفرهم ذلك وكانوا في الغزو فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا في سفرهم وما قتلوا في

الغزو

الغزو وانما قال اذا ضربوا وحرف اذا يستعمل في الاستقبال وانما يستعمل في الماضي حرف اذ لان الغرض من هذا اللفظ
بيان شان المنافقين هذا ابدا فيما مضى وفيما يستقبل وهو نظير قول القائل ان فلانا اذا حدث صدق فان
ذلك عادته ابدا والغزى جمع غاز كما يقال ضارب وضرب وراكع وركع وقد يجمع الغازي على غزاة كما يقال قاضي
وقضاة ويجمع على غزاء كما يقال صائم وصوام واللام في قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم لام العاقبة
ونظيره ليصير عاقبة امرهم الى ان يجعل الله تعالى ما ظنوا حزنا يتزايد في اجوافهم وقوله والله يحيي ويميت
تحذير عن التخلف عن الجهاد خشية الموت والقتل لان الاحياء والاماتة الى الله عز وجل في الحضر والسفر وحال
القتال وغير حال القتال وقوله عز وجل والله بما تعملون بصير ترغيب في الطاعة وتحذير عن المعصية قوله
عز وجل ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون معناه
لو قتلتم في طاعة الله او متم فيها لمغفرة الله عز وجل ورحمته خير لكم مما يجمعون من الاموال وانما قال ذلك وان
كان هذا معلوما لان من الناس من اثر الخلود في الدنيا على الجهاد في سبيل الله لخشية القتل فبين الله عز وجل
ان ما يحصل من الثواب والمغفرة على الجهاد خير مما يؤثرونه من الخلود في الدنيا ومن قرا تجمعون بالتاء فعلى الخطاب
معناه خير لكم ايها المؤمنون مما يجمع المنافقون من الدنيا قوله عز وجل ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
معناه ولئن متم على فرشكم او قتلتم في الغزو فالى الله ترجعون في الاخرة اي كيف ما دارت الحالة فان مصيركم الى الله عز
وجل ولان تصيروا الى الله بالقتل الذي تستحقون عليه العوض خير من ان تصيروا اليه بالموت الذي لا تستحقون
عليه العوض وهو نظير قول امير المؤمنين علي كرم الله وجهه * فان تكن الابدان للموت انشئت * فقتل
امرء بالسيف في الله افضل * واللام في لئن لام القسم وتصلح ان تكون للابتداء والتاكيد واللام في لمغفرة جواب
القسم وتصلح ان تكون مؤكدا لجواب الشرط وتقرا متم بكسر الميم ايضا وهي لغة من مات يموت ومات يمات قوله
عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
فبرحمة عظيمة من الله تعالى لنت لهم حتى صار لينك لهم سببا لدخولهم في الدين لان النبي صلى الله عليه وسلم
اتاهم بالحجج والبراهين مع لين وخلق عظيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا
اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولكن شرقوا او غربوا وفي الاية منة على المؤمنين ان
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما بهم وانما حرف ما في قوله عز وجل فبما رحمة من الله صلة وتوكيد
عند اهل النحو لا يمنع الباء من عملها وقال بعضهم معناه فبشيء رحمة من الله تعالى وكذا قالوا في فبما نقضهم
ميثاقهم فبشيء نقضهم قال الزجاج لو قرئ فبما رحمة من الله برفع رحمة على معنى فبما هو رحمة من الله جاز ولكن
لا يقرا بها لان القراءة سنة متبعة واما قوله عز وجل ولو كنت فظا غليظ القلب فمعناه لو كنت يا محمد صلى الله
عليه وسلم خشنا في القول سيء الخلق قاسي القلب لتفرقوا من حولك فلم ترضهم احدا ولكن الله تعالى جعلك
سهلا سمحا طلقا لطيفا لينا بارا رحيما والفظاظة الجفوة في القول واصل الفظ الفظظ كما يقال ... واصله
... ونظيره في غير المضاعف من فرق فرق ورجل فرق ويسمى ماء الكرش فظا لغلظ مشربه واما قوله
عز وجل فاعف عنهم معناه تجاوز عنهم في الهزيمة التي تكون جنايات منهم وكانوا عصوا النبي صلى الله عليه
وسلم في الانهزام وترك المركز وترك الاجابة لدعوته اذ دعوا فندب الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
العفو عنهم بالثناء عليه وحسن خلقه وقوله تعالى واستغفر لهم معناه واستغفر لهم الله عز وجل في الذنب
الذي يكون منهم واما قوله تعالى وشاورهم في الامر فمعناه اذا اردت ان تعمل عملا مما لم يكن عندك فيه وحي
فناظرهم واعمل بتدبيرهم ومشورتهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم مستغنيا عن مشاورتهم فانه كان
صلى الله عليه وسلم اسدهم رايا لكن الله عز وجل انما امره بالمشاورة ليقتدي به الامة وليكون فيه تطييب

الألوكة

لنفوس المؤمنين ويرفع لاقدارهم وثناء عليهم في حسن رايهم ويقال ان في المشورة رد الملامة لانه يقول فعلت
عن رايكم وعن سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما شقي عبد قط بمشورة
وما سعد باستغناء برايه ومعنى المشورة في اللغة اظهار الراي يقال شرت الدابة اشورها اذا امتحنتها
وعرفت هيئتها في السير ويقال شرت العسل واشرته اذا اخذته من موضع النحل ويقال فلان حسن الصورة والشورة
اي حسن الهيئة واللباس والشوار متاع البيت فاما قوله عز وجل فاذا عزمت فمعناه اذا عزمت على شيء فثق
بالله وفوض اليه ولا تتكل على المشورة وهذا دليل ان الله عز وجل انما امر بالمشورة فيما لم يكن فيه وحي لان
العزيمة تنافيه الوحي لانه لا تكون سابقة على المشورة وذهب بعض الناس الى ان الله عز وجل انما امر نبيه صلى
الله عليه وسلم بمشورتهم في امور الدنيا خاصة وهذا بعيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغني عن رايهم على
العموم والكفاية لانه لا فضل فيه وانما كان يشاور اصحابه في امر الحروب التي تشترك فيها الاراء كما روي انه نزل
في غزاة بدر موضعا فقال له الحباب بن المنذر ان كان نزولك ها هنا بوحي الله فسمعا وطاعة وان كان رايا
فالراي مشترك فقال صلى الله عليه وسلم لا بل رايي فقال ان بالقرب من هذا الموضع قليبا ولا اسفل منها ها هنا
احسن فاستقوا ونزلوا مكانا اخر وجعلوا حوض الماء وراء ظهورهم ولذلك شاور النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه في
اسارى بدر وسنذكر تلك القصة في موضعها ان شاء الله تعالى واما قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين حرض المسلمين
على التوكل قوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله
فليتوكل المؤمنون معناه ان ينصركم الله تعالى على عدوكم فلا غالب لكم من العدو مثل يوم بدر وان يخذلكم
بان يكلكم الى انفسكم ويرفع نصره عنكم كيوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعد خذلانه اياكم وبالله فليتوكل
المؤمنون في النصر قوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون معناه وذلك انهم اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنايم يوم احد
حين رموا في عسكر المشركين ياخذون الغنايم فظنوا ان من اخذ شيئا فهو له وان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقسمهم
كما لم يقسم يوم بدر ولهذا ترك الرماة المركز ووقعوا في الغنايم وعن عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما
انهما قالا نزلت الاية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبي صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله تعالى
هذه الاية ما كان لنبي ان يخون اصحابه فيستاثر بشيء من الغنيمة على وجه الغلول وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم
بالذكر بيان انه لم يكن ليقدم على الخيانة مع النبوة اذ الخيانة من النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من خيانة
غيره فكان تخصيصه بالذكر وان كانت خيانة غيره محرمة كما قال الله عز وجل فاجتنبوا الرجس من الاوثان
وان كان الرجس من الاوثان وغير الاوثان محرما وقيل فائدة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا لم يكن له ان يغل
وهو المتبوع فكيف يكون لاحد ممن يتبعه ان يخون ومن قرا ان يغل بضم الياء فمعناه ان ينسب الى الغلول
كما يقال فسقت فلانا اي لا ينبغي لاصحابه ان يخونوه وقيل معنى يغل يوجد غالا كما يقال احمدت فلانا اي
وجدته حامدا وقيل معناه لم يخن النبي صلى الله عليه وسلم ان يستر عنه شيء من الغنايم ان كان النبي صلى الله عليه
وسلم هو القاسم للغنيمة بين الغانمين ومعنى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة اي يجيء ويات بما خان يوم القيمة
كما روي في الخبر انه يمثل له في الحافرة تلك الشيء في النار ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه حتى اذا انتهى اليه
حمله على ظهره فاذا انتهى الى الباب سقط عنه الى اسفل جهنم ويرجع وياخذه ولا يزال كذلك دابه ان شاء
الله ويقال ياتي بما غل يوم القيمة اي يوخذ بجزائه يوم القيمة واما قوله عز وجل ثم توفى كل نفس ما كسبت
معناه توفى كل نفس جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم
والغلول في اللغة اخذ الشيء في الخفية ومنه الغلل وهو الماء الذي يجري في اصل الشجر والغل الحقد والغلالة
الثوب الذي يلبس تحت الثياب ويقال تغللت بالغالية وتغلفت اذا جعلتها في اصول الشعر وعن عبادة بن

الصامت

الصامت انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير من المغنم ثم تناول سنام البعير فاخذ وبرة
منه فقال يا ايها الناس ان هذه من غنايمكم فادوا الخيط والمخيط وما دون ذلك وما فوق ذلك فان الغلول عار
على اهله ونار وشنار يوم القيمة وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ وبرة فقال لا يحل لي من
غنايمكم مثل هذه الا الخمس والخمس مردود فيكم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل بوادي
القرى لمن الغنيمة فقال لله خمسها واربعة اخماسها للجيش فقيل وهل احد احق بها من احد فقال صلى
الله عليه وسلم لا ولا السهم تستخرجه من جنبك لست احق به من اخيك المسلم وفي التغليظ في الغلول
اخبار كثيرة وردت في غير الطعام والعلف فاما في الطعام والعلف فقد وردت في اباحة ذلك من الغنيمة
اخبار مستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم روي عن عبد الله بن
ابي اوفى انه قال اصبنا طعاما يوم خيبر فكان الرجل ياخذ منه قدر ما يكفيه ثم ينصرف وعن عبد الله
بن المغفل انه قال وجدت جرابا من شحم يوم خيبر فالتزمته وقلت لا اعطي احدا منه شيئا اليوم فالتفت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم قوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله
وماواه جهنم وبئس المصير استفهام بمعنى تقدير حال الفريقين يقول ليس من اتبع رضوان الله واخذ الحلال
من الغنيمة كمن استوجب سخط الله باخذ الغلول والحرام ويقال معنى باء بسخط من الله اي رجع بسخط الله تعالى
في نفسه وحمل نفسه مباءة السخط وقيل في معنى الاية افمن اتبع رضوان الله بالجهاد في سبيل الله كمن باء بسخط منه
بالفرار من الجهاد وقوله عز وجل وماواه جهنم وبئس المصير راجع الى من باء بسخط الله عز وجل اي بئس النار المصير
صار اليه ولفظ بئس يستعمل في الذم كما يستعمل نعم في المدح قوله عز وجل هم درجات عند الله والله بصير
بما يعملون معناه ان الذين يتبعون رضوان الله تعالى ذوو درجات رفيعة والاخرون ذوو دركات
خسيسة فان لاحد الفريقين درجات في الجنة وللاخر دركات في النار كما روي في الخبر ان اهل الجنة ليرون
اهل عليين كما يتراءون الكوكب الدري في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما معناه زاد وقد قال تعالى ان
المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولا يكون الاسفل الا لما له اعلا واوسط وذهب بعض المفسرين الى ان
هذه الاية خاصة في المؤمنين انهم طبقات بعضهم ارفع من بعض في الجنة وهذا كما يقال بنو تميم كذا كذا
بيتا اي هم اهل كذا وكذا من البيوت ومعنى والله بصير بما يعملون اي عالم بمن يعمل ومن لا يعمل قوله عز وجل لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين معناه لقد انعم الله عز وجل على المؤمنين اذ بعث فيهم
رسولا وهو النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى من العرب معروف النسب مرفوعا بالصدق والامانة وكان يسمى
الامين قبل الوحي ويقال بعثه الله عز وجل من جنس بني ادم ولم يبعث من الملائكة لان الرسول اذا كان من جنسهم كان
تعلمهم منه اسهل عليهم وقرئ في الشواذ من انفسهم بنصب الفاء يعني من اشرف الناس لان العرب افضل من غيرهم
وقريش افضل العرب وبنو هاشم افضل قريش فجعل الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وقوله تعالى
يتلوا عليهم اياته يقرا عليهم القران بما فيه من اقاصيص الامم السالفة وهو امي لم يقرا الكتب ومعنى ويزكيهم
يطهرهم من الشرك والذنوب وياخذ منهم الزكوة التي تطهرهم كما يقال للعامل الصدقات مصدق لانه ياخذ
الصدقة ويقال معنى يزكيهم يشهد لهم بالزكاة ومعنى ويعلمهم الكتاب والحكمة يعلمهم القران والفقه وان
كانوا من قبل ان ياتيهم محمد صلى الله عليه وسلم لفي ضلال مبين اي عمى عن الهدى وخطا بين وهذا كما يقول الرجل لولده لقد
علمتك وادبتك وان كنت من قبل لفي غاية من الجهل قوله عز وجل اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير قيل ان الواو في اولما هي واو
الابتداء والنسق دخلت عليها الف الاستفهام فبقيت مفتوحة على هيئتها وهذا كما يقول القائل لفلان يقول كذا

فيجاب وهو ممن يقول ذلك ومعنى الآية أولما أصابتكم مصيبة يوم أحد قد أصبتم مثليها يوم بدر أي قتلتم يوم بدر سبعين منهم وأسرتم سبعين وقتل منكم يوم أحد سبعون ولم يؤسر منكم أحد قلتم من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون قل يا محمد صلى الله عليه وسلم هو من عند أنفسكم لخلافكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج من المدينة وقد كان أمركم بالمقام فيها ليدخل عليكم الكفار فتقاتلوهم في أزقتها ويقال هو من عند أنفسكم أي ما أصابكم هذا من عند غيركم بمعصية الرماة تركهم ما أمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم إن الله على كل شيء من النصر وغيره قدير قوله عز وجل وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون

معناه وما أصابكم معشر المسلمين يوم أحد يوم التقى جيش المسلمين وجيش المشركين فبعلم الله عز وجل وقضائه وإرادته وقد يسمى العلم إذنا كما قال الله عز وجل وأذان من الله ورسوله أي إعلام من الله تعالى ورسوله ويقال أراد بالإذن التخلية بين المؤمنين والكافرين والأمر الله تعالى لا يأذن في المعصية ولكن لما كان الإذن هو الإطلاق بكلام سمي التخلية باسم الإذن وأما قوله عز وجل وليعلم المؤمنين لا يجوز حمله على ظاهره لأن ظاهره يقتضي حدوث علم لله عز وجل لم يكن قبل العلم بذلك ويراد به المعلوم كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا أي معلومك فينا فيكون معنى قوله عز وجل وليعلم المؤمنين وليرى الله إيمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويرى المنافقين بقتالهم وقلة صبرهم على ما نزل بهم في ذات الله عز وجل وقيل معنى وليعلم المؤمنين وليعرف أولياء الله تعالى المؤمنين متميزين من المنافقين إلا أن الله عز وجل أضاف العلم إلى نفسه تعظيما لأوليائه وأما قوله عز وجل وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله فقد روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه لما رجعوا إلى المدينة قبل القتال قال لهم عبد الله بن جبير تعالوا إلى أحد وقاتلوا في طاعة الله تعالى أو ادفعوا عن أنفسكم وحريمكم ويقال معنى ادفعوا كثروا سوادنا حتى يدفع القوم بكثرتكم قال المنافقون لا يكون قتال اليوم ولو نعلم أن يكون قتال لكنا معكم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان أي كانوا قبل هذا القول عند المؤمنين أقرب إلى الإيمان بظاهر حالهم حتى هتكوا سترهم وأظهروا ميلهم إلى الكفر فصاروا في ذلك اليوم أقرب إلى الكفر وقوله تعالى أقرب لا يقتضي أن يكون لهم نصيب من الإيمان كما يقول الرجل لخصمه أنا أحق منك وأصدق وإن لم يرد به أن يجعل لصاحبه نصيبا في الصدق وأما قوله عز وجل يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم كناية عن كذبهم في قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وذكر الأفواه على معنى التأكيد لأن الرجل يقول بالحاجب وبالإشارة ونظير هذا قوله عز وجل يكتبون الكتاب بأيديهم وقوله عز وجل يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم والمعنى والله أعلم بما يكتمون أي الله تعالى أعلم منهم بأنفسهم فيما يخفون من الشرك قوله عز وجل الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه هم الذين قالوا لإخوانهم من المنافقين بالمدينة وقعدوا هم بأنفسهم عن الجهاد لو أطاعنا المسلمون الذين خرجوا إلى القتال ما قتلوا في الغزو قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم فادفعوا الموت عن أنفسكم إن كنتم صادقين في مقالتكم لو لم يخرجوا إلى القتال ما قتلوا بل كان يجوز أن يدخل عليهم العدو فيقتلهم في عقر بيوتهم قال الفقيه أبو الليث رحمه الله سمعت بعض المفسرين رحمهم الله يقول لما نزلت هذه الآية مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وجابر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها

وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا طيب منقلبهم ومطعمهم ومشربهم وما أعد الله عز وجل لهم من الكرامة قالوا يا ليت إخواننا علموا ما أعد الله تعالى لنا من الكرامة وما نحن فيه من النعيم فلم ينكلوا عند القتال ولم يجبنوا في الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله إلى آخر الآيات الثلاث قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول الله عز وجل لهم ما تشتهون فيقولون ما نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء ثلاثا ثم يقولون في الثالثة ربنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل فيك مرة أخرى قال وأرواح أهل الكفر في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال إذا أقبل العبد إلى العدو في سبيل الله تعالى اطلعت عليه زوجتاه من الحور العين فقالتا اللهم وفقه وسدده فإذا أدبر قالتا اللهم اعف عنه وتجاوز عنه فإذا أقبل باهى الله عز وجل به ملائكته فيقول انظروا إلى عبدي يبذل نفسه ودمه ابتغاء مرضاتي فتقول الملائكة يا رب لا يذهب فينصرهم فيقول لهم خلوا عن عبدي فطالما شهر ونصب في طلب النصر ابتغاء مرضاتي أحب لقائي وأحببت لقاءه فيقاتل حتى يقتل فتنزل إليه زوجتاه من الحور العين حتى يستريح ويبكين إليهما وتحييه الملائكة وتبشره بالجنة والكرامة ثم تنوح خدود وجهه فيصعد إلى جوف طير أخضر على حسب ما تقدم ذكره ومعنى الآية ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم الشهداء المقتولين في طاعة الله عز وجل الظاهر أموات بل هم أحياء عند ربهم يرزقون التحف فرحين بما أعطاهم الله عز وجل من رزقه ويطلبون السرور بقدوم من لم يقدم عليهم من إخوانهم فيقولون ليت إخواننا قتلوا كما قتلنا فنالوا من الثواب ما نلنا وقال السدي رضي الله عنه يرفع إلى الشهيد كتاب فيه خبر من يقدم عليه من إخوانه فيستعجل السرور بذلك كما يستبشر الإنسان بقدوم غائب له فيستعجل السرور به قبل قدومه وتعالى معنى ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم أي يستبشرون بأن لا خوف على إخوانهم الذين يأتونهم من بعدهم من المؤمنين وأنهم لا يحزنون في الآخرة ويقال المعنى يستبشرون بأخبار الله عز وجل إخوانهم الذين لم يقتلوا بما لهم من الكرامة ويستبشرون أيضا أن لا خوف عليهم وقد اختلف المفسرون في قوله عز وجل عند ربهم قال بعضهم معناه بحيث لا يملك ضرهم ولا نفعهم إلا الله عز وجل ولم يرد به إثبات المسافة والمكان لأن المسافة والمكان لا يجوزان إلا على الأجرام وقال بعضهم معناه بل أحياء في علم ربهم وليسوا بأموات كما حسبوهم وهذا نظير قول القائل هذا عند فلان كذا أي في علم فلان وجميع هذا الذي ذكرناه في هذه الآية دليل أن الشهداء أحياء في الحال إلا أن معناه أنهم سيحيون ويبعثون في الآخرة ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم في الفضل من المؤمنين لأن في هذا التأويل الأخير إبطال تخصيص الشهداء وحمل ظاهر اللفظ على المجاز دون الحقيقة وقال بعضهم معنى الآية لا تحسبهم أمواتا في دينهم بل أحياء في دينهم كما يسمى جوابهم قوله عز وجل يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين معناه يستبشرون بجنة الله وما أعد الله تعالى لهم من الكرامة ويستبشرون أن الله تعالى لا يضيع ثواب الموحدين ومن قرأ وإن الله بالكسر فهو على الابتداء وفي حرف ابن مسعود والله لا يضيع أجر المؤمنين وهذا يؤيد قراءة الكسر وبالله التوفيق قوله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم يجوز أن يكون أول هذه الآية في موضع الخفض على النعت للمؤمنين والأحسن أن يكون في موضع الرفع على الابتداء وخبره للذين أحسنوا ومعنى الآية الذين أجابوا الله تعالى بالطاعة والرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى بدر الصغرى من بعد ما أصابهم الجراح الذين وافوا منهم الميعاد واتقوا سخط الله تعالى ومعصيته ثواب وافر في الجنة قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك أنهم واعدوا يوم أحد أن يجتمعوا ببدر الصغرى في العام القابل فلما حضر الأجل ندم المشركون فلقي أبو سفيان نعيم بن مسعود وكان يخرج إلى المدينة للتجارة فقال إذا أتيت المدينة

نحو نعيم كيلا يخرجوا ولك عشر من الابل ان رددتهم فلما قدم نعيم المدينة وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهزون لميعاد ابي سفيان قال لهم بئس الراي رايتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد تريدون ان تاتوهم في ديارهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله ان الرجل الواحد منهم ليطيق عشرة منكم اما و الله ما يفلت منكم الا الشريد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج اليهم وتثاقلوا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منهم قال والذي نفسي بيده لاخرجن اليهم وان لم يخرج معي منكم احد فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للميعاد ومعه نحو من سبعين رجلا حتى انتهوا الى بدر فلم يخرج اليهم ابو سفيان ولم يلقوا بها احدا من المشركين فتسوقوا من السوق حاجتهم ثم انصرفوا فذلك قول الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول قوله عز وجل الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل معناه الذين قال لهم نعيم بن مسعود ان ابا سفيان واصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم ولا تخرجوا اليهم فزادهم هذا القول تصديقا ويقينا وجراة على القتال كما قال الله عز وجل ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الى اخر الاية ومعنى وقالوا حسبنا الله ثقتنا بالله ويقال الكافي الله عز وجل اي هو الذي يكفينا امرهم ونعم الناصر والحافظ وانما ذكر في الاية والله اعلم نعيم بن مسعود بلفظ الناس لان الواحد قد يذكر بلفظ الجماعة على معنى الجنس وهذا كما يقال فلان خرج من الحج وراى انسانا واحدا خرج فلان من السجن وراى الناس وبراه الناس ويقول الرجل سمعت الناس يقولون كذا وان كان سمع من واحد ولهذا قالوا من حلف وقال ان كلمت الناس فهو حر وكلم رجلا واحدا حنث ويجوز ان يكون قول نعيم فشا في المدينة فكان الناس يقول بعضهم لبعض ان الناس قد جمعوا لكم قوله عز وجل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم معناه فانصرفوا باجر من الله عز وجل وفضل وهو ما تسوقوا به من السوق ويروى انهم اشتروا ادما وزبيبا واشياء غير ذلك بسعر رخيص فربحوا على ذلك ومعنى لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراحة واتبعوا رضوان الله تعالى في الخروج الى المشركين والله ذو من عظيم بدفع المشركين عن المومنين قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين قال بعضهم اراد بالشيطان نعيم بن مسعود وكل عات متمرد فهو شيطان ويقال معنى الاية ذلك التخويف من عمل الشيطان ووسوسته واما قوله يخوف اولياءه قيل ان معناه يخوف المنافقين ومن لا حقيقة له في ايمانه فلا تخافوا المشركين في الخروج اليهم وخافوني في القعود عن الجهاد ان كنتم مصدقين بما اعدكم اني انصركم والقي الرعب في قلوب الكفار وقيل معنى يخوف اولياءه اي من اوليائه لان التخويف يتعدى الى مفعولين كما قال الله عز وجل في موضع اخر لينذر باسا شديدا اي ببأس شديد يدل على قوله عز وجل فلا تخافوهم دليل ان هذا القول الثاني هو الاصح وذهب بعض المفسرين الى ان قوله عز وجل الذين استجابوا لله الى اخر هذه الايات الاربع نزلت في حرب احد وذلك انه لما رجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة قال صلى الله عليه وسلم رحم الله تعالى قوما انتدبوا لهؤلاء المشركين ليعلموا انا لم نضعف فانتدب قوم من اصحابه الجراح في ذلك اليوم فتبعوا اهل المشركين حتى كشفوهم عن القتال بعد ان مثلوا بحمزة وقد كانوا هموا بالمثلة بقتلى المسلمين فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فانهزموا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتلى المسلمين ودفنهم بدمائهم ثم ان اناسا من العرب وقدموا ابا سفيان وصحبه بموضع يسمى حمراء الاسد فقالوا للمسلمين تركتم منافقين بالرجوع الى المدينة لقتالكم فعند ذلك قال المسلمون حسبنا الله ونعم الوكيل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالمسير اليهم فلما صاروا الى حمراء الاسد وهي على راس ثمانية اميال من المدينة لم يروا المشركين ثم هناك فانصرف المسلمون الى المدينة بنعمة من الله عز وجل وهي كفاية الله عز وجل لهم شر قريش حتى لم ينلهم منهم شر ولا ضر قالوا وحتى

الله

الله تعالى هذه الكفاية نعمة لئلا يعتدوا في هذه النعمة انما استحقوها بمحالهم وفي قوله عز وجل والله ذو فضل عظيم بيان انه عز وجل تفضل عليهم من بعد بنعيم الدنيا والاخرة وبالله التوفيق قوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم معنى الاية والله تعالى اعلم ولا يحزنك يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين يبادرون الى الجحود والتكذيب وهم اليهود كانوا يكتمون صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكان يشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم ويقال هم مشركوا قريش كانوا يكذبونه وكان الناس يقولون لو كان حقا لاتبعه اقرباؤه وكان يشق ذلك عليه ويقال نزلت هذه الاية في قوم ارتدوا عن الاسلام فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يامن ان يضره ردتهم فامنه الله تعالى من ذلك بقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لم ينقصوا شيئا من ملك الله تعالى وسلطانه يريد الله الا يجعل لهم حظا في الجنة في الاخرة وقال محمد ابن اسحق يريد الله ان لا يجعل يريد احباط ثواب اعمالهم بما استحقوه من جرائمهم وقال الحسن رضي الله عنه معناه يريد فيما حكم من عدله وحكمه ان من اختار الكفر على الايمان فلا حظ له في الاخرة وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم ظاهر المراد قوله عز وجل ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم معناه ان الذين اختاروا الكفر على الايمان لن ينقصوا من ملك الله عز وجل وانما اضروا بانفسهم حيث استوجبوا لانفسهم العذاب ولهم عذاب وجيع في الاخرة فان قيل كيف اعاد قوله عز وجل لن يضروا الله شيئا وما الفائدة فيه قيل ان المراد به في الاية الاولى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به في الاية الثانية بيان ان مضرة كفرهم لاحقة بهم قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين من قرا ولا تحسبن بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى والمنافقين ان املاءنا لهم خير لهم من ان يموتوا كما مات شهداء احد ويقال معناه ولا تحسبن املاءنا لهم لخير ونوبة تقع منهم انما املاؤنا لهم ان تكون عاقبة امرهم ان يزدادوا بذلك معصية على معصية ولهم عذاب مهين يهانون فيه ويقال ان المراد بالذين كفروا مشركو قريش كان الله تعالى قال ولا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اصابوا من الظفر يوم احد خير لانفسهم وانما كان ذلك ليزدادوا معصية فيزداد في عقوبتهم ويجوز وقوع فعل الحسبان على الاسم ويراد به ما بعده لان الحسبان يتعدى الى مفعولين كقولك حسبت زيدا منطلقا فيكون تقدير الاية لا تحسبن املاءنا للذين كفروا ان ذلك خير لهم وهذا كما قال الشاعر فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما معناه ما كان هلاك قيس هلاك واحد ومن قرا انما نملي لهم بالكسر في الموضعين فلان الحسبان لم يعمل حقيقي فيبطل عمله مع ان كما يبطل عمله مع اللام تقول حسبت لعبد الله منطلق ويجوز ان يكون ما في قوله عز وجل انما نملي لهم خبرها ما اذا وصلة وتقديره ولا تحسبن ان املاءنا خير لهم ومنهم من جعل ما في هذا الموضع اسما يكتبها على الانفصال اي لا تحسبن ان الذي نملي لهم خير لهم والاملاء في اللغة اطالة المدة والملاوة الحين من الدهر والملوان الليل والنهار ونظير اللام من قوله عز وجل ليزدادوا اثما قوله عز وجل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقد يقول الرجل للاخر ما ادري وعظي الا شرا وما كان وعظي الا وبالا عليك اذا كان لا يقبل موعظته ومن قرا لا تحسبن بالياء فمعناه لا يظنن الكفار ان املاءنا خير لهم قوله عز وجل ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال عبد الله بن عباس وذلك ان قريشا من اهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم فيمن خالفك انه من اهل النار واذا ترك دينك واتبع دينك فهو من اهل الجنة فاخبرنا عن هذا من هو واخبرنا من ياتيك ومن لا ياتيك فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها لم يكن الله ليترك من كان وعلمه السابق انه يومن على ما انتم عليه من الكفر حتى يميز الكافر

هذه لام العاقبة

الألوكة
www.alukah.net

والمنافق من المؤمن المخلص وما كان الله ليطلعكم ويوقفكم يا اهل مكة على من يصير منكم مؤمنا قبل ان يؤمن ولكن الله يصطفي من يشاء للنبوة والرسالة فيوحي اليه ما يشاء لان الغيب لا يطلع عليه الا الرسل صلوات الله عليهم يوحي من الله عز وجل ليقيموا البرهان على ان ما اتوا به من عند الله تعالى وهذا كما قال الله عز وجل في آية اخرى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ومعنى فآمنوا بالله ورسله صدقوا بالله ورسله وقوله عز وجل وان تؤمنوا وتتقوا اي تصدقوا وتتقوا الشرك والمعصية فلكم ثواب عظيم في الجنة ومن قرا يميز بالتخفيف وفتح اليا فهو من الميز وهو الفرق ويسمى العاقل مميزا لانه يفرق بين الحق والباطل واصل الاجتبا الجمع كان الله عز وجل يخلص رسله صلى الله عليه وسلم لنفسه حتى يكون له باجمعه وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية نزلت في المنافقين فانهم اظهروا الاسلام واسروا الكفر وصلوا مع المؤمنين فسأل المخلصون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يميز الله تعالى بين الفريقين ويطلعهم على سرائر المنافقين فانزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها ان الله تعالى لا يترك المؤمنين على ما انتم عليه ايها المؤمنون بظاهر الحال حتى يظهر نفاق المنافقين بالدلائل التي تظهر منهم من تخلفهم عن الجهاد وتثبيطهم المخلصين عنه وما كان الله ليجعل لكم علامة تعرفون بها حقيقة ما في قلوب المنافقين ولكن الله يصطفي من رسله من يشاء فيطلعه على الغيب قوله عز وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير من قرا ولا تحسبن بالتا فمعناه لا تظنن يا محمد صلى الله عليه وسلم بخل الذين يبخلون بما اعطاهم الله تعالى من فضله من المال فيمنعون الناس حق الله تعالى والزكوة والجهاد وساير وجوه البر الذي اوجبه الله تعالى عليهم لا تظنن ذلك خيرا لهم وانما حذف ذكر البخل في اول الآية لان المضاف اليه قد ذكر ويراد به المضاف كما في قوله عز وجل واسال القرية ولان الفعل المذكور بقوله عز وجل يبخلون يدل على البخل وهو كقول القائل اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف واما هو في قوله عز وجل هو خيرا لهم الفصل وتسميه الكوفيون العماد ومعنى بل هو شر لهم يعني بخلهم شر لهم وقوله عز وجل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اي سيالون يوم القيمة عما بخلوا به من الزكوة ونفقة الجهاد كهيئة الطوق في اعناقهم وهذا كما قال الله عز وجل في آية اخرى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يأتي كنز احدكم شجاعا اقرع له زبيبتان فيتطوق في عنقه فيلدغ بحلقه ويقول انا الزكوة التي بخلت بي في الدنيا ومن قرا ولا يحسبن بالياء فالفعل للباخلين كانه قال ولا يحسبن الذين يبخلون البخل خيرا لهم وذهب بعضهم الى ان المراد بهذه الآية اليهود بخلوا ببيان صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والبخل الناس من بخل بعلمه ومعنى سيطوقون على هذا القول سيطوقون وزره ومأثمه كقوله عز وجل يحملون اوزارهم على ظهورهم والاظهر ان هذه الآية في بخل المال والبخل في اللغة منع الحق الواجب لذلك لعن الله مانعا من الناس وقال صلى الله عليه وسلم واي دا ادوا من البخل واما مانع التفضل فلا يكون بخيلا ولو جعل ذلك بخلا لكان صاحب المال العظيم لا يخلص من البخل الا باخراج ماله كله من ملكه واما قوله عز وجل ولله ميراث السموات والارض فهو تحريض على الانفاق ومعناه يموت اهل السموات واهل الارض كلهم من الملك والجن والانس ولا يبقى الا الله عز وجل واذا كانت الامور لا تبقى للناس فلا يحملوا نفع انفسهم الى ورثتهم فلا اجدر بهم ان ينفقوها في الوجوه التي امرها الله عز وجل فيستحقون بها الحمد والثواب وانما سمى الله تعالى هذا ميراثا والاملاك في الحقيقة كانت لله عز وجل قبل الخلق لانه خاطب الخلق على قدر عقولهم وهم يسمون ما يخلص للحي من الميت ميراثا فلذلك ذكر بلفظ الميراث والله تعالى اعلم وقوله تعالى والله بما تعملون خبير اي عالم بمن يؤدي الزكوة ومن يمنعها وفي هذا تاكيد الوعيد والوعد لان الله اعلم جاري

المحسن على احسانه والمسي على اساته قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبيا نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق نزلت هذه الآية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه قالوا حين نزل قوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ان اله محمد صلى الله عليه وسلم يستقرضنا فانا اذا هو فقير ونحن اغنيا وانما قالوا ذلك تلبيسا على سفلتهم وطعنا في النبوة على انه لو كان عز وجل هو الذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وهو القادر على كل شي لم يكن يستقرض وكانوا يعلمون في انفسهم ان لفظ الاقراض لطف في الاستدعا الى الانفاق وانما سمى الله عز وجل الصدقة قرضا من حيث ان المقرض يرد عليه ماله ويبقى له الشكر وكذلك الله عز وجل يرد على المتصدق بضعف صدقته ويبقى له الثواب ومعنى سنكتب ما قالوا ستكتب الكرام الكاتبون عليهم بامرنا قولهم ذلك وقتلهم الانبيا بغير جرم منهم ويقال معنى سنكتب سنحفظ واجرى على اللفظ اسم الكتابة لان الكتابة انما يكون للحفظ ويقرا سيكتب على فعل ما لم يسم فاعله وقتلهم الانبيا بضم اللام ويقول بالياء وفي هذا زجر لليهود عن المعصية فانهم اذا علموا ان ما يعملونه مكتوب في المصاحف وانهم يجزونه في الآخرة على رؤس الاشهاد كانوا ابعد من المعاصي في الدنيا لو تفكروا ومعنى ونقول ذوقوا عذاب الحريق نقول لهم يوم القيمة ذوقوا العذاب المحرق ويقال للذي يؤيس من العفو ذق ما انت فيه اي لست بمتخلص منه وقيل ان الذوق للانسان ولكن لما كانت وجوه الكفار تعتصر عنده وتنها اطلق اسم الذوق عليها لان الذوق اذا ذيق ولكن تبقت الكراهة والبغض ووجه ذايقه قوله عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد معناه ذلك العذاب بما قدمتم على الكفر والتكذيب وقتل الانبيا صلوات الله عليهم وانما اضاف الى اليد على وجه الصلة لان العمل اكثر ما يكون باليد واما قوله وان الله فمعناه وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب ولا يمنع احدا جزاء حسب ما يكون خيرا فعله العبد او شرا والعبد لا يحتاج ان يقول ان الوكيل الله ظالما اصلا فلذا انتفى ان يقول ظلاما لان الفايدة في هذا اللفظ بيان ان العذاب الذي يتوعد الله عز وجل ان يفعله بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على جهة عظيمه قوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا امرنا الله في التورية ان لا نصدق رسولا يزعم انه من عند الله تعالى حتى ياتينا بقربان فتجي نار من السما لها دوي وحفيف تاكل القربان كما كان في زمن موسى وزكريا ويحيى وغيرهم من الانبيا قبلهم عليهم السلام فكان هذا القول كذبا منهم على الله عز وجل لا علة الا التعلل في الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لا احتجاجا صحيحا فاحتج الله عليهم بقوله عز وجل قل قد جاكم رسل من قبلي اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم قد جاكم رسل من قبلي بالعلامات الواضحات المعجزات وبالذي قلتم من امر القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في مقالتكم وكانوا قتلوا زكريا ويحيى وجماعة من الانبيا صلوات الله عليهم وبيوا انهم قتلوا عيسى عليه السلام قوله عز وجل فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات والزبر والكتاب المنير معناه فان يكذبوك يا محمد صلى الله عليه وسلم الى الكذب فلست باول رسول كذب لقد كذب نوح وهود وصالح وغيرهم من الانبيا صلوات الله عليهم جاوا بالعلامات الواضحات وبالزبر والزبر جمع زبور وهو كل كتاب ذي حكمة يقال زبرت اذا كتبت وزبرت اذا قرات وقيل ان الزبور هو الكتاب الذي يكثر فيه ذكر المزاجر وهو ماخوذ من الزبر يقال زبرت الرجل اذا زجرته واما الكتاب المنير فهو الكتاب المبين للحلال والحرام قوله عز وجل كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة

الألوكة
www.alukah.net

فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله عز وجل
كل من عليها فان قالت الملائكة هلك اهل الارض فلما نزلت هذه الاية ايقنت الملائكة بالهلاك ومعنى
كل من عليها فان قالت الملائكة هلكت مثل الاية كل نفس ذائقة الموت اي ذائقة الموت وانما توفون جزاء اعمالكم
تماما يوم القيمة اي لا تغتروا بنعم الكفار ولا تحزنوا لشدائد المؤمنين فان كلا الفريقين ينصرفون فلا
بؤس يبقى ولا نعيم في الدنيا وليست الدنيا دار جزاء على الاعمال وانما الاخرة هي دار الجزاء لان نعيم الدنيا منقطع
لا يبقى وان عجل للمؤمنين بعض النعيم فذلك لا يكون الا يسيرا بعموم الدنيا وانما توفي ان الله عز وجل جزاء الكل
في الاخرة على اتصال ودوام ومعنى فمن زحزح عن النار من ازيل وبعد عن النار وادخل الجنة فقد نجا وسعد
في الجنة يقال لكل من نجا من هلكة او لقي ما يغتبط به فاز وسمي المفازة مفازة مع انها مهلكة على سبيل
التفاؤل كما سمي اللديغ سليما والاعمى بصيرا واما قوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال ابن
عباس متاع الغرور مثل القدر والسكرجة والقوارير متاع في الدنيا ثم يذهب ويفنى كذلك الحيوة الدنيا و
يقال ان متاع الغرور ما يشتري الانسان في الحال ويمنيه الاماني ثم يوقعه في الهلكة وكان الحسن يقول هي
متاع الغرور وهو ما يسارع اليه الفساد مثل الزجاج الذي يسرع اليه الكسر ولا يصلحه الجبر كذلك ينبغي
ان يهرب من الدنيا الفانية الى متاع الاخرة وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم جئناه ثوب وجلسنا حوله نبكي فاتانا آت نسمع صوته ولا نرى شخصه فقال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فقلنا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال كل نفس ذائقة الموت وقرا الاية الى اخرها ثم قال
ان في الله تعالى خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من
حرم الثواب قال فقيل انه جبريل عليه السلام قوله عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الجنة في الاية المتقدمة اي عقبها بما يدعو اليها
فقال لتبلون في اموالكم ومعناه لتختبرن بالنقص والذهاب في الاموال وفي ابدانكم بالامراض والاوجاع ويقال ان المراد
بالابتلاء وليعرض الدين مثل الجهاد في سبيل الله والانفاق فيه ويقال للواحد من المذكرين لتبلون وللاثنين لتبليان
وللجماعة لتبلون ويقال للمراة لتبلين بكسر الياء وللاثنين لتبليان وللجماعة النساء لتبلين زيدت الالف لاجتماع النونات
واما قوله عز وجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم معناه ولتسمعن من الذين اعطوا التوراة والانجيل
وسائر كتب الله عز وجل وهم اليهود والنصارى ومن مشركي العرب كلام اذى كثيرا اما من اليهود فقولهم عزير بن الله
وقولهم ان الله فقير ونحن اغنيا ونحو ذلك ومن النصارى قولهم ان المسيح بن الله وثالث ثلاثة ومن الذين اشركوا
قولهم الملائكة بنات الله وعبادتهم الاوثان ونصبهم الحرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاذى ما يكره
الانسان ويغتم به ومعنى وان تصبروا على اذى الكفار وتتقوا معصية الله عز وجل فان ذلك من عزم الامور في ان تصبروا وان
خيرها والعزم في اللغة توطين النفس على امر من الامور قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فبئس ما يشترون معناه وقد اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبينن الكتاب بما فيه من نعت محمد صلى
الله عليه وسلم وصفته للناس ولا يخفون شيئا من ذلك من قرا ليبيننه بالياء فعلى الحكاية لانهم غيب
ومن قرا بالتاء فعلى المخاطبة التي كانت وقت الميثاق اي قال لهم لتبيننه وقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم
يقال للذي يترك الشيء ولا يعمل به جعله خلف ظهره ومعنى واشتروا به ثمنا قليلا اختاروا بكتمان
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته عرضا يسيرا من الماكل والهدايا التي كانت لعلمائهم من رؤسائهم فبئس ما
تختارون الدنيا على الاخرة وقال الحسن وقتادة رضي الله عنهما المراد بهذه الاية كل من اوتي علما فكتمه قوله عز

وجل

وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب ولهم عذاب اليم في الاية قولان احدهما انها نزلت في اليهود كانوا يقولون نحن اهل الصلوة و
الصوم والكتاب الاول والعلم الاول يريدون الفخر والمدح والسمعة والريا لكي يثنى عليهم ويحمدهم سفلتهم على ما
يفعلون من بيان صفة كتابهم والثاني انها نزلت في المنافقين كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويخالطون المسلمين
ويرأون بالاعمال الية يحبون ان يحمدوا ويمدحوا على ذلك واما قوله عز وجل فلا تحسبنهم فمعناه لا تظنهم يا محمد
صلى الله عليه وسلم بمنجاة اي ببعد من العذاب ولهم عذاب وجيع في الاخرة وتكرار ولا تحسبن في هذه الاية
لطول القصة كقول العرب لا تظنن زيدا اذا جاءك وحدثك كذا وكذا فلا تظننه كاذبا ويجوز ان يكون خبر لا
تحسبن الاول مضمرا تقديره لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ناجين وان
ذلك خير لهم ومن قرا بما اتوا فمعناه بما اعطوا من الدنيا ومن قرا بما اتوا فمعناه بما اعطوا من الصفقة و
الصدقة قوله عز وجل ولله ملك السموات والارض والله على كل شي قدير معناه ولله خزائن
السموات والارض خزائن السموات المطر وخزائن الارض النبات ووجه اتصال هذه الاية بما سبق ان في هذا
تكذيب اليهود في قولهم ان الله فقير وبيان ان من كان مالك السموات والارض فهو قادر على الانتقام من
الكفار والاثابة للمؤمنين وعلى كل شي من الاشيا والله الموفق قوله عز وجل ان في خلق السموات و
الارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب معناه ان في خلق السموات بما فيهما من الشمس والقمر والنجوم
والارض بما فيها من الجبال والشجر والنبات والدواب واختلاف الليل والنهار في المجي والذهاب واللون لعلامات
واضحات لذوي العقول من الناس على توحيد الله عز وجل وذلك ان تعاقب الاعراض المتضادة في السموات و
الارض مع استحالة وجودها عارية منها والاعراض محدثة دليل على حدوث السموات والارض لان الاجسام
اذا لم تخل من الاعراض مثل الحركة والسكون والاجتماع والافتراق لم تكن الاجسام سابقة الاعراض وما لم
يسبق المحدث فهو محدث ويستدل بحدوثهما على ان لهما محدثا لاستحالة وجود حادث لا محدث له ويدل
من ذلك الى ان محدثهما قديم لان محدث الاجسام لو كان محدثا لاحتاج الى محدث آخر فكان يتسلسل الى
ما لا نهاية له ويستدل من خلق السموات والارض الى ان محدثهما حي عالم قادر سميع بصير ومن ذلك انه
لا يشبه الاجسام ولا شيا من الاشيا فانه لو اشبهها لم يخل ان يشبهها من جميع الوجوه او من بعضها فان اشبهها
من جميع الوجوه فهو محدث مثلها وان اشبهها من بعض الوجوه فواجب ان يكون محدثا من ذلك الوجه لان
حكم المتشابهين واحد من حيث اشتبها فوجب ان يتساويا في حكم الحدوث من ذلك الوجه وان يجوز
على كل واحد منهما ما يجوز على الاخر من التغير والزيادة والنقصان وفي مجي الليل والنهار على التعاقب
على مقدار معلوم حتى ان مقدار النهار في كل صيف يكون على مقدار في الشتاء الماضي دليل على ان الذي
يأتي بهما عالم لا يسهو ولا يغفل عن شي قوله عز وجل الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار بيان لصفة اولي
الالباب وفي قوله عز وجل قياما وقعودا قولان احدهما ان المراد بذلك الذكر المطلق اي يذكرون الله تعالى
في جميع احوالهم لان الانسان لا يكون الا على احدى هذه الحالات الثلث لا ثاني لها والثاني ان المراد بالذكر
الصلوة اي لا يدعون الصلوة صحوا ومرضوا يصلون قياما ان استطاعوا وجلوسا ان لم يستطيعوا قياما
ومضطجعين ان لم يستطيعوا جلوسا ومعنى ويتفكرون في خلق السموات والارض يتفكرون في عظم شانهما
وما فيهما من الايات والعبر قائلين ربنا ما خلقت هذا الخلق للباطل والعبث بل خلقته دليلا على
وحدانيتك وصدق ما اتت به انبياؤك تنزيها لك وبراءة لك من ان يكون خلقهما باطلا فادفع عنا
عذاب النار روي انه لما نزلت هذه الاية قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل فيها وهذا

الألوكة
www.alukah.net

حث على النظر في دلالات الله عز وجل وزجر عن الاتكال على التقليد قوله عز وجل ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار يعني اولي الالباب ومعناه يا ربنا انك من تدخل النار
يوم القيمة فقد اهنته واذللته ويقال اوقفته موقفا يستحيي منه واسم الخزي يحتمل الفضيحة ويحتمل
الحيا وفي تفسير قتادة انك من تخلده في النار فقد اخزيته ومعنى وما للظالمين من انصار ما لهم من مانع
يمنعهم مما يراد بهم من العذاب قوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا
بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار معناه
والله اعلم يقولون ربنا اننا سمعنا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق الى الايمان بان امنوا بربكم فاجبنا
الى ما دعانا اليه وامرنا به وعن محمد بن كعب القرظي انه قال المنادي كتاب الله عز وجل يدعو الناس
كلهم الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واما وضع اللام موضع الى لان اللام للغرض الذي هو
الغاية والى للغاية فيجوز ان يوضع احدهما موضع الاخر ومعنى فاغفر لنا ذنوبنا اي اغفر لنا الكبائر وما
دون الكبائر وكفر عنا ما كنا في الجاهلية هكذا قال الكلبي وقيل ان الذنوب والسيئات بمعنى واحد وقيل انما
جمع بين اللفظين لان المغفرة قد تكون ابتدا وتكفير السيئات انما يكون بطاعات اعظم منها وهو نظير
احباط الطاعة بالمعصية ومعنى وتوفنا مع الابرار اي اجعل ارواحنا مع ارواح الانبيا والصالحين
الذين كانوا قبلنا ويقال هذا دعا الاستعاذة من شر احوال الزمان كقول يوسف عليه السلام توفني مسلما
والحقني بالصالحين والابرار يجوز ان يكون جمع بار كما يقال صاحب واصحاب ويجوز ان يكون جمع البر كما
يقال جد واجداد وثوب واثواب وعن الحسن رضي الله عنه ان البر هو الذي لا يؤذي الذر قوله عز
وجل ويقولون يا ربنا واعطنا ما وعدتنا على لسان ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك معناه
ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد معناه ويقولون يا ربنا واعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك
ولا تخذلنا ولا تعذبنا يوم القيمة انك لا تخلف ما وعدت من الجنة والثواب للمؤمنين فان قيل ما فايدة
الدعا لانجاز الوعد مع العلم بان الله عز وجل منجز وعده قيل فايدته التعبد والخضوع والخشوع له
ورفع الحاجة اليه في عموم الاحوال وقيل معناه واجعلنا من اهل استحقاق ثوابك لا ممن يستحق عقابك
وانصرنا على الكفار كما وعدتنا قوله عز وجل فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر
او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا
لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند
الله والله عنده حسن الثواب معناه فاجابهم ربهم باني لا احبط عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم اوليا
بعض في الدين الاخر من الاول والاول من الاخر والذين هاجروا من مكة الى المدينة واخرجوا من اوطانهم
واوذوا في طاعتي وقاتلوا المشركين مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتلهم العدو في الجهاد لاكفرن عنهم
ذنوبهم ولادخلنهم بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الانهار جزا من عند الله وقوله عز وجل
ثوابا نصب على المصدر معناه لاثيبنهم ثوابا كما في قول الله عز وجل كتاب الله عليكم وقوله عز وجل
صنع الله الذي اتقن كل شيء والله عنده حسن الجزاء للموحدين المطيعين ومن قرا وقتلوا بالتشديد
فعلى معنى التكثير والمبالغة وتقطيع الاعضا ومن قرا وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتاخير فلان
الواو لا توجب الترتيب ويجوز ان يكون معناه وقتل بعضهم وقاتل بعضهم كما يقال قتلنا اي قتل بعضنا
قوله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد
ابتدا هذه الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اصحابه كانه قال لا يغرنك ايها السامع
ذهاب اليهود ومجيئهم وتجارتهم ومكاسبهم في الارض منفعة يسيرة في الدنيا تنقطع وتفنى ومصيرهم

الى جهنم

الى جهنم وبئس الفراش النار ويقال انما كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغتر بشي لتحذير الله عز وجل اياه عن
الاغترار بشي وتاديبه اياه بحسن الخطاب له قوله عز وجل لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار يعني بهذه الاية مع ما قبلها و
الله اعلم لا يعجبك يا محمد صلى الله عليه وسلم تقلب ولبث الكفار في نعيم الدنيا بل ما اعطى المتقون في الاخرة
افضل فان الذين اتقوا ربهم وحدوه واطاعوه فيما امرهم به ونهاهم عنه لهم بساتين من تحت شجرها
ومساكنها الانهار مقيمين فيها نزلا اي رزقا وثوابا لهم وهذا نصب على التفسير كما يقال هذا
الشي هبة لك او صدقة ويجوز ان يكون نصبا على المصدر على معنى نزلوا نزلا ويقال جعل ذلك لهم
نزلا والنزل ما يهيا للنازل من كرامة وبر وطعام وشراب وملهى ومنظر حسن كما جرت العادة به
في ايصال النزل الى الضيف ومعنى وما عند الله خير للابرار اي ما عند الله تعالى من الجزا والثواب خير
للصالحين مما لهم في الدنيا ثم اخبر الله عز وجل عن حال من امن من اهل الكتاب وخشوعهم وترفعهم عن
ان يشتروا بايات الله ثمنا قليلا فقال عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل
اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم
عند ربهم ان الله سريع الحساب معناه وان من اهل الكتاب لمن يصدق بالله والقران والتوراة والانجيل
والزبور وساير كتب الله عز وجل وهم عبد الله بن سلام واصحابه خاشعين لله اي ذليلة انفسهم لله
عز وجل لا يشترون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران عرضا يسيرا كما فعله رؤسا اليهود اولئك لهم
ثوابهم عند ربهم ان الله سريع الحساب اذا حاسب فحسابه سريع لا يؤخر جزا اعمالهم يوم القيمة لطول
الحساب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون معناه يا ايها الذين اقروا بتوحيد الله تعالى ونبوة رسوله صلى الله عليه وسلم اصبروا
على ادا الفرايض واجتناب المحارم وصابروا اعداكم في الجهاد ومصابرة العدو ملاقاة صبرهم على
مكروههم بالصبر عليهم وفي مقابلتهم ورابطوا خيولكم على الجهاد والرباط والمرابطة ان يربط كل واحد
من الفريقين خيولهم في الثغر ليوعد به صاحبه ويقال معنى المرابطة ان يربط كل واحد من القاتلين نفسه لقتال
صاحبه ويقال معنى المرابطة المحافظة على الصلوات كما روي في الخبر هو انتظار الصلوة بعد الصلوة
فذلكم الرباط واصل الربط في اللغة الشد والرباط الحبل الذي يشد به ثم امر الله عز وجل بهذه الطاعات
بالتقوى فقال عز من قايل واتقوا الله لعلكم تفلحون اي اتقوا الله في كل ما امركم به ولا يكن قصدكم الجهاد
فقط لكي تكونوا على رجا الفلاح وانما غيب عنهم ما امرهم ليكونوا حذرين وجلين فان ابن ادم اذا امن
طغا وعن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه انه قال في معنى هذه الاية اصبروا عن المعاصي وصابروا
مع الطاعات ورابطوا الارواح بالمشاهدة لكي يبلغوا مراتب اهل الصدق فانها محل الفلاح وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على
الصراط والله الموفق سورة النسا مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية عند البصريين
وست وسبعون عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسا واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله
كان عليكم رقيبا
قال ابن عباس رضي الله عنهما قد يكون يا ايها الناس عاما وقد يكون خاصا لاهل مكة وهو في هذا الموضع
عام لجميع الناس ومعنى اتقوا ربكم اخشوا واطيعوا ربكم وانما ابتدا الله عز وجل هذه السورة بالموعظة
لان الامر بالاشيا والنهي عن الاشيا اذا ابتدا الكلام بالوعظ كان ذلك انجع في السامعين ثم احتج ان كون
بما يدل على انه واحد وانه حقه سبحانه ان يتقى فقال عز من قايل الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلقكم

سورة النساء

الألوكة

جميعا من نفس ادم عليه السلام وحدها وانما انث النفس لاعتبار اللفظ دون المعنى وهذا كما قال الشاعر
ابوك خليفة ولدته اخرى ۞ وانت خليفة ذاك الكمال ۞ فقال ولدته اخرى وان اراد به ذكرا
لان لفظ الخليفة مؤنث وانما من الله تعالى علينا بان خلقنا من نفس واحدة لان ذلك اقرب الى ان
يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا جميعا في القرابة والاخوة الى اصل واحد واما
قوله عز وجل وخلق منها زوجها فمعناه خلق من نفس ادم عليه السلام زوجها حوا خلقها من ضلع
من اضلاعه اليسرى وهي القصرى بعدما القى عليه النوم فلم يوقظه ولو اذاه ما عطف عليها ابدا وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردت ان تقيمها
كسرتها وان تركتها وفيها عوج استمتعت بها على عوج واما قوله عز وجل وبث منهما رجالا كثيرا
معناه نشر وفرق من ادم وحوا خلقا كثيرا من الرجال والنسا وقوله تعالى جده واتقوا الله الذي تسالون
به اي اتقوا معاصي الله بحفظه الذي فرضه عليكم وحقيقته الاتقا ان تجعل بينك وبين الشي الذي تتقيه
حاجزا تحجز بينك وبينه والفايدة في اعادة الامر بالتقوى ان الثاني لبيان ان حقه عز وجل ان يتقى
لانكم تسالون به ومعنى تسالون اي تسالون بالله بعضكم بعضا من الحوايج والحقوق بقول الرجل للرجل
انشدك بالله واسالك بالله ومن قرا بتشديد السين فلادغام التا في السين لقرب مخرجهما
ومن قرا بالتخفيف فلان التا الثانية حذفت لاجتماع التائين واما قوله عز وجل والارحام ففيه
قرايتان من قرا بالنصب فمعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقد روي في الخبر ما يوافق ما ورد به
التنزيل قال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا الله الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي
من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من شي
مما اطيع الله تعالى فيه باعجل ثوابا من صلة الرحم وما من شي مما عصي الله فيه باعجل عقوبة من البغي و
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وعن هذا قال اصحابنا رحمهم الله ان الهبة لذي الرحم المحرم تقع قربة لله
تعالى فلا يصح الرجوع فيها كما لا يصح الرجوع في الصدقة ۞ واما من قرا والارحام بالخفض فمعناه يتسالون
بالله وبالرحم وهو قولهم اسالك بالله وبالرحم قال الزجاج رحمه الله استقبح النحويون نسق اسم الظاهر
على المضمر المجرور لا يقولون مررت بك وزيد وبه وزيد الا مع اظهار حرف الخفض مع المظهر يقولون
بك وبزيد قال المازني الاسم الثاني في العطف شريك الاول فكما لا يصلح ان يقال مررت بزيد وبك
فكذلك لا يقال مررت بك وزيد وقد جا عطف المظهر على المضمر في الشعر قال الشاعر
فقد كنت من قبل تهجونا وتشتمنا ۞ فاذهب فما بك والايام من عجب ۞ واما قوله عز وجل ان الله
كان عليكم رقيبا فمعناه ان الله كان حفيظا لاعمالكم ومن ذلك سمي الحافظ للانسان رقيبا وقال
بعضهم معنى رقيبا عليم والعلم والحفظ متقاربان لان العليم بالشي حافظه قوله عز وجل واتوا
اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا
معناه والله تعالى اعلم واعطوا اليتامى اموالهم بالانفاق عليهم في حال الصغر وبالتسليم اليهم بعد
بلوغ الحلم قال مقاتل نزلت هذه الاية في رجل من غطفان كان في يده مال لابن اخيه فلما بلغ اليتيم طلب منه
الوفا فانزل الله تعالى هذه الاية فقراها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل اطعنا الله واطعنا الرسول
صلى الله عليه وسلم ونعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله تعالى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر قيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بقي
الوزر وقد انفق في سبيل الله عز وجل فقال اصاب الغلام الاجر وبقي الوزر على الاب وقيل انما سمى الله عز وجل
البالغ في الاية يتيما لقرب عهده باليتم استصحابا للاسم الاول كما كان الكفار يسمون النبي صلى الله عليه وسلم

يتيم

يتيم ابي طالب واما قوله عز وجل ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب فمعناه لا تتبدلوا اموالكم الحلال وتاكلوا
الحرام من اموال اليتامى وعن مجاهد وابي صالح انهما قالا معناه لا تعجل رزقك الحلال حراما تعجله بان تستهلك
مال اليتيم فتنفقه او تعرضه لتلف او تكسبه وتعطيه غيره فيكون ما تاخذه من مال اليتيم خبيثا حراما او تعطي
مالك الحلال ولكن تاكلوا اموالهم باعيانها وفي هذا دليل انه لا يجوز لولي اليتيم ان يستقرض مال اليتيم ولا ان يستبدله
من نفسه قال ابو حنيفة رحمه الله الا ان يكون بيعه مال اليتيم من نفسه خيرا ظاهرا لليتيم فيجوز حينئذ
لقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقيل في معنى قوله ولا تتبدلوا الخبيث ولا تجعلوا الزايف بدل
الجيد والمهزول بدل السمين واما قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم فمعناه لا تاكلوا اموالهم مضمومين
الى اموالكم وذلك انهم كانوا يخلطون اموال اليتامى باموالهم حتى يصير دينا عليهم ثم كانوا يمضون جامع اموالهم
ويربحون عليها ويستبدون بتلك الارباح ومعنى انه كان حوبا كبيرا اثما عظيما ومن قرا حوبا بالنصب
والحوب في اللغة زجر الابل يقال حاب يحوب حوبا وحوبا وحابا وسمي الاثم حوبا لانه يزجر عنه الحالات ذلك مما
يزجر عنه وحكى الفرا عن بني اسد انهم كانوا يقولون الحايب القاتل قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة
او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا واتوا النسا صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شي
منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال وذلك انه
لما نزل قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية خاف الناس في اموال اليتامى ان لا يعدلوا
فكانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرهم وكانوا يتزوجون من النسا ما شاوا فنزلت هذه
الاية ومعناها ان خفتم الا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا في النسا اذا اجتمعن عندكم ان لا تعدلوا بينهن فتزوجوا
ما حل لكم من النسا ولا تنكحوا الا ما يمكنكم امساكهن مثنى مثنى وثلث ثلث وربع ربع ولا تزيدوا على الاربع
الحراير وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان الناس يتزوجون اليتامى ولا يعدلون في صدقاتهن و
ساير ما يجب لهن من حقوق النكاح وكان الرجل يرغب في اليتيمة التي في حجره لمالها وجمالها ولا يقسط في
صداقها فنهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال عز من قايل وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يعني في نكاح اليتامى
فانكحوا ما طاب لكم من غيرهن اي اذا وقع منكم حيف في حق البالغات كان طلب مرضاتهن وتطييب انفسهن
بتزوجهن امكن وقال مجاهد رضي الله عنه معناه ان تحرجتم في ولاية اليتامى ايمانا وتصديقا فتحرجوا من الزنا
فانكحوا الطيب من النسا والاقساط في اللغة العدل يقال اقسط اذا عدل وقسط اذا جار وقال صلى الله
عليه وسلم المقسطون في الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيمة وقال الله تعالى واما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لان ما مع الفعل بمنزلة المصدر كانه قال فانكحوا الطيب
يعني الحلال من النسا وقوله عز وجل مثنى وثلاث ورباع بدل ما طاب لكم وهو مما لا ينصرف لان مثنى
معدول عن اثنين وذلك نكرة وثلاث معدول عن ثلاثة وهو على لفظ التانيث وذهب بعض
من شذ من الاجماع من جملة الروافض الى احلال تسع نسوة واستدل بهذه الاية وليس ذلك بشي لانه قال
مثنى وثلث ورباع الا واراد به على التخيير ولا يعتبر احد مثنى وثلاث ورباع من تسعة وقد روي
عن قيس بن الحرث انه كان عنده ثمان نسوة فلما نزلت هذه الاية امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمسك
اربعا ويفارق اربعا وقال صلى الله عليه وسلم لغيلان حين اسلم وعنده عشر نسوة امسك منهن اربعا وفارق
سايرهن واما قوله عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فمعناه ان خفتم الا تعدلوا في القسمة والنفقة بين
النسوة الاربع التي احل الله تعالى لكم فتزوجوا امراة واحدة لا تخافون الميل في امرها او اقتصروا على الاما حتى
لا يجب عليكم القسم بينهن وقوله عز وجل ذلك ادنى ان لا تعولوا اي التزوج بالواحدة والاقتصار على الاما

الألوكة
www.alukah.net

اليمين اقرب الى ان لا تميلوا ولا تجوروا والعول مجاوزة الحق ومنه العول في الفرايض لانه مجاوزة مخرج الفرايض ويقال للذكاء الشديد العويل والمأثور في المعنى لا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وهذا القول يحكى عن الشافعي رحمه الله فقد قيل انه خطأ في اللغة لانه لا يقال في كثرة العيال عال يعول وانما يقال اعال يعيل اذا صار ذا عيال وفي الاية ما يبطل هذا التاويل وهو قوله عز وجل او ما ملكت ايمانكم لان اباحة كل ما ملكت اليمين ازيد في العيال من اربع نسوة وعن طاوس انه قرا ذلك ادنى ان لا تعيلوا بالياء من العيلة يقال عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر واما قوله عز وجل وآتوا النساء صدقاتهن فقد ذهب الكلبي الى ان هذا خطاب للاولياء كان الولي اذا زوج امراة فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وان كانت غريبة حملوها على بعير الى زوجها لا يعطونها من مهرها غير ذلك البعير وقال معظم واكثر اهل التفسير ان هذا خطاب للازواج كان الرجل يتزوج المراة فلا يعطيها مهرها يقول ارثك وترثيني وهذا هو الاصح ومعنى الاية اعطوا النساء مهورهن وهي جمع الصدقة وقوله عز وجل نحلة اي عطية من الله عز وجل للنساء حيث جعل المهر لهن ولم يوجب عليهن شيئا من الغرم مع كون الاستمتاع مشتركا بينهن وبين الازواج يقال نحلت الرجل نحلة ونحلى اذا اعطيته ويقال نحل الجسم اذا رق ويجوز ان يكون النحل سمي نحلا لان الله عز وجل نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها وعن هذا قالوا ان في كون المهر عطية من الله تعالى للنساء بيان ان المراة لا تقدر على دفع المهر عن نفسها عند وجود سبب وجوبه وان كان يمكنها الابراء عنه والهبة بعد الوجوب كالميراث الذي لا يقدر الوارث على دفعه عن نفسه في الابتداء وان كان يمكنه ان يهب بعد وجوبه وان يبرئ عنه ان كان دينا وقيل معنى نحلة ديانة يقال فلان ينتحل كذا وكذا اي يدين به واما قوله عز وجل فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اي ان احللن لكم عن شيء من المهر وقوله عز وجل نفسا نصب على التمييز لانه اذا قيل طبن لكم لم يعلم في اي صنف وقع الطيب فكانه قال فان طابت انفسهن بهبة شيء من المهر فكلوا الموهوب لكم هنيئا لا اثم فيه مريئا لا ملامة فيه والهني والمري لغتان على فعيل من هنؤ ومرؤ وهني ومري اذا صار سايغا [illegible] يقال هناني الطعام ومراني واذا افردوا قالوا امراني ولا يقال اهناني ومنه التهنية بالخير وقيل ان مراني [illegible] واجد مغبته وامراني يراد به قدر الهضم وحمدت مغبته واصل الهني الهنو وهو ان تطلي البعير بالقطران يقال هنات البعير اهناه هنأ وهنأ وعن امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال اذا كان احدكم مريضا فليسال امراته درهمين من مهرها حتى تهب له بطيبة نفسها فليشتر بذلك عسلا ويشربه مع ماء المطر فقد اجتمع له الهني والمري والشفاء والماء المبارك يعني ان الله عز وجل سمى المهر هنيئا مريئا اذا وهبت المراة لزوجها وسمى العسل شفاء وسمى المطر مباركا فاذا اجتمعت هذه الاشياء رجا له الشفا قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا معناه والله تعالى اعلم ولا تعطوا الجهال مواضع الحق وهم النساء والصبيان اموالكم التي جعلها الله تعالى قوام امركم ومعيشتكم اي جعلكم تقومون بها قياما اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد لم ينبغ له ان يسلط واحدا منهما على ماله الذي هو قوام امره ومن قرا قيما فمعناه التي جعل الله لكم قيمة للاشياء فيها تقوم اموركم وعن عمر رضي الله عنه انه قال من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا واصل السفه في اللغة خفة الحلم ويسمى الفاسق سفيها لانه لا وزن له عند اهل العلم والدين ويسمى ناقص العقل سفيها لخفة عقله ومعنى وارزقوهم فيها اطعموا النساء والاولاد واكسوهم من اموالكم وقولوا لهم قولا معروفا اي عدوهم عدة حسنة نحو ان يقول الرجل سافعل كذا ان شاء الله عز وجل ويقال معناه علموهم امر دينكم وذهب بعض المفسرين الى ان معنى قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اي لا تعطوهم اموالهم واستدل بقوله عز وجل وارزقوهم فيها

واكسوهم

واكسوهم على ذلك قال وانما اضاف الله عز وجل اموال السفهاء الى الاولياء لانهم هم الذين يقومون فيها ويقبلهم حفظها اموالهم اموال انفسهم فاضاف اليهم وهذا كما قال الله عز وجل ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا اي تقتلون الجنس الذي هو جنسكم قوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا معناه واختبروا اليتامى في عقولهم وفي دياناتهم وتدبيرهم اسباب انفسهم حتى اذا بلغوا مبلغ النكاح وهو الحلم وفي هذا دليل جواز الاذن للصبي في التجارة لان حق هذه مذكورة بعد الابتلاء ومعنى فان آنستم منهم علمتم ووجدتم منهم صلاحا في عقولهم وحفظا لاموالهم فادفعوا اليهم اموالهم التي عندكم هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهب الشافعي رحمه الله الى ان معنى الرشد الصلاح في العقل والدين والقول الاول هو الاصح لان قوله رشدا مصدر منكر ولا خلاف ان الفاسق اذا كان حافظا لماله لم يمنع ماله عنه واما الايناس في اللغة فهو الاحساس فيكون المراد بالاية الاحساس بما يدل على الرشد ومنه الانس خلاف الجن لانهم يونسون ويحسون واما قوله عز وجل ولا تاكلوها اسرافا وبدارا اي لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق والاسراف مجاوزة الحد في الزيادة وقوله وبدارا يعني مبادرة كبرهم اي لا تبادروا الى اكل اموالهم مخافة ان يكبروا فياخذوا اموالهم منكم واما قوله عز وجل ومن كان غنيا فليستعفف اي ليتورع بغناه عن مال اليتيم ولا ينقص شيئا من ماله وقوله عز وجل ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قال عمر بن الخطاب وسعيد بن جبير وعبيدة السلماني معناه ان كان فقيرا فلياخذ من مال اليتيم على جهة القرض مقدار الحاجة فاذا ايسر رده عليه وهكذا روى الطحاوي عن ابي حنيفة رحمه الله وقال مكحول وعطاء بن ابي رباح وقتادة ان لولي اليتيم ان ياخذ من مال اليتيم قدر ما يستر عورته ويسد جوعته لا على جهة القرض وعن ابن عباس ان رجلا جاءه فقال له ان في حجري اموال اليتامى افتاذن لي ان اصيب منها فقال ان كنت تبغي ضالتها وتهنا جرباها وتلوط حياضها فاشرب غير مضر بالنسل ولا ناهك في الحلب وعنه في رواية اخرى ان معنى فلياكل بالمعروف وهو ان ياكل من مال نفسه بالمعروف حتى لا ياكل من مال اليتيم شيئا وروى محمد في كتاب الاثار عن ابي حنيفة عن رجل عن ابن مسعود انه قال لا ياكل من مال اليتيم قرضا ولا غيره قال وهو قول ابي حنيفة وروى بشر بن الوليد عن ابي يوسف انه قال لا ياكل من مال اليتيم اذا كان مقيما فان خرج القاضي دينهم او ضياع لهم فله ان ينفق ويكتسي ويركب فاذا رجع رد الثياب والدابة الى اليتيم وعن ابي يوسف في رواية اخرى ان قوله فلياكل بالمعروف يجوز ان يكون منسوخا بقوله عز وجل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم فحاصل هذه الروايات ان الاصح على مذهب اصحابنا انه ليس لوصي اليتيم ان ياكل من ماله قرضا ولا غير قرض الا ان يضطر الى شيء منه فياخذه بالضرورة ثم يرده اذا وجد لان الوصي هو الذي ادخل نفسه في الوصية وضمن القيام بها على غير بدل فهو كالمستبضع ولو كان ما ياخذه اجرة لعمله لكان لا يفترق الحال بين ان يكون الوصي غنيا او فقيرا ولا خلاف بين اهل العلم انه لا يجوز له ان ياخذ من ماله ان كان غنيا وهذا فرقوا بين ما ياخذه ولي اليتيم وبين ارزاق القضاة والمفتين من اهل العلم لان اولئك يحل لهم الاخذ مع الغناء وهو شيء جعله الله عز وجل لهم ولكل من قام بشيء من امور الاسلام لانه لو لم يجعل لهم ذلك في بيت مال المسلمين لم يتفرغوا للشيء من امور انفسهم وليس ما ياخذونه على طريق الاجرة لان ما يفعلونه فرض عليهم ولا يجوز الاخذ للاجرة على شيء من الفروض وقد كان النبي صلى الله

www.alukah.net

عليه وسلم سهم من الخمس ولا يجوز ان يقال انه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ الاجرة على شيء من الدين كيف وقد قال الله عز وجل قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وسئل عبد الله بن مسعود عن قوله عز وجل ... الرشد قال لا ذاك كذا انما هو هذا يا الخالد واما قوله عز وجل فاذا دفعتم اليهم اموالهم اي بعد بلوغهم وايناس الرشد منهم فاشهدوا عليهم وشهدوا لكم وكفى بالله حسيبا شهيدا ومجازيا لكم في الآخرة الآن الاشهاد فيما بين الناس من احكام الدنيا الضرورية المصلحة والحسيب فعيل من الحساب في العدد والحسيب الكفاية وانتصاب الحسيب على القطع يريد وكفى بالله الحسيب حسيبا قوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وذلك ان العرب كانت لا تورث الا من طاعن بالرماح وذاد عن المال وحاز الغنيمة فاعلم الله سبحانه ان حق الميراث للرجال والنساء قال عبد الله بن عباس توفي اوس بن ثابت الانصاري وترك ثلاث بنات له وترك امرأة يقال لها ام كحة فقام رجلان من بني عمه قتادة وعرفطة وكانا وصيين له فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا من المال فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوس بن ثابت توفي وترك ثلاث بنات وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند قتادة وعرفطة ولم يعطياني ولا بناتي شيئا من المال وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين ولا يرفع لهن راس فقال عليه الصلاة والسلام ارجعي الى بيتك حتى انظر ما يحدث الله عز وجل الي فيهن فرجعت الى بيتها فانزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها للرجال نصيب وحظ مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب وحظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا يعني معلوما مقدرا جعل ذلك فرضا لهم فلما نزلت هذه الآية ارسل عليه السلام الى قتادة وعرفطة ان لا تفرقا من مال اوس شيئا فانه قد انزل الله عز وجل لبناته نصيبا ولم يبين كم هو حتى انظر كم يبين الله عز وجل لهن فنزل بعد ذلك قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم الى قوله وذلك الفوز العظيم فلما نزلت آية المواريث وبيان قسمتها ارسل عليه الصلاة والسلام الى قتادة وعرفطة ان ادفعا الى ام كحة الثمن من جميع المال وادفعا اليها لبناتها الثلثين قوله عز وجل واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا معناه والله اعلم واذا حضر قسمة المواريث ذوو قرابة الميت في الرحم واليتامى من ذوي الحاجة والفقراء فاعطوهم شيئا من المال قبل القسمة وقولوا لهم قولا معروفا اي عدوهم عدة حسنة ... واسهم عند قلة المال وقولوا لهم كما ... يكون ... قال الحسن وابرهيم النخعي كانوا اذا قسموا العين او الذهب والفضة اعطوا من حضر القسمة من الاقرباء الذين لا يرثون ومن اليتامى والمساكين واذا بلغوا الى قسمة الدواب والرقيق والارضين قالوا لهم ارجعوا بورك فيكم فهو معنى قوله عز وجل وقولوا لهم قولا معروفا وعن سعيد بن جبير انه قال هذه الآية يتهاون الناس بها قال وهما وليان احدهما يرث وهو الذي امر ان يرزقهم ويعطوهم نصيبهم والاخر لا يرث وهو الذي امر ان يقول لهم قولا معروفا فيقول لهم هذا المال لقوم غيب او لايتام صغار ولسنا نملك ان نعطي منه شيئا واذا حضر الغيب وبلغ الصغار امرناهم ان يعرفوا حقكم وينفذوا فيه وصية ربهم فهذا هو القول المعروف وروي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فيه روايتان احداهما ان هذه الآية محكمة غير منسوخة وهو قول ... ومجاهد والزهري وجماعة حتى روي عن عبيدة السلماني انه ذبح للاقرباء شاة من اموال اليتامى واعطاهم وقال لحسبت ان تكون من مالي لولا هذه الآية وقرأ عليهم الآية وعن ابن سيرين انه فعل مثل ذلك ايضا والرواية الاخرى عن ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بآية المواريث وهو قول سعيد بن المسيب

والسدي

والسدي وابن مالك وابي صالح وقيل هذه الآية في انفاذ وصاة الميت في هؤلاء فقال زيد بن اسلم هذا شيء امر به الموصون يجعل لمن لا يرث من قرابته صلة وكذلك اليتامى والمساكين اذا ... على الفريقين والاستحباب في حق الورثة الحضور البالغين ... وكانت واجبة مع كثرة قسمة المواريث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن بعدهم لنقل وجوب ذلك ولحفظه هؤلاء كما نقلت المواريث لعموم الحاجة الى ذلك واما الذين قالوا ان هذه الآية منسوخة فالمراد به عندهم نسخ الوجوب بآية المواريث وخبر ... السلف محمول على ان الورثة كانوا بلغوا الحلم وقد ... المال باذنهم قوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان الناس قبل نزول هذه الآية اذا حضروا مريضا قالوا له اوص لفلان بكذا ولفلان بكذا فلا يزالون كذلك حتى يذهب عامة ماله فيبقى عياله بغير شيء فكره الله تعالى ذلك وانزل هذه الآية وانتهى الناس عن ذلك بعد نزولها وصارت الوصية الى الثلث لا يزاد عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل على سعد بن عبادة يعوده فقال سعد يا رسول الله اني ذو مال وليس لي ولد الا جارية افاوصي بالثلثين قال لا قال فالثلث قال الثلث والثلث كثير وانك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم فقراء يتكففون الناس وذهب بعض المفسرين الى ان هذه الآية خطاب لمن يتصرف في اموال اليتامى وامرهم ان يعاملوا فيها بالواجب معناه وليخش الذين يخافون الضياع على ذريتهم الضعاف من بعد موتهم فلا يفعلوا في اموال اليتامى الا ما يحبون ان يفعل باولادهم من بعدهم ثم القول السديد هو الذي لا خلل فيه من جهة الفساد وهو مأخوذ من سد الخلة قوله عز وجل ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا نزلت هذه الآية في حنظلة بن الشمردل كان يأكل مال اليتيم ظلما ومعنى الآية الذين يأكلون اموال اليتامى بغير حق انما يأكلون في بطونهم حراما وسمي الحرام نارا لان الحرام يوجب النار فسماه باسمها على معنى ان اجوافهم ممتلئة نارا في الآخرة قال السدي من اكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من جوفه واذنيه وعينيه وانفه كل من رآه عرف انه اكل مال اليتيم ظلما ومعنى وسيصلون سعيرا سيدخلون النار في الآخرة ويلزمونها والصلا ملازمة النار للاحراق او التسخين او الانضاج يقال صلي يصلى صلا ومنه قولهم اصطلى النار اذا دنا منها ومن قرأ وسيصلون بضم الياء فعلى فعل ما لم يسم فاعله والسعير النار المسعورة الموقودة يقال كف خضيب اي مخضوب ولا شبهة في ان الوعيد المذكور في هذه الآية راجع الى كل من اكل شيئا من مال اليتيم ظلما او اتلف عليه شيئا من ماله لان الضرر الذي يرجع الى اليتيم لا يختلف في حقه بين الاكل والاتلاف وانما ذكر الاكل لان الاكل هو المعظم فيما يقع من التصرف وفي الآية دليل ان من اخذ من مال غير اليتيم من غير ضرر لليتيم فهو داخل في هذا الوعيد قوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان المال للصبي وكانت الوصية للوالدين والاقربين في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الآية نزلت هذه الآية فصار ذلك منسوخا بهذه الآية ومعنى الآية يفرض الله تعالى عليكم في اولادكم لان الوصية من الله

الألوكة
www.alukah.net

عز وجل فرض قال الله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم
علينا ومعنى للذكر مثل حظ الانثيين للذكر الواحد من الاولاد مثل نصيب الابنتين في الميراث فاذا خلف الرجل
ابنا وابنتين كان للابن النصف وللابنتين النصف وان خلف ابنا وبنتا فللابن الثلثان وللبنت
الثلث وان كان الاولاد جماعة فلكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم واسم الولد يتناول ولد الرجل لصلبه
حقيقة ويتناول من كان من صلب بنيه مجازا فاذا كان للميت ولد لصلبه حمل اللفظ على الحقيقة وان لم
يكن له ولد لصلبه حمل على من كان من صلب بنيه مجازا واما اولاد البنات فلا يعدون من ولده في النسبة والتعصيب
ولكنهم من ذوي الارحام وانشد الفقيه بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد وعلى
هذا قال اصحابنا فيمن اوصى لولد فلان ان ذلك لولده لصلبه فان لم يكن ولد لصلبه فهو لولد ابنه ولا
يدخل اولاد البنات في هذه الوصية على ظاهر الروايتين فاما قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فمعناه
ان كانت الاولاد نساء اكثر من اثنتين ليس معهن ذكر فلهن ثلثا ما ترك من المال والباقي للعصبة قال صلى الله
عليه وسلم ما ابقت الفرائض فلاولى عصبة ذكر واما قوله عز وجل وان كانت واحدة من قرا واحدة
بالنصب وهو الاجود فتقديره وان كانت المولودة واحدة ومن قرا واحدة بالرفع فعلى معنى وان
وقعت مولودة واحدة من اصحاب المواريث فلها نصف ما ترك الميت من المال واما بنات الابن فهن
في هذه المنزلة اذا لم يكن للميت بنات الصلب فان قال قائل لم اعطيتم الابنتين الثلثين وفي الاية
ايجاب الثلثين لاكثر من الابنتين قيل له في فحوى الاية دليل بيان فرض الابنتين لان اول هذه الاية
يقتضي في اول العدد وهو ذكر وانثى ان للابنة الواحدة مع الابن الثلث فاذا كان لها مع الذكر الثلث
كانت باخذ الثلث عند عدم الذكر اولى فاحتجنا الى بيان حكم ما فوق الابنتين فلذلك نص على حكم ما
فوقهما يدل عليه انه اذا كان للابن الثلثان وللابنة الثلث دل ان نصيب الابنتين الثلثان
لان الله تعالى جعل للذكر مثل حظ الانثيين وجواب آخر ان الله عز وجل جعل للاخت من الاب والام
النصف في آخر هذه السورة كما جعل للابنة الواحدة النصف في هذه الاية وجعل للاختين هنالك
الثلثين فاعطينا الابنتين الثلثين قياسا على الاختين في تلك الاية واعطينا جملة الاخوات الثلثين
قياسا على البنات في هذه الاية ولا خلاف بين اهل العلم ان للابنتين الثلثين الا شيئا يروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه جعل للابنتين النصف كنصيب الواحدة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
اعطى ابنتي سعد بن الربيع حين قتل شهيدا الثلثين من ماله وامهما الثمن وجعل الباقي لعمهما واما قوله
عز وجل لكل واحد منهما السدس مما ترك الميت من المال ان كان له ولد او لابنه وهذا بيان ما يستحقه
الابوان مع الولد الفرض لا بيان جميع ما يستحقانه بالميراث مع الولد فانه قد يزيد ميراثهما على ذلك
الا ترى ان الميت اذا ترك ابنة وابا فللابنة النصف والباقي للاب فاذا ترك ابنة وامّا فللابنة النصف
وللام السدس ويكون الباقي ردا عليهما على قدر سهمهما واذا ترك ابنة وابوين فللابنة النصف و
للابوين السدسان ويكون الباقي ردا عليهما بالفرض ويبقى السدس يستحقه الاب بالتعصيب وان كان
الولد ذكرا فللابوين السدسان بحكم النص والباقي للابن لانه اقرب تعصيبا من الاب وفي هذا بيان انه
اذا كان مع الاولاد ذوو سهام نحو الابوين والزوج والزوجة فهم متى اخذوا سهامهم كان الباقي بعد
السهام بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين وهذا قالوا ان الاناث من اصحاب الفرائض اذا اختلطن
بالذكور صرن عصبة وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان الولد يحجبون الام من الثلث الى السدس
وان لم يرثوا نحو ان يكونوا كفارا او مملوكين او قاتلين لان الله عز وجل لم يفرق وفي هذه الاية بين الولد الكافر

والمسلم

١٤٠

المسلم وقال عمر وعلي وزيد بن ثابت رضي الله عنهم للام الثلث وما بقي فللاب وجعلوا الكافر والرقيق بمنزلة
الميت وحملوا الاية على الولد يجوز الميراث اذ لا خلاف بينهم ان ابن الميت اذا كان كافرا لم يحجب اباه الميت وكذلك
لم يسلك ابن مسعود رضي الله عنه لم يحجب الجد الكافر الام دون الاب وظاهر قوله تعالى لكل واحد منهما
السدس مما ترك ان كان له ولد يقتضي ان يحجب كل واحد منهما عما زاد على السدس واما اذا اجتمعت الابنة
وابنة الابن فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى للابنة
بالنصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت من الاب والام ولهذا قالوا ان الاخت
من الاب والام مع البنات عصبة وكذلك الاخت من الاب اذا لم يكن للميت اخت لاب وام اما اذا كان للميت
ابنتان وابنة ابن فلا ميراث لابنة الابن الا ان يكون معها ابن ابن في درجتها او اسفل منها فيكون الثلث
الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين في قول عامة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما يحكى عن
ابن مسعود رضي الله عنه واما قوله في ابن ابن الابن خاصة وحكم الاخت من الاب والام مع الاخت
من الاب كحكم الابنة مع ابنة الابن واما قوله تعالى فان لم يكن له ولد فمعناه ان لم يكن للميت ولد ذكر ولا
انثى ولا لابنه ولد وورثه ابواه فلامه الثلث مما ورثاه ويكون الباقي للاب بقوله وورثه ابواه واما
قوله فان كان له اخوة اي للميت فلامه السدس مما ترك الميت وما بقي فللاب لقوله عز وجل وورثه
ابواه ونظير هذا قول الرجل هذه الدار لفلان وفلان منها السدس لفلان فان الباقي يكون للاخر وفي الاية
دليل ان الاخوة يحجبون الام عن الثلث الى السدس واقل الاخوة ثلثة لان الجمع الصحيح لا يكون اقل من ثلثة ولا
خلاف ان الجمع يقع على ثلثة من الاخوة والاخوات وان ذلك لا يقع بالواحد ثم قال عامة الصحابة ان حكم الاثنين
وهذا حكم الثلاثة لان العرب تسمي الاخوين اخوة والاثنان في حكم الميراث منزلة الثلثة كما في الابنتين
والاختين وكذلك في الحجب وعن قتادة رضي الله عنه انه قال انما حجبت الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب
لانه يقوم بنكاحهم والنفقة عليهم دون الام وذهب جماعة من الصحابة الى ان الجد كالاب يحجب الاخوة
لانه يقوم مقام الاب اذا لم يكن لاب في الاحياء وفي الاية دليل ان الابن وابن الابن يحجبان الاخوة لانهما
اقرب تعصيبا من الاب فكانا اولى بحجب الاخوة والاخوة والاخوات من الاب محجوبون بالاخ للاب والام
وقال ابن عباس حكم الاثنين من الاخوة والاخوات في حجب الام كحكم الواحد فاذا كانوا ثلثة حجبوا
الام من الثلث الى السدس وكان السدس لهم والسدس للام والباقي للاب وفي رواية اخرى عنه انه لا يكون
السدس للاخوة الا ان يكونوا اخوة للام دون الاب وكان من مذهبه انه لا يورث من الجدات الا
واحدة وهي ام الام تقوم مقام الام فترث السدس تارة والثلث اخرى وروي ان جدة جاءت الى ابي
بكر رضي الله عنه وطلبت ميراث حافدها فقال لها ابو بكر لا اجد لك في كتاب الله عز وجل شيئا فقام
المغيرة بن شعبة وشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى الجدة ام الام السدس فقال له
معك شاهد آخر فجاء محمد بن مسلمة وشهد مثل شهادته فاعطاها ابو بكر الصديق رضي الله عنه السدس
وبهذا الخبر اخذ اصحابنا رحمهم الله وقالوا ان الجدة والجدتين والثلث مشتركات في السدس اذا كن
من باب الا الجدة الفاسدة وهي ام اب لام واما قوله عز وجل من بعد وصية يوصي بها او دين
فمعناه ان هذه القسمة بعد فضل المال على الدين وبعد امضاء الوصية من الثلث ان كان الميت
اوصى بها ومن قرا يوصى بكسر الصاد فعلى اضافة الوصية الى الميت فان قيل كيف ذكر الله تعالى الوصية قبل
الدين والدين مقدم على الوصية قيل ان كلمة او لا توجب الترتيب ولكنها توجب تاخير قسمة الميراث في
هذه الاية عن احدهما او عنهما ومن كل واحد منهما اذا كان احدهما معطوفا الى الاخر فكانه قال من بعد

لاحدهما فاذا كان كذلك لم يعرف بالاية وجوب البداية باحدهما عند اجتماعهما في التركة واحتجنا
في معرفة ذلك الى دليل اخر وقد روي عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى
بالدين قبل الوصية وهذا شي قد اجمعت الامة عليه حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قيل له ما
بالنا نقدم افعال العمرة على افعال الحج وقد قال الله عز وجل واتموا الحج والعمرة لله فقال رضي الله عنه كما
تقدمون الدين على الوصية وقد قال الله تعالى من بعد وصية يوصي بها او دين واما قوله عز وجل اباؤكم
وابناؤكم فمعناه ان المذكورين في الاية اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا في الدنيا و
الاخرة اما في الدنيا فقد يكون الولد اكثر نفعا للوالد وقد يكون الوالد اكثر نفعا للولد واما في الاخرة فان
كان الاب ارفع درجة سال الله عز وجل ان يرفع ابنه اليه فيرفع وان كان الولد ارفع درجة سال الله عز وجل
ان يرفع اباه اليه فيرفع وفي هذا جواب طعن الملحدين عن قول بعضهم هلا كان الرجل اولى بالميراث لكونهم قوامين
على النساء الضعاف وعن قول اخرين منهم لم جاز تفضيل الذكر على الانثى في قسمة الميراث والانثى اولى
بالزيادة لعجزها عن التصرف وقعودها عن الحيلة فبين الله تعالى في اخر هذه الاية انه جل ذكره فرض
الفرايض على ما هو عنده حكمة ومصلحة لهم ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فوضعتم الاموال
على غير حكمة وقيل معناه لا تدرون لا يدري احدكم ابوه اقرب وفاة فينتفع ولده بماله ام الولد اقرب وفاة
فينتفع الوالد بماله واما قوله عز وجل فريضة من الله نصب على الحال والتوكيد من قوله يوصيكم ومعنى ان الله
كان عليما حكيما اي لم يزل كان عالما بالمواريث وغيرها حكيما حين قسمة المواريث على الحكمة قال سيبويه
كان القوم شاهدوا علما وحكمة فخوطبوا على قدر علمهم فقيل لهم ان الله كان عليما حكيما اي كان
ولم يزل على ما شاهدتم وعن الحسن البصري رضي الله عنه ان معناه كان الله عليما بالاشيا قبل خلقها
حكيما فيما يقدر من تدبيره فيها ويقال ان الخبر عن الله عز وجل في هذه الاشيا بالماضي كالخبر بالاستقبال
والحال لان الاشيا عنده تعالى على حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كائن قوله عز وجل ولكم نصف
ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث
كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك
فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم
معناه والله اعلم ولكم يا معشر الرجال نصف ما ترك نساؤكم ان لم يكن لهن ولد ذكر او انثى منكم او من
غيركم ولا لابنا بنيهن ولد فان كان لهن ولد يحوز الميراث من ذكر او انثى او ولد ابن منكم او من غيركم فلكم
الربع مما تركن من المال من بعد وصية يوصين بها او دين اي من بعد قضاء دين عليهن او امضاء وصية
اوصين بها من الثلث واما قوله عز وجل مما تركتم فمعناه وللنساء الربع مما تركتم ايها الازواج من المال
ان لم يكن لكم ولد يحوز الميراث من ذكر او انثى او ولد ابن منهن او من غيرهن فلهن الثمن مما تركتم من المال
من بعد قضاء دين عليكم او امضاء وصية اوصيتم بها من الثلث وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
يقول اذا كان للميت زوجة او زوج وابوان كان للام ثلث المال كاملا وقال لا اجد في كتاب الله عز
وجل ثلث ما بقي واما عامة الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجعلون فرض الباقي من الزوجين بعد موت
الاخر مضافا على كل الابوين ويجعلون للام ثلث ما بقي من المال بعد فرض الباقي من الزوجين
واما قوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة او امراة فمعناه ان من قرا يورث بنصب الرا فقد جعل يورث

من كلالة كلالة قال ابن عباس الكلالة ان يموت الرجل ولا ولد له ولا والد وهو قول ابي بكر وعمر وجابر وقتادة
والزهري رضي الله عنهم ان الكلالة اسم لما عدا الوالد والولد والظاهر ان هذا الاسم في اللغة من تكلل
النسب واحاطته ومنه الاكليل لاحاطته بالراس فيكون معنى الاية يورث بتكلل النسب والوالد
والولد جانبان من ذلك لانهما طرفان للرجل وهما اصل النسب وعموده الذي ينتهي اليهما فمن معنى الاحاطة
بما وراءهما وهو ان يتكلله النسب من الجوانب وينقطع اطرافه ومن قرا يورث بكسر الرا جعل الكلالة مفعولا
ومن حق المفعول ان يكون منصوبا والهاء في الكلالة تانيث الجمع وقوله تعالى وامراة عطف على قوله تعالى وان
كان رجل يورث معناه وان كان رجل او امراة يورث كلالة وقوله تعالى وله اخ او اخت لا خلاف بين
الامة ان المراد بالاخ والاخت في هذه الاية الاخ والاخت من الام دون الاب فلكل واحد منهما السدس
مما ترك الميت من المال وفي قراة ابي بن كعب رضي الله عنه وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وله اخ او
اخت لام ولهذا قالوا ان الاخ والاخت للام لا يرثان مع الولد وولد الابن ولا مع الاب والجد ابي الاب
ولو خلينا وظاهر اية الكلالة في اخر هذه السورة لكنا نقول ان الاخت من الاب والام لا ترث
مع ابنة الصلب ولكنا تركنا الظاهر بالخبر المروي عن عبد الله بن مسعود على نحو ما تقدم ذكره في الاية
التي قبل هذه الاية وذهب بعض المفسرين الى ان الكلالة اسم للميت وصفة له ودخول الهاء فيه كما يقال
علامة ونسابة قالوا والكلالة مصدر من كل يكل كلالة اذا اعيا فيكون معنى الاية يورث على تعب وكلال
واعيا من النسب ويقال يورث وهو كالمغشي عليه لا جانب الصعود ولا جانب الهبوط وقد يقام المصدر
مقام الاسم وروى طاوس عن ابن عباس ان الكلالة من عدا الولد وكان يورث الاخوة من الام مع
الاب وانما اخرج الولد من الكلالة لانه بعض الميت واما ابو الميت فليس بعضه فصار كالاخ من الاب
والام واما قوله عز وجل فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث معناه ان كانت الاخوة للام
اكثر من واحد فهم كلهم سوا في مقدار الثلث لا يفضل الذكر على الانثى ولا يزاد الاخوة من الام على الثلث
شيا وان كثروا وقوله عز وجل من بعد وصية يوصى بها او دين اي من بعد قضاء دين على الميت
او امضا وصية ان كان اوصى بها واما قوله عز وجل غير مضار نصب على الحال معناه يوصي بها الميت
غير مضار في حال وصيته بان يزيد على الثلث ويفضل بعض الورثة على بعض بوصية نفسه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث الا ان يجيزها
الورثة واما قوله عز وجل وصية من الله نصب على المصدر والتوكيد ومعنى والله عليم حليم بما دبر من هذه
الفرايض حليم حين عن عصاه بان اخره وقبل توبته ولا يعجل اخذه بما يناله العاصي فانه سبحانه في
الاخرة وقد اختلفت الصحابة رضي الله عنهم فيما اذا اجتمعت الفرايض وزادت على المال فروي ان عمر
رضي الله عنه اول من اعال الفرايض وقال ان ارى اقسم المال عليكم بالحصص يعني يضرب كل ذي حق بمقدار حقه
كالديون في التركة اذا كانت التركة لا تفي بديون كثيرة وهو قول ابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهما
وعن علي كرم الله وجهه انه سئل عن ابنتين وابوين وامراة فقال صار ثمنها تسعا وعن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما انه كان ينكر العول ويقول ينظر الى اشد اصحاب الفرايض في فريضته نصيبا فيدخل
النقص عليه قال وهم البنات والاخوات ينقلبن فرضهن بمخالطة البنين والاخوة قال عطا سمعت
ابن عباس يقول اترون الذي احصى رمل عالج عددا جعل في مال قسمه نصفا ونصفا وثلثا يعني اذا كان
للميت زوج واخت لاب وام واخ واخت لام قال لهذا النصف ولهذه الاخرى النصف فاين موضع
الثلث قال عطا فقلت له ان هذا لا يغني عنك ولا عني شيا لو مت او مت قسم ميراثنا على ما عليه
القوم من خلاف رايك قال ان شاوا فلندع ابناءنا وابناءهم ونساءنا ونساءهم وانفسنا وانفسهم ثم نبتهل فنجعل

الألوكة www.alukah.net

لعنة الله على الكاذبين ما جعل الله في مال نصفًا ونصفًا وثلثًا واختلف الصحابة رضي الله عنهم
في مسألة المشتركة وهي أن تخلف الميتة زوجها وأمها وإخوتها لأمها وإخوتها لأبيها وأمها فقال علي
وابن عباس وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم للزوج النصف وللأم السدس وللإخوة
من الأم الثلث وسقطت الإخوة والأخوات من الأب والأم وهذا أحد قولي أصحابنا رضي الله عنهم وقالوا
إن العصبة لا يرثون إلا ما بقي من أصحاب الفرائض واستدلوا بإجماع الصحابة كلهم على أن الميتة لو تركت زوجًا
وأمًا وأخًا لأم وإخوة وأخوات لأب وأم أن للزوج النصف وللأم السدس وللأخ من الأم السدس وما
بقي فللإخوة والأخوات من الأب والأم لأنهم لما أعطوا الأخ من الأم لا يدخلون مع الأخ للأم في نصيبه وكان
قول عمر رضي الله عنه مثل ما ذكرنا حتى احتج الإخوة من الأب والأم فقالوا له يا أمير المؤمنين لنا أب
ليس لهؤلاء ولنا أم كأمهم فإن كنتم حرمتمونا بأبينا فورثونا بأمنا كما ورثتم هؤلاء بالأم واحسبوا
أن أبانا كان حمارًا أليس قد تراكضنا في رحم واحد فقال عمر رضي الله عنه صدقتم فأشرك بينهم وهذا قول
مالك والشافعي رضي الله عنهما والله أعلم قوله عز وجل تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم معناه والله أعلم هذه فرائض
الله تعالى التي أمركم بها في المواريث وأمر اليتامى والحدود هي الأمكنة التي لا ينبغي أن تجاوز وقيل معناه تفصيل
الله عز وجل بين فروضه والحد هو الذي يفصل بين الشيئين ومنه حد الجدار وقوله عز وجل ومن يطع
الله ورسوله أي من يعمل بحدود الله عز وجل وحدود رسوله صلى الله عليه وسلم في أمر المواريث وغيره يدخله
بساتين تجري من تحت شجرها الأنهار ويقرأ ندخله بالنون والياء أقرب إلى لفظ الآية وقوله عز وجل خالدين
فيها نصب على الحال أي يدخلهم مقدرين الخلود فيها كما يقال مررت برجل معه باز صائدًا به غدًا أي
مقدرًا الصيد به غدًا ومعنى ذلك الفوز العظيم أي النجاة الوافرة فازوا بها في الجنة قوله عز وجل
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين معناه والله
أعلم ومن يعص الله ورسوله في قسمة المواريث فلم يقسمها وذلك أن المنافقين كانوا لا يعطون النساء
والصبيان الصغار من قسمة المواريث شيئًا ندخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب مهين قوله عز وجل
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن
في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما وجماعة من المفسرين في معنى هذه الآية أن النساء اللاتي يزنين من حرائركم من الثيبات
المحصنات فاطلبوا عليهن أربعة منكم من الشهود من أحراركم من المسلمين العدول فإن شهدوا عليهن
بالزنا فاحبسوهن في البيوت وهي السجون بيوت معروفة في المدينة حتى يتوفاهن الموت في الحبس أو يجعل
الله لهن سبيلا مخرجًا من الحبس قبل الموت وفي هذه الآية دليل أن القاضي لا يقضي بعلم نفسه في الحدود
وإنما يقضي بالإقرار أو بالشهادة لأن الله عز وجل أثبت الفاحشة في أول الآية ثم أمر باستشهاد أربعة
من الشهود واللاتي جمع على غير لفظ الواحدة وأما اللواتي فجمع على القياس كالفاعل والفواعل قوله عز
وجل واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابًا
رحيمًا قال ابن عباس رضي الله عنهما الفتى والفتاة اللذان لم يحصنا إذا أتيا الزنا فآذوهما بالسب
والتعيير لهما فيقال لهما زنيتما وفجرتما وانتهكتما حرمات الله تعالى وقيل عني بالذين يأتيانها البكرين
لأنهما الحدثان وأراد بالأذى الضرب بالنعال ومعنى فإن تابا من الزنا وأصلحا العمل بعد التوبة
وبعده فأعرضوا عنهما لا تشتموهما ولا تعيروهما إن الله عز وجل لم يزل متجاوزًا على التائبين رحيمًا
بهم بعد التوبة ويجوز أن يذكر كان في مثل هذا الموضع على وجه الصلة كما قال الشاعر

فكيف

١٤٢

فكيف إذا حللت ديار قوم ... وإخوان لنا كانوا كرام أراد وإخوان كرام والتي كان في الشعر
وأما الحد المذكور في هاتين الآيتين فكان مشروعًا في أول الإسلام حين كان النفي في الناس بمحل
الحد وكان الزانيان يعيران إلا المرأة المحصنة فإنها كانت تحبس في البيوت لا تزوج ولا تخلية عقوبة
لها إلى أن تموت أو يجعل الله لها سبيلا ثم نسخ هذا الحكم بما روي عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أنه قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة وكان هذا النسخ نسخ القرآن بالسنة ثم نسخ التغريب في البكر
عندنا بقوله عز وجل الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لأن ظاهر هذه الآية
تقتضي أن الجلد بيان لجميع الحكم المتعلق بالزنا إذ لو لم يجعل ذلك كذلك لكان قصورًا في البيان في موضع
الحاجة ونسخ جلد الزاني الثيب المحصن بحديث ماعز أن النبي صلى الله عليه وسلم رجمه ولم يجلده وعن
عمر رضي الله عنه أنه قال لولا أن الناس يقولون زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله عز وجل لكتبت
على حاشية المصحف أن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما نكالًا من الله عز وجل ويتوب الله على
من تاب وقال الشافعي رحمه الله جلد الثيب المحصن منسوخ وتغريب البكر غير منسوخ وعند
داود ومن تابعه من أصحاب الظاهر ليس شيء منهما منسوخًا ومن الفقهاء من يقول إن خبر عبادة ليس
بناسخ للقرآن لأن الله عز وجل أوجب الإمساك في البيوت إلى غاية وخبر عبادة ورد في بيان تلك
الغاية وأما من جعل هذا الخبر ناسخًا للآية فعلى معنى أن فيه إزالة حكم الآية بالخبر وهذا هو معنى
النسخ فإن قيل لو كان الرجم منقولًا من جهة الاستفاضة الموجبة للعلم لما أنكرته الخوارج بأسرها
قيل إن الخوارج لم تخالط المسلمين ولا نقلة الأحاديث وانفردوا عنهم ورد والأخبار
من أهل العلم في ظنهم وهذا لا يوجب قطع التواتر ألا ترى أن فرائض صدقات المواشي ثابتة
بالنقل المستفيض ولا يعرفها إلا فقيه قد سمعها أو صاحب مواشٍ تكثر البلوى بوجوبها وذهب
بعض المتأخرين من أهل التفسير أن المراد بقوله عز وجل واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم المرأة
تزني بالمرأة وتحريمهن الحبس أن يقضي الله تعالى لهن من يزوجهن ويقوم عليهن قال والمراد
بقوله عز وجل واللذان يأتيانها منكم الرجل يزني بالرجل وكان الحسن يقول إن الآية الثانية وإن
كانت متأخرة من الآية الأولى في التلاوة وهي أول ما نزلت فيها وهي منسوخة بالجلد وكان
حد الزاني في الابتداء الأذى باللسان وصار منسوخًا بالحبس في البيوت ثم صار الحبس منسوخًا بالجلد
والجلد واللذان يأتيانها منكم كناية عن الفاحشة والتصريح بذكر الفاحشة في الآية الأولى
ولا يجوز أن يسبق ذكر الكناية عن المكنى عنه قوله عز وجل إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليمًا حكيمًا معناه إنما
النجاة من الله تعالى بفضل الله تعالى من توبتهم للذين يعملون المعصية بجهالة ثم يتوبون من قبل أن
ينزل بهم سلطان الموت لا في وقت المعاينة فأولئك يقبل الله تعالى توبتهم وكان الله عليمًا
بأهل التوبة حكيمًا حكم بقبول التوبة وقد اتفق أهل التفسير أنه لا يجوز أن يكون معنى الجهالة المذكورة في
الآية أن لا يكون الرجل عاقلًا أو لا يعلم أن ذلك سيئة فإن ذلك ليس بذنب أو يكون الرجل معرضًا
ثم اختلفوا في معنى الجهالة قال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل ذنب
أذنب العبد فهو جهالة وجهلة فعلها وقال قتادة أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وإنما سميت المعصية جهالة وجهلًا لفعلها وقيل الجهل فاعلها بما يكون عليه من المضرة في
فعلها وما يكون من قدر العقاب عليها فإن الإنسان وإن كان يعلم استحقاق العقوبة على المعصية

الألوكة
www.alukah.net

ولا يعلم كنهها وتفصيلها كما يعلم استحقاق الثواب على الطاعة ولا يعلم تفصيله وقيل معنى الجهالة اختيار اللذة الفانية على الباقية وهذا تشبيه بالجاهل في الذم وقيل التخبط والتحير كما قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين ومعلوم ان الانبيا صلوات الله عليهم تعالى عن المعصية وعن هذا قال بعض اهل التفسير ان معنى الجهالة في هذه الاية ان تعمد المعصية وانما سمي جهالة لان المؤمن لا يقصد بالمعصية مخالفة الله تعالى ولكنه يعرض نفسه للعقوبة ويحملها على الخطر وذهب بعضهم الى ان معنى الجهالة ان يكون عاصيا وان جهل ان ذلك ذنبا اما متاولا او معرضا عن النظر مع التمكن من العلم بذلك والتحرز منه قالوا وانما دخل المتعمد للذنب في هذه الاية لان التوبة من العمد اوجب من التوبة عن ذنب المتاول وانما سمى الله تعالى ما قبل معاينة اسباب الموت قريبا لان كل ما هو ات قريب لان المرء لا يامن من المنية في كل وقت وساعة وكل ما يكون هذا صفته فهو موصوف بالقرب وروي عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال ان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال ان اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال ان الساعة لكثير من تاب قبل ان يغرغر نفسه تاب الله عليه وعن الحسن رضي الله عنه انه قال لما اهبط ابليس الى الارض قال بعزتك لا افارق ابن ادم ما دام الروح في جسده قال الله عز وجل وبعزتي لا احجب التوبة عن عبدي ما لم يغرغر بنفسه قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما معناه وليس قبول التوبة للذين يعملون المعصية مقيمين عليها حتى اذا عاين احدهم اسباب الموت من الشرق والنزع ومعاينة ملك الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون على الكفر اولئك خلقنا وهيانا لهم عذابا موجعا وهي النار التي هي مصيرهم اليها وذهب الربيع الى ان المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون ثم عطف الكافرين المجاهرين بالكفر على المنافقين واما حالة المعاينة فلا يعلمها الحاضرون للميت وانما يعلمها من حضرته تلك الحالة وانما لم تقبل التوبة عند المعاينة لانه يصير عند ذلك ملجا الى فعل الحسنات وترك القبائح ومن يكون بهذه الصفة لا يكون مكلفا لانه لا يستحق المحمدة على فعله ولا المذمة واذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبة ولهذا لا يكون اهل الاخرة مكلفين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

قال عبد الله بن عباس كانوا في الجاهلية واول الاسلام اذا مات رجل له امراة وله ولد من غيرها او وارث غيره الا ابن القى ثوبه عليها فورث نكاحها بالصداق الاول يقول انا ولي زوجك فورثتك فان كانت جميلة امسكها ودخل بها وان لم تكن جميلة طول عليها العدة منه فاتت كبيشة بنت معن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس الاسلت توفي وولي نكاحي ابنه حصن بن ابي قيس وقد اضرني وطول علي فلا هو ينفق علي ولا هو يخلي سبيلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعدي في بيتك حتى ياتي فيك امر فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها يا ايها الذين امنوا اقروا وصدقوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها واما قوله عز وجل ولا تعضلوهن فمعناه والله تعالى اعلم اذا لم يكن لكم حاجة في صحبتهن فلا تمنعوهن تخلية سبيلهن حتى يفتدين ببعض مالهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال الحسن وابو قلابة والشعبي هو الزنا اذا اطلع الرجل منها على زنا حل له ان يحبسها ولا يطلقها حتى تفتدي

بما اعطاها

بما اعطاها من المهر فيخالعها على ذلك وقال ابن عباس والضحاك وقتادة ان الفاحشة في هذه الاية النشوز واذا نشزت حل له ان ياخذ منها الفدية ومن قرا مبينة بكسر الياء فهي بمعنى مبينة وقوله وعاشروهن بالمعروف امر للازواج بعشرة نسائهم بالجميل وهو ان يوفيها حقها من المهر والنفقة والمبيت وترك اذاها بالكلام الغليظ والاعراض عنها والعبوس في وجهها بغير ذنب منها وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا فيه بيان الخيرة ربما كانت للعبد في الصبر على ما يكرهه يقول لعلكم ايها الازواج ان تكرهوا شيئا من صحبتهن اياكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا بان يرزقكم منهن الولد فتظهر بعد ذلك الالفة والموافقة وتنقلب الكراهة الفة والنفور تحببا وقيل المراد بالخير الكثير ما يستفيده الزوج من امور الاخرة وثوابها وحسن الذكر على تكلف الانفاق عليهن وقيل معناه عسى ان يقضي الله عز وجل بالفراق على وجه جميل فيستبدل المراة من هو خير لها منه ويستبدل بها من هي خير له منها وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق معنى هذه الاية وهو ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابغض الحلال الى الله جل ذكره الطلاق وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا ولا تطلقوا فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا معناه والله اعلم ان اردتم تخلية المراة واراد الرجل ان يستبدل مكانها اخرى ويريد واتيتم احداهن قنطارا اي مالا عظيما وقد تقدم تفسير القنطار والعرب فلا تاخذوا منه شيئا اي اذا لم يكن من المراة فاحشة من نشوز او زنا فلا تاخذوا منه شيئا مما اعطيتموها اتاخذونه بهتانا اي ظلما واثما مبينا ذنبا ظاهرا والبهتان هو الباطل الذي يتحير من بطلانه ومن ذلك سمي الكذب العظيم بهتانا لان الانسان يباهت به ويحير المكذوب عليه لعظمه واصل البهت التحير قال الله عز وجل فبهت الذي كفر اي تحير لانقطاع حجته وانما سمى الله تعالى اخذ المهر منها بغير حق بالبهتان لان الزوج لما استعمل المكر والخداع في اخذ ما اعطاها صار في الوزر بمنزلة من يكذب ويوهم ان الذي فعله حق قوله عز وجل وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا معناه كيف تستحلون اخذ شيء مما اتيتموهن وقد وصل بعضكم الى بعض قال ابن عباس الافضا كناية عن الجماع وقال جماعة من اهل التفسير اذا كان معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر والعدة وعن زرارة بن اوفى انه قال قضى الخلفا الراشدون المهديون انه من اغلق على امراة بابا وارخى سترا فقد وجب المهر والعدة وذكر الفرا ان الافضا هو الخلوة وان لم يقع دخول كانه ذهب الى ان الافضا ماخوذ من الفضا وهو المكان المتسع الذي ليس فيه بنا ولا حاجز يمنع ادراك ما فيه فسميت الخلوة افضا لوصول الزوج بها الى جميع ما يقصده من الوطي والدخول في موضع لا مانع فيه من ذلك والفرا احتج بما عليه من اللغة واما قوله عز وجل واخذن منكم ميثاقا غليظا معناه اخذن منكم عهدا وثيقا وهو ذكر المهر في النكاح وقيل هو ما اشترط الله تعالى للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وكان يقال للناكح في صدر الاسلام الله لتمسكن بمعروف او لتسرحن باحسان وفي الاية دليل ان الفرقة اذا وقعت بعد الدخول بوجه من الوجوه اما من قبل المراة او من جهة الزوج انه لا يسقط شيء من المهر قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا روي انهم كانوا بعد نزول قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها واذا رضيت المراة امسكها والمطلب برضاها على حكم النكاح واذا كرهها حرم الله تعالى ذلك عليهم بهذه الاية ومعناها لا تزوجوا ما تزوج اباؤكم من النساء وقيل لا

www.alukah.net

نظير قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم واسم النكاح يقع على العقد والوطء جميعا وهو في أصل اللغة الجمع بين الشيئين
تقول العرب أنكحنا الفرا فسنرى أي جمعنا بين حمار الوحش والأتان فسنرى ما يحدث بينهما و
هذا مثل يضربونه في الأمر يجتمعون فيه ويجتمعون عليه ثم ينظرون إلى ما يصير فكان الشيخ أبو
الحسن الكرخي يقول إن قوله ما نكح آباؤكم مراده الوطء دون العقد لأن حقيقة لفظ النكاح الوطء
إذ الجمع يحصل به لا بالعقد إلا أن العقد إنما سمي نكاحا مجازا لأنه سبب يختص بإباحة الوطء ويتوصل
به إليه كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان منه بسبب أو مجاورا له وإلا لما أوجبنا تحريم امرأة الابن إذا
لم يكن موطوءة بعد هذه الآية وقد اختلف أهل العلم في ثبوت حرمة المصاهرة في الزنا ولا خلاف بينهم
أن الوطء بالشبهة وبملك اليمين مع عدم النكاح يوجب من الحرمة ما يوجبه عقد النكاح وأنه لا تحل
للابن من الجواري ما وطئهن أبوه ولا ما مسهن أبوه بالشهوة في ملك اليمين وأما قوله عز وجل إلا ما
قد سلف فمعناه سوى ما قد سلف في الجاهلية من نكاح منكوحة الأب كان ذلك معفوا لكم
لا تؤاخذون به وهذا استثناء منقطع لأن الماضي لا يتعلق به إباحة ولا تحريم وهذا كما يقال لا تلق
فلانا إلا ما لقيت يراد بذلك لكن ما لقيت لا لوم عليك فيه وتأول بعض أهل التفسير إلا ما قد سلف
على أن المراد به إلا ما تزوجتموها منهن قبل نزول الآية فامسكوها وهذا خطأ لم يروا أن النبي صلى الله
عليه وسلم أقر أحدا على نكاح امرأة أبيه وإن كان في الجاهلية ولو كان أقر أحدا على ذلك لنقل و
استفاض وأما قوله عز وجل إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فذهب الزجاج إلى أنه لا يجوز
أن يجعل كان زائدة في هذا الموضع لأنها لو كانت زائدة لم تنصب خبرها كما لم تنصب في البيت
الذي تقدم ذكره وجيران لنا كانوا كرام ولكن المعنى أن نكاح امرأة الأب كان فاحشة فيما سلف
لأنهم كانوا يسمون هذا النكاح في الجاهلية نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي فأعلم
الله عز وجل أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكرا في قلوبهم ممقوتا عندهم والمقت هو البغض
عن أمر قبيح ركبه صاحبه والفاحشة اسم لما يقبح ذكره فيما بين الناس وذهب أهل التفسير إلى
أن المراد بالآية أنه فاحشة بعد نزول التحريم لأن مثل هذا لا يسمى فاحشة إلا بعد قيام حجة
السمع عليهم بتحريمه ولم تقم الدلالة على أن حجة السمع كانت قائمة عليهم من جهة الرسل المتقدمين
ولا يمتنع أن يكون لفظ كان عاملا في الخبر وإن لم يعمل فيه معناه فيكون نصب الخبر للفظ دون المعنى
وأما قوله عز وجل وساء سبيلا وهو لبيان التحريم وبيان أن نكاح امرأة الأب طريق سوء يؤدي
إلى جهنم وساء المصير نعوذ بالله منه وبالله التوفيق قوله عز وجل حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم
وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم
وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن
فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين
الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
حرم الله عز وجل من النساء أربع عشرة صنفا سبعة بالنسب وسبعة بالسبب وتلا هذه
الآية ثم قال والسابعة في قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف والمراد بالأمهات
في هذه الآية تحريم نكاح الأمهات ولا خلاف أن الجدات وإن بعدن محرمات لأن اسم الأمهات
يشملهن كما أن اسم الآباء يتناول الأجداد وإن بعدوا ومن أجاز حمل اللفظ الواحد على الحقيقة و
المجاز جميعا حرم الجميع بالآية ومن حمل الآية على الحقيقة خاصة حرم الجدات وبنات الأجداد بالإجماع
وأما قوله وبناتكم معناه نكاح بناتكم واسم البنات يتناول الأولاد وإن سفلن وقوله وأخواتكم يشتمل

على

على الأخوات من الأب والأم ومن الأب ومن الأم وأما وعماتكم فهن أخوات الآباء وخالاتكم أخوات الأمهات
وقد دخل في هذا تحريم عمات الأب والأم وخالات الأم والأب لأن اسم العمات والخالات يتناولهن فأما
بنات العمات وبنات الخالات فلا يسمين عمات ولا خالات فلا يدخلن في التحريم وأما بنات الأخ والأخت
فقد أفردهن الله عز وجل بالذكر لأن اسم الأخوات لا يتناولهن كما يتناول اسم البنات بنات الأولاد فحرم الله
عز وجل عليهن وهؤلاء السبع من المحرمات من جهة النسب بنص التنزيل ثم ذكر عز وجل تحريم الرضاع
فقال وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وفي هذا بيان أن اسم الأمومة والأخوة يثبت بالرضاع لأنا لو جعلنا قوله
تعالى وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم بمنزلة قول القائل وأمهاتكم اللاتي أطعمنكم وكسونكم لبطلت فائدة قوله اللاتي
أرضعنكم لأن في ابتداء الآية تحريم الأمهات على الإطلاق وأمهات الرضاع عطف عليه ثم وقد
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وعنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال لا رضاع بعد الفطام وقال عليه السلام لا تحرم المصة والمصتان من اللبن ما يحرم الحولان
الكاملان وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن عليها بعد نزول آية الحجاب
وكان عمها من الرضاعة قالت فأبيت أن آذن له حتى أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ليلج عليك فإنه
عمك فقلت إنما أرضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل فقال صلى الله عليه وسلم ليلج عليك فإنه عمك وكان أبو قعيس
زوج المرأة التي أرضعت عائشة رضي الله عنها وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل له امرأتان
أرضعت هذه غلاما وهذه جارية هل يصلح للغلام أن يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وفي
هذا إشارة إلى أن اللبن حصل من الرجل والمرأة فكان الحكم فيهما وفي لبن الفحل خلاف بين أهل العلم هل يوجب
التحريم أم لا يوجب والأكثر على أنه يوجب التحريم ثم ذكر الله عز وجل تحريم الصهار فقال عز من قائل وأمهات
نسائكم قال ابن عباس وعطاء وسعيد بن جبير رضي الله عنهم إن أم المرأة مبهمة تحرم على زوج ابنتها بنفس
العقد وأما قوله عز وجل وربائبكم اللاتي في حجوركم فمعناه وبنات نسائكم من غيركم والربيبة المربوبة
حيث ربيبة لأن زوج المرأة هو الذي يربيها في العادة كما يقال قتيل بمعنى مقتول وقد يسمى زوج المرأة
ربيبا بمعنى الراب كما يقال شهيد بمعنى شاهد وخبير بمعنى خابر وروي عن علي كرم الله وجهه أن الربيبة
إذا لم تكن في حجر زوج الأم وكانت في بلد آخر ثم فارق الزوج الأم بعد الدخول أنه جائز له أن يتزوجها
إلا أن هذه الرواية لم تثبت ولم ينقلها أهل الحديث ولا خلاف اليوم بين أهل العلم أن ربيبة زوج المرأة
ابنتها وكونها في حجره لا يكون شرطا في تحريمها عليه إلا أن الله عز وجل ذكر الحجور في هذه الآية على عادة
الناس لأن الأعم الأكثر أن زوج الأم هو الذي يربي بنتها فخرج الكلام على وفق العادة دون الشرط وهذا
كقوله عز وجل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد ومعلوم أن المعتكف لا يحل له الجماع وإن كان
قد خرج من المسجد لحاجة إلا أن الغالب من حال العاكف أن يكون في المسجد فقرنه بذكر المساجد وأما
قوله عز وجل من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فمن الناس من رد هذا الشرط على قوله من نسائكم وعلى قوله
وأمهات نسائكم فشرط الدخول بالنساء في المسألتين في ثبوت التحريم المذكور في الآية على معنى أن الله عز
وجل عطف حكما على حكم وعقبهما بشرط الدخول بقوله اللاتي دخلتم بهن وهو قول بشر بن غياث وغيره
إلا أن هذا لا يصح لأن قوله عز وجل وأمهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها وقوله عز وجل وربائبكم مع ما فيه من
شرط الدخول جملة أخرى مستقلة بنفسها فلم يجز بناء إحدى الجملتين على الأخرى ولو جعلنا شرط الدخول
راجعا إلى الأول لخصصنا عموم اللفظ الأول بالشك قال أهل النحو إن لفظ نسائكم من قوله وأمهات نسائكم
مخفوض بالإضافة وقوله من نسائكم مخفوض بحرف الجر ولا ينصرف الشرط إلا إلى الثاني فإن من قال الآخر مررت
بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات لم يكن هذا النعت إلا لنساء زيد لأن كل واحد منهما عمل في النساء

معمول له أبدًا على جميع فلو صرف النعت إليهما لصار معمولًا لعاملين وأما قوله عز وجل فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فإن لم تكونوا دخلتم بنسائكم فلا حرج عليكم في تزويج الربائب إذا طلقتم أمهاتهن قبل الدخول أو ماتت أمهاتهن قبل دخول الزوج بهن روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول لا تحرم أم المرأة بنفس العقد فلما قدم المدينة كلمه في ذلك عمر وعلي رضي الله عنهما فقالا إنها مبهمة فرجع إلى قولهما وأما قوله عز وجل وحلائل أبنائكم معناه ونكاح نساء أبنائكم الذين من أصلابكم وإنما سميت امرأة الابن حليلة لأنها تحل معه في الفراش فيكون هذا الاسم من الحلول وقيل سميت حليلة لأنها محللة له أي حلال وأما أمة الابن فلا تسمى حليلة له ولا تحرم على الأب إلا بعد أن يطأها الابن وقوله عز وجل من أصلابكم ليس هو على ما ظن بعض الناس أن شرط الصلب في هذه الآية لإخراج امرأة الابن من الرضاع عن التحريم لأن امرأة الابن من الرضاع بمنزلة امرأة الابن من الصلب في الحرمة وإنما شرط الله تعالى وهو أعلم كون الابن من صلبه لإخراج امرأة الابن من التبني عن التحريم فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج امرأة زيد بن حارثة بعد ما فارقها زيد تكلم فيه المشركون وقالوا إن محمدا صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ثم تزوج امرأته وكانوا يجعلون الابن المتبنى بمنزلة الابن من الصلب في الميراث والحرمة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله تعالى ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله وأما قوله عز وجل وأن تجمعوا بين الأختين فهو في موضع الرفع ومعناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الأختين وهذا يقتضي تحريم الجمع بينهما في النكاح وصورة الجمع أن يتزوج الرجل الواحد الأختين معا أو يتزوج أختين في عقدين ثم لا يدري أيتهما كانت هي الأولى وأما إذا تزوج امرأة ثم تزوج بعد ذلك أختها وهو يعلم الثانية فنكاح الثانية حرام لأن الجمع حصل بالثانية دون الأولى ومن الجمع أيضا أن يجمع بين وطء الأختين في ملك اليمين وقد كان في هذا خلاف بين السلف ثم زال وحصل الإجماع على التحريم روي أن رجلا سأل عثمان رضي الله عنه عن الجمع بين وطء الأختين في ملك اليمين فقال حرمتهما آية يعني هذه الآية وأحلتهما آية يعني قوله إلا ما ملكت أيمانكم وأما أنا فلا أفعله فخرج الرجل من عنده فلقي عليا كرم الله وجهه فذكر ذلك له فقال لو أن لي من هذا الأمر شيئا لجعلت على من فعل ذلك نكالا فغلب الفقهاء جهة التحريم على جهة الإباحة ومن الجمع بين الأختين أيضا أن يتزوج أحدهما والأخرى في عدة منه في طلاق بائن أو رجعي لأن … بينهما في … ووجوب النفقة والسكنى ونحو ذلك من أحكام النكاح كما أن الجمع في الوطء حكم من أحكام النكاح وعند … من أهل العلم أن المعتدة إذا كانت معتدة من طلاق بائن أو ثلث حل للرجل أن يتزوج أخت معتدته هذا والله أعلم وأما قوله إلا ما قد سلف فمعناه إلا ما مضى في الجاهلية فإنه معفو لكم إذا أسلمتم عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى من النساء إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين لأن الله تعالى قال في هذين الفصلين إلا ما قد سلف وقوله عز وجل إن الله كان غفورا رحيما معناه أن الله غفور رحيم لا يؤاخذكم بما كان منكم قبل التحريم وقد ألحق الفقهاء بالجمع بين الأختين ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أختها ولا على ابنة أخيها إلى … الخبر إلا أن منهم من عول على هذا الخبر فقال هو خبر تلقته الأمة بالقبول فيجوز الزيادة بمثله على الكتاب ومنهم من قال هو مفهوم من تحريم الجمع بين الأختين لأنهما شخصان لو قدرنا أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحل النكاح بينهما من الطرفين فكانا في معنى الأختين وبالله التوفيق قوله عز وجل والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم

به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما أورد هذه الآية عطفا على الآية المتقدمة المعنى وحرم عليكم ذوات الأزواج اللاتي أحصن بالأزواج إلا ما ملكت أيمانكم أي الإماء أفاء الله عليكم من السبايا روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن المسلمين أصابوا يوم أوطاس سبايا لهن أزواج من المشركين فتأثم المسلمون من وطئهن وقالوا لهن أزواج في دار الحرب فأنزل الله تعالى هذه الآية فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرين بحيضة ولا يجوز أن يقال سبايا أوطاس كن وثنيات ولم يحللن للمسلمين لأن الوثنية إذا عرض عليها الإسلام فأسلمت حلت للمسلمين أو وقعت الفرقة بينها وبين زوجها وذهب بعض الصحابة وهو أبي بن كعب وابن مسعود وجابر وغيرهم إلى أن الأمة إذا خرجت من ملك مولاها إلى ملك رجل آخر حرمت على زوجها بأي سبب خرجت حتى روي عن عبد الله بن عباس أنه قال طلاق الأمة ست طلاقها وبيعها وهبتها وميراثها وسبيها وصدقتها وأنكر عمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم هذا القول وقالوا إنما نزلت هذه الآية في السبايا خاصة بدليل ما روي أن عائشة رضي الله عنها اشترت بريرة وأعتقتها فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان زوجها عبدا أسود يسمى مغيثا وعن عبد الله بن مسعود في المشتراة روايتان وروي عن عبد الله بن عباس في رواية أخرى مثل قول عمر وعلي رضي الله عنهم وقال مالك والشافعي إذا سبيت المرأة بانت من زوجها سواء كان معها زوج أو لم يكن إسنادا إلى ظاهر قوله عز وجل إلا ما ملكت أيمانكم ولا يخلو مراد الله تعالى في المعنى الموجب للفرقة في المسبية من أحد وجهين إما اختلاف الدارين أو حدوث الملك في المرأة بالسبي ولما ذكر الله تعالى آية التحريم في سورة الممتحنة ورفع الجناح عن نكاح المهاجرات علم أن المعنى الموجب للفرقة في المسبية تباين الدارين ولو كان قوله عز وجل إلا ما ملكت أيمانكم على ظاهر العموم لكان يقع الفرقة بحدوث الملك بالشراء ونحوه وقد وافق الخصم على أنه لا يقع الفرقة بذلك وأما قوله عز وجل كتاب الله عليكم فمعناه هذا ما حرم الله تعالى عليكم في الكتاب وقوله كتاب الله منصوب على التوكيد أي كتب الله عليكم في الكتاب هذا ما حرم الله تعالى عليكم في الكتاب وقوله كتاب كتابا ويجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر أي الزموا كتاب الله وقيل إن العامل فيه عليكم المحذوفة دون الملفوظ تقديره عليكم كتاب الله أي تمسكوا بكتاب الله عليكم وأما قوله وأحل لكم ما وراء ذلكم فمعناه حل لكم ما سوى المحرمات من قرأ أحل بالنصب فهو نسق على قوله كتاب الله عليكم ومن قرأ بضم الهمزة وكسر الحاء فهو معطوف على قوله حرمت عليكم أمهاتكم وقوله تعالى أن تبتغوا بأموالكم معنى أحل لكم نكاح ما سوى المحرمات أن تطلبوا بأموالكم ناكحين أعفاء عن الزنا وفي هذا دليل أن بدل البضع لا يجوز إلا أن يكون مالا وما يستحق به تسليم مال ولهذا قال أصحابنا إن تعليم القرآن لا يجوز أن يكون ما لا
صداقا عند أبي حنيفة ولو جاز ذلك لجاز التزويج على تعليم الإسلام وذلك باطل بالإجماع وكذلك خدمة الزوج لا يكون صداقا عند أبي حنيفة وأبي يوسف وفي تقدير الصداق خلاف بين أهل العلم روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال لا مهر أقل من عشرة دراهم وهكذا روي مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه أخذ أصحابنا وقال مالك أقل المهر ربع دينار وقال الشافعي يجوز بقليل المال وكثيره وأصل الإحصان في اللغة من المنع ومنه سمي الحصن حصنا لأنه يمنع من العدو ومنه الدرع الحصينة أي المنيعة والحصان بكسر الحاء الفحل من الخيل لأنه يمنع راكبه من الهلاك والحصان بالفتح العفيفة من النساء لمنعها فرجها من الفساد قال حسان في عائشة رضي الله عنها

الألوكة www.alukah.net

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل واما الاحصان فى القران فهو يقع
على معان مختلفة منها النكاح كما فى اول هذه الاية ومنها الحرية كما فى قوله عز وجل والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومنها الاسلام كما فى قوله عز وجل فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن
نصف ما على المحصنات معناه اذا اسلمن ومنها العفة كما فى قوله عز وجل والذين يرمون المحصنات
ويتعلق بالاحصان الشرعى حكمان احدهما ايجاب الحد على قاذف المحصنة ويعتبر فى ثبوت احصان
المقذوف العفاف والحرية والاسلام والعقل والبلوغ فلا يجب الحد على قاذف المجنون والصبى والزانى
والكافر والعبد والاخر هو الاحصان الذى يتعلق به الرجم اذا زنى ويعتبر فى ثبوت ذلك الاحصان
الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والنكاح الصحيح مع الدخول بالمراة وهما جميعا على هذه الصفة
فان عدم شى من هذه الخصال فى الزانى لم يكن عليه الرجم واصل السفاح من سفحت الما اذا صببته
ومنه سفح الدم والدمع ويسمى اسفل الجبل سفحا لانه موضع مصب الما وانما سمى الزنا سفاحا
لانه يسفح الما بالباطل من غير ان يتعلق بذلك الما حكم ثبوت النسب ووجوب العدة وساير
احكام النكاح واما قوله عز وجل فما استمتعتم به منهن روى عن ابن عباس وعطا وسعيد
بن جبير رضى الله عنهم ان معناه فما استمتعتم بنكاح الذى ابيح لكم منهن فاعطوهن اجورهن
فريضة من الله لهن عليكم والفرض ما يكون لازما فى الايجاب عن الله عز وجل وهذا لا يجوز اسقاط
المهر فى ابتدا العقود وعن ابن عباس فى رواية اخرى ان المراد بالاستمتاع الاستمتاع بالنكاح و
بالمتعة الى اجل ويروى عنه انه سئل عن المتعة اسفاح ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قيل فما هى قال
المتعة كما قال الله تعالى قيل هل لها من عدة قال نعم عدتها حيضة قيل هل يتوارثان قال لا ثم روى
عن ابن عباس انه رجع عن القول بالمتعة وقال عند موته اللهم انى اتوب من قولى بالمتعة وقولى فى الصرف
فى درهم بدرهمين يدا بيد وعن عمر رضى الله عنه انه خطب حين ولى فقال ايها الناس ان الله
احل لنا المتعة ثلثا ثم حرمها وانا اقسم بالله تعالى لا اجد من تمتع الا رجمته الا ان ياتى باربعة يشهدون
انه صلى الله عليه وسلم احلها بعد ان حرمها وعنه ايضا انه قال لا اوتى برجل تزوج بامراة الى اجل
الا رجمته بالحجارة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان المتعة كانت رخصة لاصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم فى غزاة شكوا فيها العزبة ثم نسختها اية النكاح وانما سمى الله تعالى المهر اجرا لانه بدل
عن المنافع كما يسمى بدل منفعة الدار والدابة اجرا ومن هذا استدل ابو حنيفة رحمه الله
ان من استاجر امراة ليزنى بها فزنى بها فلا حد عليه وجعل قول الرجل لها استاجرتك بمنزلة
قوله امهرتك وقد روى عن عمر رضى الله عنه ما يدل على سقوط حد الزنا فى الاجارة واما
قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة معناه لا اثم عليكم فيما تراضيتم
به من الزيادة والنقصان فى المهر بعد الفريضة وابتدا النكاح وفى هذا دليل جواز الحاق
الزيادة بالعقد خلاف ما قاله زفر والشافعى رحمهما الله ان الزيادة تكون هبة مبتداة لا
تملك الا بالقبض فان قيل لو لحقت الزيادة بالمهر بعد النكاح لتنصف بالطلاق قبل الدخول
قيل ما لا يكون مسمى فى نفس العقد يسقط بالطلاق قبل الدخول وان كان لاحقا بالعقد
قبل الطلاق كمهر المثل يجب بعد الدخول او الموت ويسقط بالطلاق قبل الدخول ومعنى ان
الله كان عليما حكيما ان الله عليم بما يصلح امر العباد حكيم فيما امركم به ونهاكم عنه قوله عز وجل
ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن

بالمعروف

بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة
فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد رضى الله عنهم ان المراد بالطول الغنا والسعة ومعنى
الاية ومن لم يستطع منكم غنى وقدرة اى من لم يجد مالا يتزوج به الحراير فلينكح مما ملكت ايمانكم ان
يتزوج بعضكم ولايد بعضهم من ايامكم وقال جابر بن زيد وربيعة وابرهيم النخعى ان المراد بالطول الهوى
اى من لم يقدر منكم على نكاح الحراير هوى اى عشقا بامة من الاما لا يتسع قلبه لتزوج الحرة فليتزوج
بالامة التى هواها من الاما المومنات ومعنى والله اعلم بايمانكم اى هو اعلم بحقيقة الايمان وانتم تعرفون
الظاهر وليس عليكم ان تفتشوا عن الباطن بعضكم من بعض والدين ويقال بعضكم من بعض فى النسب
اى كلكم ولد آدم عليه السلام وانما قال ذلك لان العرب كانت تطعن فى الانساب وتفخر بالاحساب
وتعير بالهجنة ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله عز وجل ان الامة فى جواز نكاحها كالحرة بذلك
وقوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن اى انكحوا الولايد باذن مواليهن واعطوهن مهورهن
يعنى باذن اهلهن بالمعروف اى مهر امثالهن البتى وهو ان يكون عشرة دراهم فما فوقها محصنات
يعنى العفايف قرا الكساى وحده محصنات بكسر الصاد حيث كان هذا اللفظ فى القران الا قوله
عز وجل والمحصنات من النسا وهكذا روى حفص بن سعد عن ابن كثير وقرا الباقون كلهم بفتح
الصاد فى جميع القران وقوله عز وجل غير مسافحات اى غير زانيات معلنات بالزنا ولا متخذات
اخدان اى اخلا فى السر وذلك لان اهل الجاهلية كان فيهم زوان بالعلانية لهن رايات منصوبة
وبعضهن اتخذن اخدانا فى السر قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فيهم من يحرم ما ظهر من الزنا
ويستحل ما خفى منه فنهى الله عز وجل من نكاح الفريقين جميعا وقوله عز وجل فاذا احصن
قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه اى الاما اذا اسلمن وتزوجن ومن قرا فاذا احصن بضم الهمزة
فمعناه اذا زوجن واحصن بالازواج فان اتين بفاحشة يعنى الزنا فعليهن نصف حد الحراير
خمسون جلدة لان الحراير من اهل الخطاب اذا لم يكمل احصانهن بالنكاح والدخول فيه والاسلام الحد
كان حدهن فى الزنا جلد مائة فاذا كمل فالحد الرجم والمراد بهذه الاية تنصيف الحد لان الرجم لا
نصف له وكان يقول ان الامة لا يجب عليها الحد اذا زنت وان اسلمت حتى تتزوج وقال
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ومعنى اذا احصن بالفتح اسلمن وجعل عليها الحد اذا اسلمت
وزنت وان لم تتزوج وهكذا روى عن عمر رضى الله عنه قال الحسن رضى الله عنه تحصينها الاسلام
وتحصينها التزوج وذهب عامة الفقها رحمهم الله الى ان الاسلام والتزوج لا يكونان شرطا
فى وجوب حد الجلد على الامة فانها وان لم تكن محصنة بالاسلام والتزوج فانه عليها نصف
حد الحرة اذا زنت واستدلوا بما يروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن الامة اذا زنت ولم تحصن فقال صلى الله عليه وسلم ان زنت فاجلدوها
ثم ان زنت فاجلدوها ثم ان زنت فبيعوها ولو بضفير فان قيل فما
فايدة شرط الاحصان فى قوله عز وجل فاذا احصن والامة تجلد حد الزنا سواء كانت محصنة
بالاسلام والتزوج او لم تكن قيل فايدة ذكر احصان الاما ان حد الحرة يختلف بالاحصان
وعدم الاحصان وكان يجوز ان يتوهم متوهم ان حد الامة يختلف ايضا بالاحصان بالاسلام
والتزوج كما يختلف حد الحرة بذلك فاوجب الله ذلك الحد بالجلد فى الحالة التى يجب فيها
الرجم على الحرة ليعلم ان الاما لا مدخل لهن فى الرجم والله اعلم ومعنى ذلك لمن خشى العنت منكم

او تزوج الاماء الرضا بنكاحهن عند عدم طول الحرة لمن خشي الزنا منكم ويقال لمن خشي الضرر في الدين
والدنيا منكم وان تصبروا عن نكاح الاماء خير لكم وانما قال ذلك لان ولد الامة يكون رقيقا لمولى الامة ولانها
تستخدم في الحاجات وبين ايدي الرجال والاجانب وانما قوله عز وجل والله غفور رحيم فمعناه
غفور لما اصبتم من الحرمات بعفوها لكم بعد التوبة رحيم لا يعجل العقوبة على المذنبين والطول في
اللغة ماخوذ من الطول الذي هو خلاف القصر لانه ينال بالغنا معالي الامور كما ينال بالطول ما لا يناله
القصير ومن ذلك التطول وهو الافضال بالغنا ويقال طال فلان فلانا يطول طولا اذا كان له فضل
عليه في القدر واصل الفتى في اللغة الشاب والفتاة الشابة الا ان الامة تسمى فتاة عجوزا
كانت او شابة لان الامة لا توقر توقير الحرة الكبيرة والاخدان جمع الخدن والخدن والخدين الصديق
والعنت في اللغة المشقة الشديدة ويسمى الزنا بهذا الاسم لان الذي يعمله يلحق الاثم العظيم في الاخرة
ويقام عليه الحد في الدنيا وقد تعلق اصحاب الشافعي رحمهم الله بظاهر هذه الاية فقالوا اذا كان عند الرجل
من المال مقدار ما يمكن ان يتزوج به الحرة لا يجوز له ان يتزوج الامة قالوا ولا يجوز للمسلم ان يتزوج بالامة
اليهودية ولا النصرانية ولا يجوز للحر ان يتزوج اكثر من امة واحدة لان خوف العنت يزول بنكاح امة
واحدة قالوا ويجوز ان يتزوج على الحرة لان هذه الاية خطاب للاحرار لان الله تعالى قال فمن ما ملكت ايمانكم للعبد
وليس هذه الاية عند اصحابنا رحمهم الله على طريق الشرط ولكن معناها من لم يبسط الله تعالى له في الرزق
فلم يرغب فيما قسم الله له ولم يقعد دون النكاح ان لم يقدر على اعلاها كما قال الله تعالى لينفق ذو سعة من
سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وكما قال عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فواحدة وفي
قوله عز وجل من فتياتكم المؤمنات بيان ان الامة المؤمنة خير من الحرة الكتابية ولو كان جواز نكاح
الامة للحر معلقا بحال الضرورة وخوف العنت لكان الحر اذا تزوج حرة على الامة يبطل نكاح الامة ولا
خلاف ان نكاح الحرة اذا طرا على نكاح الامة لا يبطل نكاح الامة وعن ابي يوسف رحمه الله انه تاول
هذه الاية على ان وجود الطول هو كون الحرة على ما ورد به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تنكح الامة على الحرة وتنكح الحرة على الامة وهذا تاويل صحيح لان كل امر لا يكون عنده حرة فهو غير مستطيع
للطول اليها لان القدرة على المال لا توجب ملك الوطي الا بعد وجود النكاح والله اعلم قوله عز وجل
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم
معنى الاية والله اعلم يريد الله ان يبين لكم ما تحتاجون الى معرفته من الحلال والحرام وكيفية الطا
ويبصركم طريق الذين من قبلكم من اهل التوراة والانجيل يدلكم على طاعته كما دل من قبلكم ويقال يعلمكم طريق
الذين من قبلكم من اهل الصلاح والفساد لتقتدوا بالصالحين ويتوب عليكم اي يتجاوز عنكم ما كان منكم
في الجاهلية والله عليم بما فعلتم ومن يتوب منكم حكيم فيما امركم به ونهاكم عنه وقد اختلف اهل النحو في اللام
التي في قوله عز وجل ليبين لكم فقال بعضهم معناها ان يبين لان الارادة والامر لا يكونان الا للمستقبل وقال
بعضهم اللام مع ما بعده في حكم المصدر والمعنى ارادة الله عز وجل تبيين لكم وكذلك وامرنا لنسلم لرب العالمين
اي امرنا بالاسلام لرب العالمين ويقال في معنى الاية يريد الله تعالى ما يريد ليبين لكم وامرنا ما امرنا لنسلم لرب
العالمين وكذلك في قوله عز وجل ردف لكم اي ردف لكم ما ردف لكم قوله عز وجل والله يريد ان يتوب عليكم
ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما معناه والله يريد ان يدلكم
على ما يكون سببا لتوبتكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والمبطلون ان تعدلوا عن القصد والصواب
وتخطئوا خطا عظيما وانما سمي المبطل متبعا للشهوات لان اتباعه الشهوة من غير ان يرجع الى الحق يوقعه
في الباطل وقال السدي اراد بالذين يتبعون الشهوات اليهود والنصارى ويقال اراد به اليهود خاصة

وقال

وقال مجاهد اراد به الزناة واللفظ عام في الجميع قوله عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم
وخلق الانسان ضعيفا معناه يريد الله ان يسهل عليكم فيضع اوزاركم ويحط ذنوبكم و
خلق الانسان ضعيفا لا يستطيع الصبر عما يهواه ويقال يعني ضعيفا اسير الشهوة وفي الاية
بيان ان الله عز وجل انما خفف في تكليف العباد لضعفهم واراد بالضعف ان يضعف الرجل في احتمال
خلاف هواه لكثرة دواعيه الى الشهوة واللذة لا ان يكون ضعيفا في الخلقة لان الضعيف في الخلقة
والقوي اذا قويت دواعيه الى الطاعة صار في حكم القوي والقوي في الخلقة والالة اذا ضعفت دواعيه
الى الطاعة صار في حكم الضعيف قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما
معناه يا ايها الذين صدقوا بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم لا ياكل بعضكم مال بعض بالظلم والخيانة
والزور ونحو القمار والربا والغصب وغير ذلك وقوله عز وجل الا ان تكون تجارة استثناء منقطع لان
المستثنى خلاف جنس المستثنى منه لا يدخل الحلال في ذكر الحرام حتى يستثنى منه فيكون معنى الا لكن كانه
قال لكن كلوا ما ملكتم بالمبايعة عن تراض منكم من قرا تجارة بالنصب فمعناه الا ان تكون الاموال تجارة
ومن قرا بالرفع فمعناه الا ان تقع تجارة وقيل ان معنى قراة الرفع اولى لانها ادل على الانقطاع من الاولى
روي انه لما نزلت هذه الاية امتنع الناس عن اكل الاموال بالهبة والهدية والضيافة ونحوها
فانزل الله عز وجل الاية التي في سورة النور ليس على الاعمى حرج الى قوله عز وجل ان تاكلوا من بيوتكم
او بيوت اباءكم وانما قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم فمعناه لا يقتل بعضكم بعضا فانكم اهل دين
واحد ولكم كنفس واحدة كما ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمنون كلهم كنفس
واحدة اذا اشتكى عضو تداعى سائر الاعضاء بالحمى والسهر وفي بعض الروايات المؤمنون كالبنيان
يشد بعضه بعضا ونظير هذه الاية قوله عز وجل فسلموا على انفسكم ويقول العرب قتلنا ورب الكعبة
اي قتل بعضنا بعضا وقال بعض المفسرين معنى قوله ولا تقتلوا انفسكم لا يقتل الرجل نفسه عند الضجر والغضب
ويقال معناه ولا تقتلوا انفسكم لطلب المال وهو ان يحمل نفسه على الغرر المؤدي الى التلف وربما يقصد ذلك
الى سبب القتال فيصير هو سببا الى قتل نفسه ومعنى ان الله كان بكم رحيما اي لا يرضى منكم قتل بعضكم بعضا
ولا اكل المال بالباطل فيرجع ضرره عليكم في الدين والدنيا قوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما
فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا معناه اي من ياكل المال بالباطل او يقتل النفس بغير
ذكره عدوانا اي يعني عمدا وجورا بغير حق والعدوان ان يعدو عما امر به والظلم ان يضع الشيء غير موضعه
يعني اذا فعل ذلك على وجه التعمد فسوف ندخله في الاخرة النار وكان التعذيب على الله سهلا ليسا
لا يمنع كثرة رحمته من تعذيب من يستحق العذاب قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما معناه ان تركوا كبائر الذنوب جانبا
نكفر عنكم الصغائر كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى
الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنب الكبائر وندخلكم مدخلا كريما يعني الجنة والكبائر ما كبر
وعظم من الذنوب قال ابن عباس رضي الله عنهما كل شيء سمى الله تعالى فيه النار لمن عملها او شيء نزل
رجل فيه حد في الدنيا وروي ان رجلا اتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال اني اصبت ذنوبا فاحببت ان تعد
الكبائر فعد عليه سبعا فقال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واكل الربا واكل مال
اليتيم وقذف المحصن واليمين الفاجرة قال طاوس رحمه الله قيل لابن عباس رضي الله عنهما الكبائر
السبع قال هي الى السبعين اقرب منها الى السبع وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الكبائر

الألوكة www.alukah.net

الا الهة الاياس من روح الله والقنوط من رحمة والامن من مكر الله والشرك بالله تعالى مقاتل جملة
الله الكباير ما نهى الله تعالى عنه في اول هذه السورة الى اخر هذه الاية وقيل لا كبيرة مع
الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وليس في الحقيقة ههنا حد يفصل به بين الصغاير والكباير
ولا يحسن في الحكمة توقيف العباد على الصغاير لانه يكون في ذلك اغرا بالصغاير من حيث ان الانسان
اذا علم ان الصغاير تقع مغفورة ارتكبها ولم ينته عنها وليس المراد بالاخبار الواردة في هذا الباب
حصر الكباير على ما هو مذكور فيها فان قيل اذا لم يكن بين الامرين حد يفصل بينهما فكيف يجوز تعليق
تكفير الصغاير باجتناب الكباير قيل ان الله عرفنا جميع المعاصي ونهانا عنها وحذرنا عن ركابها
فلا يحصل الوثوق باجتناب الكباير الا بالتحرز عن جميع الذنوب وهذا كالرجل يخبر ان واحدا عن واحد
من العشرة بعينه لا يحصل له التحرز عن ذلك الواحد الا بالتحرز عن جميع العشرة وقوله مدخلا يقرا
بضم الميم وفتحها فمن قرا بضم الميم فهو اسم موضع الادخال من ادخل يدخل وهذه القراءة مطابقة اللفظ
لانه يقال ادخل مدخلا ومن قرا بالفتح فهو موضع الدخول قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسالوا الله من فضله
ان الله كان بكل شيء عليما قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى هذه الاية لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا
شيا مما لغيره ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله وهو كذلك في التوراة للرجال حظ من الاجر مما اكتسبوا
من العمل الصالح وللنساء حظ من الاجر مما عملن من العمل الصالح واسالوا الله من رزقه ان الله لم
يزل بكل شيء من اعمال الرجال والنساء عالما قال الكلبي رضي الله عنه وفيها وجه اخر قالت الرجال
ان الله فضلنا على النساء في الدنيا فلنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاعمال
ولهن اجر واحد كما فضلنا عليهن في الميراث فقالت ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ونسوة
معها ليت الله تعالى كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فانزل الله عز
وجل هذه الاية يقول ان المراة تجزى بحسناتها عشر امثالها كما تجزى الرجل وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه اذ اقبلت امراة
حتى قامت على راسه صلى الله عليه وسلم ثم قالت يا رسول الله انا وافدة النساء اليك ليس من امراة يبلغها
مسيري اليك الا اعجبها ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل رب النساء ورب الرجال
وادم عليه السلام ابو الرجال وابو النساء وحوا عليها السلام ام الرجال وام النساء وبعثك الله عز وجل
الى الرجال والى النساء فالرجال اذا خرجوا في سبيل الله فقتلوا فهم احياء عند ربهم يرزقون وحين
واذا خرجوا فلهم من الاجر مثل ما قد علمت ونحن نحبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الاجر من شيء
فقال صلى الله عليه وسلم اقري النساء مني السلام وقولي لهن ان طاعة الزوج واعترافا بحقه يعدل
ما هنالك وقليل منكن يفعله * ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر المعاصي من القتل
والظلم واخذ مال الغير بغير حق ونحو ذلك انما يكون التمني ولما ذكر الله تعالى من قتل ما يحرم وتحلى من
النساء والاموال وغيرها بين ما يكون تاديبا لاهل الدين فيما يتمنون ويسالون فحرم ان يتمنى امرء بعض
ما فضل الله به البعض على البعض وهو ان يتمنى ان يزول نعمة غيره اليه وهو الحسد المذموم الذي
لم يعط الله تعالى ثوابا بشاهده من فضل غيره عليه لان هذا التمني لا يقدر على نقل النعيم من غيره الى نفسه
واذا تمنى ذلك فانما يتمنى ان يفعله الله عز وجل اليه والقادر على نقله هو القادر على ابتدا المتفضل عليه
بعطاياه وكرمه ولو علم الله عز وجل ان مصلحة هذا المتمني في اعطائه ما اعطى الاخر لاعطاه
لانه لا يمنع من بخل ولا عدم وانما يمنع لحكمة انما المصلحة له في الحال ولعطيه اكثر من ذلك في ثاني الحال والى

هذا

هذا اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه انه قال لا يسام الرجل على
سوم اخيه ولا يخطب على خطبة اخيه فاما ان يتمنى ان يحصل له ما قد حصل لغيره وفي ملكه ومن
التمني المذموم ان يتمنى ما يستحيل وقوعه مثل ان يتمنى المراة ان يكون رجلا او يتمنى خلافه او ما هذا او
نحوها من الامور التي لا تكون واما التمني المباح فهو ان يتمنى الرجل ان يكون له مثل ما لغيره من غير ان يريد
زوال النعمة من غيره كما روى الزهري عن سالم عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا حسد
الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فهو ينفق منه اناء الليل والنهار ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به
اناء الليل والنهار قوله عز وجل ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين
عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما اراد بالموالي العصبة في هذه الاية قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسموا المال بين
اهل الفرائض فما ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ومعنى الاية لكل ميت جعلنا موالي مما ترك وهم
الوالدان والاقربون ويقال معناه لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي ورثة يرثونه
واقرب العصبات عند الفقهاء الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم كل من يتصل قرابته بالاباء مثل
الجد والاخوة من الاب والام ثم من الاب ثم الاعمام وابناؤهم وان بعدوا فيقدم في ذلك الاقرب فالاقرب
واخر العصبات موالي العتاقة ثم عصبته يكونون عصبة العبد المعتق واولاده ولا خلاف
بين اهل تفسيره بالميت الا من جهة النساء انه ليس بعصبته وللمولى عدة تفاسير المعتق والمعتق
والولي والاولى بالشيء وابن العم والناصر والجار والحليف الا ان الكل يرجع الى القرب وهو كل من يليك
اما في القرابة او النصرة والحماية او النعمة وكل من والاك في المحبة فهو مولى لك وقد يسمى مالك العبد
مولى لانه يليه بالملك والتصرف واختلف اهل العلم في ميراث المولى الاسفل من الاعلى في باب العتاقة
قال عامتهم لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى ابو جعفر الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث الاسفل
من الاعلى وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا اعتق عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثه الى غلام المعتق قال ابو جعفر فليس هذا الحديث معارضا
لما وجب ثبات حكمه رواه هذا الخبر والله اعلم انه يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم دفعه اليه على وجه
الميراث ولكن لحاجته وفقره لانه كان مالا لا وارث له وكان سبيله الصدقة فتركها قوله والذين
عاقدت ايمانكم روي عن ابن عباس انه قال كان الرجل في الجاهلية اذا تحبب طرف الرجل وجب
وحلف عاقده وحالفه وقال ابني ترثني حربي حربك ودمي دمك وثاري ثارك فيكون
لبعض وبنته في ماله يرثه مثل نصيب احدهم الا ان ينقص نصيبه عن السدس لكثرة الورثة
فيعطى السدس من خاصة لا ينقص منه شيء فلما نزلت اية المواريث قام رجل من اهل العقد فقال
كان الرجل منا يا رسول الله يتبع الرجل فيصيب من ماله شيئا معلوما مع ولده وقد انزل الله
تعالى اية المواريث ولم يذكر لنا شيئا فنزلت هذه الاية ثم نسخت بقوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض ويقال ان المراد بهذه الاية اصحاب الوصايا وما لهم من الحق ثلث مال الميت لا
يزادون عليه ويقال المراد بها الزوج والمراة والاشبه بظاهر الاية ان يكون نازلة في اثبات
التوارث لان قوله عاقدت ايمانكم يقتضي معاقدة الحلف بين اثنين لان ظاهر الاية يقتضي نصيبا
كان معلوما عندهم وليس معنى قول ابن عباس ان هذه الاية منسوخة نسخ حكمها من الاصل
ولكن معناه تقديم ذوي الارحام على اهل العقد وهو كحدوث ابن لمن له اخ لا يخرج الاخ
من ان يكون من اهل الميراث للحليف وفصلها قال الحصا الا ان الابن اولى منه كذلك اولو الارحام

الألوكة
www.alukah.net

اولى من الحليف فاذا لم يكن للميت رحم ولا عصبة فالميراث للحليف ولهذا قال اصحابنا فيمن اسلم على يدي رجل ووالاه وعاقده ثم مات ولا وارث له غيره ان ميراثه له ولهذا قالوا ان من اوصى بجميع ماله ولا وارث له صحت الوصية لاهل الوصية وولا الموالاة يختلفان من وجه وهو ان ولا الموالاة لا يتعلق به شي من المال مع العصبة والرحم والوصية يتعلق بها وجوب مقدار ثلث المال ومعنى ان الله كان على كل شي شهيدا اي لم يزل كان شاهدا على كل شي من اعطا النصيب ومنعه وقوله عز وجل الرجال قوامون على النسا بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا قال ابن عباس نزلت الاية في امراة محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع وهو احد النقبا لطمها لطمة فنشزت عنه واستعدت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص بينهم يومئذ في اللطمة والشجة والجراح فنزل جبريل عليه السلام بهذه الاية ومعناها والله اعلم الرجال مسلطون على ادب النسا بالحق والقيم والقوام كل من يقوم على الغير فيما يحتاج ويقال هذا قيم المراة وقوامها قال الشاعر

الله بيني وبين قيمها يفر مني بها واتبع

وقوله عز وجل بما فضل الله بعضكم على بعض اي جعل الله عز وجل ذلك للرجال لفضلهم على النسا في العقل والراي وبانفاقهم اموالهم في المهور والنفقات للنسا فالصالحات قانتات اي المحسنات مطيعات لله في امر ازواجهن وقيل قانتات بحقوق ازواجهن واصل القنوت مداومة الطاعة ومعنى حافظات للغيب يحفظن فروجهن واموال ازواجهن في حال غيبة ازواجهن ويدخل في حفظ المراة لغيب الزوج ان تكتم عليه ما لا يحسن اظهاره مما يقف احد الزوجين على الاخر وقوله عز وجل بما حفظ الله اي بحفظ الله عز وجل اياهن من معاصيه وبتوفيقه لهن ويقال بما حفظهن الله في مهورهن والزام الزوج النفقة عليهن وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير النسا امراة اذا نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية واما قوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن فمعناه ان النسا اللاتي تعلمون عصيانهن لازواجهن فعظوهن وقد يجوز ان يوضع الخوف موضع العلم لان خوف الشي انما يكون للعلم بموقعه كما قال ابو محجن الثقفي

فلا تدفنني بالفلاة فانني اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

والنشوز الترفع عن الصاحب ماخوذ من النشز وهو المكان المرتفع والمراد بالوعظ والهجر والضرب في الاية ان يكون ذلك على الترتيب المذكور فيها لان هذا من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا امكن الاستدراك بالاسهل والاخف لا يصار الى الاثقل فالاولى ان يبدا الزوج فيقول لها وجدتك ناشزة اتقي الله وارجعي الي واشكي فان اطاعته والا سبها هجرا قال ابن عباس رضي الله عنهما الهجر الكلام الفاحش يقال هجر الرجل هجرا اذا هذى واهجر الرجل في منطقه هجرا اهجارا اذا تكلم بقبيح وقال الحسن وقتادة قوله واهجروهن في المضاجع من الهجر وهو ان لا يقرب فراشها ولا ينام معها لان الله تعالى قرن قوله واهجروهن بقوله في المضاجع ويقال فلان يهجر اذا باعده واذا لم ينفعها الوعظ هجرها زوجها في المضجع فان كانت تحب زوجها شق عليها الهجران وان كانت تبغضه وافقها ذلك فكان دليلا على ان النشوز من قبلها فيضربها الزوج حينئذ ضربا غير مبرح ولا شاين كما يؤدب الرجل ولده ويكون ذلك موكولا الى رايه واجتهاده على ما يرى من المصلحة فيه ولهذا قيل ان هذا الضرب يتقيد بشرط السلامة

لان الضرب

الضرب بما يبقى ويزيد في الفساد وربما يكون طريقا الى الصلاح فالاولى ان يضربها بالنعل او باللطم ضربتين او ثلثا على حسب ما يراه ويقال معنى واهجروهن شدوهن ماخوذ من الهجار وهو ما يشد به البعير يقال هجر الرجل البعير يهجره هجرا اذا جعل له هجارا وقوله فان اطعنكم اي فيما تلتمسون منهن فلا تبغوا عليهن عللا ولا تكلفوهن الحب لكم فانهن لا يملكن ذلك ان الله كان عليا اي عاليا فوق كل شي كبيرا ولا شي اكبر منه اراد بالعلي العلو في القدرة والقهر لا علو المكان واراد بالكبير الجلال والعظمة لا كبر الجثة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل في تعلق هذا اللفظ بما سبق كان الله عز وجل يقول انا مع علوي وكبريائي ارضى من عبادي بالطاعة ولا اخذهم بالحب اذ لا غاية بعده فان كان عبادي من يؤمن بقصد علي ولا يخلص حبه لي كل الاخلاص وقد روي في الخبر انه لما شكى الرجال نساءهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم بالضرب اصبح باب النبي صلى الله عليه وسلم سبعون امراة يشكون ازواجهن فاقبل على اصحابه بعد الصلوة فقال ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان اردتم اقامتها كسرتموها وان تركتموها استمتعتم بها على عوج ثم قال خيركم خيركم لاهله قوله عز وجل فان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا معناه وان علمتم ايها المومنون بعد العظة والهجران تباعد الزوجين عن الحق وهو ان يكون كل واحد منهما في شق على حدة يخالف الذي منهما ولم يدر من ايهما جا النشوز فابعثوا عدلا ذا راي وعقل من اهل الزوج وعدلا من اهل المراة يختار الحاكم حكما من اهله وحكما من اهلها فيخلو حكم الزوج به فيقول اخبرني ما في نفسك اتهواها ام لا فانا لا ادري ما اقول وما اعمل حتى ادري ما تريد فان قال انا اهواها لكنها تسي معاشرتي فعظها وارضها علم ان الزوج ليس بناشز وان قال لا حاجة لي فيها فرق بيني وبينها وخذ لي منها ما استطعت علم انه ناشز وكذلك يفعل حكم المراة بالمراة ثم يلتقي الحكمان فيصدق كل واحد لصاحبه فيما سمع فيقبلان على الزوج ان كان ناشزا فيقولان له يا عدو الله انت العاصي لله الظالم على امراتك فيعظانه ويزجرانه وكذلك يفعلان بالمراة ان كانت هي الناشزة فذلك قوله ان يريدا اصلاحا اي الحكمين ان ارادا عدلا ونصيحة الف الله تعالى بين الزوجين ويقال وفق الله تعالى بين اقوال الحكمين ان الله كان عليما بامر الحكمين خبيرا بنصحهما ويقال عليما بما فيه صلاح الخلق خبيرا بذلك وذهب بعض اهل العلم الى ان الحكمين اذا رايا ان يفرقا بينهما وكذلك اذا راى الحاكم ان يفرق فعل اذا وقع الاياس من زوال الشقاق واعتبروا ذلك بالعنة وعلى اصل الشافعي رضي الله عنه بالنفقة او باعتبار الزوج عن نفقة المراة فاما عند اصحابنا رضي الله عنهم فليس للحكمين ان يفرقا الا ان يكونا وكيلين في الخلع من الجانبين ويرضى الزوج بتفريقهما لانه لا خلاف ان الزوج لو اقر بالاسا اليها لم يجبر على طلاقها قبل تحكيم الحكمين وكذلك لو اقرت المراة بالنشوز لم يجبرها الحاكم على الخلع ولا على رد المهر وكذلك تحكيم الحكمين واسم الحاكم يتناول كل من نصبه السلطان لامور المسلمين والحكم كل من يحكم للخصمان فيما بينهما ليجري الصلاح بغير حجاب فيه اليه وليس في هذه الاية دليل جواز تفريق الحكمين لان ارادة الاصلاح تقتضي ارادة الالفة لا ارادة الفرقة بغير رضى الزوجين وعن عبيدة السلماني ان رجلا وامراة اتيا عليا كرم الله وجهه مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي كرم الله وجهه ما شان هذين قالوا بينهما شقاق قال فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ثم قال للحكمين هل تدريان ما عليكما عليكما ان رايتما ان تجمعا ان تجمعا وان رايتما ان تفرقا ان تفرقا فقالت المراة رضيت بكتاب الله عز وجل فقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كرم الله وجهه كذبت والله لا تنفلت مني حتى ترضى كما رضيت هي وفي ظاهر هذا الخبر بيان ان فرقة الحكمين لا تكون الا برضى

الألوكة www.alukah.net

الزوجين والله اعلم قوله عز وجل واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي
القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما
ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا معناه والله اعلم وحدوا الله واطيعوه ولا تعبدوا
معه غيره فان ذلك يفسد عبادته واحسنوا بالوالدين احسانا ويقال معناه استوصوا بالوالدين
احسانا وقد يذكر المصدر المنصوب على تقدير فعل محذوف يدل عليه الحال كما يقال عمرا ضربا
اي اضربه وصبرا اي اصبر بقول الله عز وجل فضرب الرقاب ومعناه الامر واما قوله وبذي القربى
معناه احسنوا بذوي القرابة وباليتامى والمساكين والاحسان المذكور في الاية على وجوه منها
المواساة للفقير منهم اذا خاف عليه الضرر الشديد من الجوع او العري ومنها حسن العشرة وكف
الاذى عنه والمحاماة دونه ممن يحاول ظلمه وكل ما يكون من مكارم الاخلاق ويدخل في ذلك حسن
قيام الاوصيا على اليتامى في اموالهم واما قوله عز وجل والجار ذي القربى معناه ما روي في الخبر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلثة جار له ثلثة حقوق وهو الجار القريب المسلم وجار له حقان
وهو الجار المسلم وجار له حق وهو الجار الكافر فعلى هذا يكون معنى الجار الجنب الذي هو من قوم اخرين
لا قرابة بينك وبينه ويقال ان الجار ذا القربى هو الذي يقاربك في الجوار تعرفه ويعرفك والجار الجنب هو
الجار الغريب المتباعد والجنب في اللغة البعيد واما الصاحب بالجنب فهو الرفيق في السفر والمنقطع
الى الرجل رجاء خيره وبره ويقال الزوجة ويقال هو جار الرجل في البيت الواحد ومما اوجب الله تعالى
من حق الجوار الشفعة لمن يبيع داره المجاورة وفي ذلك خلاف بين اهل العلم واختلفوا ايضا فيمن اوصى
لجيرانه قال ابو حنيفة رحمه الله هو لجيرانه الملاصقين لداره وقال صاحباه هم ولغيرهم من الجيران
من اهل المحلة قربوا او بعدوا بعد ان يجمعهم مسجد واحد من مساجد الجماعة واما قوله عز وجل
وابن السبيل قال مجاهد والربيع بن انس هو المسافر ومعناه صاحب الطريق كما يقال لطير الماء ابن الماء وقال
قتادة والضحاك هو الضيف ينزل عليك وسمي ابن السبيل لان الضيف كالمجتاز الذي لا يقيم والضيافة
ثلثة ايام وما زاد فهو صدقة وقال الشافعي رحمه الله هو الذي يريد السفر ولا نفقة له واما قوله عز
وجل وما ملكت ايمانكم فهم الخدم احسنوا اليهم ولا تكلفوهم الا ما يطيقون فاصبروا لهم ودوموا على
امثالكم وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار
حتى ظننت انه سيورثه وما زال يوصيني بالنساء حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن وما زال يوصيني بالمماليك
حتى ظننت انه سيجعل له مدة اذا انتهى اليها عتق وما زال يوصيني بالسواك حتى ظننت ان احفي فمي وما
زال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي لن يناموا الليل وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم
عند وفاته الصلوة وما ملكت ايمانكم قال انس رضي الله عنه جعل صلى الله عليه وسلم يغرغر بهذه الكلمة
في صدره وما يفيض بها لسانه ومعنى ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اي لا يرضى عمل من كان مختالا في مشيته
ويفخر على الناس بكبره والفخر من الادمي ضرب من الخيلاء وسميت الخيل خيلا لانها تختال اذا انفردت في
حالها وقيل انما ذكر المختال في هذه الاية لان المختال يانف من ذوي قرابته اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا
كانوا كذلك ولا يحسن عشرتهم وفي قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر بيان انه كان مامورا
بان يقول هذا القول لا انه قاله لاجل جهة الفخر الا ترى انه روي في خبر آخر عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى عليه السلام واراد بهذا القول ان يقال على وجه المفاخرة
قوله عز وجل الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا يجوز ان يكون اول هذه الاية في موضع النصب بدلا من قوله مختالا فخورا

ويكون

ويكون نصبا على الذم على معنى اعني الذين يبخلون ويحتمل ان يكون رفعا بالاستيناف وعلى اضمار هم
الذين يبخلون قال عبد الله بن عباس وابن مسعود ان المراد بالاية اليهود بخلوا بما كان عندهم من العلم
بامر النبي صلى الله عليه وسلم وامروا قومهم بالبخل وهو الكتمان ويقال كانوا لا يعطون من اموالهم
شيئا ويامرون الناس بذلك ويعيبون الاخذ والمنع وقال بعضهم ان الاية عامة في كل من بخل بما في
من المال وكتم ما اعطاه الله من النعم لا يخرج زكوته فعلى هذا يكون المراد بالكافرين اليهود واخر الاية كافرين
النعم دون الكفار بالله عز وجل فاما على التاويل الاول فالمراد بالكفر اليهود والبخل منع الواجب وفيه
قراءتان من قرا بضم الباء كالعود والنحل ومن قرا بالنصب فهو كما يقال عطش يعطش عطشا وحذر حذرا قوله
عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا نزلت في المنافقين الذين كانوا يراؤون الناس في الانفاق ولا يتصدقون في السر
ويقال ان المراد بالاية مشركو مكة انفقوا على الناس وقت خروجهم الى حرب بدر وفي الاية بيان
ان المنفق رياء والسمعة لا يكون خيرا من البخيل واما قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
فمعناه من يفعل ما يدعوه اليه الشيطان ويسول له فبئس قرينه الشيطان يغويه في الدنيا ويكون قرينا
معه في السلسلة في النار قوله عز وجل وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم
الله وكان الله بهم عليما معناه اي شيء عليهم ويقال ما الذي عليهم لو صدقوا بالله واليوم الاخر وتصدقوا
مما رزقهم الله من الاموال وقاموا بما فرض الله تعالى عليهم من الصدقة وكان الله بهم عليما انهم لا يؤمنون
وفي الاية بيان انهم انما كفروا باختيار انفسهم وفيه تاملهم مع وقته لقدرة على الايمان لانه لا يحسن
ان يقال لمن لا يقدر على الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا كما لا يحسن ان يقال للمريض ماذا عليك لو كنت صحيحا
ولا ان يقال للفقير ماذا عليك لو كنت غنيا ولا يقال لاهل النار ماذا عليكم لو خرجتم من النار قوله عز وجل
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما معناه ان الله
لا ينقص من اجر الاعمال زنة نملة حمراء صغيرة وهي اصغر النمل هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
واصل الانتقاص والمثقال مفعال من الثقل وهو ما يوزن به الشيء ومن ذلك يسمى ما يوزن به الدينار
مثقالا لانه يعادله في الثقل والذرة ماخوذ من قولك ذررت الشيء اذا بددته متفرقا ولذلك قيل ايضا
ان الذرة ما يظهر من شعاع الشمس واما قوله عز وجل وان تك حسنة يضاعفها من قرا حسنة بالنصب
فعلى تقدير وان تكن الفعلة حسنة ومن قرا بالرفع فعلى معنى وان تقع حسنة قال الضحاك المراد بالحسنة التوبة
ومن لم يكن له الا حسنة واحدة مقبولة غفر الله له ويقال معناه اذا زاد على سيئاته مثقال ذرة من الحسنة
يضاعفه الله عز وجل حتى يجعله مثل احد ويوجب له الجنة ويعطيه من عنده الزيادة على ما يستحقه
من جزا عمله فذلك الاجر العظيم لا يعلم مقداره الا الله عز وجل وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه
قال خمس ايات في سورة النساء احب الي من الدنيا وما فيها ولقد علمت ان العلماء اذا مروا بها عرفوها وهي
قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقوله عز وجل
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم
يستغفر الله وقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤوك واما وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وهو ان المنفق اذا لم يبطل عليه ثواب ذرة من نفقته فما
الذي يمنعه من الانفاق اذا نظر وتفكر فيما يوجبه الراي والعقل قوله عز وجل فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا معناه والله اعلم كيف يصنع الكفار وكيف يكون حالهم
يوم القيمة اذا جئنا من كل جماعة نبيها عليه السلام شهيدا عليهم وجئنا بك شهيدا على كل

الله عليه وسلم على هؤلاء الذين بعث اليهم شهيدا اشهد لمن صدق بالتصديق وعلى من كذب بالتكذيب
وانما حذف الجواب في الاية لما تقدم ان الحذف في هذا الموضع وفي كلام العرب ابلغ من الاثبات لانه اذا
حذف الجواب ذهبت النفس في الجواب الى كل مذهب واذا اثبت الجواب كان الجواب مقصورا على
المذكور ونظير هذا قوله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ولم يقل
لكان هذا القران لكي تذهب النفس فيه الى كل مذهب والفايدة في ذكر الشهيد يوم القيمة ان الانسان
تصور بعقله انه اذا عمل المعصية شهد بها الانبيا على رؤس الاشهاد يوم القيمة كان ذلك اردع له وازجر
من فعلها كما انه اذا علم ان معه ملكين يكتبان عليه ما يفعل وانه يحتاج الى ان يقرأه يوم القيمة على رؤس
الاشهاد وانه اذا اوقن بذلك شهدت عليه جوارحه كان ذلك ازجر له واكف من ان يفعل ما
يستحيي في الاخرة من مثل ذلك الفعل وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لما قرأ هذه الاية على
النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجمع الناس على ان الانبيا صلوات
الله عليهم يشهدون على اهل عصرهم واختلفوا في شهادتهم على من بعدهم اهل عصرهم فقال بعضهم
يشهدون عليهم وعلى من بعدهم وقال بعضهم لا يشهدون الا على اهل عصرهم واستدل بما حكى الله
عز وجل عن عيسى عليه السلام وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
فاخبر انه انما يكون شهيدا عليهم مدة مقامه فيهم ثم بعد ذلك لم يكن له علم بهم قوله عز وجل
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا معناه يوم وقوع
الشهادة يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا الرسول ان الارض سويت بهم بحيث يمشي عليها اهل الجمع قال ابن
عباس رضي الله عنهما ويودون انهم لم يكتموا الله حديثا وذلك حين يميز الله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال ويقول للبهايم والطيور والوحوش كوني ترابا فيرى ذلك اهل الكفر ويرون ما اكرم الله به
اهل الجنة يقول بعضهم لبعض هلموا فلنقل والله ربنا ما كنا مشركين فيقولون ذلك
فيختم الله على السنتهم ويأذن لجوارحهم بالكلام فتشهد عليهم عند ذلك فيقولون يا ليتنا
كنا ترابا فيتمنون انهم لم يكتموا الله حديثا لانهم كذبوا في قولهم ما كنا مشركين وهذه
الرواية المروية عن ابن عباس محمولة على ان البهايم تصير ترابا يوم القيمة بعد ان توفى اعواضها
ويستوفى بعضها من بعض ولهذا قالوا انه لا يحسن من الله تعالى ان يبيح لنا استعمال البهايم وذبحها
وانزال الالام بها دون ان يضمن لها الاعواض لان ايصال الالم الى الغير لا لدفع ضرر ولا لمنفعة بالمفعول
به يكون ظلما وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقتص للجما من القرنا
وعن الحسن رضي الله عنه انه قال ان اهل الاخرة يكونون في ثلثة مواضع في موضع لا يسمع كلامهم
الا همسا كما اخبر الله عز وجل عنهم [illegible] وفي موضع ينكرون ما فعلوا من المعاصي
والكفر ظنا منهم ان ذلك ينفعهم كما حكى الله تعالى عنهم ما كنا نعمل من سوء والله ربنا ما كنا
مشركين وفي موضع يعترفون بما فعلوا من الكفر والمعاصي وذهب بعض اهل التفسير الى ان قوله عز
وجل ولا يكتمون الله حديثا كلام مستانف غير داخل في التمني ومعناه انهم لا يقدرون على
كتمان شي مما عملوه لظهور ذلك عند الله وانه لا يفيد كتمانهم لان ذلك لا يستتر عند الله قالوا وحمل هذا
على الاستيناف اولى لان الكتمان عمن هو اعلم بالامر من الكاتم محال وانه لا فايدة لهم في الكتمان لان
الكاتم انما يكتم الشي لئلا يطلع عليه وهذا لا يتصور في الاخرة انهم لم يكفروا فيخبرون على ما
توهموا الا انهم يقصدون الكتمان وذلك لا يخرجهم من ان يكونوا كذبوا كما قال الله عز وجل انظر
كيف كذبوا على انفسهم لان من اخبر عن شي على خلاف ما هو به فقد كذب ولم يكن المخبر به على ما توهمه

كان

كان ذلك كذبا مثل ان يقول زيد في الدار وهو يتوهم ان زيدا في الدار وقال بعضهم ان الكفار
يقولون ما كنا مشركين على جهة الذهول فانهم يذهلون فيقولون هذا القول عند ذلك لا على
جهة الاخبار عن انفسهم بذلك وقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي كيف اوجبوا العقاب على انفسهم
فانه تعالى الكذب اي اوجب فاما اذا فرقت هذه الاقاويل عن مسألة وهو ان اهل الاخرة هل يجوز عليهم فعل
القبيح ام لا فقال بعضهم يجوز واستدل بهذه الايات وقال بعضهم لا يجوز لان اهل الاخرة اذا راوا
اهوال الاخرة وما ادى بهم فعل القبيح في الدنيا الى العقاب في الاخرة صاروا ملجئين الى ترك
القبايح بانفسهم ولان التمكين من فعل القبيح في غير دار التكليف يؤدي الى اباحة فعل القبيح وذلك لا يجوز
من الله عز وجل والله اعلم يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من
الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
ان الله كان عفوا غفورا روي عن عبد الله بن عباس انه قال نزلت هذه الاية في جماعة
من اكابر الصحابة كانوا يشربون الخمر قبل التحريم ثم يأتون الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيصلون معه فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وتأول الاية على هذا الطريق لا تقربوا موضع الصلوة
وهو المسجد وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وما تقرأ امامكم في الصلوة وهو خطاب لمن لم يبلغ به
السكر الى حد لا يفهم الكلام لان الذي لا يفهم شيئا من الكلام لا يصح ان يخاطب وقد حمل ابو
يوسف ومحمد وجماعة من اهل العلم حد السكران مختلطا بكلامه ولا يعلم ما يقول وانما منعوا من
المساجد اذا دخلها السكران من يكون على هذه الصفة لا يحترم المسجد ولا يأمن ان يكون منه ما
يكون يلوث به المسجد فيمنع المسجد كما يمنع الصبي والمجنون وقوله عز وجل ولا جنبا الا عابري
سبيل اي لا تقربوا مواضع الصلوة وانتم جنب حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مجتازين وذلك ان من الصحابة
من كانت بيوتهم في المسجد وكان لا يمكنهم الخروج من بيوتهم من حيث الا يمروا في المسجد ثم امرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوجهوا بيوتهم الى غير المساجد فقال وجهوا هذه البيوت الشارعة
الى غير المسجد فاني لا احل المسجد لحايض ولا جنب وقال بعضهم ان يتيمموا في بيوتهم ثم يمرون في
المسجد اذا احدثنا الماء وخرج واغتسل وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الجنب يجوز له العبور في المسجد
بغير التيمم ولا يجوز له اللبث والاقامة فيه وقال مقاتل نزلت هذه الاية في جماعة من الصحابة كانوا يشربون
الخمر في دار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قبل التحريم فحضرت الصلوة المغرب فقدموا رجلا منهم فقرأ قل
يا ايها الكافرون وقال اعبد ما تعبدون وحذف لا في جميع السورة فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعنى
الاية على هذا القول لا تقربوا نفس الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقرؤن اي لا تعرضوا للسكر عند الصلوة
ولا يكون بكم شرب تصيرون معه في حال السكر عند الصلوة لا عن فعل الصلوة لان كون الانسان جنبا او
محدثا لا يوجب سقوط فرض الصلوة عنه وقد روي عن ابن عباس في رواية اخرى انه قال كانوا
لا يشربونها بعد نزول هذه الاية عند الصلوة فاذا صلوا العشا شربوها وعن عمر رضي الله عنه انه
قال بعد نزول هذه الاية اللهم ان الخمر تضر بالعقول والاموال فانزل فيها امرك فجاء الوحي باية
المايدة واما قوله عز وجل ولا جنبا الا عابري سبيل فمعناه لا تصلوا وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين
لا تجدون الما فتيممون وتصلون هكذا روي عن علي كرم الله وجهه والتيمم وان كان يبيح الصلوة
فانه لا يرفع الجنابة لانه متى وجد الما بعد التيمم يعود الى ما كان عليه من قبل من حدث او جنابة وقال
بعضهم معنى الا عابري سبيل الا ان يكون مسافرا لا يجد ما ولا ترابا نظيفا يصلي في الوقت ثم يعيد بعد

الألوكة
www.alukah.net

ذلك وهو قول ابي يوسف والمحبوس في المصر اذا لم يجد ماء ولا ترابا نظيفا وقيل ان حمل الاية على نفس
الصلوة اولى من حملها على موضع الصلوة لان حملها على المسجد عدول له عن حقيقة اللفظ الى المجاز وفي نسق
الاية ما يدل على ان المراد به حقيقة الصلوة وهو قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون وليس للمسجد قول يشترط
منع من دخوله للقراءة عليه عند السكر وفي الصلوة قراءة يحتاج اليها وعلم بذلك ان المراد بالاية حقيقة
الصلوة ويحتمل ان يكون فايدة النهي عن الصلوة مع السكر وجوب اعادتها في حال الصحو اذا فعلوها في حال
السكر واستدل ابو حنيفة من الاية على ان حد السكر الموجب للحد انه لا يعرف السماء من الارض والرجل
من المراة لان السكران الذي لا يدري ما يقول بلغ به السكر الى هذا المبلغ وبهذا سقط عنه خطاب
اداء الصلوة كما يسقط عن الصبي الذي لا يعقل والمجنون والنائم فاما الذي يدري ما يقول فلا يتناوله
النهي عن فعل الصلوة وقال الضحاك المراد بالاية سكر النوم خاصة وفي هذا حمل اللفظ على المجاز لان
الذي يغلبه النوم لا يسمى سكرانا على الحقيقة والسكر ماخوذ من السكر وهو سد البثق يقال
سكرت النهر اسكره اذا سددت بثقه وسمي السكر سكرا لانه يسد مواضع المعرفة واما
قوله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر فمعناه ان كنتم مرضى يضركم استعمال الماء بان يكون الرجل
كسيرا او جريحا او صاحب قروح او جدري يخاف من برد الماء واذاه او كنتم على سفر مسافرين او جاء احد منكم
من الغائط معناه وجاء احد منكم من الغائط لان الغائط ليس من جنس السفر والمرض فان المرض والسفر سبب لاباحة
التيمم والرخصة والمجي من الغائط سبب لايجاب الطهارة فعلم ان المراد به وجاء احد منكم من الغائط والغائط
واصل الغائط هو المكان المطمئن من الارض يقال تغوط الرجل اذا دخل المكان المطمئن لقضاء الحاجة وجعل هذا
اللفظ كناية عن ذلك يقال جاء من الغائط اذا رجع عنه وقوله او لامستم النساء قال امير المؤمنين
علي وابن عباس رضي الله عنهم معناه او جامعتم النساء وقال عمر وابن مسعود رضي الله عنهما اراد به اللمس
باليد وكانا لا يبيحان للجنب التيمم وكانا يقولان انه لا يصلي وان لم يجد الماء شهرا ويحتمل ان يكون المراد بالملامسة
المباشرة الفاحشة وهو ان يضاجع المراة ولا ثوب بينهما وقوله عز وجل فلم تجدوا ماء فمعناه لم تقدروا على استعمال
الماء فقد يذكر الوجود ويراد القدرة على استعمال الماء فان كان بينه وبين الماء سبع او عدو لم يكن واجدا للماء
في الحكم ويحتمل ان يكون قوله فلم تجدوا ماء راجعا الى قوله او على سفر دون قوله وان كنتم مرضى لان حالة المرض
ليس الغالب فيها عدم الماء لكن يغلب فيها الضرر وحالة السفر يغلب فيها عدم الماء وهكذا روي
عن ابن عباس وابن مسعود وقال الحسن رضي الله عنه قوله فلم تجدوا ماء راجع الى المريض والمسافر جميعا
اما المريض فلا يجد الماء اذا لم يجد من يناوله اياه واما المسافر فعنده لا يجد الماء اصلا وقوله فتيمموا صعيدا
طيبا ايها المريض فلا تجد الماء اذا لم تجد معناه فتيمموا واقصدوا ترابا طاهرا ويقال ان الصعيد
ما يتصاعد على وجه الارض وهو فعيل بمعنى فاعل لان ما يكون صاعدا على وجه الارض يكون
اقرب الى الطهارة من المكان المنخفض وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او صخرا
لا تراب عليها لان الله تعالى قال فتصبح صعيدا زلقا واذا كان على الصخرة تراب لا يكون زلقا وبهذا
يجوز ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله التيمم من صخرة لا غبار عليها ويقال انما سمي وجه الارض صعيدا
لانه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وايديكم معناه فامسحوا
وجوهكم وايديكم بعد ضرب الايدي على الصعيد الطيب لحديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وذهب داود ومن تابعه من اهل الظاهر
الى التيمم ان يمسح اليدين الى الرسغين ولو كان ذلك الى المرفقين لذكره في الاية كما ذكر في اية الوضوء
وفي الاية دليل على ان المراد بقوله او لامستم النساء الجماع دون اللمس باليد لان الله تعالى قال في اول الاية

ولا جنبا

ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا فبين حكم الجنب عند وجود الماء ثم بين عند عدم الماء حكم الطهارة
من الحدث وهو التيمم ولا يجوز ان يرجع بيان حكم الجنب عند عدم الماء وبين حكم المحدث مع ان المقصود
باول الاية بيان حكم الجنب عند وجود الماء فعلم ان المراد بقوله او لامستم النساء الجماع ليكون ذلك بيانا لحكم
ليكون ذلك الحكم عند عدم الماء ومعنى ان الله كان عفوا غفورا اي متفضلا عليكم بتسهيل الاوامر و
تخفيفها لانه نقلكم من الوضوء الى التيمم غفورا متجاوزا عنكم يغفر لكم بعدم الطاعات المسهلة عليكم
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اصابته الجنابة على عهده فسال اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالوا لا نجد لك رخصة التيمم وانت واجد للماء فاغتسل فمات فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم الله هلا سالوا اذا لم يعلموا فان شفاء العي السؤال قوله عز وجل الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم
باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا قال عبد الله بن عباس هم اليهود كانوا يستبدلون الضلالة
بكتمان صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ياخذون الرشا على كتمانهم ذلك بعدما اوتوا
العلم به ومعنى الم تر الم تعلم ويقال الم تخبر والاصل ان الرؤية اذا كانت مقرونة بالى كان معناها
المشاهدة والمعاينة كما يقال الم تر الى ما يصنع فلان ويراد بذلك التعجب من رؤية مثله في الكرم
وقوله ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون طريق الهدى كما ضلوا هم
بانفسهم وكان النبي وابن رافع وغيرهم من احبار اليهود كانوا ياتون عبد الله بن ابي ومالك
بن الدخشم يامرونهم بترك الاسلام ومعنى والله اعلم باعدائكم اي هو اعرف بهم يعلمكم ما هم عليه
وفي قوله تعالى وكفى بالله وليا اعلام من الله ان عداوة اليهود لا تضر المسلمين اذ ضمن النصرة والولاية
ومعنى الاية اي اكتفوا بولاية الله ونصرته قوله عز وجل من الذين هادوا يحرفون الكلم عن
مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين
ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر
فيخبرهم ويرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون له سمعنا قولك ويقولون في انفسهم وعصينا امرك وقوله عز وجل من الذين هادوا راجع
الى قوله والله اعلم باعدائكم على جهة التبيين للاعداء كما يقال هذا الثوب من القطن او من الكتان
على جهة تبيين اصله ويجوز ان يكون هذا استئناف كلام معناه من الذين هادوا قوم يحرفون كلام
الله عز وجل وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مواضعه واستغنى بذكر الصفة عن الموصوف
كما قال الشاعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح يعني تارة
منهما اموت فيها واما قوله عز وجل واسمع غير مسمع فمعناه انهم كانوا اذا كلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشيء قالوا له اسمع وقالوا في انفسهم لا اسمعك ولا سمعت ويقال معنى غير مسمع غير مجاب
الى شيء مما تدعو اليه وكانوا يقولون راعنا يوهمون انهم يريدون بهذا القول انظرنا حتى نكلمك بما نريد
وكانوا يريدون بتلك اللفظة السب بالرعونة بلغتهم ويقال كانوا يقولون هذه الكلمة على وجه التكبر
والتجبر كما يقول المتكبر لغيره ارع كلامي واسمع قولي وكانوا يقولون ارعنا سمعك ونارعك كلامنا ومثل
هذا مما لا يخاطب به الانبياء صلوات الله عليهم انما يخاطبون بالاجلال والاعظام وقوله عز وجل
ليا بالسنتهم اي كانوا يلوون السنتهم بالسب والتعيير والطعن في الدين والليّ في اللغة الفتل
يقال لويت العود اذا فتلته ولويت الغريم اذا ماطلته لان ذلك يفتله وقوله عز وجل ولو انهم قالوا

الألوكة www.alukah.net

سمعنا وأطعنا معناه لو أنهم قالوا سمعنا قولك وأطعنا أمرك لأنه مكان قولهم سمعنا وعصينا وقالوا واسمع وانظرنا أسمع قولك وتفهم كلامك مكان قولهم واسمع غير مسمع لكان خيرا لهم في الدين وأصوب مما يقولون ولكن لعنهم الله خذلهم وأبعدهم من رحمته مجازاة لكفرهم فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا لا يجب أن يسموا به مؤمنين وقيل لا يؤمنون إلا قليلا منهم وهم عبد الله بن سلام ومن تابعه قوله عز وجل **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا**

معناه يا أيها الذين أعطوا علم التوراة صدقوا بهذا القرآن الذي أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم موافقا لما معكم من التوراة من قبل أن نمحو آثار الوجوه عنها أي نخسف العين والأنف وغير ذلك من آثار الوجوه فنحولها إلى الأقفية فيمشون القهقرى وروي أنه لما نزلت هذه الآية قدم عبد الله ابن سلام من الشام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يحول وجهي في قفاي ويقال معنى نردها على أدبارها نجعل وجوههم على هيئة أقفائهم أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أي نجعلهم قردة كما مسخنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا قضاء وحكما كائنا لا شك فيه **فإن قيل** كيف قال الله عز وجل من قبل أن نطمس وجوها وأوعدهم الطمس إن لم يؤمنوا ثم لم يؤمنوا ولم يقع الطمس **قيل** يحتمل أن يكون هذا وعيدا لهم على ترك جميعهم الإسلام وقد آمن منهم جماعة بعد هذه الآية كعبد الله بن سلام وعبد الله بن ثعلبة وأسد بن ثعلبة وأسيد بن عبيد وغيرهم ويحتمل أن يكون المراد بالآية الطمس في الآخرة وسيفعل الله ذلك بهم في الآخرة ويقال قبل الشيء لما لا يقتضي وجود ذلك الشيء لا محالة كما في قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ولهذا قالوا إن من قال لامرأته أنت طالق قبل قدوم زيد إنها تطلق في الحال قدم زيد أو لم يقدم **وذهب** الحسن ومجاهد إلى معنى من قبل أن نطمس وجوها نصرف وجوه القلوب عن الهدى ونردها إلى الضلالة الأبدية مجازاة لما هم عليه من المعاندة فيضلون ضلالا لا يؤمنون معه أبدا قوله عز وجل **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما** قال عبد الله بن عباس لما التقى الناس يوم أحد وقد جعل لوحشي إن هو قتل حمزة أن يعتق فلم يوف له فلما قدم مكة ندم على صنيعه الذي صنعه هو وأصحابه معه فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا قد ندمنا على ما صنعنا وإنه ليس يمنعنا من الدخول معك إلا أنا سمعناك تقول وأنت بمكة والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله عز وجل ويخلد فيه مهانا وقد دعونا مع الله إلها آخر وزنينا وقتلنا النفس فلولا هذه الآية لاتبعناك فنزل إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية إلى وحشي وأصحابه فلما قرؤوا كتبوا إليه إن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملا صالحا فلا نكون من أهل هذه الآية فنزلت إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها إليهم فقالوا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته فنزلت قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فبعث بها إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوها أوسع مما كان قبلها فدخل هو وأصحابه في الإسلام فقال عليه السلام لوحشي كيف قتلت حمزة فأخبره فقال غيب وجهك عني فإني لا أقدر على النظر إليك فلحق بالشام ومات وفي بطنه الخمر **وروي** عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال كنا إذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا له أنه من أهل النار حتى نزل قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأمسكنا عن هذه الشهادات ويقال إن هذه الآية مستثناة على جميع ما في

القرآن

القرآن من الوعيد ومعنى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يغفر ما دون الشرك من الذنوب كائنا ما كان لمن سبقت له المشيئة بالمغفرة من الله تعالى فيغفرها له بفضله ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله وفي هذه الآية إبطال قول من يقول إن في الوعيد بغفران المعاصي إغراء للعبد لأنه إنما يكون الإغراء بالقطع على غفرانها فأما إذا علق غفرانها بالمشيئة لم يكن في ذلك إغراء ولكنه يوقف العبد بين الخوف والرجاء وهكذا يجب أن يكون صفة المؤمن ولا يصح قول من يقول إنه لا يصح أن الله تعالى يغفر المعصية لبعضهم دون بعض لأن فيه محاباة وليس من الله تعالى ولا من أحد ما يوجب المحاباة وذلك أن الله عز وجل يتفضل بالغفران وللمتفضل أن يتفضل على إنسان ولا يتفضل على غيره مثل ذلك ومعنى ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما أي من يشرك بالله سواه فقد اختلق على الله كذبا عظيما غير مغفور له والافتراء والاختلاق سيان في المعنى إلا أن معنى افترى قطع كذبا وهو افتعال من الفري وهو القطع يقال فريت الأديم إذا قطعته ومعنى اختلق أي قدر كذبا من الخلق الذي هو التقدير قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا** قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية في بحري بن عمرو ومرحب بن زيد أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما طائفة من اليهود بأطفالهم فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي يحلف به ما نحن إلا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفر عنا بالليل وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنا بالنهار فهؤلاء الذين زكوا أنفسهم برؤوها من الذنوب وزعموا أنهم أزكياء يقول الله عز وجل بل الله يزكي من يشاء وفي الآية بيان أن الله عز وجل لا يزكي أحدا من غير استحقاق وإنما يزكي بما توجب الحكمة التزكية له إلا أن يختار واحدا منهم دون استحقاق التزكية ومعنى ولا يظلمون فتيلا أي لا ينقصون من جزاء ما استحقوه قدر الفتيل والفتيل ما يفتل بين إصبعيك من الوسخ إذا مسحت إحداهما بالأخرى **وقال** الحسن رحمه الله الفتيل ما في بطن النواة وهو شقها من لحائها والنقير النقرة التي تكون في ظهر النواة والقطمير ما التف عليها من لحائها قوله عز وجل **انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا** معناه انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف تختلق اليهود على الله الكذب وكفى بما يفعلونه ذنبا بينا أي كفى هو في الآثام وهذا اللفظ إنما يستعمل على جهة المبالغة كما يقال كفى بفلان لك صديقا وكفى بفلان لك عدوا قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ركب كعب بن الأشرف في سبعين راكبا من اليهود فيهم حيي بن أخطب وجدي بن أخطب ومالك ابن الصيف وغيرهم فأتوا مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أجله ففعلوا فقال أبو سفيان ويحكم يا معشر أهل الكتاب أنشدكم بالله أينا أقرب إلى الهدى والحق نحن أم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنا نعمر هذا المسجد ونسقي الحاج ونفادي الأسير ونحجب الكعبة ونصل الرحم ومحمد صلى الله عليه وسلم قطع أرحامنا واتبعه شرار الحجيج بنو غفار نحن أهدى أم هم فقالت اليهود لا أنتم أهدى منهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها ألم تر يا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال ألم ينته علمك إلى الذين أعطوا نصيبا من الكتاب أي علما بالتوراة وما فيها من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته يصدقون بالجبت والطاغوت قال ابن عباس الجبت حيي بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف ويقال الجبت الكهنة والطاغوت الشياطين ويقال الجبت الصنم والطاغوت مترجم الصنم يترجم عن الصنم للناس ويقال الجبت

الألوكة www.alukah.net

الحبشة والطاغوت بلغة العربية وهذا الاصح لان يكون لغة العرب موافقة للغة الحبشة في ذلك
وقال اهل اللغة كل معبود سوى الله تعالى فهو جبت وطاغوت وهذا غير خارج عن اقاويل اهل التفسير
ومعنى ويقولون للذين كفروا اي اليهود يقولون للمشركين انتم يا هؤلاء اصوب دينا وطريقا من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا بيان شدة عناد اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان المسلمين
كانوا يصدقون بكثير مما كانوا عليه اليهود والمشركون كانوا لا يصدقون باصل من اليهود ثم زعم اليهود
ان الذين لم يصدقوا بشي من الكتب وعبدوا الاصنام اهدى طريقا من الذين يصدقون في كتبهم المنزلة من الله
عز وجل قوله اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا معناه
اولئك الذين خذلهم الله وابعدهم من رحمته ومن يبعده الله من رحمته فلن تجد له مانعا يدفع عذاب
الله تعالى عنه ويقال معنى فلن تجد له نصيرا اي لا تجد بنصره غير الله مع خذلان الله عز وجل
ولا ينفعه كان اوليا وهو بنصره ونفعه قوله عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا وذلك ان اليهود كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا على غاية البخل بقول
الله عز وجل ام لهم نصيب من الملك وهذا تحتمله معان احدها ان ام تكون معادلة فترجع الى الالف
في الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب والثاني ان تكون معادلة لالف مقدرة كانه قال
الهم نصيب من النبوة ام لهم نصيب من الملك والثالث ان تكون منقطعة ومعناها الهم
نصيب من الملك كما في قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه
ومعنى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا لو كان لهم نصيب من الملك ما اعطوا الناس مقدار النقير
وهذا على طريق التمثيل اي انهم يضنون بالقليل الذي لا شي اقل منه وقوله عز وجل لا يؤتون في
موضع نصب كما يقول الرجل لاخر انا اكرمك فيجيبه اذا اكرمك بنصب الميم تقديره اذا اكرمتني
فعلي ان اكرمك وقال بعضهم النقير ما نقرته باصبعك من درهم او غيره ماخوذ من النقر وهو النكت
ومنه سمي المنقار منقارا لانه ينكت في الارض ويسمى الصور ناقورا لانه ينكت فيه بالصوت قوله عز
وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا آل ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما معناه بل يحسدون الناس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على ما
اعطاه الله تعالى من النبوة ويقال حسدته اليهود على ما احل الله تعالى له من النساء وقالوا لو كان نبيا
لشغلته النبوة عن النساء وقال قتادة اراد بالناس العرب بان جعل الله تعالى النبوة فيهم ومعنى
فقد اتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة فقد كانت النبوة والكتاب في آله وهم آل ابرهيم عليه
السلام وقوله عليه السلام وقوله عز وجل واتيناهم ملكا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو سليمن بن داود عليهما السلام وكان لسليمن سبعمائة امراة مهرية وثلثمائة سرية وكان لداود عليه
السلام مائة امراة والحكمة في كثرة تزويج الانبيا صلوات الله عليهم والله اعلم ان الذي لا يتعرج
بالنظر الى ما لا يحل له كانت شهوته اغلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان
تزنيان والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه قوله عز وجل فمنهم من امن به ومنهم من صد
عنه وكفى بجهنم سعيرا معناه من اليهود من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من اعرض
عن الايمان به ويقال معناه منهم من امن بهذا الخبر عن داود وسليمن عليهما السلام فيما اعطيا من الله
عز وجل ومنهم من كذب وكفى بجهنم سعيرا وقودا لمن كفر به اي ان صرف الله عز وجل عن اليهود بعض
العذاب في الدنيا مثل طمس الوجوه ليست بان بعضهم فقد اعد لهم عذاب جهنم في الاخرة
قوله عز وجل ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم

١٠٤

بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما معناه ان الذين كفروا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران سوف ندخلهم نارا ويقال معنى سوف نصليهم نشويهم من قولهم
شاة مصلية اي مشوية ومعنى كلما نضجت جلودهم كلما احترقت جلودهم جددنا لهم جلودا
غيرها بيضا كالقراطيس ولكنهم كلما احترقوا خبت عنهم النار ساعة ازيدت سعيرا وبدلوا
خلقا جديدا فيهم الروح ثم عادت النار تحرقهم فهذا دابهم فيها ابدا قال الحسن رضي الله عنه
بلغني انها تنضج كل يوم سبعين الف مرة وفي قوله عز وجل ليذوقوا العذاب بيان ان العذاب يكون
كالمبتدا عليهم في كل حال لا كمن يستمر به الشي فان الذي يستمر به الشي ان كان ذلك الما لم يجد في الحالة
الثانية مثل ما وجد في الاولى وان كان لما آفاته بالعذ ولا يكون حاله كحال من يحل به ذلك في الابتدا
ومعنى ان الله كان عزيزا حكيما عالما في امره لا يملك احد منعه من انزال وعيده واحكمه فيما حكم
للكفار من النار وقد طعنت الزنادقة في تبديل جلود المذنبين وقالوا في هذا تبديل الجلد الذي اذنب
وعصى بالجلد الذي لم يكن اذنب وهذا خطا منهم وغلط لان الجلد الثاني هو الاول لكن يعيده الله عز وجل
ويعيده الى الحالة الاولى فيكون الجلود جلدا واحدا والاحوال عليها متغايرة كما يقول الرجل صنعت من
خاتمي خاتما اخر فهو وان غير الصوغ فاصل الفضة واحدة وكما ان الانسان اذا انحل من القميص فيأخذ
فقد يقول له غيره جئتني بغير ثيابك الاول وليس انشا الجلد بعد النضج الا كانشا الجلد الذي بلي بالبعث
وذهب بعض المتكلمين الى ان الانسان هو الروح لا الابس هذا البدن وليس الجلد يالم وانما يالم الانسان
الذي كان في الشخص بسبب الجلد الثاني والثالث كما يالم بالجلد الاول وقال بعضهم اراد بالجلود السرابيل
وهذا لا يصح لان القمص لا تسمى جلودا ولان النضج انما يستعمل في الجلد واللحم دون الثياب والاصح هو
الجواب الاول ثم بين الله عز وجل مصير المومنين فقال عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا معناه والذين صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم
سندخلهم بساتين تجري من تحت شجرها وغرفها مياه الانهار مقيمين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة في الخلق وندخلهم ظلا دائما وهو ظل الاشجار والقصور ظل لا حر معه ولا برد وليس
كل ظل يكون ظليلا واسم الظل انما يقع على ما لا يقع عليه الشمس وما لا يقع عليه الشمس ولا يكون
الفي الا ما يقع عليه الشمس وفي الخبر المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعه وهي شجرة الخلد قوله عز وجل ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما افتتح مكة اتى البيت ليدخله فسال
عن المفتاح فقيل هو مع عثمان بن طلحة فارسل اليه فاتاه فقال هات المفتاح فقال عمه العباس بن عبد
المطلب بابي انت وامي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لي السدانة مع السقاية فقبض عثمان
يده مخافة ان ياخذه منه فيدفعه الى عمه العباس فقال عليه السلام هات المفتاح يا عثمان فهم
ان يعطيه فاعاد العباس مقالته فقبض عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تؤمن
بالله واليوم الاخر فهات المفتاح فلم يجد من دفعه بدا عند ذلك فقال هاك امانة الله يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بامانة الله عز وجل فاخذ عليه السلام المفتاح ففتح الباب فلما اراد ان يدخل البيت اذ هو بصورة
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والكبش في الحائط واذا الازلام في ايديهما فقال قاتل الله المشركين ما لابرهيم

والقداح فامر بالصور فمحيت ثم ثنا ومكث في البيت ما شاء الله ان يمكث فلما خرج وطاف بالبيت ثلثة
اشواط او اربعة اشواط نزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الاية ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى
اهلها فدعا عثمن بن طلحة فدفع اليه المفتاح وقرا عليه الاية فصارت الاية عامة للناس كلهم ولما هاجر عثمن
الى المدينة دفع المفتاح الى اخيه شيبة فتوفي عثمن وصار المفتاح في ولد شيبة الى اليوم كان اهل السير ذلك
المفتاح كان امير بعد فتح مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له نقله من يد عثمن الى غيره فكيف
بعد ذلك فيما يلزم رده من الامانات فبل اذا كان في يد من يوثق بامانته وامانته وكان اهلا
لذلك لم يمتنع ان يلزم اقراره بعد الفتح كما يلزم اقرار المرء على نفسه وماله اذا اسلم على ذلك فيدخل هذا
في جملة الاية واما قوله عز وجل واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل فهو خطاب للائمة ومعناه
ويامركم اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي بالحق وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به اي
نعم الذي يامركم الله عز وجل به من اداء الامانة والحكم بالحق ان الله كان سميعا للمقالة العباد بصيرا
بامانة عبيده قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
ذلك خير واحسن تاويلا** معناه يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله تعالى اطيعوا الله فيما امر
واطيعوا الرسول فيما بين ويقال اطيعوا الله في الفرايض والرسول في السنة واما قوله واولي الامر منكم
روي عن ابن عباس وجابر وجماعة من التابعين انهم الفقهاء والعلماء في الدين وعن ابن عباس في رواية
اخرى وهو قول ابي هريرة ان اولي الامر ولاة المسلمين وقال الكلبي ومقاتل هم امراء السرايا كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية امر عليهم واحدا وامرهم ان يطيعوه ولا يخالفوه ولا تنافي بين القولين
لجواز انهما مرادان بالاية لان الامراء يلون امر تدبير الجيوش وقتال العدو والعلماء يلون حفظ الشريعة
وما لا يجوز وقد امر الله تعالى الناس بطاعتهم والقبول منهم ما داموا عدولا مرضيين وعن
امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال حق للامام ان يحكم بالعدل ويؤدي الامانة فاذا
فعل ذلك وجب على المسلمين ان يطيعوه لان الله عز وجل امرهم باداء الامانة والعدل ثم امر الناس بطاعتهم
وقد استدل بعض المفسرين على ان الاظهر من الاية ان المراد بها العلماء لان امر الشريعة انما تجب طاعتهم
من حيث امر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك وامرهم الامر يرجع اليهم **وانما** العلماء اذا استدلوا من
الكتاب والسنة او اجمعوا في حادثة من الحوادث على شيء فان ذلك يضاف اليهم ويصار واجبا بدلالة
الكتاب والسنة وفي قوله عز وجل فان تنازعتم في شيء دليل على ان معناه ان اختلفتم في شيء من الحلال والحرام
والشرايع والاحكام فردوه الى ادلة الله تعالى والى ادلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الرد لا يكون الا
بالاستدلال والاستخراج من القياس لان الموجود في نص الكتاب اذا علم وعمل به لا يوصف بانه رد الى الكتاب
وانما فعل ما صار اتباعا للنص وعرف العلماء الاصوليون كيفية الرد الى الكتاب والسنة ودلايل احكام الحوادث وفي
قوله عز وجل ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر بيان ان القصد للخلاف كفر وان الايمان اتباع الكتاب
والسنة والاجماع وهذه الاية جامعة لبيان اصول الفقه ومعنى ذلك خير واحسن تاويلا اي رد الاختلاف
الى الله عز وجل والرسول خير من الاصرار على الاختلاف واحسن عاقبة لكم ويقال احسن تاويلا اي ردا وقيل
الدين ثابتا ولو بعد حين حيرة الى الكتاب والسنة **وعن** عمر رضي الله عنه انه قال الرجوع الى الحق خير من التمادي
بالباطل قوله عز وجل **الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا**
معناه الم تخبر يا محمد عن الذين يزعمون انهم صدقوا بالقران الذي انزل اليك وبما انزل من قبلك من الكتب وهم

المنافقون

المنافقون يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الى كعب بن الاشرف وكان يسمى الطاغوت وقد امروا في كتاب
الله عز وجل ان يكفروا بالطاغوت ويريد الشيطان ان يضلهم عن الهدى ضلالا بعيدا عن الحق وذلك انه
كان بين رجل من المنافقين وبين يهودي خصومة وكانت تلك الخصومة في حكم الاسلام على المنافق وفي حكم
اليهود على اليهودي فقال اليهودي للمنافق انطلق بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لنخاصمك وقال المنافق
بل الى كعب بن الاشرف فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك جاء
معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختصما اليه فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق
وقال لا ارضى حتى يقضي بيننا ابو بكر فحكم ابو بكر رضي الله عنه لليهودي فقال لا ارضى حتى يقضي بيننا عمر رضي الله عنه فصارا
الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي اني اختصمت انا وهذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لي عليه فلم يرض
بقضائه وزعم انه يخاصمني اليك فجئت معه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما رويدا
حتى اخرج اليكما فدخل البيت واخرج السيف ثم خرج اليهما وضرب به المنافق حتى برد وهرب اليهودي
هاربا فتكلم اهل المنافق فجاءوا بعمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية
فقال صلى الله عليه وسلم انت الفاروق قوله عز وجل **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا** قال ابن عباس رضي الله عنهما اختصم الزبير
بن العوام وثعلبة بن حاطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر بينهما فقضى للزبير فجاء من عنده
ومر على المقداد بن الاسود وهو جالس فقال لمن كان القضاء لثعلبة فقال قضى لابن عمته الزبير ولوى
شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا في حياة موسى بن عمران فقال
لنا اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا في طاعة الله عز وجل سبعين الفا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس
وكان معهم اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لفعلت فانزل
الله عز وجل في شان ثعلبة ولية شدقه واذا قيل لهم تعالوا اي قيل للمنافقين هلموا الى التحاكم الى ما امر الله عز
وجل في كتابه والى الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بينكم رايت المنافقين يعرضون عن حكمك
اعراضا والصدود في اللغة هو الاعراض يقال صد يصد صدودا اذا اعرض عنه وصد يصد صدا
اذا صرف غيره عن الشيء والله اعلم قوله عز وجل **فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت
ايديهم ثم جاءوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا** معناه والله اعلم فكيف
صنيعهم من بعد او حزنهم ويقال كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة بقتل صاحبهم وظهور نفاقهم
بما فعلوه من رد حكم النبي صلى الله عليه وسلم ولي الشدق ثم جاءوك معتذرين يحلفون بالله ان اردنا الا
احسانا تسهيلا عليك كيلا تشتغل بخصومتنا وتوفيقا بين الخصوم بالتقارب ما يقرب التوسط دون
الحمل على مر الحكم ويقال معناه ما اردنا بالمحاكمة الى كعب بن الاشرف الا احسانا الى من هو اهل الاحسان
والتوفيق بين المسلمين والكفار يقول الله عز وجل **اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض
عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا** معناه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والله عز
وجل يعلم ما في قلوب الناس انهم منافقون وان حلفهم لا ينفعهم كما انهم مع علم الله تعالى الكفر منهم وقوله عز
وجل فاعرض عنهم اي اعرض عن عقوبتهم في الدنيا ويقال اعرض عن قبول عذرهم وعظهم مع ذلك باللسان و
اعلمهم انهم ان عادوا الى مثل ذلك حل بهم العقوبة والقتل ومعنى القول البليغ ان يبلغ صاحبه بعبارته
كنه ما في قلبه يقال بلغ الرجل يبلغ بلاغة فهو بليغ وبلغ القول فهو بليغ اذا بلغ المقصود الصادق قوله عز وجل
وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك

الألوكة
www.alukah.net

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما معناه وما ارسلنا رسولا
الى الناس الا ليطاع وذلك الرسول باذن الله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بطلبهم الحكم الى الطاغوت
جاوك ايها الرسول فاستغفروا الله وتابوا اليه واستغفر لهم الرسول عند ذلك لوجدوا الله قابلا
للتوبة رحيما بهم بعد التوبة قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما معناه ليس الامر كما يزعم المنافقون انهم جاوك
يصدون فقال عز من قائل فلا وربك لا يؤمنون لا يستحقون اسم الايمان ولا يكونون مومنين عند الله تعالى
حتى يحكموك فيما وقع بينهم من الاختلاف ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي لا تضيق صدورهم من قضيتك
وقيل لا يجدوا في انفسهم شكا في حكمك ويسلموا تسليما ينقادوا لحكمك وقضائك انقيادا وفي الاية
دلالة ان من لم يرض بحكم واحد من احكام الله عز وجل او شك في اية من اياته كان ذلك كفرا الا ترى ان
حكم الصحابة بارتداد من امتنع من اداء الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم وقال بعضهم معنى تكرار لا في اول
هذه الاية تاكيد النفي ومثله يستعمل في كلام الناس والمشاجرة في اللغة المخاصمة اخذت من الشجر
تشبيها للخصومة في دخول بعض الكلام في بعض بالاشجار في التفاف بعضها الى بعض قوله
عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا نزلت في قول ثابت
بن قيس اما والله ان الله تعالى ليعلم مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لفعلت وكان
ثابت من القليل الذي استثناهم الله عز وجل في الاية ومعنى الاية لو انا فرضنا عليهم كما فرضنا على بني اسرائيل
ان اقتلوا انفسكم وامرناهم ان يخرجوا من ديارهم لشق ذلك عليهم ولم يفعله الا قليل منهم مع علمه بوجوب
ذلك عليهم ورفع القليل على البدل من الواو والمعنى ما فعله الا قليل منهم ومن قرا قليلا بالنصب كان نصبا
على الاستثنا على معنى استثني قليلا منهم قال وانما يجوز هذا في النفي فاما في الاثبات فلا يجوز فعلوه الا
قليل منهم بالرفع لان الفعل لا يكون مضافا الى القليل ولا يكون القليل بدلا من الواو قال الله عز وجل فشربوا
منه الا قليلا منهم وانما حرف لو في قوله هذه الاية نحو موضوع في اللغة ليمنع به الشي لامتناع غيره
تقول لو جاني زيد لجئته تريد بذلك ان مجيئي امتنع لامتناع مجي زيد وحق لو ان يليها الفعل الا ان ان
المشددة يقع بعدها الا ان في اللغة تنوب عن الاسم والخبر تقول ظننت انك عالم اي ظننتك عالما
وظننت علمك وكذلك تنوب عن الاسم والفعل كما نابت عن الاسم والخبر فالمعنى في لو انا كتبنا
عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم واما قوله عز وجل ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا ففيه اربعة اوجه
احدها ضم النون في ان والواو في او لانهما اذا حركا الى الكسر وقع خروجا من الكسر الى الضم وليس في كلامهم
فعل فاستثقلوا ذلك فضموهما والثاني كسرهما جميعا لالتقاء الساكنين والثالث كسر الاولى وضم الثانية
لان الكسرة في الواو مستثقلة والرابع ضم الاولى وكسر الثانية وهو ضعيف لان في الواو ثقلا وفي الضمة
ثقلا اخر فعدل عن الضمة الى الكسرة واما قوله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به فمعناه لو فعل
المنافقون ما يومرون به من الرضى بحكمك لكان خيرا لهم من المخالفة الى غيرك واشد تثبيتا لقلوبهم
على الصواب لان الحق يبقى والباطل يذهب وتثبيتا ويقال معنى التثبيت البصيرة تودي الى سكون النفس
واعتقاد الجهل يودي الى الحيرة والشك قوله عز وجل واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما
اي اذا لو فعلوا ما امروا به لاعطيناهم من عندنا ثوابا جزيلا في الجنة يصغر عنده كل ما سواه قوله عز وجل
ولهديناهم صراطا مستقيما قال بعضهم ولنعطيناهم من اللطف ومن الطاعات ما يلزمون به
الصراط المستقيم كما قال الله عز وجل والذين اهتدوا زادهم هدى وقال بعضهم ولهديناهم في الاخرة

الى طريق

الى طريق الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا معناه من يطع الله والرسول فيما
يدعوانه ويامرانه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير وجهه ولونه ونحل جسمه فقال عليه
السلام ما غير لونك فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي من مرض ولا وجع غير اني لم ارك فاشتقت
اليك واستوحشت فهذا الذي نزل بي من اجل ذلك واذكر الاخرة واخاف ان لا اراك هناك فانك
ترفع مع النبيين فانزل الله تعالى هذه الاية فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يومن عبد حتى اكون
احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين واما قوله والصديقين فهم اصحاب الصدق
والصديق افضل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويسمى المداوم على التصديق بما يوجبه الحق صديقا
ويقال في معنى الصديق المتصدق في اعماله بالبر واما الشهداء فهم الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى
سموا شهدا لقيامهم بشهادة الحق وهذا هو معنى دعا المومنين اللهم ارزقنا الشهادة وانما يقال
للمقتولين والغريق شهيد على التشبيه بالشهيد لشدة ما نالهم ويصبرون عليه واما الصالحون فهم
الذين استقامت احوالهم وحسن عملهم والصالح هو المقوم لحسن عمله ولهذا يجوز وصف الله تعالى
بالمصلح ولا يجوز بالصالح لانه يقوم بتدبير عباده فان قيل كيف يكون المطيعون لله سبحانه والرسول
صلى الله عليه وسلم مع النبيين ودرجة الانبيا في الجنة في اعلى عليين قيل ان الانبيا عليهم السلام وان
كانوا في الجنة في اعلى عليين فان غيرهم من المومنين يرونهم ويزورونهم ويستمتعون برويتهم
فيصح في اللفظ ان يقال انهم معهم واما قوله وحسن اولئك رفيقا فمعناه حسن الانبيا ومن معهم
رفقا في الجنة او ما احسن مرافقتهم فيها وذكر الرفيق بلفظ التوحيد لانه نصب على التمييز كما في قوله عز
وجل فان طبن لكم عن شي منه نفسا وكما يقال لله دره احسن الظن فتى ويجوز ان يكون معنى وحسن
اولئك حسن كل واحد من اولئك رفيقا كما قال الله عز وجل ثم يخرجكم طفلا ولم يقل اطفالا وفي
اصل الرفيق في اللغة ان يرافق صاحبه في المنزل او السفر ماخوذ من الرفق في الامر قوله عز وجل
ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما معناه ذلك المن من الله على المطيعين وكفى بالله عليما بهم وباعمالهم
ومجازاتهم بما يستحقونه من ثواب وكرامة والفضل اصل في اللغة هو الزيادة على المقدار الا انه كثر
استعماله في النفع وافعال الله عز وجل كلها فضل وتفضل وافضال لانه لا يقتصر بالعبد على مقدار
ما يستحقه من عمله كما يفعل الناس بل يزيده زيادة كثيرة قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم
فانفروا ثبات او انفروا جميعا معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا الله ورسوله خذوا حذركم من
عدوكم بالاسلحة والدواب والرجال ولا تخرجوا متفرقين ولكن انفروا جماعات جماعات سرية
سرية كما يامركم النبي صلى الله عليه وسلم في جهاد عدوكم او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم
ان اراد الخروج ويجوز ان يكون معنى الحذر السلاح من ما يطلب به الحذر والتقوى وفي اللغة النفر
يقال نفر ينفر نفورا ونفر الى الله عز وجل اذا فزع اليه والنفر الجماعة التي تفزع الى مثلها وواحد الثبات
ثبة وقد يجمع ثبة ثبون وانما جمعت بالواو والنون لان الواو والنون جعلتا عوضا من حذف الحرف
وتصغيرها ثبية وكذلك عزة وعضة كما قال الله عز وجل عضين وعزين وثبة الحوض وسطه
حيث يثوب الماء واشتقاق الثبة من قولهم ثبيت على فلان اذا جمعت ذكر محاسنه قوله عز وجل
وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا معناه وان منكم

الألوكة
www.alukah.net

اظهر الايمان ليتثاقلن على الجهاد ويتعللن وهم عبد الله بن ابي وجد بن قيس واصحابهما من المنافقين الذين
كانوا يشاركون المسلمين في ظاهر الاسلام كانوا ينتظرون هلاك المسلمين وهزيمتهم ويتثاقلون عن الجهاد
يقال ابطأ الرجل اذا تأخر عن الحمل باطالة المدة وبطأ الرجل اذا ثقل واللام التي في لمن لام ان واللام التي
في ليبطئن لام القسم كانه قال وان منكم لمن احلف والله ليبطئن ومعنى فان اصابتكم مصيبة اي ان اصابكم
نكبة او قتل او هزيمة قال هذا المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم حاضرا فيصيبني ما اصابهم
قوله عز وجل ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما معناه ولئن اصابكم معشر المؤمنين ظفر ودولة وغنيمة ليقولن هذا المبطئ
يا ليتني كنت معهم في الغزو فاصيب حظا وافرا وغنائم كثيرة واما قوله عز وجل كان لم تكن بينكم وبينه مودة
قال بعضهم هو معترض بين التمني وما قبله وتقديره ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما كان لم تكن بينكم وبينه مودة اي يتمنى ان ينال المال من غير ان يريد الجهاد والقتال
ويقول قول المتمني عن النبي صلى الله عليه وسلم وان كان ممتنعا بنفسه ويجوز على هذا التاويل
حمل الاية على النظم الذي ورد الكتاب به وقال بعضهم موضع قوله كان لم تكن بينكم وبينه سابق
على هذه الاية وهو متصل بقوله تعالى قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم تكن بينكم وبينه
مودة اي صلة في الدين ومعرفة في الصحبة كانه لم يعاقدكم على ان يجاهد معكم ثم امر الله عز وجل كل
من عقد عقد الايمان بالقتال فقال عز وجل فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما معناه ليقاتل في سبيل
الله ورضاه الذين يبيعون الحيوة الدنيا بنعيم الاخرة وهم المؤمنون ويقال قوله عز وجل فليقاتل
خطاب للمبطئين ومعناه يشترون الحيوة الدنيا يختارون الحيوة الدنيا على الاخرة وهذا اللفظ من
الاضداد يقال شريت بمعنى بعت وشريت بمعنى اشتريت ثم ذكر الله تعالى المجاهدين في الاخرة
فقال عز من قائل ومن يقاتل في سبيل الله اي في الجهاد الذي هو طاعة الله فيقتل هو او يغلب ويظفر
على العدو فسوف نعطيه في كلا الوجهين ثوابا وافرا في الجنة وسمى الله الثواب عظيما لانه جل كرم
ما من العبد با على الايمان وقد يكون ثمن الشيء مثله ويكون وسطا من الايمان وفي الاية بيان ان المؤمن
اذا غلب العدو ولا ينقصه ثوابه عند غلبته على ما اصاب من الظفر والغنيمة ونظير هذه الاية
قوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يعني الظفر في الدنيا والشهادة في الاخرة قوله عز
وجل وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا
معناه اي شيء لكم ايها المؤمنون في ترك الجهاد واجتماع الاسباب الموجبة للحرص عليه وقوله لا تقاتلون
في موضع النصب على الحال كانه ما لكم تاركين القتال كما قال الله عز وجل في اية اخرى فما لهم عن
التذكرة معرضين وقوله تعالى والمستضعفين في موضع الخفض باضمار في ومعناه وفي شان
المستضعفين وفي نصرة المستضعفين ويجوز ان يكون معناه وعن المستضعفين اي للذب عن
عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين هم بمكة ويلقون فيها اذى كثيرا من المشركين
وهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وغيرهم كانوا اسلموا بمكة فاراد عشائرهم
من اهل مكة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ان يفتنوهم عن الاسلام يقول الله عز وجل
ما لكم لا تقاتلون المشركين في خلاص هؤلاء الضعفاء الذين يسالون الله عز وجل ويقولون ربنا اخرجنا
اي خلصنا من هذه القرية يعنون مكة الظالم اهلها الكافر اهلها واجعل لنا ربنا من عندك حافظا

يحفظنا

يحفظنا من اذاهم واجعل لنا من عندك مانعا يمنعنا منهم فاستجاب الله تعالى دعاءهم وجعل لهم
النبي صلى الله عليه وسلم حافظا وناصرا ففتح مكة على يديه واستعمل هو عليهم عتاب بن اسيد
فكان عتاب بن اسيد ينصف الضعيف من الشديد وذهب الزجاج الى ان الظالم وهذه الاية
نعت للقرية قال ووحد الظالم لانه صفة تقع موقع الفعل تقول مررت بالقرية الصالح
اهلها تريد بالتي صلح اهلها وقال الفراء هو نعت للاهل فلما عاد الاهل على القرية كان فعل ما
اضيف اليها بمنزلة فعلها كما تقول مررت بالرجل الواسع داره والحسن شانه ونحو ذلك
قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فقاتلوا اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا في الاية بيان ان المؤمنين يقاتلون عن بصيرة
والكفار يقاتلون عن شبهة ومن يقاتل عن بصيرة يكون اقوى قلبا واشد واقرب الى النصر ممن
يقاتل عن شبهة لان شدة الحرص على القتال بقوة البصيرة ومعنى الاية الذين امنوا محمد صلى الله عليه
وسلم والقران يقاتلون في طاعة الله بامر الله والذين كفروا ابو سفيان واصحابه يقاتلون في
طاعة الشيطان فقاتلوا ايها المؤمنون قرناء الشيطان ان مكر الشيطان وصنعه بالوسوسة
الى اوليائه ان الظفر يكون لهم كيد ضعيف وانما دخل على هذا اللفظ كان ليبين ان صفة
الضعف لازمة له وانه قد كان ضعيفا يخذل اولياءه كما خذلهم يوم بدر حيث قال اني
بريء منكم اني ارى ما لا ترون قوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
قال ابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم نزلت هذه الاية في قوم من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والمقداد
بن الاسود وغيرهم استاذنوا من النبي صلى الله عليه وسلم في قتال المشركين كانوا بمكة فامرهم (حين قبل الهجرة)
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف وقال لم اؤمر بقتالهم بعد وفي رواية الروايات كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لو اذنت لنا ان نعمل معاول نقاتل بها المشركين فقال صلى
الله عليه وسلم كفوا ايديكم عن المشركين عن ضربهم وقتالهم واقيموا الصلوة اتموا الصلوات
الخمس بشرائطها واعطوا زكوة اموالكم يقول الله عز وجل فلما فرض الله عليهم بالمدينة الجهاد اذا
فريق منهم طائفة منهم وجماعة يخشون الناس يخافون قتال اهل مكة كخوفهم من عذاب الله بل
اشد خوفا منهم من خوفهم من الله وكلمة او في هذا الموضع لابهام الامر على المخاطب لا للشك اذ ا
الشك لا يجوز على الله سبحانه وهذا كما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويجوز
ان يكون او في هذا للتخيير والاباحة كقولك جالس الحسن او ابن سيرين اي ان شئت خشيتهم من الناس
خشيتهم من الله كنت مصيبا فان شبهتها باشد من ذلك كنت مصيبا لان خشيتهم من الناس قد
بلغت مبلغ خشيتهم من الله وزيادة واما قوله عز وجل وقالوا ربنا اي قالوا يا ربنا لم اوجبت علينا
الجهاد لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنون الموت قال الحسن رضي الله عنه لم يقولوا هذا كراهة امر الله
ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك كما يدخل الجبن على الرجل وقال بعضهم انما قالوا هذا لانهم كانوا الى
الدنيا واثروا نعيمها على القتال واما قوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل فمعناه قل لهم يا محمد صلى الله عليه
وسلم منفعة الدنيا يسيرة تنقطع وتفنى اذ الجديد منها الى البلاء والشباب منها الى الهرم والانتقاص
قالوا واقل قيمة منها من يطلبها ويفرح بها ويرغب اليها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الألوكة www.alukah.net

انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها واما قوله عز وجل والاخرة خير لمن اتقى فمعناه
وثواب الاخرة خير وافضل لمن اتقى المعاصي ولا تنقصون من اعمالهم من الجزاء الذي تستحقونه مقدار الفتيل في
نقيرا ولا تظلمون مانا على المخاطبة وقد تقدم تفسير الفتيل وبالله التوفيق قوله عز وجل **اينما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان
تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**
معنى الاية والله اعلم اينما تكونوا معشر المومنين المخلصين والمنافقين في بر او بحر او حضر او سفر يلحقكم
الموت وان كنتم في حصون حصينة محكمة من الحديد وغيره مرتفعة الى عنان السما اي انكم وان نسوتم وامرتم
بترك القتال فان اجالكم موت لا تنجون منه وذهب بعضهم الى ان البروج قصور باعيانها في السما وقال
هي الابنية على رؤس السور وهي في الجملة ماخوذة من الظهور يقال تبرجت المراة اذا اظهرت زينتها ومنه
البرج سعة العين رجل ابرج اذا كان واسع العين واما المشيدة فيجوز ان يكون معناها من الشيد وهو
الجص ويجوز ان يكون معناها المطولة المرتفعة شاد الرجل بناه تشييدا شيدا وشادا اذا رفعه و
طلاه بالشيد فاما في الذكر فيقال شدت بذكر فلان لا غير اذا رفعت من ذكره واما قوله عز وجل
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله فهو حكاية قول المنافقين واليهود كانوا يقولون ما زلنا
نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم هذا الرجل علينا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه
المدينة فذلك قوله عز وجل وان تصبهم حسنة اي يصبهم خصب ورخص سعر وتتابع امطار
يقولوا هذه من فضل الله علينا وان يصبهم قحط وجدوبة وشدة وغلاء سعر يقولوا هذه من شوم محمد
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم كما قال الله عز وجل في شان موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه يقول الله عز وجل قل كل من عند الله اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم الحسنة
والسيئة كلها بقضاء الله وتقديره فما لهؤلاء المنافقين واليهود لا يقربون من فهم حديث عن الله تعالى و
الفقه في اصل الفهم ثم اختص من جهة العرف بعلم الشرع واستدل بعض المفسرين على ان المراد بقوله عز وجل النعم
من قبل اذا فريق منهم يخشون الناس المنافقون دون المخلصين وقال الحسن رضي الله عنه اراد بالحسنة في هذه
الاية الظفر والغنيمة وبالسيئة القتل والهزيمة كانوا اذا غلبوا قالوا هذه رضي الله من عند الله واذا غلبهم العدو
قالوا هذه خطاك وتدبيرك قوله عز وجل **ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا** اختلف المفسرون في المخاطب بهذه
الاية فقال اكثرهم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها عامة الناس كما قال عز من قائل يا ايها النبي عن ر
اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وقال ابن قتادة المخاطب بهذه الاية الانسان كانه قيل
ما اصابك ايها الانسان من حسنة اي خصب ورخص سعر وغنيمة فالله عز وجل هداك اليها واعانك
ووفقك عليه وما اصابك من قحط وجدوبة ونكبة وهزيمة وكل امر تكرهه فمن نفسك اي اصابك
ذلك بما كسبت عقوبة عليك كما قال جل ذكره في اية اخرى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من خدشة عود ولا اختلاج عرق
ولا عثرة قدم الا بذنب وما يعفو الله عز وجل اكثر وقال بعض المفسرين في هذه الاية وبين التي قبلها
اضمار تقديره وذلك فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن
الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لانه يستحيل ان يامر الله عز وجل باضافة الحسنة والسيئة الى
امره وقضائه في اية لم يتلوها انه يفرق بينهما بعد ان ذم قوما على التفرقة في الاولى فكيف يجوز ان
يذم على الجمع في الاية الثانية ومثل هذا الاضمار كثير وقرى في الشواذ فمن نفسك اي الكل من الله قرات

ونفسك

ونفسك حتى يضاف اليك شي غير ان القراة سنة متبعة فلا يقرا الا بما صح به الرواية فاما قوله
عز وجل وارسلناك للناس رسولا فمعناه من نعمة الله تعالى عليك الرسالة اي ارسلناك رسولا اليهم وكفى بالله
شهيدا اي شهد لك بالرسالة والصدق ويقال شهيدا على مقالة القوم ان الحسنة من الله والسيئة
من عندك قوله عز وجل **من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا** روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية في المنافقين كانوا
يقولون يا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرك طاعة فمرنا بما شئت نفعله فاذا امرهم بالامر او نهاهم
عن الشي خالفوه وغيره واما قال الحسن فانزل الله تعالى هذه الاية وما بعدها فيهم ومعنى الاية من يطع
الرسول فيما يامره وينهاه فقد اطاع الله لان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يامر به من عند الله ومن
تولى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا اي ليس عليك الا البلاغ وما ارسلناك عليهم مسلطا
تجبرهم على الايمان والطاعة وتمنعهم عن الكفر والمعصية فانك مبلغ وانا العالم باسرارهم وهذه الكلمة
من اخر هذه الاية منسوخة نسختها اية السيف قوله عز وجل **ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك
بيت طايفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا** معناه ان المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم امرك طاعة وقولك متبع قد بلغت ما
فاذا خرجوا من عندك يا محمد صلى الله عليه وسلم غير جماعة من المنافقين الامر الذي تامرهم به على وجه التكذيب
والتدبير بخلاف ما يقول يقال للشكل المرتضى بالليل بيت وبيتت باسكان التا وادغامها في الطا لقرب مخرجهما
وهذا انما يستعمل به وانما لم يقل بيتت لان كل تانيث غير حقيقي يجوز تعبيره بلفظ التذكير وقرا بعضهم
بيت طايفة منهم باسكان التا وادغامها في الطا لقرب مخرجهما وهذا مما يستقيم في الفعل لان الفعل
الماضي مبني على الفتح ومعناه والله يكتب ما يبيتون يحفظ عليهم ما يغيرون من امرك ويقال ينزل
اليك في كتابه فاعرض عنهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعاقبهم ويقال لا تسم المنافقين باعيانهم
اي استر عليهم الى ان يستقيم امر الاسلام وثق بالله وفوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا ثقة وحافظا
والوكيل هو القائم بما يفوض اليه من التدبير قوله عز وجل **افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** معناه افلا يتفكرون في القران يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه
بعضا وان احدا من الخلايق لا يقدر على مثله فيعلمون انه حق وانه من عند الله والتدبر في اللغة هو النظر
في دبر الشي وعاقبته يقال ادبر القوم اذا هلكوا ودبر واذا ولى امرهم ويسمون المحل دبر لانه يعقب ما
ينتفع به ويسمى المال الكثير دبرا لانه يبقى للاعقاب وقوله عز وجل ولو كان من عند غير الله معناه لو
كان هذا القران من عند النبي صلى الله عليه وسلم او كان يعلمه بشر على ما قاله الكفار لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا والاختلاف على ثلثة اوجه اختلاف تناقض وهو ان يدعو احد الشيين الى فساد
الاخر واختلاف تفاوت وهو ان يكون بعضه بليغا وبعضه مرذولا ساقطا وهذان الضربان من
الاختلاف منفيان عن القران وهو احدى دلالات اعجاز القران لان كلام البلغا والفصحا اذا طال مثل
السور الطوال من القران لا يخلو من ان يختلف اختلاف التفاوت والثالث اختلاف تلاوم وهو
ان يكون الجميع متلائما في الحسن كاختلاف وجوه القراات ومقادير الايات والاختلاف بين الناسخ و
المنسوخ وهذا الاختلاف غير منفي عن القران وفي الاية دليل على بطلان قول من يقول انه لا يجوز تفسير
القران الا بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لانه لو كان الامر على ما قالوا لم يكن التدبر في القران اصلا
اذ لا يمكن التدبر فيه الا بمعرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا بمعرفة صحة القران وانتفاء الاختلاف
عنه وهذا يوجب انه لا يعلم واحد منهما وفي الاية دليل بطلان التقليد وصحة القياس اذ لو جاز التقليد فيها

الألوكة www.alukah.net

لم يكن للامر بالتدبر للقران معنى قوله عز وجل **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا** قال بعض المفسرين اراد باول الاية المنافقين كانوا اذا اتاهم خبر من امر السرايا الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم من ظفر ودولة وغنيمة او اتاهم عنهم خبر نكبة وهزيمة افشوا ذلك الخبر واظهروه ليحذر بخبر الظفر من ينبغي ان يحذر من الكفار وتقوى بخبر الهزيمة قلب من كان يبتغي نكبة المسلمين منهم وقال بعضهم اراد به ضعفة المسلمين في الراي كانوا اذا بلغهم خبر افشوه يقول الله عز وجل ولو ردوه الى الرسول اي تركوا امر العسكر والسرايا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر من المومنين وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي واكابر الصحابة رضي الله عنهم حتى يكونوا هم الذين يفشون لعلمه الذين يطلبون الخبر ويستخرجونه من النبي صلى الله عليه وسلم واكابر الصحابة ان ذلك صحيح ام فاسد وعلموا تدبير مكايدة العدو والخروج الى الجهاد من الاقدام في حالة والاحجام في اخرى وعلموا ان ذلك هل ينبغي ان يذاع ذلك الخبر او لا يذاع وقد تقدم تفسير اولي الامر انهم امرا السرايا او العلما ولا تنافي بين القولين لان الامرا هم الذين يملكون الامر والنهي والعلما هم الذين يجب على الناس الرجوع اليهم في الحوادث وان كانوا لا يملكون الالزام والاستنباط في اللغة الاستخراج واصل ذلك النبط وهو الما الذي يخرج من البير في اول ما يحفر يقال انبط الحافر اذا بلغ الما ومنه تسمية الانباط بذلك لانهم كانوا اصحاب معرفة باستخراج المياه واما قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فمعناه لولا ما انزل الله تعالى عليكم من القران وبين لكم من الايات على لسان نبيه عليه السلام لاتبعتم الشيطان الا قليلا اي كان اهلكم يهتدي من الكفر مثل زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة والمراد بالفضل في هذا الفضل الرسول صلى الله عليه وسلم والقران لا عموم الفضل والرحمة لان الذي يومن بغير الكتاب والرسول لا يخلو ايمانه من فضل الله ورحمته وقال بعضهم في الاية تقديم وتاخير والمعنى اذاعوا به الا قليلا من الخبر لم يذيعوه او الا قليلا من المنافقين لم يذيعوه وقال بعضهم المعنى لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا قال وليس هذا استنباط نظر وتفكر فلا يعرفه الا القليل من الناس انما هو استنباط خبر والاكثر يعرف الخبر اذا اخبر به وانما القليل المبالغ في البلادة لا يعلم ما يخبر به ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخروج الى بدر الصغرى حين كان اكثر الصحابة يكرهون ذلك كراهة شديدة فخرج في سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر الصغرى فكف الله عنه باس العدو ولم يكن قتال وانصرف هو واصحابه فذلك قوله عز وجل **فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المومنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا** اختلفوا في الفا في اول هذه الاية قال بعضهم هو جواب قوله عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله وقال بعضهم هو جواب قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله اي اي شي لكم في ترك القتال فقاتل في طاعة الله بالجهاد لا تؤاخذ الا بفعل نفسك وليس عليك ذنب غيرك وحرض المومنين على القتال ايضا لعل الله ان يمنع عنك قتال الكفار وعسى من الله تعالى واجب لانه في اللغة الاطماع واطماع الكريم لا يكون الا انجازا وقوله عز وجل والله اشد باسا معناه هو اشد قوة واشد عقوبة من اهل مكة وانما سميت العقوبة تنكيلا لانها فعل ما يوجب النكول الذي هو الامتناع من الشي ومنه النكول عن اليمين والنكول عن الامر قوله عز وجل **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شي مقيتا** روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى الاية من يصلح بين اثنين يكن له اجر وثواب من ذلك الاصلاح ومن مشى بالغيبة والنميمة يكن له حظ من وزرها وعقوبتها ويقال معناه من يوحد ويامر بالتوحيد يكن له اجر من ذلك ومن يشرك ويامر بالشرك يكن له وزر من ذلك ويقال الشفاعة الحسنة هي

الدعا

الدعا للمومنين والشفاعة السيئة هي الدعا عليهم فان اليهود كانوا يدعون على المومنين فوعدهم الله عز وجل بذلك واصل الشفاعة في اللغة ضم الشي الى مثله وهو ان يصير الانسان شفع صاحبه في معنى من المعاني في جهاد او مسالة خير شي ما يفعل او قول وان كان استعمال هذا اللفظ في القران وطلب الخير اكثر في العرف والعادة واما الكفل فهو النصيب ماخوذ من قولهم اكتفلت البعير اذا ادرت على سنامه او موضع من ظهره كساء وسمي ذلك كفلا لانه يستوعب الظهر كله وانما ذكر النصيب بلفظ الكفل على مقابلة الاول ليكون الحظ في الحسن والجودة واخطا في البلاغة واما قوله عز وجل وكان الله على كل شي مقيتا فمعناه مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة وانشدوا للزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه * وكنت على مساءته مقيتا * اي مقتدرا وقال الزجاج المقيت الحفيظ الذي يعطي الشي قدر الحاجة من الحفظ لانه مشتق من القوت يقال قت الرجل اقوته قوتا اذا حفظت نفسه بما تقوته ويقول اسم ذلك الشي الذي يحفظ نفسه والافضل فيه على قوله انتصاب هذه الاية بما قبلها ان الاية التي قبلها تحريض على القتال وفي هذه الاية بيان ان المعين بفعله وقوله نصيبا من الاجر والثواب قوله عز وجل **واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله كان على كل شي حسيبا** قال ابن عباس اراد بالتحية السلام ومعنى الاية على هذا القول واذا سلم عليكم احد فاجيبوا تحيته باحسن منها وهو ان يزيد في التحية فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته بحيث بذلك المسلم عليه والملكين الحافظين معه بالغ التحية وقوله عز وجل او ردوها معناه او اجيبوا بمثل الذي سلم عليكم وقد روي ان رجلا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله ودخل اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقام الرجل الاول فقال سلمت عليك فلم ترد لي علي وعليكم ورددت هذين فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لم تترك من السلام شيئا فرددته عليك وهذان تركا منه شيئا فزدتهما وفي هذا الخبر بيان ان منتهى السلام وبركاته وفي الاية دليل ان السلام سنة ورد السلام واجب وقد قال اصحابنا رحمهم الله ان رد السلام فرض على الكفاية اذا سلم الرجل على جماعة فرد واحد منهم اجزا عنهم الا في رواية ابي يوسف ان الرد واجب على كل واحد منهم واما قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقول النبي صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير فالمراد بذلك والله اعلم الاستحباب وافشا السلام ليكون الحظ من الثواب اكثر وهذه الاية محمولة على ما اذا كان المحيي مسلما فاما اذا كان المحيي كافرا فلا يزيد المسلم عليه في جوابه على قوله وعليك كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبدوا اليهود بالسلام فان بدوكم فقولوا وعليكم وتاويل هذا الخبر ان يرد عليه المسلم عليه بقوله ما يحل ان يدعى به للكفار من البقا والصحة في الدنيا دون نعيم الاخرة ولهذا يقال لهم ويرحمكم الله لان رحمة الله عز وجل لا تليق بالكفار وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى قوله واذا حييتم بتحية اذا اهدي اليكم هدية فكافيوا بافضل منها او مثلها وانما حملوا الاية على هذا التفسير لان معنى التحية في اللغة الملك على ما في التحيات لله ان معناها الملك لله وكانوا يقولون قبل الاسلام حياك الله اي ملكك الله ثم ابدلوا هذا اللفظ بالسلام بعد الاسلام واقيم السلام مقام قولهم حياك الله وعن هذا التفسير استدل فقهاونا رحمهم الله على صحة قولهم فيمن وهب لغير ذي رحم محرم منه ان له الرجوع فيها ما لم يعوض منها لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الواهب احق بهبته ما لم يثب منها قالوا وحمل الاية على الهبات اولى لان عين السلام لا يتصور رده وانما قوله عز وجل ان الله كان على كل شي حسيبا فمعناه مجازيا يعطي كل شي من العلم والحفظ والجزا مقداره ما يحسبه اي يكفيه يقال حسبك هذا اي اكتف بهذا وقوله عز وجل عطا حسابا اي كافيا وانما سمي

الألوكة www.alukah.net

الحساب في المعاملات حسابا الا وهو يعلمه فانه فيه كفاية ولعل فيه زيادة على المقدار ولا نقصان عنه ثم وحّد
الله تعالى نفسه لبيان انه لا اله غيره يجازي على الاعمال فقال عز وجل **الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى
يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا** معناه هو الله لا اله في الارض ولا في السماء
غيره واللام في ليجمعنكم لام القسم كانه قال الله ليجمعنكم في الحيوة والموت وفي قبوركم الى يوم القيمة ويقال معناه
ليجمعنكم ايها المخاطبون الى جمع يوم القيمة وسمي هذا اليوم بهذا الاسم لان الناس يقومون للحساب يومئذ
ويقال لانهم يقومون من قبورهم ومعنى لا ريب فيه لا شك فيه انه كائن لوضوح الحجة في كونه وقوله عز وجل
ومن اصدق من الله حديثا استفهام بمعنى النفي اي ليس احد اصدق من الله وعدا ولا اصدق منه قولا اذ لا
صادق الا وقد يوجد خبره بخلاف مخبره في بعض الاوقات الا الله عز وجل فمن اصدق منه حديثا وانما
كان الله سبحانه اصدق حديثا لعلمه بقبح الكذب وغناه عن فعله ولا يكون الكذب الا لجهل بقبحه او لجلب
منفعة او لدفع مضرة والله سبحانه غني عن العالمين قوله عز وجل **فما لكم في المنافقين فئتين والله
اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** قال ابن عباس رضي
الله عنهما هاجر اناس من قريش فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا ثم ندموا فقالوا
للمسلمين انا قد اجتوينا المدينة فنخرج ونتنزه فخرجوا فجعلوا يتحولون منقلة ثم منقلة حتى تباعدوا (اي المرحلة [illegible])
من المدينة ثم ادلجوا فاصبحوا وقد قطعوا ارضا بعيدة من الارض فلحقوا بمكة وكتبوا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا على ما فارقناكم عليه من التصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنا اشتقنا الى ارضنا
واجتوينا المدينة ثم انهم ارادوا ان يخرجوا في تجارتهم الى الشام فاستقبلهم اهل مكة فقالوا انتم على دين
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان لقوكم فلا باس عليكم منهم فخرجوا من مكة متوجهين الى الشام فبلغ ذلك
المسلمين فقالت طائفة منهم نقاتلهم فلبسوا على ديننا وقالت طائفة سبحان الله كيف نقاتل قوما على ديننا
فانزل الله تعالى هذه الآية ومعناها اي شيء لكم من الاختلاف في هؤلاء المنافقين حتى صرتم فيهم فرقتين
من محل لاموالهم ومحرم لاموالهم والله تعالى ردهم الى كفرهم وضلالتهم بما كسبوا من اعمالهم السيئة ونفاقهم وخبث
نياتهم وانما انتصاب قوله فئتين على الحال كقولك ما لك قائما اي ما لك انتصبت قائما اي لم وقفت في هذه
الحالة قائما ومعنى اتريدون ان تهدوا من اضل الله اتريدون معشر المخلصين ان ترشدوا من خذله الله عن
دينه وجحده ومن يضلل الله اي يخذله الله عن دينه الاسلام فلن تجد له طريقا الى الجنة ويقال معنى
اتريدون ان تهدوا اتريدون ان تقولوا ان من اضلهم الله فهم مهتدون ومن نسبه الله سبحانه
الى الضلالة فلن تجد له هاديا يسميه مؤمنا وهذا كما يقال من جرحه الحاكم فلا تسميه عدلا عنده
قوله عز وجل **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا**
معناه والله اعلم تمنى المنافقون والكفار ان تكفروا انتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن كما كفروا فتكونون
انتم معهم في الكفر سواء ولا تتخذوا منهم احبابا حتى يهاجروا في طاعة الله سبحانه فان اعرضوا عن الايمان
والهجرة فاسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم احدا حبيبا في العون والنصرة
ولا مانعا وهذه الآية محمولة على حال ما كانت الهجرة فرضا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا بريء
من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين وانا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل لم يا رسول الله قال لا تراءى ناراهما
ثم نسخ ذلك يوم فتح مكة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوم فتح مكة
لا هجرة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله عز وجل قوله عز وجل **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق**

**او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا**
اول هذه الآية استثناء لمن اتصل من الكفار بقوم بينهم وبين المسلمين ميثاق قال ابن عباس رضي الله عنهما
اراد بالقوم الاسلميين وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي واصحابه على ان
لا يعينوه ولا يعينوا عليه لمن وصل اليهم والتجأ بهم بالانساب او بالولاية من الجوار فلهم مثل ما لهم ويقال
اراد بالوصول ان يدخل احد من سائر الكفار في عهد الاسلميين على حسب ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين قريش من الموادعة فدخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو كنانة في عهد قريش
واما قوله عز وجل او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فمعناه او يصلون الى قوم جاؤكم ضاقت صدورهم
ان يقاتلوكم مع قومهم او يقاتلوا قومهم معكم وهم بنو مدلج ولو شاء الله لسلط قوم هلال بن عويمر
وبني مدلج عليكم فلقاتلوكم اذا قاتلتموهم طالبين لهم فان اعتزلوكم يقول ان تركوكم فلم يقاتلوكم مع قومهم
ان استسلموا وخضعوا بالصلح والوفاق فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بالحجة في القتال والحصر في اللغة الضيق
ومنه الحصر في القراءة لانه ضاق عليه المذاهب فلا يتوجه لقراءته ومنه المحصور في حبس وعدو قال اهل النحو
معنا او جاؤكم حصرت صدورهم او جاؤكم قد حصرت صدورهم لان حصرت لا يكون حالا الا بقد قالوا
ويجوز ان يكون حصرت صدورهم خبرا بعد خبر كانه قال او جاؤكم ثم اخبر بعد فقال حصرت صدورهم
ان يقاتلوكم وفي الشواذ او جاؤكم حصرة صدورهم واما اللام التي في قوله لسلطهم فهي جواب لو واللام
الثانية التي في فلقاتلوكم تكرار والفاء عطف بمنزلة الواو وقد روي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله (اي هذه الآية)
عنهما منسوخة نسخها اول سورة التوبة واراد بقوله ان معاهدة المشركين وموادعتهم منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم لان الله عز وجل اعز الاسلام واهله فلا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او
السيف بهذه الآية وقد امر الله تعالى في اهل الكتاب بقتالهم حتى يسلموا او يعطوا الجزية بقوله تعالى قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون فلا يجوز مهادنة الكفار وترك احد منهم على الكفر
من غير جزية اذا كان بالمسلمين قوة على القتال واما اذا عجزوا عن مقاتلتهم وخافوا على انفسهم وذراريهم
جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها لان حظر الموادعة كان بسبب فاذا زال السبب
زال الحظر قوله عز وجل **ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى
الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** معناه ستجدون قوما آخرين يظهرون لكم الصلح (ويلقوا اليكم السلم)
يريدون ان يأمنوا منكم بكلمة التوحيد يظهرونها لكم ويأمنوا من قومهم بالكفر في السر كلما دعوا الى الشرك رجعوا
فيه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هم اسد وغطفان كانا حاضري المدينة وكانا تكلما بالاسلام
واقرا بالتوحيد وكانا غير مسلمين كان الرجل منهم يقول له قومه لم ذا اسلمت وبم آمنت فيقول آمنت بهذا
العود وبهذا العقرب وهذه الخنفساء يريدون به الاستهزاء فاذا لقوا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه
قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ذلك بهذه الآية
وقوله عز وجل فان لم يعتزلوكم اي ان لم يتركوا قتالكم ولم يستسلموا لكم في الصلح ولم يمنعوا ايديهم من قتالكم
فخذوهم واسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واولئكم اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم حجة ظاهرة
في القتال معهم ومن الناس من يقول ان هذه الآيات منسوخة ويجوز للمسلمين ترك قتال من لا يقاتلهم من الكفار
وممن قال بهذا القول سفيان الثوري وابن شبرمة وهو قول الشافعي لان هذه الآيات تقتضي حظر قتال من
كف عن قتالنا من الكفار ولا نعلم احدا من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل عن قتالنا من المشركين وانما الخلاف

الألوكة www.alukah.net

في جواز تركه قتالهم فقد حصل الاتفاق منهم جميعا على نسخ حظر القتال قوله عز وجل وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان
يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة
من الله وكان الله عليما حكيما معنى الاية والله اعلم ما كان لمؤمن في حكم الله تعالى وامره ان يقتل مؤمنا
بغير حق ويقال معناه ما كان له فيما سلف كما ليس له الان وقال بعضهم ان اللام مقدمة على موضعها
تقدير الاية ما كان مؤمن ليقتل مؤمنا وهذا كما قال الله عز وجل ما كان لله ان يتخذ من ولد تقديره
ما كان الله ليتخذ من ولد وكقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها تقديره ما كنتم لتنبتوا شجرها واما
قوله عز وجل الا خطأ يجوز ان يكون استثناء صحيحا على معنى الا ان يكون وقوع القتل منه على وجه الخطأ
وهو ان لا يكون قاصدا قتله فيكون مرفوع الاثم والعقاب وقال بعضهم هذا استثناء صحيح بمعنى اباحة
قتل المؤمن خطأ في بعض الاحوال وهو ان يجد المسلم مسلما عليه سيما المشركين ويجده في حربهم فيظنه مشركا
فيجوز له قتله وهو خطأ وقيل ان هذا لا يصح لان الاباحة لا تتصور في قتل الخطأ كما لا يتصور فيه النهي لان
الحالة التي لا يعلمها الانسان لا يجوز ان يتعلق بها حكم الحظر والاباحة وقال بعضهم هذا الاستثناء ليس من الاول
معناه الا ان يخطئ المؤمن فيكون خطأ ونظير ما ذكره الله عز وجل في هذه الاية ونظير هذا الاستثناء قول الله
تعالى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقول الشاعر وقفت فيها اصيلالا كي اسايلها ° اعيت جوابا وما بالربع
من احد ° الا الاواري لايا ما ابينها ° والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد ° واختلف المفسرون فيمن نزلت
هذه الاية فيه فقال ابن عباس نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي حين اسلم بمكة وخاف اظهار الاسلام
فخرج هاربا الى المدينة فخرجوا في طلبه واحتالوا عليه فردوه الى اهله وكان فيمن رده الحرث بن زيد فحلف
عياش ان لا يلقاه خاليا الا قتله ثم ان الحرث اسلم بعد اسلام عياش فبينما عياش يسير بظهر قبا اذ لقي
الحارث فقتله ولم يكن شعر باسلامه فقيل له انه قد اسلم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص عليه
القصة فانزل الله تعالى هذه الاية وقال بعضهم نزلت في ابي الدرداء حين قتل اعرابيا خطأ واما قوله عز وجل
ومن قتل مؤمنا خطأ فمعناه ومن قتل من غير قصد بان قصد غيره فاصابه او قتله على ظن انه مباح الدم
فعليه عتق رقبة في ماله وعليه وعلى عاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء المقتول ولم يذكر في الاية من عليه
الدية من القاتل او العاقلة وقد اتفق الفقهاء على وجوب دية الخطأ على العاقلة بالاخبار الواردة في هذا الباب
وهذه الدية المخففة تلزم القاتل عند اصحابنا رحمهم الله وهو احد من يتحمل العقل كاحد العاقلة الا ان
العاقلة امرت بالتحمل معه فيها على جهة المواساة من غير ان يلزمهم ذنب بجنايته كما امرت الاقارب
بصلة الارحام بكل وجه امكنهم لاصلاح ذات البين وكما اوجب الله تعالى الصدقة في مال الاغنياء للفقراء
على وجه المواساة وكذلك امرت العاقلة بتحمل الدية عن قاتل الخطأ من غير اجحاف بهم وهو انه يلزم كل واحد منهم
ثلاثة دراهم او اربعة ويحصل في اعطياتهم ان كانوا من اهل الديوان مؤجلة في ثلث سنين وان لم يكن القاتل
من اهل الديوان فعلى قبيلته تضم الى اقرب القبائل اليها حتى لا يؤدي الى الاجحاف بالعاقلة وان لم يكن للقاتل
عشيرة فعلى بيت مال المسلمين في ثلث سنين حتى لا يؤدي الى اهدار الدم واما قوله عز وجل
الا ان يصدقوا فمعناه الا ان يتصدق اولياء المقتول بترك الدية واما قوله عز وجل فان كان من
قوم عدو لكم فمعناه وان كان المقتول خطأ من قوم حرب لكم فقتل في دار الحرب وهو ممن اسلم في
دار الحرب ولم يهاجر حتى قتل فعلى قاتله عتق رقبة مؤمنة ولم يذكر الدية لان دم المقتول لا قيمة له اذا لم
يحرز نفسه بدار الاسلام وليس هو في حيز المسلمين ويقال انما لم يذكر الدية لكي لا تسلم الى اهل الحرب

دية

دية فيقوون بها علينا وهذا القول يقتضي ان الدية واجبة الا انها لا تعطى اليهم وفي وجوب هذه
الدية خلاف بين اهل العلم واما قوله عز وجل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فمعناه وان
كان المقتول خطأ من قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد او صلح فعلى القاتل وعاقلته تسليم دية كاملة الى اولياء
المقتول وعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة بالله وبرسوله والفائدة في اعادة ذكر المؤمنة لانه لو لم يعد
لكان يتوهم متوهم انه لما وجب في قتل المؤمن رقبة في مثل صفته يجب ايضا في قتل الكافر رقبة في مثل
صفة المقتول وقوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين معناه فمن لم يجد رقبة مؤمنة فعليه
صيام شهرين متواليين لا يفرق بين صيامهما وقوله عز وجل توبة من الله اي اعلموا انما امركم الله به
للتوبة ليتوب الله تعالى به عليكم وهذا نصب على ما يقال فعلت كذا حذار الشر اي للحذر
من الشر ويجوز رفع توبة على اضمار ذلك وانما سميت الكفارة توبة لان قاتل الخطأ كان عاصيا في سبب
القتل من حيث انه لم يتحرز وان لم يكن عاصيا في نفس القتل ويقال معنى التوبة التوسعة والتخفيف
من الله تعالى حيث لم ينقصه في الكفارة على الرقبة كما في قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم اي علم
خفف عليكم ومعنى وكان الله عليما حكيما بكل شيء حكيما فيما امركم به من الدية والكفارة
قوله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
عظيما قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في مقيس بن صبابة وجد اخاه هشاما
قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل عليه السلام معه رجلا من بني فهر
قال له ائت بني النجار فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم
قاتل هشام ان تدفعوه الى مقيس بن صبابة فيقتص منه فان لم تعلموا له قاتلا ان تدفعوا اليه ديته
فابلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله والله لا نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي
ديته فاعطوه مائة من الابل وانصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فوسوس الشيطان
لمقيس وقال له اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك سبة اقتل الذي معك تكون نفس
مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ راسه وقتله وركب بعيرا منها وساق بقيتها
راجعا الى مكة كافرا وجعل يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله ° سراة بني النجار ارباب فارع °
فادركت ثاري واضطجعت موسدا ° وكنت الى الاوثان اول راجع ° فنزلت الاية وقتل مقيس يوم فتح مكة
ومعنى الاية ومن يقتل مؤمنا متعمدا او قتله مستحلا له ويقال متعمدا قتله لايمانه فجزاؤه جهنم خالدا فيها
باستحلاله وكفره وغضب الله تعالى عليه بقتله ولعنه باعده من رحمته واعد له في جهنم عذابا عظيما
بجرأته على الله عز وجل بقتل النفس بغير حق وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رواية اخرى ان هذه الاية
عامة في كل قاتل عمد وكان يقول جميع الذنوب يمحوها الله تعالى بالتوبة الا تعمد قتل المؤمن فانه لا توبة
له وعامة الفقهاء على خلاف هذا القول يقولون بالتوبة في جميع الذنوب ثم ان لم يتب اختلفوا فيه فقولان اما
اصحاب الوعيد يقولون بخلوده في النار لانه مخلد واهل السنة يقولون جزاؤه الخلود ان جازاه الله به ولكنا
لا نقول انه يجازيه بالخلود في النار الا انه لا وقد ثبت بالدلائل الاخبار ان الله تعالى يعامل عباده بالفضل فان شاء
عفى عن القاتل بقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وان شاء عاقب القاتل الا على الخلود لانه جل ذكره سمى مؤمنا
القاتل بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وليس في هذه الاية ان الله تعالى يعاقب
القاتل المؤمن بالتخليد بالنار وهذا كما يقول الامير من فعل كذا فعقوبته كذا فاذا لم يعاقب لا يكون منه خلف
ولا كذب وفي ذكر الغضب في الاية وجهان احدهما ان يريد الله تعالى ان ينتقم من القاتل والثاني ان معناه معنى
الذم فيكون ذمه تعالى اياه غضبت منه عليه والغضب نقيض الرضا واللعن الطرد والابعاد

الألوكة www.alukah.net

العقوبة

من الخبر على جهة العقوبة وهذا لا يجوز لمن لا يستحق كالاطفال والبهائم وانما وصف عذاب الاخرة بالعذاب العظيم فانه لا عذاب اعظم منه وقد يكون في المستحقين للعذاب من يريد الله تعالى الانتقام بالعذاب منه ولا يطرده وقد يكون من يطرده ولا يعد له عذابا عظيما واما قاتل العمد فيستحق هذه العقوبات المذكورات واختلف اهل العلم في تفسير القتل العمد الذي يتعلق به وجوب القصاص فقال ابو حنيفة رحمه الله هو ما تعمد القتل بسلاح او ما يجري مجرى السلاح في تفريق الاجزاء وقال ابو يوسف ومحمد وجماعة غيرهما ان الاعتبار في هذا بالقصد الى القتل بكل شيء يقتل في الغالب سواء كانت الالة سلاحا او لم تكن وانما اقتص من القاتل وذلك جزاء في الدنيا وفيما بين المقتول وبين القاتل باقية في الاخرة لان الولي وان قتله فانما اخذ حق نفسه للتشفي ودرك الغيظ فاما المقتول فلم يكن له في القصاص منفعة وبالله التوفيق

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في مرداس بن نهيك كان مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم فهربوا كلهم واقام الرجل في غنمه في عاقول من الجبل فلما سمعهم يكبرون نزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلاه اسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا بذلك فانزل الله تعالى هذه الاية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف بلا اله الا الله قالها ثلاثا ثم استغفر له بعد ثلاث مرات وامره ان يعتق رقبة ومعنى الاية يا ايها الذين امنوا اي صدقوا بالله ورسوله اذا خرجتم مسافرين في طاعة الله فتبينوا التكلم في المؤمن بالدلائل والعلامات ولا تعجلوا بالقتل حتى يتبين لكم ومن قرا فتثبتوا بالثاء فمعناه تثبتوا في امر من يظهر لكم الاسلام ولا تعجلوا بقتله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم الانقياد والمتابعة واسمعكم كلمة الاسلام لست مؤمنا فتقتلوه تطلبون بترك اسلامه استغنام ما معه من المال فعند الله مغانم كثيرة يعطيكم الله تعالى في الدنيا عليها ويثيبكم اخذها ومن قرا الاسلام بالالف فمعناه لا تقولوا لمن سلم عليكم وحياكم لست مؤمنا والسلام من علامات الاسلام ويجوز ان يكون معنى الاسلام السلم قوله عز وجل كذلك كنتم من قبل اي كنتم امنين من قبل الهجرة تمتنعون بكلمة الاسلام فكيف تقتلون بعد سماع كلمة الاسلام وقيل معناه كنتم تقتلون وتؤخذ اموالكم قبل الهجرة فمن الله عليكم بتوفيق الايمان والهجرة فتبينوا ولا تقتلوا احدا امركم بالتبيين مثله والمبالغة واعاد لفظ التبيين بيان ان المجازي عليهم ما يفعله العباد ولذلك عقبه عز وجل بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا اي كان عليما بما تفعلون من القتل وغير ذلك وروي عن جندب بن سفيان انه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشا الى ناس من المشركين فالتقوا بالقوم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا غزيا لقطع القوم وقد هزمهم الله تعالى اذ لحقت رجلا بالسيف فلما احس ان السيف واقعه قال اني مسلم فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت مسلما فقال يا نبي الله انه قال ذلك تعوذا قال الا شققت عن قلبه فنظرت اصادقا هو ام كاذبا قال لو شققت عن قلبه ما كان يعلمني ما في قلبه الا مضغة من لحم قال فانت قتلته لا ما في قلبه علمت ولا لسانه صدقت فقال يا رسول الله استغفر لي فقال لا استغفر لك قال فمات الرجل فدفنوه فاصبح على الارض ثم دفنوه فاصبح على وجه الارض ثلاث مرات فلما راى ذلك قومه استحيوا وحزنوا وحملوه فالقوه في شعب من الشعاب فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لتطابق على من هو اعظم منه ولكن اراد الله عز وجل ان يريكم حرمة الدم قوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين

١٦٢

في الاية بيان ثواب المجاهدين ومعناها لا يستوي في الفضل والثواب القاعدون عن الجهاد من المؤمنين لا لعلة الذين لا مرض بهم ولا زمانة ولا عذر يمنع من الجهاد والمجاهدون في طاعة الله عز وجل بالانفاق من اموالهم والخروج بانفسهم روي انه لما نزل اولا لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله جاء ابن ام مكتوم وكان اعمى فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله عز وجل بالجهاد وحال الناس على ما ترى فهل لي من رخصة والله لو استطيع الجهاد لجاهدت فنزل قوله غير اولي الضرر ومن قرا غير بالنصب فهو كالمنصوب على الاستثنا كانه قال الا اولي الضرر كما يقال جاءني بنو تميم غير زيد ويجوز ان يكون نصبا على الحال اي لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون وهذا كما يقال جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ومن قرا بالرفع فهو نحو الرفع في استثنا الاثبات من النفي ويجوز ان غير صفة للقاعدين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة المعنى لا يستوي القاعدون الذين هم غير اولي الضرر والمجاهدون في الفضل والثواب وان كانوا كلهم مؤمنين ونظير الصفة قولك جاءني رجل غير صحيح او غير طويل واختار بعض النحاة قراءة الرفع لان معنى الصفة على لفظ غير اغلب من معنى الاستثنا واختار بعضهم قراءة النصب لان قوله غير اولي الضرر انما نزل بعد نزول قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله على حسب ما تقدم ذكره فيكون معنى الاستثنا به اليق وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم معناه فضلهم الله تعالى بالجهاد وطاعته على القاعدين عن الجهاد فضيلة ومنزلة وكلا اي الفريقين المجاهد والقاعد وعد الله الحسنى يعني الجنة بالايمان وقيل في هذا دليل ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لم يجز ان يكون القاعد موعود الحسنى وقوله تعالى وفضل الله المجاهدين اي فضلهم على القاعدين عن الجهاد بغير عذر ثوابا حسنا في الجنة وقوله اجرا انتصب على التفسير وقال الاخفش هو نصب على المصدر بتقدير اجرهم الله تعالى اجرا والفايدة في تكرار لفظ التفضيل ان في الاول بيان تفضيل من جاهد بالمال والنفس جميعا وفي اخر الاية بيان تفضيل المجاهد مطلقا فيدخل فيه المجاهد بالمال والنفس والمجاهد بالمال دون النفس وبالنفس دون المال قوله عز وجل درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما معناه فضائل من الله تعالى في الدرجات والجنة وهذا بدل من قوله اجرا او صفة له وهو في موضع النصب ويجوز رفع درجات على اضمار ذلك وعن ابن محيريز انه قال فضل الله المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للجواد المضمر واما قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما معناه كان الله غفورا للذنوب من جاهد رحيما اذ سوى في وعد الحسنى بين من له العذر ومن جاهد وقال الحسن كان الله غفورا رحيما قبل ان خلق العباد واراد بهذا انه كان من شانه الرحمة كما يقال من صفات الله عز وجل باعث ووارث لان من شانه ان يبعث الخلق وان يرثهم ويقال الفايدة في لفظ كان ليستدل به انه ثابت في المغفرة والرحمة لانه لو قال والله غفور رحيم دل ذلك على ان هذا من صفاته ولم يدل على وقوع المغفرة فان قيل كيف ذكر التفضيل بدرجات وذكر التفضيل في الاية التي قبلها بدرجة قلنا قال بعضهم في الدرجة في الاية الاولى التفضيل والكرامة في الدنيا وذكر الدرجات في الاية الثانية درجات الجنة ومنازل في النعيم بعضها اعلى من بعض وذكر المغفرة لبيان خلوص نعيمهم عن الكدر كما روي في الخبر ان الله تعالى يحبسهم في الجنة مما كان منهم من الذنوب في الدنيا حتى لا يحزنهم الحياء وذكر الرحمة لبيان ان الله تعالى اعطاهم ذلك النعيم العظيم على جهة الفضل مع ما انضاف اليه من التفضل بالزيادة والعود وقال بعضهم اراد بالتفضيل في الدرجة في الاية الاولى تفضيل المجاهدين على القاعدين من اصحاب العذر واراد بالاية الثانية تفضيل المجاهدين على القاعدين بلا عذر لهم قوله عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

الضرر

الألوكة www.alukah.net

انه قال نزلت هذه الاية في قوم من المنافقين من اهل الاوثان خرجوا مع المشركين الى بدر فلما راوا قلة المومنين قالوا وهم مع المشركين غر هولاء دينهم فقتلوا يومئذ وعامتهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالت لهم لم اخرجتم مع المشركين وتركتم الهجرة قالوا كنا مستضعفين في الارض ومعنى الاية ان الذين توفاهم الملائكة اي تقبض ارواحهم عند الموت ويقال تقبض انفسهم وتوفاهم عند خروجهم من القبور لتحشرهم الى النار وانما حذفت التا الثانية من توفاهم لاجتماع التائين ويجوز ان يكون معنى توفاهم تقبض ارواحهم على المعاصي وذكر الفعل لان تانيث اللفظ ليس بتانيث حقيقي وقوله عز وجل ظالمي انفسهم نصب على الحال والمعنى توفاهم في حال ظلمهم لانفسهم بالشرك والنفاق والاصل ظالمين الا ان النون حذفت استخفافا وهي ثابتة في المعنى فيكون هذا في معنى النكرة وان اضيف الى المعرفة كما في قوله عز وجل هديا بالغ الكعبة اي بالغا الكعبة وقوله عز وجل قالوا فيم كنتم اي قالت الملائكة على جهة التوبيخ لهم على التخلف عن الهجرة في اي الفريقين كنتم فيم كنتم وان كنتم عن الهجرة قالوا كنا مستضعفين في ارض مكة في ايدي الكفار فقالت لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة اي المدينة كانت امنة ساكنة فهلا هاجرتم اليها وهذا دليل انه لا عذر لاحد في المقام على المعصية في بلده فاخرجوا منها الى غيرها وقوله عز وجل فاولئك ماواهم جهنم اي اهل هذه الصفة مصيرهم ومنزلهم جهنم وسات مصيرا من صار اليها واختلفوا في خبران الذين توفاهم فقال بعضهم خبره فيم كنتم اي قالوا لهم فيم كنتم وقيل خبره مضمر الا انه حذف لدلالة الكلام عليه وقال بعضهم خبره قوله فاولئك ماواهم جهنم قوله عز وجل **الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا** استثنا من قوله فاولئك ماواهم جهنم وبعال من قوله قالوا فيم كنتم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا ممن استثنى الله بوميذ وكنت غلاما صغيرا ومعنى هذه الاية والله اعلم الا من صدق في انه مستضعف من الشيوخ والولدان والنسا لا يجدون نفقة للخروج الى المدينة ولا يمكنهم الخروج اليها ولا يعرفون من طريق من هاجروا قوله عز وجل **فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** اي اهل هذه الصفة من المستضعفين لعل الله يتجاوز عنهم وعسى من الله تعالى كلمة ايجاب لانه للترجي في الاطماع وما اطمع الله تعالى فيه من رحمته فهو بمنزلة الواقع وكذلك الظن بارحم الراحمين والفايدة في ذكر هذا اللفظ ان يكون العبد بين الخوف والرجا واما قوله عز وجل وكان الله عفوا غفورا فمعناه كان الله لم يزل عفوا عن عباده غفورا لهم قبل ان يخلقهم هكذا روي عن الحسن قوله عز وجل **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما** معناه ومن يخرج في سبيل الله اي في طاعة الله تعالى الهجرة فيه وهو سبيل المدينة يجد في الارض متحولا كثيرا واصل المراغم ماخوذ من الرغام وهو التراب تقول رغم فلان اي علي الله وكرهه وارغم الله انف فلان اي الصقه بالتراب وسمي التراب رغاما لانه ذليل مبتذل اسمه مع اصغار فيكون المراغم الذي يراغم اي المنع السهل كما قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا والذلول والمراغم متقاربان في المعنى ويجوز ان يكون المراغم ما يرغم من يمنعه من الهجرة فيقال راغمت فلانا اي اذا هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه وعن مجاهد وبعضهم في معنى مراغما كثيرا متحولا كثيرا والمهاجر المقادم وهو الموضع الذي يهاجر الرجل اليه من غيره وقوله عز وجل وسعة قال السدي معناه سعة في الرزق وحقيقته انه يجد والمواضع التي يمكنه اظهار الدين فيها سعة وقال قتادة سعة في اظهار الدين وانما قال ذلك لما كان يلحقهم من الضيق من جهة الكفار في اظهار دينهم وقوله تعالى ومن يخرج روي عن ابن عباس انه قال لما نزلت قوله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل فاني لاجد حيلة والله لا ابيت ليلة بمكة فخرجوا به يحملونه على سرير فاتوا به التنعيم فادركه الموت بها فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم ان هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات حميدا فبلغ اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يقولون لو بلغ الينا لتم اجره فانزل

تعالى قوله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي من يخرج من منزله مهاجرا من قومه واهله وولده الى طاعة الله وطاعة رسوله ثم يدركه الموت في الطريق فقد وجب ثوابه على الله تعالى الى الوفي بوعده وكان الله غفورا لما كان منه في الشرك رحيما به في الاسلام روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا قوله عز وجل **واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** وذلك ان الله تعالى لما بين امر الجهاد والهجرة اتبعه حكم المجاهد فيما ياتي به من الصلوة فقال عز من قائل واذا ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لان الخروج الى الغزو والقصد الى القرية القريبة لا يسمى ضربا في الارض وقوله فليس عليكم جناح اي ليس عليكم حرج ومأثم في ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الكفار في انفسكم وفي دينكم ان الكافرين كانوا لكم ظاهر العداوة معكم يبتغون غدركم وقهركم وفي هذه الاية ذكر القصر من الصلوة بشرطين واجمعت الامة ان اصل القصر لا يتعلق بهما وان كل واحد منهما يوثر في القصر نوع تاثير فتاثير السفر في القصر في العدد في الصلوات الرباعية يردها السفر الى الشطر وهو عام في السفر غير قصير على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وتاثير الخوف في القصر في اركان الصلوة اذا خاف ان قام في الصلوة ان يراه العدو او خاف ان يزل عن الدابة ان يدركه العدو كان له ترك القيام وان يومي على الدابة يخفض راسه للركوع والسجود فيحتمل ان حرف العطف مضمر في قوله ان خفتم كانه قال وان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة وقال الحسن رحمه الله صلوة السفر ركعتان فاذا قام الحرب فركعة وهذا اللفظ يقتضي القصر الذي هو غاية في القصر متعلق بشرطين على مذهبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل على ان المراد بالاية قصر العدد والاركان جميعا في حالة واحدة وروي ان رجلا سال عمر رضي الله عنه عن هذه الاية فقال انعقد القصر الناس وقد امنوا فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه حتى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقوله صدقة الله علينا يقتضي اسقاط الفرض عنا وفي قوله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا صدقته دليل ان القصر عزيمة لا رخصة لان ظاهر الامر على الوجوب ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المسافر اذا صلى الظهر اربعا ولم يقعد في الثانية قدر التشهد فسدت صلوته كمصلي الفجر اذا صلاها اربعا قوله عز وجل **واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** روي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم انهما قالا لما راى المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلوة الظهر وهم يومئذ ندموا على تركهم الاقدام عليهم فقال بعضهم دعوهم فان بعدها صلوة هي احب اليهم من ابائهم واولادهم يريدون صلوة العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية واطلعه على قصدهم ومكرهم وكان هذا قبل اسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه حين هم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على ما كان بين المشركين من قصدهم والشر فيما بينهم ومعنى الاية والله اعلم واذا كنت يا محمد صلى الله عليه وسلم مع المومنين في الغزو فابتدات في تادية الصلوة صلوة الخوف فلتقم طائفة منهم معك في الصلوة ولتكن اسلحتهم معهم في صلوتهم لان ذلك اهيب للعدو واذا سجدت الطائفة التي معك وصليت ركعة واحدة فلينصرفوا الى المصاف وليقفوا بازا العدو ولتات طائفة اخرى وهم الفريق الذين كانوا بازا العدو ولم يصلوا معك الركعة الاولى فليصلوا معك الركعة الاخرى ولتكن اسلحتهم معهم في الصلوة وليأخذوا

في الآية لكل طائفة إلا ركعة واحدة وفي صلوة الخوف خلاف بين أهل العلم ذهب بعضهم إلى أنها غير
مشروعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رواية عن أبي يوسف وهو قول الحسن بن زياد لأن في هذه
الآية ما يدل على كون النبي صلى الله عليه وسلم شرطا في إقامة صلوة الخوف ولأنها إنما جازت للنبي صلى الله عليه
وسلم ليستدرك الناس فضيلة الصلوة خلفه لأن إمامة غيره ما كانت تقوم مقام إمامته وذهب أكثر
أهل العلم إلى أن صلوة الخوف مشروعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأن الخطاب في الآية وإن كان للنبي صلى الله
عليه وسلم فالأئمة بعده يقومون مقامه كما في قوله عز وجل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم وغير ذلك من
الآيات ثم اختلف هؤلاء في كيفية صلوة الخوف فقال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يجعل الإمام الناس طائفتين
تقف طائفة بإزاء العدو وتقوم طائفة مع الإمام مستقبل القبلة فيصلي بالطائفة التي معه ركعة وسجدتين
ثم تنصرف هذه الطائفة إلى وجه العدو وتجيء الطائفة الأخرى فيصلي بهم الإمام ركعة وسجدتين ويتشهد
ويسلم ثم ترجع هذه الطائفة إلى وجه العدو بغير سلام ولا كلام وتأتي الطائفة الأولى فتقضي الركعة الثانية
وحدانا بغير قراءة فإذا سلموا وقفوا بإزاء العدو وجاءت الطائفة التي صلت مع الإمام الركعة الثانية فيقضوا
الركعة الأولى وحدانا بقراءة ولا يصلون وهم يقاتلون لأن النبي صلى الله عليه وسلم فاتته ثلث صلوات يوم الخندق
وحكى أبو سليمن الجوزجاني عن أبي يوسف إذا كان العدو في وجه القبلة وقف الإمام وجعل الناس خلفه صفين
فافتتح بهم الصلوة معا فيصلي بهم ركعة فإذا سجد سجد معه الصف الأول ووقف الثاني يحرسهم فإذا رفعوا
رؤسهم من السجود سجد الصف الثاني وتأخر الأول وتقدم الصف الثاني فيركع بهم جميعا ثم يرفعون رؤسهم ويسجد
الصف المقدم سجدتين والصف المؤخر يحرسهم ثم يسجد الصف المؤخر سجدتين لأنفسهم ثم يتشهد الإمام ويسلم
بهم جميعا وهكذا قاله ابن أبي ليلى وقال مالك يجعل الإمام الناس طائفتين فيصلي بطائفة ركعة وسجدتين ثم
ينتظر الإمام حتى يصلوا بقية صلاتهم ويسلموا ويصيروا إلى وجه العدو وتأتي الطائفة الأخرى فيصلي بهم
ركعة وسجدتين ويسلم ويقومون فيتمون صلاتهم ويصلون وقال الشافعي مثل ذلك إلا أنه قال في الطائفة
الأولى يتمون لأنفسهم إذا صلى الإمام بهم ركعة وسجدتين أن ينووا الخروج من صلوة الإمام وقال في الطائفة الأخرى
لا يسلم بهم الإمام ولكن ينتظر حتى يقوموا فيتموا صلاتهم ثم يسلم بهم وإنما وقع هذا الاختلاف لاختلاف الأخبار
الواردة في هذا الباب روى علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بالطائفة الأولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما ذكر الله عز وجل في الآية
ثم جاءت الطائفة الأولى وذهبت الطائفة الثانية إلى موضع العدو حتى قضت الطائفة الأولى الركعة الثانية ثم
سلمت ثم رجعت إلى وجه العدو وجاءت الطائفة الثانية فقضت الركعة الأولى وسلمت فكانت لكل طائفة ركعتان
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كما قال أبو يوسف وروى صالح بن خوات عن
سهل بن أبي حثمة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها كما قاله الشافعي رضي الله عنه فدلت هذه الأخبار على جواز
الجميع وإنما يقع الكلام في الأولى والأقرب إلى ظاهر القرآن وظاهره يشهد للرواية التي رواها علي كرم الله وجهه
وغيره من الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا معه لأن في قوله عز وجل فلتقم طائفة منهم معك دليل على
أن الإمام لا يصلي بالطائفتين جميعا معا وفي قوله فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم دليل أن الطائفة الأولى
تنصرف عقيب السجود وعند مالك والشافعي رحمهما الله لا تنصرف الطائفة الأولى إلا بعد تمام الصلوة وفي
قوله تعالى ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا دليل أن الطائفة الثانية تأتي وهي غير مصلية وعند أبي يوسف
تقف معه في الابتداء وتصلي بعض الصلوة مع الإمام ثم تتقدم إلى موضع الصف الأول وهذا كله إذا أمكنهم إقامة
الصلوة بالجماعة فإذا لم يمكنهم إقامتها بالجماعة لقيام القتال وكثرة العدو صلى كل واحد منهم صلوة نفسه
على حسب ما أمكنه إما إلى القبلة أو إلى غير القبلة إذا لم يمكنه التوجه إلى القبلة وإن كان راكبا أومى إيماء كما قال الله

عز وجل فإن خفتم فرجالا أو ركبانا وأما قوله عز وجل ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فمعناه تمنى
الكفار أن تضعوا أسلحتكم وأمتعة الحرب فيميلون عليكم ميلة واحدة قال ابن عباس رضي الله عنهما غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم محاربا وبني أنمار فهزمهم الله عز وجل ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولا يرون من العدو واحدا فوضعوا
أسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي إلى الوادي حتى قطعه فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فانحدر
من الجبل ومعه السيف وقال لأصحابه قتلني الله إن لم أقتل محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا وهو قائم على رأسه وبيده السيف فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم
اكفني غورث بن الحارث بما شئت فأهوى بالسيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فانكب لوجهه وندر
سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف وقال من يمنعك مني يا غورث قال لا أحد قال أتشهد
أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأعطيك سيفك قال لا ولكن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيفه فرجع إلى أصحابه فقالوا له إذ أهويت بالسيف على رأسه ما منعك منه فقال لقد
أهويت ولكن لا أدري من زلخني بين كتفي فخررت وسبقني السيف فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الزلخة وجع الظهر
إلى أصحابه وأخبرهم بالقصة وأنزل الله تعالى عليه هذه الآية ومعنى قوله عز وجل ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى
من مطر لا حرج عليكم معشر الغزاة إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى من جراح أو غيره أن تضعوا
أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد وهيأ للكافرين عذابا مهينا يهانون فيه وهو القتل في الدنيا والنار
في الآخرة قوله عز وجل فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم
فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا معنى الآية والله أعلم فإذا فرغتم من صلوة الخوف
فاذكروا الله بالتعظيم والتحميد في الأحوال كلها قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر الله أحدا في ترك ذكره
إلا المغلوب على عقله وقوله عز وجل فإذا اطمأننتم فإذا رجعتم من سفركم وزال عنكم الخوف والمرض فأقيموا الصلوة
أتموها بأركانها ركوعها وسجودها وسائر شروطها إن الصلوة كانت على المؤمنين فرضا موقتا أو فائتة ويقال منجما إذا
انقضى نجم أتى نجم آخر ويقال معلوما موصوفا للمسافر ركعتان وللمقيم أربع ركعات ثم حث جل ذكره المؤمنين على طلب
الكفار وقتالهم فقال عز وجل ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون و
ترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما معناه لا تضعفوا في طلب الكفار وقتالهم لما أصابكم من وهن ضعف
الجراحات يوم أحد إن تكونوا تألمون أي إن كان لكم صارف عن الحرب وهو أنكم تألمون من الجراح فلهم مثل ذلك
من الصارف عن الحرب ولكم أسباب داعية إلى الحرب ليست لهم وهو أنكم ترجون من الثواب والنصر من الله عز وجل
ما لا يرجون الكفار وكان الله عليما بمصالحكم حكيما فيما أمركم به قوله عز وجل إنا أنزلنا إليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال نزلت
هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان فكان الدرع في
جراب فيه دقيق وفي الجراب خرق فانتثر الدقيق من المكان الذي سرقه إلى باب منزله فقطعوا به أنه هو السارق
فخبأ الدرع إلى زيد بن السمين اليهودي وأودعه إياه ثم سار إلى قومه فأعلمهم أنه لما اتهم بالدرع أخبر أنه وضعها
عند اليهودي وأن اليهودي سارقها فجاء قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل لسان وبيان فسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعذره عند الناس فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعذره ويضرب اليهودي
فأنزل الله تعالى الآية ومعناها إنا أنزلنا إليك الكتاب يا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن إلا بالحق ويقال أنزلناه بالحق
الذي فيه لتحكم بين الناس بما علمك الله ولا تكن بالمجادلة لطعمة وقومه معينا قوله عز وجل واستغفر الله إن الله
كان غفورا رحيما معناه تب إلى الله من همك باليهودي أن تضربه إن الله كان غفورا لمن يستغفره رحيما
بالتائبين قوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما

معناه ولا تخاصم عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ورمي اليهودي بها ان الله لا يحب من كان مكتسبا للاثم فاجرا بالكذب
ورمي البريء والجدال والمجادلة في اللغة شدة الخصومة وهي محاولة لكل واحد من الاثنين ان يفتل صاحبه
الى رايه ومذهبه والجدل شدة الفتل ويسمى الصقر اجدل لانه من اشد الطيور قوة والاختيان افتعال من الخيانة
وانما قال يختانون انفسهم وان كانوا خانوا غيرهم لان مضرة خيانتهم راجعة اليهم كما يقال فيمن ظلم غيره ما ظلم
الا نفسه وانما قال خوانا ولم يقل خاينا ليعظم امر الخيانة ويقال لئلا يتوهم متوهم ان الخيانة اليسيرة توجب زوال
المحبة واما الاثيم فهو منقول من الآثم وهو ابلغ من اسم الفاعل كالسميع والعليم قوله عز وجل يستخفون من الناس
ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون
محيطا معناه يستخفي قوم طعمة اي يستترون من الناس وهم يعلمون انه سارق ولا يستترون من الله اي لا يكتمون
الاستغفار منه فان سرهم وعلانيتهم عند الله ظاهر قال الضحاك وذلك انه لما سرق طعمة الدرع فاتخذ حفيرة في بيته
فجعل الدرع تحت التراب ويقال معنى ولا يستخفون من الله ولا يتركون الخيانة حياء من الله عز وجل والاخفا
من العباد ان يفعلوا الشيء سرا والاخفاء من الله ان لا يفعله البتة وقوله عز وجل وهو معهم اي شاهد لافعالهم
وانما عبر عن ذلك بهذا اللفظ لان من يكون مع الانسان يكون شاهدا لافعاله وقوله عز وجل اذ يبيتون ما لا
يرضى من القول اي يدبرون ويقولون بالليل قولا لا يرضاه الله عز وجل وهو اتفاق قوم طعمة على ان يرمي طعمة
اليهودي بالسرقة ويحلف انه لم يسرقها فتقبل يمين طعمة لانه على دين الاسلام ولا تقبل يمين اليهودي وقوله في مقابلة
قول طعمة واما قوله عز وجل وكان الله بما يعملون محيطا فمعناه وكان الله بما يعملون من اعمالهم محيطا عالما لا
يفوته شيء من افعال العباد كما لا يفوت المحيط بالشيء وبالله التوفيق قوله عز وجل ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في
الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا قال الضحاك وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم اراد ان يقطع طعمة في السرقة بعد هذه الايات فجاء قومه شاكين في السلاح فجادلوا عنه وهربوا
به فانزل الله عز وجل هذه الاية ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم ومعنى هذه الاية انتم يا قوم طعمة خاصمتم النبي صلى
الله عليه وسلم عن طعمة وعن خيانته في دار الدنيا وفي حرف ابي جادلتم عنه وقوله فمن يجادل الله اي من يخاصم الله
عالم الغيب والشهادة يوم يحدثه بالحقايق اي من يكون عليهم وكيلا يتوكل لهم ويصلح امرهم ويحفظهم من عذاب
الله يومئذ ولقد دخلت ها التنبيه في اول هذه الاية مرتين فهي طريق التوكيد لان من شان العرب ان يدخل الاسم
المبهم بين التنبيه وبين الاسم للمبالغة للخطاب يقال ها انت الذي فعلت كذا واما انت انت الذي فعلت فذكر
انت والذي للتاكيد ويقال معنى ها انتم هؤلاء على نحو ما تقدم ذكره من قبل ثم ندب الله عز وجل المذنب الى التوبة
فقال عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
معناه ومن يعمل عملا يسوء به غيره نحو السرقة والقتل والسب والقذف ويظلم نفسه نحو الكذب واليمين
الفاجرة وشرب الخمر وترك الفرايض ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا للمستغفرين التايبين رحيما بهم
بعد التوبة وانما شرطت التوبة لان الاستغفار باللسان لا يكون توبة بالاجماع ما لم يقل تبت واسات ولا
اعود اليه ابدا فاغفر لي يا رب وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالسوء الكبيرة وبظلم النفس الصغيرة وفايدته
بيان ان الكبيرة تغفر بالاستغفار والصغيرة لا تحتاج الى الاستغفار وعن علي كرم الله وجهه انه قال
كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفعني الله به ما شا واذا سمعته من غيره حلفته عليه
وحدثني ابو بكر رضي الله عنه وصدق ابو بكر قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضى ويصلي ركعتين ويستغفر الله تعالى
الا غفر الله له وتلا هذه الاية ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية قوله عز وجل ومن يكسب اثما فانما يكسبه
على نفسه وكان الله عليما حكيما معناه من يعمل معصية فانما عقوبة معصيته على نفسه وكان الله لم
يزل عليما بكل ما يكون حكيما فيما حكم من القطع على السارق والكسب في اللغة هو الفعل الذي يجر به صاحبه الى

نفسه منفعة او يدفع عن نفسه مضرة ولهذا لا يجوز في صفات الله عز وجل لا سيما انه لا يجوز المنافع و
المضار عليه وقوله وروي انه لما نزلت هذه الاية عرف قوم طعمة كلهم انه هو الظالم فاقبلوا عليه وقالوا له تب الى الله واتت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتب من الذنب فقال لا والذي يحلف به ما سرقها الا اليهودي فنزل قوله عز وجل
ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا معناه والله اعلم من يعمل
معصية بغير عمد او يعملها متعمدا ثم يرم بما فعل بريئا فقد استوجب عقوبة البهتان برمية غيره بما لم
يفعله واثما مبينا اي ذنبا بينا ظاهرا وقيل انما قال خطيئة او اثما لان الله عز وجل سمى بعض المعاصي خطايا
وبعضها اثاما فاعلم الله عز وجل ان كسب معصية يقع عليها اسم الخطيئة او الاثم ثم يرم به من لم يعمله فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما معناه ولولا فضل الله عليك يا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة و
الاسلام ورحمته بارسال جبريل عليه السلام اليك بالقران الذي فيه خبر ما غاب عنك لقصدت جماعة
من قوم طعمة ان يخطئوك ويحملوك على ان تحكم بما هو غير واجب في الباطن وان تبرئ الخاين من غير
حقيقة وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اي وما يكون اضلالهم الا على انفسهم ولا ينقصونك
شيئا مع عصمة الله تعالى اياك وانزل الله تعالى عليك القران ومعرفة الحلال والحرام وعلمك بالوحي ما لم تكن
قبله وكان من الله عليك عظيما بالنبوة والاسلام وفي هذه الايات دلالة انه لا يجوز لاحد ان يخاصم عن
غيره في اثبات حق او نفيه وهو غير عالم بحقيقة امره وانه لا يجوز للحاكم الميل الى احد الخصمين وان كان
احدهما مسلما والاخر كافرا وان وجود السرقة في بيت انسان لا يوجب الحكم بها عليه قوله عز وجل لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغا
مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما معناه والله اعلم لا خير في كثير من اسرار قوم طعمة فيما
يدبرون فيما بينهم الا نجوى من امر بصدقة فيتصدق بها ويجوز ان يكون الا من امر استثناء ليس من الاول
على معنى لكن فيكون موضع من امر نصبا على الاضمار والاول موضع خفض وذهب الزجاج الى ان النجوى
في اللغة ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا قال ومعنى نجوت الشيء اذا خلصته والقيته
يقال نجوت الجلد عن البعير اذا القيته ونجوت الوتر واستنجيته اذا خلصته واصل ذلك من النجوة وهي
المكان المرتفع من الارض واما قوله او معروف فمعناه او امر بمعروف ويسمى البر كله معروفا لان
العقول تعترف به وتقبله ويروى ان رجلا من اهل البادية جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام
عليك يا رسول الله فقال عليه السلام وعليك السلام فقال الرجل انا معشر اهل البادية فينا الجفا فعلمني
كلمات ينفعني الله بهن فقال ادن ثلثا فدنا فقال اعد علي فاعاد فقال اتق الله ولا تحقرن من المعروف
شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه منبسط ولو ان تفرغ من فضل دلوك في انا المستقي وان امرؤ سبك بما يعلم
فيك فلا تسبه بما تعلم فيه فان الله تعالى جاعل لك اجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيا مما خولك الله تعالى قال
الرجل فما سببت بعد شيئا لا شاة ولا بعيرا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل معروف صدقة واول اهل
الجنة دخولا اهل المعروف وصنايع المعروف تقي مصارع السوء واما قوله عز وجل او اصلاح بين الناس فالمراد
به الاصلاح بين المتخاصمين واصلاح ذات البين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
الا اخبركم بافضل درجة من الصلوة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وفساد ذات
البين هي الحالقة فلا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين واما قوله عز وجل ومن يفعل ذلك فمعناه
البر والاصلاح والصدقة لطلب رضاء الله تعالى لا للريا والسمعة فسوف نؤتيه في الاخرة ثوابا وافرا

في الجنة نزل الله عز وجل في طعمة وهرب الى مكة حتى قام من القطع او الفضيحة قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا
معناه ومن يخالف الرسول في التوحيد والحدود معاندا من بعد ما تبين له حكم الله عز وجل ويتبع دينا غير
دين المؤمنين وهو دين اهل ملة نوله في الاخرة جزاء ما تولى في الدنيا ويقال نوكله الى ما اختاره لنفسه في الدنيا اي
لا يتولى الله نصره ومعونته ونرده ونصله جهنم في الاخرة وساءت جهنم مصيرا للمرجع اليها وروي في الخبر
ان طعمة اقام على الكفر بمكة فنقب بيتا فسقط عليه حجر من البيت فنشب فيه ولم يستطع ان يدخل ولا يخرج حتى اصبح
فاخذوه فقال بعضهم لبعض انه قد ابتلي [illegible] فاتركوه فخرج مع قوم من التجار نحو الشام فسرق بعض
متاعهم وهرب فطلبوه واخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه فصار قبره تلك الحجارة قوله عز وجل ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا قال عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في وحشي قاتل حمزة على ما تقدم ذكره ومعنى الاية والله اعلم ان الله تعالى
لا يغفر شرك المشرك اذا مات بغير توبة لان التائب عن الشرك لا يكون مشركا وقوله عز وجل ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء اي يغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اهل الاسلام بغير توبة لان الله تعالى قابل ذلك بقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويقال قد يغفر الشرك بالتوبة وهذه الاية لا تدفع قبوله بالتوبة في اية اخرى وهي قوله عز
وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله فان قال قائل ان الكافر الذي لا يشرك
مع الله شيئا خارج عن قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به او داخل فيه قلنا ان كل كافر مشرك بالله
لان اليهود تقول عزير ابن الله والنصارى تقول المسيح ابن الله ويقال ان من كفر بنبي من الانبياء فقد زعم
ان الايات التي اتى بها النبي ليست من عند الله فجعل ما لا يكون الا لله لغير الله فيصير مشركا وذهبت المعتزلة
الى ان المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مغفرة الصغائر لاهل الاسلام بغير توبة منهم اذا اجتنبوا الكبائر
وزعموا ان قوله لمن يشاء مبهم فيرد الى سائر الايات الواردة في الصغائر والكبائر وقوله عز وجل ومن يشرك
بالله اي من يشرك مع الله شيئا فقد ذهب عن الهدى والصواب ذهابا بعيدا والفايدة في قوله بعيدا ان
الذهاب عن نعيم الجنة على مراتب ابعدها الشرك بالله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا وان
يدعون الا شيطانا مريدا معناه ما يعبد اهل مكة من دون الله الا الاصنام والاوثان وسماها باسم الاناث لانهم
سموها باسماء الاناث اللات والعزى ومناة فعبدوها مع اعتقادهم نقصان مراتب الاناث عن الذكور لان
الاناث من كل جنس ارذله ويقال انما اناثا لان الموات كلها تخبر عنها كما تخبر عن الاناث تقول هذه الاحجار
تعجبني ويقال ان الموات من الحيوانات كالاناث من الذكور في نقصان المرتبة وقال الضحاك المراد بالاناث الملائكة
لانهم كانوا يسمون الملائكة بنات الله وقوله عز وجل وان يدعون الا شيطانا مريدا معناه ما يريدون
بتوجههم العبادة الى الاناث الا عبادة الشيطان وهذا اصح الجواب من قول من يقول ان في هذه الاية
نفي العبادة الا للاصنام وفي اخرها اثبات عبادتهم لغير الاصنام ومعنى المريد العاتي الخارج عن الطاعة وسمي
مريدا لتعريته من الخير يقال شجرة مرداء اذا سقط ورقها وغلام امرد اذا لم يكن على وجهه شعر قوله عز وجل لعنه
الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا المراد به الشيطان ابعده الله من رحمته
الى العقاب بالحكم له بالخلود في جهنم وسقط بهذا قول من قال كيف يصح قول من قال لعنه الله وهو في الدنيا
لا يخلو من نعمة تصل اليه من الله تعالى في كل حال الا انه لا يعتد بتلك النعمة مع الحكم له بالخلود في النار وقوله وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا معناه وقال ابليس لاتخذن من عبادك حظا معلوما والفرض في اللغة القطع
ومنه الفرضة وهي الثلمة تكون في النهر والفرض في القوس ما يشد فيه الوتر والفريضة في العبادات الامر المحتوم
المقطوع ويجوز ان يكون معنى مفروضا ان فرضه على نفسه ويقال الفرض الكرم [illegible] لا [illegible] في الجنة برمح

قوله عز وجل [illegible]

له من اولياء سهم في المعصية يتولاه وكلما اطيع فيه ابليس فهو نصيب له قوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم ولا
مرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله فقد خسر خسرانا مبينا حكاية عن قول ابليس ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم طول الحياة في الدنيا وان
لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويقال ولامنينهم الاهواء الباطلة الداعية الى العصيان ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام وهي البحيرة التي كانوا يقطعونها نسكا وعبادة للاوثان والبتك والتبتيك القطع واما قوله
ولامرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس ومجاهد وقتادة تغيير دين الله تعالى وكان عكرمة يقول
المراد تغيير خلق الله الخصاء قال مجاهد كذب عكرمة انما هو دين الله فان الله عز وجل خلق الانعام للركوب
والاكل وقد حرموها على قوم وخلق الشمس والقمر تخرج للناس فعبدهما المشركون فغيروا خلق الله واستشهدوا
على هذا القول بقوله فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وعلى هذا قالوا كل من
كرهه تغيير خلق الله وعن عبد الله بن مسعود انه قال المراد تغيير خلق الوشم ومن يتخذ الشيطان وليا من
دون الله اي من يتخذه ناصرا من دون الله فقد خسر خسرانا ظاهرا لانه خسر الجنة والنعيم الذي فيها قوله عز وجل
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا معناه يعدهم ان لا جنة ولا نار ويمنيهم طول
البقاء في الدنيا وان يمنيهم انه لا [illegible] على الاخرة وما يعدهم الشيطان الا باطلا والغرور ايهام النفع فيما
فيه ضرر قوله عز وجل اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا معناه اهل هذه الصفة
مستقرهم جهنم ولا يجدون عنها معدلا ولا مخلصا يقال حاص يحيص حيصا وحاض يحيض حيضا
بالضاد المعجمة اذا عدل عن الشيء عدولا قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا معناه والذين
صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم سندخلهم بساتين تجري من تحت شجرها
وغرفها انهار الماء والخمر والعسل واللبن مقيمين في الجنة الى الابد وانما جمع بين الايمان والطاعة ليبين بطلان
توهم من توهم انه لا تضر المعصية والاخلال بالطاعة مع الايمان كما لا تنفع الطاعة مع الكفر وليبين
استحقاق الثواب على كل واحد من الامرين وقوله وعد الله نصب على المصدر معناه وعدهم الله
وعدا حقا كائنا ومن اصدق من الله قيلا اي ليس احد اصدق قولا ووعدا وايعادا [illegible] لفظ الاستفهام
لانه لا يحسن جوابه الا بالنفي قوله عز وجل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا معناه ليس ثواب الله تعالى بامانيكم فان ليس يقتضي اسما وقد تقدم
ما يدل على اضمار الثواب وهو قوله عز وجل سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار واختلفوا في المخاطبين
بهذه الاية فقال بعضهم ان المخاطبين بها عبدة الاوثان اي ليس الثواب باماني عبدة الاوثان ولا اماني
اهل الكتاب والمراد بالسوء الكفر وذلك ان وثنيا قال لن نبعث ولن نعذب واهل الكتاب قالوا
لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقال بعضهم ان المخاطبين بها المسلمون اي ليس بامانيكم معشر المسلمين
الا توحيد واسو بعد الايمان ولا اماني اهل الكتاب ان لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
من يعمل معصية يجز به ولا ينفعه تمنيه ان يجاوز عنه ولا يجد له من دون الله وليا ينفعه ولا مانعا
يمنع العذاب روي انه لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
الفلاح بعد هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب
الست تصيبك اللاوى قال بلى قال فهو ما تجزون به وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه
الاية شق ذلك على المسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قاربوا وسددوا ففي كل ما يصيب
المومن كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها وروي عن ابي بن كعب وعايشة رضي الله عنهما انهما

الألوكة www.alukah.net

والاهل اي الصغار فان الصغار يستحق عليها صبر منقطعة يحسن تكفيرها بالامراض والاحزان ومصائب الدنيا قوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا معناه ومن يعمل من رجل او امراة وهو مصدق بالثواب والعقاب فاولئك يدخلون الجنة في الاخرة ولا ينقصون مما استحقوه من جزاء اعمالهم مقدار النقير فان قيل قال ولا يظلمون نقيرا وكان معلوما للناس ان الله عز وجل لا يظلم احدا قيل فايدة التخصيص انه لا ينقص من جزاء اعمالهم مقدار نقير لعصيان ذلك ظلما ولا يظلم الله تعالى احدا قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا معناه اي احد احكم واصوب طريقة وسيرة ممن اخلص عمله وطاعته لله عز وجل وهو محسن في الاعتقاد والعمل فيما بينه وبين ربه واتبع دين ابراهيم مائلا عن كل دين سوى دين الاسلام وقيل معنى الحنيف المستقيم في سلوك الطريق الذي امر بسلوكه وسمي الاعرج حنيفا تفاؤلا ومعنى المحسن ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل ما الايمان فاجاب فقيل ما الاسلام فاجاب فقيل ما الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واما قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ففيه وجهان احدهما الاصطفاء بالمحبة والاختصاص بالاسرار دون من ليس له تلك المنزلة والثاني من الخلة وهي الحاجة فخليل الله المحتاج اليه المنقطع بحوائجه الى الله دون غيره وقد سمي الفقير خليلا كما قال زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم فاذا اريد به الوجه الاول يجوز ان يقال ابراهيم خليل الله والله خليل ابراهيم واذا اريد به الوجه الثاني لم يجز ان يوصف الله عز وجل بانه خليل ابراهيم وجاز وصفه بانه خليل الله وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتخذ الله ابراهيم خليلا لاطعامه الطعام وافشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال كان ابراهيم ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق وكان يضيف من مر به فاصاب الناس سنة فبعث غلمانه الى خليل له بمصر يسأله الميرة فقال خليله لو كان ابراهيم انما يريد لنفسه لاحتملنا ذلك ولكنه يريدها للناس وقد دخل علينا ما دخل على الناس فرجع رسل ابراهيم صلوات الله عليه وقالوا فيما بينهم نستحيي ان نمر بالناس وابلنا فارغة فملؤوا الاجوال سهلة فاتوا ابراهيم وسارة نائمة فاعلموه بذلك فاهتم ابراهيم عليه السلام لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام فاستيقظت سارة فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي اجود حوارى فاختبزوا فانتبه ابراهيم عليه السلام فشم رائحة الطعام فقال لها من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال عليه السلام لا بل من عند خليلي السماوي فيومئذ اتخذه الله خليلا فان قال قائل لم كان دينا احسن الاديان قيل لان احسن اعمال العباد طاعة الله تعالى على حدود الاخلاص لما فيها من استحقاق الجزاء على من يوثق بجزائه من حيث لا ينقص ملكه من المجازاة ولا يخاف عليه الفوت ودينا ابلغ الاديان في طاعة الله تعالى على حد الاخلاص فان قيل لم كان اتباع ملة ابراهيم اولى من اتباع ملة غيره من الانبياء مثل موسى وعيسى وغيرهما صلوات الله عليهم قيل لان الفرق كلهم متفقون على تعظيمه ووجوب اتباع ملته وهو كان يدعو الى الحنيفية دون اليهودية والنصرانية فان قيل ملتنا هي ملة ابراهيم بعينها او غيرها قيل اصل الملة واحد وهو ملة ابراهيم عليه السلام وفي ملة نبينا زيادة ليست في ملته يومئذ قوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا معناه ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وانما قال هذا ليبين ان ابراهيم مع كونه خليل الله تعالى عبد له وانه لم يتخذه خليلا لحاجته اليه ولكن اتخذه خليلا لجزاء على عمله فان الحكمة تقتضي مجازاة المحسن على احسانه وقال بعضهم انما قال ذلك لانه لما امر الناس بطاعته حثهم على الطاعة بما يوجب الرغبة فيها وهو كونه مالك السموات والارض واما قوله عز وجل وكان الله بكل شيء محيطا معناه وكان الله لم يزل عالما بكل شيء من كل وجه فلا يخرج شيء عن معلومه وقدرته

قوله عز

١٦٧

قوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناتها منه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو عمهن من اوس اقبل عيينة بن حصن الفزاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انك قد ورثت البنات والنساء والصغار ولم يكن ينبغي ان يورث الا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة فانزل الله تعالى هذه الاية وقال انما نزلت بعد نزول قوله يوصيكم الله في اولادكم الى قوله ان الله كان عليما حكيما قبل نزول فرض الزوجات جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونه في ميراث ام كجة امراة المتوفى فانزل الله هذه الاية ووعدهم ان يفتيهم في ميراث الزوجات فافتاهم في ذلك بقوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم الى اخر الاية ومعنى الاية والله اعلم يسالونك يا محمد صلى الله عليه وسلم الفتيا في امر النساء وما يجب لهن من الميراث قل الله يبين لكم ميراثهن والذي يقرا عليكم في كتاب الله عز وجل من اول هذه السورة يبين لكم ما سالتم عنه في بنات ام كجة اللاتي لا تعطونهن ما فرض لهن من الميراث وهو قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم واما قوله عز وجل وترغبون ان تنكحوهن قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد رضي الله عنهم معناه وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن ولا تعطونهن نصيبهن من الميراث لترغب فيهن غيركم وذلك انهم كانوا في ايام الجاهلية البنات كانوا اولياءهن وكانوا لا يعطونهن حقهن من الميراث ويرغبون ان يتزوجوهن وعن عائشة والحسن رضي الله عنهما انهما قالا معناه ويرغبون ان يتزوجوهن لجمالهن ولا تعطونهن ما اوجب الله تعالى لهن من الصداق وفي كلا القولين دليل على جواز نكاح الاولياء اليتامى واما قوله عز وجل والمستضعفين من الولدان معناه وفي المستضعفين من الولدان ايضا في ميراث اليتامى وقوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط معناه وفي ان تقوموا لليتامى في اموالهم وحقوقهم بالعدل وما تفعلوا من خير في امر اليتامى والصغار والضعاف فان الله كان به عليما يجازيكم على ذلك كله وقد اختلف اهل الاعراب في موضع قوله وما يتلى عليكم فقال اكثرهم انه في موضع الرفع وتقديره وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم وقال بعضهم هو في موضع الخفض تقديره وفيما يتلى عليكم في الكتاب الا ان هذا الوجه اضعف من الاول لانه لا يجوز عطف الظاهر على المضمر المجرور دون اعادة حرف الجر لا يقال مررت به وزيد الا باعادة حرف الجر في زيد قوله عز وجل وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا روي ان هذه الاية نزلت في ابنة محمد بن مسلمة وفي زوجها سعد بن الربيع وهي شابة فلما علاها الكبر جفاها وتزوج عليها شابة اثرها عليها فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ومعناها وان علمت امراة من زوجها تجافيا عنها لبغضه اياها او اعراضا بوجهه عنها لايثار غيرها عليها فلا حرج على الزوج والمراة ان يتصالحا بينهما صلحا معلوما يتراضيان به وهو ان يقول لها الزوج انك امراة قد دخلت في السن وانا اريد ان اتزوج عليك امراة شابة واوثرها عليك في القسمة لها الشابة وارضيك نصيبها من القسم فان رضيت والا سرحتك بالاحسان وتزوجت اخرى فان رضيت حل للزوج ذلك كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه طلق امراته سودة فسالته لوجه الله عز وجل ان يراجعها وتجعل ايامها لعائشة رضي الله عنها ففعل ومثل هذا الصلح لا يقع لازما لان المراة الكبيرة اذا ابت بعد ذلك الا المقاسمة على التسوية فذلك لها الى ان يرضيها الزوج بعد ذلك اما تخييرا او بوجه اخر على ما تقدم ذكره وذهب بعض المفسرين الى ان الزوج والمراة لو اصطلحا على ان اعطاها الزوج مالا معلوما حتى تركت له بعض ايامها او نقص من نصيبها اصطلاحا جاز وهذا لا يصح لان اسقاط الحق والاعتياض عن الاسقاط مع وجوده

الدمامة قبح الوجه ه

كانوا لا يورثون الايتام ه

الألوكة www.alukah.net

السبب الموجب للتسليم وهو العقد لاطلاق ان المراة اذا ابت زوجها عن تسليم نفسها لمهرها وابا المشتري البايع
عن تسليم المبيع والحدة هو قضاء على الاشياع من التسليم وذلك باطل لا يجوز تراضيهما عليه وقرا بعضهم ان يُصلحا
بينهما صلحا من الاصلاح وقوله عز وجل والصلح خير معناه والصلح خير من الاقامة على النشوز وقيل الصلح
خير من الفرقة واما قيم الخوف في اول هذه الاية مقام العلم لان خوف النشوز لا يكون الا وقد بدا منه شي
واما دخول حرف الشرط على الاسم فانه على احد التقديرين اما تقدير فعل مضمر يليه المظهر الذي بعده كانه
قال وان خافت امراة خافت من بعلها نشوزا وحذف الفعل الاول لتفسير الثاني اياه ونظيره في المنصوب
زيدا ضربته تقديره ضربت زيدا ضربته واما على التقديم والتاخير كانه قال وان خافت امراة من بعلها
نشوزا وعلى هذا قوله عز وجل ان امرؤ هلك وقوله عز وجل وان احد من المشركين استجارك وهذا لا يكون
الا في الفعل الماضي كما يقال ان الله عز وجل مكنني فعلت كذا وكذا فاما في الفعل المستقبل فيقبح ان يفرق
بين ان التي للجزاء وبين لفظ الاستقبال فيقال ان امراة تخف لان ان تجزم المستقبل فلا تفصل بين العامل والمعمول
واما قوله عز وجل واحضرت الانفس الشح معناه جبلت الانفس على الشح فتمنع المراة الكبيرة نفسها من الرضا
بدون حقها وترك بعض نصيبها من الرجل لغيرها ويشح الرجل بنصيبه من الشابة فيمنعه من توفير نصيب الكبيرة
من القسم عليها وقوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا معناه وان تحسنوا العشرة وتتقوا الظلم عن النساء فان الله
كان بما تعملون من الاحسان والجور عالما يخبر عليكم الحسن والسيئ يجازيكم على ذلك قوله عز وجل ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان
تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما معناه ولن تقدروا ان تسووا بين
النساء ولو اجتهدتم في العدل كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم
ان هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني بما لا املك واراد به المودة والمحبة وقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل
معناه لا تميلوا الى الشابة بالفعل كل الميل فتتركوا العجوز بغير قسمة كالمحبوسة لا ايم ولا ذات بعل وفي قراءة ابي
بن كعب كانها محبوسة وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت له امراتان فمال الى
احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وقوله عز وجل وان تصلحوا وتتقوا معناه وان تصلحوا ما افسدتموه
بافراط الميل وتتقوا العقوبة فيه فان الله كان غفورا لما سلف من الظلم منكم قبل نهيي رحيما لكم بعد التوبة
قوله عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما
معناه والله اعلم ان الزوج والمراة اذا افترقا خوفا من ترك حقوق الله سبحانه التي اوجبها عليهما اغنى الله كلا
من سعته من رزقه الزوج بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وكان الله واسعا لهما في النكاح حكيما حكم على الزوج
الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان وقيل معناه وكان الله واسع الملك جواد الاعطاء حكيما ذا حكمة فيما
يحكم من الفرقة بجعل لكل واحد منهما من يسكن اليه فيفضله على الاول وفي هذه الاية بيان ان رزق العباد
على الله تعالى وان ما يجريه على ايدي عباده فهو المسبب له والمستحق عليه الحمد قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا معناه ان لله
ملك السموات والارض وما فيهما كلهم عبيده واماؤه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على من يشاء لا الذي يضيق
به من الرزق ليس لاضافة اليها خلقه وقوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
اي امرنا اهل التوراة في التوراة واهل الانجيل في الانجيل واهل كل كتاب في كتابهم واياكم اي وصيناكم بالامة
محمد صلى الله عليه وسلم ووصيناكم ان اتقوا الله واطيعوه في امر النساء واليتامى واحكامهم وفي هذه بيان ان
الزام الله تعالى عباده التقوى عموم لا خصوص فيه وان يلزمكم ما الزم سائر الامم قبلكم مصلحة لكم وان تكفروا اي

تجحدوا

يعلمها وصية الله سبحانه فلم تعملوا بها فان لله ما في السموات من الملائكة وما في الارض من الجن والانس ومن
الخلق وكان الله غنيا عن عبادتكم لا يضره كفر من كفر منكم ولا ينفعه طاعة من اطاع منكم حميدا محمودا في ايديه وفي
خواتمه ونعمه وعباده حمد من امر بحمده ومن اجابه الى وحده واطاعه قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا هذه مع الاية كانه عز وجل يذكرهم عن غفلتهم بانه حفيظ
على اعمالهم لم يحفظوا ولا يتهاونوا بما امر به مما امر الله عز وجل وليس شيء من هذه الالفاظ تكرارا في كتاب
الله عز وجل ولكن كل واحد منها معروف بفائدة جديدة والفائدة في اعادة قوله عز وجل ولله ما في
السموات وما في الارض ان ينبه الامر بالاتكال على الله عز وجل والثقة به وتفويض الامر اليه ولذلك عقبه
بقوله وكفى بالله وكيلا اي حافظا لاعمالكم كفيلا بارزاقكم قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس
ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا معناه ان الله سبحانه كما يملك الموجود من السموات والارض يملك
ايضا الاستبدال فافنى الخلق وانشا الاخرين وقيل هو خطاب للكفار لانه تعالى قال من قبل وان تكفروا
فكانه قال ان يشا يهلككم ايها الكفار وياتي بقوم اخرين اطوع منكم وكان الله على اهلاككم وخلق
غيركم مكانكم قادرا وذكر لفظ كان ليبان انه لم يزل كان قادرا على كل شي لا انه حدثت له قوة لم تكن وفي الاية
تخويف لكل من كانت له ولاية او رياسة فلا يعدل فيهم او كان تحت يده او كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس
ان يذهبه الله تعالى ويهلكه ويأتي بغيره خيرا منه قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله سميعا بصيرا وذلك ان الله عز وجل لما ذكر عظم سلطانه وسعة
ملكه وقدرته اراد ان يرغبهم فيما عنده من ثواب الاخرة ويحذرهم من عقابها كي ينقطعوا اليه بالكلية
فقال من كان يريد ثواب الدنيا اي من كان يريد بعمله منفعة الدنيا فليعمل لله ولا يقتصر على طلب
الدنيا فان ثواب الدنيا واصل الى البر والفاجر والمومن والكافر ولكن ليطلب طلب الاخرة التي لا تنال الا بعمل
وكان الله سميعا لكلام عباده بصيرا بما في قلوبهم وفي الاية تهديد للمنافقين المرائين من الناس وجاء
في الحديث ان في جهنم واديا تتعوذ منه جهنم في كل يوم اربعمائة مرة اعد للقراء المرائين وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال نية المومن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته وليس من مومن
يعمل عملا الا سار في قلبه سورتان فان كانت الاولى لله سبحانه فلا تهدنه الاخرى ويقال ان المراد بهذه الاية
مشركو العرب كانوا يقرون بالله سبحانه خالقهم ويزعمون ان يتقربوا الى الاصنام ليقربوهم الى الله سبحانه
زلفى ويعطيهم الله عز وجل من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها فاعلم الله عز وجل ان خير الدنيا والاخرة عنده قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان
بما تعملون خبيرا ابتدا فصل ذكره عز وجل في هذا الموضع لاشتماله على اتمام الوصايا وانفاذ الشهادات والاحكام
معناه يا ايها الذين اقروا وصدقوا بالله ورسوله قوموا بالعدل وقولوا الحق ويجوز ان يكون معنى القوام بالقسط
استعماله العدل على حسب ما يجب من انصاف الانسان من نفسه وانصاف كل مظلوم من ظالمه ومنع كل ظالم
من ظلمه يقال فلان يقوم بهذا الكتاب اي يحسنه وبهذا الامر اي يمكنه التصرف فيه ولفظ القوام لا
يكون الا للمبالغة والقسط والاقساط العدل ويقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط
الرجل يقسط قسوطا اذا جار قال الله تعالى واقسطوا ان الله يحب المقسطين اي اعدلوا وقال واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا اي الجائرون وقوله عز وجل شهداء لله انتصب لاحد اوجه ثلثة
احدها انه خبر ثان كما يقال هذا حلو حامض والثاني على الحال كما يقال هذا زيد راكبا والثالث على انه صفة
لقوامين فان قوامين نكرة وشهداء نكرة والنكرة تنعت بالنكرة ومعنى شهداء لله اي اشهدوا بالحق لله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على ما كان من قريب وبعيد وكل ما كان الوصول الى القسط فيه من طريق الشهادة فاقيموا الشهادة لله
على الظالم بحق واما قوله ولو على انفسكم فمعناه قولوا الحق ولو على انفسكم والشهادة على النفس اقرار والاقرار
والشهادة يجتمعان في المعنى وقوله او الوالدين والاقربين معناه او على الوالدين او على قراباتكم وفي هذا بيان ان
شهادة الابن على الوالد لا يكون عقوقا ولا يحل للابن الامتناع من الشهادة على ابويه لان في الشهادة عليهما بالحق
منعهما عن الظلم وقوله ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بالغني والفقير
من عباده من احدكم بوالديه وقراباته وارحم وارأف فاقيموا الشهادة لله لا تميلوا في الشهادة رحمة للفقير ولا
تقصدوا اقامتها لاحتمال غنى الغني عندكم او لاجل غنى المشهود له حرمة ونظير هذا قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا ومن هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ينصره مظلوما فكيف ينصره ظالما فقال ان ترده عن ظلمه لان ذلك نصرة مثل ذلك
قوله عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لتعدلوا وهذا كما يقال لا تتبع الهوى لترضي ربك
ويقال معناه لا تتبعوا الهوى ان لا تعدلوا معناه لا تتبعوا الهوى لئلا تعدلوا وهذا كما يقال كراهة ان تعدلوا او
هذا كما قالوا في قوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا ويقال معنى تعدلوا تميلوا عن الحق الى الهوى وقوله
وان تلووا او تعرضوا من قرا تلووا بواوين فمعناه ان تماطلوا في اقامة الشهادة وتقلبوا اللسان لتفسدوا
الشهادة او تعرضوا عن اقامة الشهادة ماخوذ من لوى فلان في دينه يلوي ليا اي دافع ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم لي الواجد يحل عرضه وعقوبته ومن قرا تلوا بواو واحدة فهو من الولاية معناه
ان اقمتم الشهادة او اعرضتم قال الفراء اصل تلوا تلؤوا بالهمزة من لاى لايا اذا ابطا فطرحت الهمزة
ونقلت حركتها الى اللام وقوله فان الله كان بما تعملون خبيرا اي لا يخفى عليه شيء مما تعملون من كتمان
الشهادة واقامتها ويروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالاية القاضي يتقدم اليه
الخصمان فيعرض عن احدهما ويدافع في امضاء الحق او لا يسوي بينهما في المجلس والنظر والاشارة ولا يمتنع
ان يكون المراد بالاية القاضي والشاهد وعامة الناس لاحتمال اللفظ الجميع وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على من كانت ومن كان
يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجحد الحق هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه الى السلطان والخصومة ليقطع
بذلك حقه وايما رجل خاصم الي فقضيت له على اخيه بحق ليس هو له عليه فلا ياخذنه فانما اقطع له
قطعة من نار جهنم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على
رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا في المخاطبين بهذه الاية ثلاثة اقوال احدها انهم المؤمنون امروا
بالاقامة على الايمان والثبات عليه كما في تفسير قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه والثاني
ان المراد بها اليهود والنصارى كانه قيل يا ايها الذين امنوا من قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الانبياء صلوات الله
عليهم امنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما اتى به من عند الله لانكم امنتم بالمتقدمين من الانبياء صلوات الله
عليهم للايات التي كانت معهم فعليكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من حيث امنتم بهم فعليكم الايمان
بنبوته قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا معه
اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نؤمن بك وبكتابك وبموسى وعزير والتوراة ونكفر
بما سواه من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله ورسوله محمد وبالرسل كلهم صلوات
الله عليهم اجمعين وبكل كتاب كان من قبل فقالوا لا نفعل فانزل الله تعالى هذه الاية والثالث ان المراد بهذه الاية
المنافقون كانه قيل يا ايها الذين اقروا بالسنتهم بالايمان في الظاهر صدقوا بقلوبكم في الباطن وقوله عز وجل

١٦٩

ومن يكفر بالله وملائكته معناه من يجحد بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
فقد اخطا خطا بعيدا عن الحق والصواب وهذا تحذير عن الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم فان
من كفر بهذه الاشياء الخمسة كلها قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اختلف المفسرون في هذه الاية على قولين احدهما ان المراد
بها اليهود قال الكلبي امنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم امنوا بعزير عليه السلام ثم كفروا
بعد عزير بالمسيح عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقال مقاتل امنوا
بموسى عليه السلام ثم كفروا بعد موته ثم امنوا بعيسى عليه السلام ثم كفروا بعد ما رفع عيسى عليه
السلام الى السماء ثم اقاموا على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ويقال امنوا بموسى عليه السلام
ثم كفروا بعده بعيسى عليه السلام ثم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ثم كفروا به بعد
ما بعث ثم اقاموا على كفرهم وقال قتادة امن اليهود بموسى عليه السلام ثم كفروا به بعبادة العجل
ثم امنوا بالتوراة ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم و
يقال ان يهود المدينة لما بلغهم بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو بمكة اقروا انه نبي مبعوث ثم كفروا
به بعد مقدمه المدينة ثم اقروا او طائفة منهم حين ظفر يوم بدر ثم جحدوا يوم احد وكانت يهود بعد ثم
المدينة تفعل مثل هذا تشكيكا للمسلمين كما قال الله عز وجل وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون والثاني ان المراد بهذه
الاية المنافقون قال الضحاك نزلت هذه الاية في شان ابي عامر الراهب الذي بنى مسجد الضرار امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر ثم امن ثم كفر ثم مات على كفره وقيل يجوز ان يكون المراد امن ثم كفر
ثم امن ثم كفر او نافقوا اظهروا الايمان وابطنوا الكفر ثم امن ثم كفر ثم ازداد كفرا وقوله عز وجل لم يكن الله
ليغفر لهم معناه ما داموا على كفرهم وقوله ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا يوفقهم طريقا الى الاسلام
ولكن يخذلهم مجازاة لهم على كفرهم وقال الزجاج معناه ولا ليجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم لان الله
عز وجل يضل الظالم وفي الاية دليل ان المرتد متى تاب قبلت توبته لان الله عز وجل حكم بايمانه متى اظهر
الايمان مرة بعد اخرى ولم يؤاخذنا باعتبار حقيقة ما في القلوب لانا لا نتوصل الى ذلك وهذا قال ابو
حنيفة رحمه الله اني استتيب الزنديق كما استتيب المرتد فان تاب خليت سبيله وان ابى
قتلته وبه قال ابو يوسف زمانا فلما راى ما يصنع الزنادقة يتوبون ويعودون قال ارى ان اتي
بزنديق ان امر بضرب عنقه ثم ولا استتيبه وان تاب قبل ان اقتله خليته وفي رواية عن ابي يوسف انه
قال اذا زعم انه قد تاب حبسته حتى اعلم توبته وذكر الشيخ ابو الحسن الكرخي ان المرتد اذا عاد الى الردة
المرة الثانية استتيب فان ابى قتل وان تاب ضرب ضربا وجيعا دون الحد وحبس حتى يعرف صدق
توبته ويرى عليه اثر الخشوع وعن ابي حنيفة رحمه الله انه قال اقتل الزنديق سرا فان توبته لا تعرف
وهذه رواية اخرى رواها ابو يوسف عنه في اماليه فان قيل ان الله عز وجل لا يعاقب كفرهم واحدة
في الفاتحة في قوله امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا قيل ان الكافر اذا امن عفي له كفره فاذا كفر بعد
ايمانه لم يغفر له كفره الاول وهو مطالب بجميع كفره قوله عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
معناه خوف المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه ومن يكون على سبيلهم يوم القيمة بان لهم عذابا
وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم وانما قال في هذا الموضع عذابا اليما وقال في موضع اخر بعذاب
اليم لاتساق الفواصل وان كان كل واحد من اللفظين في معنى الاخر لان اواخر الايات في هذا
الموضع على سبيلا ونصيرا فقال اليما ولما كانت في الموضع الاخر على حريق وبعيد قال بعذاب اليم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونظير هذا قوله في موضع رب هرون وموسى لكون اواخر الايات على الياء وفي موضع اخر رب موسى
وهرون لكونها على الواو والنون وكذلك قوله والليل اذا يسر وقوله الكبير المتعال بغير يا في اخر
على مواقعه ما قبله لان اتفاق الفواصل يستحسن في الايات كاتفاق القوافي في الابيات الا ان الاهم
في الابيات القوافي والمعاني تابعة لها والاهم في كلام الله تعالى المعاني والفواصل تابعة للمعاني وانما
ذكر البشارة في موضع العذاب فعلى معنى اجعل لهم في موضع البشارة العذاب تقول العرب تحيتك
الضرب وعتابك السيف ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال عز وجل الذين يتخذون الكفرين اوليا
من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ٥ معناه هم الذين يتخذون اليهود
احبا في العون والنصرة من دون المومنين المخلصين الموحدين وهذا دليل انه لا يجوز للمومنين الاستنصار
بالكفار على غيرهم من الكفار اذا كانوا متى غلبوا كانت الغلبة للكفار وكان حكم الكفر هو الغالب لان الله
عز وجل اذا ذم قوما على فعل كان ذلك الفعل قبيحا لا يجوز لاحد من الناس فعله الا ان تقوم الدلالة
عليه وقوله عز وجل ايبتغون عندهم استفهام بمعنى الانكار اي كيف يطلبون عند الكفار العزة وهم
اذلا في حكم الله عز وجل وقوله فان العزة لله جميعا معناه فان القوة والمنعة لله جميعا فمن اراد ان يطلب
العز فليطلبه من الله عز وجل لانه المتفرد بجميع من له العز من خلقه بجميع العزة له ولانه لا يعتد بعزة احد
مع عزة الله سبحانه لصغرها واحتقارها في صفة عزته فلا يجوز اطلاق العزة الا لله عز وجل واصل العزة
من الشدة ثم نقلت عنها الى القوة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز وعز الشي اذا قل لانه يشتد مطلبه
ويعز على ان افعل كذا اي يشتد علي وعازة في الامر اذا شاده واستعز على المريض اذا اشتد وجعه وشاة
عزوز اذا كانت تحلب بشدة لضيق احاليلها والعزيز القوي المنيع قوله عز وجل وقد نزل عليكم في
الكتب ان اذا سمعتم ايت الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكفرين في جهنم جميعا معناه وقد نزل عليكم
في القران في سورة الانعام بمكة ان اذا سمعتم ايات القران يجحد بها ويستهزا بها فلا تجلسوا معهم حتى يكونوا
خوضهم في كلامهم في حديث غير القران اراد بقوله وقد نزل عليكم قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقوله عز وجل انكم اذا مثلهم معناه ان جلستم اليهم راضيا
بما هم عليه من الكفر والاستهزا بايات الله فانتم مثلهم في الكفر لان الرضا بالكفر والاستهزا بايات الله عز
وجل كفر ومن جلس معهم ساخطا لذلك الحال منهم لم يكفر ولكنه يكون عاصيا بالقعود معهم فيكون معنى
قوله عز وجل انكم اذا مثلهم اي في اصل العصيان وان لم تبلغ معصية المومنين معصية الكفار وهذا اذا
لم يكن جلوس المومن معهم لاقامة فرض او سنة فاما اذا كان جلوسه هنالك لاقامة عبادة وهو ساخط
لذلك الحال الا انه لا يقدر على تغييرها فلا باس بالجلوس كما روي عن الحسن رضي الله عنه انه حضر هو وابن سيرين
جنازة وهنالك نوح فانصرف ابن سيرين فذكر ذلك للحسن رضي الله عنه فقال ان كنا متى راينا باطلا تركنا
حقا اسرع ذلك في ديننا ولم يرجع وقال ابو حنيفة رحمه الله والرجل يكون في الوليمة فيحضر هنالك اللهو واللعب
انه لا ينبغي له الخروج وقال قد ابتليت بهذا مرة وقوله عز وجل ان الله جامع المنافقين والكفرين في جهنم
جميعا اي يجمعهم في جهنم مجازاة لاجتماعهم في الدنيا للاستهزاء ثم شاان لا يكون معهم في جهنم فلا يكون
معهم في الدنيا ثم زاد في نعت المنافقين فقال عز وجل الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من
الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكفرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من
المومنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكفرين على المومنين سبيلا معناه هم الذين
ينتظرون بكم الدوائر ويراعون احوالكم والمتربص الذي هو المتوقع لاسبابه ويسمى المحتكر متربصا لتوقعه غلا

السمع

١٢٠

السمع وقوله عز وجل فان كان لكم فتح من الله معناه ان كان لكم ظفر ودولة وغنيمة قال
المنافقون الم نكن معكم على دينكم فاعطونا من الغنيمة وان للكفرين نصيب ظهور على المسلمين قال
المنافقون الم نغلب على امركم بالموالاة لكم ونطلعكم على سرهم ونكتب اليكم ونخبركم عنهم ما كنا نعلمكم
من اخبارهم ونمنعهم عنكم فالله يقضي بين المومنين والمنافقين والكفار يوم القيمة ولن يجعل الله
للكفرين على المومنين سبيلا قال بعضهم لن يجعل الله لليهود على المومنين ظهورا ويقال ان المراد بالسبيل
الدولة والحجة ولن يجعل الله للكفرين من اليهود وغيرهم حجة على المسلمين في الدنيا ولا في الاخرة ويقال
معنى السبيل الدولة الدايمة ويقال معناه لا يدخل الكفرون الجنة فيقولون للمومنين ما اغنا لم نعكم في
الدنيا وصرنا كمرنا بعد ان تساوينا في الجنة فيكون لهم على المومنين بذلك السبيل والاستحواذ في
اللغة هو الاستيلا يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال الشاعر
يحوذهن وله حوذي ويروى يحوزهن وله حوزي فمن قال حاذ يحوذ لم يقل الا استحاذ
يستحيذ ومن قال احوذ كما يقال احوذت واطيبت بمعنى اجدت واطبت قال على الاصل استحوذ
وهذا مثل استنوق الجمل واستصوبت رايه قوله عز وجل ان المنافقين يخدعون الله وهو خادعهم
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا معناه ان المنافقين
يخادعون اوليا الله باظهارهم الايمان وابطانهم الكفر ليحقنوا بذلك دماهم ويشاركوا المسلمين
في غنايمهم وجعل الله مخادعة اوليايه مخادعة له كما قال الله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله وقوله عز وجل وهو خادعهم اي مجازيهم جزا اعمالهم كما قال جل ذكره يوم يقول المنافقون
والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم الى اخر الاية ووجه اخر ان المنافقين يعاملون
عمل المخادع لمالكه بما يظهرون من الايمان ويبطنون خلافه وهو يعاملهم عمل المخادع بما امر به
من قبول ايمانهم مع علمه بابطان كفرهم وقوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة معناه واذا قاموا
الى الصلوة قاموا متثاقلين لا يريدون بها وجه الله سبحانه ولا يأتون الصلوة الا دبرا ولا دواعي
لهم اليها الا مرا اياه الناس خوفا منهم ولا يصلون لله الا قليلا ريا وسمعة ولو كانوا يريدون
بذلك القليل وجه الله عز وجل لكان كثيرا ولكنهم لم يريدوا بذلك وجه الله عز وجل فلم
يتقبل منهم قوله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن
تجد له سبيلا اول الاية نصب على الذم معناه مترددين بين كفر السر وايمان العلانية ليسوا
من المومنين فيجب لهم ما يجب للمومنين وليسوا من الكفار فيجب عليهم ما يجب على الكفار
ومن يخذله الله عز وجل عن الهدى فلن تجد له يا محمد صلى الله عليه وسلم مخرجا وطريقا الى الهدى
قوله عز وجل يايها الذين امنوا لا تتخذوا الكفرين اوليا من دون المومنين اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطنا مبينا معنى الاية والله اعلم لا تفعلوا ايها المومنون كما يفعله المنافقون
ويقال معناها يايها الذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون لا تتخذوا اليهود احبا في العون والنصرة
من دون المخلصين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم حجة ظاهرة بوجوب العقوبة عليكم في الدنيا
والاخرة والسلطان في اللغة عبارة عن الحجة يقال للامير سلطان يراد به انه ذو الحجة وتقول العرب
قضت عليك السلطان تريد بذلك حجة الوالي وقد يقال قضى عليك السلطان ويراد به البرهان و
الاحتجاج قال الله عز وجل لولا ياتون عليهم بسلطان بين وقال حكاية عن سليمن عليه السلام او لياتيني
بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال اراد بالسلطان المبين
في هذه الاية العذاب المبين ويقال معناه اتريدون ان تسلطوا عليكم عذاب الله بموالاة الكفار قوله عز وجل

www.alukah.net

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا اخبار عن منازل المنافقين في الاخرة
انهم يكونون في الطبق الاسفل من النار وهي الهاوية لكفرهم وخيانتهم النبي صلى الله عليه وسلم مع ابطان الكفر
قال ابو عبيدة جهنم ادراك اي منازل كل منزلة منها درك ومن قرا الدرك بتسكين الرا فهو لغة واكثر
القرا على فتح الرا والدركات في النار مثل الدرجات في الجنة كل ما كان من درجات الجنة اعلى فثواب من فيه اعظم
وما كان من دركات النار اسفل فعقاب من فيه اشد وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الدرك الاسفل
فقال توابيت من حديد مبهمة عليهم لا ابواب لها وقوله عز وجل ولن تجد لهم نصيرا اي لن تجد لهم مانعا
يمنع العذاب عنهم والمنافق في اللغة ماخوذ من النفق وهو السرب اي يستتر بالاسلام كما يستتر
الرجل بالسرب ويقال هو من قولهم نافق اليربوع ونفق اذا دخل نافقاءه فاذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء
واذا طلب من القاصعاء خرج من النافقاء والنافقاء والقاصعاء والراهطاء والدامّاء حجرة اليربوع فان قال
قايل ما وجه التوفيق بين هذه الاية وبين قوله ادخلوا آل فرعون اشد العذاب قيل لا يمتنع ان يجتمع القوم
في موضع واحد ويكون عذاب بعضهم اشد من عذاب بعض الا ترى ان البيت الداخل في الحمام يجتمع
فيه اناس ويكون بعضهم اشد اذى بالنار لكونه ادنى الى موضع الوقود وبعضهم اخف اذى لكونه ابعد
منه وكذلك قد يجتمع القوم في القعود في الشمس ويتاذى الصفراوي منها اشد واكثر من تاذي السوداوي
قوله عز وجل إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا معناه الا الذين تابوا من النفاق واخلصوا العمل فيما بينهم وبين ربهم
وتمسكوا بتوحيد الله ودينه ويقال امتنعوا بالطاعة من الضرر في العاجل والاجل واخلصوا دينهم
لله اي توحيدهم وعملهم لله جعلوا ذلك خالصا من شوب الريا وطلب عوض من الدنيا على ما هو سبيل
الثواب فلا يفعل الا لوجه الله تعالى فاولئك مع المومنين في الجنة والثواب لا يضرهم النفاق السابق
اذا تابوا من ذلك واخلصوا وقوله وسوف يوت الله المومنين والعدة كلمة ترجية واطماع وهي
من الله سبحانه ايجاب لانه جل ذكره اكرم الاكرمين ووعد الكريم ايجاب ويحتمل ان يكون قوله وسوف
يوتي الله المومنين كناية عن جميع المومنين يعطيهم الله الثواب الوافر في الجنة من تقدم منه الكفر
ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به بيان زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق واما
حذف اليا من قوله يوت الله في الكتابة فعلى اتباع اللفظ لسكونها وسكون اللام بعدها وكذلك
الواو من قوله سندع الزبانية وقوله عز وجل يوم يدع الداع قوله عز وجل مَا يَفْعَلُ اللَّهُ
بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا وذلك ان الله عز وجل لما ذكر الدرك
الاسفل من النار اعلم ان المنافقين هم الذين اوقعوا انفسهم فيها واستحقوها بعظم ذنبهم لجمعهم
بين الكفر والشرك وخديعة المومنين وانه ليس في حكمة الله سبحانه تعذيب من شكر وامن واما في
حكمته ان يجزي كل عامل بما عمل فذلك قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم اي ما حاجته الى تعذيبكم
ايها المنافقون ان وحدتم والشرك وصدقتم في ايمانكم ويقال معناه ان شكرتم نعم الله وامنتم بكتبه
ورسله وكان الله عند ذلك شاكرا اي مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بالثواب يضعف لمن
يشا واحد الى عشرة الى سبع مائة الى ما شا الله من الاضعاف والشكر من العبد هو الاعتراف بالنعمة
الواصلة اليه مع ضروب من التعظيم والشكر من الله عز وجل شكرا اتسيعا بشكرنا الذي هو في
مقابلة ابتدا انعامه وتفضله علينا وتوفيقه ايانا على طاعته ونظير هذه الاية قوله تعالى قل ما
يعبوا بكم ربي لولا دعاوكم اي ما يصنع بعذابكم ان دعوتموه قوله عز وجل لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا روي عن عبد الله بن عباس وقتادة ان معناه لا يحب

الله الجهر

الله الجهر بالدعا بالشر على احد الا ان يظلم فيدعوا على ظالمه فلا يعاب على ذلك وهو ماذون له في ان يشكوا
ظالمه ويدعوا عليه ويقال قوله الا من ظلم استثنا منقطع معناه لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا
وفي تفسير الحسن رضي الله عنه لا يحب الله الشتم والانتصار الا من ظلم فلا باس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز
له الانتصار به في الدين ونظيره قوله عز وجل وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن رضي الله عنه لا يجوز للرجل
اذا قيل يا زاني ان يقابل بمثل ذلك او نحوه من انواع الشتم وقال مجاهد نزلت هذه الاية في الضيف اذا لم
يضف ومنع حقه فقد اذن له ان يشكوا والضيافة ثلاثة ايام وقيل ان هذا التاويل محمول على وقت كانت
الضيافة ثلاثة ايام واجبة في ذلك الوقت ومن قرا الا من ظلم بنصب الظا فمعناه لكن الظالم يجهر بذلك ظلما
واعتداء وقيل لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول وقوله عز وجل وكان الله سميعا عليما معناه سميعا لدعا
المظلوم عليما بعقوبة الظالم ويقال سميعا لجميع المسموعات عليما بجميع المعلومات ووجه اتصال هذه الاية
بما قبلها ان الله عز وجل لما اباح للمومنين الجهر على المنافقين بالسوء بعد العلم بنفاقهم لاظهار فضيحتهم حرم
على المومنين فيما سوى ذلك الا ان يكون استغاثة من مظلوم يشكوا ظالمه قوله عز وجل إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا
أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا معناه ان تظهروا خيرا او تسروه او تعفوا
عن مظلمة ظلمتم بها فان الله كان عفوا قديرا والعفو كثير العفو عن خلقه والقدير والقادر بمعنى واحد
اي الله عز وجل اقدر على العقوبة وهو يعفو عن عباده مع قدرته على الانتقام فالاولى ان تعفوا طريقة لحكم
وقيل في معنى هذه الاية ان تردوا جوابا حسنا او تسكتوا عن الظالم ولا تحقدوا او تتجاوزوا عن ظلمه فان الله
عز وجل يعفوا عن المظلوم ذنوبه فان يعفو الله عز وجل عنكم معاصيكم اكثر من عفوكم عمن ظلمكم وفي تفسير
الكلبي ان من عمل حسنة كتبت له عشرا ومن هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ
وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا قال الحسن رضي الله عنه نزلت هذه الاية في اهل الكتابين من اليهود
والنصارى امنت اليهود بموسى عليه السلام والتورية وكفرت بعيسى عليه السلام والانجيل وامنت النصارى
بعيسى عليه السلام والانجيل وكفرت بموسى عليه السلام والتورية وكلهم كفروا بمحمد صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع الانبياء والقران فاعلم الله عز وجل انه ليس بين الايمان بالبعض والكفر بالبعض دين
يتخذ ذلك طريقا قوله عز وجل أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِينًا معناه اهل هذه الصفة هم الكافرون حقا البتة وقوله جل ذكره حقا نصب على
المصدر التاكيد كما تقول زيد اخوك حقا اي تحق ذلك حقا والفايدة في قوله حقا بيان ان
ايمانهم بالبعض لا ينفعهم ولا يسلب اسم الكفر عنهم ويقال ان اهل الشرك داخلون في هاتين
الاسمين لانهم لم يعرفوا بالله ورسله اذ يقرون بان الله عز وجل خالقهم ورازقهم وينكرون الرسل وقوله
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر المعنى قوله عز وجل وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وذلك ان الله عز وجل
لما انزل الاية التي قبل هذه الاية حكم الذين امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا بالبعض واوعدهم على
ذلك العذاب المهين بين بهذه الاية حكم المومنين الذين امنوا بالله وجميع رسله ولم يفرقوا بين احد
منهم في الايمان والتصديق ووعدهم الاجر العظيم والمغفرة والرحمة وفي تسمية الله عز وجل الثواب
اجرا دليل انه مستحق لان ذلك حكم الاجر قوله عز وجل يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ
كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ
الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

[illegible]

عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا معناه يسألك يا محمد صلى الله عليه وسلم
كعب بن الأشرف وجماعة اليهود أن تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى عليه
السلام وهو حين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقوله تعالى فقد سألوا
موسى عليه السلام بعدما رأوا الآيات أعظم من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة أي معاينة منكشفة ظاهرة وهم
السبعون الذين كانوا معه عند الجبل حين كلمه الله سبحانه سألوه أن يروا ربهم رؤية يدركونها بأبصارهم
في الدنيا وقال أبو عبيدة معنى الآية قالوا جهرة أرنا الله فجعل جهرة صفة لقولهم لأن الرؤية لا تكون إلا جهرة
وقوله عز وجل فأخذتهم الصاعقة بظلمهم معناه أخذتهم النار عقوبة لهم بسؤالهم موسى عليه السلام
ما لم يستحقوه وقوله ثم اتخذوا العجل يعني الذين خلفهم موسى عليه السلام بمصر واستخلف عليهم هرون
عبدوا العجل من بعد ما جاءتهم الآيات البينات الدالة على توحيد الله عز وجل وفي هذا بيان جهل اليهود
وتعنتهم وعنادهم وأي جهل أعظم من اتخاذ العجل إلها بعد ظهور المعجزات وثبوت الآيات البينات وقوله
عز وجل فعفونا عن ذلك أي تجاوزنا عنهم بعد توبتهم مع عظم جنايتهم وجرمهم ولم نستأصلهم وكل
الله ذلك على سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته ومنته وبين ذلك أنه لا جريمة تضيق عنها مغفرة الله
عز وجل وفي هذا منع من القنوط واستدعاء إلى التوبة وقوله عز وجل وآتينا موسى سلطانا مبينا معناه
أعطيناه حجة على من خالفه بينة ظاهرة وهو اليد والعصا وقوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور
بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا
غليظا معناه ورفعنا فوقهم الجبل بإقرارهم بالله عز وجل ونبوة موسى عليه السلام وذلك
حين أبوا قبول التوراة رفع الله عز وجل فوقهم الطور فقبلوها وخروا سجدا ورفع الله تعالى الطور
عنهم وقوله عز وجل وقلنا لهم ادخلوا الباب أي قلنا لهم مع هذا أيضا ادخلوا باب أريحا إذا دخلتموها
خاشعين لله متخشعين أذلة لكم فدخلوا زحفا وبدلوا ما قيل لهم وقيل أراد بالباب الذي عبد فيه العجل
أمرهم الله تعالى أن يدخلوه بعد توبتهم من عبادة العجل ساجدين لله عز وجل فيصير ذلك كفارة لعبادة العجل
حقا مرضيا في موضع الباطل المجوح ورفعه وقوله عز وجل وقلنا لهم لا تعدوا في السبت معناه وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت معناه وقلنا لهم مع هذا أيضا لا تستحلوا أخذ السمك في يوم السبت ومن قرأ لا تعدّوا
بتشديد الدال فأصله لا تعتدوا وأدغمت التاء في الدال وأقيم التشديد مقامه والقراءة بالتخفيف من عدا
يعدو عدوا وقوله عز وجل وأخذنا منهم ميثاقا غليظا أي إقرارا وميثاقا شديدا فأبوا إلا مضيا
على المعصية وخروجا من الطاعة واستخفافا بأمر الله تعالى وهذا كله مما يعزي الله به محمدا صلى
الله عليه على مخالفة اليهود وتكذيبهم إياه يقول هؤلاء بقية أولئك الذين عددت عليك بعض أعمالهم
الخبيثة يتجرؤون على الأنبياء الآيات بعد قيام الحجة عليهم فلا يؤمنون إلا قليلا وقوله عز وجل
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا معناه فبنقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم في التوراة
وجحدهم بالقرآن والإنجيل وبما في التوراة من نعت الإسلام وصفة النبي صلى الله عليه وسلم وبقتلهم الأنبيا
صلوات الله عليهم بلا جرم وقولهم قلوبنا غلف أي أوعية العلم فلا تعي شيئا يقول الله تعالى بل
طبع الله عليها بكفرهم معناه ليس كما قالوا ولكن ختم الله على قلوبهم مجازاة لهم على كفرهم فلا يؤمنون
إلا إيمانا قليلا لا يحق أن يسموا به مؤمنين وذلك أنهم آمنوا ببعض الرسل والكتب دون البعض قال الحسن
رضي الله عنه في هذا تقديم وتأخير معناه بل طبع الله عليها بكفرهم إلا قليلا فلا يؤمنون المراد بالقليل عبد
الله بن سلام ومن تابعه وأما دخول ما في قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وههنا فمعناه التأكيد كأنه

قال

قال فبنقضهم العهد لعناهم وجواب قوله فبما نقضهم مضمر في الآية تقديره ذلك فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وههنا الآن أول هذه الآية ذم على الكفر ومن ذمه الله عز وجل على الكفر فقد لعنه ويقال ابن العال
للنار وقوله فبما نقضهم قوله عز وجل من بعد فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله عز وجل
فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم وجوابهما جميعا قوله حرمنا عليهم طيبات والطبع والختم
نظيران في اللغة ومن قرأ بل طبع بإدغام اللام في الطاء وكذلك بل تؤثرون في قوله بل تؤثرون فلقرب مخرج الحرفين
والأولى أن لا يدغم لأنهما من كلمتين وقد تقدم تفسير الختم في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم قال الحسن
رضي الله عنه إن الكافر إذا بلغ في الكفر والعناد حدا معلوما طبع الله تعالى على قلبه عقوبة على عناده من
غير أن يمنعه الطبع عن الإيمان أو أن يسلب قدرته عليه وقال بعضهم الطبع علامة يجعلها الله عز وجل
في القلب الكافر الذي يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن لتدل به الملائكة على كفره فيتركوا موالاته والاستغفار له
من غير أن يحول بين صاحبه وبين الإيمان واستدلوا عليه بأنهم لو كانوا ممنوعين عن الإيمان غير قادرين
عليه لكانوا صادقين في قولهم قلوبنا غلف فيستحقون المدح على صدقهم ولم يستحقوا الذم والنكير
واستدلوا عليه بقوله عز وجل فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون يسمعون وقوله قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقال بعضهم إنما ذكر الله الطبع على جهة الذم تشبيها لقلوبهم
بالمطبوع عليها بمنزلة قوله صم بكم عمي فهم لا يرجعون واستدلوا عليه بقوله عز وجل فلا يؤمنون إلا قليلا
ولو كانوا ممنوعين من الإيمان لم يؤمن منهم القليل والكثير قوله عز وجل وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا
عظيما عطف على ما تقدم ومعناه وبجحدهم بعيسى عليه السلام وبالإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم
ورميهم مريم بالبهتان وهو الزنا العظيم وذلك أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فقال بعضهم
لبعض قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فسمع ذلك عيسى عليه السلام فقال
اللهم أنت ربي خلقتني فلم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدتي فاستجاب الله لعيسى
عليه السلام ومسخ ذلك الرهط خنازير وكانوا رموا أمه بيوسف بن يعقوب بن ماثان قوله عز وجل
وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا روي عن عبد الله
بن عباس رضي الله عنهما أنه قال وذلك أنه لما مسخ الرهط الذين سبوا عيسى عليه السلام خنازير فزعت
اليهود لذلك وخافت دعوته فاجتمعت كلمتهم على قتله فثاروا إليه ليقتلوه فهرب منهم ودخل بيتا في سقفه
روزنة فرفعه جبريل عليه السلام إلى السماء وأمر يهوذا ملك اليهود رجلا يقال له ططيانوس أن يدخل البيت
فيقتله فدخل البيت فلم يجده فألقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج إلى أصحابه قتلوه وهم
يظنون أنه عيسى عليه السلام ثم صلبوه فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم إن وجهه لوجه عيسى وجسده
جسد صاحبنا ثم قالوا إن كان هذا عيسى عليه السلام فأين صاحبنا وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى عليه
السلام فاشتبه عليهم واختلفوا فيه ثم بعث الله عليهم ططلوس بن اسبيسيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة
عظيمة وذلك قوله عز وجل وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم معناه وافتخارهم بقتلهم إياه وقوله
تعالى رسول الله قول الله تعالى خاصة لا قول اليهود كانت اليهود تقول قتلنا عيسى ابن مريم قال الله تعالى
رسول الله أي يعنون الذي هو رسول الله وهذا رد على الفريقين من اليهود والنصارى إذ اليهود تقول هو زنا
والنصارى تقول هو الله وتقول هو ابن الله فرد الله تعالى على الفريقين وقوله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه
معناه ما قتلوا عيسى عليه السلام ولا صلبوه ولكن ألقى الله على ططيانوس شبه عيسى عليه السلام فقتلوه
ورفع عيسى عليه السلام إلى السماء وذلك قوله ولكن شبه لهم وذكر الحسن رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام

الألوكة
www.alukah.net

كان قال للحواريين ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويدخل الجنة فقام رجل من الحواريين فقال انا يا رسول الله فالقى الله عليه شبه عيسى عليه السلم فقتل وصلب ورفع الله عيسى عليه السلام الى السماء فقالت اليهود انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وقال بعضهم • وذلك ان يهوديا قال لليهود انا ادلكم على عيسى عليه السلام وكان رجلا منافقا فجا بهم الى البيت الذي كان به عيسى عليه السلام فلما لم يجدوا عيسى عليه السلام في البيت اخذ ملكهم ذلك اليهودي وطرد العامة عن نفسه فقتل اليهودي ثم ضمخ وجهه بالدم ثم صلبه فكان الناس يرونه من بعيد مصلوبا مضمخا بالدم وكان الناس قد فقدوا عيسى عليه السلم فكان بمنزلة اليقين في انه عيسى عليه السلم واما قوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه فقد قيل ان النصارى اختلفوا في قتل عيسى عليه السلام قال بعضهم قتل الاب وقال بعضهم قتل الابن وقال بعضهم قتل الناسوت وذهب اللاهوت وقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن معناه لم يكن ذلك على حقيقة لكن يتبعون الظن فيظنون انهم قتلوا عيسى عليه السلم وهذا استثنا منقطع ليس من الاول لانه مخالف العلم وقوله عز وجل وما قتلوه يقينا معناه لم يقتلوه حقا ولا يقينا وهذا كما يقال خرج فلان من البلد يقينا ولم يخرج فلان يقينا ويقال معناه ما قتلوه يقينا لم يستيقنوا بقتله بل التبس الامر عليهم فيه فان قال قايل كيف يجوز ان يكونوا كلهم كذبة مع كثرتهم ومشاهدتهم ولئن جاز مثل هذا ليجوزن في سائر الاخبار المتواترة فتبطل الثقة بالاخبار قيل ان المتواتر هو الذي يقع العلم بصحته ولا فرق بين ان يقع العلم بالمتواتر وبين ان يعلم بخبر الله انه على خلاف ما قالوه واذا صح ذلك فلا بد ان يحمل الامر على ان القوم كلهم قد قتلوا واحدا بعينه وان كان يجوز عليهم الكذب فوقع ذلك الجمع اللبس عليهم لانهم مع علمهم انهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام وكذلك اختلفوا بعد ذلك فيه فصرف قتله على نحو ما تقدم ذكره وقوله عز وجل بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما معناه بل رفعه الله الى السما وانما سمي ذلك رفعا اليه لانه رفع الى موضع لا يملك فيه احد شيئا الا الله تعالى وهذا كما يسمى رجوع الناس الى المحشر يوم القيمة رجوعا اليه وقد قال الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله واراد بذلك الهجرة الى المدينة وقال في قصة ابرهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي سيهدين واراد بذلك الذهاب الى الشام بامر الله وعن الحسن رضي الله عنه انه قال انما سمي رفع عيسى عليه السلام رفعا اليه لانه موضع عرشه وسرير ملكه ومتعبد ملايكته يطوفون به كما سمي الكعبة بيت الله تعالى لانها متعبد الناس يطوفون بها وقوله عز وجل وكان الله عزيزا حكيما قد ذكرنا معناه غير مرة وفايدة ذكرهما هاهنا بيان قدرة الله سبحانه على نجاة من شا وبيان حكمته فيما يفعل وفعل ويحكم وحكم وبالله التوفيق وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا وذلك ان الله عز وجل لما ذكر اختلاف اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام بين بعده ان هذا الشك سيزول عن كل كتابي فقال وان من اهل الكتاب معناه ما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى عليه السلم قبل ان يموت الكتابي يقول اذا عاين اليهودي امر الاخرة وحضرته الوفاة ضربت الملايكة وجهه ودبره وقالت ان عيسى بن مريم عليه السلام كان نبيا فكذبت به فيؤمن به حين لا ينفعه ايمانه ويقول للنصراني اتاك عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن بانه عبد الله حين لا ينفعه ايمانه ويقال معنى قوله قبل موته قبل موت عيسى عليه السلام وذلك حين ينزل من السما ليقتل الدجال حتى لا يبقى احد من اهل الكتاب وقت نزوله الا يؤمن به وقد روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسيح جاي فمن لقيه فليقرئه مني السلام وروي انه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته ينزل على ثنية حول بيت المقدس وفي يده عصا من حديد فيمكث في الارض اربعين سنة اماما مهديا يدق الصليب ويريق الخمر ويقتل الخنزير ويذهب الصرة والمملكة ويكون السجدة واحدة ثم يموت ويصلي عليه هذه الامة ويدفن في الارض و

دكر

١٧٣

ويذكر الحسن رضي الله ان عيسى عليه السلم اذا نزل في اخر الزمان فقالوا له تقدم يا رسول الله وصلوة الصبح فيقول لا ينبغي لاحد بان يتقدم على هذه الامة قال فيصلي خلف رجل منهم ويقال ان المراد بقوله ليؤمنن به محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن به اهل الكتاب في وقت المشاهدة ولكن لا ينفعهم والقول الاول اصح لان الاية في قصة عيسى عليه السلام وقوله عز وجل ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا اي يشهد عيسى عليه السلام على نفسه يوم القيمة بالعبودية وعلى النصارى بانهم عبدوه بغير حق وعلى اليهود بانهم كذبوه ويقال معناه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ ولامته بالتصديق وقوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه بظلم اليهود وتعديهم حرمنا عليهم اشيا كانت طيبة لهم في التورية منها لحوم الابل والبانها والشروب من الشحوم وكانوا اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله تعالى عليهم طعاما طيبا فلم يكونوا يفعلون فمن هذا تحريم الله لحوم الابل والبانها والشروب وذلك بعد نزول التورية كما قال الله عز وجل في اية اخرى ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا معناه وبسبب منعهم الناس عن دين الله وهو الاسلام وقوله عز وجل واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما معناه وبسبب اخذهم الربا وقد نهوا عن ذلك في التورية وبسبب اكلهم اموال الناس بالباطل واخذ الرشا في الحكم وخلقنا واعتدنا للكافرين منهم عذابا وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم وانما خص الكافرين بالذكر ليبان ان من يؤمن من الذين هادوا غير داخل في هذا الوعيد وقد روي انه لما نزلت هذه الاية قالت اليهود والله ما حرم الله تعالى علينا شيئا كان حلالا في الاصل وهذا الذي حرم علينا كان حراما على ادم عليه السلام ومن بعده وانت يا محمد صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك فانزل الله عز وجل قوله عز وجل لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما معناه لكن الثابتون المبالغون من اهل الكتاب وهم عبد الله بن سلام واصحابه وسموا هذا الاسم لتناهيهم في العلم وتحققهم فيه لا يضطربون ولا تميل بهم الشبه بمنزلة الشجر الراسخ عروقها في الارض وغير الراسخ يضطرب وينتقل من اعتقاد الى اعتقاد ومن مذهب الى مذهب بقليل من الشبه تعرض له بمنزلة الشجر التي لم ترسخ عروقها في الارض تحركها الريح الضعيفة من الرياح وتميلها من جانب الى جانب وتكسرها مرة وتقلعها مرة اخرى وقوله عز وجل والمؤمنون يؤمنون معناه والمؤمنون من غير اهل الكتاب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون بما انزل اليك من القرءان وما فيه من تحريم هذه الاشيا عليهم بظلمهم ويصدقون بما انزل من قبلك على الانبيا من الكتب وقوله عز وجل والمقيمين الصلوة يجوز ان يكون معناه يؤمنون بالنبيين المقيمين الصلوة فيكون قوله والمقيمين نسقا على قوله بما انزل اليك ويجوز ان يكون نصبا على المدح على معنى اعني المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكوة كما يقال الرجال قوم ثبت المطعمين في المحل والصابرون في الشدايد ويقال مررت بزيد الكريم وبزيد الكريم بنصب الكريم ورفعه قال الشاعر • وهو خرنق بنت هفان القيسية •

لا يبعدن قومي الذين هم • سم العداة وافة الجزر • النازلين بكل معترك • والطيبون معاقد الازر •

ومن عادة العرب الانتقال واتيان الخطاب من الرفع الى الخفض ومن الخفض الى الرفع • كما ينتقل من المخاطبة الى المعاينة ومن المعاينة الى المخاطبة كما قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة واشباه ذلك وذهب بعض اهل النحو الى ان قوله والمقيمين نسق على الها والميم من قوله منهم معناه ومن المقيمين الصلوة يؤمنون وقيل ان هذا روي خطا لان الكاتب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لا ينسق على المضمر المجرور إلا في ضرورة الشعر ولأن المقيمين الصلاة داخلون في قوله تعالى والمؤمنون
وذهب بعض الجهال إلى أن هذا غلط من الكاتب حين كتب مصحف الإمام عثمن رضي الله عنه ورووا
أن عثمن رضي الله عنه لما نظر في المصحف قال أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها وعن عايشه رضي
الله عنها أنها قالت ثلثة أحرف في المصحف غلط الكاتب قوله عز وجل والمقيمين وقوله تعالى والصابئون
والنصارى وقوله عز وجل إن هذان لساحران وهذا بعيد عند أهل العلم لا يجوز أن تترك أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا في القرآن يصلحه غيرهم لأنهم حماة الدين والقدوة في الشرائع والأحكام وقوله
عز وجل والمؤمنون بالله واليوم الآخر معناه والمصدقون بالله وبالبعث بعد الموت أولئك سنعطيهم
ثوابا وافرا في الجنة قوله عز وجل إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا
إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون
وسليمن وآتينا داود زبورا في الآية بيان أن حال محمد صلى الله عليه وسلم فيما أوتي من الآيات الدالة
على صدقه ونبوته كحال من مضى من الرسل والمعنى الذي أوجب الإيمان بهم وبما أنزل عليهم يوجب الإيمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية إنا أنزلنا جبريل عليك بهذا القرآن كما أوحينا إلى نوح فأمرناه بالاستقامة
على التوحيد ودعوة الخلق إليه وكما أوحينا إلى النبيين من بعد نوح وأوحينا إلى إبرهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب
والأسباط وهم بنو يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر رجلا وإلى عيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمن
وأعطينا داود زبورا والزبور هو الكتاب مأخوذ من الزبر وهو الكتابة ومن قرأ بضم الزاي معناه الكتب
على الجمع فإن قيل كيف قدم الله عز وجل في هذه الآية ذكر عيسى عليه السلام على ذكر أيوب ويونس وهرون
وسليمن وداود عليهم السلام وقد كان بعدهم قيل إن الواو للجمع دون الترتيب فتقدم ذكره عليه السلم في
الذكر لا يوجب تقديمه في الخلق والإرسال ثم الفائدة في تقديمه في الذكر الرد على اليهود لغلوهم في الطعن فيه وفي
نسبه وقدمه الله تعالى في الذكر لأن ذلك أبلغ في كبت اليهود وفي تبرئته مما رمي به ونسب إليه فإن قيل فكيف
قال وآتينا داود زبورا ولم يقل وآتينا عيسى الإنجيل قلنا إخباره تعالى بأنه أعطى داود الزبور لا ينفي إعطاء
غيره كتابا آخر والغرض من الآية بيان أن داود عليه السلام كان مخصوصا بفضيلة إعطاء الزبور كما خص
عيسى عليه السلم بإعطاء الإنجيل في آية أخرى قوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل
ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما يجوز أن يكون أول هذه الآية عطفا
على إنا أوحينا إليك كأنه قال إنا أرسلناك موحين إليك وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك ويجوز
أن يكون قوله ورسلا منصوبا بالفعل الذي بعده كأنه قال وقد قصصنا رسلا عليك تقول رأيت زيدا
وعمرا أكرمته ومعنى قصصناهم سميناهم لك في القرآن وعرفناك قصتهم وأرسلنا رسلا لم نسمهم لك
أمرناهم بالاستقامة على التوحيد ودعوة الخلق إليه وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قلت يا رسول
الله صلى الله عليه وسلم كم كانت الأنبياء صلوات الله عليهم وكم كان المرسلون قال كانت الأنبياء صلوات
الله عليهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وكان المرسلون ثلثمائة وثلثة عشر وعن أنس رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال بعث على إثر ثمانية آلاف من الأنبياء صلوات الله عليهم منهم أربعة آلاف في بني إسرائيل
وعن كعب الأحبار أنه قال الأنبياء صلوات الله عليهم ألفا ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفا والمرسلون
ثلثمائة وثلثة عشر وفي تفسير الكلبي أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية وقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الناس قال اليهود فيما بينهم ما ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم بقرينة أنزل الله عز وجل على موسى عليه السلم
ولقد أوحى إليه كما أوحى إلى النبيين من قبله فأنزل الله تعالى هذه الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد ذكره فيمن ذكره وفضله بالكلام عليهم وفائدة تخصيص موسى عليه

السلام

السلام بالكلام مع أنه تعالى كلم غيره من الأنبياء أنه عز وجل ذكر كلمه من غير واسطة وكلم غيره من
الأنبياء صلوات الله عليهم بالوحي على لسان بعض الملائكة وقوله عز وجل تكليما [illegible] ١٧٤
عن كلام الله عز وجل إياه على معنى الوحي إليه على سبيل التوسع في الكلام كما في قوله عز وجل أم أنزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم وكما قال جل ذكره هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق لأن ما كان طريقه طريق التوسع والمجاز
لا يؤكد بالمصادر وفي الآية ما يدل على غاية من الجودة والفصاحة لأن الله تعالى لما ذكر جماعة من الأنبياء
صلوات الله عليهم في الآية التي قبل هذه ثم خص داود عليه السلام بالزبور ثم أجمل ذكر جماعة من الرسل ثم خص
موسى عليه السلام بالكلام ولما أخر في الذكر قرن ذكره بفضيلة اختص هو بها ليشبه داود عليه السلام
بالزبور ويشبه موسى عليه السلم أنه كليم الله تعالى قوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما معناه أرسلنا هؤلاء رسلا مبشرين بالجنة
لمن أطاع الله ومخوفين بالنار لمن عصى الله لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيمة بعد إرسال الرسل
إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وقوله عز وجل وكان
الله عزيزا حكيما ظاهر المعنى وفائدة ذكرها بيان قدرة الله عز وجل على أن يقص على النبي صلى الله عليه
وسلم أخبار من قبله من الرسل كلهم ولكنه قص بعضهم دون بعض على ما أوجبته الحكمة وعلم من المصلحة
ويقال معناه أنه قادر على إنجاز الموعود على ألسنة الرسل حكيم في إرسال الرسل فإن قيل قوله عز وجل لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل هل يدل على أنه لولا الرسل لم يجب على أحد شيء ولم يستحق أحد ثوابا
ولا عقابا قيل لا يدل على ذلك لأن الله عز وجل لو لم يرسل الرسل وأعطى كل خلقه من العقل ما يعرفون
الله تعالى به كان ذلك عدلا منه لكن أرسل الرسل فضلا وزيادة في الحجة عليهم وبيانا لما يختص وجوب
معرفته بالرسل من الشرائع والسمعيات دون ما يجب معرفته بأدلة العقول قوله عز وجل لكن الله
يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قال عبد الله
بن عباس وذلك أن رؤساء مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سألنا اليهود عن نعتك
وصفتك فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم فأتنا بمن يشهد لك أن الله عز وجل بعثك إلينا
رسولا فأنزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها لكن الله يشهد بما أنزل إليك إن لم يشهد غيره
وأنزل قوله قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فشهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم
تبيين أمره بالمعجزات التي أعطاه ويجوز أن يكون القرآن المنزل شهادة منه جل ذكره من حيث كان
القرآن معجزا يدل بنفسه على النبوة وفي قوله عز وجل أنزله بعلمه ثلثة أوجه أحدها أنزله على علم منه
بأنك أهل لإنزاله عليك وعلم من يصلح ومن لا يصلح كما قال جل ذكره الله أعلم حيث يجعل رسالته والثاني
أنزله بمعلومه أي علم ما فيه من الأحكام وما يحتاج إليه العباد من أمر دينهم ودنياهم ثم أنزله والثالث
أنه هو الذي أنزل عليك من عنده لم يبدل ولم يغير بل وصل إليك كما كان في اللوح المحفوظ وقوله والملائكة
يشهدون على شهادة الله وعلى شهادتك بأن الذي شهدت به حق ويجوز أن تكون شهادة الملائكة
بحمل المعجزة وقوله عز وجل وكفى بالله شهيدا معناه اكتفوا بالله شهيدا في شهادته إن لم تشهد اليهود
بما في كتابهم قوله عز وجل إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا معناه أن الذين جحدوا وحدانية الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن وصرفوا الناس
عن دين الله وطاعته فقد أخطأوا خطأ بعيدا عن الهدى والصواب بين الله تعالى في هذه الآية
ضلالتهم في الدنيا ثم بين في الآية التي بعدها عقوبتهم في الآخرة فقال عز وجل إن الذين كفروا وظلموا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على

www.alukah.net

الله يسيرا معناه ان الذين كفروا بما يجب الايمان به وظلموا انفسهم بكفرهم لم يكن الله ليغفر لهم ما داموا
على كفرهم ولا ليوفقهم الى طريق الاسلام لكن يدخلهم الى طريق جهنم وهو الكفر ويقال يعني ولا ليهديهم
طريقا ولا يرشدهم في الاخرة الى طريق غير طريق جهنم كما في قوله عز وجل فاهدوهم الى صراط الجحيم
وقوله عز وجل خالدين فيها ابدا اي مقيمين دائمين فيها الى الابد وكان ذلك التخليد والتعذيب على الله يسيرا
هينا قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما خطاب لعامة الخلائق قد جاءكم الرسول
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد والقران من عند ربكم فصدقوا بالله ورسوله وما جاءه
من عنده يكن خيرا لكم من التكذيب قال الفراء انتصب قوله خيرا لانه متصل بالامر وهو من صفته
تقديره هو خير لكم فلما سقط هو اتصل بما قبله وهو معرفة انتصب وعلى هذا قوله عز وجل انتهوا خيرا
لكم وقال الخليل والبصريون انما انتصب قوله خيرا لانك اذا امرت بفعل دخل في معناه ائت خيرا لك فاذا
نهيت عن فعل دخل في معناه ائت بما هو خير لك قال الكسائي انتصب بخروجه من الكلام قال وهذا انما
يقوله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومن خيرا لك واذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تفعلوا
خير لكم وقوله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تكفروا بما انكم
الله فان لله ما في السموات والارض والثاني وان تكفروا فان الله غني عنكم لكونه مالك السموات والارض وقوله
عز وجل وكان الله عليما حكيما اي لم يزل كان عليما بخلقه من يؤمن ومن لا يؤمن حكيما في امره حكم
بالاسلام على عباده قوله عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله
الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا
بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له
ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نصارى اهل
نجران وهم النسطورية الذين يقولون ان عيسى ابن الله والملكانية واليعقوبية الذين يقولون عيسى هو الله والمرقوسية
الذين يقولون ثالث ثلاثة ويقال زعم الملكانية ومعنى الاية يا اهل الكتاب لا تجاوزوا والغلو في الدين
فيعمد ... والغلو الذي مجاوزة الحد فيه وقد غلت النصارى في امر عيسى عليه السلام حتى جاوزوا به
منزلة الانبياء فجعلوه الها ويقال ان الاية خطاب اليهود والنصارى لان اليهود ايضا غلوا في امر عيسى عليه
السلام حتى جاوزوا منزلته في ادعاء الطهارة فجعلوه لغير رشده وقوله تعالى ولا تقولوا على الله الا الحق معناه
لا تصفوا الله عز وجل الا بالحق والحق ان يقال انه واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد وان يوصف بجميع
صفاته العلى وينزه عن القبائح والنقائص من جميع صفات المحدثين وقوله تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله معناه ليس المسيح الا رسول الله لان انما تقتضي تحقيق المذكور ونفي ما سواه كقوله تعالى انما الله
اله واحد وكان قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ردا على اليهود والنصارى وفي قوله عيسى ابن مريم بيان انه
لا يجوز ان يكون الها اي كيف يكون الها وهو ابن مريم امة الله وكيف يكون الها وامه قبله والله عز وجل هو
القديم الذي لم يزل وفي قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم ثلاثة اوجه احدها ما روي عن الحسن وقتادة
رضي الله عنهما انه كان بكلمة الله عز وجل وهو قوله كن فيكون فكان لا على سبيل ما اجرى العادة به من حدوث
الولد من الذكر والانثى جميعا والثاني انه يهتدي به كما يهتدي بكلمة الله والثالث ما تقدم من البشارة
في الكتب المتقدمة التي اوحاها الله تعالى الى انبيائه وفي قوله عز وجل وروح منه اربعة اقاويل احدها ما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناها امر من الله عز وجل جاءها جبريل عليه السلام والنفخ في الفقه امر الله
تعالى فنفخ في جيب درعها فدخلت كانها النفخة بطنها فخلق الله تعالى عيسى عليه السلام بنفخة جبريل عليه

السلام والنفخ في اللغة يسمى روحا كما قال ذو الرمة فقلت له ارفعها اليك واحيها بروحك واقتته لها
قيتة قدرا اي بنفخك والثاني سماه الله تعالى روحا لانه كان يحيي به الناس والدين كما يحيون
بالارواح والثالث انه روح من الارواح اضافها الله عز وجل الى نفسه تشريفا له كما يقال بيت الله والرابع
انه كالروحانيين وهم الملائكة في الطهر والرفعة وقوله عز وجل فامنوا بالله ورسله معناه
صدقوا بوحدانية الله عز وجل وبما جاءكم به الرسل من الله ولا تقولوا الهتنا ثلاثة اب وابن وروح قدس
انتهوا عن هذه المقالة وتوبوا الى الله عز وجل هو خير لكم من الاصرار على الكفر وقوله عز وجل انما الله اله واحد
معناه ما الله الا اله واحد سبحانه ان يكون له ولد كلمة تنزيه عن السوء اي تنزيها له عن ان يكون له ولد له
ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه وفي قبضته ويستحيل ان يكون المملوك ابنا للمالك
اي لا يجتمع الملك مع الولادة ونظير هذه الاية قوله عز وجل وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا ويجوز ان يكون قوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض بيانا ان حاجة
الولد تنتهي الى الفاعل بفعله وذلك لا يجوز وقوله عز وجل وكفى بالله وكيلا معناه اكتفوا بربوبيته
وكفايته ووكالته فلا ولد ولا شريك سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا قوله عز وجل لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا قال عبد الله بن عباس نزلت هذه الاية في وفد نجران اتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكروا في عيسى عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله فقالوا لا تقل
هكذا فان عيسى عليه يانف من هذا القول فنزلت تكذيبا لقولهم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله اي
لن يانف ولن يتعظم عن الاقرار بعبودية الله تعالى واصل الاستنكاف في اللغة ماخوذ من قولك نكفت
الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك ويقال بحر منكوف اذا كان ... فعلى هذا يكون معنى
يستنكف لن ينحى ولن ينقبض من عبودية الله تعالى وقوله عز وجل ولا الملائكة المقربون معناه ولن يستنكف
الملائكة المقربون عن عبوديته وانما خص الملائكة المقربين بعد عيسى لان النصارى كانت تقول في عيسى
انه ابن الله ومشركو العرب كانوا يقولون الملائكة بنات الله فرد الله عز وجل على الفريقين جميعا وقال الحسن معنى
الاية لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الذين هم افضل من المسيح عبد الله وكان
يستدل على ان الملائكة افضل من الادميين بهذه الاية وبقوله عز وجل لا يعصون الله ما امرهم وقوله
عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا من يانف ويمتنع من توحيده وطاعته ويتعظم عن الايمان به ولا ياتمر بامره
ويستكبر فيجمعهم اليه جميعا المستنكف والمستكبر والمقر والمطيع الى مجازاة الله عز وجل لان الحشر
لا يكون الا للخلائق كلهم ثم فصل الله جزاء كل فريق فقال عز وجل فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا
اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا معناه اما الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقران وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم فيوفيهم جزاء اعمالهم في الجنة ويزيدهم
من عطاياه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين ابوا واستنكفوا وتعظموا
واستعلوا عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فيعذبهم عذابا اليما وجيعا ولا يجدون لانفسهم
سوى الله قريبا ينفعهم ولا مانعا يمنعهم من النار قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا خطاب للناس كلهم بان قد جاءكم برهان من ربكم وهو
الرسول صلى الله عليه وسلم سماه الله برهانا لظهور معجزاته وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا

مبينًا معناه انزلنا اليكم القران وسماه نورًا مبينًا لان النور هو الذي يتبين به الاشيا حتى ترى والقران
يبين الاشيا كلها يعرفون من يوالون ومن يعادون وما يحلون وما يحرمون وما ياخذون وما يعطون
قوله عز وجل فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم بالله
اليه صراطا مستقيما معناه فاما الذين صدقوا بوحدانية الله عز وجل وتمسكوا بدينه وكتابه
وسالوا العصمة منه عن معاصيه فسيدخلهم ربهم في الاخرة في جنته والكرامات التي اعد الله
فيها لاوليايه ويعرفهم في الدنيا سبيل الهدى وهو الاسلام ويثبتهم عليه كالمهتدين لانه يهديهم في الدنيا
ويرحمهم في الاخرة ولم يذكر اضداد المعتصمين بالله لدلالة الحال قوله عز وجل يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم
يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء
فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شي عليم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
نزلت هذه الاية في جابر بن عبد الله حين جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اختا فما لي
من ميراثها اذا ماتت فانزل الله هذه الاية ومعناها يستفتونك يا محمد صلى الله عليه وسلم عن حكم الله عز
وجل في الكلالة قل الله يفتيكم يبين لكم حكم الكلالة وقد تقدم تفسير الكلالة في اول هذه السورة
وقوله عز وجل ان امرؤ هلك معناه ان هلك امرؤ كما قلنا وان امراة خافت من بعلها وقوله عز وجل وله
اخت اراد به الاخت من الاب والام او من الاب لانه جل ذكره ذكر حكم الاخت من الام في قوله عز وجل وان
كان رجل يورث كلالة على ما سبق ذكره وقوله عز وجل فلها نصف ما ترك معناه للاخت من الاب والام
نصف ما ترك الميت من المال وما بقي فللعصبة وان لم يكن للميت اخت لاب وام وله اخت لاب فالاخت
من الاب تقوم مقام الاخت من الاب والام وان كان للميت اخت لاب وام واخت لاب فللاخت
من الاب والام النصف وللاخت من الاب السدس تكملة الثلثين وما بقي فللعصبة وظاهر هذه الاية
يقتضي ان الاخت لا ترث مع الابنة وهو قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الا ان ساير الصحابة جعلوا
الاخت من الاب والام او من الاب عصبة مع البنات وتاولوا الاية على ان في الاية بيان حكم ميراث
الاخت ان لم يكن للميت ولد وليس فيها نفي ميراثها ان كان له ولد الا ترى ان الاخ يرث مع الابنة وقد قال
الله عز وجل وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وقوله عز وجل فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الميت
وحكم الثلث من الاخوات حكم الثنتين كما في البنات وقوله عز وجل وان كانوا اخوة رجالا ونسا معناه
ان كانت الورثة اخوة من اب وام او من اب ذكورا واناثا فللذكر مثل نصيب الانثيين لكل اخ سهمان ولكل
اخت سهم يبين الله قسمة المواريث لئلا تخطئوا في قسمتها وقد حذف لا في الكلام ويراد ثباته كما
في قوله عز وجل والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبقول الشاعر والله ابرح قاعدا اي لا ابرح ويحذف لا ويراد
طرحه كما في قوله لا اقسم وقوله عز وجل ما منعك الا تسجد وذهب البصريون الى ان معنى قوله ان تضلوا
كراهة ان تضلوا فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما في قوله عز وجل واسال القرية وقال الفرا
موضعه نصب بنزع الخافض وقوله تعالى والله بكل شي عليم ظاهر المعنى وفايدة ذكره هاهنا بيان
كونه عالما بما يحتاج اليه عباده من امر معايشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم يبين لهم كل ما يحتاجون اليه
علما بوجه الحكمة وتقتضيه المصلحة وعن ابي بن كعب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قرا سورة النسا اعطي من الاجر كمن اشترى محررا فاعتقه وبري من الشرك وكان في مشية
الله عز وجل من الذين يتجاوز عنهم وبالله التوفيق سورة المائدة مدنية الا قوله عز وجل
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم وقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فان هاتين الايتين نزلتا بعد الفتح

سورة المائدة ٥

وحكمها

١٧٦

سورة المائدة

وحكمها حكم المدينة لنزولهما بعد الهجرة وعدد ايات هذه السورة مايه وعشرون اية عند
الكوفيين واثنان وعشرون عند الحجازيين وثلث وعشرون عند البصريين بسم الله الرحمن الرحيم
١٧٦ يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال في معنى هذه الاية
يا ايها الذين صدقوا بالله ورسوله اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احله لكم او حرم عليكم وفي
رواية اخرى ان معناها اتموا العهود التي بينكم وبين المشركين لا تنقضوها حتى يكون النقض من قبلهم و
هكذا روي عن الضحاك وقتادة وابن جريج وجماعة من المفسرين وعن الحسن رضي الله عنه ان معناها اوفوا
بعقود الدين يعني اوامر الله عز وجل ونواهيه قال وكل امر وكل نهي عقد وقيل معناها اوفوا بالعقود
التي تعقدونها على انفسكم من نذر او يمين وقيل بالعقود التي يعقدها بعضكم على بعض على ما يوجبه
الدين نحو عقد البيع والاجارة والنكاح والشركات ولا تنافي بين هذه الاقوال لان كل هذه العقود مما
يجب الوفا بها وحقيقة العقد الجمع بين الشيين بما يعسر حل احدهما عن الاخر ومنه العقدة يقال
عقدت الحبل اذا شددت بعضه الى بعض والعقد اوكد من العهد يقال عهدت الى فلان بكذا
اي الزمته ذلك واذا قلت عاقدته او عقدت عليه فتاويله الزمته ذلك باستيثاق والوفا والايفا
القيام بما يوجبه العقد على شروطه واما قوله احلت لكم بهيمة الانعام فمعناه رخصت لكم الانعام
نفسها واضاف البهيمة الى الانعام كما يقال مسجد الجامع وباب الحديد ونفس الانسان والانعام في اللغة
تشتمل على الابل والبقر والغنم كما قال الله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا الى ان قال ثمانية ازواج
من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى ان قال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ويدل على ذلك قوله تعالى
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم ذكر بعد الانعام الخيل والبغال والحمير
فقال عز من قايل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويدل على ان اسم الانعام لا يتناول الا الاشيا الثلثة
واسم البهيمة في اللغة يتناول كل حي لا يميز اشتبه عليه امره اي يستغلق وقيل دخلت في هذه الاية الاجنة والظبا الجواب ع
وبقر الوحش وحمار الوحش لانها اشبه في التمييز من الاهلية وهذا ما استثنى الله الصيد في حالة الاحرام في اخر
هذه الاية حيث قال غير محلي الصيد وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد فمعناه الا ما يقرا عليكم تحريمه في
هذه السورة من الميتة والدم والموقوذة والمتردية وغيرها وموضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثنا ويجوز ان يكون
موضعه رفعا كما في قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا معناه غير الله وقوله عز وجل غير محلي الصيد نصب
على الحال من الكاف والميم في قوله احل لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد اي غير ان تستحلوا كما يقال جاء زيد
راكبا وجاء غير راكب وقيل هو نصب من قوله اوفوا كانه قال احل لكم بهيمة الانعام غير محلي الصيد اي غير ان
تستحلوا قتل الصيد وانتم محرمون اوفوا بالعقود التي عقدها الله تعالى عليكم مما احل لكم وحرمه عليكم غير
محلي الصيد وانتم محرمون وقوله عز وجل ان الله يحكم ما يريد معناه يقضي على عباده بما شا من التحريم والتحليل
على ما يوجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة وهو اعرف بمصالح خلقه وما يصلحهم قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلايد ولا امين البيت
الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان
قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى واتقوا الله ان الله شديد العقاب
اختلف المفسرون في الشعاير فقال عبد الله بن عباس اراد به المناسك كلها لا تستحلوا مخالفة شي منها
ولا تتهاونوا واصل [illegible] الحرم غير ممنوعين من حقوقها قال وذلك ان الانصار كانوا لا يسعون بين الصفا والمروة
وكان اهل مكة لا يخرجون الى عرفة فامر الله تعالى ان لا يتركوا شيا من امور المناسك وقال الحسن رضي الله

عنه شعاير الله دين الله اي لا تحلوا في دين الله تعالى ما لا يحله الله عز وجل ويقال هي حدود الله وفرايض
الشرع والشعاير في اللغة المعالم والتشعير هو كلما جعل علما لطاعة الله عز وجل والاشعار الاعلام
ومنه اشعار البدن ومنه المشعر الحرام وقوله تعالى ولا الشهر الحرام واراد بالشهر الحرام الاشهر الحرم كلها
وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم الا انه ذكر باسم الجنس كما في قوله تعالى والعصر ان الانسان
لفي خسر اراد به جنس الانسان ولذلك استثنى الجميع بقوله تعالى الا الذين امنوا وكان الواجب في
ابتداء الاسلام ان لا يحاربوا في الاشهر الحرم كما قال الله عز وجل قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله
وعلى هذا كانت العرب ثم نسخ حرمة المقاتلة في الشهر الحرام بقوله عز وجل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم واما قوله سبحانه ولا الهدي فمعناه لا تحلوا الهدي لان تنحروه قبل
محله ولا تغصبوه بعد ان جعلتموه لله ولا تمنعوه ان يبلغ البيت والهدي اسم لما يهدى الى مكة كما قال الله تعالى
يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة وواحد الهدي هدية مثل جدي وجدية وقوله عز
وجل ولا القلايد معناه لا تحلوا القلايد التي تكون في اعناق الهدايا اي تقطعوها قبل الذبح كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه تصدق بجلالها وخطامها ولا تعط الجزار منها شيا ويقال عنى
بالقلايد ذوات القلايد كانه عز وجل بين ان الهدايا المقلدة وغير المقلدة حرام وذلك انهم كانوا
يقلدون البدن وهي الابل والبقر والغنم ولا يقلدون الغنم وقوله عز وجل ولا امين البيت الحرام معناه
ولا تستحلوا القتل والغارة على القاصدين المتوجهين نحو البيت الحرام وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
الاية نزلت في شريح بن ضبيعة اليمامي دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال انت محمد النبي صلى الله
عليه وسلم قال نعم قال الى ما تدعو اليه فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ان لي امرا ارجع اليهم واستامرهم فان قبلوا قبلت ثم انصرف من عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرج
قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر فمر شريح بسرح لاهل المدينة
فاستاقها وانتهى الى اليمامة ثم خرج بعد ذلك نحو مكة معه تجارة عظيمة في حجاج بكر بن وايل من اهل
اليمامة وهم مشركون وكانت العرب تغير في الجاهلية بعضهم على بعض فاذا كانت اشهر الحج امن الناس
بعضهم بعضا فاذا ساق احدهم في غير الاشهر الحرم نحو مكة قلد هديه بالشعر والوبر ومن لم يكن معه هدي
قلد راحلته ومن لم يكن معه راحلة جعل في عنقه قلادة وكانوا يامنون بذلك فاذا رجعوا من مكة جعلوا شيا
من لحا شجر الحرم في عنق الراحلة فيامنوا بذلك فلما سمع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بخروج شريح و
اصحابه من اهل اليمامة الى مكة اراد اهل السرح من اهل المدينة ان يغيروا على شريح واصحابه فاستامروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله يبتغون فضلا في موضع نصب على الحال
معناه قاصدين طالبين رزقا بالتجارة ورضوانا اي رضوان الله تعالى قال الحسن رضي الله عنه معنى رضوانا
اي يرضى الله عنهم فيصلح لهم معيشتهم ويصرف عنهم العقوبات في الدنيا اذ كانوا لا يقرون بالبعث
ويجوز ان الله عز وجل انما ذكر قوله ورضوانا لانه قال امين البيت الحرام على الاطلاق ولم يتعرض لذكر
الكفر ثم بين في مواضع ان الله لا يرضى عن القوم الكافرين ثم نسخ الله بعد ذلك حرمة تعرض المشركين
بقوله قاتلوا المشركين كافة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا ان شيتم
وهذا اللفظ امر ومعناه الاباحة لان الامر اذا تعقب النهي كان معناه رفع الحظر كما في قوله فاذا قضيت
الصلوة فانتشروا في الارض وقد مضت السنة ان من رمى جمرة العقبة يوم النحر فقد حل له الصيد و
الطيب وكل شيء الا النساء فاذا طاف بالبيت طواف الزيارة حلت له النساء وقوله عز وجل ولا يجرمنكم

شنان

شنان قوم معناه لا يحملنكم ويقال لا يكسبنكم يقال فلان جريمة قومه اي كاسبهم ومن قرا شنان
بتحريك النون فهو مصدر مثل الغليان والطيران ونحو ذلك يقال شنيته شنانا اي ابغضته فيكون المعنى
لا يحملنكم بغض قوم بان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام على ان تظلموهم وتجاوزوا الحد للمكافاة
وموضع ان تعتدوا نصب لانه مفعول وان صدوكم مفعول له كانه قال لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء عليهم
لصدهم اياكم ومن قرا شنان بتسكين النون جعله اسما مثل العطشان والسكران فيكون المعنى
لا يحملنكم بغض قوم وعدو قوم ومن قرا ان صدوكم بالكسر جعله شرطا والنصب اجود لان الصد
كان وانقضى من الكفار قبل نزول هذه السورة واما قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى معناه تحاثوا
وتعاونوا على الطاعة وترك المعصية قال ابو العالية والبر ما امرت به والتقوى ما نهيت عنه فظاهره
يقتضي وجوب المعاونة على الطاعة والتعاون تفاعل من المعونة وظاهر الامر على الوجوب وقوله تعالى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان معناه لا يعن بعضكم بعضا على شيء من المعاصي والظلم وقوله تعالى واتقوا
الله معناه اخشوا الله واطيعوه فيما امركم به ونهاكم عنه ان الله شديد العقاب اذا عاقب فعقابه
شديد وانما ذكر الله سبحانه العظة في اول هذه السورة لانه جل ذكره اراد ان يذكر في هذه السورة
وايضا من الاوامر والنواهي فابتدا بالعظة ليكون الخطاب ابلغ والامر انجع والتكليف انفع كما
ابتدا في اول سورة النسا بالعظة قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما
اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم
وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم معنى الاية والله اعلم حرم الله تعالى عليكم الميتة اذ لا تحل ولا
يحرم سواه والميتة اسم لكل ذي روح فارقه الروح حتف انفه والمراد بالدم الدم المسفوح كانوا
يجعلون الدم في المباعر ويشوونها وياكلونها ودخول الالف واللام في الدم دليل ان المراد به الدم
المسفوح الذي حرمه الله تعالى باية اخرى وهي قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى قوله او دما مسفوحا
لان الالف واللام للمعهود وقوله عز وجل ولحم الخنزير معناه وحرم عليكم لحم الخنزير لعينه لا لكونه
ميتة حتى انه لا يحل اصلا ولو مع وجود الذكاة فيه بخلاف ماكول اللحم من الحيوانات وفايدة تخصيص لحم
الخنزير بالذكر دون لحم الكلب وساير لحوم السباع ان كثيرا من الكفار الفوا لحم الخنزير واعتادوا
اكله واولعوا به ما لم يعتادوا الاكل غيره وقيل فايدته ان مطلق لفظ التحريم يدل على نجاسة عينه مع حرمة
اكله ولحم الخنزير مخصوص بهذا الحكم وذلك ان ساير الحيوانات المحرم اكلها اذا ذكيت كان لحمها طاهرا لا يفسد
الماء اذا وقع فيه وان لم يحل اكله بخلاف لحم الخنزير وقوله عز وجل وما اهل لغير الله به معناه وحرم عليكم
ما ذكر عليه عند الذبح اسم غير الله عز وجل وذلك انهم كانوا يذبحون الذبايح لاصنامهم يتقربون بذبحها
اليها فحرم الله عز وجل كل ذبيحة يتقرب بذبحها الى غير الله ولذلك قال الفقهاء ان الذابح لو سمى النبي صلى
الله عليه وسلم مع الله عز وجل فقال بسم الله ومحمد حرمت الذبيحة ولا فرق بين ان يذكر مع اسم الله
غيره كاينا من كان وبين ان يسمي عليها غير اسم الله تعالى ان ذلك يحرم الذبيحة لانه قد اهل عليها لغير
الله وذكر القاضي الامام ابو عاصم العامري محمد بن احمد رحمه الله عن اصحابنا ان سلطانا لو دخل بلدا
فذبح الناس الذبايح تقربا اليه بذبحها واراقة دمها لم يحل اكل شيء منها لانه قد اهل بها لغير الله وتقرب
بذبحها الى غير الله وكان يفرق بين هذا وبين ما يذبحه الرجل للضيف يعني ان صاحب الضيف انما يتقرب
الى الضيف بالضيافة دون اراقة الدم الا ترى انه لو ذبح الشاة باسمه وسميه ولكن يقرب بها اليه لم يكن

اثم

متقربًا بها اليه فعلم ان التقرب الى الصنم انما يحصل بتقديم اللحم دون اراقة الدم فاما ما يذبح لاجل
الآثار عند دخولهم البلاد انما يتقربون اليهم بالذبح واراقة الدم دون اللحم فان اللحم لا يحمل الى الآثار
ولا يرجع اليهم شيء من منافعه فلذلك افترق الامران وكان يحكى عن بعض المشايخ ان هذه المسألة
وقعت ببعض بلاد ما وراء النهر فاختلف فيها فقهاؤها فكتبوا الى ائمة بخارى فافتوا بتحريمها واما قوله
عز وجل والمنخنقة فمعناه حرم عليكم اكل لحم المنخنقة وهي التي تخنق بحبل او شبكة او يخنق بعضها
بعضا فتموت من غير ذكاة وقوله عز وجل والموقوذة معناه المضروبة بالخشب حتى تموت يقال
وقذت واوقذت اذا ضربت حتى تشرف على الهلاك ولفظ التحريم مضمر في كل شيء من المحرمات
المذكورات في هذه الاية ويتضمن ذلك تحريم ما يعتاد من افعال المكلفين في هذه الاشياء لان
لفظ التحريم اذا اضيف الى الاعيان اريد تحريم ما يعتاد فيها من التصرفات ودخل في ذلك تحريم
الاكل والبيع والتمليك والانتفاع بها من جميع الوجوه الا ما خصه الدليل ولذلك حمل قوله تعالى حرمت
عليكم امهاتكم على تحريم النكاح دون تحريم غيره اذ النكاح هو التصرف المعتاد في النساء وما ينصرف
اللفظ اليه واما قوله والمتردية فهي التي تتردى من جبل او سطح او في بئر فتموت قبل الذكاة والتردي هو
السقوط ماخوذ من الردى وهو الهلاك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم اذا تردت رميتك من
جبل فلا تاكل فانك لا تدري اسهمك قتلها ام التردي واذا وقعت في ماء فلا تاكل فانك لا تدري
اسهمك قتلها ام الماء فصار هذا الكلام اصلا في كل موضع اجتمع فيه معنيان احدهما حاظر
والاخر مبيح انه يغلب جهة الحظر على جهة الاباحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام
بين وبينهما امور مشتبهة ودع ما يريبك الى ما لا يريبك الا وان لكل ملك حمى وان حمى الله تعالى
محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وعن عمر رضي الله عنه انه قال كنا ندع تسعة اعشار
الحلال مخافة الربا وقوله عز وجل والنطيحة معناه التي تنطح حتى تموت فان لفظ الفعيل قد يكون بمعنى
الفاعل وقد يكون بمعنى المفعول واذا تناطحت الحيوانات فقتل بعضها بعضا في النطاح فهي حرام لان
وقوله عز وجل وما اكل السبع معناه ما اكل منه السبع وهو فريسته اذا افترس السبع صيدا فاكل
منه لم يوكل الباقي وقوله الا ما ذكيتم معناه الا ما ادركتم ذكاته مما اكل منه السبع وذكيتم فان ذلك
يحل لكم واما ما ابين من الصيد قبل الذكاة فهو ميتة ويحتمل ان يكون قوله الا ما ذكيتم استثناء يعود
الى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة واكيلة السبع فانها كلها في الحكم بمعنى واحد وعن الحسن
رضي الله عنه انه كان يقول في هذه الجملة اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها
فذكها وكل وشرط اكثر اهل العلم في اباحة اكلها بالذكاة ان تكون حياتها وقت الذكاة اكثر
من حياة المذبوح فان كانت بهذه الصفة اثرت الذكاة في اباحتها والا فلا والذكاة في اللغة تمام الشيء
يقال ذكت النار اذا تم اشتعالها والذكا في السن تمام السن وهو النهاية في الشباب ومنه
قولهم جري المذكيات غلاب والذكاء في الفهم هو ان يكون فهما تاما سريع القبول واما قوله عز
وجل وما ذبح على النصب فمعناه وحرم عليكم ما ذبح على النصب وهي جمع النصيب وهي الحجارة كانوا
ينصبونها فيعبدونها من دون الله ويقربون لها الذبائح والفرق بين النصب والاصنام ان الصنم ما كان
على صورة الانسان والنصب ما لا صورة له ولكنه يعبد والوثن ما كان منقوشا في الحائط لا شخص
له وقوله وان تستقسموا بالازلام معناه وحرم عليكم الاستقسام وهو طلب القسم بالازلام وهي القداح
التي كانوا يجيلونها عند العزم على السفر يستشيرون بها للحظر وعلى ما تقدم ذكره في قوله عز وجل يسألونك
عن الخمر والميسر وقال الحسن رضي الله عنه كانوا يتخذون السهام فاذا اراد الرجل ان يخرج الى سفر اجال السهام

بيده

بيده وكان مكتوبا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فان خرج الذي عليه امرني ربي قال قد
امرت بالخروج ولا بد لي من ذلك فيخرج فان كره الخروج خرج غير بعيد ثم رجع ولا يدخل من باب بيته ولكن
ينقب من الجهة التي منه يدخل ومنه يخرج الى ان يتفق له الخروج وان خرج الذي نهاني ربي قال قد نهيت
عن الخروج ولا ينبغي لي نهي الله عز وجل عن ذلك وعلى هذا يجوز ان يكون معنى الاستقسام طلبهم في
الخروج والجلوس في قسم الرزق والحوائج ويجوز ان يكون معناه طلب القسم وهو اليمين كانوا يبرمون اقسامهم
بهذه الازلام ما يلزمونها بالقسم واليمين لا يخالفونها كما لا يخالفون القسم وظاهر هذه الاية يقتضي ان
العمل على قول المنجمين لا تخرج من اجل نجم كذا او اخرج من اجل نجم كذا فسق لان ذلك دخول في علم الغيب
الا الله عز وجل ومعنى الفسق الخروج عن الطاعة وقوله ذلكم اشارة الى ما تقدم ذكره من المعاصي
والحرام واما قوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال نزلت هذه الاية يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ومعه المسلمون وهو يوم الحج
يئس الكفار يومئذ من رجوع المسلمين الى دينهم بما ظهر من علو الاسلام والمسلمين على سائر الاديان وقال
بعضهم اراد به يوم حجة الوداع وقال الحسن اراد باليوم جميع زمان النبي صلى الله عليه وسلم وعصره
كما يقال كانت حادثة كذا في يوم فلان ويراد به عصره وزمان مملكته ويقال في المثل السائر يوم لنا
ويوم علينا ويراد به الزمان ويقال كان الناس فيما مضى من الزمان على امر كذا فاما اليوم فعلى خلافه
ويقول الرجل قد تبين لي اليوم من حال فلان خلاف ما علمت ويريد به الحال واما قوله عز وجل فلا تخشوهم
واخشون فمعناه لتكن خوفكم لله وخشيتكم بعد ايأسهم وحول الله عز وجل الخوف الذي كان يلحقكم اليهم باظهار
الاسلام ويقال معناه لا تخشوهم باظهار تحريم ما كانوا يستحلونه واسرعوا الى ترك اظهار المحرمات واما قوله
عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه الاية على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفات يوم عرفة والناس وقوف يدعون بايديهم وبركت ناقة النبي
صلى الله عليه وسلم من ثقل هذه الاية قال ولم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام وعاش النبي صلى الله عليه
وسلم بعدها احدى وثمانين يوما ثم قبضه الله عز وجل الى رحمته فقالت اليهود لو نزلت علينا هذه الاية
لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال ابن عباس نزلت في يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة ومعنى الاية والله
اعلم اليوم اكملت لكم شرائع دينكم من بيان الحلال والحرام وبينت لكم جميع ما كنت اريد ان ابينه
لكم في الازل فاما دين الله عز وجل فلم يزل كاملا لا نقص فيه ويحتمل ان يكون المراد باكمال الدين اظهاره
على سائر الاديان بالنصرة والغلبة وقوله اليوم نصب على الظرف كما يقال الان وفي هذا الزمان وقوله
عز وجل واتممت عليكم نعمتي معناه اتممت عليكم منتي باظهار الدين حيث لم يحج معكم مشرك ويقال
معناه اكملت لكم الاسلام من الاديان كلها نعمة ببيان الفرائض ويقال هي ادخال الجنة وقوله عز وجل
ورضيت لكم الاسلام دينا معناه اخترت لكم الاسلام من الاديان كلها دينا فمن دان بالاسلام فقد استحق
ثوابي ورضائي والدين اسم لجميع ما تعبد الله تعالى به خلقه وامرهم بالاقامة عليه وهو المداومة ان يكون
ذلك عادتهم والذي به يجزون فان الدين في اللغة العادة والدين الجزاء وقوله عز وجل فمن اضطر في مخمصة
غير متجانف معناه من دعته الضرورة الى اكل شيء مما حرم الله تعالى عليه في مجاعة غير مائل الى اثم اي
زائد على ما يسد رمقه ان الله غفور رحيم اباح ذلك رحمة منه وتسهيلا على خلقه والمخمصة مأخوذة
من الخمص وهو شدة ضمور البطن والمتجانف من الجنف وهو الميل فان قيل ما معنى قوله عز وجل في
اخر هذه الاية غفور رحيم ولا خلاف ان المضطر الى اكل الميتة لا يلحقه الاثم بذلك الاكل قيل معناه
اذا بلغت رأفته من عباده ان يغفر لهم معاصيهم وينعم عليهم فكيف لا يرخص لهم في هذا الاكل وقد

اليوم اكملت لكم دينكم

الألوكة
www.alukah.net

اضطر والى الحيا نفوسهم بذلك قوله عز وجل يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم
الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما
أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب روى عن ابن عباس انه قال لما نزل
قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة جاء عدي بن حاتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لنا
كلابا نتصيد بها فتاخذ الظبا والبقر فمنها ما ندرك ذكاته ومنها ما لا ندركه وقد حرم الله
عز وجل الميتة فانزل الله عز وجل هذه الآية ومعناها يسألونك يا محمد صلى الله عليه وسلم اي شي
رخص لهم من الصيد وغيره قل رخص لكم المباحات يقال هذا المال يطيب لفلان ولا يطيب
لفلان اي يحل ولا يحل قال الله عز وجل فانكحوا ما طاب لكم من النساء معناه ما حل لكم من
النسا وكل ما لم ياتِ تحريمه في كتاب او سنة فهو من الطيبات وقال بعضهم اراد بالطيبات
المستلذات والمشتهيات وهو عام أريد به غير ما تضمنته الآية المتقدمة من تحريمها وقوله وما
علمتم من الجوارح مكلبين معناه واحل لكم صيد ما علمتم فحذف ذكر الصيد لان في الكلام
دليلا عليه والجوارح الكواسب مثل الكلب والفهد والصقر والبازي وسائر ما يصطاد به الصيد
قال الله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم ويقال معنى الجوارح الجارحات بنابٍ ومخلب
وقوله عز وجل مكلبين معناه اصحاب تعليم الكلاب للاصطياد كما يقال مؤدب اي صاحب
التاديب وقال الحسن معناه مضرّين على الصيد والكلب المضرية يقال كلَّب كلَب اذا ضري بالناس
ومن قرا مكلَّبين بنصب اللام فمعناه من الكواسب المعلمين وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن
عليكم معناه كلوا مما حفظن لكم بعد قتلهن اياه وهو ان لا ياكل الكلب من الصيد فاذا اكل منه حرم
الصيد على صاحبه قال عبد الله بن عباس تعليم الكلب ان تضربه حتى يترك الاكل وتعليم البازي ان
يدعوه فيجيبك ويقال معنى وما علمتم اباحة الانتفاع بالكلاب وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن
عليكم اباحة صيدها وقوله واذكروا اسم الله عليه معناه على الارسال كما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وسميت الله عز وجل فكل وان اكل منه فلا تاكل
فانه انما امسك على نفسه وفي بعض الروايات وان شارك كلبك كلبا اخر فلا تاكل انما سميت على
كلبك ولم تسم على كلب غيرك وذهب بعض اهل العلم الى ان معنى الامساك في هذه الآية ان يحفظ
الكلب الصيد حتى يجي صاحبه فان تركه حتى غاب عن صاحبه ثم وجده صاحبه بعد ذلك ميتا
لم يحل اكله كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل ما اصميت ودع ما انميت
قيل ان الاصما ما رايت والانما ما توارى عنك واختلف اهل العلم في حد التعليم قال ابو حنيفة رحمه الله
ليس فيه حد موقت وانما يرجع في ذلك الى اهل الصنعة فان حكموا بتعليمه حل صيده بعد ذلك والا
فلا لان الاصطياد للكلاب بمنزلة الحرف والصناعات للناس وليس في معرفة كون الانسان بصنعته
متقدما حاذقا حد يوقف عليه ولكن يرجع في كل صنعة الى اهلها وقال ابو يوسف ومحمد وكثير من الفقها
اذا دعى الكلب ثلث مرات على الولا فاجاب وارسل فاسترسل فاخذ الصيد ولم ياكل حكمنا بكونه معلما
لان التعليم لا يحصل بالمرة الواحدة ويحصل بالمرات الكثيرة فجعل الحد الفاصل بين القليل والكثير الثلث التي هي
اقل الجمع الصحيح وما زاد لا غاية له فوجب قصر الحكم على الثلث والله اعلم وذهب بعض المفسرين في معنى
قوله فاذكروا اسم الله عليه ان المراد به التسمية عند الاكل وقوله عز وجل واتقوا الله معناه اخشوا الله
في تناول المحرمات ان الله سريع الحساب فحسابه سريع وحقيقة الحساب في اللغة اخذ ما لك واعطا
ما عليك قوله عز وجل اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم

١٧٩

حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن
محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
معناه والله اعلم الان تمم الله لكم بيان الحلالات وهو كل ما لم يجر ذكره في المحرمات وسمى
الحلال طيبا لان الحلال لا يكون الا بهذه الصفة كما ان الحرام لا يكون الا خبيثا وقيل اراد بالطيبات في الآية
المتقدمة ثمار الاشجار التي لا يكون مالك لها وكل ما يملك بالاخذ بدليل انه عطف عليها الصيد وفي تلك
الآية واراد بالطيبات في هذه الآية الذبائح وكل ما يستباح بملك اليمين بدليل انه عطف عليه قوله وطعام
الذين أوتوا الكتاب حل لكم اي ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم والدليل على ان المراد بالطعام ها هنا الذبائح
ان ما سوى الذبائح من الاطعمة والاشربة حلال للمسلمين سوا كانت لاهل الكتاب ولغيرهم فبان ان المراد به
الذبائح لان ذبائح غير اهل الكتاب من الكفار لا يحل للمسلمين كما روي عن عبد الرحمن بن عوف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وقوله
عز وجل وطعامكم حل لهم معناه وذبائحكم حل لهم اي حل لكم ان تطعموهم وذلك لان الحلال والحرام
والفرايض يختص على اهل الشريعة وانما قال هذا للاعلام ليبين ان حكم الطعام في هذا الباب يخالف حكم النكاح
وذلك ان حكم الذبائح يخالف حكم المناكحة وقوله عز وجل والمحصنات من المؤمنات قال الحسن رضي الله عنه
اراد به الحراير والعفايف منهن وتقدير الآية واحل لكم نكاح المحصنات من المؤمنات والكتابيات وقد
استدل بعض الفقها بظاهر هذه الآية على انه لا يجوز للمسلم نكاح الامة الكتابية والصحيح انه يجوز له نكاحهن
بظاهر قوله عز وجل فانكحوهن باذن اهلهن وبدليل حل ذبائحهن وانما خص الله عز وجل المحصنات بالاحد
نكاحهن مع جواز نكاح غيرهن لان الآية خرجت مخرج الامتنان والمنة في نكاح الحراير العفايف اعظم
والنعمة فيهن اتم يدل ذلك انه لا خلاف في جواز النكاح بين المسلم والامة المؤمنة وان كان في الآية تخصيص
المحصنات من المؤمنات والافضل لمن اراد النكاح ان لا يعدل عن نكاح الحراير العفايف المؤمنات مع
القدرة عليهن وان عجز عن نكاحهن فالمختار له ان لا يعدل عن نكاح الحراير الكتابيات مع القدرة عليهن
وذلك ان نكاح الامة يودي الى ارقاق الولد لان الولد يتبع الام في الرق والحرية ولا ينبغي لاحد ان يختار
رق ولده كما لا ينبغي له ان يختار رق نفسه وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ايما عبد تزوج حرة فقد
اعتق نصفه يعني ولده وايما حر تزوج امة فقد ارق نصفه يعني ولده ومن الدليل على ان المراد بالآية
بيان الاحبار قوله اذا آتيتموهن أجورهن ولا خلاف في الامة ان اعطا مهورهن ليس بشرط في جواز
نكاحهن ولكنه امر مستحب مندوب اليه مبعوث عليه وقوله عز وجل محصنين غير مسافحين معناه
بالحلين غير زانين معلنين بالزنا ولا متخذي صديق يقاب للزنا سرا قال الحسن كان بعض اهل الجاهلية يسافح
بكل من وجد من النسا وبعضهم يتخذ خليلة يزني بها سرا ويعيب الزنا علانية فبين الله عز وجل
بهذه الآية حرمة الزنا في السر والعلانية وقوله عز وجل ومن يكفر بالإيمان روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان الله عز وجل لما رخص للمسلمين في نكاح الكتابيات قال اهل الكتاب لولا ان الله رضي اعمالنا لما
لم يحل للمسلمين تزوج نسائنا وقال المسلمون كيف يتزوج الرجل منا المراة من اهل الكتاب وهي كافرة
لا على ديننا فانزل الله عز وجل قوله ومن يكفر بالإيمان معناه من يجحد شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال من يجحد بالايمان بهذه الاحكام المذكورة في هذه
الآيات فقد بطل ثواب عمله فهو في الآخرة من المغبونين غبن منزله ونفسه وصار الى النار اي لا يغني
عن الامة الكتابية اسلام زوجها ولا ينفعها ذلك ولا يضر المسلم كفر زوجته الكتابية كما قال جل
ذكره في آية اخرى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط الى اخر الآية واصل الحبوط في اللغة

شبكة الألوكة www.alukah.net

ماخوذ من الحبط وهو الذي يصيب الابل من كلا يستوخمه ويستوبله ولا يوافقه فينتفخ عند ذلك بطنها من غير شبع ولا ري ولا سمن كذلك الكافر يظن ان له عملا يستحق به الثواب ولكن كفره يبطل عليه ثواب عمله فلا يكون له شي من الثواب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ٥ روى عن عبد الله بن عباس وزيد بن اسلم وجماعة من اهل التفسير ان معنى الاية اذا اردتم القيام الى الصلوة وانما اضمر ارادة القيام لان سبب قيام الصلوة بالطهارة فلا يصح جزء من القيام قبل تقدم الطهارة ونظيره قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت قراة القران ويقال اذا ساومت فاركب واذا دخلت على الامير فاذهب يراد به اذا اردت ذلك وظاهر الاية يقتضي ان القيام الى الصلوة يكون سببا لوجوب الطهارة ولا خلاف بين السلف والخلف ان الطهارة لا تجب بسبب القيام الى الصلوة الا انه روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما كانا يتوضان عند كل صلاة ويقران هذه الاية ويحتمل انهما كانا يفعلان ذلك ندبا واستحبابا فان تجديد الطهارة لكل صلاة مستحب وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا فهو على وضوئه ما لم يحدث وقال الوضوء الا من حدث فثبت ان في الاية اضمارا اخر وصار تقدير الاية اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وهو نظير قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر وقوله عز وجل فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية معناه فحلق فعليه فدية وقال بعضهم معنى قوله واذا قمتم الى الصلوة قمتم من نومكم الى الصلوة وقال على هذا على ان النوم والاضطجاع حدث يوجب الوضوء ويقال معناه اذا قمتم من نومكم عند الصباح وقوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم يشتمل على احكام منها ان الغسل اجراء الماء على المحل وتسييله سواء وجد معه الدلك ام لم يوجد والوجه ما يواجهك من الانسان وحده من قصاص الشعر الى اسفل الذقن ومن شحمة الاذن الى شحمة الاذن وان امر الماء على ظاهر وجهه جاز وان لم يصل الى اصل شعره ولا يلزمه ايصال الماء الى ما استرسل من شعر اللحية وخرج من حد الوجه لانه لا يحاذي موضعا يجب غسله في الوضوء فلا يجب غسل الشعر الذي يحاذيه كالذوائب وظاهر الاية يقتضي ان المضمضة والاستنشاق غير واجبين في الوضوء لان اسم الوجه يتناول الظاهر دون الباطن ولا يتعلق بداخل العين بالاجماع واختلف اهل العلم في تخليل اللحية في الوضوء منهم من لا يامر به ولا يراه سنة ومنهم من يجعله سنة لما روي عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا توضا خلل اصابعه في لحيته كانها اسنان المشط وقوله عز وجل وايديكم الى المرافق معناه واغسلوا ايديكم مع المرافق هكذا قاله علماؤنا رحمهم الله الا زفر فانه ذهب الى ظاهر الاية وقال ان حرف الى للغاية والغاية لا تدخل في الحكم كما في قوله عز وجل ثم اتموا الصيام الى الليل وكما يقال بعت منك من هذا الحد الى هذا الحد فان الغايتين لا يدخلان في البيع واما عامة اهل العلم قالوا ان الى تذكر بمعنى مع كما في قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم معناه مع اموالكم ويقال الذود الى الذود ابل اي مع الذود فاذا احتمل اللفظ الغاية واحتمل معنى المقارنة حل محل المجمل فكان موقوفا على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه عليه السلام كان اذا توضا ادار الماء على مرفقيه فصار فعله بيانا للمجمل فحمل على الوجوب وقوله عز وجل وامسحوا برءوسكم اختلف اهل العلم في مقدار وجوب المسح ذهب مالك الى ان مسح جميع الراس واجب وقال ان ظاهر الاية يقتضي الجميع دون البعض لانك اذا قلت مررت بزيد

حمله

١٨٠

جملته لا بعضه وقال اصحابنا رحمهم الله ان الباء قد تذكر ويراد به التبعيض كما يقال اخذت بزمام الناقة ومسحت براس اليتيم فاذا احتمل اللفظ التبعيض واحتمل الصاق الفعل بالمفعول به كان مجملا وجب الرجوع فيه الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه توضا ومسح على ناصيته والناصية هي الربع المقدم من الراس ومعلوم بانه كان لا يترك بعض الواجب فثبت ان الفرض مقصور على هذا المقدار الا ان الافضل ان يمسح جميع الراس ليخرج عن الفرض بيقين وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا ومسح جميع راسه واحسن الاقوال اقربها الى الاحتياط واوفقها الكتاب والسنة واجماع الامة قال الله عز وجل فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وكان الاحسن والاحوط ان يجتهد المكلف في كل طاعة يفعلها على اختلاف العلماء فيقيم الطاعة على وجه لا يختلف فيه احد من العلماء والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهذا النوع من الاحتياط لا يختص بمسح الراس بل يجري في جميع الفرائض والطاعات وذهب الشافعي رحمه الله الى ان الواجب في مسح الراس مقدار ما يتناوله الاسم ومن اصحابه من يقدر الفرض بثلاث شعرات وهذا بعيد لان فعله متعسر وفاعله لا يسمى ماسحا راسه ولا براسه واختلف اهل العلم في عدد المسح قال علماؤنا رحمهم الله الافضل ان يمسح جميع راسه بماء واحد وروى عن الحسن عن ابي حنيفة رحمه الله ان مسح راسه ثلاث مرات بماء واحد كان سنة وقال الشافعي رحمه الله الافضل ان يمسح ثلاثا بثلث مياه واقرب هذه الاقوال الى موافقة الاخبار ما ذكرنا اولا فانه روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح راسه مرة واحدة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الوضوء ثلاثا ثلاثا الا المسح فاما مسح الاذنين فهو سنة لا خلاف في ذلك بين اهل العلم وانما اختلفوا في كيفية مسحهما قال اصحابنا يمسح ظاهرهما وباطنهما مع الراس بماء واحد كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مسح براسه واذنيه بماء واحد وفي بعض الروايات ومسح براسه واستكن بسبابتيه الاذنين ثم قال الاذنان من الراس وقال الشافعي رحمه الله هما عضوان منفردان يمسحان ثلثا بثلث مياه وقال بعض الفقهاء يغسل ظاهرهما وهو ما يلي الوجه مع الوجه ويمسح باطنهما وهو ما يلي الراس مع الراس واما مسح الرقبة فلم يذكر في شيء من الكتب المشهورة ويحتمل انه كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يمسح مقدم راسه ومؤخره وكذلك يفعله الناس وقال بعض القوم ان المقصود من مسح مؤخر الراس الرقبة وقد ورد في الشواذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مسح رقبته في الوضوء امن من الغل يوم القيمة واما قوله عز وجل وارجلكم ففيه قراتان من قرا بفتح اللام كانت الارجل على هذه القراة معطوفة على الوجه واليدين فيجب غسلهما ومن قرا بخفض اللام كانت الارجل معطوفة على الراس والظاهر يقتضي مسحهما الا انه يحتمل ان المراد بذلك المسح على الخفين فان الماسح على الخفين يسمى ماسحا على الرجلين كما يقال قبل فلان رجل الامير وضرب فلان على رجل فلان ويراد بذلك الخف ويحتمل ان يكون الارجل معطوفة على الراس في الاعراب مفصولة عنها في الحكم فيكون خفضها على طريق المجاورة والاتباع كما يقال جحر ضب خرب بخفض الخرب وان كان نعتا للجحر وكما في قوله عز وجل وحور عين معناه وهم حور عين وقد وردت اشعار العرب بذلك في كثير من المواضع فاذا احتملت قراة الخفض المسح على الخفين واحتملت مسح الرجلين واحتملت غسلهما وجب الرجوع الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه داوم على غسل رجليه واتفقت الامة على فعله ولم ينقل عنه المسح الا شاذا من جهات ضعيفة وروي عنه عليه السلام انه قال خللوا اصابعكم قبل ان تخللها النار قليل نفعها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للاعقاب من النار وروي عن عمر وجماعة

الألوكة
www.alukah.net

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضأ مرة مرة وغسل رجليه وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة
الا به ثم توضأ مرتين مرتين وقال هذا وضوء من يضاعف الله له الاجر مرتين ثم توضأ ثلثا ثلثا و
قال هذا وضوئي ووضوء خليلي ابرهيم ووضوء الانبياء قبلي فمن زاد وازداد فقد تعدى وظلم
وذهبت الروافض الى ان الواجب في الرجلين المسح ورووا في المسح خبرا شاذا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه وحملوا قراءة النصب في قوله تعالى وارجلكم على ان معناها
المسح ايضا كما قال الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا ويقال مررت بزيد وعمرا ورايته
وتفسيره ومنهم من يخير بين المسح والغسل لاختلاف القراءتين ومعلوم بان الطهارة مما تعم
البلوى به ويحتاج الناس كلهم الى معرفته فلا يجوز الرجوع في ايجابها ونفيها الى اخبار الاحاد
وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال في الاية تقديم وتاخير معناها اغسلوا وجوهكم وايديكم
وارجلكم وامسحوا برؤسكم رواه واصل عنه وتفسير الحسن رضي الله وفي الاية دليل على ان المراد بطهارة
الرجلين غسلهما لانه تعالى حد في الرجلين الى الكعبين كما حد اليدين الى المرفقين والخلاف بين علمائنا
في الكعبين كالخلاف في المرفقين والكعبان هما العظمان الناتيان في جانبي الرجلين ماخوذ من الكعب
وهو النتوء يقال جارية كاعب اذا خرج ثديها وكذلك كعوب الرمح وروى هشام عن محمد ان الكعب
معقد الشراك من القدم والصحيح ان محمدا انما قال ذلك في المحرم انه قال يقطع خفيه اسفل من الكعبين قال
والكعب هاهنا معقد الشراك من الرجل فنقل ابن هشام ذلك الى الطهارة ولا خلاف في الكعب في الوضوء
بين علمائنا الثلثة انه داخل في غسل الرجلين وقوله عز وجل وان كنتم جنبا فاطهروا معناه وان كنتم جنبا
واردتم القيام الى الصلوة فاغتسلوا والجنب يوضع موضع الجمع يقال رجل جنب ورجلان جنب وقوم
جنب كما يقال رجل رضى وامراة رضى وقوم رضى وقوله فاطهروا معنى التطهر الا ان التاء تدغم
في الطاء لقرب مخرجيهما من طرف اللسان واصول الثنايا العليا اذا ادغمت التاء في الطاء سكن اول
الكلمة من تطهروا فزيدت لها الف الوصل للابتداء ولفظ الاطهار يقتضي تطهير جميع البدن في
الاغتسال من الجنابة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحت كل شعرة جنابة فبلوا الشعر وانقوا
البشر ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان المضمضة والاستنشاق واجبان في غسل الجنابة وقوله عز وجل وان
كنتم مرضى من جدري او قروح ولم تطيقوا غسل هذه الاشياء او كنتم مسافرين وقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط
او على سفر ... معناه وان كنتم مرضى
معناه او جاء احد منكم من قضاء الحاجة لانه لا خلاف ان المريض والمسافر اذا لم يكونا محدثين لا يلزمهما الوضوء
ولا التيمم وقد يذكر حرف او بمعنى الواو كما في قوله عز وجل وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقوله عز وجل
او لامستم النساء او جامعتم النساء فلم تجدوا ماء تطهرون به من الجنابة والحدث فاقصدوا ترابا
نظيفا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه كما روينا في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال التيمم ضربتان ضربة للوجه
وضربة لليدين الى المرفقين واختلف اهل العلم في قوله منه قال ابو يوسف معناه التبعيض كانه قال امسحوا
بوجوهكم وايديكم من بعض الصعيد وهو التراب وقال ابو حنيفة ومحمد معنى من هاهنا ابتداء الغاية اي فانقلوا
اليد بعد ضربها على الصعيد الى الوجوه والايدي من غير ان تحللهما ما يوجب الفصل وقوله عز وجل ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله ان يجعل عليكم بتكليف العبادات ضيقا في الدين وانما يريد بذلك
تطهيركم من الذنوب والاحداث والجنابة كما روي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل قام الى وضوئه يريد الصلوة ثم غسل كفيه نزلت خطيئة كفيه مع اول
قطرة فاذا تمضمض واستنشق نزلت خطيئة لسانه وشفتيه مع اول قطرة فاذا غسل وجهه ويديه
الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب هو عليه وكان كيوم ولدته امه وان قام الى الصلوة

رفعه

رفعه تعالى بها درجة وان قعد قعد سالما وقوله وليتم نعمته عليكم قال الحسن رضي الله عنه بادخال
الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه بجواز التيمم لكم بالتراب في حال عدم الماء لكي تشكروا
نعمة الله عليكم في رخصته لكم وتخفيفه في التكليف عليكم فان قال قائل فاذا قرئت الاية بقراءتين فالله تعالى
اراد بهما او باحدهما قيل ان كان لكل قراءة معنى غير معنى القراءة الاخرى صارت القراءتان بمنزلة الايتين وكان
المراد كلاهما فان كانت القراءتان بمعنى واحد فالله عز وجل قال باحدهما ولكن رخص ان يقرا بالقراءتين جميعا والله اعلم
قوله عز وجل **واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا
الله ان الله عليم بذات الصدور** معناه واحفظوا نعم الله عليكم واعمالكم ثم لفظ النعمة لانه ذهب به
مذهب الجنس يقال الجملة من الماء ماء والجملة من قطع الارض ارض ومثله في اللغة كثير وقوله عز وجل وميثاقه الذي
واثقكم به معناه عهدكم الذي عاهدكم به قال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما اراد به الميثاق الذي اخذه
الله عز وجل على ذرية ادم عليه السلام حين اخرجهم من صلبه وقال الست بربكم قالوا بلى وقال السدي رحمه
الله اراد بالميثاق هاهنا مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في كل ما امر به او نهى عنه في
حالتي العسر واليسر والرضا والكره وهذا القول اقرب الى ظاهر الاية لان الله عز وجل ذكر الميثاق وهم
لا يحفظون الميثاق الذي واثقهم به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلم كالذر ويقال اراد بالميثاق
العهد الوثيق الذي اخذه الله عز وجل على جميع عباده في اوامره ونواهيه فسمعوه وقبلوه واسلموا له على ما
امره الله عز وجل بقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا وقوله عز وجل واتقوا الله معناه واخشوا عقاب الله في نقض
الميثاق ان الله عليم بذات الصدور يعلم ما في القلوب من الوفاء والنقض وذات الصدور ما تضمنته
الصدور وهي القلوب ويقال معنى ذات الصدور عليم بمعاني الصدور وانما لم يقل بذوات الصدور ليبين
ان علمه محيط بكل واحد من المعاني على جهة التفصيل قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون** معناه والله اعلم كونوا قوامين بامر الله قائلين له مبينين عن دين الله بالحق
والعدل والقوام فعال من القيام وقوله ولا يجرمنكم شنان قوم معناه لا يحملنكم بغض الكفار على ترك
العدل فيه مكافاة لما سلف منهم ويقال معناه لا يحملنكم عداوة المشهود له على كتمان ماله عندكم
من الشهادة ولا عداوة المشهود عليه على اقامة الشهادة عليه بغير حق وقوله اعدلوا معناه اعدلوا في
جميع افعالكم واقوالكم وتصرفاتكم واحوالكم وفيما لكم وفيما عليكم فان العدل اقرب الى التقوى اي هو اقرب
الى ان تصيروا به متقين ويقال ان المراد بالتقوى هاهنا الرضا من جهة الله عز وجل ويقال معناه هو
اقرب الى التقوى عن عذاب الله عز وجل وقوله تعالى واتقوا الله معناه اجتنبوا عذاب الله تعالى ان الله عليم
بما تعملون من الخير والشر والعدل والجور يجزيكم الله تعالى بثواب من عمل بطاعته وعقاب من كفر به قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم معناه وعد الله الذين صدقوا محمدا
صلى الله عليه وسلم والقران وعملوا الطاعات فيما بينهم وبين ربهم هذا تمام الكلام يقال وعدت
الرجل بكذا اذا وعدته خيرا واوعدت الرجل بكذا اذا وعدته شرا فكان قوله وعد الله دليلا على
عدة الخير ثم فسر ذلك الخير فقال لهم مغفرة اي تكفير وتغطية لذنوبهم في الدنيا وثواب حسن في الجنة
ويجوز ان يكون قوله عز وجل لهم مغفرة في محل النصب وان كان مرفوعا في اللفظ فيكون تقدير الاية وعد
الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم مغفرة واجرا عظيما ويجوز ان يكون ذلك في موضع الرفع على
تقدير لهم مغفرة فيما وعدهم واجر عظيم قوله عز وجل **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم** معناه الذين جحدوا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار الموقدة والجحيم

الألوكة www.alukah.net

اسما جهنم فانما سماهم اصحاب الجحيم لانها تصحبهم ويصحبونها ولفظ المصاحبة يقتضي اللزوم كما
يقال اصحاب العلم واصحاب السلطان وبالله التوفيق قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
روي عن عبد الله بن عباس انه قال وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تسعة وعشرين
رجلا سرية الى بني عامر بن صعصعة وامر عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان طريقهم على بني
سليم فنزلوا عليهم بعض حي وكانوا يومئذ صلحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فامر السرية ان ينزلوا على
بني سليم فنزلوا عليهم فبعث بنو سليم الى بني عامر واخبروهم بامر القوم وقتلهم فارتحل المسلمون من عند بني
سليم الى عند بني عامر فاضل اربعة منهم بعيرا لهم فاستاذنوا اميرهم ان يطلبوا بعيرهم ثم يلحقون بهم فاذن
لهم فتخلفوا وسار المنذر ومن بقي معه حتى اتاهم وقد جمعوا لهم واستعدوا بالسلاح فالتقوا ببئر
معونة فاقتتلوا قتالا شديدا ثم قتل المنذر ومن معه جميعا فاصبح الاربعة وطلبوا بعيرهم فاصابوه
واتبعوا اصحابهم فلقيتهم امراة من بني عامر فقالت من القوم امن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
انتم قالوا نعم رجاء ان تسلم قالت فان اخوانكم قد قتلوا جميعا على الماء فقال احد الاربعة ما ترون
قالوا نرى ان نرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بالامر فقال الحكمي والله لا تعذبن من عدا
اصحابي ارجعوا فاقرأوا النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام قالوا فامهلنا حتى نتغيب عنك فكمن حتى
اذا تغيبوا صعد الجبل واشرف على اصحابه فاذا هم مقتولون واذا المشركون قعود يتغدون فاعتدى
بسيفه فقاتل حتى قتل ومضى الثلاثة المدينة حين امسوا فلقوا رجلين من بني سليم خارجين من
المدينة فقالوا لهما من اين انتما فقالا من بني عامر قالوا هذان من الذين قتلوا اخواننا فاقبلوا عليهما
فقتلوهما واخذوا اسلابهما ثم دخلوا المدينة فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
السلام بئسما صنعتم قتلتم رجلين من اهل الميثاق وجاء اولياء القتيلين يطلبون القود فقال صلى
الله عليه وسلم ليس لكم ذلك لان صاحبيكم اعتزيا الى عدونا من بني عامر ولم يعتزيا الى بني سليم
ولكنا نؤدي اليكم الدية فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله
الله عنهم اجمعين حتى اتى بني النضير فقال لهم انكم جيراننا وحلفاؤنا وقد تعلمون ما اصابنا من دم
الرجلين من بني سليم وهما من اهل الميثاق ونحن نريد ان نؤدي ديتهما فاتخذوا عندنا بها يدا نجزيكم
بها بعد اليوم فان الايام دول فقالوا مرحبا واهلا يا ابا القسم ولكن اخواننا بني النضير لا نقضي امرا دونهم
نعلمهم ذلك ثم ناتيك يوم كذا وقد جمعنا لك الذي تريد فلما كان رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فلما كان يوم الميعاد اتاهم ومعه ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فاجلسوهم في صفة ثم خرجوا
يجمعون السلاح وهموا بقتله وقتل اصحابه وكانوا ينتظرون كعب بن الاشرف ان يقدم عليهم من المدينة
فيهجموا على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فنزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بما يريدون من المكيدة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤذن احدا من اصحابه وخرج فقام على
الباب فلما ابطا على اصحابه خرج علي كرم الله وجهه في طلبه فاذا هو قائم بالباب فقال يا رسول الله
ابطات علينا حتى تخوفنا ان تكون قد اصابك احد قال عليه السلام قد ارادوا ذلك الخبثاء لعنهم
وقال لعلي قم مكانك فاذا خرج اليك بعض اصحابك فاخبره بالامر واقمه مكانك حتى يخرج اليه اصحابه
فقام علي على الباب فلما ابطا على اصحابه خرج ابو بكر رضي الله عنه فاذا هو بعلي كرم الله وجهه على الباب
فقال له ابطات علينا فاخبره علي كرم الله وجهه بما اخبره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقامه مقامه
حتى خرج اليه عمر رضي الله عنه ثم لحقوا جميعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت اليهود الى رسول الله

عليه السلام

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم فقالوا ان قدورنا تغلي وقد رجعت بغير علمنا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما هموا به وعزموا عليه فانزل الله تعالى هذه الاية ومعناها يا ايها الذين صدقوا بالله وبكتابه ورسله
احفظوا نعمة الله عليكم اذ قصد قوم وهو بنو النضير ان يمدوا اليكم ايديهم بالقتل فكف ايديهم عنكم بالمنع
من قتلكم واخشوا الله وبالله فليثق المؤمنون في جميع امورهم واحوالهم ومعنى التوكل ان يتمسك المرء
بعبادة الله ويصبر عليها ولا يطلب شيئا الا من وجهه ولا يحرج اذا لم يظفر بما طلبه بل يوطن نفسه على
ان ذلك اصلح له في التدبير وهذا قيل ان التوكل طرح البدن في العبودية مع تعلق القلب بالربوبية قوله
عز وجل ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم
الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم
ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل
روي عن عبد الله بن عباس انه قال في معنى الاية اخذ الله العهد على بني اسرائيل ان يؤمنوا به وبجميع كتبه
ورسله ولا يشركوا به شيئا وبعث منهم اثني عشر ملكا من كل سبط منهم رجلا لياخذ على قومه ما امرهم
الله به من طاعته وروي عنه رضي الله عنه في رواية اخرى ان معنى النقيب الرسول والامين وهم الذين ارسلهم
موسى عليه السلام الى قرية الجبارين ليعرفوا فوجدوهم يدخل في كم الواحد اربعة منهم ولا يحمل عنقود عنبهم
الا عشرة منهم او اكثر ويدخل في شق رمانة اذا نزع حبه خمسة انفس او اربعة فرجع النقباء كلهم
ونهى كل نقيب سبطه عن القتال الا يوشع بن نون وكالوب بن يوفنا امرا قومهما بالقتال وعن الحسن
رضي الله عنه ان معنى النقيب الضمين وانما اراد بهذا ان يضمن مراعاة احوالهم وتدبير امورهم وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل على الانصار ليلة العقبة اثني عشر نقيبا وفائدة النقباء
للقوم اذا علموا ان عليهم نقيبا كانوا اقرب الى الاستقامة وقد كان في القوم من يحتشم مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم فيما ينوبه ويعرض له من حوائجه فكان النقيب هو الذي يخاطب النبي صلى الله عليه
وسلم في امره ولا يجوز ان يكون معنى النقيب ان يضمن على القوم الوفاء بالميثاق لان مثل هذا الضمان
لا يصح ولا يقدر النقيب على القيام بذلك والنقيب والعريف نظيران ويقال النقيب فوق العريف و
سمي نقيبا لانه يعرف دخلة امر القوم ومخرجهم يقال نقب الحائط اذا فتحه والنقب الخرق ورجل
نقاب اذا كان ذكيا فطنا والنقيب فطنة ومنه قولهم يضع الهناء مواضع النقب واما قوله عز
وجل اني معكم قال ابن عباس رضي الله عنهما هو خطاب للنقباء ومعناه اني حفيظ عليكم في النصر
لكم والدفع عنكم ويقال هو خطاب لجميع بني اسرائيل ضمن الله عز وجل لهم النصر على عدوهم بالشرائط التي
شرطها عليهم بقوله عز وجل لئن اقمتم الصلوة اي اديتم الصلوة التي افترضتها عليكم واعطيتم زكوة اموالكم
وصدقتم رسلي وعظمتموهم ونصرتموهم بالسيف على الاعداء وتصدقتم من اموالكم ما لم يوجبه الله عليكم
صدقة حسنة وهي ان يكون من حلال المال وخياره برغبة واخلاص ولا يتبعها رياء ولا سمعة
ولا يكدرها بمن ولا اذى لامحصن عنكم ذنوبكم ولادخلنكم بساتين تجري من تحت شجرها
ومساكنها الانهار الاربعة فمن كفر منكم بعد العهد والميثاق منكم فقد اخطا قصد الطريق
وهو طريق الجنة ومن اضله وقع في طريق النار اذ لا طريق سواهما ولا سبيل لاحد دونهما واصل التعزير
في اللغة المنع يقال عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح والنصر يمنع الاعداء
والتعظيم يمنع الذل والهوان فيسمى كل واحد من الامرين تعزيرا واما ذكر الصدقة بلفظ القرض
فعلى وجه التلطف في الحث على الصدقة وذلك ان القرض مضمون بالمثل لا بد للمستقرض من رد المثل
حال مطالبة المقرض والله عز وجل يجازي المتصدق على صدقته مجازاة المستقرض على قرضه

المقترض

ونسبه بعضهم استقراض الله عز وجل بالإب ببعض بعض ولدع عطيته ثم يستقرض او يستوهب بعضها فاذا اجابه الى ذلك شكره عليه ومدحه واجته بسببه كم يستقرض منه قليلا من كثير هذا النوع من اللطف لينفعه به في العاجل والاجل ما في العاجل فبارك في ماله ونميه كما قال جل ذكره يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ويدفع عنه وعن اهله وماله بسبب تلك الصدقة انواعا من البلايا واما في الاجل فيعطيه ثوابا اضعافا مضاعفة من غير ان يكون لله جل ذكره في اعطاء المتصدق صدقته منفعة ولا في منعه اياها مضرة فسبحانه ما الطفه واكرمه وهو اكرم الاكرمين وارحم الراحمين قوله عز وجل **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين** معنى الاية والله اعلم فبنقض اليهود ميثاقهم الذي اخذ عليهم في التورية ابعدناهم من الرحمة ويقال عذبناهم بالجزية ويقال مسخناهم قردة وخنازير ودخول ما في الاية صلة زايدة معناها التوكيد وقوله عز وجل وجعلنا قلوبهم قاسية معناه صيرنا قلوبهم يابسة خالية عن حلاوة الايمان مجازاة لهم على معصيتهم ويقال للرجل الرحيم لين القلب ولغير الرحيم قاسي القلب والقاسي والقاسح شديد الصلابة وقال بعضهم معنى جعلنا قلوبهم قاسية حكمنا بانها قاسية لنقضهم الميثاق كما يقال جعل القاضي هذا المال لفلان اي حكم بذلك له لا انه جعل ما لا يعرف له اوليس للقاضي ذلك واما قوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه فتاويله على وجهين احدهما تغييرون تاويله وهذا مما يجوز ان يجتمع الخلق الكثير عليه كما يفعل المشبهة واهل البدع في تاويل الايات المتشابهة من القران والثاني يغيرون الفاظه ولا يقرون على ما هو عليه في التورية كما اخبر الله عز وجل عنهم من لي السنتهم بالكتاب وهذا مما لا يجوز اجتماع الخلق الكثير عليه كما لا يجوز تحريف شيء من القران ويجوز من جماعة قليلة ثم تقليدهم الخلق الكثير اذا لم يعثروا عن ذلك وقوله عز وجل ونسوا حظا مما ذكروا به معناه وتركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ومن رجم المحصن الزاني وغير ذلك واصل النسيان الترك ويقول الرجل نسيت الشيء اذا تركت حفظه وذكره ويقال لما تركوا نصيبا من الكتاب تسوع على مر الايام صبر ذلك نسيانا كانهم فعلوا فعل الناسي وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة معناه لا تزال يا محمد صلى الله عليه وسلم تطلع على خيانة ومعصية منهم وفاعلة من اسماء المصادر مثل عافية وكاذبة وطاغية وخاطئة ويقال قمت قائما اي قياما وقد يكون الخائنة من اسماء الجماعة كما يقال رافض ورافضة فيكون المعنى ولا تزال تطلع على فرقة خائنة منهم مثل كعب في اصحابه من بني قريظة حين نقضوا العهد وركبوا الى ابي سفيان بمكة في القوم وعاقدوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سبق ذكره وقوله عز وجل الا قليلا معناه الا قليلا لم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام واصحابه وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح اي اعرض عنهم ولا تعاقبهم ان الله يحب العافين المتجاوزين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وسائر ايات القتال قوله عز وجل **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** وذلك ان الله عز وجل لما ذكر ميثاق المومنين وميثاق اليهود عقبه بذكر ميثاق النصارى في توحيد الله عز وجل والتبري من الشرك وبين ان النصارى لم يكونوا بعد اخذ الميثاق احسن معاملة من اليهود فقال عز من قائل ومن الذين قالوا قال الحسن رضي الله عنه ولم يقل ومن النصارى ليدل على انهم هم الذين ابتدعوا

وزاده و[illegible] كل الله عز وجل بطلب مال العبد والعطاء اليه [illegible] صح

النصرانية وتسموا بها واما معنى اخذ الميثاق فهو ما اخذ الله عز وجل عليهم في الانجيل من العهد المؤكد باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته كما قال جل ذكره في اية اخرى مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فنسوا حظا مما ذكروا معناه تركوا بعضا مما ذكروا به فاغرينا اي هيجنا بين فرق النصارى النسطورية واليعقوبية والملكانية القتال بينهم العداوة في الدين وذلك ان الله عز وجل رفع الالفة عن ذات بينهم واخطر ببال كل طائفة منهم ما يوجب النفرة والوحشة ويبيح الضغينة لهم حتى يفترقون ويقتتلون الى يوم القيمة واصل الاغراء الالصاق ماخوذ من الغراء وهو الذي يلصق به يقال غرا به يغرى غرا وغراة بالمد والقصر اذا الصق به والعداوة تباعد القلوب والنيات والبغضاء البغض ثم اوعدهم الله بقوله وسوف ينبئهم الله اي يخبرهم في الاخرة بما كانوا يصنعون من الخيانة والمخالفة وكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ثم خاطب جل ذكره الفريقين من اليهود والنصارى فقال عز وجل **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** قيل ان اضافة اليهود والنصارى الى الكتاب تعييرهم كما يقال يا عاقل لم تفعل كذا وكذا فذكر العقل على معنى التعيير اي انك لا تعمل عمل العقلا وقوله عز وجل قد جاءكم من الله نور يعني محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تكتمون من نعت الاسلام والنبوة واية الرجم وتحريم الربوا وغير ذلك ويعفوا عن كثير يتجاوز عن كثير مما كتمتم فلا يخبركم به ولا يعاقبكم عليه يعني فيما لم يومر ببيانه ويقال معناه ويعفوا عن كثير مما اخفيتم اذا تبتم واسلمتم وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور قيل ان المراد بالنور الرسول صلى الله عليه وسلم سماه الله نورا لان النور هو الذي يكشف الظلمات ويبين الاشيا ويري الابصار حقيقة كل شيء والمراد بالكتاب المبين القران يبين الحلال والحرام والامر والنهي قوله عز وجل **يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** معناه يرشد الله عز وجل بالقران من قبل الحق ورغب فيه الاسلام وقوله سبل السلام معناه طريق السلامة وهو طريق دين الاسلام والسلام والسلامة كالرضاع والرضاعة ويقال السلام هو الله عز وجل وسبل السلام طريق الله عز وجل التي دعا اليها وقوله عز وجل ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه يخرجهم من ظلمات الكفر بالتعريف لهم الى نور الايمان بالله عز وجل ومشيئته وسمي الايمان نورا لان الانسان اذا امن ابصر طريق نجاته وطلبه وطريق هلاكه فحذره وقوله عز وجل ويهديهم الى صراط مستقيم معناه ويرشدهم الى دين الحق الذي يأخذ صاحبه حتى يوديه الى الجنة قوله عز وجل **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير** قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في نصارى اهل نجران وهم الماريعقوبية قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال الله عز وجل قل فمن يملك من الله شيئا اي قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم من يقدر ان يدفع شيئا من عذاب الله ان اراد الله تعالى ان يهلك عيسى بن مريم وامه ومن في الارض جميعا وهذا احتجاج من الله عز وجل على النصارى بما لا يمكنهم دفعه لو كان المسيح وامه بشرين يأكلان الطعام ويحتاجان الى ما يحتاج اليه الناس وقد علم اضطرارا انهما كانا يقتدران لم يكونوا وشاهد كثير منهم ميلاد عيسى وحاله من الطفولة والشباب والكهولة وقد علموا ان الله قد شاهدوا تلك القوم خلقا كثيرا اطلق الله عز وجل الهلاك على عيسى وامه الميتة لما عجز عن ذلك شيء ولكان هلاك ذلك دائم وكيف يكون الها من لا يقدر عن دفع الهلاك من نفسه ولا من غيره وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما معناه ومن كان ملك السموات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولا يوصف بالولادة وقيل من كان له ملك السموات والارض يقدر على خلق ولد بلا والد كما قال جل ذكره يخلق ما يشاء أي كما يشاء باب وبغير اب ولو كان خلق المسيح من غير اب موجبا كونه الها او ابنه لكان خلق ادم من غير اب ولا ام اولى بذلك لانه اعجب وابدع وقوله عز وجل والله على كل شيء قدير معناه ان الله على كل شيء من خلق عيسى وغيره قادر ويقال في هذه على وجه التهديد اي هو القادر على ان يعاقبكم على هذا القول ولا تصلح الربوبية الا لقادر على كل شيء ولا تجوز العبادة لاحد دونه فان قيل كيف يكون معنى هذه الاية والنصارى ينكرون هذه المقالة قيل قد ذكرنا ان طائفة منهم وهم الملة اليعقوبية يخصون هذه المقالة ويقولون كان الله الها قديما وصار انسانا محدثا بعيسى عليه السلم وجواب اخر ان الذين يقولون منهم المسيح بن الله يجعلون الله من جنس المسيح وقالوا ان الله عز وجل اتخذ المسيح ابنا كما اتخذ ابرهيم خليلا فقد جعلوه الها زعموا انه يخلق الاجسام ويحيي الموتى وغيرها مما يستحق به العبادة والذين يقولون ان الله ثالث ثلثة يقولون اصل واحد واقانيم ثلثة اب وابن وروح قدس وليس كل واحد من هذه الاقانيم غير الجوهر بل هو هو وهذا يكون قولا بان المسيح هو الله اذا كان المسيح احد الاقانيم وان كان هولاء ينكرون اطلاق اللفظ بان المسيح هو الله فحكى الله عز وجل عنهم معنى مذهبهم لان المخبر عن مذهب غيره انما يخبر عن معنى مذهبه وعلى هذا قالت العلما ان النصارى يقولون بالتثليث لا بالتوحيد قوله عز وجل **وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير** روي عن بن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من احبار اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الايمان واعذرهم وانذرهم فقالوا نحن ابنا الله واحباوه فلا يعذبنا الله عز وجل وكذلك قالت نصارى نجران حين خوفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاب الله عز وجل واراد بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه نحن من الله بمنزلة الابناء من الاباء وقربنا من الله تعالى كقرب الولد لوالده ومحبته الله لولده ويغضب الله عز وجل علينا كما يغضب الوالد على ولده والوالد اذا سخط على ولده في وقت يرضى عنه في وقت اخر ويقال انما ارادوا بهذا القول انهم ابنا انبيا الله تعالى واحباؤه ويقال معناه بنا ابنا الله لان اليهود يقولون عزير ابن الله والنصارى يقولون المسيح بن الله وهذا كما يقال هذيل شعرا يراد به ان جنسهم شعرا لان اكثرهم لا يكونون شعرا ويقال انما ادعوا البنوة لان اليهود زعموا ان الله عز وجل اوحى الى يعقوب عليه السلم ان ولدك بكري ولدي والنصارى يحكون قول المسيح اني ذاهب الى ابي وابيكم قال الله عز وجل قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي لم عذب الذين من قبلكم من اليهود والنصارى الذين كانوا امثالكم في الدين فمسخهم الله عز وجل في الدنيا ويقال معناه ان القوم كانوا يقرون بانهم يعذبون اربعين يوما عدد الايام التي عبدوا فيها العجل اربعين يوما بزعمهم وهل رايتم والدا يحرق ولده بالنار او يحرق حبيبه وقوله عز وجل بل انتم بشر ممن خلق معناه لستم بابنا الله ولا باحبابه ولكنكم خلق كساير الخلق لا فضل لكم على غيركم يغفر لمن يشا ويعذب من يشا يغفر لمن هداه الله عز وجل للاسلام ويعذب من مات على الكفر والمشية المذكورة في هذه الاية مشية قدرة على معنى ان الله عز وجل قادر على ذلك كله كما في قوله تعالى ويعذب المنافقين ان شا او يتوب عليهم وقد ثبت بسائر الايات ان من مات على كفره ونفاقه فهو خارج عن المشية وكذلك من مات مطيعا لا معصية له او تاب توبة نصوحا فهم خارجون عن المشية وانما اهل المشية اهل التوحيد الذين يموتون وعليهم معصية لم يتوبوا عنها فهم موقوفون بين فضل الله عز وجل وعدله كما تقدم ذكره وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله عز

وجل

١٨٤

وجل ولله ملك السموات والارض معناه له القدرة على اهل السموات واهل الارض وله ما بينهما من الخلق والعجايب وهذه اشارة الى نفي البنوة اذ الابن لا يكون مملوكا لابيه وقوله عز وجل واليه المصير معناه اليه مرجع من امن ومرجع من لم يومن قوله عز وجل **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير** معناه يا اهل التورية والانجيل قد جاكم محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم الحلال والحرام على انقطاع من الرسل ودروس من العلم قال الكلبي رضي الله عنه كان بين ميلاد عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسمائة وتسعة وتسعون سنة وبعد عيسى عليه السلام اربعة من الرسل في مائة واربعة وثلثين سنة كما قال الله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال ولا ادري الرسول الرابع من هو قال وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وقوله تعالى ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير معناه كيلا تقولوا يوم القيمة ما جانا من بشير يبشرنا بالجنة ولا مخوف يخوفنا بالنار فقد جاكم بشير يبشركم بالجنة ان اطعتموه ونذير ينذركم بالنار ان عصيتموه والله على كل شيء من ارسال الرسل والثواب والعقاب قدير اي قادر ويقال معنى ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لا تقولوا في هذا مثل الاختلاف وقوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا وقد سبق ذكره وبالله التوفيق قوله عز وجل **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين** معناه واذكروا يا اهل الكتاب ما قال موسى لبني اسرائيل احفظوا منة الله عز وجل عليكم اذ اكرم بعضكم بالنبوة وهم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام وانطلقوا معه الى الجبل وانما من الله عز وجل بذلك عليهم لان كثرة الاشراف والافاضل في القوم شرف فضلهم ولا شرف اعظم من النبوة وقوله جعلكم ملوكا قال الحسن رضي الله عنه احرارا تملكون امر انفسكم ولا يغلبكم عليه غالب بعد ما كان يملككم القبط في مملكة فرعون وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اراد بقوله عز وجل ملوكا ذوي خدم واهل ومنازل لا يدخل عليكم فيها الا بالاذن وقيل ان الملك من يستغني عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق للمعاش ويقال اكثر الملوك فيهم فكان كثرتهم زيادة شرف لهم وانعام عليهم وقوله عز وجل واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين معناه اعطاكم ما لم يعط احدا من عالمي زمانكم ويقال اراد بذلك جميع العالمين فانه عز وجل انزل عليهم المن والسلوى وظلل عليهم الغمام وبين عليهم في التيه ثيابا وخفافا لا تبلى ولا تحرق بل تشب مع الصغير ولا تتغير على الكبير ولم يؤت جملة من هذه النعم احد قبلهم ولا يدخل المستقبل في اللفظ لان اللفظ خبر عما مضى ولا يدل ذلك على انه جل ذكره لم يؤت امة محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة مثل ما اتاهم او اكثر والغرض من هذه الاية والله اعلم ان الله سبحانه لما اراد ان يكلفهم دخول الارض المقدسة وكان يشق عليهم ذلك قدم جل ذكره تفضيل نعمه عليهم ليكون ذلك باعثا لهم على امتثال امر الله عز وجل قوله عز وجل **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين** روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان الاثني عشر نقيبا الذين ارسلهم موسى عليه السلم الى قرية الجبارين جواسيس لما انتهوا الى مدينتهم اخذوا فاتي بهم الملك ويقال احدهم عوج بن عنق واحتملهم في ثوبه حتى القاهم بين يدي الملك فقيل للملك ان هولاء يزعمون انهم يفتحون مدينتك ويظهرون عليك قال فطوفوا بهم في المدينة فاروهم اياها فطيف بهم وكانوا يلعبون بهم حتى ان كان

الألوكة www.alukah.net

الرجل منهم لبانى القدح والمكرجة والقصعة فيدخل واحد منهم تحتها ثم ردوهم الى
الملك فاراد قتلهم فقالت له امراته ايش يصنع بقتل هولاء وبكفيهم ما راوا من القوم ردوهم
الى اصحابهم يحدثونهم بما راوا فارسلهم الملك وزودوا بعض عنقود العنب وبعض الرمانة
فلما خرجوا قال بعضهم لبعض قد علمتم خلاف بني اسرائيل لموسى عليه السلام وقد وعد الله موسى
عليه السلام ان يورثهم هذه الارض ولن يخلف الله عز وجل وعده فتعاهدوا باخذ بعضنا على بعض
المواثيق لا يخبر احدا بشيء مما راينا غير موسى عليه السلام فان تخبر به بني اسرائيل وان تسالك
عن ذلك فلما رجعوا قالت العشرة منهم هذا من القوم والرجل الواحد منهم يدخل الجماعة منا
في كمه ولا يدان لنا بهم وقال يوشع وكالوب نحن اعلم من هولاء بالقوم ليس القوم حدثت عنهم
حديثكم وقد نقلوا زعما منكم وفي بعض الروايات ان الاثني عشر نقيبا لم يخبروا ذلك اليوم
احد منهم الا موسى عليه السلام فلما احلوا بنسايهم جعلت المراة تسال زوجها عن مداى فياخذ
عليها المواثيق لا تخبر احدا ثم تخبرها وجعلت المراة بابنها ابوها واخوتها فياخذ عليهم المواثيق
ثم تخبرهم فما ارتفع النهار حتى فشا الخبر في العسكر ولم يخبر يوشع ولا كالوب احدا بشيء من امرهم
فجمع موسى عليه السلام بني اسرائيل وخطبهم وقال يا بني اسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا الى
قوله فتنقلبوا خاسرين واما قوله عز وجل ادخلوا الارض المقدسة قال عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما هي ارض بيت المقدس ويقال هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وسميت المقدسة لانها
طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبيا صلوات الله عليهم والمومنين وقوله عز وجل
التي كتب الله لكم اي امركم بدخولها ويقال وهب الله عز وجل لابيكم ابرهيم وجعلها ميراثا لكم وذلك
ان ابرهيم عليه السلام حين ارتفع على الجبل قيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وهو ميراث لولدك
من بعدك هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا
وراكم وتجبنوا عن عدوكم منهزمين منهم فتنصرفوا مغبونين بفوت الظفر في الدنيا والعقوبة في
الاخرة قوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها فانا داخلون معناه قالت بنو اسرائيل يا موسى ان فيها قوما جبارين عظاما فالجبار في
العبارة من الادميين العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد مأخوذ من الاجبار على الامر وهو الاكراه عليه
ومن العظم اكراهه على الصلاح والجبار هذا لا بد ان فيه معنى الكره والجبار من النخل ما فات
اليد طولا لانه كالممتنع مثل الجبار من الناس والجبار صفة مدح الله عز وجل وهو ذم في صفة
غيره لان غيره يتعظم بما ليس له والعظمة لله وحده وقوله عز وجل انا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها معناه انهم قالوا انا لن ندخل هذه الارض حتى يخرج الجبارون منها اولا من الجانب الاخر
فان يخرجوا منها فانا داخلون حينئذ قوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين
معناه والله اعلم قال يوشع وكالوب من الاثني عشر الذين ارسلهم موسى عليه السلام الى قرية الجبارين
وكانوا يخافون الجبارين انعم الله عليهما ان هداهما الله تعالى للقول او امر الله عز وجل ومعرفة صدق
وعده ادخلوا عليهم الباب قالا ادخلوا عليهم باب قريتهم ارضها فاذا دخلتم ذلك الباب فانكم
غالبون عليهم لانهم اذا راوكم انكسرت قلوبهم وانقطعت ظهورهم فتغلبونهم وعلى الله فتوكلوا
ان بالله فثقوا وفوضوا اموركم اليه ان كنتم مصدقين بوعد الله في الاية ثنا على الرجلين اذ لم يمنعهما الخوف
من العدو عن قول الحق وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمنعن احدكم مخافة

الناس

١٨٥ الناس ان يقول الحق اذا راه او علمه فانه لا يبعد من رزق ولا يدني من اجل وذهب بعض المفسرين رحمهم
الله الى ان معنى قوله عز وجل من الذين يخافون اي كانا من الذين يخافون عذاب الله عز وجل ولذلك قال الله عز
وجل انعم الله عليهما ويقال كان الرجلان من جملة الجبارين الذين كانوا بنو اسرائيل يخافونهم ولكنهما كانا على دين
موسى عليه السلام وفي بعضهم يخافون بضم اليا على فعل ما لم يسم فاعله قوله عز وجل قالوا يا موسى انا لن
ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وذلك ان موسى عليه
السلام لما امرهم من بعد قول الرجلين ان يدخلوا قرية الجبارين قالت له بنو اسرائيل وكذبوا العشرة
وصدق الاثنين انا لن ندخلها ابدا ما دام الجبارون فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون منتظرون وقولهم اذهب انت وربك يحتمل معنيين احدهما انهم قالوا على وجه المجاز
معنى وربك معينك ويقال على وجه المجاز قابلا الله اي جعل الله عدوا وجه له كمعاودة المقاتل
المستعلي عليه بالاقتدار وعظم السلطان وكان هذا القول فسقا منهم بامتناعهم من المضي على
امر الله عز وجل والثاني يحتمل انهم عنوا بالذهاب ذهاب النقلة وهذا اشبه وكفر من قاله وهو قريب
المعنى من كلامهم لان كلام الله عز وجل خرج مخرج الانكار عليهم والتعجب من جهلهم وبيان انهم قوم
لم يتوانوا عن قابليه من الانبيا عليهم السلام قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويقال ان معنى قولهم وربك
وسيدك هرون لان هرون كان اكبر سنا منه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما اراد الخروج الى
بعض الغزوات استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في ذلك فقالا انا لا نقول لك مثل ما قال قوم موسى
لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن نقول اذهب فقاتل عدوك وانا معك مقاتلون
وفي بعض الروايات والا اقعدنا فانا بامرك مقاتلون قوله عز وجل قال رب اني لا املك الا نفسي واخي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ان موسى عليه السلام
غضب من مقالة قومه وكان رجلا حديدا فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي ملك الا اخي يعني انه لا
يطيعني من جملتهم غير هرون فافرق بيننا فافصل واقض بيننا وبين القوم الفاسقين والفرق والفصل والحكم
والقضاء نظائر في اللغة وانما سمى نفسه مالكا لاخيه لطاعة اخيه له لا ان اخاه كان مملوكا
له وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد امن علي بنفسه وماله من ابي بكر فبكى
ابو بكر رضي الله عنه وقال انا ومالي الا لك يا رسول الله يعني ان امرك جار علي وفي مالي ويقال ان قول موسى
عليه السلام فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين كان سوالا منه الفرق في العقوبة دون القضاء وكان دعا
منصرفا الى الاخرة اي ادخلنا الجنة اذا ادخلتهم النار ولم يعن بذلك في الدنيا اذ لو عنى ذلك لاجاب الله
دعاه واهلكهم جميعا لان دعا الانبيا لا يرد من قبل انهم يدعون بامر الله عز وجل ويقال كان هذا دعا
راجعا الى الدنيا وقد اجاب الله دعاه لانه عاقب قومه في التيه ولم يكن موسى وهرون عليهما السلام محبوسين
في التيه لان الانبيا صلوات الله عليهم لا يعذبون قال الحسن رضي الله عنه لا يجوز في موسى عليه السلام
ان يكون معهم فيها لا حيا ولا ميتا ولا يجوز اذا عذب الله عز وجل قوم نبي الا ان يخرج ذلك النبي ومن امن
معه ويقال ان هذا الدعا كان من موسى عند الغضب لا انه على الحقيقة الا ترى انه ندم على دعايه
وضجر من عقوبتهم وقد عرف عليهم حزنا شديدا حتى قيل له لا تاس على القوم الفاسقين قوله عز
وجل قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين معناه قال
الله عز وجل فان الارض المقدسة محرمة عليهم اي هم ممنوعون من دخولها اربعين سنة واصل التحريم
المنع قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل واراد به المنع ومنه قول الشاعر يصف فرسا
جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام اي اني فارس لا يمكنك صرعي

الألوكة
www.alukah.net

وقال بعضهم اراد بقوله فانها محرمة عليهم تحريم التعبد والتكليف كما في قوله عز وجل وحرمت
من حكم التيه والقول الاول اقرب الى ظاهر الاية لان الله عز وجل وصفهم بقوله يتيهون في الارض ومعنى
يتيهون يتحيرون قال عبد الله بن عباس تحيروا اربعين سنة في ستة فراسخ كانوا يسيرون اول النهار فيمسون في
مكانهم ويسيرون من اول الليل فتدور بهم الارض فيصبحون في مكانهم وقال الحسن عمي عليهم
السبيل واخفي عليهم الاعلام التي يهتدون بها الى الطريق فلم يستطيعوا الخروج منها وذهب بعضهم
الى ان قوله اربعين سنة منصوب بيتيهون قالوا وكانت الارض المقدسة حراما على اولئك القوم
الذين عصوا الله ابدا ولم يبق منهم احد بعد اربعين سنة انما بقي يوشع بن نون ونشا الصغار ومات
موسى واخوه هرون عليهما السلام حتى انقضى التيه على ما روي انه هرون كان بعده والى موسى عليه
السلام ويروح اربعين سنة حتى اذا كان اليوم الذي قبض الله فيه هرون عدا موسى الى هرون عليهما
السلام فقالت بنو اسرائيل ذهب سلطان موسى والحمد لله على ذلك وانطلق موسى عليه السلم وهرون
والعزير بن هرون الى الجبل فكانوا يخرجون من التيه فلما انطلقوا الى الجبل اذا هناك سريرا موضوعا
فقال هرون ما احسن النوم على هذا السرير فقال موسى عليه السلام نم عليه فنام هرون فقبض وهبط
موسى عليه السلام والعزير الى بني اسرائيل وليس معهما هرون عليه السلام فقالت لهما بنو اسرائيل قتلتما
هرون وقالوا لموسى عليه السلام حين ذهب سلطانك كان يخلف الملك اربعين سنة يغدو
ويروح فلما غدوت اليه يوما واحدا حسدته وقتلته لنقتلنك والعزير او لتاتينا به فدعا
موسى عليه السلام وقال يا رب ان بني اسرائيل يتهموني وتابى فارهم اياه فنزلت به الملائكة على سرير حتى
راوه ميتا ثم رفع ومات موسى عليه السلام بعد ذلك واستخلف يوشع بن نون فسار بالناس حتى
انتهوا الى مدينة الجبارين وحاصروهم فلما كان يوم الجمعة وكادت الشمس تغرب توضا يوشع بن نون و
صلى ودعا ربه وساله ان ينجز له ما وعد وكان الشمس تغرب وليلة السبت لا يقاتل فيها ورد الله عز وجل
الشمس حتى كانت من السما فعند صلاة الظهر جمع يوشع عليه السلام بني اسرائيل وجعل في كل سبط منهم
شبورا وامرهم اذا فرغ من دعايه وصاح شبوره ان يصيحوا بشبابيرهم ويقولوا باجمعهم امين فما زالوا
يدعون ويؤمنون حتى تهدمت المدينة حجرا حجرا فانهزم العدو فقتلوهم حتى ان الثمانين رجلا من بني
يوشع كانوا يجتمعون على الرجل ويحزون راسه فما يطيقونه من عظمه وكان موسى عليه السلام قتل عوج
بن عنق قبل ذلك وكان طوله ثمانماية ذراع وكان طول موسى عليه السلام عشرة اذرع وعصاه عشرة اذرع
ووثبته عشرة فوثب عليه فاصاب بعصاه عقبه فخر ميتا وكان طول كل واحد من الجبارين ثمانين
ذراعا وما روي عن مقاتل ان طول كل واحد منهم ستة اذرع ونصف يحتمل انه اراد بذلك
ستة اذرع ونصفا بذراعهم وما سوال الملحدة وطعنهم في القران بقوله كيف يجوز ان يتيه عسكر
عظيم في مقدار ستة فراسخ او اكثر ويكون قصدهم الخروج منها ويعرفونهم وتحفه
حوالهم ثم لا يجدون الى الخروج سبيلا وان صح ذلك فكيف يتصور ان لا يجتهد اهل
البلاد الذين كانوا حوالهم في تخليصهم او تعريفهم وجه الخروج منها والجواب عنها ظاهر وهو ان
الله سبحانه اذا اراد محو العلامات والتي على بعضها شبه ببعض وتغير رسوم بعضها وشغل الذين
كانوا حواليها عن امرهم فليس ذلك بعجيب في قدرة الله عز وجل لانه انتقاض العادات في زمن الانبيا
صلوات الله عليهم يكون معجزة لهم مثل ما كان من فلق البحر وتفجير الحجر وانزال المن والسلوى وغير
ذلك ومن نكر مثل هذا كان منكرا اصل قدرة الله عز وجل فيكون الكلام معه في اثبات وحدانية
الله سبحانه وقدرته والله الموفق قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين معنى الاية

والله

١٨٦

والله اعلم واقرا يا محمد صلى الله عليه وسلم على قومك خبر ابني ادم لصلبه بالصدق اذ وضعا على الجبل
قربانا والقربان ما يطلب به التقرب الى الله تعالى وهو فعلان من القربة كالفرقان من الفرق وكالكفران
من الكفر ويقال معناه واقرا على اولاد هولاء الذين تقدم ذكرهم من اهل الكتاب حتى يقروا برسالتك
وقوله عز وجل فتقبل من احدهما اي قبل القربان من احدهما ولم يتقبل من الاخر ومعنى القبول ايجاب الثواب
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان حوا كانت تلد في كل بطن اثنين غلاما وجارية فولدت
اول بطن قابيل ابن ادم واخته اقليما ثم مكثت سنتين ثم ولدت البطن الثاني هابيل واخته لبوذا فلما
ادركوا امر الله عز وجل ادم عليه السلام ان ينكح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فذكر ادم
ذلك لامراته فذكرت ذلك لابنيها فرضي هابيل بالذي امر وسخط قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال
ما امر الله تعالى ادم عليه السلام بهذا قط ولا ازوج هابيل اختي التي ولدت معي فاخبرت حوا ادم
عليه السلام ثم قال قربا قربانا فمن تقبل منه تزوجها وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب
حرث فقرب هابيل حملا سمينا من خير غنمه ولبنا وزبدا وقرب قابيل سنبلة من شر زرعه فانطلق
ادم عليه السلام الى الجبل فاضمر قابيل في نفسه ما ابالي اتقبل الله مني ام لا لا يتزوج اختي ابدا واضمر
هابيل في نفسه الرضا لله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السما فاكلت شيئا من
السنبل بعد ما رنت منه ثم اكلت الحمل واللبن والزبد فذلك قوله عز وجل فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الاخر ثم نزلوا من الجبل وتفرقوا وذهب هابيل الى غنمه وذهب قابيل الى زرعه ثم اتى قابيل هابيل
فقال له لاقتلنك قال هابيل ولم تقتلني قال لان الله عز وجل تقبل منك قربانك ورد علي قرباني وتنكح
اختي الحسنة وانكح اختك القبيحة فيتحدث الناس انك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي قال هابيل وما ذنبي
في ذلك انما يتقبل الله من المتقين اي من الزاكية قلوبهم الذين يخافون على حسناتهم ان لا تقبل ولم تكن
انت زاكي القلب فرد الله عليك قربانك بخبث نيتك ويقال المراد بالمتقين الذين يتقون الشرك ويروى
عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان قابيل كان كافرا وفي اكثر الروايات انه كان رجل سوء قال الحسن
رضي الله عنه كان الرجل اذا اراد ان يقرب القربان تعبد وتاب وتطهر من الذنوب ولبس الثياب البيض
ثم قرب وقام يدعو الله عز وجل فان قبل الله تعالى قربانه جات نار فاكلته وذلك علامة القبول
وان لم تجي نار فذلك علامة الرد ويروى عن الحسن رضي الله عنه ان الاية نزلت في رجلين من بني اسرائيل اذ لم
يكن القربان مشروعا قبل بني اسرائيل قال وفي اخر هذه الايات دليل على ذلك وهو قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرائيل والقول الاول اظهر واشهر عند عامة المفسرين قوله عز وجل لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين معناه قال هابيل لاخيه القابيل
لئن مددت يدك الي لتقتلني ظلما ما انا بالذي امد يدي اليك لاقتلك ظلما قال قابيل ولم ذلك قال هابيل
لاني اخاف الله رب العالمين ان اقتلك ظلما وروي عن الحسن ومجاهد رضي الله عنهما انهما قالا لم يكن القتال
مشروعا ولا كان دفع القاتل عن النفس مباحا وانما ورد الشرع بذلك بعد الا ترى ان الله تعالى امر في عباد
العجل ان يقتل بعضهم بعضا وجعل ذلك سبب توبتهم واخذ عليهم ان لا يدفعوا القتل عن انفسهم وقال
عبد الله بن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ان معنى الاية لئن بدات بقتلي لم ابدا بقتلك فالا ولم يقتل
قابيل هابيل مجاهرة ولكن قتله غيلة بان القى عليه صخرة وهو نايم فشدخه بها قال الضحاك رضي الله
عنه كان قابيل لا يدري كيف يقتله حتى جا ابليس لعنه الله وبيده حية فوضعها بين حجرين ورضخ راسها بالحجر
وقابيل ينظر فلما تعلم ذلك جا الى هابيل فلم يزل يضرب بالحجارة على راسه حتى قتله وليس في هذه الاية دلالة
على جواز ترك الدفع عن النفس بقتل من اراد قتله لان دافع القتل عن نفسه لا يسمى باسطا ولا مريدا القتل لان غرضه

شبكة الألوكة www.alukah.net

التخلص من شر الذي يقصد قتله وان انت المدافعة على نفس الذي يريد قتله وهذا بمنزلة رجل يعدو على
صدر رجل اخر يريد قتله ان ذلك يرميه عن نفسه قاصدا قتله ولهذا قلنا ان الكفار اذا تترسوا باطفال
المسلمين لا يجب على المسلمين الامساك عن قتالهم ورميهم ولكن لا يقصدون بالرمي قتل الاطفال قوله عز وجل
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين معناه قال هابيل لقابيل ان
كنت تريد قتلي فلا ترجع عن قتلي فاني اريد ان ترجع الى الله تعالى باثم دمي واثم ذنبك الذي من اجله لم يتقبل قربانك
والمراد بهذا القول اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك لان المكلف كما لا يجوز ان يريد معصية نفسه لا يجوز
ان يريد معصية غيره فثبت ان المراد بهذا عقوبة القتل وقوله عز وجل فتكون من اصحاب النار بذنوبك
وهكذا عقوبة من لم يرض بحكم الله سبحانه قوله عز وجل فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح
من الخاسرين معناه تابعته نفسه على قتل اخيه فقتله فاصبح لهذا فصار من المغبونين بالوزر و
العقوبة قال الكلبي رحمه الله كان قابيل اول من عصى الله تعالى في الارض من ولد ادم عليه السلام وهو
اول من يساق الى النار وقال مقاتل كان قبل ذلك تستانس السباع والوحوش والطيور فلما قتل قابيل
هابيل اخاه نفرت ولحقت الطيور بالهواء والوحوش بالبرية والسباع بالغياض قال [illegible]
باقليما وذكر الضحاك في تفسيره انه قال لما قتل قابيل هابيل حمله على ظهره ولم يدر كيف يصنع
به فمكث ثلاثة ايام يحمله على ظهره لا يدري ماذا يصنع به فبعث الله عز وجل غرابين يقتتلان فقتل
احدهما صاحبه ثم حفر حفيرا في الارض واخذ برجل الغراب القتيل والقاه في الحفيرة وجعل
يحثي عليه التراب وذلك قوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوءة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين
معناه ارسل الله غرابا ويقال بعث الله غرابا يثير التراب على غراب اخر ميت [illegible]
روي عن عبد الله بن عباس انه لما قتل قابيل هابيل رجع الى اهله قبل ان يدفنه فلما ابطا هابيل
على ادم عليه السلام قال يا قابيل اين هابيل قال ما رايته وكانه بما ارسل عمه في زرع فافسدته
فهو يريد ان يجيء من اجل ذلك قال ووحشت نفس ادم عليه السلام فبات ليلته تلك حزينا
فلما اصبح قابيل ندم على قتله فعاد الى ذلك الموضع فاذا هو بغراب يبحث التراب على غراب
ميت ليواريه ويقال بعث الله عز وجل الغراب اكراما لهابيل وكان الغراب يحثي التراب على هابيل
ليرى قابيل كيف يواري سوءة اخيه اي كيف يغطي عورته وروي في الخبر انه لما قتله سلبه ثيابه
وتركه عريانا بالارض القفار ويقال اراد بالسوءة جسد المقتول وسماه سوءة لانه لما بقي على وجه
الارض تغير وانتن والسوءة في اللغة عبارة عن كل شيء مستكره وهذه الاية تضعف قول الحسن
رحمه الله في القاتل والمقتول انهما كانا رجلين من بني اسرائيل لانه لو كان كما قال لكان القاتل يعرف كيفية
دفن المقتول فلا يحتاج الى ان يتعلم ذلك من الغراب اذ دفن القتلى والموتى كان معلوما في بني اسرائيل
واما قوله عز وجل قال يا ويلتى فمعناه ان قابيل لما ابصر الغراب يبحث في الارض دعا بالويل على
نفسه كانه قال يا ايها الويل احضر فهذا اوانك وعلى هذا يا ويلتا وقوله يا حسرتا ويا عجبا والويل كلمة
تستعمل عند الوقوع في الشدة والهلكة وقوله عز وجل اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب معناه
اضعفت في الحيلة ان افعل مثل ما فعل هذا الغراب فاغطي عورة اخي بالتراب فحفر حفيرا والقاه
فيه وواراه فاصبح من النادمين يحتمل ان يكون المراد بندامته ندامة توبة عن جميع ما قال وفعل
من معصيته ويحتمل انه انما ندم على ترك مواراة عورة اخيه فان كانت الاولى فالله عز وجل تواب
رحيم وان كانت الثانية فاثم القتل في عنقه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لو كانت ندامة

على قتله

على قتله لكانت توبة منه وقيل انه انما ندم لانه لم ينتفع بقتله ولم يحصل له مراده واسود جلده منه مراده
وكان ندمه لاجل ذلك لا لقبح فعله ولو كان ندمه تقربا الى الله تعالى لقبلت توبته وعن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما انه قال لما قتل قابيل هابيل كان خائفا ابدا لا يرى احدا الا وخاف منه ان يقتله قال وكان كل
من راى قابيل رماه بالحجر فابصره بعض ولده وولد ولده فرماه بالحجارة حتى قتله ويقال كان على جبل فنطحه ثور فوقع الى
سفح الجبل فتفرقت اوصاله وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ضرب الله عز وجل ابني ادم مثلا فخذوا
خيرهما ودعوا شرهما وفي تفسير الحسن ان رجلا من بني اسرائيل قتل قتيلا ثم قرب قربانا فاجتمع الناس وقام يدعو به
فلم تاكل النار القربان فلما ذهب وقف نبي النار عرف انه قد رد الله عليه قربانه فشق قميصه ووضع التراب على
راسه فاوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ان قل لعبدي ما اصبح ليتوب فيصلي فهلا [illegible] عن
ذلك وبالله التوفيق قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او
فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا
بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون معنى الاية والله اعلم من اجل ذلك القتل الذي عرفه بنو اسرائيل
واستعمله ندمهم فرضنا واوجبنا عليهم في التوراة ان من قتل نفسا بغير نفس ويقال معناه من جناية ذلك
حصلت هذه الكتابة بالامرين جميعا في اللوح المحفوظ ان من قتل نفسا بغير ان يجب عليه القود او
بغير فساد في الارض نحو الشرك وقطع الطريق والزنا بعد الاحصان فكانما قتل الناس جميعا اي يستوجب النار
بقتل النفس الواحدة كما يستوجبها من قتل الناس جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن قتل الناس جميعا
كان اعظم وزرا وعقابا والقول الثاني ان عليه مأثم كل قاتل من الناس روي عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها
لانه اول من سن القتل والقول الثالث ان على الناس كلهم معونة ولي القتيل حتى يستقيد ويكون كلهم خصما
القاتل حتى يقاد وفيه قول اخر ان المراد استحقاق القود بقتل النفس الواحدة وقوله عز وجل ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا اي من استنقذ نفسا من غرق وحرق وما يشبهه لا محالة او استنقذها من كفر وضلالة
فاحياها بالنعيم الدائم في الجنة او عفا عن [illegible] وما وجب عليها القود استوجب الجنة كما يستوجبها من
احيا الناس جميعا قال الحسن رضي الله عنه ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا كان اعظم منزلة في الجنة ويقال يثيب الله
عز وجل على احيا النفس الواحدة مثل الثواب على احيا الناس جميعا لو فاته اجره ويعاقب الله تعالى القاتل ظلما بمثل عقوبته
على قتل جميع الناس لكن ذلك عقوبة له ووجه اتصال هذه القصة بما قبلها ان اهل الكتاب
كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم في كتمان ما عندهم من صفته في كتابهم فاعلم الله عز وجل ان الحسد
يحمل على جحود الحق الا ترى ان ابن ادم كيف قتل اخاه حسدا فلا تعجب على حسد اهل الكتاب وعنادهم وعداوتهم
ولهذا المعنى لاجل ذكر الله هذه القصة لاهل الكتاب قال الله عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات اي
جاءت بني اسرائيل رسلنا بالاوامر والنواهي والعلامات الواضحات ثم ان كثيرا منهم بعد ان جاءتهم الدلائل والمعجزات
في الارض لمسرفون مشركون تاركون اوامر الله قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك
لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وادع ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين
فهو امن ومن اتى المسلمين منهم فهو امن فمر اناس من [illegible] كنانة يريدون الاسلام فاتاهم من اسلم من قوم هلال
ولم يكن هلال شاهدا يومئذ فخرج اصحابه اليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام فيهم
بهذه الاية ومعناها انما عقاب الذين يحاربون اولياء الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ويسعون في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الارض الفساد نحو القتل والنهب والتخريب وقطع الطريق ان يقتلوا ان قتلوا احدا ولم ياخذوا المال او يصلبوا مقتولين ان قتلوا واخذوا المال او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اليد اليمنى من الرسغ والرجل اليسرى من المفصل ان اخذوا المال ولم يقتلوا احدا او ينفوا من الارض ان اخافوا الطريق ولم يفعلوا فعلا سوى ذلك واختلف المفسرون في النفي فقال بعضهم اراد به الحبس وقال بعضهم اراد به الطلب الدايم حتى لا يستقر بهم مكان ووجه التوفيق بين القولين انهم ان اخذوا بعدما اخافوا الطريق اودعهم الامام السجن حتى يموتوا او يتوبوا وان لم يوجدوا امر بطلبهم وامر ان ينادى في الناس ان من قبلهم لا سبيل عليه وانما سمي الحبس نفيا لانه يمنع المحبوس من التردد والتصرف في الارض ويكون ذلك بمنزلة النفي من الارض واختلفوا في كيفية الصلب مع القتل قال ابو حنيفة يصلب حيا بمرأى الناس ويرونه فيكون ذلك زيادة ردع ثم يبعج بطنه برمح يطعن في خاصرته او يطعن في لبته حتى يموت وقال ابو يوسف والشافعي رحمهما الله يقتل ثم يصلب وقوله عز وجل ذلك لهم خزي في الدنيا اي ذلك القضاء فيهم فضيحة لهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم اعظم مما كانوا فيه في الدنيا وهذا التاويل الذي ذكرنا في هذه الاية قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في ترتيب حد قطاع الطريق وبه اخذ ابو يوسف ومحمد رحمهما الله وقال ابو حنيفة رحمه الله ان اخذ قطاع الطريق المال وقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف ثم قتلوا وتاويل الاية على قوله جزاؤهم ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان قتلوا وانقطع الطريق بقتلهم او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال ولم يقتلوا وقال عطاء نزلت هذه الاية في قوم من عرينة قدموا المدينة فاجتووها وعظمت بطونهم واصفرت وجوههم فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا ذلك وصحوا ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه في طلبهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا فانزل الله عز وجل هذه الاية فصارت عامة في قطاع الطريق ناسخة لسمل الاعين وفي تفسير الحسن رضي الله عنه ان الاية نزلت في المشركين اذا ظهر عليهم الامام قبل ان تضع الحرب اوزارها فاخذهم او طايفة منهم كان بالخيار فيهم ان شاء ضرب اعناقهم وان شا صلبهم وان شا قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وتركهم حتى ماتوا وكان الحسن رضي الله عنه يستدل بظاهر الاية ان حرف او يقتضي التخيير كاو في كفارة اليمين وخالفه عامة المفسرين وهذا وقالوا ان هذه عقوبات علقت بجنايات فلا بد في ايجاب مثل تلك العقوبة قوله عز وجل الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم استثنا من قوله عز وجل ان يقتلوا او يصلبوا معناه الا الذين تابوا من قطع الطريق من قبل ان يقدر السلطان عليهم فاعلموا ان الله تعالى كثير الستر على عباده رحيم بهم بعد التوبة وفي هذه الاية دليل ان المراد باول الاية الاولى قطاع الطريق دون المشركين لان الله تعالى لم يقبل التوبة منهم قبل ان يقدر عليهم ومعلوم ان توبة الكفار قبل القدرة عليهم وبعد القدرة عليهم سوا في زوال العذاب عنهم كما قال عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف يدل على صحة هذا القول ان الله تعالى قال في اول الاية الذين يحاربون ويسعون في الارض فسادا ومعلوم ان قتل الكافر لا يتعلق بسعيه في الارض بالفساد وانما يستحق القتل بنفس الكفر وانما توثر توبة قطاع الطريق قبل القدرة عليهم في الحدود التي هي حق الله عز وجل لا تقام عليهم اذا جاوا تائبين بعد التوبة واما حقوق الادميين من الاموال والقصاص في النفس والاطراف فلاصحاب الحقوق ان شاوا اخذوا حقوقهم وان شاوا عفوا ولو عفوا عنهم قبل توبتهم لم يسقط عنهم حد قطاع الطريق وبالله التوفيق قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون معنى الاية والله اعلم يا ايها الذين امنوا اخشوا عذاب الله واحذروا معاصيه واطلبوا اليه القربة بالاعمال الصالحة وجاهدوا اعدا الله عز وجل في طاعته لكي تظفروا بعدوكم

في الدنيا

في الدنيا وتنجوا من النار في العقبى قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم في الاية ازالة طمع الكفار عن التخلص من عذاب الاخرة يقول لو ماتوا على الكفر وكان لهم ما في الارض جميعا من الاموال واثرها وضعفه معه ليفتدوا به انفسهم من عذاب الله عز وجل ما تقبل ذلك الفدا منهم لو فادوا ولهم عذاب وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم قوله عز وجل يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قال عبد الله بن عباس في معنى الاية اراد به الكفار اذا اعياهم وجهدهم طلب الرجا ان يروا من مكانه الى مكان اخر اهون عليه مما هو فيه وتعالى كلما رفعتهم النار بلهبها تمنوا ان يخرجوا منها يقول الله عز وجل وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في طعمة بن ابيرق سارق الدرع وقد سبق ذكره ثم صارت عامة في جميع الناس ومعنى الاية والسارق من الرجال والسارقة من النسا فاقطعوا ايديهما يعني ايمانهما هكذا تاوله ابن عباس رضي الله عنهما وفي قراة ابن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما وقرا بعضهم والسارق والسارقة بالنصب على معنى اقطعوا السارق والسارقة ايديهما كما تقول زيدا اضربه فتنصب زيدا لوقوع الفعل عليه والقراة المختارة الرفع لان القطع يقع على الايدي لا على السارق قال المبرد ليس القصد من الاية الى واحد بعينه وانما معنى الاية من سرق فاقطعوا يده بخلاف قولك زيدا اضربه وعلى هذا وجه الرفع في قوله تعالى الزانية والزاني وقوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وتقدير الاية ان فيما يتلى عليكم وشرع لكم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وانما ذكر الايدي بلفظ الجمع الصحيح واراد بذلك ايمانهما وهما يمينان وكذلك في قوله فقد صغت قلوبكما لان ما كان في الشي منه واحد ثم تلفظ به على الجمع والاضافة الى الاثنين تبين ان المراد التثنية دون الجمع لانك اذا قلت اشبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط يدل عليه ان اصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد الا ان التثنية لا يجمع في ساير المواضع لحاجة المعرفة الى الفصل بين الجماعة والاثنين ولا حاجة الى التمييز في اضافة الشيين الى الاثنين ولان ما كان في الشي منه واحد فذلك جائز قال الشاعر ظهراهما مثل ظهور الترسين فجا بالتثنية والجمع وجب واحد فان قيل لاي معنى قدم الله جل ذكره السارق على السارقة وقد قدم ذكر الزانية على الزاني قيل لان السرقة في الرجال اكثر والنسا المفتتنات بالرجال بالتعرض لهم اكثر ولو لزمت المراة بيتها كما امر الله تعالى وراقبت الله تعالى لم تقع هي ولا الرجال في الزنا واما قوله عز وجل في هذه الاية جزاء بما كسبا فمعناه عقوبة لهما على ما عملا وانما انتصب جزاء لانه مفعول له كانه قال فاقطعوهما للجزاء بفعلهما وقوله تعالى نكالا من الله معناه عقوبة وفضيحة من الله تعالى والنكال هو ان ينكل به ليعتبر به غيره فينكل ان يفعل مثل ما فعله وقوله تعالى والله عزيز حكيم اي منيع بالنقمة من السارق ذو حكمة فيما حكم من القطع عليه لما في ذلك من زجر السراق وردعهم صيانة لاموال الناس وظاهر الاية يقتضي وجوب القطع على السارق بسرقة الشي اليسير والكثير وهو قول الخوارج الا ان الاثار قد وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا قطع في اقل من عشرة دراهم وبهذا اخذ اصحابنا رحمهم الله واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على اعتبار اصل النصاب في وجوب القطع بالسرقة وانما اختلفوا في المقدار روي عن علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما مثل قولنا وعن عمر رضي الله عنه انه قال لا يقطع الخمس الا في خمس وفي رواية اخرى عن علي رضي الله عنه معناه لا تقطع الخمس اصابع الا في خمسة دراهم وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت لا تقطع الا في ربع دينار وهو قول الشافعي رحمه الله وقال

صدر البيت
ومهمهين قذفين مرتين

الألوكة
www.alukah.net

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ثلثة دراهم وفي قوله تعالى جزاء بما كسبا دليل ان القطع لا يجب في الشي اليسير
قالت عائشة رضي الله عنها كانت اليد لا تقطع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشي التافه وعن عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا قطع في الطعام ولا خلاف بين الصحابة ومن
بعدهم من العلماء ان الحرز معتبر في وجوب القطع على السارق حتى لو سرق مالا غير محرز لا قطع عليه وكذلك
من سرق من حرز هو ماذون بالدخول او سرق مالا للسارق فيه شبهة لم يجب عليه القطع والى هذا
اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال ادرءوا الحدود بالشبهات وقال صلى الله عليه وسلم لان يخطى الامام في
العفو خير من ان يخطى في الاصابة ولا خلاف بين العلماء ان السارق اذا سرق اول مرة نصابا كاملا من حرز من غير
شبهة قطعت يده اليمنى وانه اذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى وانما اختلفوا في المرة الثالثة والرابعة
قال اصحابنا يحبس حتى يموت او يتوب وقال الشافعي رحمه الله يقطع في المرة الثالثة يده اليسرى وفي المرة
الرابعة رجله اليمنى وفي المسألة خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم قوله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه
واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم معنى الاية والله اعلم من تاب من السرقة من بعد
سرقته واصلح العمل فيما بينه وبين ربه فان الله يتجاوز عنه ولا يؤاخذه به في الاخرة ولا تقطع يده اذا رد المال
قبل المرافعة الى الحاكم ان الله غفور اي متجاوز عن التائب رحيم لمن مات على التوبة وليس في الاية دليل على السارق
اذا تاب بعد المرافعة الى الحاكم ان الحد يسقط عنه بالتوبة لان التوبة من الله تعالى على عبده اسقاط الاثم عنه
الا انا حملناها في اية قطاع الطريق على اسقاط الحد بدلالة ان الله تعالى خص التوبة في تلك الاية بما قبل القدرة
عليهم والمعنى في ذلك كله انه اذا تاب وهو تحت يد الامام وقهره احتمل انه قصد باظهار التوبة اسقاط
الحد عن نفسه واحتمل ان توبته توبة حقيقة فلا يصدق واحكام الدنيا بالشك بل يقام عليه ما كان واجبا
عليه فان كان توبته حقيقة كان ذلك زيادة درجة له كما ان الله تعالى ابتلى الانبياء والصالحين بالبلايا والمحن
والامراض زيادة لهم في درجاتهم وان لم تكن توبته حقيقة كان الحد عقوبة له على ذنبه وهو مواخذ في الاخرة
ان لم يتب قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر
لمن يشاء والله على كل شيء قدير معناه الم تعلم يا محمد ان الله تعالى له المقدرة على
اهل السموات واهل الارض يعذب من يشاء على الذنب الصغير وهو عدل منه ويغفر لمن يشاء الذنب العظيم
وهو فضل منه اي يعذب من توجب الحكمة تعذيبه ويغفر لمن توجب الحكمة مغفرته ومشيته تطابق
حكمته وحكمته تطابق مشيته وقيل ان المراد بالاية بيان تمام اقتداره على ما يشاء ترغيبا في وعده وتحذيرا
من وعيده ليقف العبد بين الخوف والرجاء يرجو رحمته ويخاف عذابه ولهذا عقب ذكر التعذيب والمغفرة
بالقدرة فقال والله على كل شيء قدير قال مجاهد في معنى الاية يعذب من يشاء من المسلمين وان اظهروا
التوبة ويغفر لمن يشاء من المشركين اذا انتهوا واسلموا من حيث كان اخر الامرين على هذا التدبير اصلح للفريقين
لانه لو بقي الحد على الكافر بعد ما اسلم كان ذلك ابعد من اسلامه وتوبته ولو بقاه على المسلم كان ازجر له
عن المعاودة قوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم
ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا
ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم معناه يا محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك
فعل الذين يحض بعضهم بعضا في الاقامة على الكفر والحث عليه فانا ناصرك لا يحزنك من الباب يقال حزنه يحزنه واحزنه
يحزنه ومعناهما واحد وقوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم معناه من الذين يقولون

ابن

بافواههم

بافواههم صدقنا ولم تصدق قلوبهم في السر وهم المنافقون ومن الذين هادوا يقول ومن يهود المدينة الذين
هم اهل الصلح للنبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفواده بوعد النصر
والظفر واعلام ان المنافقين واليهود لا يضرونه روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال نزلت هذه
الاية في ابي لبابة بن عبد المنذر لما استشاره بنو قريظة وهم في حصونهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرهم
انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار اليهم بيده لا انه الذبح واشار الى حلقه فانزل الله تعالى هذه الاية
قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في قوله
تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب معناه قوالون للكذب واحب الحديث اليهم الكذب وقوله
تعالى سماعون لقوم اخرين اي يقولون لك حديث اهل خيبر الذين لم ياتوك ولا اصطلحوا منك وبينهم يسالك يهود
المدينة عما حدث في اهل خيبر يحرفون اي يغيرون كلام الله تعالى من بعد ان وضعه الله في التورية مواضعه
بان وضعوا فيها غير وضعه واحل حلاله وحرم حرامه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي روسا اليهود لسفلتهم
ان امركم محمد صلى الله عليه وسلم بجلد الزاني المحصن فاقبلوا منه واعملوا به وان لم يامركم بالجلد وامركم بالرجم فاحذروا
عن الرجم ولا تقبلوا قوله قال وذلك ان رجلا وامراة من اهل خيبر وهم حرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فجرا وكانا ذوي شرف وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمهما وفي كتابهم الرجم وكتبوا الى اناس من اليهود
فارسلوهما اليهم فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل الذي بيثرب واهل بلد وقد فجر فينا فلان وفلانة فاسالوه
عن قضائه فيهما فان افتاكم بالجلد فاجلدوهما وان افتاكم بالرجم فقد ذكر ذلك في التورية وهي احق ان تطاع
فسال يهود المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترضون
بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الرجم وقال له ان ابوا
ان ياخذوا به فسالهم عن رجل يقال له ابن صوريا وصفه لهم فاجعله بينك وبينهم فقال لهم عليه السلام
ثم اجد فيما انزل الله تعالى على ان الزانية والزاني اذا فجرا وقد احصنا وجب عليهما الرجم فامتنعوا عن
ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفون شابا ابيض امرد يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا
نعم قال فاي رجل فيكم قالوا هو اعلم يهودي بقي على ظهر الارض قال فارسلوا اليه قال فبعثوا فاتاهم ابن
صوريا فقال له عليه السلام انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون فقال عليه السلام اتجعلونه بيني وبينكم
قالوا نعم قد رضينا فقال له عليه السلام فاني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى عليه
السلام وفلق لكم البحر ورفع فوقكم الطور وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون في كتابكم
الذي اتاكم به موسى عليه السلام الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية التورية ان تحرقني
او تضلني ان كذبت وغيرت ما اعترفت لك ولكن كيف انزل عليك يا محمد قال اذا شهد اربعة انه ادخل فيها كما يدخل
الميل في المكحلة وجب الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التورية هكذا انزل على موسى عليه السلام فقال له قومه ما اسرع
ما صدقته ما كنت لما اثنينا عليك باهل وما انت باعلمنا ووثب على سفلتهم فقال خفت ان كذبته ان ينزل
بنا عذاب شديد واشترف بالتورية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم اليهوديين الزانيين وقال انا اول
من احيا سنة اذ اماتوها وذهب بعض المفسرين في قوله سماعون للكذب معناه يسمعون منك ليكذبوا
عليك وذلك انهم اذا جالسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض انا سمعنا منه كذا وكذا وقيل
معناه مستمعون منك لاهل خيبر اي هولاء عيون اولئك الغيب وقيل المعنى سماعون الكذب قابلون
للكذب كما يقال لا تسمع من فلان قوله اي لا تقبل منه ومنه قولهم سمع الله لمن حمده اي قبل الله تعالى حمده
وفي لفظ السماعين مبالغة ودلالة على ان ذلك عادة وطريقة لهم واما قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فمعناه
من يرد الله بليته وقيل عقوبته وفضيحته فلن تقدر يا محمد صلى الله عليه وسلم ان تدفع عنه شيئا

يا موكم

الألوكة
www.alukah.net

اراد الله تعالى به واصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب اذا ادخلته في النار واستخلصته واستصفيته و
احرق ما كان فيه من الخبث فاذا اضيفت الفتنة الى المؤمن اريد بذلك محنته وابتلاؤه بالمصائب والمكاره
ليستخلص من الذنوب ويكون ذلك كفارة له كما ان الصائغ لا يريد بادخال الذهب في النار الا ازالة الذهب و
اعادته وانما يريد بها استخلاصه واستصفاءه واذا اضيفت الفتنة الى الكافر اريد بها الهلاك والاحراق لان
الكفار خبث كلهم والخبث لا بد ان يحرق بمنزلة خبث الذهب والفضة وقوله تعالى اولئك الذين لم يرد
الله ان يطهر قلوبهم من عقوبات الكفر مثل الختم والطبع والضيق كما شرح صدور المؤمنين وطهرها لقوام
سكينة الايمان فيها وقال الحسن رضي الله عنه لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي لا يبرئ قلوبهم من الكفر وهم
مقيمون على دينهم واعتقادهم وقوله تعالى لهم في الدنيا خزي اي فضيحة بما اظهر الله تعالى من كذبهم و
يقال اراد بالخزي القتل والسبي والجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم اعظم مما يكون في الدنيا قوله عز وجل
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين اول هذه الاية يرجع
الى صفة اليهود والمنافقين الذين سبق ذكرهم والفائدة في اعادة وصفهم بسماعين للكذب بيان
انهم استحقوا الخزي والعذاب لاصرارهم على الكذب واستماعه وضمهم الى ذلك اكل السحت و
اختلفوا في المراد بالسحت فقال ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما اراد به الرشوة على الحكم وقال علي وابو
هريرة رضي الله عنهما هو الرشوة على الحكم ومهر البغي وعسب التيس وحلوان الكاهن وثمن الخمر والاستجعال
على المعصية كانهما جعلا السحت اسما لما لا يحل اخذه واصل السحت من الهلاك يقال سحته
واسحته اذا استاصله ومنه قوله تعالى فيسحتكم بعذاب اي يهلككم وسمي الحرام سحتا لانه يؤدي
الى الهلاك والاستيصال وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل لحم نبت من السحت فالنار
اولى به قيل وما السحت يا رسول الله قال الرشوة في الحكم وعن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنهما
انه قال الرشوة سحت فقلت له في الحكم قال لا ذاك الكفر ثم قرا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون واراد بهذا استحلال الرشوة وجحود الحق والرشوة تنقسم على وجوه منها الرشوة في الحكم
وذلك حرام على الراشي والمرتشي لانه لا يخلو اما ان يرشو ليحكم له الحاكم بحقه فيكون المرتشي اخذا
للاجرة على اداء ما هو فرض عليه ويكون الراشي محاكما الى من لا يصلح للحكم ولا ينفذ حكمه واما ان يرشو
ليقضي بالباطل يحق له فيكون الاثم اعظم ويفسق الحاكم من وجهين وكذلك الراشي وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي والرائش واراد بالرائش الذي يمشي بينهما ومنها
الرشوة في غير الحكم وهي على وجهين كما روي عن وهب بن منبه انه قيل له الرشوة حرام وكل شيء قال لا انما يكره
ان يرشو لتعطى ما ليس لك او لتدفع حقا لزمك فاما ان ترشو لتدفع عن دينك ودمك ومالك فليس
بحرام وانما الاثم على القابض واما الهدايا للامراء والقضاة فانها مكروهة وان لم يكن للمهدي خصم ولا حكومة
عند الحاكم روي عن ابي حميد الساعدي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل ابن اللتبية على الصدقة
فلما رجع قال هذا لكم وهذا اهدي لي فقال صلى الله عليه وسلم ما بال القوم نستعملهم على ما ولانا الله
تعالى فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي فهلا جلس في بيت امه فينظر ايهدى له ام لا قال محمد بن الحسن
رحمه الله وهذا الخبر يدل ان القاضي اذا اهدي اليه رجل ممن كان يهدي اليه قبل القضاء وعلم انه لم يهد
اليه لاجل القضاء انه يحل له اخذه كما كان ياخذ من قبل فاما قوله فان جاءوك فاحكم بينهم فقد روي ان
اليهود لما ارادوا ان ينهضوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد قصة الزنا تعلقت بنو قريظة
ببني النضير فقالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد

ونبينا واحد وكتابنا واحد واذا قتلوا منا قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم
قتيلا اخذوا منا اربعين ومائة وسق وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم فقال عليه السلام دم القرظي
وفاء بدم النضيري فانزل الله عز وجل هذه الاية اي ان جاءك الفريقان كلهم راضين بحكمك فاحكم
بينهم بما انزل الله وان شئت فاعرض عنهم ويقال معنى الاية ان جاءك اهل خيبر في حكم الزنا فاقض بينهم
بالرجم في هذه الحادثة التي وقعت فيهم وفي نظيرها من الحوادث التي تقع من بعد او اعرض عنهم ولا تحكم فيما بينهم
خيره الله تعالى في ان يحكم بينهم وبين ان يعرض عنهم هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله
الاية وقوله تعالى وان تعرض عنهم معناه وان تعرض عن الحكم والقضاء بينهم لا يضرك بغضهم عليك لاعراضك
عنهم وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط معناه اذا قضيت بين اليهود ولا يسوغ لك الا ان تحكم بينهم
بالعدل ان الله يحب العادلين في الحكم قوله عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم
الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين معناه كيف يرضون بحكمك وعندهم التوراة فيها
حكم الرجم والقصاص وغير ذلك ثم يعرضون عن العمل بها من بعد البيان الذي في كتابهم وليسوا بمصدقين
بما عندهم يزعمون انهم يؤمنون بالتوراة وهم كاذبون وفي الاية بيان ان هؤلاء اليهود كانوا لا يحكمون
النبي صلى الله عليه وسلم بحكم رضى وانقياد ولولا طلبهم الرخص واتباع ما لا يشق في كتابهم والا ما جاءوه
قوله عز وجل انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون
والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون
ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون معنى الاية انا انزلنا التوراة
على موسى عليه السلام فيها بيان من الضلالة وضياء لمن امن به يقضي به النبيون الذين اخلصوا وهذه صفة
الانبياء عليهم السلام لانه ليس منهم من لم يخلص كما ان الله تعالى اثنى على محمد وعلى اصحابه الطيبين لا يراد بذلك
ان من اصحابه من هو خبيث ومن هو طيب والمراد بالنبيين موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
وغيرهم من الانبياء الذين كانوا من وقت موسى عليه السلام الى وقت نبينا صلى الله عليه وسلم ويقال اراد
بالنبيين نبينا صلى الله عليه وسلم فانه كان كل نبي من انبياء بني اسرائيل ان يحكم في الزناة بينهم بحكم
التوراة وقيل معنى اسلموا صاروا الى السلامة من فعل اليهود كما يقال اصبح وامسى اي دخل في الصباح
والمساء وقوله تعالى للذين هادوا فيه ثلاثة اقوال احدها ان معناه اليهود والثاني للذين تابوا من
الكفر كما في قوله تعالى انا هدنا اليك والثالث ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديرها وهو نور للذين
هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون وهم العلماء والعاملون يربون العلم اي يقومون به
والاحبار سائر العلماء دون الانبياء والربانيين وانما سمي العالم حبرا لكثرة ما يكتب بالحبر ويقال هو
من التحبير وهو تحسين العلم وتقبيح الجهل وقوله تعالى بما استحفظوا من كتاب الله من الرجم وسائر
الاحكام وكانوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لعلماء اليهود اي لا تخشوا السفلة والجهال
في اظهار نعت النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم واخشوا عقابي في كتمانها ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
اي لا تختاروا عرضا يسيرا من الدنيا ويقال هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وجماعة المؤمنين اي لا
تخشوا الناس في اقامة الحدود وامضائها على اهلها كائنا من كان واخشوني في ترك اقامتها ولا تختاروا
على الحق شيئا من الدنيا فان الدنيا وما فيها قليل وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله ذهبت الخوارج الى ان
معنى الاية ومن لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه كان كافرا بفعل ذلك اعتقاده كان او من ذلك وكفروا
بذلك كل من عصى الله بكبيرة او صغيرة واداهم ذلك الى الضلال والكفر بتكفيرهم الانبياء صلوات الله عليهم
اجمعين بصغائر ذنوبهم واما عامة اهل الاسلام فقالوا ان المراد بهذه الاية من جحد شيئا مما انزل الله

عز وجل مثل ما فعله اليهود من التحريف والتبديل وانكار بعض ايات كتاب الله فاولئك هم الكافرون اي اهل هذه الصفة بمنزلة الكافر بالكتب والرسل كلها يدل على هذا انه لا خلاف ان من لم يفصح منهم بالرد لا يكفر بان لم يحكم لان اكثر الناس بهذه الصفة والحاكم بين الناس في كثير حالاته لا يحكم فان اصلح للخوارج ان يرجعوا الى ظاهر اللفظ فيقولوا معناه من لم يحكم بما انزل الله وحكم بخلافه صلح لغيرهم ان يقولوا معناه من لم يحكم بشيء مما انزل الله فاولئك هم الكافرون وهذا عام في اليهود وغيرهم ويقال ان لفظ من في هذا الموضع ليس للجزاء ولكنها بمعنى الذي كانه قال والذين لم يحكموا وهم الذين ذكرهم بقوله وكيف يحكمونك هم الكافرون قوله عز وجل **وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون** قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه في الجراحات التي كانت بين بني قريظة والنضير كان لبني النضير فضل على بني قريظة في العقل والدم ضعف ما كان لبني قريظة فانزل الله تعالى قوله وكتبنا عليهم اي فرضنا على بني اسرائيل في التورية ان النفس تقاد بالنفس والعين تفقا بالعين وكذلك الانف بالانف والاذن والسن وقوله تعالى والجروح قصاص اي يجري فيها القصاص والقصاص عبارة عن المساواة وقوله تعالى فمن تصدق به اي من عفى عن مظلمته في الدنيا فهو كفارة للجارح لا يؤخذ بها في الاخرة قال ابن عباس فلما نزل هذا قال صلى الله عليه وسلم لبني النضير ان بني قريظة فضل في عقل ولا دم فقالت بنو النضير والله لا نرضى بقضائك ولا نطيعك ولنأخذن بالامر الاول فانزل الله تعالى قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون اي من لم يقر ولم يقض ولم يعمل بما انزل الله فاولئك هم الضارون لانفسهم بالوزر والعقوبة قال الحسن رضي الله عنه من لم يحكم بما انزل الله جاحدا له فهو ظالم ظلم الشرك ومن لم يحكم به لا على وجه الجحود فهو ظالم ظلم الفسق وفي الاية ما يدل على ان هذه الامة متعبدون باحكام هذه الاية وجميع احكام التورية الا ما قام الدليل على نسخه لان الله تعالى اخبر بهذا الحكم في التورية ولم يبين لنا حكما خاصا بخلافه وقال فمن تصدق به فهو كفارة له والظاهر ان قوله فهو كفارة له راجع الى الذي حل تحت الشهادة وهو ولي القتيل اذا عفى كان عفوه كفارة لذنوبه ويقال عفو المجروح عن الجارح كفارة للمجروح يكفر الله تعالى عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه وهذا لا يكون الا صفة المسلم فاما الكافر اذا عفى عن قصاص وجب له لا يكون عفوه كفارة له مع اقامته على الكفر وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له وقال بعض المفسرين معنى فهو كفارة انه يرد له بعفو المجروح عقاب مثل هذه الذنوب منه ومما يدل على ان هذه الامة متعبدون بهذه الاية ما روي ان الربيع بنت النضر لطمت وجه جارية فكسرت سنها فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر بالقصاص فقال اخوها انس بن النضر اتكسر سن الربيع لا والذي بعثك بالحق نبيا فقال صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص وليس في القران ذكر القصاص في السن الا في هذه الاية واتفق القراء ان قوله النفس بالنفس منصوب واختلفوا فيما بعده فقرا عاصم وحمزة ونافع كل ذلك بالنصب على معنى البناء وقرا الكسائي كل ذلك بالرفع على معنى الابتداء ويجوز ان يكون رفعه على معنى انه عطف على موضع النفس اي قلنا لهم النفس بالنفس وقالوا والنفس ماخوذة بالنفس وكذلك العين والانف وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر كل ذلك بالنصب غير قوله والجروح فانهم قراوه بالرفع وقد سبق ذكر احكام القصاص في النفس في قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى فاما القصاص في الاطراف فانما يجب القصاص في العين اذا ضربها رجل فذهب ضوءها وهي قائمة فانها

تشد

تشد العين الاخرى ويجعل على العين التي يجب فيها القصاص من الضارب بثوب او قطن مبلول ويحمى مرآة وتقرب الى العين التي يجب فيها القصاص حتى يذهب ضوءها فاما اذا قلع رجل عين رجل اخر فلا قصاص في ذلك لتعذر استيفائه على وجه المساواة فانا لو قلعنا عين القالع لم يكن القلع مثله معلوما ينتهي اليه فيعلم على ذلك القدر الذي قلعه القالع وهذا كمن قطع قطعة لحم من فخذ رجل او ذراعه فانه لا يجب فيه القصاص واما الانف فالانف معناه اذا قطع المارن وهو ما لان من الانف وجب فيه القصاص فاما اذا قطع الانف من اصله فلا قصاص فيه لانه عظم لا يمكن استيفاؤه على وجه المساواة كمن قطع يد اخر من نصف الساعد ويروى عن ابي يوسف ان الانف اذا استوعب ففيه القصاص وكذلك الذكر واللسان واما الاذن فمعناه اذا استوفيت بالقطع واما قطع بعض الاذن فلا قصاص فيه فاما السن بالسن فمعناه القلع وكسر البعض اما القلع فيمكن استيفاؤه على وجه المساواة كاليد باليد من المفصل واما الكسر فانه يبرد بمقداره بالمبرد فيستوفى القصاص واما سائر العظام فلا يمكن استيفاؤها على وجه المساواة ولا يجوز ان يستوفى الثنية بالضرس ولا اليسرى باليمنى وان تراضيا على ذلك لانه لا مساواة بينهما ولا يستوفى سنان بسن واحدة ولا يدان بيد واحدة عند اصحابنا رحمهم الله وفرقوا بين الاطراف والنفس بمعنى التساوي في الاطراف في البدل شرط في وجوب القصاص الا ترى ان اليد الكاملة السليمة لا تستوفى باليد الشلاء ولا بناقصة الاصابع لاختلاف البدلين في البدل وهذا المعنى غير معتبر في النفس لكاملة الاعضاء والجوارح بل يستوفى بناقصها ويقتل الرجل بالمراة فعلم ان التساوي في الانفس غير معتبر ولهذا لا يجري القصاص عندنا بين الرجل والمراة في الاطراف ولا بين الحر والعبد لعدم التساوي بين الطرفين في البدل وكذلك بين العبد والعبد ولا يمكن معرفة التساوي بين اطرافهما في البدل واما قوله تعالى والجروح قصاص فمعناه والجروح التي لها حد معلوم مثل الموضحة ونحوها واما ما ليس له حد معلوم لا يمكن معرفة التساوي فيه ففيه الارش دون القصاص قوله عز وجل **وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين** معنى الاية والله اعلم اتبعنا النبيين الذين ذكرناهم عيسى بن مريم وجعلناه ممن يقفوهم يقال قفوت اثر فلان اذا اتبعته وحقيقة التقفية الاتيان بالشيء في قفا غيره وقوله مصدقا لما بين يديه نصب على الحال من عيسى بن مريم عليه السلام كان مصدقا بالكتاب الذي انزل قبله وهو التورية وقوله تعالى واتيناه الانجيل معناه واعطيناه اي اعطيناه ذلك كتابا الانجيل فيه هدى من الضلالة وبيان للاحكام وقوله الثاني ومصدقا لما بين يديه من التورية نعت الانجيل اي اعطيناه ذلك كتابا فيه هدى ونور ومصدقا اي موافقا لما تقدمه من التورية وهدى اي بيانا لبعث النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وموعظة للذين يتقون الفواحش والكبائر قوله عز وجل **وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون** معناه وليقض اهل الانجيل وهذا جزم بالامر اي قلنا لهم احكموا بما انزل الله تعالى في الانجيل قال الكلبي بين الله تعالى حكم الرجم على الزاني المحصن وحكم القصاص في النفس والاطراف وحكم القطع على السارق في التورية والانجيل وفيما انزل على نبينا صلى الله عليه وسلم وجميع هذه الكتب تصدق بعضها بعضا كانه ذهب الى ان الله تعالى امر اهل الانجيل في ذلك الزمان ان يحكموا بما انزل الله فيه مما وافقه احكامه احكام القران وقال ابن العرض من هذه الاية بيان ان اهل كل كتاب لم يجمعوا الى كتابهم فحكموا بما فيه لزمهم اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم

الألوكة
www.alukah.net

من بيان نعته وصفته ووجوب الايمان به وبكتابه والاصل في قوله تعالى بكسر اللام الان
الكسرة حذفت استخفافا لها وقرا حمزة وليحكم بكسر اللام ونصب الميم اي اتيناه الانجيل لكي يحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله معناه من لم يقض بما انزل الله في كتبه
على رسله فاولئك هم الخارجون عن امر الله تعالى وقد تقدم في ترك حكم الله ان من تركه جاحدا فهو
فاسق فسق الكفر ومن تركه لميله الى احد الخصمين مع اقراره بانه حكم الله وتصديقه فهو
فاسق فسق معصية قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب
ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى
الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون معناه وانزلنا اليك يا محمد صلى الله عليه وسلم القران
بالصدق موافقا لما تقدمه من الكتب في التوحيد وتبيان الحق من الباطل ومهيمنا عليه اي امينا
ومؤتمنا على ما قبله من الكتب ويقال شاهدا على الكتب كلها وهذا وصف خاص للقران دون ما سواه
ومهيمن مؤيمن على وزن مفيعل من الامانة الا ان الهاء ابدلت من الهمزة كما قالوا ارقت الما وهرقت
واياك وهياك وهيهات وايهات ونظير المهيمن مصيطر وقوله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله معناه
فاحكم في الزاني والزانية بالرجم ويقال الحكم بين قريظة وبين النضير في الجراحات التي بينهم في التسوية
بين الفريقين ولا تتبع اهواءهم اي لا تعدل بهواهم ومرادهم عما جاءك من الحق وقوله لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا معناه لكل امة منكم معشر الانبيا صلوات الله عليهم بينا فرايض وسننا واصل الشريعة من
قوله شرع يشرع شروعا اذا دخل في الامر دخولا والشرعة والشريعة هو المخلص الى الجنة والدرجات كشريعة
الانهار والحياض في الدنيا هو المخلص الى الشرب والاستقاء منها وانما سميت الامور التي يعبد الله بها من
جهة امره شرعة وشريعة لانه يصل بها العاملون بها الى الحيوة الدايمة في النعيم الباقي كما ان شريعة الما
في الدنيا هي التي يتوصل بها الى الما الذي فيه الحيوة والمنهاج ماخوذ من نهج ينهج اذا استبان اي امرنا كل امة
بما علمنا ان صلاحهم فيه ويقال ان الشرعة والمنهاج كلاهما الطريق والطريق هاهنا الدين وقد يعبر
عن الشي الواحد بلفظين مختلفين تاكيدا للكلام وقال المبرد الشرعة ابتدا الطريق والمنهاج الطريق
المستمر ويقال معنى المنهاج الدلايل الواضحة التي بها يستدل على الفرايض من كتاب وسنة ونحو
وقوله تعالى ولو شا الله لجعلكم امة واحدة معناه لو شا لجعلكم على امر واحد في دعوة
جميع الانبيا صلوات الله عليهم ولكن ليبلوكم فيما اتاكم معناه ولكن ليختبركم فيما اعطاكم من الكتب
وفيما امركم به من السنن والشرايع المختلفة فيتبين من يطيع الله ممن يعصيه وقال الحسن رضي الله عنه
اراد بقوله ولو شا الله مشية القدرة على اجبارهم على القول بالحق كما في قوله تعالى ان نشا ننزل عليهم
من السما اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله عز وجل فاستبقوا الخيرات اي بادروا يا امة محمد
صلى الله عليه وسلم الخيرات والطاعات والاعمال الصالحة قبل الفوت بالموت كما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل
شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك وهذا الخبر يتضمن موعظة بليغة يستغني بها
العاقل عن كثير من وعظ الواعظين واما قوله تعالى الى الله مرجعكم معناه اليه مرجع من امن ومن كفر يوم
فيخبركم يوم القيمة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والشريعة قوله عز وجل وان احكم
بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان
تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون معناه انزلنا اليك الكتاب

بالحق

١٩٢
بالحق وبان احكم بين اليهود بما انزل الله من رجم المحصن والقصاص لشريف بالوضيع ولا تعمل
بهواهم في الجلد والرجم واحذرهم ان يستزلوك عن بعض ما بين الله تعالى في كتابه قال ابن عباس تركم
رضي الله عنهما وذلك ان يهود بني النضير قالوا فيما بينهم اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا
نفتنه عن دينه فانما هو بشر فاتوه قالوا يا محمد صلى الله عليه وسلم انك قد عرفت انا احبار اليهود
واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود كلهم ولن يخالفونا وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فابى النبي صلى الله عليه وسلم وكان حريصا
على اسلامهم فنزل قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وقوله فان تولوا
معناه ان اعرضوا عن حكمك فاعلم انما يريد الله ان يعاقبهم بالقتل من بني قريظة والجلا الى الشام في
بني النضير ببعض ذنوبهم اي بما سلف من ذنوبهم وهو جحودهم اياك ونعتك في التورية والانجيل
وان كثيرا من الناس لفاسقون اي خارجون من الطاعة ناقضون للعهد قوله عز وجل افحكم الجاهلية
يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون معناه ايطلبون من حكم الزنا والقصاص
وهم اهل الكتاب شيئا لم ينزله الله عليكم كما يفعل اهل الجاهلية واي احد اعدل في الحكم من الله
تعالى وقوله تعالى لقوم يوقنون معناه ان من ايقن تبين له عدل الله وحكمه قوله عز وجل فترى الذين
في قلوبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا بعضهم اوليا بعض ومن يتولهم منكم فانه
منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وذلك انه لما كانت وقعة احد خاف اناس من المسلمين ان يظهر عليهم
الكفار فاراد من كان بينه وبين اليهود والنصارى صحبة ان يتولوهم ويعاقدوهم فنهاهم الله تعالى عن
ذلك ويقال نزلت هذه الاية في المنافقين ومعنى الاية يا ايها الذين تكلموا بكلمة الاسلام لا تتخذوا
اليهود والنصارى اوليا في العون والنصرة بعضهم اوليا بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم اي اذا
تولاهم لاجل اليهود والنصارى كفرهم صار كافرا مثلهم فاما اذا تولاه لا لكفره فهو من جملة المستحقين لعذاب
الله لمخالفته امر الله في الموالاة من اوجب الله تعالى عليه ان يعاديه وعن عبد الله بن عباس والحسن رضي
الله عنهما انهما استدلا بهذه الاية على اباحة ذبايح النصارى نصارى بني تغلب مثل نصارى بني اسرايل
وقالا لو لم يكن من نصارى بني تغلب الا تولي النصارى لكانوا منهم لقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه
منهم وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشد اليهود والنصارى الى دينه وحجته
ما داموا على كفرهم ويقال معناه لا يهديهم بالمدح لهم والثنا عليهم ولا يلطف بهم كما يلطف
للمؤمنين ومن الناس من استدل بهذه الاية على من اعتقد من اهل ملتنا اعتقادا يجب تكفيره
بذلك الاعتقاد انه يحل اكل ذبيحته كما تحل ذبيحة ساير اليهود قوله عز وجل فترى
الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة فعسى الله ان ياتي بالفتح
او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين وذلك ان المنافقين كانوا يوادون يهود قرى عرينة
ونصارى اهل نجران لانهم كانوا اهل ريف وكانوا يميرونهم ويقرضونهم فقال المنافقون كيف نقطع
مودة قوم ان اصابتنا سنة واحتجنا اليهم وسعوا علينا في المنازل وعرضوا علينا الثمار الى الحاصل
فنزل قوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم اي ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم الذين
في قلوبهم شك ونفاق يبادرون الى ولاية الكفار ومعاقدتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة
اي شدة وجدوبة ويقال اراد بهذا القول انهم يخشون ان لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم بان
يدور الامر على هذه الحالة التي هم عليها فيحتاجون الى الكفار يقول الله عز وجل فعسى الله ان ياتي
بالفتح اي عسى ان يظفر المسلمين وعسى من الله واجب وسمى النصر فتحا لان فيه فتح الامر المغلق وقوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

[illegible]

تعالى او امر من عنده معناه او يقضي بالخصب لمحمد صلى الله عليه وسلم باظهار امر المنافقين د...
فيصبح المنافقون على ما اضمروا في انفسهم من ولاية اليهود والنصارى ومن اليهود والنصارى
الهجرانا دمين فلا ينفعهم الندامة حينئذ قوله عز وجل ويقول الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين معناه يقول المومنون
المخلصون عندما اظهر الله تعالى المنافقين اهؤلاء الذين اقسموا بالله يعنون المنافقين الذين حلفوا
بالله انهم لمعكم على دينكم حبطت اعمالهم بطل ما اظهروه من الايمان والاعمال الصالحة فصاروا
مغبونين في الوزر والعقوبة وقوله تعالى جهد ايمانهم تفسير القسم بالله تعالى فان من يحلف بالله
تعالى فقد بذل جهد يمينه اذ لا يمين اعظم من اليمين بالله تعالى ولا حرمة اعظم من حرمة الله تعالى
قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فجا الله بالفتح ونصر الرسول صلى الله عليه وسلم وجا امر الله تعالى
من عنده باجلا بني النضير وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم فندم المنافقون حين ظهر نفاقهم و
قال المومنون اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وفي قوله تعالى ويقول الذين امنوا ثلاث
قراات احدها بالواو وضم اللام وهي قراة عاصم وحمزة والكسائي عطفا على قوله فيصبحوا كانه قال
نادمين وقابلهم الذين امنوا والثانية بالواو وفتح اللام وهي قراة ابن كثير ونافع وابن عامر وهكذا كتب
في مصاحف اهل الشام والحجاز بغير واو واما في مصاحف اهل العراق فمكتوب بالواو قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين
اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لايم ذلك فضل الله يوتيه من يشا
والله واسع عليم وفي هذه الاية تهديد لمن لا يثبت على الايمان قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اسد و
غطفان وناس من كندة ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عهد ابي بكر رضي الله عنه وبقيت ثلثة
مساجد لم يرتدوا مكة والمدينة والبحرين فاتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اعز الله تعالى بهم الدين وهم الف
من النخع وخمسة الاف من بجيلة وكندة وذلك سبعة الاف من اهل اليمن وثلثة الاف من فنا الناس فقاتلوا
الذين ارتدوا عن الاسلام وهم الذين اثنى الله عليهم بقوله تعالى اذلة على المومنين اي يلينون لهم جانبهم ليس هذا
من الهوان انما هو من اللين والرفق كما في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقوله تعالى اعزة على الكافرين
اشدا اقويا يعادون الكفار ويغالبونهم ونظير هذه الاية قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا
على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى يجاهدون في سبيل الله معناه يقاتلون العدو في طاعة الله ولا يخافون
لومة اللايمين ذلك التمكين والتوفيق فضل من الله تعالى يكرم به من يشا من كان اهلا لذلك والله واسع الفضل
والرحمة عليم بمن يصلح للهدى والاصل في قوله تعالى من يرتد من يرتدد وهو قراة نافع وابن عامر وموضعه جزم
بالشرط الا ان اكثر القرا ادغموا الدال الاولى في الثانية فاسكنوا الاولى ثم حركوا الثانية الى الفتح لالتقاء
الساكنين وفي الاية دليل على صحة امامة ابي بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم وقد اخبر الله لان الذين
ارتدوا من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم انما قاتلهم ابو بكر وعمر وعثمن وعلي رضي الله عنهم وقد
اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه وانهم يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لايم ومعلوم ان من كانت
هذه صفته فهو ولي الله عز وجل قاتل المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الا هؤلاء المذكورون و
اتباعهم قوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون
الزكوة وهم راكعون روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت في مسلمي اهل
الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوتنا قاصية لا نجد متحدثا
دون هذا المسجد وان قومنا لما راونا صدقنا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم تركونا ونبذونا واظهروا لنا

العداوة

العداوة وحرموا ان لا ينا كحونا ولا يواكلونا ولا يخالطونا ولا نستطيع ان نجالس اصحابك لبعد المنزل
فبينما هم يشكون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس في المسجد يصلون من قايم في الصلوة وساجد
وراكع واذا مسكين يطوف يسال الناس فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال هل اعطاك احد
شيا قال نعم قال ماذا قال خاتم فضة قال من اعطاكه قال ذاك الرجل فاذا هو علي بن ابي طالب كرم
الله وجهه قال على اي حال اعطاكه قال اعطانيه وهو راكع فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية على عبد الله بن سلام واصحابه وانسهم بما اخبرهم الله به من ولايته وولاية رسوله صلى الله الاية ص
عليه وسلم وولاية المومنين ومعنى الاية انما حافظكم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمومنون
الذين يقيمون الصلوات الخمس بحقوقها ويعطون الصدقة في حال ركوعهم وفي الاية دليل اباحة العمل
اليسير في الصلوة لان قوله وهم راكعون اخبار عن الحالة التي يقع فيها الصدقة كما يقال تكلم فلان وهو
قايم واعطى فلان وهو قاعد ولو كان المراد بقوله تعالى وهم راكعون وهم يصلون النوافل لكان
تكرارا لما تقدم ذكره في اول الخطاب بقوله الذين يقيمون الصلوة فثبت ان المراد بالاية مدح المتصدق
في حالة الركوع قوله عز وجل ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
معناه من يختر طاعة الله وطاعة رسوله ومحبة المومنين فان حزب الله هم الغالبون على جند الشيطان
اي العاقبة للمومنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اوليا واتقوا الله ان كنتم مومنين وذلك ان اليهود
كانوا اذا اقام بلال الى الاذان يضحكون ويستهزون ويقولون قام الغراب لا قام واذا قام المومنون
الى الصلوة قالوا قد قاموا لا قاموا واذا راوهم ركعا وسجدا استهزوا بهم وتغامزوا فيما بينهم تنفيرا
للناس عن الصلوة وعن الداعي اليها وذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم
هزوا ولا تتخذوا اليهود والنصارى الذين يتخذون دينكم استهزا وسخرية يسخرون منكم
اذا اذن موذنكم ويضحكون من صلاتكم اذا صليتم يعدون ذلك باطلا وفي قوله تعالى والكفار
قراتان النصب والخفض فمن قرا بالنصب فمعناه ولا تتخذوا الكفار اوليا واراد بالكفار مشركي العرب
ومن قرا بالخفض فمعناه من الذين اوتوا الكتاب ومن الكفار وقوله تعالى واتقوا الله معناه واخشوا
الله في ولاية الكافرين ان كنتم مقرين مصدقين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي الهزو ثلث
لغات ضم الزاي مع تحقيق الهمزة واسكان الزاي مع تحقيق الهمزة وضم الزاي مع ابدال الواو من الهمزة
لانضمام ما قبلها وهذه اللغات كلها معروفة وجيدة في اللغة مثل هدى ولكن لا يقرا الا ما صحت
به الرواية قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون
معناه اذا ناديتم الناس الى الصلوة بالاذان والاقامة اتخذوها سخرية واستهزا وضحكا وباطلا وذلك
الاستهزا واللعب بانهم قوم لا يعقلون ثواب الله تعالى في اقامة الصلوة ولا عقابه في اضاعتها وقيل
لا يستعملون عقولهم فيما ينفعهم فكانه لا عقل لهم وروي ان رجلا من اليهود كان اذا سمع الموذن قال
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه البيت
بنار فوقعت شرارة منها في البيت فالتهب البيت واحترق هو واهله واستجيب دعاوه على نفسه وفي
الاية دليل ان للصلوة اذانا يدعى به الناس اليها ونظير هذه الاية قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون معناه قل يا محمد صلى الله عليه وسلم يا اهل الكتاب
هل تطعنون علينا الا لايماننا بالله والقران ولان اكثركم فاسقون اي انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال فعل بدرون شيئا يعاب علينا الا هذا انما ذا نطعنون ويجوز في اللغة تنقمون بفتح القاف يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت انقم اذا بالغت في كراهة الشي والاجود نقمت بالفتح قال الله تعالى وما نقموا منهم واما قوله وان اكثركم فاسقون قال بعضهم اراد بالاكثر كلهم واكثر الشي يقوم مقام الكل ويقال انما ذكر لفظ الكثير لان الاية خرجت مخرج التلطف للدعا الى الايمان فكان في سابق علم الله تعالى ان فيهم من يسلم وكان في القوم من لا يطعن بنفسه في دين الاسلام وان كان يسكت عن طعن الطاعنين فان قال قايل كيف يجوز ان يعلم احد ان دينا من الاديان حق ثم يوثر الباطل على الحق فالجواب عنه ان اكثر ما نشاهده كذلك الا ترى ان الانسان يعلم ان القتل يورث النار ثم يقتل ما لمستفي غيظ او لاخذ مال وكان ابليس يعلم ان الله تعالى يدخله النار بمعصيته فاثر هذه وعمل على دخول النار وهو يابى ان قوله عز وجل قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل وذلك ان اليهود قالوا للمسلمين ما نعلم اهل دين اصغر اقل حظا منكم في الدنيا ونرجوا ان تكونوا في الاخرة كذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية ومعناها قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهولا اليهود هل اخبركم باسوا من الذين قلتم جزاء عند الله وقوله تعالى من لعنه الله في موضع رفع على معنى هو من ابعده الله تعالى من رحمته وسخط عليه وهم اليهود ويجوز ان يكون في موضع خفض بدلا من شر على معنى هل انبيكم بمن لعنه الله وقوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير معناه مسخ بعضهم قردة في زمن داود عليه السلام بدعائه عليهم حين اعتدوا في السبت واستحلوه ومسخ بعضهم خنازير في زمن عيسى عليه السلام بعد اكلهم من المائدة حين كفروا بعد راوا من العجائب والايات البينات وروي انه لما نزلت هذه الاية قال المسلمون لليهود يا اخوة القردة والخنازير فنكسوا روسهم وفضحهم الله واما قوله تعالى وعبد الطاغوت فمعناه ومن عبد الطاغوت اي بالغ في طاعة الشيطان والكهان وروسا المعصية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وعبدوا الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرا وعُبَدَ الطاغوت بالتشديد وخفض الطاغوت وهو جمع عابد كما يقال راكع وركع وساجد وسجد وعبد وعباد على وزن فعال وكفار وبعرا وعبد الطاغوت بخرمه الباء على تقدير ومن جعله الله تعالى عبد الطاغوت وقرا بعضهم وعُبُدَ الطاغوت بضم العين والباء وهو جمع العبيد كما يقال رغيف ورغف وسرير وسرر وقرا حمزة وعَبُدَ الطاغوت بنصب العين والدال وضم الباء وكسر التاء قال ابو عبيدة لم يصح في اللغة ان يقال للجماعة الاعبد عبد وقيل يحتمل ان يكون معناه الوحدان كما يقال عضد وعضد وكبد وكبد وقوله تعالى اولئك شر مكانا معناه اهل هذه الصفة شر مكانا من الذين امنوا واضل عن قصد الطريق فان قيل كيف يكون معنى قوله للمشركين اولئك شر مكانا وليس في الايمان شر وضلال قيل تسمية المشركين شر مكانا لا يوجب ان يكون في الاسلام شر ونظيره قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ومعلوم انه لا خير في مستقر الكفار ولا في مقيلهم قوله عز وجل وإذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون واذا جاءكم المنافقون من اهل الكتاب قالوا امنا بك ونحن نعرف نعتك وصفتك يقول الله عز وجل وقد دخلوا بالكفر اي دخلوا عليكم وخرجوا من عندكم كافرين في السر كما دخلوا خرجوا وقوله تعالى وهم للصلاة والتاكيد ويحتمل ان يكون معناه وقد دخلوا عليكم بالكفر وهم الذين قد خرجوا به من عندكم فيكون الخروج بالكفر معتمدا على الدخول عليه في المرة الثانية وقوله تعالى والله اعلم بما كانوا يكتمون اي هو اعلم بما يضمرون في قلوبهم من الكفر والنفاق فاعلمكم به واطلعكم عليه قوله عز وجل وترى كثيرا منهم يسارعون

في

١٩٤ في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون معناه وترى يا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا من اليهود والمنافقين يبادرون في المعصية والاعتدا والظلم واكلهم الرشوة والحرام في تغير احكام الله تعالى لبئس شيئا يعملون من المعصية ومجاوزة الحد قوله عز وجل لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون معناه هلا ينهاهم العاملون بالعلم والعلما الذين هم دونهم عن قول الشرك والكذب على الله تعالى واكل الحرام والرشوة في الحكم قال الحسن رضي الله عنه الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ويقال هو كله في اليهود وقوله تعالى لبئس ما كانوا يصنعون معناه بئس ما يصنع علماؤهم من كتمانهم الحق وتركهم النهي عن المعصية واما قوله لولا فقد يدخل في الكلام الماضي ومعناه التوبيخ كما في قوله تعالى لولا جاءوا عليه باربعة شهدا وقد يدخل للمستقبل بمعنى الامر كما يقول الرجل هلا تفعل كذا اي لم لا تفعل فيكون ذلك بمعنى الامر وهي في الاية للاستقبال ومعناها الامر بالنهي وفي الاية بيان ان علما اليهود علما سوء ليس فيهم رباني ولا حبر الا بالتسمية يخالطون اهل الظلم والمعصية فيداهنون ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما والضحاك رحمه الله ان هذه الاية من اشد الايات وتخويف من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي واصحابه كان الله تعالى بسط عليهم الرزق فكانوا من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم وبالغوا في تكذيبه كف الله عنهم بعض الذي كان بسط عليهم فعند ذلك قالت اليهود يد الله مغلولة قالوا على سبيل الهزو ان اله محمد صلى الله عليه وسلم الذي ارسله ممسكة يده عنا في الرزق لا يبسط علينا في الرزق كما كان يبسط وهذا اللفظ في كلام العرب عبارة عن البخل كما قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسكها عن الانفاق في الخير وجعلوا اغلالا ويقال هذا اللفظ يتضمن الحاجة الدعا عليهم بالبخل ليكونوا اغلالا كقوله تعالى قاتلهم الله واليهود ابخل الناس ولا امة من الامم ابخل منهم ويقال معنى غلت ايديهم غلت الى اعناقهم في نار جهنم ويقال لا يخرج يهودي من دار الدنيا الا وتصير يده مغلولة الى عنقه وقوله تعالى ولعنوا بما قالوا اي عذبوا بالجزية وطردوا من رحمة الله تعالى بقولهم يد الله مغلولة وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان عبارة عن الجود وكثرة العطية لمن يشا كما يقال فلان بسط اليدين وباسط اليدين اذا كان جوادا يعطي يمنة ويسرة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ان معنى قوله بل يداه مبسوطتان بل نعماه واراد بذلك نعمة الدين والدنيا ويقال اراد به نعمة الظاهرة ونعمة الباطنة ويقال من نعمة ليكون بالضرا حتى اذا طهرت المضرة حمدت العاقبة ومنها ما يكون بالسرا والتوسعة فلا معنى لظن اليهود انا اذا ضيقنا فذلك خارج عن النعمة كما اذا وسعنا وقيل ان التثنية في هذا الباب للمبالغة في صفة النعمة كما تقول العرب لبيك وسعديك قال الاعشى يداك يدا مجد فكف مفيدة وكف اذا ما ضن بالمال تنفق وهذا كله لان اليهود قصدوا تبخيل الله تعالى فاجيبوا على قدر كلامهم وفي قوله تعالى ينفق كيف يشا دليل ان المراد جواب اليهود ببيان بسط النعمة وان الله تعالى يزيد وكيف يشا بحسب المصالح فربما كان الصلاح في ان يقتر وربما كان الصلاح في ان يوسع فلا تخلوا حكمه من الحكمة وفي الاية ما يدل على بطلان قول من حمل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاية على اليد التي هي الجارحة لان اليهود لو كانوا ارادوا بقولهم يد الله مغلولة الجارحة لم يكن
قوله بل يداه مبسوطتان ينفقُ كيف يشاء جوابًا لهم وكيف يجوز ان يعتقدوا جارحة يده تعالى انه يفعل بنفسه او بفعله
غيره فثبت ان المراد بالاية بيان الجود والسعة وكثرة العطية على ما تقتضيه المصلحة وذهب بعض المفسرين
الى ان اليهود عنوا بقولهم يد الله مغلولة الفقر كما اخبر الله تعالى عنهم جل ذكره لقد سمع الله قول الذين قالوا ان
الله فقير وقال الحسن رضي الله عنه في معنى الاية ان اليهود قالوا يد الله مقبوضة عن عذابنا فلا يعذبنا
الا قدر ما عبدنا العجل فقال غلت ايديهم اي في النار وقيل بل يداه مبسوطتان اي قدرته بالثواب و
العقاب والغفران والعذاب مبسوطة مطلقة يفعل ما يشاء من المغفرة والرحمة وغيرهما واعلم ان
اليد في اللغة تنصرف الى وجوه منها الجارحة وهي معروفة ومنها النعمة كقولك لفلان علي يد اشكره عليها
اي نعمة ومنها القوة كما في قوله تعالى اولي الايدي والابصار وقوله تعالى والسماء بنيناها بايد ومنها الملك
كقوله تعالى بيده عقدة النكاح اي يملكه وقوله تعالى الذي بيده الملك اي بقدرته ومنها الاختصاص الذي صح
بالفعل كما في قوله تعالى خلقت بيدي اي توليت خلقه وفائدته التشريف ومنها التصرف كقولك الدار هذه صح
في يد فلان اي يتصرف فيها بالسكنى والاسكان ويقال فلان اسلم على يدي فلان اي كان سببًا في اسلامه ويقول هو صح
الرجل في شكوى الحال يدي منقبضة فلا تنبسط ويقال فلان شديد اليد اي في معده وبخيل فاذا كانت
اليد في اللغة تنصرف على هذه الوجوه فلا بد من حملها على الوجه الذي هو اقرب الى الظاهر الاية وموافق لاقاويل
المفسرين ولو جازت الجارحة على الله تعالى لبطل كونه الهًا قديمًا لان الجارحة لا تخلو من حجم ونهاية وما لم يخل من
المحدث لا يكون قديمًا ولو جاز في الجوارح المركبة ان يكون قديمة لم يأمن في كثير من الاجسام ان تكون قديمة ولو
جاز ان يستغنى الجوارح المركبة عن مؤلف ومركب لجاز ذلك فينا فكيف يمكن اثبات الصانع مع هذا القول
واما قوله وليزيدن كثيرًا منهم ما انزل اليك من ربك فمعناه ليزيدن القران الذي انزل اليك وما فيه من حكم
الدنيا ونعت الاسلام وحكم الرجم كثيرًا من اليهود طغيانًا وكفرًا اي كلما نزل عليك شيء من القران كفروا به فيزيد
كفرهم ونسب الطغيان الى ما انزله لان ذلك سبب لزيادة كفرهم وهذا كالرجل يقول لولده او عبده ما زادك وعظي
الا شرًا ونهيي الا فسادًا ومعلوم انه ليس بعظه لزيادة الشر وقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء جعلناهم
مختلفين في دينهم متباغضين كما قال جل ذكره تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى وقوله تعالى كلما اوقدوا نارًا
للحرب معناه كلما اجمعوا على قتالك واعدوا للحرب فرق الله جمعهم واطفأ نار كيدهم وخالف بين كلمتهم
والاصل في عادة ايقاد النار عن الاستعداد للحرب ان القبيلة الكبيرة من العرب كانت اذا ارادت حرب
اخرى منها اوقدت النيران على رؤس الجبال والمواضع المرتفعة التي تعم القبيلة رؤيتها فيعلمون انهم قد دعوا
الى الاستعداد للحرب واما قوله تعالى ويسعون في الارض فسادًا فمعناه يجتهدون في دفع الاسلام وقوله
تعالى والله لا يحب المفسدين اي لا يرضى عمل اهل الفساد وبالله التوفيق ۞ قوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ۞ معنى الاية ولو ان اليهود
والنصارى صدقوا بالله وبالقران وتابوا من تهود اليهودية والنصرانية لعفونا عنهم وسترنا عليهم ذنوبهم
التي كانت في اليهودية والنصرانية ولادخلناهم في الاخرة بساتين ينعمون فيها قوله عز وجل ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم منهم امة
مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ۞ معناه ولو انهم عملوا بما في التورية والانجيل ولم
يكتموا ما علموا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فيهما وعملوا بالقران الذي نزل على كافة الناس لوسعنا عليهم
الرزق بانزال المطر من السماء واخراج النبات والثمار من الارض والمعنى وهذا كما يقال فلان في نعيم من فرقه
الى قدمه ويراد بذلك كثرة الخير وفي الاية بيان ان التقى سبب لتوسعة الرزق واستقامة الامر في الدنيا

والاخرة

١٩٥
والاخرة لان المكلف لا يخلو اما ان يكون له همة الدنيا او همة الاخرة فكيف ما كان فمراده ومقصوده
ووصوله الى نعم الله تعالى متعلق بالتقوى والتوفيق من عند الله تعالى ونظير هذه الاية قوله تعالى ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجًا و
يرزقه من حيث لا يحتسب واما قوله تعالى منهم امة مقتصدة قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه
من اهل الكتاب جماعة عادلة في القول وهم الذين اسلموا منهم وهم ثمانية واربعون رجلًا النجاشي واصحابه من
النصارى وبحيرا الراهب واصحابه وسلمان الفارسي واصحابه وجبر مولى الحضرمي وعبد الله بن سلام واصحابه
وقال بعضهم اراد بالمقتصدة الطائفة التي لم تناصب النبي صلى الله عليه وسلم مناصبة اكثرهم و
الاقرب هو القول الاول لان الظاهر ان الله لا يسمي من كان على شيء من الكفر مقتصدًا وقوله تعالى
وكثير منهم ساء ما يعملون معناه كثير من اهل الكتاب بئس الذي عملوه في كتمان نعت النبي
صلى الله عليه وسلم وتكذيبه وهم كعب بن الاشرف واصحابه تسوء اعمالهم يوم القيمة قوله
عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وامر له ان يبلغ الناس جميع ما انزل اليه من ربه من القران وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت
رسالته قال عبد الله بن عباس معناه ان لم تبلغ اية مما انزل اليك او حكمًا امرت بتبليغه اليهم فكانك
لم تبلغ شيئًا من الرسالة اي لا يحصل لك ثواب الموعود على تبليغ الرسالة من قبل ان كتمان اية واحدة
يحبط ثواب ما بلغ من الرسالة ويقال ان في هذه الاية دليلًا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ربما يتحاشى
تاني قليلًا عن تبليغه حذرًا وخوفًا ان يبتليه الله تعالى بما ابتلى به قبله ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه
بالنار واسمعيل بالذبح وزكريا ويحيى عليهما السلام بالقتل وكان صلى الله عليه وسلم عازمًا على فعل ما امره
مع خوفه فقيل له ان لم تفعل ما امرت به من دعوتهم الى السلام وعيب دينهم فقد بطل جميع ما فعلت
قبل من التبليغ كانك لم تبلغ شيئًا من الرسالة ولهذا قرأ بعض القراء رسالاته بلفظ الجمع وقد يذكر الوحدان
ويراد به الجماعة وقوله تعالى والله يعصمك من الناس امان من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم كيلا
يخاف ولا يحذر وهو دلالة على نبوته كما روي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قالت
اليهود يا محمد صلى الله عليه وسلم انا ذوو عدد وبأس فاحذر بان نقتلك وان لم ترجع قتلناك وان
رجعت زوجناك واكرمناك فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسه مائة من المهاجرين والانصار
يبيتون عنده ويخرجون معه خوفًا من اليهود فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس علم ان الله تعالى
يحفظه من كيد اليهود وغيرهم فقال للمهاجرين والانصار انصرفوا الى رحالكم فان الله تعالى قد عصمني
من اليهود فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يخرج وحده في اول الليل وعند السحر الى اودية المدينة
وحيث ما شاء فعصمه الله عز وجل مع كثرة اعدائه وقلة اعوانه فعاش حميدًا ومات شهيدًا صلى الله
على روحه في الارواح وجسده في الاجساد والذي يدل على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذه الاية ان العاقل المدعي لصدقه لا يخبر بشيء لا يؤمن وقوع المخالفة فيه فلما اخبر صلى الله عليه وسلم
على الاطلاق ان الله يعصمه من الناس ويحفظه وكان كما اخبر ثبت بذلك انه انما علم ذلك بالوحي لان
ما يكون من الامور المستقبلة من علم الغيب والله تعالى لا يطلع على غيبه احدًا الا من ارتضى من رسول
وعن عائشة رضي الله عنها انه قالت انزل الله تعالى هذه الاية تهمة الكتمان عن النبي صلى الله عليه وسلم
كيلا يتوهم متوهم انه كتم شيئًا من الوحي للتقية والخوف واما قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين
فمعناه لا يرشد الى نبيه وحجته ولا يوفق من كان مقيمًا على كفره ويقال لا يهديهم الى طريق الجنة في الاخرة وقال

شبكة الالوكة
www.alukah.net